

وفي نسخة كثيرة وما يذكره الا في اول الابواب
وفي نسخة من يد من يدت في نسخة

المسحاة

١٣١٥

وفي نسخة كثيرة وما يذكره الا في اول الابواب
وفي نسخة من يد من يدت في نسخة

قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام موى « ومثارا » كتاب الطريق

مصر. سلع ربيع الاول ١٣٣٩ - ١٨ القوس (خ) سنة ١٢٩٩ هـ ١٠ اديس ١٩٢٠

فاتحة المجلد الثاني والعشرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدتك، وجل
تناؤك، ولا إله غيرك، لا نعمي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك،
فتحدثك بما حدث به نفسك في كتابك موافقي ونسلم على أنبيائك
ورسلك : (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى)، ونحماته
المباركات وصلواته الطيبات على خاتم رسله محمد المصطفى، وآله المطهرين
وأصحابه الحنفاء، وعلى من اتبع هديهم واقتفى، (وهو الله لا إله إلا هو
له الحمد في الأولى والآخرة وله الملك وإليه ترجعون)

سبحانك اللهم وبحمدك ، حكمتَ فعدلت ، وقدّرتَ فهديت ،
وانتمت فقهرت ، فلك الحمد في السراء والضراء وحين البأس ، لا تنوط
مع رحمتك ولا يأس ، فاسألك من رحمتك العامة للعالمين ، ومن رحمتك
الخاصة للمسلمين ، ووفقني اللهم للقيام في هذا المنار بالنصيحة الحق ،
النافعة لكل من بلغته من الخلق ، ووفق اللهم أئمة هذه الامة وأمرأها ،
وقادتها وزعماءها ، الى ما تخرجها به من ظلمات هذه الفتن الى النور الفاض
من مطالع آياتك البينات ، المنبسط شعاعه على الخلق بسننك في سير
البشر ونظام الكائنات ، ليعلموا أن الغلو في الدين ، مضية للدنيا والدين ،
وأن الغرور بالدنيا مهلكة للمزورين ، وأن سنة الله تعالى في رد الفعل الى
سواء الصراط ، يتعاقب في سبيله التفريط والافراط ، (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
سَبِّحِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أريتنا من آياتك في أنفسنا وفي الآفاق
ما يبين به الحق ، لمن زكت فطرته واستنارت بصيرته من الخلق ، فوفقنا
لمعرفة ما نراه منها في هذا الزمان ، معرفة اعتبار وحكمة وإيمان ، كما وفقت
لذلك آباءنا الاولين ، وسلفنا الصالحين ، لتكون كما كانوا من الأئمة
الوارثين ، الجامعين بين سيادة الدنيا وهداية الدين ، اذا أوغلنا في الدين
نوغل برفق فلا نفلو غلو المزورين ، واذا حكمتنا بين الناس نحكم بالعدل فلا
نملو غلو الجبارين ، واذا تصرفنا بما أحلت لنا من الزينة والطيبات من
الرزق تصرف تصرف الشاكرين ، فلا نستأثر بالنعمة أثرة المسرفين ،
الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، (يَتَرَفُّونَ نِعْمَةَ اللَّهِ فَمِنْ
بَيْنِكُمْ رُفُوهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أريننا آياتك ، فإن جمعها أقوام فقد عرفناها وما نحن لها بمجاهدين ، وعرفتنا نعمتك فإن يذكر بها الاكثرون فأنحن بها بكافرين ، وقد أنزلت عقابك الحق بالباغين الجبارين ، وبالترفين المسرفين ، وبمن ذل لكبرياتهم ودان لطغيانهم . من الجاهلين المفرطين ، فاجعل اللهم ذلك عبرة ووعظة لنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، وارفع اللهم مقنتك وغضبك عنا ، فقد آن أن يستدير الرمان ، ويلجده اعجاز القرآن ، فيتوب الفاسقون ، ويوقن المرتابون ، ويؤمن الجاحدون (الم) ، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من يَغلبون . بِيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ . اللَّهُ أَلَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَمْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِغُ الْمَوْئِذُ . يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ . وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَسِيكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَمْلِكُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك . أريننا من جهل أعلم الناس بشؤون خلقك ، ما أتت به الحجة البالغة على صدق قولك واحاطة علمك ، فقد غلبت الروس الذين كانوا يمدون الخطر الاكبر على الاسلام ، كما غلبت الروم في عهد ظهور النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم غلبت الشعوب الجرمانية ، وظهر جهلها بما كانت به أعلم الشعوب من الفنون الحربية ، ثم ظهر جهل أعلم الاقوام بجمع الثروة وحفظ المال فكانوا من الخاسرين ، وظهر جهل أعلم الامم بشؤون الادارة والاستعمار فكانوا من الخائضين (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أي أن كذبوا بآيات الله وكانوا يستزبون) سبحانك اللهم وبحمدك أنت الواحد القهار ، مكر النهار على الليل .

ومكروا الليل على النهار ، والكبرياء رداؤك ، والمظمة إزارك ، من
للأهلك فيهما قصصته ، وقد صرفت عن آياتك الذين يتكبرون في الارض
بظهر الحق ، مغترين بما اسند رجعتهم به من شدة القوة وسعة الرزق ، فلم
يشعروا بما حل بمن قبلهم ممن كانوا أشد منهم قوة ، ولم يتعظوا بما أنزلت
من آيات الوحي وشرعت من هدي النبوة ،
واجعل ذلك تربية للمستضعفين المتفرقين ،
وتعرك ليام سلاما ورحمة لجميع العالمين ، يعلموها الحق على الباطل ، ويقضي
بها العدل على الظلم ، وخب القصد والاعتدال والايثار ، على السرف
والاثرة والاستكبار ، فقد ضاق البشر ذرعا بطمع الاغنياء المسرفين ،
وطغيان الرؤساء الجبارين ، الذين طفوا في البلاد فاكثروا فيها
الفساد ، واستكبروا على المباد فاستعبدوا الجماعات والشعوب للانفراد ،
(أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ؟ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ
الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ؟ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ؟ فَلَا
يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ
رَبَّنَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَوْ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ غَنَابَةً وَنُفِثَ فِيهَا
مِنْ بَيْنِهِمْ لَاسْمَعُوا)

لقد انذرنا أكابر الساسة في مثل هذه الفاتحة منذ عامين ، أن ترك تنفيذ
قواعد العدل العام وحرية الامم لا بد لها من احدى العاقبتين ، بقولنا : إن
لا تفعلوه تمكن فتنة في الارض وفساد كبير ، وانقلاب باشفي شره مستطير ،
أو تمرد الحرب بجذعة ، بهذه السياسة الخدعة ، الخيانة الطلعة (والذين
يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يور ، فلا

تَفَرُّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا تَفَرُّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وقد صدقت الآيات ولم تكن النذر، واتبع المنذرون أهواءهم وكل أمر مستقر، فهذه الأرض تضطرب بنيران البقن والفساد، والانقلاب البلشفي كل يوم في ازدياد، وإنما هو شر على. فهو ممي المال، ومستعبدى الأقوام وبمذلي الاقيال، وقد يشقى ناس فيسعد بشقايم آخرون، وتثل عروش قري عاتية فيرثها قوم آخرون، (أَمْ يَقْسَمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَا يَشْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْطَانًا مُخْرِجًا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْمِلُونَ. وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جَلَعْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ...)

ان الناس لن يكونوا أمة واحدة، ولن تخضع الامم منهم لامة واحدة، وبأياها المثلون المترفون، و«الرأسماليون» الظالمون، إن طلب الزيادة ينتهي بالوقوع في النقصان، وان السواد الاعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبداً خادماً لافراد من الاعيان، وان سنة رد القمل، سيكون لها القول الفصل، والحكم العدل؛ ولكن المجرمين يرون العدل عقاباً، والمساواة بين الناس عذاباً، فكيف اذا سبقه الجراء على الظلم السابق، والافراط المالحق، وكان تنفيذه على المماندين، بمثل القوة التي كانوا يسومونها الضمفاء والمتساكين؛ وان تبتم قبل أن يحاط بكم، فهو خير لكم، (لَا تَظَاهِرُونَ وَلَا تُنَاصِرُونَ. وَأَقِمْدُ أَعْلَانَكُمْ مَا حَوَّلَكُمْ مِنَ الدُّرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَهُمْ يَرْجِعُونَ) وأنت يا أيتها الامة الامية، التي عاودها الارتكاس في عصبية الجاهلية،

إلى م هذا التفرق والانقسام ، بعد تلك السعادة بالوحدة والاعتصام ،
 وحتى م تلذذين من الجحر الواحد مراراً عديدة وقد حُذِّرت من المرتين ،
 وسمعت النذر بالاذنين ورأيت العبر بالعينين واست المواقب باليدين ؟
 وإلى متى تغترين بالمظاهر والالاقاب ، وتدعين الفرص تبرك من السحاب ،
 تداخت عليك الام كما أخبرك النذير ،
 اذ كان لهم منك أي ولي وظهير ، ورأيت الذين في قلوبهم مرض يسارعون
 فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، وابتغوا عندهم العزة والثروة
 فكانت كرتهم الخاسرة ، لانهم خسروا بولايتهم الدنيا والآخرة ، وذلك
 هو الخسران المبين ، وان كانوا عنه المنافلين (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُوراً
 كُلٌّ حَزَنٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ • فَذَرُّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِمْلًا •
 أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ • نَسَارِعُ لَهُمْ فِي
 الْخَبِيرَاتِ كُلِّ لَا يَشْعُرُونَ)

• فيا قوم اني لكم ناصح أمين ، على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن ،
 وأحوال الزمان ، أن لا تعبدوا الا الله ، ولا تياسوا من روح الله ، (وأن
 استغفرُوا ذُرِّيَّتَكُمْ ثُمَّ تَبَيَّنُوا إِلَيْهِ يُمْسِكْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
 وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ، وَان تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
 كَبِيرٍ) أخاف عليكم تذاب يوم القيامة الاولى ، قبل عذاب يوم القيامة
 الاخرى ، يوم الخزي والنكال ، بفقد بية الاستقلال ، فقلبا لإلياء الشيطان ،
 بما أمركم به الرحمن ، من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن ، ولا تفرنكم أيمان
 أنه ليس لهم إيمان ، ولا يصدقكم عن آيات الله سبب ولا نسب ؛ ولا
 دُفْعٌ ولا رهب ؛ ولا ورق ولا ذهب ، فقد برح الخلفاء وانكشفت الظلمة ،

فلا يكن أمركم عليكم شمة ، (قل يا قوم اعلموا على مكانتكم اني نازل فسوف تعلمون -- من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون)

والا اخص بالتذكير قومي وعشيرتي ، بعد التذكير العام لجميع شعوب امتي ، بما يشد أزر الجماعة ويضع عنها إصرها ، ويحكم أواصر الجماعة ويرفع لها ذكرها ؛ وهم لا يزالون أشد تلك الشعوب نخا ذلا وتواكلا ، وأضعفهم تناوتا وتكافلا ، وأكثرهم تباعيا وتفاشلا ، وتماحكا وتماحلا ؛ وأنظمتهم تحالفا وتناصرا ، وتضافرا ونظاهرا ؛ بإحدى مسلمو مصر مع القبط فيما ينفيد في الدنيا ولا يضر بالدين ؛ وتعاون مسلمو الهند كذلك مع الوثنيين ، وتناصر مسلمو الترك مع الروس أعدائهم الأولين ، ولكن تندر الاتفاق في الجزيرة بين أبناء الدين الواحد ، واللغة الواحدة والوطن الواحد ، كما تندر الاتحاد في قطر آخر بين السهل والجبل ، بل بين بلد وبلد ، ولولا أن هذه الأمة مرحومة لأبليت بذوبها ، وهلكت بتفريقها في أمرها ، ومن رحمة الله بها أن باب التوبة لا يزال مفتوحا في وجهها ، وإن مسالك النجاة ما فنشت مرجوة لها ، فاعليها إلا أن تأتي البيوت من أبوابها ، وتطلب المسببات من أسبابها ، بتغيير ما وقعتها في سابق غرورها ، والتواكل في أمورها ، والاتكال على أيمان مبهرها . (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإن الله سميع عليم . كذّاب آل فرعون والذين من قبلهم كذّابوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وكلّ كانوا ظالمين . إن شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم اتفقتون عهدهم في كلّ مرة وهم لا يتقون) فقد بروا سائر الآيات - (وأنتم

لا تظلمون . هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

استدار الزمان، ووقع من التطور الاجتماعي ما لم يكن في الحسبان،
وسيندك ما بقي من صروح الاستبداد، وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر
الاستعباد، بفضل النضافر والتظاهر والاتحاد
. واتما الذل
والمهوان، والخزي والخذلان، والبني والمدوان، على أهل النفاق والدهان،
والمتفرقين في المذاهب والاديان، والمتمادين في الزعامات والبلدان :
والمفرورين بالمهود والايان. والقوانين وحقوق الانسان، والمخدوعين بكلم
العدل والمدنية، والمساواة والحرية. والرحمة الانسانية. واتما المعاهدات، حجج
الاقوياء على الضعفاء، ولا وجود للعدل والمساواة، الا حيث المجز عن الظلم
والمحاباة، ولا حق في الحرية، ولا في الرحمة الا لذوي الايد والجريمة،
والعائل لا يظلم فكيف اذا كان أمة^١ على أن فاموس السياسة تكثرفه اسماء
الاضداد، فلا تنافي فيه بين التحرير والاستعباد، ولا تضاد بين الحماية
والاستقلال. ولا تناقض بين الاسانة والاحسان، ولا تناقض بين الكفر
والايان (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون .
كيف وان يظهر واعليكم لا يرفعوا فيكم الا^٢ ولا ذمة^٣ وأولئك هم الممتدون)
تبا للنافقين المتماقين . وسحقا لليائسين المستسلمين. وبعدا للناستقين
الظالمين . وطوبى للراجين العاملين . فرب خوف أعقب الرجاء . ورب عدا
اتبع بولاء (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا
شيئا وهو شر لكم . والله يعلم وانتم لا تعلمون)
نشأ المنار وعمره
محمد رشيد رضا

فَتَاتُكَ الْمُبَانِ

فصننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسمع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . وأتينا لذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ، ولأن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

مائتم عاشوراء وافتحام الشيعة النار فيه

(س - ١) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

الى حضرة جناب الافقم العلامة الامتد السيد محمد رشيد رضا المحترم . دام اقباله
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : سيدي بطي الاحرف ورقة قطعناها من
الجريدة الرسمية بزنجبار أحيينا أن نطلعكم عليها مضمونها أن الشيعة الامامية الاثنا
عشرية يوقدون في ليلة الماشر من المحرم في حفرة طويلة عريضة نارا قوية ويمرون
فوقها ولا يحرقهم . وكنا قبل نسمع بهذا العمل انه في الهند وهذه السنة شاهدنا بأعيننا
هذا العمل بطرفنا . ويزعمون انها معجزة من معجزات أهل البيت وكذلك يزعمون
ان شجرة في الهند يخرج منها دم في كل شهر محرم . وقد كثر من اخواتنا الشيعة
بطرفنا مثل هذه الاشياء . ولولا أن بين أيدينا كتب العلامة ابن تيمية قدس الله
روحه لكان أكثر الناس تشبهوا . وقد عرفناكم بذلك لاجل أن تبينوا لنا الحقيقة على
صفحات المثار حتى ينجلي ما التبس علينا ، ولكم من الله الاجر ، ومن خلقه الشكر ،
والسلام من صغيركم صلاح الدين بن ناجي بن علي الكسادي

من زنجبار في ٢٣ المحرم سنة ١٣٣٩

ترجمة ما نشر في جريدة زنجبار الرسمية الانكليزية

أرسل البنا الوصف الآتي للاعياد المحلية لعاشر المحرم ولعليلذ القراء: من المعلوم الذي لا شك فيه ان تذكرا استشهاد الحسين هو من أتم الاعياد الاسلامية لان أول مدع عظيم حدث في الاسلام كان بناء على هذا الحادث، أعني مسألة الحق بالخلافة

تحتفل فرقة الشيعة في زنجبار كل سنة باستشهاد الحسين بشعور انفعالي عظيم فهي تأثير شديد. ففي ليلة العاشر من المحرم يغرب المخلصون صدورهم وروءهم ويخوضون في النار وهم ينادون باسم محمد والحسين بنعمة، وثرثرة تبكي الناظرين، بل تخرن صدور السنين، وغيرهم من المتفرجين، ولا ينساب أحد من المخلصين بضمود. ثم قد كرت الجريدة ان عاشوراء هذه السنة كانت أول فرصة حدث فيها الاحتفال باقتحام النار في جزيرة زنجبار اه

(ج) ان اقتحام بعض أفراد الشيعة الامامية النار في الاحتفال بذكرى استشهاد الامام الحسين السبط عليه السلام في عاشوراء له نظير عند بعض المتدين الى الطريقة الرفاعية وغيرها من طرق التصوفة. ومنهم من يحمي حديدية في النار حتى تحمر ثم ياحسها بلسانه حتى تبرد ويزول احمرارها. وكثير من الناس المتدين الى أديان ومذاهب ونحل مختلفة في أقطار كثيرة يأتون بأعمال قريية في نظرها غير الناس. وهذه الاعمال القريية التي تتناقل جميع الامم أخبارها ثلاثة أنواع

(أحدها) صناعة الشعوذة التي بمحذوها بالتلم والتمرن وخفة الحركة ألامن كثير من فيأتون من الاعمال ما يهجر عنه غيرهم وقد نخب الى الناظر الشيء على غير صورته أو حقيقة كأن ترى لسان أحدهم يصيب النار وهو لا يمسها بل يقرب منها ويقتي لها به عليها. وأسهل من ذلك اقتحام نار موقدة بسرعة لا تنكفي للموق النار بالمقنم، وقد رأينا بعض الصبيان في بعض قرى سورية يتبارون في اقتحام نار يوقدونها وقفا تعلق بثوب أحد منهم

(النوع الثاني) غرائب حقيقية يستعان عليها بالعلم بخواص الاشياء. قسم الكيمياء والكهرباء وغيرهما. وانما تكون غرائب عند الجاهل بأسبابها وكذلك النوع الاول انما

يراه غريبا من يجهل تلك الصناعة وما فيها من الحيل والتخيل .
(النوع الثالث) غرائب مصدرها تأثير النفس الانسانية بقوة ارادتها وغيرها من الخواص الروحانية كاستعدادها لعلم يعض الامور الواقعة أو المستقبلية من غير طريقي الحس والفكر . وهذا النوع يتفاوت أهله فيه تفاوتاً عظيماً بالاستعداد الفطري وبالرياسة الروحية

والمتكلمون يطلقون على كل ما جاء على خلاف المعروف المعروف مما لا يعرف له سبب كلمة (خوارق العادات) ويمدون منها الآيات التي يؤيد الله تعالى بها رسوله عليهم السلام ويسمونهم المعجزات . والخوارق الحقيقية لا تتكرر كثيراً لان ما يتكرر هو هادي لانه يعود كما بدأ ، وكل ما كان عن علم أو صناعة أو قوة نفسية تستخدمها الارادة البشرية فهو من جنس المعتاد ويتكرر ، لان صاحبه يفعله بإرادته واختياره ، وانحصاره في أفراد وفئات من الناموس هو كانهضار سائر الصناعات والعلوم في متعلميها ومزاويلها وقوة الاستعداد الجسدي في أهلها

وأما آيات الرسل التي أيدهم الله تعالى بها لدلالة على صدقهم في دعوى الرسالة منه فليست مما تتعلق به قدرتهم وأرادتهم بحيث يأتيونها متى شاءوا كإثراء أفعالهم الاختيارية ولا مما يتلقى بالتعليم ، ولذلك أمر الله تعالى خاتم رسوله الذي أكل دينه به ان يجيب من اقترحوا عليه الآيات بقوله (قل إنما الآيات عند الله) بقوله (سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) ولكنها من شئونه تعالى يجرها هل أيديهم متى شاء اما بنير كذب منهم البتة كاعجاز القرآن وعصا موسى واما مقارنة لكسب منا منهم يأتيونه باذنه ليس له من التأثير في خرق العادة الا الصورة كرمي نينا (من) للمشركين بقبضة من الرمل هل البعد منهم أصابت أعينهم على كثرتهم وبعدم عنه واختلاف أوضاعهم وحالاتهم عند الرمي ، وذلك قوله تعالى له (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ومن هذا القليل ابراه الاكبر والابرض واحياء الموتى لميى (ع م) وان جاز أن تكون قوة روحانيته الوهية هي المؤثرة باذن الله تعالى فيه . وكرامات الاولياء اكثر ما تكون من النوع الثالث للغرائب . وأما السحر فليس من خوارق العادات في شيء وانما هو صناعة تؤخذ بالتعلم

والتمرن وتدخل فيما ذكرنا من أنواع الفرائب المعتادة التي يقصد بها التليد والمكر والخداع ولذلك اتهم فرعون السحرة بأن ما فعلوه مع موسى مكر مكروه في المدينة متواطئين عليه ، وقال تعالى لموسى (انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)
وقد في تأثير كيدهم وشعوذتهم فيه (بخيل اليه من سحرهم أنها تسمى) وذكر ان هاروت وماروت كانا يعلمان الناس السحر بيبابل ، وخوارق العادات لا تكون بالتعلم كما تقدم وفاقا لما قاله الشيخ محيي الدين بن العربي

إذا تدبر السائل ما تقدم علم أن ما ذكره من اقتحام بعض الشيعة النار هو مما ذكرنا من العادات المكررة ، والشجرة التي زعموا أنها تقطر دماً في شهر المحرم لا وجود لها . فأنا لم أسمع بها قبل ورود هذا السؤال لا في بلاد الهند أيام كنت فيها ولا في غيرها ولما جاء هذا السؤال سألت عنها بعض أفاضل الشيعة الذين يعرفون الهند وإيران والعراق فقال لم نسمع بذكر هذه الشجرة في الهند ولا في إيران ولا في العراق . وهذه الاقطار الثلاثة هي مواطن الشيعة الامامية وأوى الملايين منهم وفيها معادهم الدينية الكبرى فكيف يجهل فيها أمر هذه الشجرة ويعرف في زنجبار وحدها

وهب أن ما ذكر من اقتحام النار لا دخل فيه لصنعة ولا خفة وأنه كرامة لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأني دخل في ذلك لمذهب الامامية ومقتضى ترك غيره البسه ؛ وهل هو الا مذهب موافق لسائر مذاهب المسلمين المروفة في أكثر مسائل العبادات والمعاملات ومخالف لما في مسائل قليلة كما يخالف بعضها بعضاً .
وجميع أصحاب المذاهب الاسلامية يحملون آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ومحبتهم وبوالهونهم ويرون أنهم أهل لكل كرامة من الله تعالى في الدنيا والآخرة الا ما شذ فيه بعض الخوارج الذين يتبركون من أمير المؤمنين علي المرتضى كرم الله تعالى وجهه ومن أفراد آخرين من الصحابة وأئمة الدين ، وأمس الاسلام ما أجمع عليه المسلمون ولا سيما في الصدر الاول وكل ما وقع فيه اختلاف بين أئمة العلم والعقبة فهو من المسائل غير القامية في الدين التي يخالف فيها الاجتهاد ، ولا ينحصر العرواب فيها بفرد من الأفراد ، وفي كل من المنتهين الى المذاهب المنتشرة سابقين ما لحقوا وإبرار وفجار ، فان أدنى أحد الصالحين من أهل مذهب منها كرامة فلا وجه لجمعها

حجة على ترجيح مذهبه على سائر المذاهب في جميع المسائل الخلافية ولا في بعضها، ولو كان حجة لاستغنى به عن الاجتهاد والاستدلال

استطراد في تفرق المسلمين والعبرة بعام عاشوراء

سبق لنا البحث في أمثال هذه المسائل مراراً ، وانه ليعجزنا اننا لانزل في أحد الحاجة الى تكرير تذكير عامة أخواننا المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار بأنه قد آن لهم ان يتركوا هذا التنابر والتناظر في المذاهب الذي أضف الدين، وفرق كلمة المسلمين ، فان المصائب العامة المشتركة أفصح مالم وأحكم مؤدب، وقد تواتر عليهم نذرهما ، ووضحت لهم عبرها ، ولا سيما في هذه السنين ، (أولا يرون انهم يؤمنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يرون ولا يذكرون) بل قد رأى الاكثر من مالم يكونوا يرون ولكنهم لا يزالون يجهلون ، وقد أضاءوا أعظم الفرص ، ولا يزال لهم مجال للعمل ، فان أضاءوا بقية الفرصة فهم هالكون

قد كانت ذكرى قتل الحسين واقعة المآثم له مما يقصد به غلاة الساسيين من الباطنية واتباعهم زيادة التفريق بين المسلمين وتآريث الضغائن والاحقاد بينهم اسرع مالم مع تلك الدقائق المعجوبة التي دست في الصدر الاول الكيد للمسلمين الذين أزالوا ملك المجوس وساطنتهم الديني وملكهم الكسروي ، وكان جميع الصادقين في الاسلام من شيعة آل البيت النبوي وغيرهم غافلين عن ذلك جاهلين به ، وظل بعض المتمصبين يقصد بمثله في بعض الاوقات تقوية العصية والتذكير بأخذ الثار من المعتدين الظالمين ، ولكن من هم اليوم ؟ واعادة الحق الى الائمة الوارثين ، وأين هم اليوم ؟ قل العباسيون يبي أمية فقتلهم ، وقل العبيد يرون بالعباسيين فقتلهم . وصار المسلمون دول كثيرة أحاط بها الخطر منذ قرنين أو أكثر ، فأني استمداد انخذ لذلك في مجموع الامة الاسلامية أو في أي مملكة من ممالكها ؟ أين هم من العمل بمصالح من ان مات وليس في عتقه يعة لامام مات مئة جاهلية ؟ لقد مزقوا نسج الوحدة ، ولم يبق من الجامعة الدينية في أي جماعة منهم الا أسباب الفرقة ، ولقد صار هذا المأثم كسائر ما أحدث المسلمون المعتدوا المذاهب من الاختلافات باسم الدين : عادات تقليدية ، تشبه الملاحى التي يجتمع الناس لسماع القصص التاريخية

والخيالية ، بل هي أقل فائدة وأكبر ضرراً من تمثيل القصص المذكورة في الامم الحية
لو كان المسلمون يعيشون عيشة الجلد لجمعوا الاجتماع في عاشوراء لذكرى مولد
الامام الحسين (عليه رضوان الله وسلامه) وسيلة سياسية لاحياء المقصد العظيم الذي
بنل هذا السبط الشهيد السعيد حياته العالية الغالية في سبيله لاحداثاً دينياً يزيد تفرق
الكلمة ولا لعباً بالسلاح والنار وندباً بالخطب والاشعار لا يميث على اقامة حق ،
ولا تنجيد ملك بل هو اما أن يضر واما أن لا ينفع — ذلك المقصد الذي لم ترق
أمة من الامم الراقية في هذا العصر الا على أيدي رجال من أهله يصح ان يسجوا
حسينين بما كان من استهانتهم بالحياة الدنيا في سبيل ذلك سلطان الظلمة المستبدين
بأمتهم واقامة سلطة عادلة مقيدة برأي الامة مكانها . ذلك هو الامام الاعظم لمن
تسميهم الامم العزيزة اليوم بالفدائيين المتقذين لها ، فهل يوجد أحد من زعماء مآثم
عاشوراء في قطر من الاقطار بث هذه الفكرة فيه أو فكر فيها ؟

(شاهد تاريخي في مآثم عاشوراء)

كان الباطنية من ذنادقة الجوس وغيرهم ممن قبل دعوتهم قد اتخذوا شيعة آل
البيت ذريعة الى مقصدهم السيامي الذي ذكرناه آنفاً وسبق لنا بيانه من قبل . وكان
جل كيدهم موجها الى جعل ملك الاسلام في قبضتهم ليكنوا من قتل بسيفه ، وقد
نجحوا بتأسيس الدولة العبديّة الفاطمية بمصر ؛ ولكن هذه الدولة زالت قبل ان يتمكنوا
من ازالة الاسلام بها ، وهذه الدولة هي التي أحدثت مآثم عاشوراء في مصر للمقصد
الذي قامت به ، وانا نورد من تاريخ المقرئ الشهير صفة مآثم عاشوراء عندهم وهو :

(ما كان يعمل في يوم عاشوراء)

قال ابن ذولاق في (كتاب صيرة المرزدين الله) في يوم عاشوراء من سنة ثلاث
وستين وثلاثة اعصر فخلق من الشيعة وأشباعهم الى المشهدين قبر كلثم ونفيسة
ومعهم جماعة من فرسان المناربة ورجالهم بالناحية والبكاء على الحسين عليه السلام
وكسروا أواني السقائين في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينق في هذا اليوم
ونزلوا حتى بلغوا مسجد الرجب وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد
الحسين بن عمار وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر وأهلق الدرب ومنع

الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد أغلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفاس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كاثوم وقبر نفيسة وكان السودان وكافور يتصبون على الشيعة وتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون لارجل : من خالك ؟ فان قل معاوية أكرموه وان سكنت لقي المكره وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج

وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ست وتسعين وثلاثمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة وزولهم بمجتمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد المعز ابن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسون بالنوح والنشيد وقل لهم لانهزموا الناس أخذ شيء منهم اذا وقفتم على حوائثهم ولا تؤذروهم ولا تنكسوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فليله بالصحراء . ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعة هم ركبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه

وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبي السباط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السباط المختص بعاشوراء وهو يعي في قبر المكان الجاري به العادة في الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم والسباط يعولها من غير مرافق نحاس وجميع الزبادي أجبان وسلات ومخللات وجبجج الحبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السباط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الافضل الى آخر السباط عدس أسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السباط ثم رفع وقدمت صحنون حبيهما غسل نخل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة

وخدمته جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على باب الباذنج يعني من القصر بعد
 قتل الأفضل وعود الأسطة الى القصر على كرسي جريد بغير خدعة مثلاً هو وجميع
 حاشيته فسلم عليه الوزير المؤمن وجميع الأمراء الكبار والصغار بالقرايمز وأذن للمافى
 والداعي والاشراف والأمراء بالسلام عليه وهم بغير متبادل مشنون حقاً وعبي
 السباط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبر الشيعر والمواضر على ما كان في الأيام
 الأفضلية وتقدم الى والي مصر والقاهرة بأن لا يمكن أحدنا من جمع ولا قراءة
 مبرع الحسين وخرج الرسم المطلق للتصديدين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء
 وغیرهم على ما جرت به عادتهم. قال وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخدمته
 اعتمد الاجل الوزير المؤمن على السنة الأفضلية من المعني فيها الى التربة الجبوشية
 وحضور جميع المتصدين والوعاظ وقرء القرآن الى آخر اقبال وعوده الى داره
 واعتقد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض مثلاً يرى
 به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السباط بما جرت به العادة
 قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس
 فاذا تلا التهار زكب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم
 ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر فاذا جلسوا
 فيه ومن معهم من قرءوا الحاضرة والمتصدين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا
 والقاضي والداعي من جانبيه والقراء يقرؤن نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير
 شعراء الخليفة شعراً يثرون به أهل البيت عليهم السلام ، فان كان الوزير والفضيا
 تغالوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون
 الى القصر بقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بتعديل صغير الى داره ويدخل القلعة
 القضاة والداعي ومن معهم الى باب الذهب فيجدون الدهايز قد فرغت من مصاطبها
 بالحصر بدل البسط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب ذلك لتلحق بالمصاطب
 لغرض ويجدون صاحب الباب نجاساً هناك فيجلس القاضي والداعي الى جانبه والناس
 على اختلاف طبقهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضاً ثم يفرش عليها سجاطاً من
 مقدار ألف زبدية من المدس والملوحات والمخللات والابيان والالبان الساذجة
 (المار : ج ١) (٦) (المجلد الثاني والعشرون)

والاعمال النجلى والقطير والخبز المذير لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس للأكل منه فدخل القاضي والداعي وبجلاس صاحب الباب نياية عن الوزير والمدكوران الى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أما كنهم ركبانا بذلك الزي الذي ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأخلق البياعون حوانينهم الى جواز العمر فيفتح الناس بعد ذلك وينصرفون اه ماجاء في تاريخ المقرئى عقب الكلام على المشهد الحسيني وذكر خلاصة مقتل الامام الحسين . ثم قال في باب بيان أعياد القاطنين ومواسمهم ماناه :

﴿ يوم عاشوراء ﴾ كانوا يتخذونه يوم حزن تتمطل فيه الاسواق ويمتل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فانظروه وكان يصل الى الناس منه شيء كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من نبي أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسمون فيه على عيالهم ويتبسلون في المطاعم ويصنعون الحلوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في أيام عيد عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكل القملين غير جيد والصواب ترك ذلك والافتداء بفعل السلف فقط * وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الالهراء وكتب به اليه ليلة عاشوراء عند ما أخر عنه ما كان من جاريه في الالهراء

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرء الملى الصمد ان لم يبادر لنجاز موعدي
لاحضر للهناء في غد مكحل العينين مخضوب اليد

يمرض للشرى بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاء به هيئة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الفغضب وهو من أحسن ما سمعته في التمريض فله دره

باب المراسلة والمنظرة

خطبة للشيخ محمد أبو زيد

خطبها في الاحتفال برأس السنة الهجرية سنة ١٣٣٩

وفيها اتفاقية الصلح بين الرسول وخصومه

أحمد الله تعالى ثم أقول في هذا الأسبوع توالت الأعياد الثلاثة العيد المصري (عيد النبروز) والعيد المبني والعيد الهجري وتوالي هذه الأعياد يبشرنا بأن الحبر سيتوالى على مصر وأبنائها

الحوادث مرجع التاريخ

جرت عادة الأمم على أن تؤرخ بالحوادث فإذا كانت لها حادثة مهمة جعلتها مبدأ لتاريخها . انظر العرب قبل الإسلام كانوا يرجعون إلى الحوادث في التاريخ فيقولون عام الفيل ويوم الحرب الفلانية . وانظر المسيحيين جعلوا تاريخهم حادثة الشهداء الذين اضطهدهم الرومان وأبو الآن بموت واضحة دينهم ومبديهم

فوائد الاحتفال بالأعياد

وفي الاحتفال بالأعياد فوائد ينبغي لنا أن نراعيها — منها أحياء ذكرى الدامنين وتخليد آثارهم لتقديهم في خلقهم وعلمهم ، ومنها ارتباط الحاضر بالماضي ارتباطاً يجدد للامة قوتها ويحفظ لها شخصيتها ، ومنها تربية الشعوب والمواطف على الاتحاد والتعاون فيشترك فرد في الاجتماع بأنه قوي بقوة المجتمعين مؤيد بروحهم ، وروح الاجتماع معروف تأثيرها في النفوس والاعمال

ثم من الفوائد كذلك أن نحاسب الامة نفسها على ما عملت في الماضي وما تمده للمستقبل فتتأمل كما ينظر التاجر في آخر كل سنة مقدار الربح أو الخسارة فان كان عندها ضعف في الداخلية أو الخارجية ورأت نفسها قد قصرت فيما مضى قلها تنوب إلى الله تعالى وتعمل على تقوية هذا الضعف وتحرص من أن تقع في مثله في المستقبل وإن رأت انها لم تنصر وانها قوية متقدمة قلها تشكر الله الذي وفقها ثم تستزيد من الاعمال الراجعة المقدمة

هجرة النبي حادثة عظيمة

هذا وإن هجرة النبي حادثة عظيمة إذ كانت سببا في أحداث إصلاح عظيم
وفتحا لباب استقلال جديد وقبل أن آيين هجرته أذكر حكمة إرساله وإرسال من
سبقه من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

حكمة إرسال الرسل

خلق الله الناس أحرارا مستقلين فاقضت حكمته وهو ولهم واليه يرجع أمرهم
أن يربيهم تربية عملية تثبت في نفوسهم ما فطرهم عليه من الحرية والاستقلال فاختار
منهم رسلا مربين لا تذلل نفوسهم لشهوة أو هوى ولا تضغط أراذلهم أمام ساطعة
أو استبداد بأرسلهم بالتعاليم الهادية إلى سعادة الدنيا والآخرة

ولو وجعنا إلى ما كان يدعو إليه كل رسول لوجدناهم متحدين في الدعوة وكان
يدعو إلى التوحيد (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وفي هذا انتهى العزة للنفس
إذ أنها لا تستعبد إلا لربها الذي يربها على نعمه ويواليها بفضلها واحسانه والله سبحانه
لم يجعل جنسا عبدا لجنس ولم يفاضل بين عبادته إلا بقوله (يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وأقبايل لتعارفوا) ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله
عليم خبير) فالأكرم عند الله من يتخلق بأخلاق الله فلا يستبد بالناس ولا يتعص
من حريتهم والله تعالى قد أرسل الرسل تأييدا لهذا المبدأ مبدا الهدى بالناس إلى
الحرية واخراجهم من الاستبداد

موسى الرسول في مصر وصاحب الهجرة

تعللون حادثة موسى لما أرسله الله لا تقاذا بني اسرائيل من استعباد فرعون قل
الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور)
وما كانت الظلمات إلا السلطات الاستبدادية التي أمانت إرادة القوم وقضت
على حريتهم وإيمانهم وما النور إلا الاستقلال الذي فيه يحيا الشعوب وينمو الأيمان
يتقوى الإرادة

كذلك قل الله لرسوله محمد (كتاب أنزلناه إليك لخرج الناس من الظلمات
إلى النور)

إيذاء المشركين لإياه

إذا علمنا أن الله بث الرسل لهدم قواعد الاستبداد والظلم، ونشر مبادئ المساواة والعدل، فإننا نعلم السبب في الإيذاء الذي كان يهمل بهم، والعقبات التي كانت توضع في طريقهم، وذلك أن المستبدين بالشعب المتحكمين في رقبته يخشون من كل مبدأ يزلزل استبدادهم، ويخافون من كل عمل يوجد المساواة بينهم وبين المفلولين لهم، المقهورين بسلطتهم، فلذا تراهم عند ما يشعرون بصلح يأخذون في محاربهه ويستعملون في صدّه عن سبيله بكل ما يستطيعون.

الحيلولة بينه وبين الشعب

ولعلمهم بأن الشعب يتأثر بهذه المبادئ فيجدهم يحرصون على أن يحولوا بين هذا المصالح والشعب فالشعب المحكوم بالاستبداد مهما جبن ومهما ضعفت ارادته فإنه باستماعه مبادئ الحرية وتكريرها على نفسه تبيت فيه روح العمل لها فيخشى المستبدون به ذلك ولا يمكنون المصالح منه، وانظر قول الله في أعداء الرسول لما كانوا يرونه متصلا بالشعب يتلو آيات القرآن (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون)

صبر النبي وقوة ارادته

واخبرنا تضايقوا منه^(١) فرجموا الى عمه ابي طالب — وكانت صلته به تحميه من القتل — فقالوا قل لابن أخيك يرجع عما هو فيه والا نكون في حل مما نوقمه به. فلما عرض عليه عمه ذلك فحمس رقل : والله يا عم لو وضوا الشمس في يميني والقمر في يساري مارجعت هن دعوة ربي حتى أبليها أو أموت دونها

فتمت هذه الروح العالية وبعثت هذه المبادي، الغالية

سبب هجرته

لما مات عمه تأمر المحصور على قتله فأوحى الله اليه بأن يهاجر الى يثرب حيث يجد الانصار والمساعدين فيعمل على تقوية نفسه ونشر مبادئه، فهاجر طوعا اريه.

(١) ندى عامة بلادنا تضايق من ولم يرد في معاجم اللغة التي نأيس منها

في الله والاولطان سمي هاجر
لم يرض ينرب بعد مكة .وطنا
ما زال فيها غاديا أو روانحا
علم النبوة والمفاخر كلها
علمتنا حب البلاد عقيمة
لا يعلم الايمان ما لم نعلم
ولقد هديت من الضلالة أمة
وأنت جانبا وصعب شكيبها
وأخذت من ميسورها مايتى
وعددت في عنق القوي ضمانة
تفني الضعيف عن الظبي والاسهم

كانت هجرته سببا في أنه قابل ناسا تمكن من نشر دعوته فيهم وتقوى بنصرتهم
وكان على الدوام بمن إلى دياره التي احتلها انحصوم وأخرجوه منها

مفاوضة في الصلح بين الرسول وخصومه

ذهب الرسول في أربع مئة وألف من أصحابه إلى مكة في السنة السادسة من
الهجرة كي يزورها ويمتد فيها فيشرح صدره بها ويخفف من حنينه إليها . ولا قرب
منها أرسل العيون والجواسيس للاستطلاع له حال الحصوم وتبانه مام فيهم من الاستعداد
ولا شاووا الرسول أصحابه قالوا ما جئنا مقاتلين فان منونا قاتلناهم وباعوه على ألا يفر منهم
أحد فتمهم انحصوم وحاصروهم ، وبدد مناوشات وصاربات وقمت بينهم رأى الرسول
أن جيشه لا يقوى على الجيش الذي أمامهم ^(١) وأن الصالح خير لهم فدارت المفاوضات
بين الطرفين على إبطال الحرب عشرينين ، وبياح الرسول أن يأتي بمكة في كل عام آمنا حراً

الحصم على الشروط ويضع القيود

وقد وضع الحصم شروطا وقبودا وأملأها بنفسه في اتفاقية الصلح

اتفاقية الصلح وشروطها

قالوا لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فاننا لانعرف الرحمن من هو واكتب

١٥٥ المنار : الحق ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يجزم لذلك الصلح من ضنف بل
الابتداء السلم على الحرب ، ورفعت في المنكس من تبليغ الدعوة بالحجة والبرهان

باسمك اللهم ، فكتب ، قالوا لا تكتب هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله فلا تكتب باسمك الله ولو أقرنا لما منعناك فكتب محمد بن عبد الله فكتب ، قالوا من يأتي منا مسلماً لا ترد البنا وأما من يأتي منكم البنا فلا تردوه فرضي وكتب ، قالوا لا تدخل مكة ، العام ولا بد أن ترجع إلى عام آخر اتلوا يتحدث العرب بأن قد ضبط علينا فكتب ، قالوا إذا دخلت بعد هذا العام فتدخل بسلاح الراكب وتكون السيوف في القرب . فقال الرسول كل هذه الشروط بعد تحفته من تثبيت الحصون ومسكهم بها ، وكان الصبح ينتقدونها ويمترضون على كل شرط منها فيقنعهم الرسول بالقبول للحاجة

وقد اشتد اعتراضهم لما وصلوا إلى أن من جاء إليهم مسلماً يردونه ومن ذهب منهم لا يرد إليهم فقالوا كيف يرد من يأتي مسلماً ونحن ندعو إلى الإسلام وكيف لا يرد إلينا من يذهب منا ؟ حتى المساواة في ذلك لأنحصل عليها ؟ فقال الرسول من ذهب منا فقد أبعد الله ومن جاءنا ورددناه فالله يحمل له فرجاً ومخرجاً (يعني هذا تحكيم التوي في الضعيف وللضرورة أحكام)

هكذا ألى المشركون شروط الاتفاقية حسب إرادتهم وقبلها الرسول كلها على ما فيها من الاجحاف ليكون حراً في دخول مكة كل عام فيتمكن من الاختلاط بالشعب ويث فيه ما يشاء من المبادئ والتعاليم ويتمكن من اعداد القوة التي يحفظ بها الحق وكان قبل هذا لا يمكن أحداً من المسلمين أن يجر بعقيدته خوفاً من المشركين وفتنهم وعذابهم وشدهم^(١)

حكم القرآن في الاتفاقية

وقد أنزل الله في هذه الاتفاقية الآيات المينة أنها فتح وضرر ومغانم قل تعالى (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليظهر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً) وقال (لتدركنهم الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً . وعدكم الله

(١) يعني أنه لم يمس لأحد من المسلمين قبل صلح المدينة أن يظهر إسلامه أثره في المدينة وما يتبعها ونعيمك بالظهاد المسلمين في مكة وما يتبعها

مفانم كثيرة تأخذونها فاجعل لكم هذه) فتأمل قوله فاجعل لكم هذه يعني سيكون لهم مفانم كثيرة من وراء هذه المفانم التي كتبوها بالاتفاقية وما الاتفاقية الا باب لتلك المفانم الكثيرة وسيلة للوصول اليها . وقد كان ما وعد الله تعالى وتمحق نظر الرسول وأصحابه في صلاحية الاتفاقية اذ نعم لهم فتح مكة والاسقيلا على بلادهم من جميع جوانبها والتحكم فيها بكل حرية واستقلال بعد سنتين اثنتين من امضاء المعاهدة (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فلم ما لم تعلموا فاجعل من دور ذلك فتحا قريبا) وقد أقض بعد ذلك على العالم من مبادئه العالية ما نرون في تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية . وبالاجمال كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم جديرة بأن تكون مبدأ التاريخ الاسلامي وانها الحادثة اعتراف العالم لها وتنتج عنها الانقلاب الكبير في عالم المدينة وسنة الحرية والاستقلال

اقتداؤنا بالرسول

وانا محمد الله اذ قد اقتدينا بالرسول واقتضيا أثره في الهجرة التي هاجرها وفدنا المصري فاستحق بها فخرا ، ونال من أجلها كراما وأجرا ، قاله تعالى يوقه الاصلاح فيما يتفق عليه اتقدم المصريين ونحمر بر مصر

يا مصر ان قلوبنا ونفوسنا رهن لديك فلا تخافي واسلمي

مهما استطلت عليك جد عائر فله جارك من غمار ولم

فستقي بأن الله بالسخ أمره والله خير حافظا من دمره

اتتت الخطبة

[الدنار] ان هذه الخطبة قد روحت فيها المناسبة بين معنى العام المجري وبين حال مصر السياسية في هذا الوقت فكانت المناسبة قوية والمراعاة حسنة وأكثر الخطبة حقائق وأقفا معاني خطابية وشعرية قصد بها التأثير الذي يقتضيه الوقت كالله أول بتوالي أهل المال المختلفة وبعض ذكر من فوائد الاحتفال بالأعياد ومثل هذا مما يتسامح به في أمثال هذه المواقف ، ولكن فيها من مبالغات شعرية لا يتسامح في مثلها كالذي ذكره في حكمة ارسال الرسل ولا سيما تفسيره الظلمات

بالسلطات الاستبدادية والنور بالاستقلال على سبيل الحصر ، وأما الاستبداد أحد تلك الظلمات والاستقلال بعض لوازم ذلك النور ، وما كل الامم التي بعث فيها الرسل كانت خاضعة لسلطة استبدادية كقوم موسى عليه السلام . نعم ان الخطيب قد تلقى عنا في مدرسة الدعوة والارشاد ان التوحيد يعني الانفس ويرفها حتى لا تنزل ولا ترضى بمهانة ولا تخضع لسلطة استبدادية ، ولكنه بالغ في تصوير ذلك بما ذكر في الخطبة وغفل عما قرأناه في الدرس وفي المنار والاسماء مقالات ذكرى المولد النبوي من انصاف الامة العربية قبل البعثة المحمدية بالحريّة الشخصية واستقلال الفكر وقوة الارادة . وجهة القول أن هذه الخطبة كانت فريدة في بابها بمناسبتها لمتنقى الحال ولكن من بعض الوجوه ، فالتقارنة المقصودة بها غير نامة . وما انكرناه من الخطبة خلوها من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فيها على كثرتة - والموضوع جله ديني - وهذا من تأثير السياسة والاحوال الاجنبية في الدين

مشيخة الجامع الازهر

محاربة البدع

أرسل الينا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر رسالة بهذا العنوان مع كتاب خاص منه ذكر فيه انه مثل عمائيسيه بعض أهل الطرق اسم الصدر فأجاب بكتابة هذه الرسالة أو الفتوى وأرسلها الينا لأجل نشرها « تعميماً للفائدة وارشاداً للأمة » وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أما بعد فانكم تسألون عما يفعله الآن بعض أهل الطرق من ابتناء هذا العصر ، من اجتماعهم صباح مساء ، يرددون لفظ (أه ، أه) يعتقدونه اسما من اسماء الله ، ويقولون انهم بذلك يذكرون الله سبحانه ويسمون ذلك اسم الصدر والجواب : أن هذا اللفظ المستول عنه « أه » يفتح الهزلة وسكون الهاء ليس من الكلمات العربية في شيء ، بل هو لفظ مهمل لا معنى له مطلقاً ، وان كان بالبد فهو إنما يدل في اللغة العربية على معنى التوجع وليس من اسماء الذوات فضلاً عن أن يكون اسماً من اسماء الله الحسنى التي أمرنا أن ندعو بها كما قال تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه ، سيجزون ما كانوا

يعملون) وقوله : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا مائدعو فلا الاسماء الحسنى) وقد أجمع العلماء على أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية (١) ولا يجوز لنا إطلاق اسم عليه تعالى أو صفة لم يكن ورد بها الشرع ، كما أنهم أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التمسك بشيء لم يرد الشرع بجواز التمسك به ،

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من هذه الدار حتى أكل الله لنا على يديه الدين ، وأنتم لنا النعمة ، كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأنتم عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي لفظ « من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد » وفي صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته « ان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » (٢) ومن تأمل قوله تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسمائهم سيجزون ما كانوا يعملون) وتدير هذا الوعيد الشديد اقشعر جسمه ان يذكر الله أو أن يدعو به بعد ذلك بشيء من أسمائه التي سبى بها نفسه واذن لنا في تسميته بها على يد رسوله صلى الله عليه وسلم . والاحاديث في الاسماء هنا على ثلاثة معان — الخروج بها عما وضعت له من المعنى الشرعي ؛ تحريفها عن لفظها الوارد شرعاً ، ادخال ما ليس منها فيها كوضوع السؤال وكما تفل المنسرون هنا من علماء اللغة ان الملحد العادل عن الحق والمداخل فيه ما ليس منه

فثبت بذلك بطلان عمل هؤلاء العوام الذين انتشروا في المدن والقرى يجمعون الناس ريعدون الجالس على ذلك ويتخذون ذلك ورداً موقوتاً زاعمين أنهم (١) الآثار : اطلاق الحكم بالاجماع منها وبجمهور الاشاعة قالوا بالتوقيف وجهور المذلة بدمه ودمهم قال صاحب الجوهرة

واختبر ان اسماء توقيفية كذا الصفات فأخطأ السمية
٢٠ لفظ مسلم أوله « أما بعد قل أحسن الحديث » الخ ورواه أحمد وأصحاب السنن باختلاف في اللفاظ ، وأخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود موقوفاً بلفظ « ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ، وان ما توضعون لآلات وما أنتم بمجهزين » وذكر المافظ في شرحه له من اللحن ان أصحاب السنة أخرجه عنه مرفوعاً وان مسألاً أخرجه من حديث جابر مرفوعاً مع زيادة وليس شيء من ذلك على شرط المظنري

يتقربون بذلك الى الله، وفي ذلك اضلال للعامة ونشر لسة سيئة فيهم، لانه تم بما لم يتقربنا الله به، وتسمية لله بغير أسمائه، نموذ بانه من فعل من أو الامانة على أو السكوت عنه

ومعها قال زعماء تلك البدعة من قولهم انهم وجدوا مشايخهم كذلك فليد في ذلك برهان لم في الدنيا ولا مخلص لم عند الله يوم القيامة من غفلهم. كيف وقد قال علماء الصوفية أنفسهم كل ما لم يستند الى الكتاب والسنة فهو باطل وقالوا اذا لم يستند كشف الولي الى الكتاب والسنة فهو كشف شيطاني لا الولي غير معصوم. وورد مثل هذا القول أيضاً عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وأجمعوا على أنه لا يجوز العمل بالكشف ولا الإلهام والمجاهدة الأبد عرضه على الكتاب والسنة. وما يقولونه أيضاً من الاستدلال على بدعتهم هذا بقوله تعالى «ان إبراهيم وإسماعيل» فليس من الاستدلال في شيء بل هو بقو الجاهلين أشبه لان الآية ليس معناها أنه كان يذكر الله بلفظ (أه) كما يفعلون به معناها كما قال المفسرون أنه كان مشفقاً رحماً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

شيخ الجامع الأزهر

٢٥ المحرم سنة ١٣٣٩

محمد أبو الفضل

وقد نشرت هذه الفتوي في الجرائد اليومية فرد عليها بعض المنتسبين، الطريقة الشاذلية، برسالة نشرت في جريدة الاهرام هذا نصها

الرجوع الى الحق فضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. أما بعد فأنا
تعالى أن يهدي الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أزكى صلاة واتم سلام واد
يم بذلك سائر الانبياء والمرسلين وآل كل والتابعين
: قال الله تعالى « والله الاسماء الحسنى فادعوه بها واذروا الذين يلحدون في اسماء
سيحزون ما كانوا يعملون »

قال المفسرون . اسماء الله تعالى كلها حسنى لانها تدل على ماني الكمال الالهي
سوام وردت في القرآن فقط كاسم الله تعالى القريب والمحيط وسريع والا
فأحكم لها كنه وخير التاملين وذوي المرش وذوي الطول وغير ذلك مما ورد في

الذكر الحكيم خاصة . أو جاءت به السنة أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله تسماً وتسمين اسم من أحصاها دخل الجنة . الله الرحمن الرحيم — الحديث ، أو وردت به السنة وإن لم يرد في القرآن كقوله صلى الله عليه وسلم (الديان لا يموت) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً) وقوله صلى الله عليه وسلم في بعض ادعيته (يا حنان يا منان) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى جميل يحب أن يرى أثر نعمته على عباده) وقد ورد هذا الاسم في خريدة التوحيد للدردر فهو الجليل والجميل والولي وغير ذلك مما تفردت به السنة خاصة وليس في القرآن صراحة . فليس المراد بالأسماء الحسنى خمس من التسعين والتسمين والالزم عليه ممارسة الأحاديث بعضها لبعض كما لا يخفى وذلك لا يعقل .

إذا علمت ذلك علمت أننا مأمرون أن ندعو الله تعالى بكل اسم ثبت وروده عن الشارع صلى الله عليه وسلم مطلقاً

ومما تأكد ثبوته ذلك الاسم العظيم الذي اتخذته السادة الشاذلية من ضمن أذكارهم وهو اسم الله تعالى (أه) جل جلاله . فني صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضاً كان يثن في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهاه بعضهم عن الإثني وأمره بالصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعوه يثن فإنه يذكر اسم من أسمائه تعالى» ونقل العلامة الحفني في حاشيته على الجامع الصغير للجلال السيوطي عند الكلام على الاسم الأعظم قال إن اسم الله تعالى (أه) هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وأذا سئل به أعطى . وقال الامام القنبر الرازي في تفسيره في شرح البسطة : اختلف العلماء في الاسم الأعظم ويرجح عندي أن (أه) هو اسم الله الأعظم لاشتماله على سر الإشارة وتكوين الكائنات وظهور التجليات . وذكر العلامة العزري في شرحه على الجامع الصغير أيضاً أن اسم الله تعالى (أه) هو اسم يلهمه الله تعالى لعبده عند تجليات الجلال . وقال الشيخ الأمير في حاشيته على متن (غرامي صحيح) أن (أه) من أسمائه تعالى وصح ذلك . وروى الحاكم في مستدركه حديثاً يذكر فيه أن (أه) اسم عظيم من أسمائه تعالى يلهمه الله تعالى لمن أحب من عباده لأنه سر من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا المقربون من المؤمنين . وقال الاستاذ الباجوري في حاشيته على جوهر التوحيد عند قول الناظم «حتى لا ين في المرض كما نقل» ينبغي للمريض أن يقول (أه) فإنه اسم من أسمائه تعالى ولا يقول أخ فإنه من أسماء

الشیطان - فقد ثبت بالدلیل القلبي ان (أه) اسم عظیم من أسماء الله الحسنی امرنا سبحانه وتعالى أن ندعوه بها ، فحينئذ لا الحاد ولا تحريف نفوذیه من ذلہ واذاً ليس اسم (أه) مهملًا لا معنى له مطلقاً (كما قيل) بل معناه منزّه عن الالهام جلیل عند أهل الانصاف ولو تتبعنا الآثار والاخبار الواردة في الاستدلال صحة هذا الاسم لما وسعنا الصحف . وفي هذا القدر كفاية ، لمن سلطت عليه أنوار الهداية ، ونسأل الله تعالى العناية وحسن الختام ، بحمد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

نشر هذا الرد في عدد الأهرام الصادر في ٢٦ المحرم ولم ينشر من قبل مشيخة الأزهر رد عليه ، ولكن كتب إلى الأهرام الرد الآتي فنشر في العدد الذي صدر في ٢ صفر وهذا نصه :

﴿ رد على رد ﴾

أصدرت هيئة مشيخة الأزهر الأعلى بياناً أنكرت فيه على بعضهم بدعاً مستهجنة لم تؤيدها الأحاديث الصحيحة المتن القوية الحجة المتعارضة مع روح الدين الناصع المنتشرة في بلادهم كعبة العلم وحجة المازفين في اللغة والعلم يبري أحدهم وسطر في صحيفتكم الغراء كلمة لا ترى مندوحة من الرد عليها احتقافاً للحق الذي لا ينكره إلا المكابرون ، وأنا لا لنيل الشرح في هذا الباب وأتمورد الوجوه الآتية كي لا نضل الطريق السوي وحتى لا يتسلط بعضهم على السذج من الأمة فيدخلون في الدين ما هو براء منه

أولاً - ان ما أورده حضرة الكاتب من عزو حديث أبي هريرة الذي فيه قال الرسول الكريم لمأرضي المريفير على أيّنه (دعوه يثن) هذا المزو إلى صحيح مسلم كذب محض . والا فليأتنا حضرة بال نص العريج في صحيح - لم وهو كثير متداول بين الأيدي كرر طابعه مراراً وتددت طابعاته وكما خلو من هذا الحديث فليتنفضل حضرة بذكر الصيغة التي تضمن هذا الحديث .

ثانياً - ان الحديث المذكور مدون في الجامع الصغير وعزاه صاحب الجامع إلى الرافعي فهو حديث لا تقوم عنده حجة لانه لم يخرج في الكتب الصحيحة ولم يصححه أحد من المحدثين

ثالثاً - لو فرضنا أن هذا الحديث صحيح فلا يدل على بدعتكم منه فان

الرسول إنما أشفق على المريض وتركه يئن فان صحح أن لفظة (أه) اسم من أسماء الله تعالى فاسماه الله الحسنى معروفة ولا حاجة الى عدها في هذا المقام. وجسنا أن يكون ما أوردناه من اشفاقات على المرضى . فلا يجب أن يكون سارياً على الاصحاء. واقنع السذج منهم بأن لفظ (أه) اسم من أسماء الله . والله يرى هل ينسبونه اليه جلت أسماؤه
محمد فهمي بالاسكندرية

تمليق المنازل على الفتوى والرد عليها

الفتوى ودعامة الإصلاح

إن فتوى الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر مشتملة على بيان اساس الدين وأصل الإصلاح الاعظم فيه وان كانت في بيان بطلان بدعة خامة قد ابتلي أهل الطارق بكثير من مثلها وما هو أبعد عن هدي الدين منها كما شرحناه في مواضع من المنازل ، وهذه الاصول تنفعني على جميع البدع فقيمة الفتوى أكبر وأعظم من اثباتها لتكون مابعدونه اسم الصدر والتعبد به بدعة ليست من الدين في شيء .
ذلك الأساس الراشح والأصل الثابت الذي هو جدير بتدبير المسلمين هو قول الشيخ ان العلماء قد أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التعبد بشيء لم يرد الشرع بمجواز التعبد به . فهذا الأصل ثان للإصل الاول الذي جاء به جميع رسل الله (ص) وهو انه لا يعبد الا الله وحده . وقد صرح شيخ الاسلام ابن تيمية بأن الدين كله قائم على هذين الاصلين (١) لا يعبد الا الله تعالى (٢) لا يعبد الله تعالى الا بما شرعه ، ولا نزاع في ذلك وإنما نبهه ونكره لزيادة الايضاح والتقرير . وقد بين الشيخ أدام الله الفهم به دليل هذا الاجماع بقوله إن الرسول (ص) لم يخرج من هذه الدار حتى أكل الله تعالى لنا على يديه الدين وأتم لنا النعمة ، وذكر نص آية المائدة التي أنزلت عليه صلوات الله وسلامه في يوم هرفة من حجة الوداع . والله اعلم اقل « على يديه » ولم يقل على لسانه مع أن الدين قُبِّلَ عن الله تعالى بالاسان لا يزيد أنه (ص) بين ما أنزل الله عليه بالقبول والحكم والتنفيذ كما بلغه بالقول . وعبارته تدل على حصر هذا الكلام به (ص) دون غيره من الصحابة وعلماء التابعين ومن بعدهم فليس قول أحد منهم ولا فعله ديناً ولا حجة في الدين عند أهل السنة .

وقد بنى الشيخ أيد الله به السنة على هذا بطلان احتجاج أصحاب هذه البدعة بأقوال شيوخهم وأفعالهم فقال إنه ليس لهم في ذلك برهان في الدنيا ولا منجاة من عذاب الله تعالى في الآخرة . ولما كان سبب افتتان الكثير من الناس ببدع المتصوفة الاغترار بما كان عليه بعض شيوخهم من العرفان والصلاح وما ينافي عن بعض أفرادهم من معرفة الحقائق بالكشف . — كشف الشيخ هذه الشبهة بكلام منقول عن بعض علماء الصوفية المشهورين مبني على ذلك الاساس الاعظم للدين ، وهو قولهم : كل عالم يستند الى الكتاب والسنة من كشف وغيره فهو باطل ، وتسميتهم هذا الكشف شيطانياً . وقولهم انه لا يجوز العمل بالكشف ولا الالهام والمشايدة الا بعد عرضه على الكتاب والسنة ، وتصريحهم بأن الولي غير معصوم أي لا في كشفه ولا في غيره . وانما نقل هذا القول عن علماء الصوفية لأن غير العلماء لا يبتدع بقولهم ولا قائلهم ، فمثل علماء الصوفية في ذلك غيرهم من المتكلمين والفقهاء ، فالدين قد أكله الله تعالى وهو محصور في الكتاب العزيز والسنة النبوية الثابتة ، ولا يوجد اجماع صحيح ولا قياس صحيح الا وهو مستند اليهما ، وانما كلام العلماء الذي يستند به هو بيان الاصلين وما استنبط منهما واستند اليهما من قياس واجماع على ما في القياس والاجماع من خلاف معروف في علم أصول الفقه

وقد استدلل الشيخ أيد الله حجة على ما ذكر من اساس الدين بالسنة الصحيحة كما استدلل بالكتاب العزيز واكتفى باشهر الاحاديث واصرحها في الموضوع — حديث « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وهو متفق عليه ، وحديث « أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله » الخ وهو متفق عليه أيضاً ولأن لم يخرجه البخاري الا موقوفاً على عبد الله بن مسعود . ورواهما غير الشيخين كما تقدم

بعد بيان هذه الاصول الاساسية في الدين أشار الشيخ في سياقه إلى بدعة ما يسمونه اسم الصدر إلى قسمي البدعة الذين أسهب الإمام الشافعي في الكلام عليها بكتابه الاختصاص وهما البدعة الحقيقية كذكر الصدر الذي ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ولا كان موجوداً في صدر الاسلام بل هو أحداث واستدعاء محض ، والبدعة الاضافية وهي ما كان له أصل ولكن الابتداع فيه بالمراد في الصفات

كالدند والتوقيت والاجتماع والصفة كصلاة الرغائب في رجب وصلاة شعبان وقد قال فيها الامام النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . ومن هذا القبيل جميع الاوراد والاذكار التي جعلوها من شعائر الدين بالتوقيت والاجتماع ورفع الصوت وغير ذلك . قال الشيخ نفع الله به :

« فثبت بذلك بطلان عمل هؤلاء العوام الذين انتشروا في المدن والقرى يجمعون الناس ويمعدون المجالس على ذلك ويتخذون ذلك ورداً مرقوفاً زاعمين انهم يتقربون بذلك الى الله ، وفي ذلك اضلال للعامة ونشر لسنة سيئة فيهم لانه تعبد بما لم يمتدنا الله به وتسمية لله بنبر اسمائه ، نعوذ بالله من فعل ذلك أو الاعانة عليه أو السكوت عنه » اهـ

وقد عبرنا عن البدعة بالسنة السيئة باعتبار أنها تنجم وتجهل كال مشروع ويقتدي بعض الثامن فيها بيمض ، وللإشارة الى حديث جرير بن عبد الله الجبلي في صحيح مسلم مرفوعاً « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء » . ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » (١) وأخرجه الترمذي عنه بلفظ « من سن سنة خير . . ومن سن سنة شر . . » فالمراد بالسنة هنا معناها القنوي وهو الطريقة المألوفة . إذ كان سبب الحديث ان قوماً من مضر جاؤا النبي (ص) حفاة عراة قتمر وجهه الشريف لما رأى بهم من الفاقة فأمر بلالا فأذن وأقام فصل بالناس ثم خطب فحث على التصديق من النقد والثياب والطعام ، فثلث الناس حتى كان رجل من الانصار بدأ بأن جاء بصرة كادت كفه تعمير عنها لكبرها بل هجرت ، ثم تابعه الناس فكان ما جاءوا به كمين من طعام وثياب ، حتى نهال وجه النبي (ص) وقال « من سن في الاسلام » الخ فالمراد بالسنة هنا العمل الذي يكون به صاحبه قدوة فيه سواء كان اتباعا كفعل ذلك الانصاري وهو السنة الحسنة أو ابتداء وهو السنة السيئة . وليس من السنة الحسنة ان يسن في الدين عبادة جديدة ولو في الحياة والصورة . نعم قد يدخل في السنة الحسنة كل

اختراع دنيوي ينفع الناس في دينهم أو دنياهم ويشترط في الثاني أن لا يكون محظورا شرعا في نفسه ولا فيما يترتب عليه ويلازمه . وقد تضمن كلام الشيخ أفكار جميع البدع وبيان حظرها وحظر الاهانة عليها والسكوت عنها . كل ذلك محرم شرعا ، والبحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما من عزائم الدين بل هما سياج وحفاظه . ونحمد الله أننا قد جرينا على هذه الأصول والقواعد في المآثر وما زال كثير من المصنفين الجاهلين أو الجاهدين ينكر علينا بناء الإصلاح الديني على اتباع الكتاب والسنة وإنكار البدع كلها حقيقة كانت أو اضافية .

ونرجو من الشيخ وهو رئيس لمآهد الدينية في هذا القطر كله ان يجعل العمل بهذا الفتوى مبدأ إصلاح جديد في الأثر وسائر المآهد الدينية قبل غيرها ، فان البدع ومخالفة السنن كثيرة فيها حتى في عماد الدين - الصلاة - فقد صليت الجمعة من عهد قريش في الجامع الأزهر فوجدت قشر البصل وأوراقه الأخضر وقشر البيض مثورة في مواضع من المسجد ، ووجدت الجواردين وغيرهم متحلقين في صحته يتكلمون وقت الخطبة . ووجدت الصفوف غير تامة ويعبد بعضها عن بعض بعدا واسما ، وغير ذلك من المنكرات ، كما نرجو منه أن يبطل من عقاب مخالفتي قانون المآهد الحرمان من دروس العلم ، فانه يتضمن المنع من طاعة الله تعالى وعبادته بتلقي علوم الدين وسائلها ومقاصدها والله الموفق .

الرد على المعارض على الفتوى

انبرى أحد مشايخ الطريقة الشاذلية لرد على الفتوى واثبات ما يسمونه اسم الصدر وكون التبدع به مشروعا فاستدل على الاسم بحديث عزاه الى صحيح مسلم وحديث عزاه الى الحاكم وبكلام بعض المصنفين

أما الحديث الاول فنقص عبارته فيه : ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضا كان يشفي في حفيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهاهم عن الانبثاق فقال رسول الله (ص) « دعوه يشفوا فانه يذكر اسمي من أمانته تعالى » وقد كذب من رده عليه من الاسكندرانية بزو هذا الحديث الى صحيح مسلم وطالبه ببيان مكانته منه وذكر ان السيوطي عزاه في الجامع الصغير الى الرازي وانه

لم يصححه أحد من المحدّثين وأنه على فرض صحته لا يدل على مطلوبه ، وهو مصيب في هذه الأقوال كلها ولكن غير كافية في الرد عليه فنزيد عليه ما يأتي من الدلائل والفوائد (١) ان المعترض زعم ان هذا الحديث من مسند أبي هريرة المخرجة في صحيح مسلم وليس في صحيح مسلم ولا في غيره من كتب الحديث . والحديث الذي عراه السيوطي في جامعه الى الرافعي من مسند عائشة وبين السيوطي سببه في الجامع الكبير كما ذكر في الإكمال من كنز العمال وهو ان عائشة قطعت دخل علينا رسول الله (ص) وعندنا حليل يشن قتلنا له استكت فقل « دعوه يشن فإن الاين اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه العليل » والمعترض ذكر لحديث أبي هريرة سببا مثل هذا وهو ناقل له عن بعض كتب الطريقة وليس هو المخترع له . ومن المعروف عند العلماء ان الحديث كغيره من المعلوم له أئمة يؤخذ عنهم فلا يمتد الا بما رووه ولا يحتاج بشيء مما رووه الا اذا صححوا شذوه أو حسنوه . وان كتب المتصوفة وكتب التار يخ والادب يكثر فيها الاحاديث الموضوعة والواهية التي لا يجوز العمل بها لافي فضائل الاعمال ولا في غيرها ، بل يوجد أمثال هذه الاحاديث في كتب التفسير والاسكلام (العقائد وفلسفتها) لان أكثر مصنفيها من غير المحدّثين . وهذا كتاب احياء الموم من أشهر الكتب ومؤلفه من أكبر أئمة المتكلمين والمفتها والصوفية وهو يشتمل على كثير من الاحاديث الموضوعة والواهية التي لا يجوز أحد من الأئمة العمل بها في الفضائل فضلا عن الاحتجاج بها في ثبات اسماء الله تعالى وصفاته وشرعية عبادته لا دليل لها سواها (٢) قال الشيخ محمد الماوت الكبير في كتابه الذي بين فيه ما في الجامع الصغير من الاحاديث الضعيفة أي والموضوعة عند ذكر حديث « دعوه يشن » : لكن هذا لم يرد في حديث صحيح ولا حسن واماؤه تعالى توقيفية أه

(٣) ما يدل على أن هذا الحديث ممتنع ليس له أصل عدم ذكر أحد له من المحدّثين ولا فقهاء الحديث في الكتب التي لا يملكون فيها مثله ككتب لغة الحديث وشروحه وفقه الحديث فهذا الحافظ ابن الاثير ! يذكر حجة الاين في كتابه النهاية الذي وضعه لتفسير مفردات الاحاديث ، ولم يذكرها صاحب مجمع البحار في كتابه ولا في تكملة على غايته باستقصاء ما تركه صاحب النهاية.

ولم يذكره رحمه الله في الحديث والفقهاء في بحث حكم الانين شرعا هل هو مكروه أم لا وقد اهتمد أعلم الفقهاء بالأحاديث كراهته ونظر بعضهم فيها ولو ثبت هذا الحديث هدمم فقالوا انه مستحب أو مباح

٤) قال الحافظ ابن حجر في شرحه حديث تفجع عائشة من وجع رأسها وقول النبي (ص) لها «ذاك لو كان وأنا حي فاستغفر لك وادعوك» - وهو في كتاب الرضى من صحيح البخاري - مانعه :

قال القرطبي اختاب الناس في هذا الباب (لمار : يعني باب الشكوى في المرض ونحوه هل يقدح في الرضا من الله والتسليم أم لا) والتحقيق ان الالم لا يقدر أحد على رفعه والنفس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطيع تغبيرها عما جبت عليه وإنما كاف المبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ماله - ببل الى تركه كالمالعة في التأوه والجزع الزائد كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر . ولما جرد الشكوى فليس مذموما حتى يحصل التخطي للمقدور . وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه وشكواه انما هو ذكره للناس على - ببل التضجر والله أعلم

(قال) روى أحمد في الزهد عن طاوس انه قال : أنين المريض شكوى . وجزم ابو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن انين المريض وتأوّهه مكروه . وتنبه النووي فقال هذا ضيف أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه شيء . قصود هذا الميثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث عائشة في الباب ثم قال فلعلهم ارادوا بالكراهة خلاف الاولى . فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر أولى انتهى ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشتت بالخط لاقضاء وتورث شتاتة الاعداء . واما اخبار المريض صديقه أو طبيبيه عن حاله فلا بأس به اتفاقا . اهـ . وأورد الحافظ في شرح حديث عائشة من البخاري ولو كان لها حديث في شرعية الانين لذكره النووي أو الحافظ الذي قال فيه بعض العلماء : ان كل حديث قال الحافظ ابن حجر : لا أعرفه - فليس بحديث . لجودة حفظه الكتب الستة وحسن استحضاره لها ولا سيما في شرحه للبخاري الذي كان يتلقاه عنه الحافظ والفقهاء في الجامع الأزهر تاتي بحث واستدلال وكذلك فقهاء الحنابلة جزءا وبكراهة الانين في المرض في كتبهم . قال القتيبي ابن مفلح

في كتابه الفروع: (فصل) يكره الانين في المرض الخ ثم قال في فصل بعده: وكانوا يكرهون أنين المريض لانه يترجم عن الشكوى. ثم ذكر عن عبد الله بن الامام أحمد انه نقل في أنين المريض: أرجو أن لا يكون شكوى ولكنه اشتكا الى الله. اه. وذكر ذلك السفاريني في أواخر الجزء الاول من شرح منظومة الآداب ثم قال

« قلت — أنين المريض تارة يكون عن تعزم وتضجر فبكره وتارة يكون عن تسخط بالقدر فيحرم فيما يظهر، وتارة يكون لاجل ما يجد ويجد به نوع استراحة بقطع النظر عن التضجر والتبرم فيباح، وتارة يكون عن ذل بين يدي رب العالمين وانكسار، وخضوع وانقمار، ومسكنة واحتقار، مع حسم مادة العون الا من بابه، والشقاء الا من عنده، والماوية الا من كرمه، فهذا لا يكره فيما يظهر بل يندب اليه واليه الاشارة في حديث وان لم يثبت « المريض أنينه تسبيح وصباحه تكبير، ونفسه صدقة، ونومه عبادة، ونقله من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله » قال الحافظ ابن حجر ليس بثابت والله أعلم اه

فأنت ترى ان حديث عائشة الذي عزاه السيوطي الى الرافي أمثل ما يستدل به على الحكم الصحيح في هذه المسألة لانه نص فيها فلو كان له أصل لذكره ولو مع التصريح بعدم ثبوته كما قال الحافظ في حديث المريض المذكور آتفا

(٥) وأما الحديث الثاني فقد أورده المعترض بقوله: وروى الحاكم في مستدركه

حديثاً يذكر فيه أن (أه) من أسمائه تعالى يلهمه الله تعالى لمن أحب من عباده لانه

مصر من الاسرار التي لا يطلع عليها الا المتقربون من المؤمنين

وتقول في هذا الحديث كما قلنا فيما قبله: الظاهر أنه نقله عن بعض كتب أهل

الطريق الذين لا يعتد بنقلهم، وهو لم يذكر لنقله ولا اسم الراوي له من الصحابة.

ونحن لم نركلة «أه» في النهاية ولا مجمع البحار ولا تكملة ولا في غيرها من معاجم

اللغة العامة الشائعة في الكتاب والسنة ولا نبره من كلام العرب. ونزيد على ذلك

ان هذه العبارة من الكلام المأثوف عند الصوفية وابست من أساليب كلام الرسول

(ص) ولا كلام العرب في عصره، وكيف يصح أن يكون سرا يعرف بالالهام

ويختص بالمقربين مع النصريح به، على انه لم يغير معروف الا عند فرغ الانتسبين

الى الطريق فلم يرد عن أحدهم أكابر الصحابة والتابعين ، ولا الائمة المجتهدين ، ولا غيرهم من أكابر الفقهاء والمتكلمين ، وأئمة الصوفية المارفين .

الاقوال في اسم الله الاعظم

(٦) ولما كانت الاقوال التي عزها الى العلماء في اثبات اسم الصدر واردة في بيان كونه هو اسم الله الاعظم ننقل ما أحصاه الحافظ ابن حجر من الاقوال في الاسم الاعظم عن من يقول به فان بعض العلماء انكره كما قال الحافظ وهذا نص ما قاله في فتح الباري بعد أن أطلال الكلام في أسماء الله الحسنى :

(تكميل) واذا قد جرى ذكر الاسم الاعظم في هذه المباحث فليقع اللام بثي . من الكلام عليه ، وقد انكره قوم كابني جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري وجماعة بعدهما كابني حاتم ابن حبان والقاضي أبي بكر الباقلاني فقالوا لا يجوز تفضيل بعض الاسماء على بعض ، ونسب ذلك بعضهم لكرهية أن تباد سورة أو تردد دون غيرها من السور لتلا يظن أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد قصان المفضل عن الفضل ، وحلوا ماورد من ذلك على أن المراد بالاعظم العظيم وان أسماء الله كلها عظيمة . وهبارة أبي جعفر الطبري : اختلفت الآثار في تعيين الاسم الاعظم والقبي عندي ان الاقوال كلها صحيحة اذ لم يرد في خبر منها انه الاسم الاعظم ولا شيء . أعظم منه ، فكانه يقول كل اسم من اسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم فيرجع الى معنى عظيم كما تقدم . وقال ابن حبان الاعظمية الواردة في الاخبار انما يراد بهامز يد ثواب الدعاء بذلك كأطلق ذلك في القرآن والمراد به مزيد ثواب القاري . وقيل المراد بالاسم الاعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به ربه مستغفرًا بحيث لا يكون في فكره حائلته غير الله تعالى ، فان من أتى له ذلك استجيب له . ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيرهما . وقال آخرون استأنزله تعالى بلم الاسم الاعظم ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه . وأئنه آخرون معينا واضطر برا في ذلك وجهلة ما وقتت عليه من ذلك أربع عشر قولاً

الاول — الاسم الاعظم « هو » نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكنف

واجتنب له بأن من أراد أن يهبر عن كلام معظم بمضمرته لم يقل له : أنت قلب كذا

وانما يقول : هو يقول . نادبا معه

الثاني - « الله » لانه اسم لم يطلق على غيره ولانه الاصل في الاسماء المحسنة ومن ثم اصبحت اليه

الثالث - « الله الرحمن الرحيم » ولعل مستنده ما أخرجه ابن ماجه عن عائشة أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلمها الاسم الاعظم فلم يفعل فصارت ههنا : اللهم اني أدعوك الله وأدعوك الرحمن الرحيم وأدعوك بأسمائك المحسنة كلها ما علمت منها وما لم أعلم ، الحديث وفيه انه (ص) قال لها « انه لفي الاسماء التي دعوت بها » (قلت) وسنده ضعيف وفي الاستدلال نظر لا يخفى

الرابع - « الرحمن الرحيم المحي القيوم » لما أخرج الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد ان النبي (ص) قال « اسم الله الاعظم في هاتين الايتين (واليهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) وقائمة سورة آل عمران (الله لا اله الا هو المحي القيوم) أخرجه أصحاب السنن الا النسائي وحسنه الترمذي وفي نسخة صحيحه وفي ظهرو لانه من رواية شهر بن حوشب

الخامس - (المحي القيوم) أخرج ابن ماجه من حديث أبي أمامة « الاسم الاعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه » قال القاسم الراوي عن أبي أمامة ، انتمت منها فمرت انه « المحي القيوم » وقواه الفخر الرازي واحتج بأنهما يدلان من صفات العظمة بالربوبية مالا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما

السادس - « الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام المحي القيوم » ورد ذلك مجرعا في حديث أنس عند أحمد والحاكم وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان

السابع - « بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام » أخرجه أبو يعلى من طريق السري بن يحيى عن رجل من طي وأثنى عليه قال كنت أسأل الله تعالى أن يرزني الاسم الاعظم فأرثته مكتوبا في الكواكب في السماء

الثامن - « ذو الجلال والاكرام » أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل قال سمع النبي (ص) رجلا يقول : يا ذا الجلال والاكرام - فقال « قد استهزأ

ك فـ قل « واحتج له الفخر بأنه يشمل جميع الصفات المنبئة في الآلية لان في الجلال اشارة الى جميع السلوب وفي الاكرام اشارة الى جميع الاضافات

التاسع - (الله لا اله الا هو الاحد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم . من حديث بريدة وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك

العاشر - (ربّ ربّ) أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس بلفظ (اسم الله الاكبر : رب رب) وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة : اذا قال العبد يارب يارب قال الله لييك عبدي سل تعط . رواه مرفوعا وموقوفا

الحادي عشر - دعوة ذي النون . أخرج النسائي والحاكم عن فضالة بن هيد رفعه « دعوة ذي النون في بطن الحوت (لا اله الا أنت سبحانك أي كنت من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم قط الا استجاب الله له

الثاني عشر - نقل الفخر الرازي عن زين العابدين انه سأل الله ان يسمه الاسم الاعظم فرأى في النوم « هو الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم »
الثالث عشر - هو مخفي في الاسماء الحسنى ويؤيده حديث عائشة المتقدم لما دعت ببعض الاسماء وبالاسماء الحسنى فقال لها (ص) « انه لفي الاسماء التي دعوت بها »

الرابع عشر - كلمة التوحيد نقله عياض كما تقدم قبل هذا . اه ما أورده الحافظ من احصاء الاقوال التي وقف عليها ومنها عدة أقوال نقلها عن الرازي ليس فيها ذكر اسم (اه) المدعى وسنقل ما قاله في تفسيره ، ومنها أدلة رواها الحاكم وكان الحافظ ابن حجر يحفظ مستدرك الحاكم وغيره من كتب السنة ولم يذكر عنه في الروايات التي رواها في الاسم الاعظم ولا في الاسماء الحسنى ان منها (اه) وبلغنا انها كلمة سر يائية وسنشر في الجزء التالي بقية الرد على المعارض على فتوى شيخ الازهر مبدوا بكلام الفخر الرازي في اسم الله الاعظم ، ان شاء الله تعالى

تاريخ فنون الحديث^{*}

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل من السنة نبينا للكتاب. ونورا يهتدي به أولوالالباب ،
وبعث اليها من الحفاظ المتقين ، والرواة الصادقين ، والنقطة البصيرين ، من
قام بصادق خدمتها ، وحفظ عليها جلال حرمتها ، وتقي عنها تحريف الغالين ،
واتسحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، (١) وصانها من أفك المفتريين ، وهفل
الدجالين ، لحفظت على سر المصور ، من يد النور ، وصيقت — بمنية الله — من
أرباب العجور . فله مزيد الحمد والمنة على ما حفظ من معالم دينه وسبل رشاده ،
وعلى صفيه وخليله محمد بن عبد الله صلواته وسلامه ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم
باحسان الى يوم الدين

« وبعد » فان من لاعلم له بالكتاب والسنة لاحظ له من الملة الخفيفة ،
والشريعة المحمدية ، وليس له من نور الهداية وصباح النبوة ما يهتدي به في دياجير
الضلمات ، وغلمات الترهات ، وان صدره لنفل من برد اليقين ، وعقله بمنزل من
اصابة الحق المبين ، وقلبه خلو من واعظ الايمان ، وخشية الديان . فالخير كل الخير
في اتباع الكتاب والسنة واقتفاء هديهما ، والاعتراف من بحرهما الواسع ، بوجودها
السابق ، ولا شيء أهدى للنفس وأجلب لسماعتها ، وأرجى لطهارتها ، من تقم
هذين الصنوين والمكوف على درسمهما ، وتدبر معانيهما ، والنفوذ الى مفزاهما . فهناك
بطلارة القلب ، وصفاء العقل ، وكامل النفس

فكان خليقا بالعلماء ورواد الدين أن يجعلوا مقدمهم الاسمى وغايتهم القصوى
معرفة هذين الاصلين ، والاستقلال بظل هاتين الدوحتين ، والاحتماء بمحهما وابتغاء
الهداية من سبيلهما . ولكن — وأأسف — صرفوا عنهما العناية وولوا وجوههم
نحو القروع وما اليها ، وتحكوا بها في كتاب الله وسنة رسوله (ص) فأثروا القروع

(*) رسالة منها الشيخ عبد العزيز المولي الطالب في السنة النهائية لفكرة القضاء الشرعي
(١) روى البيهقي في المدخل من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العنبري مرسل قال قال رسول
الله ﷺ « من يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين واتسحال المبطلين
وتأويل الجاهلين »

على الأصول، وقدّموا آراء الرجال على قول الله وقول الرسول. ومذنب الأعماض لمقام الكتاب والسنة؛ وتقال في وضع الآراء مواضع التخصّص، وأنه ظلماً - لو يعلمون - عظيم تنكروا أصولهم، وتآبوا عليهم - لو أنصفوا - عقولهم ومن عجيب أمرهم أن يعدّوا من كبار المفسرين من درس مثل تفسير الجلالين أو النسفي دون أن تكون له ملكة فهم في القرآن وذوق يدرك به سرفصاحته وكمال اقتدار على تطبيقه على سير الناس ومعاملاتهم. وأعجب من ذلك أن يعدّوا بخاري زمانه ومسلم أو أنه من مرعى صحيح البخاري من السحاب دون أن يطلق لنفسه العنان في تعهم الأحاديث واستنباط الأحكام ومقارنة ذلك بأفهام المتقدمين وما استنبطوه منها. وابن صحيح البخاري من كتب الصحاح والتسايد والأجزاء التي يكاد يخطئها المد ولا يضبطها الحساب؛ وإن من المضحكات المبكيات أن نسأل كثيراً من العلماء عن أسماء الكتب الستة فلا يجير جواباً كأن ذلك ليس لديه من الدين في ورد ولا صدر ولا قبيل أو دير، فلا حول ولا قوة إلى بالله

تنكرت معالم الدين، وطبق الجهل على المنتسبين إليه، وسادت الفروع وعبدت لها الأصول. وأنكر على المؤثر لها، المفتني هديها، فزال جلال الدين من النفوس وكاد يرحل من دور القضاء، وبهاجر من أرض المعاملات فكل ذلك دعائي لأن أجعل رسالتي التي أقدمها لمدرسة القضاء في السنة الختامية، في تاريخ فنون الحديث - والكشف عما طرأ عليها من جمع وتصنيف وترتيب وتهذيب وشرح وتبيين حتى تشمل لك - أيها القارئ الكريم - صورة واضحة ترى فيها كتب السنة ماثلة، وتلمح في ثناياها تلك الخدمات الجليلة التي أداها للسنّة سلفنا الصالح، وتبصر في أساريها رفيع مقام السنّة وناصع بيانها وجليل أمرها. وإني وإن لم أسبق إلى هذا النجم من الكتابة - حسب ما أعلم - ولم عهد أحد قبلي صمابه فإن أملني في الله عظيم ورجائي في واسع فضله كبير إن يسدّد لي خطاي، ويوفّقني لمساعي، ويمدني بروح من عنده يهديني بها قصد السبيل، إنه نعم المولى ونعم النصير

معنى تاريخ السنّة

السنّة في اللغة الطريقة المسلوكة من سننت الشيء بالسن إذا أمرته عليه

حتى يؤثر فيه سناً أي طريقاً . وهي اذا أطلقت تنصرف الى الطريقة المحسودة وقد تستعمل في غيرها مقيدة كقول النبي (ص) «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» رواه مسلم وتطلق في عرف الشرعيين على قول النبي (ص) وأفعاله وتقريراته — عدم انكاره لأمراءه أو بلفظه ممن يكون منقاداً للشرع فهي مرادفة للحديث . وأعني بتاريخها الاذوار التي تقلبت فيها من لدن صدورنا عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم الى الآن وصلت اليها من حفظ في الصدور ، وتدوين لها في الصحف ، وجمع لمنشورها وتهذيب . لكتبتها وتقي لما اندس فيها ، واستنباط من عيونها ، وتأليف بين كتبها ، وشرح لغامضها ونقد رواياتها — الى غير ذلك مما يعرفه القاعون على خلفتها والعاملون ، على نفر رايها

ادوار تاريخ السنة

حفظها في الصدور . تدوينها مختلطة بالفتاوى . افرادها بالتدوين . تقريده الصحيح . تهذيبها بالترتيب والجمع والشرح . فنون الحديث المهمة وتاريخ كل علم وأحسن المصنفات فيه . :
وسنمق ذلك بخاتمة فيها مسائل قيمة

مكانة السنة من الكتاب

قبل أن نطرح في موضوعنا تقدم لك بين يديه فصلانين فيه مكان السنة من الكتاب ومزلتها منه حتى تنجلي لك مكانة الموضوع الذي نحن بصدده فنقول وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا

ان للسنة علمين (١) تبين الكتاب (٢) والاستقلال بتفريع الاحكام . أما الاول فلقوله تعالى (وأزلنا اليك الذكر «القرآن» لتبين للناس ما نزل اليهم) فلا سبيل الى العمل بمجمل الشرائع التي تضمنها الكتاب الا ببيان من المعصوم يفصل مجملها ويوضح مشكلها ويميز محتملها ويقيد مطلقها . وكيف تراك مصلي اذا وقت الى ما نلتق به الكتاب فحسب ولم تخرج عن السنة فتعرف أوقاتها وعدد ركعاتها وسجوداتها وما يقيمها أو يبطلها المسائر أحكامها وكثيراً ما ناعها

وما الذي تخرجه من مالك زكاة اذا لم تسترشد بكتاب الصدقات من السنة ؟ ثم كيف تؤدي مناسك الحج اذا لم تأتس بالرسول في قاله وحاله يوم أن حج بالناس حجة الوداع . فلا جرم كان القرآن في حاجة الى السنة ورحم الله الاوزاعي اذ يقول : الكتاب أحوج الى السنة من السنة الى الكتاب ولا عجب في ذلك فان الجعل في حاجة الى البيان ولا كذلك المفصل

وأما الثاني فلقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) : وقوله جل شأنه : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الى غير ما آية . وكيف تنكر استقلال السنة بتشريع الاحكام وقد أخرج أبو داود والترمذي عن المقدم بن معديكرب قال قال رسول الله (ص) « يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحلناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وان ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله — زاد أبو داود — ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه » وقد حرمت السنة نكاح المراقم على عمتها أو خالتها وحرمت الجر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وأوجبت رجم الممّن — الى كثير مما ملئت به مدونات فقه الحديث والكتب الجامعة لأحاديث الاحكام كبلوغ المرام لابن حجر والمنتقى للمجددين تيمية وشرحه نيل الاوطار للشوكاني

ولا تنس ما في السنة من آداب وأخلاق وقصص ومواعظ ورفائق وعقائد وان كانت لا تبدو شرح الكتاب

وجهة القول ان الكتاب والسنة ينبوع هذا الدين المتين ، ومعتصم المسلمين وناموس المشرعين

الدور الاول حفظ السنة في الصدور

لم تكن السنة في القرن الاول — عصر الصحابة وأكابر التابعين — مدونة في بطون الكتب . وانما كانت مسطورة على صفحات القلوب فكانت بمدور الرجال مهد التشريع النبوي ومصدر الفتيا ومنبع الحكم والاخلاق ولم يقيّدوا السنة بكتاب لما ورد من النهي عن كتابتها : روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله (ص) :

«لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليحجه وحدثوا عني فلا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قال كثير من العلماء نهامهم عن كتابة الحديث خشية اختلاطه بالقرآن. وهذا لا ينافي جواز كتابته إذا أمن اللبس. وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله (ص) في مرضه الذي توفي فيه «اثنوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» وقوله عام الفتح «اكتبوا لابي شاه» واذنه لعبد الله بن عمرو بتقييد العلم. ولما توفي النبي (ص) بأدوار الصحابة الى جمع ما كتب في عهده في موضع واحد وسموا ذلك «المصحف» واقتصرواعل بتجاوزوه الى كتابة الحديث وجمعه في موضع واحد كما فعلوا بالقرآن لكر رفقوا مهم الى نشره بطريق الرواية اما بنفس الالفاظ التي سمعوها منه «ص» ان بقيت في أذهانهم أو بما يؤردى معناها ان غابت عنهم فان المقصود بالحديث هو المعنى ولا يتعلق في الغالب حكم بالمبنى بخلاف القرآن فان للالفاظ مدخلا في الاعجاز فلا يجوز ابدال لفظ منه بأخر ولو كان مرادفاً له خشية النسيان مع طول الزمان فوجب أن يقيد بالكتابة. وأما السنة فتقييدها بمباح ما أمن الاختلاط فانت تراهم سلكوا مسلك الجمع بين هذه الاحاديث المتضاربة لكن نظرت لابن القيم في كتابه (زاد المعاد) اثناء الكلام على قصة الفتح ما يأتي: وفي القصة ان رجلاً من الصحابة يقال له أبو شاه قام فقال اكتبوا لي فقال النبي (ص) «اكتبوا لابي شاه» يريد خطبته. ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ النبي عن كتابة الحديث فان النبي (ص) قال من «كتب عني شيئاً غير القرآن فليحجه» وهذا كان في أول الاسلام خشية أن يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى ثم أذن بالكتابة لحديثه. وصح عن عبد الله بن عمرو انه كان يكتب حديثه وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه وهي من أصح الاحاديث وكان بمضائة أهل الحديث يحفظها في درجة أيوب عن نافع عن ابن عمر والأئمة الاربعة وغيرهم احتجوا بها

والى القول بالنسخ أميل. ذلك ان القرآن وان كان بدءاً في أسلوبه فريداً في نظمه يمتاز على غيره بالاعجاز. لكن المسلمين في أول الاسلام كانوا حديثي عهد بنزوله وكان النازل منه يسيراً فلم تكن ميزته المثلى قد توطنت النفوس جد التوطن. ولا تكتفى فيها فضل التمكن. فكان من الممكن أن يفقه على من دون غير من المتقدمين المتلو بنحو المتلو فوجه التمييز بالكتابة. فلما منوا

على أسلوبه وطال مهدم بسماعه وتلاوته حتى أصبحوا إذا سمعوا الآية تنزل أو
السورة تقرأ أدركوا لأول كلمة تفرع أسباعهم أن ذلك وحى الله المتلو ولم يتبع
الاشتباه حول تفوسهم - لما مرنا على ذلك اذن لهم بكتابة الحديث لأمر اليأس
ولعل من دواعي النهي عن كتابة الحديث أو لائم الاذن بكتابه انما
أن المعارفين بالكتابة كانوا في غربة الاسلام قليلين فثبتت الحكمة وحرصهم على
كتابة القرآن فلما توافر عددهم اذن صلوات الله وسلامه عليه بكتابة الحديث
ولا يقمن في نفسك مما أسلفت انه لم يدون شيء من الحديث الا في الاول واني
كان هذا هو الشأن الثالب - فقد كان عبد الله بن عمرو يقرئ على ما سمعه من
رسول الله (ص) وروى أبو عمر يوسف بن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم
وفضله » عن مطرف بن طريف قال سمعت النعمان بن مقرن يقول حدثني أبو جهم عن
قلت لعلي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله (ص) شيء سوى القرآن اذن
لا والذي فلق الحمة وبرأ النسمة الا أرى يعني الله سبحانه في كتابه وفي غيره
الصحيفة ؟ قلت وما في الصحيفة . قال هي وصايا النبي (ص) وآل بيته (ع) ورواه
وكتب رسول الله (ص) كتاب الصدقات والديات والقرائن والسنن لمرو بن حزم
وغیره . وعن أبي جعفر محمد بن علي بن جندب في قام سيف رسول الله (ص) «
صحيفة مكتوب فيها « ملعون من أضل اعمى عن سبيل ، ملعون من سرق تخوم
الارض ؛ ملعون من تولى غير موالیه ، أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه «
وعن معن قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لي أنه
خط أبيه يده . وعن سعيد بن جبیر أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه
الحديث فيكتبه في واسلة الرحل فاذا نزل نسخه . وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد
عن أبيه قال كما نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما
احتجج اليه عدت انه أعلم الناس . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت
كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول لو أن عندي كتيبا بهلي ومالي

ثبتت الصحابة في رواية الحديث

عساك تقول اذا كانت الصدور وعاء السنة في القرن الاول فكيف يؤمن عليها
النسيان وأن يندس بين المسلمين من يتقول على الرسول ؟ فنقول اجابة حتى دلت
ان الصحابة وأكابر التابعين كانوا على علم بالكتاب وكانوا أسبق الناس الى الاتقان

بأمره والالتفاء بنهيه وقد علموا ما أوعده الله به كاتم العلم من لمن وطردوا وباعد عن
رحمة الرب فكانوا إذا علموا حديثاً من سائر الرسول يادروا إلى تعليمه وإبلاغه بخروجه
من التبعة وإبتفاء لارحمة فرعان ما ينتشر بين الخماير فليكن نسي بعض منهم
قرب مبلغ أوعى من سامع من البعد بمكان أن يضيغ شيء من السنة أو ينتهي على
جمهور المسلمين . ولم يكن الصحابة يقبلون الحديث من كل محدث بل علموا أني
من الحديث محرماً ومعللاً ومضلاً ومضوياً وأن سبيل ذلك اليقين أو الظن إلا أخذ
بأحداه لذلك تثبتوا في رواية الحديث جد التثبت فكان لهم في الراوي نظرة
كما كانت لهم في المروي وكان كثير منهم يأتي إلا شاهداً محضاً أو يميناً حاسماً
يميط لثام الشك عن وجه اليقين . فهذا أبو بكر الصديق كان أول من احتاط في
رواية الحديث . روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلهن
أن تورث فقال ما أجده في كتاب الله شيئاً ثم سأل الناس فقام المنيرة فقال كان
كذلك رسول الله «ص» يعطيه السدس فقال له هل ملك أحد ؟ فنهض يجدي من مسلة
بذلك فأقذه لها أبو بكر رضي الله عنه . وعمر بن الخطاب سبب للمحدثين التثبت
في النقل وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب . روى الجريري عن أبي
نضرة عن أبي سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مهمات فلم
يثوذن له فرجع فأرسل عمر في أثره فقال لم رجعت قال سمعت رسول الله «ص»
يقول إذا سلم أخوكم ثلاثاً فلم يحجب فليرجع قال لتأنيدي على ذلك بينة أو
لا فقبل بك جاءه أبو موسى منتقماً لونه ونحن جلوس فقلنا ما شأنك فأخبرنا
وقال قبل سمع أحده منكم فقلنا نعم قلنا سمعنا فإرسلوا معه رجلاً منهم حتى
أبى عمر فأخبره وقال على رضي الله عنه كنت إذا سمعت عن رسول الله «ص»
حديثاً تهمي الله بما شاء منه وإذا حدثني عنه محدثاً سمعته فأن حاشوا لي صدقته
وإن أبا بكر حديثي وصدق أبو بكر . ولقد كان كثير من أصحاب رسول الله
«ص» يقولون من الرواية عن رسول الله «ص» خشية أن يدخلوا في الحديث ما لا
عنه سهواً أو خطأ فبدأ لهم من وسوسة الكذابين رسول الله «ص» ومن أولئك
الذين وأبو حنيفة والشافعي والحنابلة والمطهر والشيخون وغيرهم من يكثرون
الرواية إذا لاكتار حاجة الحديث والخطأ في الدين فليعلم الخطأ فذكر وأعلى أبي هريرة
أربعة حديثه حتى أضلوا لثمة حديثه أن يهيم السبب الذي حمله على الاكثار فقال
أن الناس ياتونهم ليعلموا حديث أبو هريرة ولولا أنساب في كتاب الله لمحدثه حديثاً

ثم يتلو: (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الا الذين تابوا وأسلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) : ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم العشق في الاسواق وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وان أبا هريرة كان يلزم رسول الله (ص) يشبع بطنه ويحضر مالا يحضرون ويحفظ مالا يحفظون

مبدأ تدوين السنة

لما انتشر الاسلام واتسعت البلاد وشاع الابتداع وتفرقت الصحابة في الأقطار ومات كثير منهم وقل الضبط دعت الحاجة الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة . ولمعري انها الاصل فان الخاطر يغفل والقلم يحفظ فلما أن أفضت الخلافة الى الامام العادل عمر بن عبد العزيز كتب على رأس المائة الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عامله وقاضيه على المدينة : انظر ما كان من حديث رسول الله «ص» فاكثبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء وأوصاه أن يكتب له ما عند حمزة بنت عبد الرحمن الانصارية «١» والقاسم «٢» وكذلك كتب الى عماله في أمهات المدن الاسلامية بجميع الحديث . ومن كتب اليه محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب الزهري المدني أحد الأئمة الاعلام وعالم أهل الحجاز والشام «٣» ثم شاع التدوين في الطبقة (٥) التي تلي طبقة الزهري فكان أول من جمعه بمكة ابن جريج «٤» وابن اسحاق «٥» أو مالك «٦» والريعي بن صبيح «٧» أو سعيد بن أبي عروبة «٨» أو حماد بن سلمة «٩» وسفيان الثوري «١٠» والأوزاعي «١١» وهشيم «١٢» ومعمّر «١٣» وجريير بن عبد الحميد «١٤» وابن المبارك «١٥» وكل هؤلاء بالقرن الثاني . وكان جمعهم للحديث مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين

١ (١) توفيت سنة ٩٨ (٢) توفي سنة ١٢٠ (٣) توفي سنة ١٢٤ «٥» الطبقة في اصطلاح المحدثين عبارة عن جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ (٤) توفي سنة ١٥٠ (٥) توفي سنة ١٥١ (٦) توفي سنة ١٧٩ بالمدينة (٧) توفي سنة ١٦٠ (٨) توفي سنة ١٥٦ (٩) توفي سنة ١٦٧ بالبصرة (١٠) توفي سنة ١٦١ بالكوفة (١١) توفي سنة ١٥٦ بالشام (١٢) توفي سنة ١٨٨ بواسط (١٣) توفي سنة ١٥٣ بتمن «١٤» توفي سنة ١٨٨ بالري (١٥) توفي سنة ١٨١ بخراسان

أشهر الكتب المؤلفة في القرن الثاني

من أشهر الكتب المؤلفة في المائة الثانية الموطأ للإمام مالك ابن أنس المدني
إمام دار الهجرة (١) ومسند الإمام الشافعي (٢) ومختلف الحديث له (٣) والجامع
للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٤) ومصنف شعبة بن الحجاج (٥) ومصنف
سفيان بن عيينة (٦) ومصنف الليث بن سعد (٧) ومجموعات من عاصره من حفاظ
الحديث وعقال وأبو داود كالا وزاعي والحميدي (٨)
ولما كان موطأ مالك أسير هذه الكتب ذكراً وأبعد هاصبته وأجلها قبولاً
رأيت أن أفرد له فصلاً يجلّي شأنه ويوضح مآلقاته من عناية الأمة وأئمة الدين

موطأ الإمام مالك

درجة حديثه قال الحافظ ابن حجر أن كتاب مالك صحيح عنده وعند من
يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع (١) وغيرهما قال المحدث
الدهلوي صاحب كتاب «حجة الله البالغة» أما على رأي غيره فليس فيه مرسل ولا
منقطع الا قد اتصل السند به من طرق أخرى فلا جرم كانت صحيحة من هذا
الوجه . وقد سنّف في زمان مالك موطآت كثيرة في تخرّيج أحاديثه ووصل
منقطعة مثل كتاب ابن أبي ذئب وابن عيينة والثوري وغيرهم ممن شارك مالكاً
في الشيوخ . قال السيوطي في تقريبه نقلاً عن ابن حزم : أحسيت ما في موطأ
مالك وما في حديث سفيان ابن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند (٢)
خمسائة وثلاثمائة مرسل وفيه نيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك
نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضعيفة وهاها جمهور العلماء

عناية الناس به قد روى الموطأ عن مالك بغير واسطة أكثر من ألف رجل

١. توفي سنة ١٧٩ هـ . توفي سنة ٢٠٤ هـ «٥» يطلق مختلف الحديث على
- الاحاديث المعارضة بمثلها في القوة ويمكن الجمع بينها بغير تصف . توفي سنة
- ٢١١ هـ . توفي سنة ١٦٠ هـ . توفي سنة ١٩٨ هـ . توفي سنة ١٧٥ هـ . «توفي» ٢١٩

«١٠» إلـ من الحديث واسطة من سنده الصحابي بأمر روى التابعي عن الرسول «٥» مباشرة
والأصل ما سقط من أثناء سنده وأما أكثر مع عدم التوال «٢٥» السنن مرموع صحابي بسند
ظاهره الاتصال

وقد ضرب الناس فيه أكباد الابل الى الالء من أقاصي البلاد مصداقاً لقول النبي
 «مر» - «يوشك ان يضرب الناس أكباد الابل في طلب العلم فما يجدون بأعلم
 من عالم المدينة» قال عبد الرزاق هو مالك ابن أنس. رواه الترمذي - فثم
 المبرزون من الفقهاء كالشافعي ومحمد بن الحسن «١» وابن وهب والقاسم ومنهم
 شيوخ المحدثين كيجي بن سعيد القطان «٢» وعبد الرحمن بن مهدي «٣» وعبد
 الرزاق بن همام «٤» ومنهم الملوك والامراء كالرشيد (٥) وابنيه الامين (٦)
 والمأمون «٧». وقد اشتهر في عصره حتى بلغ على جميع ديار الاسلام ثم لم يأت
 زمان الا وهو أكثر به شهرة وأقوى به عناية. وعليه بنى فقهاء الامصار مذاهبيهم
 حتى أهل العراق في بعض أمرهم ولم يزل العلماء يخرجون حديثه ويذكرون
 متابعاته وشواهد «٨» ويشرحون غريبه ويضبطون مشكله ويبحثون عن فقهه
 ويفتشون عن رجاله الى غاية ليس بعدها غاية. روى ابن سعد في الطبقات عن
 مالك بن أنس قال لما حجج الدسور قال لي: قد عزمت على أن أسربك كتبك هذه التي
 وضعتها فتتسخ ثم أبعث الى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة وأمرهم أن
 يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره؛ ففعلت بأمر المؤمنين لا تفعل هذا فان الناس
 قد سبقت اليهم فأويل وسموا أحاديث ردوراً روايات وأخذ كل قوم بما سبق
 اليهم ودانوا به ففدع الناس وما اختار أهل كس بلدهم لا تقسمهم. وروى أبو نعيم
 في الحلية عن مالك بن أنس قال شاورني هرون الرشيد في أن يملق الموطن في
 الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقلت لا تفعل فان أصحاب رسول الله (ص) اختلفوا

في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل معيب. فقال وفقك الله يا أبا عبد الله
 روايات الموطن قال أبو القاسم بن محمد بن حسين الشافعي الموطآت المعروفة
 عن مالك أحد عشر معناها متقارب والمستعمل منها أربعة موطناً بجي بن يحيى
 وموطناً ابن بكير وموطناً أبي مصعب وموطناً ابن وهب؛ ثم ضعف الاستعمال في

١. توفي الاول سنة ٢٠٤ والثاني ١٨٩. ٢. سنة ١٩٨. ٣. سنة ١٩٨. ٤. سنة

٥. ٢١١. ٦. سنة ١٩٣. ٧. سنة ٢١٨

٨. الحديث الذي يفرده روايته واحد يسمى غريباً قال الفرد به في موضع واحد من الاستاذ قيل
 لا حديث انه فرد نسب أيضاً وان كان في كل موضع منه من فرداً حقيقياً عادوا ان يثبت الفرد
 غيره في رواية ذلك الحديث عن نفس الصحابي الذي رواه عن قيل انه وجد لاول متابع وان وجدته
 يشبه متنه وهو مروي عن صحابي آخر قيل لثاني شاهد

(المجلد الثاني والعشرون)

(١٠)

(المثار : ج ١)

الأخيرين . وبين الروايات اختلاف كبير من تقديم وتأخير وزيادة وتقص ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية أبي بصير فند قال ابن حزم أنها تزيد على سائر الموطآت نحو مائة حديث

شرح الموطأ ومختصراته

من شرح الموطأ أبو مروان بن عبد الملك بن حبيب المالكي (١) . وف الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر (٢) كتابا سماه (التقدي للحديث الموطأ) وله كتاب (التهذيب لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) قال ابن حزم هو كتاب في الفقه والحديث ولا أعلم نظيره . وكذلك شرح الموطأ أبو محمد عبد الله بن محمد البهوتي البجلي (٣) والقاضي الحافظ أبو بكر محمد بن العربي المغربي (٤) وسماه (القاس) ومما جاء فيه في وصف الموطأ : هذا أول كتاب ألف في شرائع الإسلام وهو آخره لأنه لم يؤلف مثله إذ بناء مالك رحمه الله على تمهيد الأصول للفروع ونبه فيه على معظم أصول الفقه التي رجع إليه في مسائله وفروعه . ومن شرحه جلال الدين عبد الرحيم ابن أبي بكر السيوطي (٥) وسماه شرحه « كذب المغفل » في شرح الموطأ . وبحث ابن عبد الباقي الرزقاني المصري المالكي (٦) شرحه شرحا بسيطا في ثلاثة مجلدات وبموطأ مختصرات كثيرة فمنها مختصر الإمام الخطابي أحمد بن محمد الباسني (٧) ومختصر أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (٨) وابن رشتيق القيرواني (٩) (له بقية)

(الدعوة إلى انتقاد الآثار)

أنا ندهو جميع من يطلع على الآثار من علماء الدين وغيرهم من أهل العلم والرأي أن يكتبوا البنا بما يرون فيه من الخطأ في المسائل الدينية وغيرها أو ما يراى في مصلحة أمنا وأوطاننا التي نعيش فيها . ولقد المتقدين بنشر كل ما يرسل البنا من نقد مع بيان رأينا فيه بشرط أن يكون على الوجه الذي يشاء في خاتمة المجلد ٢١ وفيما قبله

ونذكر عامة قراءنا أن يطالبوا كل من يسمون منه انتقادا في الآثار بكتابة انتقاده وأرساله إلى صاحبه لينشره فيه فيطلع قراؤه عليه وعلى ما يقر به من قبول أو رد وأخذوا بما يرونه حق . وعلوا أن كل من يمد أي أن يكتب انتقاده ويرسله البنا فهو فاسق مغتاب ، أو حاسد كذاب

١. توفي سنة ٢٣٩ هـ . سنة ٤٦٣ هـ . سنة ٥٢١ هـ . سنة ٥٤٩ هـ . سنة ٩١١ هـ .

٢. سنة ١١٢٧ هـ . سنة ٢٨٨ هـ . سنة ٤٧٤ هـ . سنة ٤٥٦ هـ .

الاتحاد والاقتصاد

كلتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، ميزان سياسة الأمم ونظام الاجتماع ، كثر في هذا العصر تشدق الخطباء بذكرهما ، وشرح الكتاب لفوائدهما ، ولما يقته الدهاء حقيقة معانها ، بل لما يحبط أكثر العلماء والزعماء منا خبراً بهما ، لافقه الحقائق واحاطة الخبر لا يحصلان الا بباول التجارب في الحوادث ، والاصطلاح ببريران الكوارث ، بمد تلقي الحكمة بالتعليم ، والتربية على سلوك الصراط المستقيم

كنا منذ أنشأنا المآثر في أواخر سنة ١٣١٥ للهجرة قد جعلنا أهم ماندعو اليه القراءة في مصر وسائر البلاد ان يجمعوا جل عنايتهم في اصلاح شؤونهم بالتربية الملية التي تكون أمة متحدة والاقتصاد الذي تكون به الامة فنية تتصرف ببروتها في القيام بصالحها كما نشاء . بثنا هذه الدعوة في (المؤيد) في ذلك المهد اذ كنا نكتب فيه مقالات بامضاء (م . ر) وبغير امضاء . ثم أعدنا بثاً في (الجريدة) في أول المهد بظهورها في مقالة عنوانها (الى أي شيء أنت يا مصر أحوج) نشرناها أيضاً في الجزء الثاني للمجلد العاشر من المآثر الذي صدر في صفر سنة ١٣٢٥

ونحمد الله تعالى ان رأينا في هذه السنين آيات الاتحاد في هذه البلاد العزيزة ورأينا من نتائج قرب الحصول على الاستقلال الذي نمتد أنه لا ينال الا به . بل نقول ان الاتحاد بغير استقلال خير من الاستقلال بغير اتحاد ، لان الاتحاد يأتي بالاستقلال المقنود ، وقده يذهب بالاستقلال الموجود ، فالواجب الآن على كل مصري أن يكون أحرص على تعزيز الاتحاد والتكافل الذي وقع ، منه على نيل الاستقلال الذي يرحي به ويتوق ، فان الاتحاد اذا لم وانفصمت عروته قبل بدو صلاح ثمرة نفخت الشجرة أو خرجت الثمرة شيئا لاغناء فيها ، واذا اتكث فله بدمه ؛ زال أثره بزوله ، فاذا لاستقلال ابتداء ولا بقاء الا بالاتحاد

ولا كان لكل كثرة منظمة وحدة تضبطها وتعرف بها وكان الوفد المصري هو عنوان الاتحاد نندي ارتقت اليه البلاد ومثله وجب على الشعب المصري لمحمد أن يظل متمسكا بمجبه مقتضا ببروته ولا صبا بمد الذي ظهر من كتابه أماناته ، والا

كان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، وذهبك به جهلا وأفنا وخسرانا .
 ثم ليعلم علم تدبر أنه لا قوام لاستقلال الامم وحريتها الا بالثروة ، ولا ثروة الا
 بالاقتصاد ، وان الاستقلال السياسي ، متوقف على الاستقلال الاقتصادي ، ونحن
 مقصرون في سبيل هذا الاستقلال تعصيرا اذا لم نبادر الى تداركه كئنا من المالكين
 ان للكسب والاتفاق علوما وفنونا اتسم نطاقها في هذا العصر اتساعا عظيما لانها
 قطب الرحى لمدينة الامم والشعوب وعزتها ورفاهتها وسيادتها وقد برزت بها الامم
 الشمالية الغربية ، فاستمرت أو استعبدت به الامم الشرقية والجنوبية ، حتى ظن كثير
 من القاصرين ان الشعوب والاجناس أو الاقاييم الغربية ، أعظم استمدادا بطيية
 العرق وخاصة الجنس من الشعوب الشرقية ، ويطل هذا القول ، وهو معلوم من
 ان اليهود أرق أهل الارض في جميع هذه العلوم والفنون والاعمال المترتبة عليها ، أنها
 وجدوا وحيداً حلوا من أقطار الارض ، وهم شعب شرقي محافظ على نسبه ودمه ، وكذلك
 الشعب الياباني في الشرق الأقصى قد جارى الغربيين فيها من عهد قريب .

ولكن الامر الغريب ان المسلمين في الشرق والغرب والجنوب والشمال لا يزالون
 مقصرين في هذا المضمار ، وهذا التعصير أضاءت أكثر دولهم ملكها وأمسى الباقي لها
 بين يرائن الخطر ، ويضع أكثر أفرادهم ملكهم في البلاد التي يراهم فيها غيرهم ، فان
 كان جل ثروة مصر وسورية والعراق لا يزال يدهم فما ذلك من كسبهم بعلومهم
 وفنونهم وانما ذلك إثر رقة الارض تسلسل فيهم لانهم أكثر السكان المالكين لها ،
 فمنه مصر أكثر البلاد العربية على اقتباس العلوم والفنون المالية وغيرها وأكثرها
 نفقة عليها تراها مقصرة في هذا الاقتباس لجميع من يعيش فيها من الشعوب الاوربية
 واليونانيين والسوريين يفرقون المصريين في العلوم والفنون المالية والاقتصادية وفي
 ادارة المال بالتجارة وغيرها وفي الاقتصاد وحفظ ثروة من التذير والضبايع ، بل
 القبط من المصريين يفرقون المسلمين في ذلك عملا وروثهم النسبية تفوق ثروة
 المسلمين وأكثر أعمال الحكومة المالية في أيديهم ويسري لاوربيين والسوريين ، بل أكثر
 المسلمين يعتمدون على كتبهم في دارة ثروتهم ، حتى ان المسلمين شد سرفا في الاتفاق
 وتبذير الاموال منهم ومن سائر الشعوب التي تعرف أحوالها

من فطن لهذا من علماء الاقتصاد يعلمه بأدي الرأي بأن الدين الاسلامي هو
السبب في الامرين . وهذا التعليل يضاهي في البطالان تعليل من عساه يقول ان
الدين المسيحي هو سبب ثراء نصارى القرب وسعة عيشهم وشدة سطوتهم وجبروتهم .
والحق أن كلامنا النصارى والمسلمين مخالف لمهدي دينه ونصوص كتابه في الامرين ،
فلأنجيل يهدي الى المبالغة في الزهد والقناعة والتواضع والخضوع لكل حاطن ، وينص
على أن انفي لا يدخل ملكوت السموات ، والاسلام دين سيادة واقتصاد وجمع بين
مطالب الروح والجسد كما يتنا ذلك وفصلناه مرارا كثيرة . ومن نصوصه فيما نحن بصدده قوله
تمالى في أوائل سورة النساء (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أي
جعل عليا مدار قيام مصالحكم ومراقبتكم وحفظها وثباتها ، وقوله في صفات المؤمنين من
أواخر سورة الفرقان (والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)
وهي في وصايا سورة الاسراء عن المبالغة في قبض اليد وبطاعتها في الاتفاق وعن التذير
وسمى المذيرين اخوان الشياطين . وهذه الوصايا هي أهم اصول الدين وفضائله
وآدابه ، وهي تشمل الوصايا العشر التي في التوراة ماعدا بطلاة يوم السبت وتزيد عليها .
وفي السنة وصايا وأحكام كثيرة في ذلك

فالمسلمون يخافون لدينهم فيما اعتادوا من الاسراف في النفقات ، وهذا اذا
كانت فيما أبيع لهم من الزينة والعلقيات ، فكيف اذا كانت في المحرمات ، ولا سيما
الفواحش الثلاث المفعدات لانطرة المحرمات للديار — السكر والزينة والقمار . وهم
على خدمهم بذلك لدينهم . يهدون كل ما يبنى من مخرج استقلالهم ، وانني لم أروا
أسمع من أخبار البشر أن شعبا منهم يعادي النقد الذي هو ميزان الاعمال والقوة
في الاجتماع البشري كالشعب المصري ، فالمصري أسرع الناس بذلا لا يصل الى يده
من النقد فالتتمعون بالزينة والذات ينفقون في سبيلها ما تصل اليه أيديهم من كسب
وقرض ولو بالربا الفاحش ، وغير المتمتعين يشترون بما تصل اليه أيديهم من كسب
وقرض بالربا أرضا أو عقارا ، ولا يبالي أكثر الغريبيين أن يشتري الشيء بأخذه فتمنه وان
استدان لثن بالربا الفاحش لان النقد احقر الاشياء في نظره ولذلك ترى أكثر
المصريين على سعة ثروتهم لزراعية ورفيقين بالدين . فيجب على لزعاء والمعلماء

وكتاب الصحف أن يتعاونوا على درء هذا الخطر بوساقي العلم والعمل، والاغل المتبحرون منهم كالاجراء للاجانب لان جل ما يفتحون ينسحب الى صناديق المصارف المالية وبنائير المرائين وجيوب اصحاب الحانات والمواخير وموائد القمار وفجار عروض الزينة والفرف، وببارة أخرى ان جل ثروة البلاد تخرج منها الى البلاد الاجنبية.

ومن الضروري أن يبادروا الى تأليف جمعية اقتصادية يكون من أعمالها ارسال بعض الطلاب المستعدين الى معاهد العلم في أوروبا لأجل الاختصاص في علم الاقتصاد السياسي وسائر الفنون المالية والصناعات الضرورية ولا سيما الغزل والنسيج ثم جعلهم معلمين لهذه الفنون والصناعات وعاملين بها، والاستقلال المنتظر يزول ان شاء الله ما كان من الموانع دون مثل هذا. وانني رأيت في الهند معاملة عظيمة للنسوجات الأوروبية—دع المنسوجات الوطنية الحامة بأهل البلاد—وجميع عمال هذه المعامل من الوطنيين الا أنني رأيت في فنغل كبير في بمباي رجلين من الانكليز وظيفة هما اختيار نقوش النسيج، ويكون أهم أعمال هذه الجمعية وشعبها تميم النقابات الزراعية في البلاد وتألّف الشركات للمشروعات الاقتصادية المختلفة ويكون منها السعي لارشاد جمهور الامة الى الاقتصاد وجعل ثروة البلاد قوة لها وضامنا لاستقلالها بنفسها وحرّيتها في التصرف بثروتها

﴿ نصيحة اقتصادية ﴾

إن هذا النلاء الشديد الذي تنط من حمله جميع الامم—الذي كانت الحرب سببا طبيعيا له وابتدع له الطامعون من التجار وغيرهم أسبابا بصناعية وحيلة كبيرة—قد بلغ مداه الناية في حده ولم يعد للامران قبل باحتماله، ومن المقطوع به في علم الاقتصاد ان الاشياء التي قلت بقله الايدي العاملة لاشتغال الالف الالف من البشر بالحرب عن الزراعة والصناعة ستكثر بعد عود تلك الايدي الى العمل فتجد المستهلكين للقوات والمصنوعات قد قل عددهم اذ أهلكت الحرب خمسة وثلاثين مليوناً من البشر منها

(١) القاعدة في الكسبة الى الفيلة فعلي وصرحوا باستثناء السليفة فقالوا سنلقي استعماله وجرى علماء المعقول وغيرهم على ذلك في النسبة الى الطبيعة لانها بمعنى السليفة

١٢ مليوناً في ميدان القتال على أوسط تقدير ، والباقي فيما تولاه عنها من الادواء والأمراض والجراحات كما قيل ، ويوجد عشرات الملايين أو مئات الملايين من البشر في الشرق لا يزال يتخدر اجمال البضائع الادوية اليهم ، فلا بد اذا أن يهبط ايمان البضائهم والاقوات هبوطاً عظيماً وبعيداً كان فوق تقدير المتدبرين

فلما جاب على كل عاقل حريص على ماله أن ينبع القاعدة المغفولة التي جربنا نحن عليها وكنا نوصي الناس بها وهي أن لا يشتري أحد شيئاً ما قبل عودة الاسواق الى الاسعار المعتدلة إلا اذا كان لاحتى له عنه وبعد البحث عن أسماؤه في هذه مواضع ولا يترن أحد بعد اليوم بحبل التجار بادعاء تنزيل الايمان موقفاً ودعوتهم الى ما يسونه القرعة العظيمة أو « الاكاريون » فإن هذه القرص ليست بموقفة وإنما هم مضطرون الى الميوط بها الى ما دونها فهم يشتنون فرصة حاجة الناس الى الشيء والقهم لقتل قبل الميوط الشديد العالم المنتظر فالنتم لهم والفرم على من يصدقهم بدأ احق التجار يتص أسرار البضائع بالتدريج ولا سيما المسوجة وظل أغنياء العالمين مصرين على نهب الناس تلك الاسعار الفاحشة بل علمنا انهم اليقين أن بعض الذين أعلنوا للناس وجوب اختتام القرعة بالتمس الموقت من سير البضائع قد زادوا في سمرها بما كتبوا على ملأها كما كانوا يفعلون في زمن الحرب والمدينة ، ولكن قل من يتخذه بعد اليوم بهولاً الصاة للينجتنين الاقلاس والتمر

الجود والاحسان

والحاجة فيها بين نساء الانكليز اليوم ونساء الصحابة (رض)

نشرت جريدة الميقيم منذ بضعة أشهر ما يأتي

قابل أجد اغنياء لندن يحافظون من ايام وابله انه مستعد للتبرع بمئة وخمسين الف جنيه لانشاء حديقة في لندن تسمى حديقة النعم . وقد وعد هذا المحسن أن تبرع بكل ثروته وقدره بأكثر من مليون للامال الخيرية قبل وفاته واجتمع المؤتمر الانكليزي الكاثوليكي في لندن لاستعداد الاكف المساعدة للرسالات الدينية الخارجية وخطب الخطباء . قالت الدبلي مايل فاخذت النساء يترن جيلين وثلثتها في اللب والحواطي اديرت على المجتمعين وتبرع كثيرون

بحالات كتبوها باقلام استمارها بعضهم في الاجتماع وبعض هذه الحوالات بالف جنيه وبعضها بنائى مئة والبعض بخمسة مئة. وقدر ما اجتمع من الساعات ذات السوار والحلي الاخرى مئتا الجنيهات . وزعت احدى الحاضرات الحلية التى على خذاثها وتبرعت اخرى بازرار الازلوة التى على بلوزتها وتبرعت اخرى بقرطين صفيين من الذهب والاماس فزعتهم ما من اذنيها وكان المجموع الاول ١٧٤٠٠ جنيهه . الاعتبار بهذا الخير

ذكرنا تبرع نساء الانكبايز بجليين لمساعدة نشر دينهن ماورد في الصحيحين من مثل ذلك من نساء الصحابة (رض) ففي (باب عظة النساء) من كتاب العلم هذا البخاري عن ابن عباس (رض) قال شهد على النبي (ص) انه خرج ومعه بلال فظن انه لم يسمع النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجاءت المرأة تلقي القرط والحاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه .

وهذا الوعظ للنساء كان في يوم عبد الغفار ، خص النبي فيه النساء بالوعظة بعد الخطبة العامة لظنه انه لم يسمعهن لانهن كن يصلين ويحلمن وراء الرجال وأخرج البيهقي الحديث في (باب موعظة الامام النساء يوم العيد) من (كتاب العيدين) عن جابر رضي تفسير سورة الممتحنة عن ابن عباس . ويؤخذ من مجموع الروايات ان النبي (ص) شق صفوف الرجال بعد خطبة العيد حتى أتى النساء فقرأ عليهن آية المباينة ثم قال لمن دخل أنتم على ذلك ؟ فاجابته واحدة هن نعم . ولما أمرهن (ص) بالصدقة قال لمن بلال : ألم يكن فدا أبي وأمي . فجعلن يلقين الفسخ والحواشي في ثوب بلال ، وزاد في رواية لمسلم الخلايل . فأما الاقراط فهي حلي الاذن ولما الفسخ وهي جزم فحة الخلق تلبس في أصابع اليدين والرجلين .

والعبرة فيما تقدم من وجوه أهمها أن الافرنج اليوم أقرب منا الى هداية ديننا وسيرة الصالح في أمور كثيرة وأهمها حبة الدين والغيرة عليه والبذل في سبيله ومشاركة النساء للرجال في سائر العبادة والخدمة مع الرجال وجمع الموعظ والتعاون على المساعدة المالية له . ولا يبعد أن يعود نسائنا الى شئ هداية دينهن اقتداء بالمحسنات من نساء الافرنج كما يقلد الكثيرات منهن المسيلات الآن في الامور المتقدمة .

بشيء الحكمة من يتناه ومن يؤت الحكمة فقد
ؤتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فمن عبادي الذين يستمعون القول فيتبينون
أركان الدين هدامهم الله وأزلكهم أولو الألباب

« قال عليه الصلاة والسلام : إن للسلام مروي « ومناجرا » كمنار الطريق »

مصر . مطبع ربيع الآخر ١٣٣٩ - ١٩ الجدي (ش ١) سنة ١٢٩٩ هـ ٩ يناير ١٩٢١

تاريخ فنون الحديث

٢

افراد الحديث بالتأليف من مبتدأ القرن الثالث

في أول هذا القرن أخذ رواة الحديث في جمعه بطريقة غير التي
 ان كانوا يجمعونه بمزجاً باقوال الصحابة وفتاوي التابعين أخذوا يقدرون الجمع
 والتأليف ثم من أئمة الحديث من جمع في مصنفه كل ما روي عن الرسول (ص)
 من غير تمييز بين صحيح وسقيم . ومنهم من أفرد الصحيح بالجمع ليخلص
 طالب الحديث من عناء السؤال والبحث ، وكان أول الراسخين لتلك الطريقة
 المثلث شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري فجمع في كتابه المعروف ماتين له
 صحته . وكانت الكتب قبله بمزجاً فيها الصحيح بالعليل بحيث لا يتبين للناظر
 فيها درجة الحديث من الصحة الا بعد البحث عن أحوال رواه والوقوف على
 سلامته من العلل فان لم يكن من أهل البحث ولم يتفكر بمن يتصرف منه درجته
 بقي ذلك الحديث مجهول الحال عنده . واقتفى أثر البخاري في ذلك الأمام
 مسلم ابن الحجاج القشيري وكان من الآخذين عنه ثم ارتسم خطهما كثيرون
 وان ذلك القرن الثالث لاجل عصور الحديث وأسعدها بخدمة السنة
 فقيه ظهر كبار المحدثين وجهابذة المؤلفين وحذاق الناقدين وفيه أشرفت
 شمس الكتب السنة التي كادت لا تقلت من صحيح الحديث إلا القدر اليسير
 والتي عليها يعتمد المشرعون وبها يعتمد المناظرون وعن محياها تنجس الشبه
 وبضوءها يهتدي الضال ويرد يقينها تلجج الصدور
 وبانسلاخ هذا القرن يكاد يتم جمع الحديث وتدوينه، ويبتدئ عصر ترتيبه
 وتهذيبه ، وتسهيله على رواده وتقريبه

وقبل أن تأتي على المشهور من كتب السنة في هذا الترتيب نسرد فصولا
 نكشف فيه عن طرقي التصنيف في الحديث حتى نكون على يقين من تأليفه

طرق التصنيف في الحديث

للمعلماء في تصنيف الحديث وجهه طريقتان (أحدهما) التصنيف على الأبواب وهو يخرج به على أحكام الفقه وغيره وتنويعه أنواعاً وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع في باب بحيث يتميز ما يتعلق بالصلاة مثلاً عما يتعلق بالصيام وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على إيراد ما أصبح فقط كالشيخين ومنهم من لم يقتصر على ذلك كإبي داود والترمذي والنسائي (ثانيتهما) التصنيف على المسانيد وهو أنه يجمع في ترجمة كل صحابي (١) ما عنده من حديثه سواء كان صحيحاً أو غير صحيح ويجمعه على حدة وإن اختلفت أنواعه ، وأهل هذه الطريقة منهم من رتب أسماء الصحابة على حروف المعجم كالطبراني في المعجم الكبير والضياء المقدسي في المختارة التي لم تكن أسهل تناولاً ، ومنهم من رتبها على التباين فقدم بنو هاشم ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله «ص» في النسب ، ومنهم من رتبها على السبق في الإسلام فقدم العشرة ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح ثم أصغر الصحابة سناً وختم بالنساء . وقد سلك ابن حبان في صحيحه =

طريقة ثالثة : مرتبة على خمسة أقسام وهي الأوامر والنواهي والأخبار والاباحات وأنصاف النبي (ص) ونوع كل واحد من هذه الخمسة إلى أنواع ، والكشف في كتابه عسر جداً ، وقد رتب به بعض المتأخرين على الأبواب وعمل له الحافظ أبو الفضل العراقي أمراً (٢) وجرد الحافظ أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين في مجلد

ولم في جمع الحديث طرق أخرى (منها) جمعه على حروف المعجم فيجعل مثلاً حديث «إنما الأعمال بالنيات» في حرف الالف وقد جرى على ذلك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وابن طاهر في أحاديث كتاب الكامل لابن عدي (ومنها) جمعه على الأطراف وذلك بأن يذكر طرف الحديث ثم يجمع أسانيداً أما مع عدم التقيد بكتب مخصوصة أو مع التقيد بها ، وذلك مثل ما فعل أبو العباس أحمد بن ثابت العراقي في أطراف الكتب الخمسة

(١) الصحابي من لاهي للشيخ (ص) مؤلفاً به ومات على ذلك (٢) سياتي معنى الأطراف

ومن أعلى المراتب في تصنيف الحديث تصنيفه معللاً بأن يجمع في كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه فإن معرفة العلل أجل أنواع علم الحديث وبها يظهر ارسال بعض ما عُد متصلاً أو وقف ما ظن مرفوعاً وغير ذلك من الامور المهمة . والذين صنفوا في العلل منهم من رتب كتابه على الابواب كابن أبي حاتم وهو أحسن لسهولة تداوله، ومنهم من رتب كتابه على المساند كالحافظ الكبير يعقوب ابن شعبة البصري (١) فإنه ألف مسنداً معللاً غير أنه لم يتم ولو تم لكان في نحو مائتي مجلد والذي تم منه مسند العشرة والعباس وابن مسعود وعتبة بن غزوان وبعض الموالى وعمار، ويقال ان مسند علي منه في خمس مجلدات ويقال انه كان في منزله أربعون لحافاً أعدها لمن كان عنده من الوراقين الذين يبيعون المسند، ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار (خمسة آلاف جنيه مصري تقريباً) قال بعض المشايخ انه لم يتم مسند ممل قط

هذا وقد جرت مادة أهل الحديث أن ينفردوا بالجمع والتأليف بعض الابواب والشيوخ والتراجم والطرق

أما الابواب فقد أفرد بعض الأئمة بعضها بالتصنيف كباب رفع اليدين في الصلاة أفرد البخاري بالتصنيف ، وباب القضاء باليمين مع الشاهد أفرد الدارقطني بالتصنيف وأما الشيوخ فقد جمع بعض العلماء حديث شيوخ مخصوصين كل واحد منهم على اتراده لجمع الاسماعيلي حديث الاعمش وجمع النسائي حديث الفضيل بن عياض . وأما التراجم فقد جمعوا ما جاء بترجمة واحدة من الحديث كمالك عن نافع عن ابن عمر وكهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة

وأما الطرق فقد جمعوا بعض طرق الأحاديث كحديث قبض العلم جمع طرقه الطوسي وحديث « من كذب على متعمداً » جمع طرقه الطبراني وغير ذلك

النسائي «١» والمسنند الكبير لأحمد بن بن سفيان «٢» والمسنند المال لابن بكر البزار «٣» ومسنند ابن سنجر «٤» والمسنند الكبير ليعقوب بن شيبة «٥» ولم يؤلف أحمد بن منبه - لكنسه لم يتم - ومسنند على بن المديني «٦» ومسنند ابن أبي عذرة أحمد بن حازم «٧» ومسنند عثمان بن أبي شيبة «٨» وكتب المسانيد كثيرة جداً وفيما ذكرنا كفاية وإن أردت زيادة فانظر كشف القانون تجد فيه بعض الحاجة

«تنبية» كتب المسانيد دون كتب السنن في الرتبة إذ جرت عادة مصنفها أن يجمعوا في مسند كل صحابي ما يقع لهم من حديثه صحيحاً كان أو سقيماً ولذلك لا يسوغ الاحتجاج بما يوردها مطلقاً واستثنى بعض المحدثين منها مسند الامام أحمد بن حنبل

كتب السنة في القرن الرابع

الحديث الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواية الحديث وحملته هو رأس سنة ثلثمائة وقد أبنا فيما سلف أن القرن الثالث أسمع القرون بخدمة السنة وتمحيصها وتقد رواتها وكل من أتى بعد ذلك فعالة على المتقدمين - الا قليلاً - يجمع ما جمعوا ويعتمد في تقده على ما تقدموا لذلك كانت كتب السنة في القرن الثاني والثالث تمتاز في الأكثر بأولية الجمع فيها دون الاخذ عن غيرها وهذا مادعاني الى أن أفرد كتب السنة في القرن الرابع بالذكر دون أن ادبجها مع كتب السنة في القرن الثالث

أشهر الكتب في القرن الرابع المعاجم الثلاثة الكبير والصغير والوسط للامام سليمان ابن أحمد الطبراني (٩) رتب في الكبير الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث ورتب في الاوسط والاصغر شيوخته على الحروف أيضاً ولقد رتب الكبير الامام علاء الدين علي بن بلسان الفارسي (١٠) ترتيباً حسناً وسنن الدارقطني (١١) وضحج أبي حاتم محمد بن حبان

- (١) توفي سنة ٣٠٣ (٢) سنة ٣٠٣ (٣) سنة ٢٩٢ (٤) سنة ٢٥٨ (٥) سنة ٢٦٢ (٦) سنة ٢٣٤ (٧) سنة ٢٧٦ (٨) سنة ٢٣٩ «٩» سنة ٣٦٠ «١٠» سنة ٧٢١ «١١» سنة ٣٨٦ (المناظر: ج ٢) (١٣) (المجلد الحادي والمثرون)

الباق (١) وصحيح أبي عوانة يعقوب بن اسحاق (٢) وصحيح ابن خزيمة محمد ابن اسحاق (٣) وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان البغدادي (٤) والمنتقى لقاسم بن أصبغ محدث الاندلس (٥) ومسنف الطحاوي (٦) ومسنند ابن جميع محمد بن أحمد (٧) ومسنند محمد بن اسحاق (٨) ومسنند الطوارزمي «٩» ومسنند أبي اسحق ابراهيم بن نضر الرازي «١٠»

وسنمقد لكل كتاب من كتب السنة الشهيرة في القرنين الثالث والرابع فصلاً يرفقه ويبين درجة أحاديثه ومآلقيه من عناية مبتدئين في ذلك بمسنند الامام أحمد رضي الله عنه

مسنند الامام احمد بن حنبل

مسنند الامام أحمد كتاب جليل من جملة أصول السنة يشتمل على أربعين ألف حديث تكرر منها عشرة آلاف ومن أحاديثه ما ينوف عن ثلثمائة حديث ثلاثية الاسناد (أي بين راويها والرسول ثلاثة رواة)

درجة حديثه - روى أبو موسى المدني عن الامام أحمد أنه سئل عن حديث فقال انظروه فان كان في المسند والا فليس بحجة. كأن الامام يرى صحة كل ما ساقه في مسنده لكن عبارته ليست صريحة في أن كل ما فيه حجة انما هي صريحة في أن ما ليس فيه ليس بحجة لكن ثم أحاديث مخرجة في الصحيحين وليست فيه . والحق أن الكتاب فيه كثير من الاحاديث الضعيفة بل ذكر ابن الجوزي في موضوعاته خمسة عشر حديثاً من المسند لاحت له فيها سمة الوضع وذكر الحافظ العراقي تسعة . لكن أجاب عن هذه الاحاديث الحافظ ابن حجر في كتابه (القول المسند في الذب عن المسند) وقال في كتابه تعجيل المنفعة برجال الاربعة ليس في المسند حديث لا أصل له الا ثلاثة أحاديث او أربعة منها حديث عبد الرحمن بن عوف أنه يدخل الجنة زحفاً قال ويمتدح عنه لانه مما أمر بالضرب عليه فترك سهواً أو ضرب عليه وكتب من تحت الضرب . ويعجبني ما قاله العلامة

(١) توفي سنة ٣٥٤ (٢) سنة ٣١٦ (٣) سنة ٣١١ (٤) سنة ٣٥٣ (٥) سنة

٣٤٠ «٦» سنة ٣٢١ «٧» سنة ٤٠٢ «٨» سنة ٣١٣ «٩» سنة ٤٣٥

ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة) شرط أحمد في المسندان لا يروي عن المعروفين بالكذب عندهم وإن كان في ذلك ما هو ضعيف، قال ثم راد ابن أحمد زيادات على المسند ضمت إليه وكذا زاد أبو بكر القطيعي وفي تلك الزيادات كثير من الأحاديث الموضوعة ففن من لا علم عنده أن ذلك من رواية أحمد في مسنده شرحه واختصاره - شرح المسند أبو الحسن بن عبد الله - أدي السندي (١) نزيل المدينة المنورة واختصره زين الدين عمر بن أحمد الشجاع الحلبي وسمى مختصره در المنتقد من مسند الامام أحمد وكذلك اختصره سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملحق الشافعي (٢)

الجامع الصحيح المسند للإمام البخاري

وسف اجمالي له - هو أول كتاب ألف في الصحيح المجرد وقد اتفق جمهور العلماء على أنه أصح الكتب بعد القرآن الكريم ويقاربه في ذلك صحيح مسلم وذلك أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما اتفق على ثقة ناقله إلى الصحابي المشهور مع كونه الإسناد إليه متصلاً غير مقطوع (وذلك ما يسمى بشرط الشيخين) ولقد جمع البخاري صحيحه في ست عشرة سنة وما كان يضع فيه حديثاً إلا بعد أن يقتل ويصلي ركعتين ويستخير الله في وضعه . وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عدة ما فيه من الأحاديث بالمكرر ٧٣٩٧ سوى المعلقات والمتابعات والموقوفات (٥) وبغير المكرر من المتون المودولة ٢٦٠٢ ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يعملها في موضع آخر منه ١٥٩ حديثاً فجمع غير المكرر ٢٧٦١ وفيه من المعلقات ١٣٤١ حديثاً وفيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ٣٤٤ حديثاً ولم يذكر عدد الموقوفات على الصحابة والمقطوعات الواردة عن التابعين فمن بعدهم بلحالة ما فيه بالمكرر سوى الموقوف والمقطوع ٩٠٨٢ حديثاً . وإنما جمع في صحيحه الأحاديث المعلقة والموقوفة والمقطوعة وليست

(١) نور - سنة ١١٢٩ «٢٥» توفي سنة ٨٠٥

(٥) الملحق من الحديث ما كان في مسنده سقط من أوله كأن يقول البخاري عن ابن عمر (رض) عن النبي (ص) كذا والموقوف ما انتهى به إلى الصحابي لم يذكر فيه قولاً للنبي ولا لقلاً ولا وصلاً ولا تقريراً - والمقطوع ما انتهى به من دون الصحابي كأن يقول وقد يطلق على المقطوع موقوف على فلان أي الذي انتهى إليه السند

من موضوع كتابه لانه قصد بها الاستئناس والاستشهاد بحسب. ولذلك تأخر في سياقها لئلا تنزع

وقد انتقد عليه الحفاظ عشرة أحاديث ومائة منها ما وافقه مسلم على تحريجه وهو ٣٢ حديثاً ومنها ما انفرد بتحريجه وهو ٧٨ حديثاً قال الحفاظ ابن حجر في مقدمة شرحه (فتح الباري على صحيح البخاري): وليست عليها كلها فائدة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مدفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تمصف، وقد أوضح ذلك الحفاظ مفعلاً في المقدمة. وقد ضعف الحفاظ من رجال الجامع للبخاري نحو الثمانين ولكن أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز صحيحها من ضعيفها فهو أعلم وأعرف ولهم أخير. وقد روى عن البخاري جامع الصحيح نحو من مائة ألف منهم كثير من أئمة الحديث كسم وأبي زرعة والترمذي وابن خزيمة

شروحه - لم يعتن علماء المسلمين بشيء بعد الكتاب العزيز عنايتهم بالجامع الصحيح للإمام البخاري فأكثر شارحيه والكاتبين في رجاله والمؤلفين في أغراضه والمختصرين لكتابيه وقد عد الفاضل ملا كاتب جلبي في كتابه كشف القنون ما ينيف على اثنين وثمانين شرحاً للبخاري بمجهازي الجهابذة من السلف والاذكياء من الخلف ما بين كامل وناقص، يبدأ منهم من مال إلى الأجمال كالام الخطابي (١) فانه عمل شرحاً سماه (أعلام السنن) في مجلد واحد ومنهم من آتى التطويل فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بسمه أو مقته الا كتب عليه كالامام محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي (٢) فانه شرحه شرحاً وافياً سماه «منح الباري بالسيل النسيح الجباري» كمل ربع العبادات منه في عشر مجلدات وفيه بما لم يسبق اليه. ومنهم من سلك سبيل التوسط مقتصر على ما لا منه في فهم الاحاديث مع تبييد أو ابده وتذليل شوارده

وهؤلاء على اختلاف مشاربهم وتباين مسالكهم قد فاقوا أحد الكثرة أن المحسنين من الشراح احساناً أربعة نفر

الامام بدر الدين محمد بن هارث الزركشي (٣) في شرحه الشقيح

والعلامة بدر الدين محمود بن أحمد البغلي (٤) في شرحه (معدة الناري)

«١» توفي سنة ٣٠٨ «٢» سنة ٨١٧ «٣» سنة ٧٩٤ «٤» سنة ٨٥٥

والحافظ جلال الدين السيوطي «١» في شرحه (التوشيح)

وشيخ الاسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني «٢» في شرحه (فتح الباري) ولعمري أنه لا مبرأ أولئك المحسنين فإن شرحه لا يدانيه شرح ولا يخطئ بحجالة وصف، ولو لم يكن له إلا مقدمته لكانت كافية في الإشادة بذكره والابانة عن جلالة قدره. ولما طلب من مجتهد اليمن العلامة الشوكاني أن يشرح الجامع الصحيح للبخاري قال : لا هجرة بعد الفتح . وقد بدأ تأليف شرحه الفتح مفتتح سنة ٨١٧ بعد أن أكمل مقدمته في سنة ٨١٣ وانتهى منه في غرة رجب سنة ٨٤٢ وقد أولم عند ختمه ولحمة غنطية لم يتخلف عنها من وجوه المسلمين إلا اليسير اتفق عليها نحو خمسمائة دينار «مائتين وخمسين جنبها مصريا» وقد لقي ما يستحق من الحظوة في عصر مؤلفه حتى طلبه ملوك الاطراف بالاستكتاب واشترى بنحو ثلثمائة دينار «مائة وخمسين جنبها مصريا» وانتشر في الآفاق حتى غطت شهرته سائر الشروح وهو يقع في ثلاثة عشر مجلداً ومقدمته في مجلد ضخمة « وقد طبع بكل من مصر والهند مرتين »

مختصرات الجامع — له مختصرات كثيرة من أشهرها مختصر الامام جمال الدين أحمد بن عمر الانصاري القرطبي «٣» ومختصر بدر الدين حسن بن عمر الحلبي «٤» المسمى (ارشاد الساري والقاري) ومختصر الحسين بن المبارك الزبيدي (٥) جرد فيه حديثه من أسانيده وسماه (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) وقد شرحه شرحاً وافياً حسن صديق خان ملك بهوبال بالهند وكذلك شرحه الشيخ عبدالله الشرقاوي

كتب رجاله — منها (أسماء رجال البخاري) للشيخ الامام أحمد بن محمد الكلاباذي «٦» وكتاب (التعديل والتجريح) لرجاله لابن الوليد سليمان بن خلف الباجي «٧» (والافهام بما وقع في البخاري من الابهام) «٨» لجلال الدين بن عمر الباقيني «٨»

«١» سنة ٩١١ «٢» سنة ٨٥٢ ٣ توفي سنة ٦٥٦ ٤ سنة ٧٨٩ • سنة ٨٩٣ «٦» سنة ٣٩٨ «٧» سنة ٤٧٤ «٨» سنة ٨٢٤
: يقبل حديث المجهول ولولا الابهام لفظ التعديل على الاصح (٨) سنة ٨٢٤

الجامع الصحيح للإمام : لمافظ مسلم بن الحجاج

هو ثاني الكتب الستة وأحد الصحيحين المشهود لها بعلو الرتبة وقد ذكر النووي في أول شرحه له ان الحسين بن علي النيسابوري قال : مات تحت أديم السماء أصبح من كتاب مسلم ووافقه على ذلك بعض شيوخ المغرب ، ولكن الذي لا ينبغي الاضرار فيه رجحان صحيح البخاري عليه لان الصفات التي تدور عليها الصحة في كتاب البخاري أهم منها في كتاب مسلم أما من حيث الاتصال فلا شترط البخاري ان يكون الراوي ثبت له لقاء المروي عنه ولو مرة واكتفى مسلم ببلق المعاصرة وما أزم به مسلم البخاري من انه يحتاج الى ان لا يقبل الممنعة (١) أصلا ليس بل لازم لان الراوي اذا ثبت له لقاء من روى عنه مرة لا يجرى في روايته احتمال ان لا يكون سماع منه لانه يلزم من جريانه ان يكون مدلسا والمساءلة مفروضة في غير المدلس . وأما من حيث العدالة والضبط فلان من تكلم فيهم من رجال مسلم ستون ومائة ومن تكلم فيهم من رجال البخاري ثمانون ، مع ان الثاني لم يكثر من اخراج حديثهم وأغلبهم من شيوخه الذين أخذ عنهم ومارس حديثهم وأما من جهة عدم الشذوذ والاعلال (٢) فلان ما انتقد على البخاري من الاحاديث مما لم يشاركه فيها مسلم ثمانية وسبعون حديثا وما انتقد على مسلم كذلك ثلاثون ومائة أضف الى هذا ما في البخاري من الاستنباطات الفقهية والدقائق الحكمية مما عري منه كتاب مسلم ، هذا الى اتفاق العلماء على ان البخاري كان أجمل من مسلم في العلوم وأعرف بعناية الحديث مه واز مسلما تلميذه وخريججه ولم يزل يستفيد منه ويتبع آثاره حتى قال الدارقطني : لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء . لكن الانصاف يدفعنا الى الاعتراف لمسلم بتلك الميزة الجليلة والطريقة الحكيمة ونعني بها سهولة تناول من كتابه اذ جعل لسكل حديث ، وضما واحدا ياتي به جمع فيه طرقه التي ارتضاها وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة مما يسهل على الطالب النفاذ في جريته واتقاف آثاره وتوليئه الثقة بجميع الطرق التي لا حديث

١ الممنعة أن يكون في السند لفظه عن كمن فلان عن فلان ٢ الشذوذ مخالفة الثقة من هو ارجح منه والاعلال وجود علة خفية قاذبة في السند اه الحديث

ولم يحم حول ذلك البخاري بل فرق طرق الحديث في الابواب المختلفة
وقد روى عن مسلم ان كتابه أربعة آلاف حديث دون المكرر وبالمكرر
٢٢٧٥ حديثاً

شروحه - شرح صحيح مسلم كثير من العلماء ذكر منها صاحب كشف القانون
نحو خمسة عشر شراح من أشهرها المنهاج للحافظ الامام أبي زكريا يحيى بن شرف
النووي الشافعي «١» وشرح أبي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي «٢» وهو شرح
كبير في خمس مجلدات جمع عدة شروح سبقته، وإكمال المعلم للامام أبي عبد الله محمد
بن خليفة الابن المالكي «٣» في أربع مجلدات ضمنه شرح المازري وعياض
والقرطبي والنووي مع بعض الزيادات، والابتهاج للشيخ أحمد بن محمد الخطيب
القسطاني الشافعي «٤» بلغ الى نحو نصفه في ثمانية أجزاء كبار، وشرح الشيخ
على القاري الهروي زيل مكة المكرمة «٥» في أربع مجلدات

مختصراته - من أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لاحد بن عمر
القرطبي «٦» ومختصر الامام زكي الدين عبد العظيم المذوري «٧» ومختصر
زوائد مسلم على البخاري لسراج الدين عمر بن علي ابن الملقن الشافعي «٨» وهو
كبير في أربع مجلدات و١٠٠٠٠ بكرة أحمد بن علي الاصماني «٩» كتاب في أسماء
رجال مسلم

تصحیح غلط في الجزء الاول

سقط من السطر ١٩ ص ٧ من الجزء الاول جملة والصواب هكذا
(فأهلكك تمام بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) على ان
الاقتباس لا يشترط فيه ايراد الآيات تمامها ولا الترتيب بينها . وفي تلك القائمة
آيات متصلة من مواضع مختلفة، وفيه عطف على محذوف يدرك بالقرينة ووضع
لبعض علامات الوقف في غير موضعها سهوا

«١» توفي سنة ٦٧٦ «٢» سنة ٧٤٤ «٣» سنة ٨٢٧ «٤» سنة ٩٢٣

«٥» سنة ١٠١٩ «٦» سنة ٦٥١ «٧» سنة ٦٥٣ «٨» سنة ٨٠٤ «٩» سنة ٢٧٩

فَتَاوَى الْمُنَارِ

فتحتنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة إذ لا يسهل الناس عادة، ونشتر على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز له اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبت غير مشترك مثل هذا ، ولأن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

❦ الاقتداء في الصلاة بمنخذي الوسطاء والسمعاء عند الله ❦

(وما يتبع ذلك في حفيظة الاسلام والارتداد عنه)

(س٢) جاء هذا السؤال من جماعة الموحدين في (ديباط) ومعه عنوان واحد منهم لجعبه فرأينا أنه يجب نشره والجواب عنه في المنار وهو :
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ محمد رشيد رضا صاحب إدارة المنار العامة

تحية اخلاص نمدوها اليكم روح الاسلام وبعد فلما كانت ثقتنا لاتتحصر بغير عالميتكم لسعة اطلاعها بنور الاله الواحد الهادي الى الصراط المستقيم سيما في معضلات الامور التي يتوقف صلاح الدين عليها . رجوناكم للسؤال الآتي وهو (هل تصح الصلاة خلف متخذي الشفاء والوصائط من مسلمي هذا الزمان أم لا تصح) وفي الحاتم ناهج جميعا بتكرار الرجاء ونردده باسم الدين الاسلامي الحنيف ان لا يرض الاستاذ الامام على طائفة قلب وجهها في السماء لمقابل الجواب على هذا السؤال وافياء هذا . يمكن الاستاذ لآراء نشر الجواب في المجلة الطائر ذكرها بين أقطار المشارقي . الله ربها وواجبنا والا فربوه جميعا أن لا نحرهم من نارد بالعنوان طيه ولكم من الله تعالى اشكر والاجر ان شاء الله والسلام الموحدون بدمياط

(ج) الظاهر أن السائلين يمتنعون بتخذي الشفاعة والوسطة. هدا الله من يصدق عليهم قوله تعالى في مشركي العرب (ويبدون من دون مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ولهم مراتبون في الاقداء بهم في الصلاة مع هذا الشرك الصريح لانهم يأتونه عن جهل ويحسبون أنه طاعة لله وعمل بدينه وهم يؤمنون اجمالا بالله وبأن كل ما جاء به عنه خاتم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهو حق. وإيمانهم بذلك ايمان اذعان لانهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون بيت الله من استطاع منهم اليه سبيلا. فوضع الاشكال على هذا ما يصدر عنهم من العبادة الشريكة انير الله تعالى كدعاء الموتى من الصالحين والتمسح بقبورهم والطواف بها وبيعض النبات والجماد لشفاء الامراض وتفريج الكرب وتوسيع الرزق وغير ذلك من الاعمال والاعتقادات المنافية للتوحيد الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ان لا يمسد الله وان يخلص له الدين وحده فلا يدعى معه احد — هل هي من أعمال الشرك المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة فلا يعذر الجاهل بها كقوله المتكلمون والفتاوى أم هي مما يخفى على غير الملماء الاعلام، العارفين بحقيقة ما كان عليه الصدر الاول من قواعد الاسلام ، فيعد الجاهل بها والمتأول فيها معذورا واسلاما وما يترب عليه من الاعمال صحيحا ؟ ثم اذا كان أس الدين مما يعذر جاهله وهو توحيد العبادة واخلصها لله تعالى بالتوجه اليه فيها وحده ولا سيما الدعاء الذي هو منها ولياها فاي قاعدة من قواعده أو ركن من أركانه المبنية على هذا الاس لا يعذر الجاهل بها أو المتأول لها ؟ وابن اجماع الامة على أن التوحيد الخالص شرط لصحة الصلاة والصيام وسائر العبادات لا يستد بشئ منها بدونه مع سائر اصول الايمان القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ؟

انا نعلم بالاختبار اللطيف ان كثيرا ممن يدعون غير الله تعالى يجهلون كثيرا من هذه الاصول الاعتقادية والعملية وأن منهم من التاركين لاركان الاسلام كلها أو بعضها المرتكبين لكبائر الانتم والفواحش المصيرين عليها بدون مبالاة بأمر ولا نهي ، ولا انتفاع بذكرى ولا زجر ، ومنهم من اعتاد بعض الاعمال الدينية المشروعة (المنازل : ج ٢) (١٤) (المجلد الحادي والعشرون)

والمبتدعة اعتقادا ولكنه لا يعرف الخشوع والخوف والرجاء الا عند تلك القبور وذكر أصحابها. أو نحوها بما يظنون تعظيم عبادة وتدين وان لم يسموه كله أو بعضه عبادة ومن هؤلاء وأولئك الذين يدهون هؤلاء الموتى خاشعين معتقدين أنهم يقضون حوائجهم بأنفسهم ولا يخطر في بالهم غير ذلك، ومنهم من يسعى دعاءه توسلا واستشفاعا ولا سيما إذا أنكر عليه. وهذا عين ما حكاها القرآن عن مشركي العرب ولم يمتد بايمانهم حتى يتركوه وقال فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ومن هؤلاء الذين يمدون هذا تأولا للذعنون للامر والهي المتزعمون للفرائض المتأمنون من المعاصي وفيهم وقم الاشكال فيما يظهر لان تكفير المؤمن المتأول المعين فيه خطر عظيم ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك أكثر أهله علم الدين على الوجه الذي كان معروفا عند سلف الامة أهل الحق .

وانما نهد للجواب التفصيلي الشافي تمهيدا نراه ضروريا فنقول
(١) ان قواعد العقائد وأصول الايمان واحكام الاسلام والردة المجمع عليها والمسائل الاعتقادية والفردية المختلف فيها كلها مقررة في الكتب وان كل مسلم مكاف أن يعرف الفرائض العينية منها وان يبذل جهده فيما في تطبيق الوقائع والنوازل التي تعرض له على ما عرف ، ومن ذلك الجهد سؤال المارفين واستفتاء المفتين فيما يشكل عليه من ذلك الى أن يهتدي الى الحكم المنطبق على الواقعة — فهذا اجتهاد عملي يطالب به العوام كالعلماء كالا جتهاد في القبله في حالة البعد عن الكعبة المشرفة وعدم المعارب المتواترة . وان لاحوال الزمان والمكان تأثيرا عظيما في هذا الاجتهاد العملي من مظاهره انك ترى الناس يستذكرون البدع عند ظهورها أشد الاستنكار وربما النوا في ذلك فحملوا المباح محظورا كالبدع في العادات والمأهون والازياء وكما كتب بعض المشتغلين بالعلم رسائل وكتبا في تحريم بعض هذه المستحدثات في أول العهد بظهورها كالأخذية الشائمة التي تسمى في مصر بالجزم (جمع جزمه) وفي الشام بالكناشر والاساتيك ومنها ما يسميه الفريقان (البوتين) واذا شاعت المنكرات الدينية وعمت نصبر عند الجمهور كالمباحات بل يجهلون بعضها في عداد السنونات والشامات الدينية ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في أكثر البلاد

التي يقطنها المسلمون بل صار كثير من المحظورات المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة من المباحات في حكم القانون المنع كالزنا وشرب الخمر. فمن يعيش في أمثال هذه البلاد لا يكون نظره في تطبيق الأعمال على الأواعد والاحكام الشرعية كن يعيش في بلاد نجد التي لا يكاد يرى فيها شيئاً من أمثل هذه المنكرات فشيئاً مألوفاً ولا يسمع فيها بحكم من حاكم غير مستند الى نص من كتب الفقه المتبعة، لذلك ينقل من بعض عوامهم تكفير مرتكب بعض المعاصي ولو غير قطعية وفي مصر لا يكفر التارك لجميع أركان الاسلام والاستبيح لا كبر الفواحش بالاصرار على المجاهرة بها بلا مبالاة (٢) قد اختلف مصنّفوا الكتب الكلامية والفقهية اختلافاً واسعاً النطاق في مسائل الكفر والردة من حيث الأدلة ومن حيث تطبيقها على الاعمال والناس وناهيك بشديد من ناطق هذه المسائل بالوازم القرية والبعيدة للاحكام القطعية أو الظنية القوية كن كفروا من حقراً أو قال أو فعل ما ينافي احتواً كتاب شرعي أو فتوى شرعية بالاتقاء على الأرض أو القول بطلان الفتوى أو عدم قبولها اذ عدوا ان اهانة الفقيه أو فناء أو الكتاب تستلزم اهانة الشرع وان عدم الاذعان والاحترام للفتوى يستلزم رفض الشرع والدين ، وقد يعدون من الاهانة وعدم الاحترام ما ليس منه في الواقع أو في عرف الفاعل وقصده . ويوجد في هذه الكتب ولا سيما تصانيف المتأخرين منها من الاقوال التي لا يمكن اثباته شرعاً وفي بعضها تأييد البدع الخلة بأصول الدين وفروعه (٣) قد وقع من جراء ما ذكرناه ونشكو منه في هذه البلاد من الفوضى في العلوم الدينية وفي تطبيقها على الاعمال المجردة لاحد المتدين الى طريق المتصوفة الغارقين في البدع على كتابة رد على فتوى الشيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية بالباطل حاول فيه جعل البدعة التي انكرها الشيخ بالدليل ديناً متبعاً وعبادة مشروعة واستدل على ذلك بأحاديث لا تدل عليه ولا هي بصحيحة فيستدل بها على فرض دلائلها على ما ذكر - ونشر رد الباطل في صحيفة يومية مشهورة قرأها ألوف من الناس وسكت علماء الازهر على ذلك الى ان انكروه على المتصوفي بعض أهل التيرة من الاسكندرية كما عي ذلك من جزء المنار الماضي ذلك بأن شيخ الازهر - وان كان رئيس علماء الدين في الازهر - معاهد التعليم الديني في هذا القطر - ليس له رياسة دينية مطاعة عند المسلمين فيما أمر به فتوى

عنه أو يفتي به وإن وافق الحق لاشرعاً ولا قانوناً ولا مواضعة عرفية وليس من أعمال مشيخة الأزهر نشر الدين بقلبين عقائده وآدابه وأحكامه لعامة المسلمين المكافئين بطريقة منتظمة فيكون من أثر ذلك أن السواد الأعظم قد تاقى دينه عن مصدر واحد موثوق به بحيث نجزم بأن كل ما كان معلوماً من الدين بالضرورة في صدر الاسلام وسائر القرون التي جزم فيها علماء الاصول والفروع بأن من جحد شيئاً مجحماً عليه من هذه المعلومات يكون كافراً . بل نعلم بالاختيار أن السواد الأعظم من المسلمين في هذه البلاد اميون وأن المتألمين في غير المعاهد الدينية من الاهالي أكثر من المتعلمين فيها، فأما الاميون فأكثريهم لم يتلق عقيدته من عالم ولا تعلم بل بسمع بعضهم من بعض أقوالاً وأمثالاً وحكايات بعضها من عقائد الايمان وبعضها من أخايل أهل الكفر وخرافات أهل الشرك ، وأما المتعلمون في المدارس الدينية فكثير منهم تعلموا في مدارس دعاة النصرانية التي انشئت نحو يلوم عن دينهم ، ومنهم من تعلموا في مدارس الحكومة وغيرها أو في أوروبا ، وجميع المدارس الدينية يث فيها من التعاليم ما ينافي الدين أو يوقم الرب في بعض عقائده ولا يكاد يوجد فيها مدرسة تقبل المذهب فيها أصول دينه على الوجه الحق المؤيد بالدلائل التي تدحض الشبهات الواردة عليه من العلوم الاخرى . أما المتعلمون في الأزهر وما يقرب منه الماهد فأكثريهم يجي من بلاد الأرياف ومزارعها مشبعين بما عليه الروام من الخرافات والادهام فخر عليه السنين وهو يعالج مبادئ النحو والفقه التي لا تخرج من نفسه شيئاً من الخرافات والبدع التي عرفها ألقهاهم يحضر دروس العقائد المعروفة في هذه المعاهد وهي مختصرات أو مخلصات من كتب جدلية جافة فيما يجب اعتقاده في الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر تحرك الشبهات ولا تكاد تزيد مدارسها ايماناً ولا عملاً صالحاً ولا تميزاً للبدع من السنن ولا توغياً في طلب رضوان الله وترهيا من عقابه ، وقد يوجد في بعضها مدح لاتباع السنة وسيرة السلف وذم لما ابتدع بمدحهم كقول الجوهرة

وكل خبر في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

ولكن لم يذكر في شروطهم وحواشيمهم عليها خلاصة ما حوت دواوين السنة من احاديث الاعتصام وآثار الصحابة فيه ولا ما ورد من السلف من اجتناب البدع

والزجر عنها ، بل لا تخلو أمثال هذه الشروح والحواشي بمخالف السنة ويؤيد البدعة وأهلها عن قرب أو بعد كاحتجاج الراد على فتوى شيخ الأزهر في هذه الأيام بما في بعضها من قولهم إن الله من أسماء الله تعالى كما يوجد ذلك في بعض كتب الفقه والفتاوى أيضا ، ومنه قول بعضهم باستحباب وضع الستور على قبور الصالحين قياسا على ستر الكعبة والقائل بهذا ليس من أهل القياس الأصولي الاجتهادي إلا أن يكون القياس الشيطاني القدي يهدم نصوص الكتاب والسنة ، ويبنى باقتضاها صروح البدعة ، فقد صحت الأحاديث بمحظر تشريف القبور وبناء المساجد عليها ووضع السرج والمصابيح عليها ولعن الذين إذا مات الرجل الصالح فيهم اتخذوا على قبره مسجداً . ومقتضى هذا القياس أن هذا مشروع محبوب عند الله ورسوله (ص) وتقتضي هذه الفتوى أيضا أن الطواف بثلث القبور وتقبيلها مشروع ، وكل ذلك من عبادة غير الله تعالى وهل كان الشرك الذي يثب جسيم الرسل لهدمه الا عبادة غير الله تعالى من الملائكة والأنبياء والصالحين بدعائهم والغلو في تعظيمهم بالم يأذن به الله وتغظيم ما رضع للتذكير بهم من صور وتماثيل وقبور ؟

(٤) لقد كان مثار كل هذه الفوضى والضلالات ماتم التقليد والذهب من جعل جماهير الناس كل ما دون في دة ديننا يتبع ولا سيما بعد موت مؤلفه وعند أهل مذهبه أو أهل طريقته إذا كان منتبها الى بعض طرق المتصوفة . التقليد نفسه مختلف في عند الأصوليين وأهل النظر والاستدلال والتشديد في منعه في الامور الاعتقادية عظيم جدا حتى قال من قال انه لا يعتد بإيمان المقلد وان وافق الحق وقد ذكر ذلك صاحب الجوهره في أول عقيدته بقوله

اذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد
ففيه بعض القوم يحكي الخلقا وبعضهم حقق فيه الكشف
فقال أن يجوز بقول الذير كفى والا لم يزل في الضير

وناهيك بحال الختلف في إيمانه والباذ بالله تعالى . والتقليد الذي اجازة من اجازة منهم وأوجه صاحب الجوهره هذا صرا اياه على الاثمة الاربعة المشهورين في الفقه وابي القاسم الجليل من الصوفية — اقتبانا منه على الشرع — وهو التقليد في فروع الاعمال ، انما

كانوا يعنون به تعقيد المعاجز من معرفة الحكم المجتهد الموثوق به عنده بأخذ هته الحكم بدون دليل ، وليس منه في شيء أن يجعل من الدين كل ما ذكر في كتاب ولو لجاهل ليس من أهل الاجتهاد المطلق ولا مادونه كالكثير هؤلاء المتأخرين الذين لم يعنوا قط بالنظر في أدلة الاحكام وانما تأكيدهم عبارة عن نقل كل مؤلف منهم لكلام من قبله مع تصرف يفسد النقل في بعض الأحيان ، وأكثر نقل المتأخرين عن قريبي الهداهم ولا يكاد احد منهم ينظر في كلام المجتهدين ولا كلام أهل التخرج والاجتهاد في مذاهبيهم ، بل جعلوا النقا طبقات أوصلها بعضهم الى ست ويقول مثل ابن عابدين الشير انه من السادسة وأصله المسمى النقل يعني عن قبلهم لامن الكتاب والسنة ، ولان نصوص الأئمة وهذه الطبقات حجب دون الكتاب والسنة كل طبقة تحجب مادونها عما فوقها ، فالحجب بين الطبقة السادسة وبين النور المنزل من عبدالله ليستضي به البشر خمسة هي سادستها ، وقد ضرب الامام الزلي في سلاجيلا ضوء الشمس يدخل من نافذة فيقع على مرآة وينعكس عنها على جدار ، مقابل لها ثم ينعكس عنه الى جدار ثان مقابل له ثم ينعكس عنه الى جدار ثالث في حجرة أخرى مظلمة من بابها ثم ينعكس ما يقع على هذا الجدار المقابل للباب الى جدار رابع في حجرتة مقابل له - فالنور الذي يقع على المرآة مثل لنصوص الكتاب والسنة عند المتدين به من الأئمة المجتهدين وغيرهم من السلف لان الله تعالى في شرع دينه وجعل كتابه تنبيها عاما لا خاصا بالأئمة وأئمة الأئمة أقوى فهم وأوسع علما وأهدى سبيلا في الاهتداء به وتعليقه للناس - والنور المنعكس عن المرآة على الجدار الاول مثل العلم الذي يشقاه الناس عن ثلاثة الناس ، فلهذا العلم من بعض ويشتركون فيه من غير وما يستنبط منها فهو نور فقه في الدين ، الذي كان له في السابق آفاق واسعة وما ينعكس عن هذا النور على الجدار الثاني وما فيه من بعض ولا يتبين بها الاشياء بجلاء تعرف بحقيقة موضوعها كما ينبغي بل كثير من تخفى وإيقع فيها الاشتباه (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزل اليكم نورا مبينا) فلهذا الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلون في رحمة ربهم فصل في بيان ما عرفت من العلم من أهل (د) يشبهه على كثير من الناس من قبل في قوله تعالى علم من الله عن أهل وهو أخذ بعضهم بقول الامام بدون معرفة دلائله وبين ما تحصى بالعلم من التقليد

الاعى الذي ترتب عليه ما أشرنا اليه من الفوضى الدينية وقد قاب بعض المقلدين الوضع وعكس القضية فجعلوا أقوى حججهم على وجوب التقليد وكونه مصلحة واجبة زعمهم أنه يدفع مفسدة الفوضى في الدين بادهاء الكثيرين للاجتهاد وأتباع الناس لهم وهم غير أهل لذلك فيكونون ضالين مضلين فاقفال باب الاجتهاد قد درأ هذه المفسدة وقيد من ليس أهلاً للاجتهاد بإتباع أئمة معدودين قد ثبت اجتهدهم ونقلت مذاهبهم بالتواتر

والحق ان هذه المفسدة التي ذكروها واقعة لا ريب فيها وإنما كان سببها ماسمويه اقفال باب الاجتهاد أي اقفال باب الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ورد كل اختلاف ونزاع اليهما كما أمر الله تعالى. وهذا الاهتداء ليس بمعناه ان يكون كل مهتد بهما إماماً أهلاً لاستنباط أي حكم شرعي احتج اليه منهما فعوام السلف الصالح لم يكونوا أئمة ولا كان الجماعات ولا الافراد منهم يلتزمون تقليد فرد معين من علمائهم، وإنما كانوا كلهم عالمين بالضروري من الدين ومتفاوتين في علم غيره ومن احتاج منهم الى علم فلا يبله في نازلة وقعت له سأل عنها من يثق بعلمه ودينه من أهل العلم أي سأل عن حكم الله تعالى في كتابه وسنة رسوله (ص) وكان أولئك العلماء الذين هم أهل العلم بالقرآن والسنة يقتونهم بالنصوص ان وجدت والا فبما يستنبطون منها

وأما عوام الخلف الذين حبل بينهم وبين هداية كتاب ربهم وما بينه من سنة نبينهم عليه الصلاة والسلام بنسبها اجتهاداً يعجز عنه البشر فهم في فوضى دينية من هذا التقليد الاعى الذي هو عبارة عن الاخذ بقول كل من ينتمي الى العلم أو يدعيه والى العمل بكل قول يوجد في كتاب مخطوط أو مطبوع ولا ضجاً كتب المنسوبين الى مذاهبهم في الفقه أو الكلام أو التصوف وناهيك بكتب المشهورين منهم مهما يكن سبب شرهم، ومن اختبر المسلمين في لاقطار المختلفة اختباراً صحيحاً يجد انه يقل في طلاب العلوم الدينية فيهم من يعرف سيرة الامام الذي ينتمي اليه في علمه ودينه وأصول مذهبه ونصوصه في الفروع، وإنما حظهم من المذهب قراءة بعض الكتب التي ألفها بعض المقلدين المتعبد اليه على تفاوت عظيم في فهمها وعلى ما في الكثير منها من الخطأ والغلط كما أشرنا اليه آنفاً، وبآلتهم مع هذا يعرفون ما في الكتب

المتبعة في مذاهبهم ويعملون بما صح نقله عن المجتهدين أو من على مقربة منهم ، كلا
 أن أكثر العوام يقلد بعضهم بعضا في الدين وآدابه وعباداته فعلا وتركها كما علمت ، ولا
 يوجد واحد في المئة ولا في الألف منهم تلقي دينه عن أحد من المتقدمين لعلم الدين على
 ما وصفا من سوء حالهم ومن جهل أكثرهم بنصوص الأئمة المجتهدين - كجهلهم بالكتاب
 والسنة ، ولو كانوا متبعين لأئمة الكرام لعلوا أكبر منهم تذكيرا بالناس وتعليلهم
 بالكتاب والسنة وأرجاع كل أمر اليهما وبذلك وحده ترتفع الفوضى الدينية أو تزل
 وتموت البدع أو تضعف ، وأقوال المؤلفين المنسوبين الى المذاهب ليس لها من الآثار
 على القلوب والافئاع في العقول مثل ما لكلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وكلامهم
 متعارض لكثير منهم فاذا حاجبت امرا بقول مؤلف منهم حاجك بقول آخر يخالفه كما
 يحتاج بعض المنسوين الى الطريقة الشاذلية شيخ الجامع الأزهر بقول كاذبة خاطئة
 وجدها في بعض كتبهم فيما ابتدئوه من التمسك بما يسوء نفاسهم الصدور ، وهو اخراجهم
 من صددهم صوتا مشتملا على الحرفين الذين يخرجهما أقصى الحلق (أ ه)

بل أقول ان أقوال باب الاهداء بالكتاب والسنة وتذكير الناس بها قد فتح
 أبواب الزندقة والمروق عن الدين لأب الفوضى في الدين أو الفسوق فقط ، وأوسع هذه
 الابواب اثنا عشر بابا ، وابتدع بعض الدجالين المنتهين الى التصوف المدعين أنهم
 عرفوا الحقيقة أو اتبعوا من عرفها بالكشف ، وناهيك بطائفة البكتاشية والملة البابية والبهائية
 من أهل هذا الزمان كسافهم الباطنية من الاسماعيلية وغيرهم . كل هذه الدواهي الطامة
 جاءت من ابتداع تلقي الدين عن من ينسب الى المذاهب المعروفة والاحد بما يقوله
 أو يكتبه كل منهم أو يوجد في كتبهم من غير ان يكون تلقينا للكتاب والسنة ونفسه
 لما يحتاج الى تفسير منها وجعل هذا التلقين هو الاصل وما قد يحتاج اليه من فتوى
 اجتهدية في نازلة جزئية فرعا لا يدهي اليه ولا يجمل سنة متبعة وشريعة ثابتة ولا
 يجمل من ختمه الى غيره مبتدعا ولا فاسقا ، ولو فعلوا هذا واستعانوا عليه بما دله
 أهل العلم بالتفسير والحديث لم قطعت الصلة بين الامة وبين النور الذي أنزله الله
 اليها ولا تقل بذلك باب الفوضى التي هي الاخذ بكلام كل من يمد من المومنين
 والمؤلفين ، مما تكن أقوالهم ومصادرها ، وليس هذا هو الاجتماع المطلق الذي أفعلوا به

(٧) من هذا الدين - وإن كان أسأله كتاب الله تعالى وما بينه به رسوله في أنه له وأقر له وأحكمه - يتوقف فهم الحقائق إياه على معرفة سيرة السلف الصالح من جمهور الصحابة والتابعين وحفظ السنة وقال: لا مصدر في القرون الثلاثة التي هي خير فروع ، ذلك بأن نصوص القرآن ولا حديث تحتمل المعاني المختلفة بفسر وبالمجارات والكذبات فيعرض الناس فيها من التأويل ما ليس مراد الشارع ، وإنما كان الصحابة أعلم الناس بهذا الدين لأنهم أعلم لغة القرآن والحديث التي هي صليقة لهم ، ولما هدتهم أعمال الرسول (ص) ودقوفهم على أحكامه في بيانه ، ولذلك قال علي كرم الله وجهه لا سر (ض) حين أرسله للحجة نظوارج : أحلمهم على السنة فإن امرئ ذو وجه . والمراد من السنة معناها اللغوي أي سيرة الرسول (ص) وطريقته التيبة من بعده فنهأ عمل لا يحمثل التأويل كالحديث كلامه وكلام الله تعالى وسائر الكلام وقد نهى بعض الخوارج بعضا عن محاجة ابن عباس بالقرآن بحجة أنه من قر يش الذين قال الله تعالى فيهم (بل هم قوم خصمون) يريدون أنه لا يغلب في المحاجة والمخاصمة لأنه ألحن بالحجة وأبرع في بحول الغلب في الخصومة ، لانه صاحب الحق بما يثبت به من البرهان ، على أن تقوم كانوا مستدلين ، وفيما أخطأوا فيه متأولين ، وما قالوه هو تكلف المقلدين ، الذين يعذرون أنفسهم في الإصرار على ما ظهر لهم من ضلالهم بمعلمهم وحقق خصمهم وخلاشته في القول ، فالجهل عذر الجاهل العارف والمعرف بجهله وعجزه ، لا المستدل الذي يتأفح عن دعواه بسيفه وريحه ،

وعلماء المذاهب التي بدعي الناس اتباعها يقولون أن الجهل عذر في المسائل التي من شأنها أن نخني على العامة وإن كانت مجمعا عليها كأكثر بنت الابن مع بنت الصلب السدس تكله للثلاثين الذي جملة الله تعالى في السكالة فرضا للثلاثين ، ولا يجمعونه عذرا لاحد في المسائل المعلومة من الدين بالضرورة - قالوا لا إذا كان قريب عهد بالاسلام أو نشأ في شاطئ جبل ، وهذا مبني على أن معاشر المسلمين كافية لمعرفة الضروري من عقائد الاسلام وأحكامه في العبادات والحلال والحرام وذلك كاف في صحة اسلام من يعرفه معرفة اذعان وإن جهل جميع المسائل الاجتهادية والتفسيرية الخفية المجمع عليها فكيف بالمسائل المختلف فيها؟ على أنه لا بد أن يعرف الكثير منها

ولما قول العلماء ذلك القول كانت مباشرة المسلمين كافية لمعرفة حقيقة الاسلام كما قولوا ، ثم تغير الزمان ، حتى صار المسلمون أنفسهم حجة على الاسلام ، ويعترف بذلك خملباؤهم على منابر جوامعهم في خطب الجمعة ، بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه » ، ولا من القرآن الا رسمه « وبقولهم « صار المعروف منكرا والمنكر معروفا » وهذا القول حق واقع ، ولكن لا يعتبر به القائل ولا السامع ، وقد كان من أثره أن كثيرا من الناس حتى بعض المعممين منهم لا يعطون بدين أحد الا المعتصم بالكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الامة ، ولا سيما اذا دعا الناس الى ذلك وإلى ترك البدع الناشئة ، حينئذ يندونه بلقب وهابي أو عدو الائمة المجتهدين ، وأولياء الله المقربين ، فلجبال قد اتخذوا من أئمة الصالحين الذين هم اعداؤهم ساهاما مسدومة يرمون بها أوليائهم والمتبعين لهم في الحقيقة لانهم يرتدون بالكتاب والسنة مثلهم ، — فالكتاب والسنة لبساجة عندهم ولا هداية لهم بل هم يريدون بقول كل من الف كتابا كتب في طرته نه العلامة فلان الفلاني مذهبا ، والعلاني طريقة أو مشربا ، فاتباع الكتاب والسنة عندهم ضلال بل ربما يرمون صاحبه بالكفر أو الزندقة كما بينا ذلك في غير ما وضع من المنار ، وهذا من الخياري الذي يعد من أغرب جهل البشر ، والخذل الذي يمثل منتهى فساد العقول والغلط ، يتبرأ منه ومن أهله أئمة الأثر والفقه والتصوف والماء بدلائل مذاهبهم وطرقهم . وهو ليس من التقليد الذي أجازه بعض هؤلاء العلماء في شيء فقد كانوا في خير القرون لا يعلمون هامة الامة الا ما نزل الله تعالى اليها وما بينه به رسولها ، ولم يكن ثم مذاهب تحمل عليها وإنما كانت مباحث الاجتهاد محصورة في تعليم الخاصة وبحل القضايا ونوازل الفتوى في الوقائع . ومن قواعد الاصول عندهم عدم جواز الاجتهاد مع وجود نص الكتاب أو السنة في المسألة وأنه لا حاجة في كلام أحد غير المصوم وهم مجمعون على ان الأئمة الاربعة في الفقه وأئمة الصوفية كالجنيد والشبلي والبسطامي وأمثالهم غير معصومين وإنما قال بعض الشيعة بعصمة نفر معروفين من أئمة آل البيت

وجميع هؤلاء العلماء يفضلون سلف الامة على خلفها في المباحقة الدين والعمل به كما تقدم ويحثون على الاقتداء بهم ويردون كل ما خالف هديهم وسيرتهم

ويستدلون به على الابتداء في الدين كما يستدلون بالنصوص - فنحن إذاً محتاجون في التمييز بين السنة والبدعة الى معرفة ما كان عليه جمهور السلف الصالح ونسبته اليه نرد ما خالفه ولا سيما ما انفقوا عليه وما كان الخلاف فيه شاذاً أو ضعيف الرواية أو الدلالة، ولكننا نعذر من أخذ بقول أي عالم من أولئك الاثمة لاعتقاده صحة دليله أو أنه هو حكم الله تعالى وإن لم يعرف دليله

ثبت بالفعل والنقل والاختياران العمل بأحكام الدين ومنه القضاء بها والفنوى في تطبيقها على النوازل الواقعة أقوى بياناً للمراد بها من القول مهما يكن فصيحاً جلياً، فكلام الله أفصح الكلام وبلغه ومعنى هذا أنه أعلاه بياناً وقناعاً وتأثيراً ومع هذا كان بعض الصحابة يخطئ في فهم بعض أحكامه وفي تطبيقها على العمل كما أخطأ من تمسك منهم في التراب كاتمه مك الدابة لأنه فهم أن التيمع عن الجنبة يجب أن يمتاز عن تيمع الحدث وكما أخطأ من ربط في رحله عقلاً أبيض وعقلاً أسود ليعين بالتمييز بينهما طالع الفجر، ولهذا جعل الله تعالى رسوله (ص) ميثاقاً لكونه على وصفه إياه بأنه بيان للناس وتبيين لكل شيء - ونور مبين، وتبيين الر - ول (ص) بأنما له وأحكامه وقناويه في النوازل أقوى وأظهر من تبيينه بأقواله وإن أني مد النبوة جوامع السلام وصار أفصح من نطق بالضاد، لأن أقواله ذات رجوة تحتل التأويل كقالت الامام علي المرتضى في الكتاب العزيز بل هي أولى، وتختلف فيها ذواتها - كما تختلف الصحابة رضي الله عنهم في أمره إياهم بأن لا يصلوا العصر الا في بني قريظة ففهم بعضهم ان المراد عدم التأخير عن الوصول الى بني قريظة في ذلك الوقت فعدلوا في الطريق ولم يتأخروا، وحمل الآخرون الامر على طهره، ولأن العمل أبعد عن القدرة والالتزام، ذلك في العمل والتجربة، وأظهر وقناعه في السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بالتحلل من غيرهم عقب صاحب الخديجة كذا الامر بالقول ثلاثاً ولم يثبتوا فافهم عليه الصلاة والسلام وكانت زوجه أم سادة رضي الله عنها معه فذكر له ذلك فسأته راها فيه فأشارت عليه بأن يخرج إليهم، لا يكتم أحداً حتى يتبع من أمره بعد شديده وحق رأسه ففعل فتيمة - من - من عين ولم يقع لهذا نظير منه.

فعلم من هذا أن أحكام الدين لم يبين تمام التبيين الا بالصفة العملية من الصحة

أنفسهم كانوا محتاجين إليها وكان يختلف إليهم - دهم في الأقوال إذا لم يتبين بها .
بل كان منهم من تأول النص الصريح في مقام الخصومة انتصار لنفسه ودفعاً عنها
كما تأول معاوية حديث عمار تقتله الباغية فقال : إنما قتله من أخرجه .
فرد أمير المؤمنين علي - هذا القول حين بلغه بأن يقتضي أن يكون النبي صلى
الله عليه وسلم هو الذي قتل عمه حمزة أي وجميع من قتل معه في بدر واحد وسائر
الغزوات - فاتبين من أعمال الدين بالسنن المتبعة فعلاً وتركافه الذي لا يسمع أحدًا مخالفته
ولا يعذره وما سواه يعذر فيه الناس باختلاف الأفهام والتأويل مع الاعتقاد وحسن النية
وقد حدث بعد النبي (ص) من الأحداث والوقائع ما لم يكن في عصره وخلف الاجتهاد
في أحكامها من حيث تحقيق المناط وتبيح المنطأ أي من حيث الاستدلال على الحكم
ومن حيث تمليفه على الوقائع بالعمل والتعاذة الأصولية في اجتماع الأفراد من الصحابة
وغبرهم أنه ليس حجة في الدين وإنما يجب على من اجتهد في مسألة أن يعمل بما ظهر
له أنه الحق فيها والقائلون بالتقليد يجبرون للماجزين الاجتهاد فيما يمرض له مما لا نص
فيه أن يأخذ باجتهاد من يثق به من المجتهدين . وأما إجماع الصحابة فهو حجة عند
جميع الأئمة والإمام أحمد لا يحتاج بإجماع غيرهم وكان الإمام مالك يحتاج بإجماع أهل
المدينة في زمنه أي زمن التابعين وتابعي التابعين وأنه يظهر هذا في أشعائر والسنن العالية
المتبعة لا فيما سبيله الاجتهاد . وجملة القول أن الله تعالى أكل الدين بكتابه وبيان رسوله
وكان أهل الصدر الأول من السلف الصالح هم الذين حملوا البناء هذا الدين كما سمعوه
ووعوه بالقول والعمل ، فمرفته متوقفة على معرفة روايتهم له وسيرتهم في العمل به
ولا شك أن العمل بالاسلام عبادة ومعاملة وسياسة وقضاء كان في عهد
الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم على أكل الوجوه ، بل قل بعض علماء الأصول أن
إجماع الخلفاء الأربعة حجة واحتجوا لذلك بحديث العرابض بن سارية مرفوعاً
« أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد »^(١) وأنه من يعيش منكم

(١) وفي رواية « ولو عبد أحبباً » وهذا في الأمراء والحكام الذين يوليهم
الإمام الأئمة فلا ينافي أحاديث حصر الأئمة في قريب كما نقله الحافظ ابن رجب
وغیره في شرح الحديث وأيدوه بحديث علي عند الحاكم والدارقطني مرفوعاً

فبىرى اختلافا كثيرا فليكنم بسننى سنة انطاوا الراشدين من بعدى عنواهايا
بالنواجد ، وياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة ، وفي رواية « فان كل عودنة
بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وكذا غيرها
من وجوه وطرق ، واختاره النووي في الاربعين . بل ذهب بعضهم الى الاحتجاج
بسنة الشيخين أبي بكر وعمر ، وببعضهم بالاحتجاج بما سنه عمر أي من في خلافة
لما ورد في ذلك وليان وجه هذا مكان آخر يعلم منه انه ليس على اطلاقة حتى عند
القائلين به . وذكر الحافظ ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) عن الامام
مالك انه قال : قال عمر بن عبد العزيز : من رسول الله صلى الله عليه وسلم وولادة
الامر من بعده سقنا الاخذ بها اهتمام بكتاب الله وقوة على دين الله ليس لاحد
تبدليها ولا تغييرها ولا النظر في أمر خلفها فمن اهتدى بها فهو المهتدي ومن
استبصر بها فهو المنصور ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما يولى
واصله جهنم وسات مصيرا (قل) وحكى عبد الله بن عبد الحكم عن مالك انه
قال : أعجبني عزم عمر ذلك - يعني هذا الكلام - وروى عبد الرحمن بن
مهدي هذا الكلام عن مالك ولم يحكمه عن عمر ام ويجمع بين الروايتين بأن ما ذكره
كان يرويه تارة ويؤله تارة مقرر له في نفسه على غير طريق الرواية - فعمل جهود
الصحابة والتابعين وصيانة الخلفاء الاربعة الراشدين وقضاؤهم وادارتهم لأمور الأمة

« وموقوفاً » وان أمرت قريش فيكم عبداً حبشياً فاسموا له واسموا
وذهب بعض العلماء أنه انما ذكر العبد الحبشي على طريق ضرب المثل وار
يسمى وقوعه كما قال في حديث الترغيب في بناء المساجد « من بنى لله مسجداً
ولو كنفحص قنطرة بني الله له بيتاً في الجنة » رواه أحمد عن ابن عباس بد
صحيح ويستحيل ان يكون المسجد كنفحص القنطرة وهو المكان الذي تتخذ
برجلها وتبني فيه . والامة مجمعة على أن العبد أي المملوك كما هو المتبادر
هنا لا يجوز أن يكون الامام الاعظم صاحب الولاية العامة على المسلمين ، و
أن يلي مدون ذلك من ولاية الامر وان احتسب ان في هذا الحدث وما
معناه اشارة الى ما كان في الامة لعدده من ولاية العبيد والماليك

في الحرب والسلم ومعاملة المبتدعة وأرباب الاهواء والثوار الخارجين على ائمة الحق والعدل كل ذلك نبراس نهتدي به ونعرف حكم الله تعالى فيه ، وحاجتنا اليه في كل زمان ومكان كحاجة الصحابة رضوان الله عليهم في زمن الرسول الى مشاهدة أفعاله وسماع احكامه والوقوف على قضائه وسيرته في الحرب والسلم وسنين ان شاء الله تعالى مزية كل خليفة من الاربعة وحكمة الله تعالى في ترتيبهم على حسب أعمارهم وما ترتب على ذلك من المصالح

﴿ نتيجة هذه المقدمات — والمقصود من هذه التمهيدات ﴾

مكان مسلمي عصرنا من دينهم

(١) علم مما تقدم ان ما عليه جماهير المسلمين اليوم في أمورهم الدينية مزوج بالبدع والضلالات والفسق وترك الفرائض وفشو الفواحش وكثرة الشبهات الا في بلاد قليلة ثماشة المسلمين لا يمكن أن يعرف منها حقيقة دينهم في مثل القطر المصري أو الحجازي دع مادونهما في العلم والرفقة في الاسلام وان نجوم هذه البدع بدأ في خلافة عثمان فإكان عليه المسلمون قبلها فهو الاسلام الخالص، وما كان في خلافة علي من معاملة الخارجين عن الاسلام باسم الاسلام، والخارجين من المسلمين على أئمة الحق بالشهوات أو الشبهات، والمبتدعين فيه ما ليس منه بالتأويلات، فهو الحق الذي يهتدى في أمثال هذه المشكلات، والنور الذي يستضاء به في دياجير الظلمات ، وعليه جرى علماء السلف الصالح من حملة السنة وأئمة العترة ورواة الآثار، وأهل الاجتهاد الصحيح من علماء الامصار

مصادر الاسلام وحملته وكتبه

(٢) ان دين الله الاسلام هو كتابه تعالى وما بينه من سنة رسوله بالقول والعمل الذي كان عليه جمهور الصحابة والتابعين وأئمة عترة النبي (ص) قبل حدوث الفتن واحداث البدع وفي أثنائها ، وحملته الى الامة هم الذين حفظوا الكتاب والسنة وصنفوا الكتب في الاخبار والآثار وسيرة أهل الصدر الاول ومبتدوا صادقها من كاذبها وصحيحها من سقيمها وأئمة الامصار في القرون الثلاثة الذين بينوا للناس طرق فهم النصوص والاستنباط منها. فأأجموعا عليه من أمر الدين فهو الذي لايسع مسلما تركه ، وما اختلفوا فيه يرد الى الكتاب

والسنة كما أمر الله تعالى بقوله (ما ن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) أي ما لا وعاقبة. والرد في الامور العامة منوط بأولي الامر، وفي الوقائع الخاصة بعمل كل فرد بما ظهر له الدليل على صحته، فان لم يكن من أهل الدليل عمل بما يفتيه به من يثق بعلمه بالكتاب والسنة ودينه في الاهتداء بهما
عمل جمهور السلف حجة وهدى

(٣) عمل جمهور السلف الصالح حجة فيما يختلف أهل النظر والاستدلال فيه باجتهادهم أو اختلاف أفهامهم وتأويلهم للنصوص ولكننا نعذر المخالف لجمهور السلف بالاجتهاد والتأويل اذا علمنا من حاله انه مؤمن بأن كل ما جاء به الرسول من أمر الدين حق، ومسلم مذعن لذلك على الوجه المبين في المقدمات، وحينئذ نعامله معاملة المسلمين في الصلاة معه وفي أحكام النكاح والارث وغير ذلك مع الرد عليه ومجادلته بالتي هي أحسن والتحذير من بدعته اذا كانت مخالفته ابتداعا أو فسقه اذا كانت فسقا، مهتدين في ذلك بما كان أهل الصدر الاول يعاملون به المنافقين والمؤلفة قلوبهم من ضعفاء المسلمين الذين قبلوا أحكام الاسلام والخوارج والمبتدعة المتأولين، مثال ذلك اننا لانعتد باسلام أحد يكذب القرآن أو يستحل مخالفته وانما نعذر من يفهم بعض آياته فهما مخالفا لغيرهم السلف مع التسليم والاذعان النفسي لكل ما فيه ولو بحسب فهمه، ولا نعتد باسلام من يكذب الرسول أو يستحل مخالفته فيما يمتقد هو انه جاء به من دين الله ولكننا نعذر من لم يصدق رواية بعض الاحاديث لشبهة عنده في المتن أو السند فكذب مضمونها أو خالفه لذلك وان صح عندنا، ورد عليه بالتي هي أحسن. فقد أمرنا بدرء الحدود بالشبهات، وأولى الحدود أن يدرأ حد الردة والخروج من الملة
بم يكون الارتداد عن الاسلام

(٤) انما جعل العلماء المتقدمون مدار الارتداد عن الاسلام على جحد الجميع عليه المعلوم بالضرورة من أمر الدين لان الجول عذر عندهم والمدار في صحة الاسلام الاذعان النفسي والعملي لاحكامه وهو فرع العلم بها ولذلك سرحوا بان من نشأ في شاق جبل أو كان حديث عهد بالاسلام يعذر حتى يجعده المعلوم من الدين بالضرورة عند جمهور المسلمين لانه ليس معلوما عنده ولم يصدقوا

الناسي بين المسلمين أو من طال عهد اختلاطه بهم بعد الاسلام اذا جحد شيئاً وادعى الجهل ليقص من الجحد مثلاً. وقد بينا في المقدمات ان معاشر المسلمين في أكثر البلاد الاسلامية في هذه الازمنة لا تقتضي معرفة حقيقة الاسلام في عقائده وعباداته الخالية من البدع وسائر أحكام الحلال والحرام، وانما يعلم اسلام المرء باذعانه وخضوعه لما علم انه من الاسلام، ومن كان هكذا فملاجه ما يحمله تعليمه واقامة الحجة عليه. وقد جربنا هذا العلاج فشفي به كثيرون من أدواء الشرك والابتداع والشكوك والالوهام، فالسليم الفطرة ذو الجهل البسيط يشفي بسرعة عجيبية وانما يعسر شفاء أصحاب الجهل المركب الذين أخذوا شيئاً من قشور الكلام والفقه وتأويلات أدياء الفقه والتصرف فهم يردون بها الآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالح (ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) وهذا هو البلاء المبين الذي أضرع الاسلام ولا علاج له الا الابناء التعليم الاسلامي في مدارسه وغيرها على التفسير والحديث وسيرة السلف الصالح وتلقين كل مسلم ما تقدم تقريره في ذلك

معاملة المستدعة والمنافقين والفاسقين

(هـ) اتنا على كوننا لانكفر أحداً من أهل القبلة فيما يأتيه جاهلاً أو متأولاً نخطأ لديننا فيمن نعلم بالاخبار الشخصي انهم على شيء من الشرك الجلي أو النفاق من غير أن تفرق الجماعة أو نحدث الفتن بين المسلمين فقد كان الذي صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة كحذيفة بن اليمان يعرفون بعض المنافقين باعينهم ولا يجبهونهم بذلك ولا يخبرون الناس به رجاء أن يسلحوا ويوقنوا بطول معاشرتهم المسلمين، وكان علماء الصحابة والتابعين يصلون مقتدين بأئمة الجار من بني أمية وعالمهم، والاسوة الكبرى في هذا الباب سيرة علي كرم الله وجهه في الخوارج ومعاوية وأنصاره. وانني على هذا لا أصلي مقتدياً بمن أعلم باحتباري الشخصي أنه مشرك أو كافر بغير الشرك وان كان يظهر الاسلام ولا أعطيه شيئاً من الزكاة الواجبة الا اذا كان من المؤلفة قلوبهم. فهذا ما عندي من الجواب عن سؤال الموحدين في دميال كثرهم الله تعالى وبرك فيهم

وانني أتبع هذا بيان سيرة السلف الصالح فيما ذكر من أمر الابتداع والاختلاف في الدين وأهله من أصحاب الأهواء وغيرهم ثم اتمى عليها بما أراه نافعا في الاقتداء بهم. عسى أن يستفي به الغلاة في الدين والمفرطون فيه، والله سدد من شاء الله. -

نشرح قاعدة « لأنكفر أحدا من أهل القبلة بذنب »

وبيان عدم كفر المبتدع في الدين جاهلا أو متأولا

هذه القاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة الذين يصدق عليهم هذا القول لأنهم يسمون أنفسهم بهذا الاسم ليميزوا من المعروفين بأسماء أخرى . وهي تذكر في بعض العقائد . وقد رأيت لشيخ الاسلام ابن تيمية تحقيقا نفيسا مطولا فيها ذكره في سياق تخطئة الرافضة في سب الصحابة (رض) وبيان أن الرد عليهم وعلى كل مخطئ في الدين يجب أن يقصد به بيان الحق وهداية الخلق دون التشفي والانتقام . وذكر أن الكلام في هذا مبني على مسألتين و بين ذلك بما نصه :

(أحدهما) أن الذنب لا يوجب كفر صاحبه كما تقوله الخوارج ، بل ولا يتخذ في النار ومنع الشفاعة فيه كما تقوله المعتزلة .

(الثانية) أن المتأول الذي قصد متابعة الرسول لا يكفر ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية . وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفروا المخطئين فيها . وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين إجماعا بحسان ولا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم (فيها) كالخوارج والمعتزلة والجهمية ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة ك بعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم . وقد يسلكون في التكفير ذلك فمنهم من يكفر أهل البدع مطلقا ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه من أهل البدع . وهذا بعبارة قول الخوارج والمعتزلة والجهمية . وهذا القول أيضا لا يوجد في طائفة من أصحاب الأئمة الأربعة ولا غيرهم وإيس فيهم من كفر كل مبتدع ، بل المتقوليات الصريحة عنهم تناقض ذلك

ولكن قد ينقل عن أحدكم أنه كفر من قل بعض الأقوال ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر ولا يازم إذا كان القول كفرا أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل^(١) قال ثبت الكفر في حق الشخص المعلن كثبوت الوعيد في الزمجرة في (١) لعل الأصل ولو مع الجهل والتأويل

حده وذلك له شروط وموانع كما بسطنا في موضعه . وإذا لم يكونوا في نفس الامر كفارا لم يكونوا منافقين ، فيكونون من المؤمنين فيستغفر لهم ويرحم عليهم . وإذا قل السلم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) يقصد كل من سبقه من قرون الامة بالإيمان وإن كان قد أخطأ في تأويل تأويله خالف السنة أو أذنب ذنبا قلته من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان فدخل في السوم وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة فله ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارا بل مؤمنين فيهم ضلال وذنب يستحقون به العبد كما يستحقه عبادة المؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الاسلام بل جعلهم من أمته ولم يزل اتهم بخلدون في النار

فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته فإن كثيرا من المنتسبين الى السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج . وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب وغيره لم يكفروا الخوارج الذين قتلهم بل أول ما خرجوا عليه ونهبوا وجرروا وخرجوا عن الطاعة والجماعة قال لهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إن لكم علينا أن لا تعصمكم من مساجدتنا ولا حقكم من النبي ثم أرسل اليهم ابن عباس فأنظرهم فخرج نحو نصفهم ثم قاتل الباقي وغلبهم ومع هذا لم يسب لهم ذرية ولا حقهم لم مالا ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كسيلة الكذاب وأمثاله بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة ولم ينكر أحد من علي ذلك . فلم اتفق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين من دين الاسلام

قال الامام محمد بن نصر المروزي وقد ولي علي رضي الله عنه قال أهل النبي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ما روى وسام مؤمنين وحكم فيهم بأحكام المؤمنين وكذلك عمار بن ياسر وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحاق بن راهويه حدثنا يحيى بن آدم عن مفضل بن مهمل عن الشيباني عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب قال كنت عند علي حين فرغ من قتل أهل التبريدان فقبل له أشركون ثم قال من أشرك فراه قيل فقتلهم قال لا يذكرون الله لا قليلا . قيل فاهم قال قوم بنا علينا فقتلهم . وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحق حدثنا

وكيع من مسمر عن عامر بن شبيب عن أبي وائل قال قال رجل: من دعي إلى البغلة
الشبهاء يوم قتل المشركون؟ فقال علي من الشرك فروا. قال المنافقون. قال إن المنافقين
لا يذكر الله إلا قليلا. قال فاهم؟ قال قوم بنوا علينا قاتلناهم فنهضنا عليهم.
قال اسحق حدثنا وكيع عن أبي خاله عن حكيم بن جابر قال قالوا لعل حين قتل
أهل النهر وان أشركون هم؟ قال من الشرك فروا. قيل ففققون؟ قال المنافقون
لا يذكر الله إلا قليلا. قيل فاهم؟ قال قوم حاربونا فغار بناهم وقتلونا قاتلناهم
(قلت) الحديث الأول وهذا الحديث ضريحان في أن عليا قال هذا القول في
انطوارج الخروية أهل النهر وان الذين استفاضت الأحاديث الصحيحة عن النبي
صلى الله عليه وسلم في ذمهم والامر بقتلهم، وهم يكفرون فبأن عليا ومن تولاها
فمن لم يكن معهم كان عندهم كافرا ودارهم دار كفر، فانما دار الاسلام هدم هي
دارهم. قال الأشعري وغيره: اجتمعت الخوارج على تكفير علي بن أبي طالب رضي
الله عنه ومع هذا علي قاتلهم لما بدأوه بالقتال فقتلوا عند الله بن خباب وطلب علي
منهم قاتله، فقالوا كنا قتلناه وأغاروا على ماشية قتلنا الناس ولهذا قال فيهم قوم قاتلنا
قاتلناهم وحاربونا فغار بناهم، وقال قوم بنوا علينا قاتلناهم

وقد اتفق الصحابة والعلماء بدمهم على قتال هؤلاء فانهم بذاة على جميع المسلمين
سوى من وافقهم على مذهبهم. وهم يبدون المسلمين بالقتال ولا يندفم شرهم الا
بالقتال فكانوا أضر على المسلمين من قطاع الطريق. فان أولئك انما مقصودهم المال
فلو اعطوه لم يقاتلوا وانما يتعرضون لبعض الناس وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين
حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة واجماع الصحابة الى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم
الباطل وفهمهم الفاسد للقرآن. ومع هذا فقد صرح علي رضي عنه بانهم مؤمنون
ليسوا كفارا ولا منساقين. وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس كابي اسحق
الاسفرائيني ومن تبعه يقولون لا تكفروا الا من يكفروا. فان الكفر ليس حقاهم بل
هو حق الله وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب عليه ولا (إن) ينقل الفاحشة
بأهل من قبل الناحية بأهل بل ولو استكرهه وجعل على امرأته لم يكن له أن يستكرهه
على ذلك؛ ولو قتله بتجريح خمر أو تلوط لم يجز قتله بمثل ذلك، لان هذا حرام لمحق

الله تعالى. ولرسب النصارى نبينا لم يكن لنا أن نسب المسيح، والرافضة اذا كفروا
أبا بكر وعمر فليس لنا أن نكفر عليا. وحديث أبي وائل يوافق ذينك الحديتين
فالظاهر انه كان يوم النهروان أيضا

وقد روي عنه في أهل الجبل رصنين قول أحد من هذا، قال اسحاق بن راهويه
حدثنا ابو نعيم حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن محمد بن عيسى قال سمع علي يوم الجبل ويوم
صفين رجلا يقول في القول فقال لا تقولوا الا خيرا انما هم قوم زعموا انا بغينا عليهم
وزعمنا انهم بنوا علينا فقاتلناهم، فذكر لابي جعفر انه أخذ منهم السلاح فقال ما كان
أغناء من ذلك. وقال محمد بن نصر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن خالد
حدثنا محمد بن راشد عن مكحول أن أصحاب علي سألوه عن قتل من أصحاب
معاوية: ما هم؟ قال هم المؤمنون، وبه قال أحمد بن خالد. حدثنا عبد العزيز بن
أبي سلمة عن عبد الواحد بن أبي عون قال مر علي - وهو متكئ على الأشر - على قتل
صفين فاذا حابس الجاني مقتول فقال الأشر: أنا لله وأنا اليه راجعون هذا حابس
الجباني معهم يا أمير المؤمنين عليه علامة معاوية أما والله لقد هدته مؤمنا، قال
علي والآن هو مؤمن، قال وكان حابس رجلا من أهل اليمن من أهل البادية
والاجتهاد. قال محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبيد حدثنا مختار بن نافع عن أبي مطر
(قال) قال علي: متى ينبعث أشقاها؟ قيل من أشقاها؟ قال الذي يقتلني. ففصر به ابن ملجم
بالسيف فوق برأس علي رضي الله عنه وهم المسلمون يقتله فقال لا تقتلوا الرجل فان
برئت فأتلجروح قصاص وان مت فاقتلوه، فقال ذلك ميت، قال وما يدريك؟ قال كان
سيفي مسموما - وبه قال محمد بن عبيد: حدثنا الحسن وهو ابن الحكم النخعي عن رياح
بن الحارث قال: انا لبواذ وان ركبني لشكاد خمس ركة عمار بن ياسر اذا قبل رجل
فقال كفر والله أهل الشام، فقال عمار لا تزل ذلك فقبلتنا واحدة وثبتنا واحدة، ولكنهم
قوم مقتونون فحق علينا قتالهم حتى يرجعوا الى الحق - وبه قال ابن يحيى حدثنا قبيصة
حدثنا سفيان عن الحسن بن الحكم عن رياح بن الحارث عن عمار بن ياسر قال: دينا
واحد وقبلتنا واحدة ودعوتنا واحدة ولكنهم قوم بنوا علينا فقاتلناهم. قال ابن يحيى
حدثنا يعلى حدثنا مسهر عن عبد الله بن رياح عن رياح بن الحارث قال قال عمار

ابن ياسر: لا تقولوا كفر أهل الشام، قولوا فـتـوا قولوا غادوا. قال محمد بن نصر وهذا يدل على أن الخبر الذي روي عن عمار بن ياسر أنه قال لعثمان بن عفان: هو كافر. خبر باطل لا يصح لأنه إذا انكر كفر أصحاب معاوية وهم إنما كانوا يظهرون أنهم يقاتلون في دم عثمان فهو لفكبر عثمان أشد انكارا (قلت) والمروي في حديث عمار أنه لما قال ذلك انكر عليه علي رضي الله عنه وقال أتكفر برب آمن به عثمان وحديثه بما يبين بطلان ذلك القول فيكون عمار إن كان قال ذلك متأولا قد رجع عنه حين نبين له أنه قول باطل

ومما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة كانوا يصلون خلف نجيذة الحروري وكانوا أيضا يحدوثونهم ويفتنونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم كما كان عبد الله بن عباس يوجب نجيذة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل وحديثه في البخاري؛ وكما أجاب نافع ابن الأزرق عن مسائل مشهورة وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يناظر المسلمان. وما زالت سيرة المسلمين على هذا ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق رضي الله عنه هذا مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم في الأحاديث الصحيحة وما روي من أنهم شر قتلى تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه في الحديث الذي رواه أبو أمامة رواه الترمذي وغيره أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم فإنهم لم يكن أحد شرًا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم مكفرين لهم وكانوا متديبين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة ومع هذا فالصحابة والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل بل اتقوا الله فيهم وساروا فيهم السيرة العادلة. وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم فن كفر الثنيتين والسبعين فرقة كما هم فقد خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان مع أن حديث الثنيتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين وقد ضمه ابن حزم وغيره نكح الله غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره وقد رواه أهل السنن. وروى من طرق وليس قوله

«ثنان وسبحون في النار وواحدة في الجنة» أعظم من قوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيهلون سميرا) وقوله (ومن يفعل ذلك عدوانا
وظاهارا سوف نصله نارا وكان ذلك على الله يسيرا) وأمثال ذلك من النصوص الصريحة
بدخول من فعل ذلك النار ومع هذا فلا نشهد لمعين بالنار لأن مكانه تاب أو كانت
له حبات تحت سياطه أو كره الله عنه بمصائب أو غير ذلك كما تقدم بل المؤمن بالله
ورسوله بالظن وظاهرا الذي قصد اتباع الحق وما جاء به الرسول إذا اخطأ ولم يعرف
الحق كان أولى أن يعذره الله في الآخرة من التمسد العالم بالذنوب، فإن هذا هاهنا
مستحق للعذاب بلا ريب، وأما ذلك فليس متعمدا للذنوب، بل هو مخطئ والله قد
تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والذيان والعقوبة في الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين
وإن كان في الآخرة خيرا ممن لم يعاقب، كما يعاقب المسلم المتعدي للحدود ولا يعاقب
أهل الذمة من اليهود والنصارى والمسلم في الآخرة خير منهم

وأیضا فصاحب البدعة يتقى صاحب هوى يعمل لهواه لا ديانة، ويصد عن
الحق الذي يخالف هواه، فهذا يعاقبه الله على هواه ومثل هذا يستحق العقوبة في
الدنيا والآخرة، ومن فسق من السلف الخوارج ونحوهم كما روي عن سعد بن أبي وقاص
انه قال (نزل) فيهم قوله تعالى (وما يفضل به الا الفاسقين) الذين يتفوضون عهد الله من
بدميثاقه وبيعة طعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون)
فقد يكون هذا قصده، لاسيما إذا تفرق الناس فكان منهم من يطلب الرياسة له
ولا صحابه، وإذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء، وذلك
ليس في سبيل الله فكيف يأهل البدع الذين يخاصون ويقاتلون عليها؟ فانهم يفعلون
ذلك شجاعة وحمية، وربما يعاقبون لما اتبعوا أهوائهم بغير هدى من الله لا مجرد الخطأ
الذي اجتهدوا فيه، ولهذا قال الشافعي: لأن أنكاح في علم يقال لي فيه أنطأ، أحب
لي من أن أنكاح في علم يقال لي فيه كفرت

فإن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا، ومن مداح أهل العلم انهم يخطئون
ولا يكفرون. وسبب ذلك ان أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفرا، وقد يكون كفرا
لانه تجهل انه تكذيب للرسول وسب للخالق والآخر لم يقين له ذلك، فلا يلزم

إذا كان هذا العالم بحاله يكفر^١ إذا قاله إن يكفر من لم يعلم بحاله
والناس لهم فيما يجعلونه كفرا طرق متعددة فمنهم من يقول الكفر تكذيب ما علم
بالاضطرار من دين الرسول ، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك . ومنهم
من يقول الكفر هو الجهل بالله ، ثم قد يجعل الجهل بالصفة كالجهل بالوصف وقد لا يجعله ،
وهم يختلفون في الصفات نفيا وإثباتا . ومنهم من لا يحده محمد بل كل ما تبين أنه
تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر جملة كفرا —
إلى طرق أخرى . ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة فتكذيب الرسول كفر .
وبخضه وسبه وعدلونه مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم
بإحسان وأئمة العلم وسائر الطوائف إلا الجهم ومن واقفه كالأصمعي والاشعري
وبغيرهم فاتهم قالوا هذا كفر في الظاهر وأما في الباطن فلا يكون كفرا إلا إذا
لمستلزم الجول بحيث لا يبقى في القلب شيء من التصديق بالرب ، وعذابناه على أن
الإيمان في القلب لا يتفاضل ولا يكون في القلب بعض من الإيمان . وهو خلاف
النصوص الصريحة وخلاف الواقع ، وليسط هذا موضع آخر .

والمقصود هنا أن كل من تاب من أهل البدع تاب الله عليه وإذا كان الذنب
متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله فيجب على الإنسان أن يكون في هذا قاصدا
لوجه الله متبعا لرسوله ليكون عمله خالصا صوابا ، قال تعالى (وقولوا لن يدخل الجنة
الذين كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .
إلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
وقال تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً
واتخذ الله إبراهيم خليلاً) قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية أخلص دينه وعمله
لله فهو محسن في عمله . وقال الفراء في قوله (قتل أسلمت وجهي لله) أخلصت عملي
وقال الزجاج قصدت بعبادتي إلى الله وهو كما قالوا كما ذكر توجيهه في موضع آخر ،
وهذا المعنى يدور عليه القرآن فإن الله تعالى أمر أن لا يبذلوا آيائه وعبادته فعل ما أمر
وبارك ما حظرك ، والاول هو إخلاص الدين والعمل لله ، والثاني هو الإحسان والعمل

الصالح، ولهذا كان عمر يقول في دعائه: اللهم اجعل علي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا. وهذا هو الخالص الصواب كما قال الفضيل بن عياض في قوله (ليلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخا صه وأصو به، قالوا يا أبا علي ما أخا صه وأصو به؟ قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة، والامر بالسنة والنهي عن البدعة هما أمر بمعروف ونهي عن منكر وهو من أفضل الاعمال الصالحة فيجب أن يتنهي به وجه الله وأن يكون مطابقا للامر، وفي الحديث «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغي أن يكون عالما بما أمر به عالما بما ينهى عنه رفيقا بما أمر به رفيقا بما ينهى عنه حليما فيما أمر به حليما فيما ينهى عنه» (١) فالعلم قبل الامر والرفق مع الامر والحلم مع الامر فان لم يكن عالما لم يكن له أن يقفو ما ليس له به علم، وإن كان عالما ولم يكن رفيقا كان كالطبيب الذي لارفق فيه فيغلط على المريض فلا يقبل منه، وكالطبيب الذي لا يقبل منه الولد وقد قال الله تعالى لموسى وهارون (قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) ثم إذا أمر أو نهى فلا بد أن يؤذى في العادة فعليه أن يصبر ويحلم كما قال تعالى (وأمر بالمعروف وأمر المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) وقد أمر الله نبيه بالصبر

(١) المتار: قوله وفي الحديث الخ لم أر الحديث بهذا اللفظ في شيء من دواوين السنة ولا فما جمع منها ككثر العمال والمصنف بحر واسع. وفي معناه حديث «من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف» رواه البيهقي في شعب الايمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفي سننه سالم بن ميمون الخواص ضعيف لا ينجح به ولا يكتب حديثه رواه عن الثوري بن الصباح الفارسي وهو ضعيف مختلف فيه قال الامام أحمد لا يسوي حديثه شيئا. وقال ابن معين رجل صالح يكتب حديثه ولا يترك. لكن رواه الديلمي من حديث أبان عن أنس مرفوعا بلفظ «لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى تكون فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى عدل فما يأمر عدل فما ينهى» وذكر في الاحياء للقرظي «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا رفيق بما يأمر به رفيق بما ينهى عنه حليم بما ينهى عنه قتيه بما يأمر به قتيه بما ينهى عنه» قال الحافظ العراقي لم أجده هكذا. وذكر حديث البيهقي

على اذى المشركين في غير موضع وهو امام الامرين بالمعروف والنهي عن المنكر، فان الانسان عليه أولاً ان يكون امره لله وقصد طاعة الله فيما امر به وهو يحب صلاح المأمور واقامة الحجّة عليه فان فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك خطيئة لا يقبله الله وكذلك اذا فعل ذلك لطلب السعة والرياء كان عمله حابطاً. ثم اذا رد عليه ذلك أو اؤذي أو نسب الى أنه مخطف أو غرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه وربما اعتدى على ذلك المؤذي، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة اذا كان كل منهم يمتد أن الحق معه وأنه على السنة فان أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم ورياستهم وما نسب اليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله، بل ينفذون على من خالفهم وان كان مجتهداً متدوراً لا يغضب الله عليه؛ ويرضون ممن كان يوافقهم وان كان جاهلاً سيئ التقدليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا الى أن يحمدا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصيروا لهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله. وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون الا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا وبلغة المثل هذا « بال » هذا « باغي » لا ينظرون الى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) فاذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة، وأصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله والموالاة لله والمعاداة لله والعباداة لله والاستعانة بالله والخوف من الله والرجاء لله والمنع لله والاعطاء لله، وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ونهيه نهي الله ومعاداته معاداة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله. وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله بل يرضى اذا حصل ما يرضاه بهواه ويغضب اذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين ان الذي يرضى له ويغضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين، فاذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الاسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا

(١٠١١: ٢) (١٧) (الجزء الثاني: ١٠١١: ٢)

بل قصد الحمية لنفسه وطاقته أو الرياء ليعظم هو ويثني عليه أو فعل ذلك شجاعة وطمعاً أو لفرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن بما هو في سبيل الله فكيف اذا كان الذي يدعى الحق أو السنة هو كنفيره منه حق وباطل وسنة وبدعة وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شعيباً وكفر بعضهم بعضاً وفق بعضهم بعضاً ولهذا قال تعالى فيهم (وما تفرق الدين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة * وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة) فاختلَفوا (١) كما في سورة يونس (١) وكذلك في قراءة بعض الصحابة وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين أنهم كانوا على دين الاسلام وفي تفسير ابن عطية عن ابن عباس أنهم كانوا على الكفر وهذا ليس بشيء وتفسير ابن عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس بل قد ثبت عنه أنه قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وقد قال في سورة يونس (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلَفوا) فذهبهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فعلم أنه كان حقاً والاختلاف في كتاب الله على وجهين (أحدهما) أن يكون كله مذموماً كقوله (وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) والثاني أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل كقوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ماقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) لكن اذا أطلق الاختلاف فالجميع مذموم كقوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وقول النبي صلى الله عليه وسلم «انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤلهم واختلافهم على انبيائهم» ولهذا فسروا الاختلاف في هذا الموضع بأنه كله مذموم، قال الزهراء في اختلافهم وجهان

(١) يوشك ان يكون قد سقط من هنا شيء ولو لبعض آية البقرة التي أورد جملة منها وهي (كان الناس أمة واحدة) وبعده (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) أي كان مبثهم بعد الاختلاف الذي سرح به آية يونس وسيدكرها وفي قراءة ابي ابن كعب الذي أمار اليه المصنف بقوله بعض الصحابة ولعله قصد بها التفسير (٢) لعل أصله تفسير الجمهور أي للامة الواحدة

(أحدهما) كثر بعضهم بكتاب بعض (والثاني) تبديل ما بدلوا، وهو كما قال، فإن المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع الآخر ويصدق بالباطل الذي معه وهو تبديل ما بدل، فالاختلاف لابد أن يجمع النوعين ولهذا ذكر كل من السلف أنواعاً من هذا (ثم قال المؤلف بعد ذكر ستة أنواع من اختلاف أهل الكتاب حذفناها للاختصار مانصه)

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط (١) فالخارجي يقول ليس الشيعي على شيء والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء، والقدري النافي يقول ليس الميثب على شيء والقدري الجبري الميثب يقول ليس القدري النافي على شيء والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء. بل يوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الأصولية والفرعية المنتسبين إلى السنة فالكلابي يقول ليس الكرامي على شيء، والكرامي يقول ليس الكلابي على شيء، والاشعري يقول ليس السالمي على شيء والسالمي يقول ليس الأشعري على شيء وصنف السالمي كأبي علي الأهوازي كتاباً في مثالب الأشعري وصنف الأشعري كتاباً في عساكر كتاباً يناقض ذلك من كل وجه، وذكر فيه مثالب السالمية، وكذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرها لاسيما وكثير منهم تلبس ببعض المقالات الأصولية وخلط هذا بهذا، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب مالك والشافعي وأحمد شيئاً من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك ويضيفه إلى مذهب مالك والشافعي وأحمد، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئاً من أصول المعتزلة والكرامية والكلابية ويضيفه إلى مذهب أبي حنيفة. وهذا من جنس الرفض والتشيع ولكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والعلماء لانتشيع في تفضيل بعض الصحابة

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله بذكر على ذلك واتباعه أين وجده ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة فلا فلا ينتصر لشخص اتصفاً مطلقاً عاماً إلا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الطائفة انصافاً مطلقاً عاماً إلا للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فإن الهدى

(١) يريد النمط الأخير الذي حكاه الله تعالى في قوله عنهم (والت اليهود ليست النصراني على شيء) وقالت النصراني ليست اليهود على شيء

يدور مع الرسول حيث دار ويدور معه أصحابه دون أصحاب غير حيث داروا، فإذا اجتمعوا لم يجتمعوا على خطأ قط بخلاف أصحاب عالم من العلماء فانهم قد يجتمعون على خطأ بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون الا خطأ فان الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلماً الى عالم واحد وأصحابه ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شبيهه بقول الرافضة في الامام المصوم، ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنسب اليهم المذاهب في الاصول والفروع ويمتنع أن يكون هؤلاء جاؤا بحق يخالف ما جاء به الرسول فان كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لم باحسان فان أولئك لم يجتمعوا على ضلالة فلا بد أن يكون قوله ان كان حقاً مأخوذاً عما جاء به الرسول موجوداً فيمن قبله وكل قول قيل في دين الاسلام مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه فانه قول باطل

والمقصود هنا ان الله تعالى ذكر ان المختلفين جامعهم البينة وجاءهم العلم وانما اختلفوا بقيا ولهذا ذمهم الله وعاقبهم فانهم لم يكونوا يجتهدون مخطئين، بل كانوا قاصدين البني عالمين بالحق معرضين عن القول وعن العمل به، ونظير هذا قوله (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) قال الزجاج اختلفوا للبني لا لقصد البرهان. وقال تعالى (ولقد بواؤنا بني اسرائيل مبواً صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) وقال تعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين) وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة) فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبينات فاختلفوا للبني والظلم، لا لاجل اشتباه الحق بالباطل عليهم. وهذه حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم لا يختلفون الا من بعد أن يظهر لهم الحق ويحييهم العلم فيبني بعضهم على بعض. (للبحث بقية)

دعوة عرب الجزيرة العربية الى اوحدة والاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا. وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَلَا تَسْكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ. وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

ثبت في القرآن المجيد ثم في التواريخ التي دونها عليه العرب وغيرهم من الامم قديما وحديثا ومن الماديات (الاثار القديمة) التي اكتشفت في أقطار غتلة أن العرب من أقدم أمم الارض حضارة وعمرانا ورسلا وشرائع حتى انهم استعمروا أقدم البلاد مدنية كعصر وسورية والعراق ، فلههم في حضارة القراعنة والفينيقيين والسككديانيين البرق الراسخ ، والمجد الشامخ ، فان لم تكن تلك الامم فروعا منهم ، فلها وشائج أرحام مشبكه بهم ، من قبل أن مزجها الاسلام بهم في الدين واللغة والنسب بألوف السنين .

فمن ذلك ما حكاها في القرآن المجيد عن قوم عاد (ارم ذات العماد ، التي لم يخلق منها في البلاد) كقول نبينهم هود في ميانهم وقوتهم (أتنبئون بكل رب آية تعبثون) وتتخذون مصانع لعلكم تغفلون . واذا بطلتم بطشتم جبارين) وقوله في نسلهم وزرعهم وضرعهم (أمدكم بأنعام وبنين) وجنات وغيون) وبيانهم ان هذه النعم يزيدوا الرجوع الى الله بالايمان وترك المعاصي نماء وقوة

(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويردكم قوة الى قوتكم) وما حكاها عن نمود وقول رسولهم صالح لهم في تذكيره بنعم الله عليهم (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه) وقوله (أتتركون فيها ههنا آمنين * في جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم * وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وما قصه لنا عن سبأ في سورتها كجنتهم من العيين والشمال ، واتصالها بالقرى المباركة في أرض الشام ، ونظام السير المقدر بالاوقات وحفظ الامن فيها بالعدل والنظام ، وذلك قوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) وناهيككم بقصة ملكتهم مع نبي الله سليمان ، وكونها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك في ذلك الزمان ، مع القوة والحكم بالشورى دون الاستبداد

ومن ذلك ما أثبتته الدين اكتشفوا آثار الكلدانيين في العراق وشريعة ملكهم حمورابي من كون شريعتهم عربية ودولتهم عربية ، وهذا الملك كان كان يسمى ملك البر والسلام ، وفي سفر التكوين من أسفار التوراة ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أعطاه العشور اذ كان من رعيته وانه بارك ابراهيم . فدل هذا على ان ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله كان عربيا أيضا

ومن ذلك ما اكتشفه أحمد بك كمال العالم الاثري المصري من امتزاج اللغة المصرية القديمة (المهيروغليفية) باللغة العربية الدال على أحد أمرين اما أن العرب وقدماء المصريين من عرق واحد ، واما أن العرب قد استعمر وامصر وحكموا فيها قبل دولة الرعاة العربية المعروف خبرها في تاريخ مصر فكان للغتهم الاثر الخالد في لغتها هذا المانع تاريخي وجيز لمدينة العرب وقوتهم وعمرانهم في التاريخ القديم منذ ألوف السنين وان في لغتهم الغنية الراقية الواسعة دلائل أخرى على ذلك متعددة المناهج واضحة المسالك

قد ضعفت الامة العربية بعد تلك القوة ، وبدت بعد تلك الحضارة ، وخرب معظم بلادها بعد ذلك العمران ، وغلبت عليها الامية ، وكادت تعمها الجاهلية الوثنية ، (فكان من قرية أهلكنها وهي ظالمه في خاوية على عروشها وبئر ممطلة وقصر مشيد * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وصم على هذا الضعف قرون وتماعت عليه أجيال ، حتى ظن النانون أن هذه

الامة هزمت وقاربت الزوال ، فلا تقوم لها قائمة ولا يتجدد لها شباب ،
 ثم جاء الاسلام لجمع شملها بعد فرقة وشتات : والف بين قلوب قبائلها
 وأفرادها بعد عدواة تأرست بها الاضغان وتحكمت فيها الثارات ، وأخرجهامن
 ظلمات الجاهلية والامية . الى نور تعلم والحكمة والنظام والمدنية ، وجعل لها
 المكاة الاولى بين أمن الارض في السيادة والرياسة ، والكلمة العليا في الحكم
 والسياسة ، فورنت ملك القياصرة والاكسرة في الشرق ، وامتد سلطانها في
 القرن الاول من حدود الهند الى المحيط الغربي وهو آخر ما كان يعرف من
 الياسة في الغرب ، وأحت في هذه الممالك الواسعة العلوم والفنون وركت
 الصناعة والزراعة ، وسلكت السبل الجديدة للتجارة . فسادت شريعتهما جميع
 الشرائع ، وعلت لغتهما جميع اللغات ، وفاقت آدابها جميع الآداب
 ولكن حفظ جزيرتها من هذا العمران كان قليلا ، ثم دب اليها الخراب وعاد
 أكثر أهلها الى البداوة والامية والجاهلية أو ما يقرب منها . بل صاروا دون
 الجاهلية في بعض الصفات والمزايا حتى اللغة ، فأتى لبدو الجزيرة وحضرها في
 هذا العصر بما يقرب من تلك المكاة العليا في النعاسة والبلاغة التي جعلت
 لكتاب الله المعجز تلك المكاة من عظمهم وقوتهم ، حتى ان كان أحدهم ليسع
 السورة أو الآية منه فيخرج ساجدا ، وتتحول عقائده وأخلاقه وعاداته
 بهدايته الى ضدها

عاد أهل الجزيرة الى جاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض بعد ألف الاسلام
 بينهم فكانوا بنعمة الله اخوانا ، ويرزق قوتهم بسلب ضيعتهم بعد كانوا يؤثرون
 على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفرقوا دينهم فصاروا شيعة تكفر كل شيعة
 منهم الاخرى أو نفسها بعد تلك الوحدة المغلقة ، جاهلين أو غافلين عن قول
 ربهم رسولهم صلى الله عليه وسلم (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعة لست
 منهم في شيء) وما في معناه من الآيات والاحاديث .

ان هداية القرآن هي التي جمعت كلمة العرب على ما كان من تفرقهم وتماديهم
 في الجاهلية ، وهي التي جعلتهم أمة الامم في العلم والحكم والآداب والعدل
 في اثر اخر اجهم من تلك الامية ، وما أصابهم ما أصابهم بعد ذلك من التفرق
 بالتمادي والجهل وال فقر الا بتركها ، ولن تعود اليهم تلك النعم الا بعودهم
 اليها ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولكن وحي شياطين

التفريق . قد زين بزخرف القول لكل فريق ، ان كل شعبة تجميعها راى . مذهب فانما الواجب عليها ان تعمل بقول علمائه وحكامه ، ولا يجوز لها ان تهتدي بكتاب الله وسنة رسوله ، وان اختلفوا في الرأي ، وتنازعوا في الامر خلافا لقوله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) وشبهتها . هذه المخالفة أن الاهتداء بكتاب الله المنزل ، فتح لباب الاجتهاد المقفل فاختلوا في أصل الاهتداء بالكتاب ، الذي أنزله الله تعالى لازالة الاختلاف من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

ان الله تعالى أرسل رسله لهداية خلقه (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بهن الناس فيها اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بني بينهم) فكيف يؤخذ بقول العلماء أو الامراء الذين يبنون بعضهم على بعض ، فيما تنازعوا واختلفوا فيه من الامر اذ لم يرجعوا الى الاصل الجامع ، ويحكموه في الخلاف الواقع ، وهو يقول (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ثم يعلل ذلك تليلا ، بقوله (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي أحسن حاقبة وما لا من كل ما عدها فكيف لا يكون خيرا من اتباع أهوائهم ، في تحكم آرائهم ، والرد الى أقوال زعمائهم وعلمائهم ، على أن هذا الرد الى كتاب الله وسنة رسوله وذلك الاهتداء بهما ، لا يستلزمان الاجتهاد الاصولي المطلق الذي أقبلوا بابه ، فقد كان عوام السلف الصالح مهتدين بهما ولم يكن كل واحد منهم اماما مجتهدا في استنباط جميع الاحكام ، كانتهم المشهورين وعلمائهم الاعلام

نعم ان الشيخ محمد عبد الوهاب قد جدد دعوة الدين في بقاع نجد ، فرجع الاولوف بها عما كانوا عليه من الجاهلية والشرك ، ردت فتشرد دعوته في جميع جزيرة العرب التي يتعدى اصلاحها وجمع كلمتها بخير الدين ، ولو تم ذلك لتجدد أمر الاسلام في جميع أقطار المسلمين . ولكن حال دون ذلك فتنان (أولاهما) مقاومة السياسة لها ، والاخرى غلو الكثير من القائلين بها ، فالاولى اذاعة الساسة في العالم كله ان هذه دعوة ابتداء في الدين ، والاعلة أي درا هذه الاذاعة بما اشتهر عنهم من الغلو ولا سيما تكبير من هداهم من المسلمين ، ولهذا التهمة أصل ، وقد بينا الحقيقة في هذه

المسألة من قبل ، وغرضنا من الالمام بذكرها الآن ، بيان استمداد العرب للإصلاح .
والإصلاح بدعوة الإيمان ، إذا قام بهما من يدعو إليها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة
بالباقى هي أحسن كما أمر القرآن ، وتذكير الغلاة من المدينة بأن لا يغلو في دينهم ولا يقولوا
على الله إلا الحق ، ولا يحرموا ما لم يحرم الله ورسوله بالنص أو اقتضاء النص ، وإن
يعتبروا كل مخالف لمبدأة الدين بالتأول أو الجهل ، ويمتدوا في بث الدعوة على
نشر العلم والعمل به على قاعدة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وإن
لا يكتفروا أحدا من أهل القبلة بذنب ، وإن يفرقوا بين الجهل بشيء مما يجب
الإيمان به عن جهل وإن عد بعضه الفقهاء كفرا ردة ، وكفر العناد وتكذيب الرسول
الذي كان عليه مشركو الجاهلية في زمن البعثة . فإذا علموا هذا وعملوا به لانتبت البهجة
إن تهم الجزيرة وفقيرها وبسقط كل من يعارضها حرصا على الزهامة وحب الرياسة .
هذا وإن لما أصاب الجزيرة من الشقاق والشقاء شيئا أصيلا وراء الخلاف
الديني البني ، وهو حب الرياسة وعلو بعض الزعماء على بعض ، وبسبب عارضين وهما الجهل
والفقر ، وإزالة السيئين المراضين من الأمور النكسية القرية المثال ، وإنما الشقاء كل الشقاء
في الشقاق الناشئ عن حب الرياسة والعلو وخطره والنذر بالهلاك والزوال
إن في بلاد العرب من ينايم الثروة ما يكفي لجعل أهلها من أغنى شعوب
الأرض كعمادان الذهب والحديد والحجارة الكريمة والأصلاح والزيتون المعدنية وغير
ذلك ، وفي كثير من أرضها قابلية لمصوب الزراعة يعز نظيره في غيرها ، وناهيك
بقهوة البن ونخيل المدينة وفاكهة الطائف ، وأهلها أركى الشعوب وأقواها استعدادا
للتجارة حتى إن عوام المضاربة قد زاحموا بها أرقى شعوب هذا المصر علما ونجربة
في بلاد الهند وجاوة ومصر ، فبقليل من العلم والنظام تدخل جزيرة العرب في حياة
جديدة من الثروة والعمران ، وتحفظ نفعا من الخطر المهدق بها الآن ، ولكن ذلك
يتوقف على إزالة العداء الذي طرأ على أئمتها في هذا الزمان

إذا زال الشقاق وأدبيل منه الاتفاق بين أئمة الدين والمجاز ونجد ، زال في
آثره ما منيت به البلاد من الجهل والفقر ، وما يتهددها من فقد الاستقلال والذل ،
وإذا حل بالجزيرة ماجده الله تعالى بسنته في البشر ، حقابا لازما لأهل النزاع والفشل ،
(المنار : ج ٢) (١٨) (المجلد الثاني والمشرور)

ينزل الاسلام ويزول سامطانه من رؤوس سائر الامم، وتكون تبعة ذلك على أمراء الجزيرة وأتقنها، وما يظن بأحد منهم انه يحسب أن بلاده بأمان من سيحارة الاجانب بقرتها، أو بخرها ودهورتها اذ لم يبق (فيها أخلن) منهم من يجهل أن الاجانب قد استولوا على ما هو مثله أو أشدها قوة، وألذع حرا وأصعب وعورة، على انه ليس مثله في كونه جزيرة أو شبه جزيرة، فهذه البلاد يمكن للدول البحرية حصرها من البحر، ومنع السلاح عنها وقطع موارد الرزق، ولا سيما اذا ثبتت سيطرتها على بلاد سورية والعراق، التي يسهل حصرها أيضا اذا هي نجت من تلك السيطرة ولتذكروا جسيما ما أوصى به النبي (ص) في مرض موته بشأن جزيرتهم، وحكمة ما أشار اليه من ان الاسلام سيأرز اليها كما تأرر الحية الى جحرها وتطبيق ذلك على ما صار اليه أمر المسلمين الآن ان بقاء عز الاسلام يتوقف على استقلال العرب واصلاح شؤونهم كما ثبت عندنا بالنظر الصحيح، المؤيد للحديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح، وهو: عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » ولا هن بنيران استقلال ولا استقلال الا بالقوة والمال، ولا قوة ولا ثروة، مع الشقاق والفرقة، وإنما الله كل القوة بالاهتمام والوحدة، فاذا اتحد أمراء الجزيرة وأمنتها حفظوا استقلالهم، وأمكنهم نشر العلم وتفجير بناييم الثروة في بلادهم، بمساعدة أهل البادية والقادر على تنظيم الادارة والقوة وتدير الثروة من أمنهم، وتساقت الشعوب الفنية القه الى موادهم أو مهائنهم، للاستفادة من قوتهم وثروتهم. بل هي على وشك الاختيار اليهم منذ الآن، لما بين غربي أوربة وشرقيها من المفاخرة والصدام، الذي يتوقف نتيجته ما يكون عليه الشرق من حكم ونظام، ولا سيما شعوب الاسلام، من العرب والترك والفرس والتتر والافغان

هذا ما أحكيه لهم عن رأي أهل البصرة والدين ، من عقلاء العرب وعلماء المسلمين ، الذين يتنفسون الصعداء حزنا ، ويحرقون الأرم غيظا واسفا ، كلما صرخ اسماءهم نبأ تقاتل أمة الجزيرة ، للتنازع على بعض الجبال والأودية^(١) مع خراب البلاد ، وقطر العباد ، اللذين يزيلهما الاتفاق والاتحاد ، ويزيدها الافتراق والجلاد ، وأنني بلسان صفوة المخلصين من عقلاء العرب وغيرهم من المسلمين ، أدعهم الى عقد الاتفاق والخلق بينهم على الأصول الآتية :

- (١) ابطال الحرب والغزو بين عرب الجزيرة بعضهم مع بعض وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصفة هدنة مؤقتة الى أن يوضع للبلاد نظام حلفي ثابت
- (٢) حفظ المالة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة في قسم الجزيرة باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها اليوم وترك مسائل الحدود الى مجلس التحكيم بحيث لا يمد اعتراف بعضهم باستقلال بعض متضمنا للرضا بالحدود المختلف عليها
- (٣) حرية المذاهب الدينية الموجودة في البلاد في التعليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد في مذهب غيره أو تكفير متبعيه بل يتبع في ذلك قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فلكل أحد أن يبين بالدليل أو بنصوص المذهب المتمددة أحكام الدين والكفر والجلال والحرام ولكن ليس له أن يلقها على طائفة معينة من أهل القبلة لان التطبيق له شروط ولا سيما في شأن الطوائف والجماعات التي تقبم الشماثر الاسلامية ، بل ليس لغير الحاكم الشرعي في الدعوى الشرعية أن يحكم بكفر شخص معين يدعي الاسلام ويقتله بذلك

(١) كميل سفل الذي يتنازل عليه صاهبا اليمن وعسير ودادي طرية التي يملكها
صاهبا الهجاز ونجد

كما ينقل عن بعض الفلاة في بئس البوادي فرب قائل قول أو فاعل عده بعض العلماء كفرا لدلالته عندهم على عدم تصديق الرسول وقائل القول أو فاعل الفعل من المؤمنين الموقنين ولكنه جاهل أو متأول ولو ظهر له الحق في المسألة لقبه مذهنا ورجع عما كان عليه تائبا مستغفرا

(٤) حرية التجارة وحفظ الامن في البلاد وتسهيل طرق المواصلات بينها وتظيم مصلحة البريد والبرق والمبادرة الى انشاء تفراف لاسلكي في البلاد ولا سيما عواصمها (د) ارسال كل حكومة معتمدا الى عاصمة الاخرى يكون وكلاهما عندها كما

هو المهود بين جميع الحكومات التي بينها عهود ولها مصالح في بلاد الاخرى (٦) بمد حصول هذه التهديدات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلقي يكون هو المرجع في حل جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها. واننا متى رأينا من أئمة الدين والمجاز ونجد شرعاً في تنفيذ هذا العمل الذي دعوا اليه جميعاً قبل أن تشد الحاجة اليه بوقوع الحرب العظمى وكثر الحديث فيه - فن عقلاء الأمة العربية في سائر البلاد وأهل القبرة من مسلمي الاعاجم يمدونهم بأرائهم السديدة ومساعدتهم الرشيدة في تنفيذ الاتفاق الحثيث ونظام مجلسه وسائر ما يحتاجون اليه في ذلك وفيما يترتب عليه من إيجاد وسائل البروة في البلاد فيأبى الا ائمة المتبعون في بلادكم انكم تعلمون انكم مسئولون عند الله تعالى عن كل ما يتعلق بأمر البلاد وأهلها، والملك لا تعلمون حق العلم قدر اهتمام شعبكم العربي في غير بلادكم واهتمام جميع عقلاء الشعوب الاسلامية الاخرى بأمركم وما يقولون عنكم كما بلنهم شيء من انباء اختلافكم وتقاتلكم. وما يشنون لكم من السعادة وحسن الحال الذي يدورونه من اسباب سعادتهم، وما يكبون اليوم في تاريخكم، مما ينشر قريباً في مصركم، مصححاً لما تنشره الجرائد عنكم، الا فاعلموا أن جميع العقلاء منهم ومن غيرهم يعلمون اننا لا نقبل ان تفاقم خيبر لكل منكم وان يقاء هذا الشقاق بينكم أكبر مصاب نايكم وعلى شعبكم وأمتكم ومستمكم (فقتوا الله واصحابوا ذات بينكم) ر - لام على من تبع الهدى، ورجع لمصلحة العامة هل الهوى

الخيال في الشعر العربي

يرتفع شأن الشعر وتقني لصاحبه بالبراعة والتفوق على غيره بمقدار ما يحرز من بناء محكم ومعنى بديع . وقد حقق فلاسفة الادب انظارهم الى الوجوه التي تملك بها الملماني شرف منزلتها وحسن طاعتها : أو تأخذ منها الالفاظ متباعدة نسجها وصفاً ديباجتها .

ومن أجل الفنون التي يرجع النظر فيها الى جهة المتي صناعة التخيل ، وهي النرض الذي جردت القلم للبحث عنه في هذه الصعائف متحريراً أسلوباً لا يشتكي منه القارئ طولاً ولا قصراً

' ولا ادعي أن هذا الفن مما ضل عن أولئك الفلاسفة فلم يرجعوا على مكانه ، أو ضعب عليهم مراره فلم يوصوه بفكر ثاقب وبيان فاضل ؛ فان كثيراً من علماء البلاغة قد ولوا وجوههم شطره حتى توغلو في طرائقه ، وكشفوا النقاب عن حقائقه ، ومن أهدم نفوذاً في مسالكه الغامضة واسلمهم ذوقاً في نقد معانيه وتعبير جبهها من رديتها الامام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي أمرار البلاغة ودلائل الاعجاز . وما كان لي سوى أن أعود الى مباحثه المنيوثة في فنون شتى فاستخلص بقدر ما سمح به الحال لبابها ، وأولف بين ما تقطع من أسبابها ، ولا تجديني أن شاء الله أحكي مقالهم دون أن أعقد بناصيته أو أبث خلاله أو أضع في ردفه جملاً تلبسه ثوباً قشياً أو نفع فيه روحاً كانت هادئة

الشعر

يعرف العربي في جاهليته كما عرف بعد أن نسل اليه العلم من كل حدب أن الكلام ينقسم الى شعر ونثر . والميزة المحسوسة لكل أحد أن الشاعر لا يمتحو عليك الالفاظ جزافاً مثلاً بفعل الدائر ، وإنما يلقبها البك في أوزان تزيد في روتها ، وتوفر اذنتك عند سماعها ، ومن هذا ذهب بعضهم في حد الشعر الى أنه كلام مقفى موزون . وهذا مثل من بشرح لك الانسان بأنه حيوان يادي البشرة منتصب القامة . فكل

ما قصر تعريفه على ما يدرك بالحاسة الطاهرة ، ولم يتجاوزوه الى المعنى الذي تقوم
الحقيقة ويكون مبدأ لِكَلَامِها ، وهو التخيل في الشعر والنطق في الانسان
فالروح التي يمد بها الكلام المنظوم في قبيل الشعراء هي التشابه والاستعارات
لامثال وغيرها من التصرفات التي يدخل لها الشاعر من باب التخيل . وليس
يُزَن سوى خاصة من خواص اللفظ المنظور اليها في مفهوم الشعر بحيث لا يسميه
رب شعرا الا عند تحققه ، واحلاق الشعر على الكلام الموزن اذا خلا من معنى
ستطرفه النفس لا يصح الا كما يصح لك أن تسمي جثة الميت انسانا ، أو تمثال
لميوان المقترس أسدا

والمنشور من الكلام يشارك الشعر في اشتماله على الصور الخيالية ولكن نصيب
شعر منها أوفره وهو بها أعرف ، كما يمتاز بأحد أنواع التخيل وهو مالا يتوخى به
ما حبه وجه الحقيقة ، وإنما يقصد به اختلاب العقول ومخادعة النفوس الى الثبث
فبحر حق يدعوك كما قال ابن الرومي الى أن تطوي جناحك على جذوة من الحقد
وما الحقد الا توأم الشكر في الفنى وبعض المزابا ينتسب الى بعض
فحيث ترى حقدا على ذي إساءة فثم ترى شكرا على واسمي القرض
وقال آخر — بزبن لك أن تدرج نفسك في كف النذل وتواربها في
حفرة من الحول

لقد بالحول وعذ بالذل ممتصيا بالله تنجو كما أهل النهى سلوا
فالريج تحطم ان هبت هواصفها دوح النمار وينجو الشيخ والرمم
ولاختصاص الشعر بهذا النوع من التخيل أطلق بعض المشركين من العرب
على الرسول صلى الله عليه وسلم اسم الشاعر ليلقوا في أوهام السذج أن كلامه من
نوع ما يصدر عن الشعراء من الأقوال الموهبة والخيالات الباطلة
فهم يملكون أن القرآن بري من التزوة التي عهد بها الشاعر وهي عرض الباطل
في لباس الحق ولأنه إنما ينطق بالحكمة ، ويمجاد بالحجة ، ولا يخفى عليهم أنه يخالف
الشعر في طريقته فلهذا كان لا شعره روضا يقف عنده ووزنا ينهي اليه ، والقرآن يصوغ
الموعظة وينطق بالحكمة بغير مبرزان ، ولكن ضافت عليهم مسائل الجدال وانسدت في

وجرحهم طرق المارضة ، فلم يبالوا أن يثبثوا بالدعوى التي يظهر بطلانها الاول وأي ، كما قالوا عنه انه مجنون ، وهم يشهدون في انفسهم انه ابلغهم قولاً واقوام حجة وأنطقهم بالحكمة

وأما الآيات التي وافقت بعض الاوزان فهي على سلامتها من بهرج النخبلات لأنجد الموافق منها للموزون قد استقل بنفسه وأفاد المعنى دون أن تصله بكلمات من الآيات السابقة أو اللاحقة ، والكلام المؤلف من الموزون وغير الموزون لا يصح لاحد أن يسببه شعراً ليقدر به في قوله تعالى (وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون)

التخييل عند علماء البلاغة

ينتقم التصرف في المعاني على ما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني الى تحقيق وتخييل ، والفارق بينهما أن المعنى الحقيقي ما يشهد له العقل بالاستقامة وتتصافر العقلاء من كل أمة على تقريره والعمل بموجبه كقول المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جواربه الدم

فمعنى هذا البيت مما تلقاه العقلاء بالقبول ، ووضموه بمقدمة ما ينافون فيه من الحكم البالغة ، وكذلك اتخذ الامراء الراشدون قاعدة يشدّون بها ظهر سياستهم ، ويستندون اليها في حماية شعوبهم ، ومن الذي يجهل أن حياة الامم إنما تنظم بالوقوف في وجه من يتهاфт به السفة على هدم شرفها والاستئثار بمقوقها ؟

والتخييلي هو الذي يردد العقل ، ويقضي بعدم انطباقه على الواقع ، اما على الهدية كقول بعضهم

لوم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عند منتطق

فكل احد يدرك لاول ما يطرق سمعه هذا البيت أن الكواكب لا تنوي ولا تأنطق ولا تتقدم ، وأن تلك النجوم المتناسقة في وسط الجوزاء مركبة فيها من قبل أن يصير المدوح شيئاً مذكوراً

أو بعد نظر قليل كقول أبي تمام

لاتكري عطل الكريم من الغنى فالليل حرب لا مكان العالي

نهى الحاشية في صدر البيت عن انكارها لفافة الكرم وفرغ يده من المسال
واخبر في المعجز بأن السبيل لا يستقر على الاماكن المرفقة . وهذا المعنى في نفسه
مصحح ولكن الغاء في قوله « فالسبيل حرب » افسحت بأن السبيل في عدم توفر طعام
الدنيا لدى الكرم هو كون الماء اذا وقع على الاماكن العالية لا يلبث أن ينحدر الى
ما انخفض عنها من وهاد وأغوار ، وهذا انما وصل الى الذهن بتخييل أن رفعة القدر
بمنزلة المكان المحمي وان المال بمنزلة الماء الدافق ينساق الى الرجل فيقضي منه وطره
ثم يرسله ان شاء الى بني الحاجات ، فيكون القول بأن مكانة الكرم لازقتها جعلت
المال يمر على يده ثم يطلق بالبدل والاتفاق يستند الى ان الماء لا يتجمع على ماصد
على وجه الارض من أكثت وهضاب ، وهذا القياس ضرب من التخييل لا يجوز في
المقل الا ربما ينظر الى ان السبيل في عدم استقرار الماء على الاماكن العالية كونه
جرما سيالا لا تنماسك اجزائه وتثبت في محل الا اذا أحاط بجوانبه جسم كثيف ،
وليس للدرام والدنانير هذه الطبيعة حتى يلزم أن تمر على يد الكرم ثم تصب منها
الى من كانوا ادنى منه منزلة

ويفهم من وجه التفرقة بين القسمين أن مجرد الاستعارة عندهم لا يدخل في
قسم التخييل وقد صرح الجرجاني بهذا في كتاب اسرار البلاغة ناظرا الى ان المستعير
لا يقصد الا اثبات معنى اللفظة المستعارة حتى يكون الكلام مما ينبوعه العقل وانما
يعمد الى اثبات شبه بين امرين في صفة، والشابه من المعاني التي لا يتازع العقل في صحتها
التخييل عند الفلاسفة

يقول الفلاسفة ان من بين القوى النفسية قوة تتصرف في صور المعلومات
بالتركيب تارة والتفصيل مرة أخرى ، ويسمونها فلاسفة العرب اذا لم تخرج عن
دائرة العقل مفكرة ، ويقال في عملها تفكر ، فان تصرفت بوجه لا يتطابق النظار
الصحيح سموها مخيلة ، ويقال في عملها تخيل أو تخييل . فثال ما يأخذ من
العقل مأخذ القبول قول القاضي عياض

انظر الى الزرع وخاماته تحكى وقد وات امام الرياح

كثيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

فالشاعر الغت الى ماني حافظه من العصور المناسبة لحياء زرع اخضر يتخلله

شقائق النعمان وقد أخذت الرياح تهب عليه من جانب فيميل الى آخر ميل إبراهيمي
للعين انه حركة يتنقل بها من مكانه ، فوق خياله على الجيش والملابس الخضراء
والجراحات التي تنال الجيش المقاتل فألف بينها ثم جعل صبره ادباراً وانهمازاً ليوافق
حالة جيش ظهرت فيه الجرحى بمقدار ما في المزارع الخضراء من شقائق النعمان
ومثال ما لا يثق به النظر ولا يدخل في حساب الاقوال القائمة على التحقيق

قول الشاعر

ترى الثياب من الكيان يلمحها نور من البدر أحياناً فييلها

فكيف تنكر أن نبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها

ابصر معاجر من يتحدث عنها وقد اخلقت لأقول ان يلتبس وجهها بجمل ذلك
الاخلاق من شواهد حسناتها أو بسد فم العاذل حتى لا يفض من شأنها، فتصور طلمة
القمر وانساق اليه ما يدور بين الناس من أن الثياب التي يمج عليها القمر أشعثه بسرع
اليها البلى ثم ادعى مبالغا في التشبيه أن وجهها قر وبنى على هذا أن تعجب ممن ينكر
تأثيره في معجراها بالاخلاق. ففي هذا التصرف ادعاء أن وجهها أقر وهذا بما يألوه العقل
لانه بمنزلة التشبيه ولا مفر له من قبوله متى تحقق الوجه الجامع بين طرفيه والمعنى الذي
للعقل أن يلتفت عنه انما هو دعوى ان معجراها أخلق بعله كونه مطلعا لوجهها المسمى
بالقمر على وجه المجاز

ماذا نريد من التخيل ؟

يهم من صريح المقالة الفلسفية أن المفكرة والخيلة ايمان لقوة واحدة وهي التي
تتصرف في المعلومات بالتفصيل والتركيب وأما تغير اسمها بحسب اختلاف الحال
فعند ما يكون زمامها بغير العقل بسمونها مفكرة وعندها تنقلب منه بسمونها تخيلة
واذا عرفت أن التمثيل والاستعارة من عمل هذه القوة باتفاق علماء النفس فهو
جري طائفة من الناس على اطلاق التخيل أو الخيال عند ما تتصرف هذه القوة
تصرفاً تصوغ به معنى مبتدعاً سواء أنس به العقل أو نجاى عنه لم يكونوا أصموا شيئاً
سوى تغيير الاصطلاح وادخال القسرين تحت اسم واحد

(المنار : ج ٢) (١٩) (المجلد الثاني والمثرون)

والإطلاق لفظ التخيل أو الخيال في صدد الحديث على المعاني الصادقة والتصورات العقلية لا يحيط من قيمتها أو يحسن حرمتها بقبضة من عباءة البلاغة انفسهم قد أطلقوه على ما يأتي به البليغ في الاستعارة المكنية من الأمور الخاصة بالمشبه به ويثبت للمشبه فقالوا الأظفار أو أضافها في قولك «أنشبت النبتة أظفارها» تخييل أو استعارة تخيلية وأطلقوه في الأحوال أو الوصل حين تكلموا على الخنازير بين الخنازير وتسموه إلى عقلي ووهمي وخيالي وأطلقوه في فن الديدع على تصوير ما يظهر في العيان بصورة المشاهدول يالوا في جميع ذلك ما كان ينبغي أن يكون لها أمثلة من الكتاب العزيز وغيره من الأقوال الصادقة فيسوغ لنا حينئذ أن نجاهد إلهام العصر وتوسع في معنى الخيال والتخييل ولا نقف عند اصطلاح القدماء من الفلاسفة وأعلام البلاغة حيث خصوا بها مالا يصادق عليه العقل والمخالفة في الاصطلاح ما دامت الحقائق قائمة والمقاصد ثابتة بحالها لا يبعد عن تبديل العاقل بغيره الأسلوب .

يقول الناس عند ما يسمعون بيتاً أو آياتاً لأحد الشعراء: هذا خيال واسع أو هذا تخيل بدیع . فيفهم السامع لهذه الكلمات وما يأتاها أن صاحب هذا الشعر قدرة على سبك المعاني وصوغها في شكل بدیع ، ولو قالوا «ما أضيق هذا الخيال أو ما اسخف هذا التخيل» فيجيبون أن الشعر قدرة على التراجيع المعاني في صور مبتكرة فيصح لنا أن نأخذ بهذا المعنى الذي يحضر في الذهن عند سماع تلك الجمل ونشرح به معنى التخييل فنقول هي قوة تتصرف في المعاني لتنتزع منها صوراً بدیمة وهذه القوة إنما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقت من طريق الحس أو الوجدان، وليس في إمكانها أن تبدع شيئاً من عناصر لم يتقدم للتخييل معرفة بها. ومثال هذا من الصور المحسوسة أن قداماء اليونان رمزوا إلى صناعة الشعر بصورة فرس له جناحان وهي صورة إنما انتزعها الخيال بعد أن تصور كلا من الفرس والطير بانفراده وقد يجول في خاطرك عند ما نمر على قول امرئ القيس

أيقناني والمشرق في مضاجعي ومسودة ورق كآنياب أقول

أن هذا الشعر قد تخيل لا يغزل وأنهم لم نسب له معرفة بها إذ لا أثر للعول وأنباها ولا شيء من موادها في العيان فليوح لك أن هذا يتدح في قولنا أن الجملة

لاتؤلف الصور الا من مواد عرقها بوسيلة الحس أو الوجدان
والذي يكشف الشبهة ان كلا من النول وانباها صورة وهمية ولكن لم يحدنها
الخيال من نفسه بل اخذ من الحيوانات الفظيعة المنظر اعضاء متفرقة وأنسابا حادة
وتصرف فيها بالذكير ثم ركبا في صورة رائعة وهي التي تخطر على الذهن عند ما يذكر
اسم الغول . حتى ان الناس لا يتفقون فيما أحسب على تصور هذا الامر الموهوم
فكل يخطر له المعنى في أشبه صورة يتكهن خياله من جمعها وتلقيها
فغاية ما صنع الشاعر أن يخيل امرا محسوسا وهي النصال المحددة في صورة أمره و في
نفسه خيالي أيضا ولكن صورته مأخوذة من مواد كان يعرفها من قبل بطريق الرؤية أو السماع
وتعتمد الخيلة على قوة التذكر وهو تداعي المعاني وخطورها على الذهن بسهولة
وبعد ان تراعى لها الصور بوسيلة التذكر تستخلص منها ما يلائم الغرض تفصل
الخطاطرات عن أزمنتها أو امكنتها أو ما يتصل بها مما لا يتعلق به القصد من التخيل ،
ثم تصرف في تلك العناصر بمثل التكبير أو التصغير وتأييف بعضها الى بعض حتى
تظهر في شكل جديد

تداعي المعاني

ترجم الاسباب التي تجمع بين المعاني وتجمعها بحيث يكون حضور بعضها في
النفس يستدعي حضور بعض الى ثلاثة أنواع
(اولها) اقتران المعنيين في الذهن حيث يكون تعلقهما أو احساسهما في وقت واحد
أو على التعاقب ، ومن هذا تذكر الوقائع عندما يحظر بالبال مكانها كما قال ابن الرومي
وحجب أوطان الرجال اليهم ما رُب قضاها الشباب ههناك
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك
أوزمانها كما قالت الخنساء

يذكرني طلوع الشمس صخرا واذكره بكل مغيب شمس
وخضت هذين الوقتين بالتذكير لانهما مظهر لعلمين عظيمين من أعمال صخر
اذا كان يغدو للاغابة التي هي مظهر الشجاعة عند مطلع الشمس ويبين لنا نظام
اكراما للضيوف وقت الغروب

ومن هذا الوجه نشأت التكديات ونوع الخبر المرسل أما التكديات فلا لها الدلالة على المعنى باسم ، ولا زمره في الخارج . وصح هذا نظراً الى ان حضور المعنى الموضوع له اللفظ يستدعي حضور لارمه في ذهن المخاطب . كقول الحسين ابن الحمام

تأخرت أستقبلي الحياة فلم أجد نفسي حياة مثل أن أقدماً
ولسنا على الاعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدماء

أراد الشاعر أن يفيد ثباتهم في مواقف الحروب وأنه لا يلتفت بهم القمع من الموت الى سبة المزيعة فعبّر عن هذا المعنى بأن دماهم لا تنقر على أعقابهم البتة ، وهذا يقتضي أنهم لا يولون العدو ظهورهم حتى يناطوا بسيوفه كما أن معنى قطر الدماء على الأقدام يذهب بالسامع الى معنى أنهم يستقبلون العدو بوجودهم الى ان يناطوا ظفراً أو يلاقوا موتاً شريفاً

وأما بعض أنواع المجاز المرسل فكالملاق اسم الحال على المحل والسبب على المسبب والكل على الجزء . وعكسها ، ومداره على ان ذهن المخاطب ينتقل الى المعنى المراد بسهولة حيث كان بينه وبين المعنى الحقيقي مناسبة تقتضي تقاربهما في الذهن لان ادراكهما كان في وقت واحد كالحال والمحل والكل والجزء أو على التعاقب كالسبب والمسبب

(النوع الثاني) من الأسباب التي تتلاحق بها المعاني في الذاكرة التباين فان الصور التي يكون بينها تضاد لا يكاد بعضها يتخلف عن بعض ، فمن تصور الشجاعة خطر له معنى الجبن ، ومن مرت على باله الصداقة انساق اليه معنى المداواة ، ولهذا أدخل علماء البلاغة في وجوه اوصول بين المجملتين ما يقوم بينهما من التضاد في المعنى وساقوا في أمثله قوله تعالى (ان الاررار لفي نعيم وان التجار لفي جحيم) وان شئت مثلاً من الشعر فقول المتنبي

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وانذي ويباض الصبح يغري بي

ومن هذا الوجه أيضاً صح لهم ان يعدوا في علاقات المجاز المرسل الضدية

(النوع الثالث) التشابه وهو ان يكون بين المعنيين تماثل في بعض أمور خاصة كمن يرى الرجل المقدم فيتصور الاسد ويسمع الانفاث انبليغة قد تبرجت في أسلوب محكم فيذكر الدرر المتناسقة : اسلاكها . وعلى هذا النوع يقوم فن التشبيه والاستعارة المبدن ما أوسع مصمار تتسابق فيه قرايح الشعراء والكتاب

العدد ٢٢ ج ٢٢ ١٤٩

تختلف الناس فيما يتداعى اليهم من المعاني الى ان ترى دورا تتوارد على شخص متعاقبة وهي في خيال آخر لا تتقارن البتة ، قال أحد الفلاسفة اني لا أسأل عن السبب في ان معنى من المعاني يدعو آخر وأأخذ بناسيته ولكنني أبحث في شيء آخر وهو ان المعنى الواحد قد يختلف تواليه باختلاف الاشخاص ، نعم قال ويمكن الجواب عن هذا بأن الناس يختلفون في ميولهم وشعب وجهتهم في الحياة ، فكل معنى يدنو لصاحبه ما هو الصق بميله وأقرب الى غمته

وايضاح هذا الجواب ان توالي المعاني يختلف باختلاف الاشخاص لاحد سببين (الاول) ان الدواعي والمواطف النفسية لها مدخل في تجاذب المعاني واسترسالها على الخيال ، فالطمع أو الحاجة أو الرهبة مثلا تستدعي المعاني المائدة الى المديح أو الاستعطاف ، والغرام يستدعي المعاني الغزلية ، والكآبة والاسف يستدعيان معاني الرثاء أو الشكوى ، والسرور يستدعي المعاني اللائقة بالهناء ، والاعجاب بالنفس أو العشيرة يستدعي معاني الفخر والحساسة ، فالزاهد في الدنيا لا يسع خياله من معاني الاطراء والملاق ما يسمعه خيال الحريس عليها ، والغالي من عاطفه الغرام ، لا يخطر على قلبه من معاني التشبيب ما يخطر على قلب الشجي المستهام

(الثاني) ما يتفق للانسان في طرز حياته وهو حال المحيط الذي يتقلب فيه فيتوالى على خاطر الناشئ في التمتع والترف ما لا يتوالى على خاطر الناشئ في حال عسرة وبؤس . ويحضر في نفس من شب في الحاضرة ما لا يحضر في نفس الناشئ في البادية ، وينساق الى خيال الناشئ في شمال المعمورة ما لا يدخل في خيال الناشئ في جنوبها ، فالمقيم في شمال أوروبا مثلا يذكر الشتاء فتقارنه صورة الثلج وليس بينهما في ذهن المقيم بالجنوب اقتران واتصال تقه مشاهدته للثلج أو عدم وقوع نثاره عليه طول حياته . ولو نظر الى الهلال رجلا من هذا نشأ في الحلية والاخر اتخذ الحصاد حرفة فانشأ أن يتداعى الى اول سورة السور ويتقل منه الى المعصم أو العياشة ويتداعى الى سورة النمل وينقل منها الى الزرع أو الهدادة (يتبع) نعم . يحضر التوسعي

محاربة البدع

تنفة الرد على المعارض على فتوى شيخ الازهر

قول القنبر الرازي في اسم الله الاعظم

(١) ذكر المعارض أن القنبر الرازي قال في شرح البسملة من تفسيره مانصه:
اختلف العلماء في الاسم الاعظم ويرجع عندي أن (أه) هو الاسم الاعظم الذي
إذا شئ به أعطى وإذا دعي به أجاب لاشتماله على سر الإشارة وتكوين الكائنات
وظهور التجليات .

وقل المحافظ ابن حجر عنه أنه نقل عن بعض الصوفية أن الضمير (هو) هو الاسم
الاعظم ونحن نقول هنا نص عبارته في تفسير الفائدة في هذه المسألة ليحل الناس أن
معارضة المعارض إليه هو خلاف مذهب إليه ولعل المعارض نفسه إن ما اعتمد من
كتب أهل الطرق في هذه المسألة لا يوفق بقاها ولا يعلم أهلها وقول
ذكر الرازي في المسألة الحادية عشرة من الباب الثالث من أبواب تفسير
البسملة أن الاسم الموضوع لذات الخالق واجب الوجود يجب أن يكون أعظم الاسماء
وأشرفها قول : وهو المراد من الكلام المشهور الواقع في السنة وهو اسم الله الاعظم
ولو اتفق للملك مقرب أو أبي مرسل الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى له
معناه لم يبعد أن يعلمه جميع عوالم الإنسانية والروحانية . ثم قل :

(المسألة الثانية عشرة) القائلون بأن الاسم الاعظم موجودا مختلفا فيه على وجوه
وذكر أن (الاول) ذو الجلال والاكرام وضمعه (الثاني) هو المحي القيوم وضمعه (والثالث)
قول من يقول اسماء الله كلها عظيمة لا يجوز وصف واحد منها بأنه أعظم وضمعه (وتقول
ان ذكره - هو لان التقسيم والاقول لثاني الاسم الاعظم والقائلين به) ثم قل
(القول الرابع) ان الاسم الاعظم هو قوايا (الله) وهذا هو الاقرب عندي لان
سنقيم الدلالة على أن هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه وإذا كان
كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة اه بحروفه من الصفحة ٦٢ من الجزء الاول

المطبوع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ ومنه يعلم بعض الفرق بين الرازي والحافظ ابن حجر في سمة الاطلاع

ثم إن الرازي جعل الاسماء الالهية بحسب دلالتها على ما وضعت له أقساماً فصاحبها في أبواب وفصول وجمل الفصل التاسع من الباب السابع (في الاسماء الحاصلة لله تعالى من باب الاسماء المضمره) وهي انا وانت وهو - عند ما تم في الكلام دالة على الله تعالى، وقد أحاط في هذا الفصل الكلام في الضمير «هو» بكلام جله من نظريات الصوفية والفلاسفة وذكره إحدى عشرة فائدة واستنبط به ذلك أن الذكر به أعظم الاذكار ولكنه لم يقل انه هو الاسم الاعظم ولعله صرح به في كتاب آخر من كتبه . ولكنه لم يذكر أن (أه) من أسماء الله تعالى البتة .

واستنباطه هذا مردود شرعاً فإنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الذكر باسماء الله تعالى مفردة غير واقعة في كلام مركب له معنى، والضمير «هو» ليس من أسماء الله تعالى ولا يدل بنفسه على ذات الله تعالى ولا على صفة من صفاته وإنما يدل على ذلك كما يدل على غيره اذا وقع في الكلام ضميراً راجعاً اليه . ويحسن أن نذكر نظريته ونبين بطلانها وما خصها أن نداء الله تعالى بكل اسم من اسمائه يدل على وصف يتضمن الدعاء والسؤال المناسب لمعنى ذلك الاسم فمن قال يا رحمن كان معناه ارحم ومن قال يا كريم كان معناه أكرم الخ ثم قال « وقد بينا أن الذكر إنما يعظم شرفه اذا كان خالياً عن السؤال والطلب اما اذا قال يا هو كان معناه خالياً عن الاشعار بالسؤال والطلب فوجب أن يكون قولنا «هو» اعظم الاذكار » اهـ

وتقول ان هذا الكلام باطل مقدماته ونتيجته فليس أشرف الاذكار ما كان خالياً عن دعاء الله تعالى وسؤاله بل الدعاء أعظم العبادة كما صح في الحديث «الدعاء هو العبادة» وقرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) رواه احمد وابن أبي شيبة والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة والحاكم من حديث الثعلبي ابن بشير مرفوعاً وصححه الحاكم والترمذي وأبو يعلى في مسنده من حديث البراءة وهو على حد حديث «الحج عرفة» رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ومعناها ان معظم الحج وركنه الاعظم عرفة ومعظم العبادة أو روحها ولياها الدعاء . ويفسره

حديث أنس « الدعاء مع العبادة » رواه الترمذي من طريق عبد الله بن لم
قاضي مصر ومحدثها وعالمها وفيه مقل معروف وذلك جعله الحافظ مؤيدا
ذكرناه في تفسيره بعد أن هراه الى المهرورودي الترمذي وابن ماجة وابن حبان
والحاكم وصحاحه من حديث أبي هريرة رقه « ليس شئ أكرم على الله من الدعاء »
ولما يكن الدعاء ركن العبادة الاعظم ومطلبها ونهاصار يطلق ويراد به العبادة
مطلقا كما قاله في تفسير كثير من آيات القرآن حتى صار بعض الناس يظن ان
الصيام يسمى دعاء مثلا . وقد قال الله تعالى (٧ : ١٨٠) والله الاسماء الحسنى
فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) أفرايت من
عمل هذه الآية فذكر الله داعيا له بلسانه خير أم من ألحد في أذنيه يقول هو هو
هو . أو ياهو ياهو ، وهي عبادة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا رويت عن
السلف الصالح ، وهي مع ذلك فاسدة في لغة الكتاب والسنة فان الضمير وحده
لا يحسن كلاما ولا يكون له معنى الا اذا وقع في كلام يكون له فيه مرجع ومثله ما
اذا كان جوابا لسؤل يعرف فيه المرجع بالتقرينة ، ولا يدخل عليه حرف النداء
ولا على ضمير مخاطب القدي بوجه اليه انداء . فلا يقال يا أنت وحرف النداء
يتضمن معنى الدعاء أو النداء وبؤول بالفعل ولذلك جعلوا النداء من المنصوبات
وكل من أنت وهو ضمير رفع منفصل

ولو صح نداء الغائب من الخلق وعهد في كلامهم بالضمير المنفصل أو غيره
لما كان ذلك بالذي يصح في نداء الخالق الذي لا ينيب عنهم وقد روى الشيخان
وأصحاب السنن الاربعة من حديث أبي موسى الاشعري قال : كنا مع النبي
(ص) في سفر فجعل الناس يحجرون بالتكبير فقال النبي (ص) « أيها الناس انكم
لا تدعون أسم ولا غائبا ، انكم تدعون سميما قريبا وهو معكم » والصرفية
الصادقون المارفون أجدر من غيرهم بتلاخضة هذا الشهود والحضور والرازي
رحمه الله لم يكن صوفيا وانما ينقل كلامهم وينصرف فيه . ولو سلمنا له قوله ان
أشرف الذكر ما كان خاليا عن معنى الدعاء لما كان ذلك مستلزما للتسليم له بجعل
الذكر بضمير تخبية — على فرض جوازها وصحته — هو المتعين في تحصيل
ذلك الذكر بن تقول حينئذ ان المتعين ذكره تعالى باسمه الذي جزم هو تبنا

لأنه ور بأنه اسم علم للذات الواجب الوجود وان جميع الاسماء الحسنى والمنتهى
العلما تجري عليه ورجح هو أنه اسم الله الاعظم كما سبق النقل عنه وهو اسم
الجلالة (الله) ويتبع فيه المأثور فنجمه بكلمة التوحيد لا مفردا فقد قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم «أفضل الذكر لا اله الا الله» رواه الترمذي والنسائي
وابن حبان والحاكم بسند صحيح من حديث جابر بن عبد الله. ثم نقول ان
القرآن قد جمل اسم الرحمن مرادنا لاسم الجلالة في عدة مواضع كقوله تعالى
(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وذكر في عدة
آيات في سياق الضر والعذاب في الدنيا والآخرة كقوله تعالى حكاية عن الناصح
لقومه باتباع المرسلين (ان يردن الرحمن بضر) وقوله في حكاية انذار ابراهيم
لا ييه (اني أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن) وقوله (قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا) وهذه أبعدها عن التأويل

نفر الدين الرازي رحمه الله تعالى واسع الاطلاع ولا سيما في العلوم العقلية
ولكنه كثير الخطأ ولا سيما فيما يختص بعلوم السنة وآثار السلف وكلامه في
تفسيره المشهور كثير التعارض والتناقض وكثيرا مما تتبعه في تفسيرنا. وانا
ننقل هنا من كلامه ما هو حجة عليه فيما ذكره من تفضيل ذكر الله وندائه
بضمير الغيبة وهو قوله في سياق رد قول جهنم في مسألة اطلاق مثل كلمة شيء على
الله تعالى من تفسير قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) قال :

الحق في هذا الباب التفصيل وهو اما نقول: ما المراد من قولك انه تعالى شيء
وذاث وحقيقة؟ ان عنيت انه تعالى في نفسه ذات وحقيقة وثابت وموجود
وشيء فهو كذلك من غير شك ولا شبهة. وان عنيت به انه هل يجوز ان
ينادى بهذه الالفاظ أم لا فنقول لا يجوز لانا رأينا السلف يقولون يا الله يا الرحمن
يا رحيم — الى سائر الاسماء الشريفة، وما رأينا ولا سمعنا ان أحدا يقول:
يا ذاث يا حقيقة يا مفهوم يا معلوم — فكان الامتناع عن مثل هذه الالفاظ في
مرض النداء والدعاء واجبا لله تعالى والله أعلم. اهـ

(ثم قال) المسألة الرابعة — قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها)
يدل على انه تعالى حصلت له أسماء حسنة وله يجب على الانسان أن يدعو الله بها
وهذا يدل على أن أسماء الله توقيفية لا استلحاقية. ومما يؤكد هذا انه يجوز ان
يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخى ولا ان يقال يا عاقل يا لطيف يا قبيح انتهى

بعضه. ويقول ومنه بهو ياعونه لم يقفه أحد من السلف السالح ولا هو جائز في لغة الدين وأولى منه بالانكار أنه «فانه ليس من هذه اللغة وإنما هو من اللغة السريانية كما قيل»

نقول المعترض عن سائر العنايه

(٥) قد تبين مما تقدم ان نقل المعترض على فتوى شيخ الازهر عن صحيح مسلم وسندوك الحاكم وعن النخعي الرازي كذب. وبقي ما نقله عن حاشية الحفني على الجامع الصغير وشرح العزبي له وعن حاشية الشيخ الامير على من غرامي صحيح وحاشية الباجوري لاجهورية فقول فيه - أولاً - ان ما نقله عن الاولين هو في شرح حديث الازهر في المرض وقد عادت انه لا يصح وفي شرح حديث « اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى » هكذا ذكر المعترض ولم يذكر تسمية الحديث وهي « دعوة يونس بن متى » وهذه التسمية تدفع ما يزعمه المعترض . وهذا الحديث عزاه السيوطي في الجامع الصغير الى ابن جرير عن سعد ويحاجبه علامة الضعف . وأورد قبله حاشية « اسم الله الاعظم » الذي اذا دعي به أجاب في ثلاث - ومن القرآن - في البقرة وآل عمران ووله « وعزاه الى ابن ماجه والطبراني والحاكم عن أبي امامة وعلم عليه السيوطي في جامعنا بصحة وذكر غيره ان في سنده هشام ابن عمار وهو مختلف فيه على انه نص في خلاف ما يريد المعترض أثباته

أما ما ذكره العزبي في شرحه للجامع الصغير فقد نقل عن الماتمي عشر بن قولاني الاسم الاعظم أولها التكرار وثانيها «هـ» استأثر الله بعلمه والعشرون «لم» ويعلم باقيها مما أوردناه عن الحافظ وليس فيها أن (هـ) منها . وتبعمه الحفني في ذلك وأما كلامهم في حديث الازهر فقد قلنا في شرحه له عند قوله « فان الازهر من أسماء الله تعالى » انهم أي نقلوا آه من أسماء الله تعالى لكن هذا لتدوله الصوفية ويرد كونه اسم الله تعالى . ويرد أنه قوف من حيث يظهر

وأما الحفني فقد شرح حديث في حاشيته على الجامع الصغير (ص ٢٧ من الطبعة الاميرية) فقال عند قوله « دعوة يونس » أي يأن بقوله آه وقال عند قوله « من أسماء الله » أي من أثر بعض أسماء الله كالضار والقهار فإذا قيل

تمالى هل هبدم هذا الامم حصل له الفرح ، والا فـ لم يرداه من اسمائه تعالى . ه
وأما الشيخ الامبر فاستغنى بما ذكره في حاشيته على عبد السلام شارح الجوهره
فقد قال عند قوله « الازين » ينبغي أن يقال آه لانه ورد اسم الله دون آخ لما قبل من
انه من اسماء الشيطان . ونقل الباجوري قوله هذا ولكنه لم يذكر صيغة التمريض في
كون آخ من اسماء الشيطان . وقول المناوي هو الصحيح لانه أعلمهم بالحديث والآثار
وبالتصوف على انهم كانوا ذكروا كلمة « آه » بالمد ولم يذكر أحد منهم قولاً ما في لفظة
« آه » التي يذهبها المعارض فسط كل ما قاله ولم يفده قول أحد منهم بل كاهم
حجة عليه لاله . فياليت شعري هل يرجع ذلك الشاذلي المعارض وأمثله الى الحق
بعد ما تبين له أن كل ما استند اليه أهل طريقتة في ذلك باطل علابعنوان اعترافه
(الرجوع الى الحق فضيلة) الا اذا وافق الموى التقليدي وان كان كذباً على الله
ورسوله ومخالفاً لما كان عليه السلف الصالح ومحققو الخلف في ذلك ه .

الرحلة السوروية الثانية هـ

٤

طرابلس والقلمون

ما حزنتي من سوء حال بلاد سوروية الاجتماعية والادبية شي . كما حزنتي حل
طرابلس والقلمون حيث نشأت وترعرعت فقد كانت طرابلس خير المدن السوروية
في العلوم الشرعية والادبية ، والعيشة الراضية الهنية ، كما كانت القلمون خير البلاد
الصغيرة في ذلك ، أو « سيدة القرى والمزارع » كما وصفت في السجل الاعظم (دركنار)
بلاد الدولة العثمانية في الباب الثاني كما روي لنا وذلك ان جميع أهلها كانوا سادة
شرفاء ، واتقياء نجباء ، قد ولدت ولله الحمد فيها ، ونشأت في بيت الكرم ولجد لا تيل
منها ، فكانت من أول الهدى بالتميز أرى العناء والادب والحكم ولوجه اتفتش داره ،
ونمشو الى ضوء « دناء » بل كنت أرى فيها العيصوف من بلاد الملة سنة بينى
اختلاف ملهم ومذاهبهم ، وكان مسجداهما دائماً بقمة تماثر العبادة وقرعة

دروس المعلم والوعظ ، وقد عشت ما عشت فيها ولم أر أحدا ارتكب فاحشة أو شرب مسكرا أو اتى منكرا إلا ما كان ينسب الى أفراد قلائل من ارتكاب سرقة العاكمة أو الزيتون واللبان وما كان يقع بين بعض المتخاصمين والمتنازعين من التضارب بالمعنى أحيانا وبالمدى زدها وقلا رأيت شيئا من ذلك بعيني . وأنا قد شيعت فيها وأنا أعتقد أن الدين يقترفون كباثر الأثم والفواحش في الدنيا أفذاذ قليل عددهم في كل مكان وأكثرهم في المدن أو الوددي . لذلك كنت اجتنب معايرة أكثر الناس في طرابلس عند ما كنت أطرب العلم على ما ذكرت من تضارب على غيرها . حتى اتيت الى اليوم لا أعرف جميع أسماء الذين ذهبت معهم الى الطوال في المدرسة . وكانت مدارس العلم يومئذ عام " وطلابه كثيرون العدد . كانت دور أهل العلم والأدب أندية ومجاراتا تكثر فيها المطالعات العلمية والمساجلات الأدبية ولم تكن الحز مرفوعة في شيء من ملاحية العامة (الهواوي) ولا الرقص . وكل ما كنت أعلمه في هذا أن في حارة النصارى ملهى في استنان اسمه لزعرية يشربون فيه الخمر ويختلف اليه بعض أهل الدخارة من المسلمين . ولكنني لم أر في أثناء إقامتي فيها الطاب العلم من السكارى الا عبدا أسود وشابا رطبيا من فقراء الدوقه يبيع الخمر المالح والناس بالسك . وإنما نسمع أحيانا بعض أخبارهم من من المنكر من عليهم واقعة دحين فيهم . إذ يغلب عليهم الذمير ويبدون فيهم التبت . كما جئنا مع بعض أهل الدخارة في مجالسهم الخاصة في بيوتهم . هل مائدة الخمر أو شربها على مائدة الطعام ، وإنما كان يفعل هذا من المسلمين أكثر المومنان من الترك حتى بعض قصدهم الشرع . وكان هؤلاء المومنان يشربون على اغواء وجهاء المسلمين الذين يهشرونهم بغرائهم بالشرب معهم كرايب أهل السكارى في كل مكان ، وقل من كان يمتنع من قربة الخمر أو موزونهم ولو يقول الكتمان من أبلدهم مرة واحدة . ومن طرفة . في ذلك مائة في ذلك من أبلدهم مرة واحدة . سألتا البس الله وطالما جردت من ذلك . في ذلك مائة في ذلك من أبلدهم مرة واحدة . إذا في شربهم . عند هذا . في ذلك مائة في ذلك من أبلدهم مرة واحدة . فقل له تلك شدة بعض أئمة في ذلك الذي كان يمتنع منه ويبيدوا الحق أن كل مسكر خمر يحرم قابله وأشبهه كما ثبت في السنة . في ذلك مائة في ذلك من أبلدهم مرة واحدة .

واذ كنت أكتب مثل هذا الاعتبار به وليكون تاريخاً تعرف بعثله أسباب التطور الاجتماعي في البلاد فأنني اذكر واقعة في هذا الباب هي أكبر ما كان يتحدث به الناس في مدينتنا (طرابلس الشام) ويفخرون به . وهي بين مدحت باشا الوزير الشهير ودرويش افندي الشبور

كان درويش افندي هذا رجل طرابلس الكبير بل رجل سورية المتنازع في عصره بالعلم بالقوانين وحسن الادارة والتصرف في حل المشكلات ، حتى ان أمور ادارة لواء طرابلس كانت بيده يتصرف فيها كما يشاء ، وهو عضو في مجلس الادارة رأيه فيه يحكم القانون كراي غيره من الاعضاء ، فكان أصحاب الحاجات يولون ونجروهم شطر داره دون أمثاله من الاعضاء بل دون الرؤساء من المتصرف التركي المولى من نظارة الداخلية الى من دونه من رؤساء الادارة وكذا رؤساء الجند فيما يقيدون فيه بالادارة كأخذ العسكر بنظام القرعة المعروف فلم يكونوا يستطيعون أخذ أحد الا برأيه — لذلك كان له جساد كثيرون فلما جاء مدحت باشا واليا على سورية كثرت السعاة بدرويش افندي الشبور لديه الذين يزمنونه بالاستعداد بأعمال الحكومة وكونه لم يترك لاحد من رجال الدولة امبالا عملا في لواء طرابلس وانه هونفـه لا يمكنه أن يكون له اسم سمي ولا قدر على في ذلك اللواء الا باخراجه من مجلس الادارة وجعله جلس يته ، وقد أثرت هذه السعاية في نفسه ، فلما جاء طرابلس في دورة التفيش المعتادة كان استقباله لدرويش افندي استقبال المرتاب المختبر فلما سمع كلامه أحب الخلو به فسمع منه من الانباء والآراء ما أكبره في عينه وأجله في أعلى مكان من الثقة به ، والكلام مظهر العلم والعقل والرأي (فلما كلمه قال أنك اليوم لدينا مكين أمين) ولم يكن يستطيع مقارفته الا وقت النوم ، وكان الوزير مبتلى بشرب الخمر كما كثر رجال الدولة وكان درويش افندي لا يشرب بها كسائر وجهاء طرابلس ولا سبأ أصحاب الزمي الطلي أمثاله فاجتهد مدحت باشا في حمله على الشرب لتطيب له معاشرته ولا يرى نفسه صغيرا أو حقيرا في عينه وعين نفسه بارتكابه لهذا المنكر مع من ينكره في نفسه لتحريمه وقد كان مدحت باشا مسلما محترما لديه كما يقال ولكن السكر بلا فـلما يستطيع تركه من ابتلي به — عرض لدرويش افندي أولا قبالة وأعرض كأنه لم يهتم . مراده .

فكاد له مكيدة سلم منها بحسن بادرته ، وقوة ارادته ، ذلك انهما كانا في منزله من منزلات ضواحي المدينة اسمه (بركة البداوي) فطلب الوزير الحرة فأخذ لنفسه كأسا وتناول درویش افندي كأسا أخرى وقل له نشرب على اسم مولانا السلطان الاعظم فأخذ الكأس درویش افندي وقال على البراهمة : كأس من يد افندينا مدحت باشا باسم مولانا السلطان الاعظم أمير المؤمنين لا ينبغي أن نصب في الجوف ونخالط القدر بل مكانها الرأس ، وصب الكأس على عمامته البيضاء . فاهجب مدحت باشا بهذه البداعة والكياسة . وزاده هذا الثبات كرامة عنده ومكانة في نفسه

هذه الحالة التي كانت عليها طرابلس الى عهد طلبي للعلم فيها وهجرتي منها هي التي ضاغت الآلمي لما رأيت هذه المرة مارأيت من سوء حالها ، وسريان عدوى المجاهرة بالتهتك فيها ، وقد بدأ ذلك فيها في أوائل العهد بالحكومة الدستورية الانحدادية ثم كان لمفاسد الحرب ثم للاحتلال الاجنبي تأثير بعد تأثير في استئثار فساد كاييناه في النوبة الثالثة من هذه الرحلة (ج ٩ م ٢١) حتى ان طرابلس صارت دون بيروت ودمشق في الحالة المليية والأدبية الإسلامية فقد خلت من تلك الحفقات الواحة من طلاب العلم ومن تلك المحافل والسهرات التي كانت آهلة بأهل المهنة والوقار من العلماء والوجهاء من الطبقات المختلفة الذين كانت آرائهم تضطر الزبائن من حكاهم وغبرهم الى احترامهم دع أهل البلد الذين هم كبراؤه . وكذلك كان شأن شبوخ أهل يفتسا في القامون بل لم أر مجلس وقار في مكان ما مثل المجالس التي كان يحضرها كبير أسرتنا السيد الشيخ أحمد عم والدي فقد كان أوجه الوجهاء من علماء طرابلس ورجال الحكومة وغبرهم يجلسون عليه من الجد والوقار والتقوى حتى إنه لم يكن أحد يشذ في جلوسه ولا في ضحكته ومزاحه في حضرته بل يلزمون الاعتدال والادب الشرعي ، وقد اتهم رجل صالح من طرابلس بفاحشة أو مقدماتها وكان ممن يترددون على القادمين مع بعض العلماء فلم يتجرأ بعدها أن يتراءى امامه طول حياته ، وماذا أقول عن صاحب تلك الشية الرائعة الذي قال فيه نقادة المعاصرين الشيخ عبد السائح الزعبي نقيب أشرف طرابلس وخطيب جامعها الكبير الى اليوم : آخر من أدر كنا من المسدقين نحي الشيخ أحمد . وأنا لم أكن هنالك استطيع تلمذ النظر في وجه

أحد منهم بالفسق ولا السكوت على منكر منذ كنت غلاماً أمرد وقد شذ في حديثه معي تاجر في طرابلس يقول لا يعد منكراً بشراً إذا حسنت فيه النية فتركب الشراء منه والنظر إلى ذلك أنه بل الضرر امامها مادام فيها

نعم انني كنت أول من انتقد من المسلمين ما كان عند الوجهاء من التكلف في الاقاء والسلام والعمود والقيام وأول من ترك عادة الجلوس على الركب في بدء الجلوس معهم وان فعل ذلك بهض كبار السن والقدر لاجلي ولكنني أقول الآن ان مجالسهم كانت خيراً من مجالس أكثر أولادهم وأحفادهم الذين تركوا غير ذلك من آدابهم العالية . لا المتكلف منها فقط مفتونين بزخرف حرية الفسق الذي يخشى أن يضع عليهم دنياههم ودينهم فيكونوا من الاخسر من اعمال الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

اصيبت طرابلس بالمقام من العلماء والفضلاء والزعماء فلا خلف فيها في العلم والرشد للشيخ محمود نسابه والشيخ عبد الغني الرافعي والشيخ عبد الرزاق الرافعي والشيخ عبد الله الصفدي ودرويش افندي الشانور والمفتي مصطفى افندي كرامي الذين أدركتناهم في شيخوختهم ، ولا للشيخ حسين الجسر والشيخ عبد الله البركة والشيخ نجيب الحامدي والشيخ محمد كامل الرافعي ومحمود افندي المغربي والمفتي رشيد افندي كرامي والشيخ خليل صادق الذين أدركتناهم في كهولتهم

وأما بقي أفراد من الطبقة التي قبل طبقتنا أوسعهم علماً ونهما وإفادة الشيخ محمد ابراهيم الحسيني وقد جعلت مدينته قيمته فلا ينتفع به إلا أفراد قليلون من بقايا الطلاب ، ومنهم الشيخ محي الدين الجناب والشيخ عبد الحفيظ نسابه وأفراد آخرون من طبقتنا ورفاقنا في الطلب وأكثر هؤلاء وأولئك قد تركوا الدرس والتدريس واجتنبوا الكتابة والتصنيف ، ومنهم من يشتغل بأمر الدنيا من تجارة وزراعة لكساد بضاعة العلم . ولم أر في هذه الزرة لطرابلس أحداً من رفاقي لا يزال مغرمًا بالمطالعة والكتابة إلا الشيخ محمد رحيم والشيخ عبد الحميد افندي المغربي ، وليس لاحد منهما ولي في عمله ولا ظهير . وأما القلوب فلم يبق فيها أولو بقية يستفيد الناس منهم إلا عمي أبو عبد الرحمن حاصم فهو يقرأ دروساً في مسجدنا في بعض الاحيان لمن يساه بوجد فيه ولكنه في عامة

أوقته . منزل قناس لا يكاد أحد يراه الا في صلاة الجماعة وقد انقرض ثلثا أهل القرية وحال الباقي شر مما كانت عليه ؛ وقد كنت قبل الهجرة الى مصر أقرأ لهم التفسير ونهاية المحتاج في فقه الشافعية والزواجر وغير ذلك من كتب التوحيد والمواظ والرقائق ، وبلغني أنه وجد فيهم رجل يتجراً على المجاهرة بالفواحش وارتكاب منكرات السلب والنهب يستعين على ذلك برشوة الحكام ، وأما طرابلس فقد صار الكيرون فيها بمجاهرون بذلك ومنهم من يدهو الاجانب الى داره ويقدم لهم الخمر فيها ولكن تيقظ بعضهم لتدرك الخطر كما بيناه في البند الثالثة التي قبل هذا من الرحلة ، فليحفظ الناس هذا وليتظروا عاقبة هذا التغير فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ونسأل الله تعالى أن يتوب عليهم ويجمعهم خيراً مما كان عليه سلفهم ويغير ما بهم الى خير منه

تصحیح غلط في الجزء الاول

نهنا في ص ١٠٣ الى حذف جملة من آية وقع في فاتحة المنار وقنا ان الاقتباس لا يشترط فيه ايراد الآيات قامة وان منه آيات في تلك الفاتحة من مواضع مختلفة لم يفصل بينها ، وحذف هل محذوف يعرف بالقرينة . ونريد هنا أن منه حذف في السطر ١٦ من ص ٨ بعد قوله تعالى (ولازمة) وهو تنمة الآية الثامنة من سورة التوبة الى قوله (ولازمة) قبل فاصلة الآية العاشرة : وكنا وضعنا في هذا الموضع نقطة لتدل هل المحذف تتركت في الطبع سهوا . وقد اضطررنا الى تنقيح تلك الفاتحة والمحذف منها اضطرابا ترتب عليه ما ذكر

ووقع في السطر ١٦ ص ١٠ - يونس ١٠ : ٢٨ - وصوابه (الانعام ٦ : ٢٢) وسببه في الاصل أن آية يونس سقطت من الطبع وبقي عددها وحذف عدد آية سورة الانعام فصارت آيتها بعد عدد سورة يونس ويكتفى الآن بتغير الرقم . وفي ص ١١ ص ١٣ (ويوم - وصوابه ثم يوم) وفي ص ٢٦ ص ١٣ أيضا تقدم عليهم على حكيم في الجملة القرآنية وتفسيرها والصواب عكسه (حكيم عليهم) وهذا سهو منا نسأل الله أن لا يؤاخذنا به

أجله أرجو أن تعرفونا حقيقة التصوف وهل له قوانين ونواميس غير ما بينته الشريعة الحميدة . وإذا كان هو ما جاءت به الحنيفة فما الحاجة إليه والقرآن والسنة بين يديه وإن كان مخالفا فن أقر المبتدئ فيه عليه ومن أين استنبط ذلك المخترع تلك الطرق التي توصل إلى الله (كما يعبرون) ولم يري إن صبح هذا كُنَّ لله طريقان طريق بينه على لسان رسوله الكريم في كتابه المبين وآخر قد هدى إليه بعض عباده المهتدين وإنما دعاني إلى سؤالكم والاستشارة بما راكم ما أخشاه من كسوف شمس شريعتنا في ذلك الأفق (أفق الصوفية) فاني أرى من يفسون إليه ويدعونه قد ولعوا بمقتضياته وشغفوا بها حتى أنسهم الأذكار والاوراد التي يتغنون بها في الساحات والأنحاء وميائناهم في الشيوخ والأولياء اناسم ذلك أساس الدين وكبد الشريعة (التوحيد) وهذا طبق ما أراه فريزة في بعض النفوس من الشغف بالكاليات وربما عجت ذبول النسيان على الواجبات غشا منها لأصحابها وانهم قاموا بما فرض عليهم وارتقوا إلى أن وجب عليهم ما ندب إليه الدين وزجأ منها بهم إلى زمرة المقلبين الذين امتثلوا وأمضوا أوامر الدين

وإن سبق لكم هذا فأرجو من فضيلتكم إعادته باختصار وذلك كما تهملون اقرب عهدنا بالثبات لازما مصادر الرشد وأهل الفضل والوقار

حسين محمد حسين النجار

بمدرسة القضاء الشرعي

[المنار] التصوف مصدر تصوف الرجل - أي صار صوفيا أي أجده أفراد الطائفة المعروفة بالصوفية ، وأشهر الأقوال في المنسوب إليه أنه الصوف لانهم كانوا يلتزمون إليه وقيل انه كلمة سوقا أو سوفي اليونانية ومعناها الحكمة وذهب الحافظ ابن الجوزي في كتابه تليس ابليس أنه نسبة إلى صوفة وهو لقب الفرس بن مر بن أد ابن طابخة بن الياس بن مضر لانه قد اشتهر عند العرب أنه أول من انقطع إلى الله تعالى لعبادته عند بيته الحرام ، وتسلسل ذلك في ولده فصار لقب صوفة يطلق على كل منهم وناطت العرب به وبهم من بعده اجازة الناس بالحج من عرفة ومنى وهي الافاضة منها فكانت لا تفيض منهم - حتى يفيض صوفة فاذا حانت الاجازة تقول

« أنجيزي صوفة » وكان سبب هذه التسمية أن أم الفوت كان لا يعيش لها ولد فذرت لثن عاش لتلقن برأسه صوفة ولتجمله ريط الكعبة، ففعلت ففعل له ثم لولده من بعده صوفة - قلته من السائب الكلابي

قال لحافظ المذكور: كانت النسبة في زمن رسول الله (ص) إلى الإسلام والإيمان فبقال مسلم ورومن ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا - تخلقوا بها - ثم ذكر نسبتهم التي خلصناها عنه آتفا . ثم قال في تاريخه ومبدأه : هذا الاسم ظهر لأقوم قبل سنة متين ، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته ببارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر وال إخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخلال الحسنة . ثم ذكر أن أوائلهم كانوا على ذلك حتى ليس عليهم الشيطان فكان أول تاييده أن صدهم عن العلم وأراههم أن المقصود العمل فلما سطفا مصباح العلم تخبطوا في الظلمات فذهب من خلاف ترك الدنيا وهي قوام مصالح الحق ، ومنهم من أغري بتعذيب النفس بالجوع والعمرى والفقر الاختياري ، ومنهم من ضابت عليهم الخيالات ، حتى قتلوا بالحلول والاتحاد ، وكانوا ينون بالنظافة والتنعم في الطهارة . وراجت عليهم لقلة العلم الأحاديث الموضوع . وذكر بعد هذا تصانيفهم وما فيها من الغلو في الدين والأحداث الباطلة . ثم انتقل إلى بيان ضروب التليس عليهم وما خالفوا فيه الشرع عن جهل أو تأول وأطال في ذلك . وكتابه هذا جدير بأن يطبع

ولشيخ الإسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فتوى في الصوفية والفقر نشرناها في ج ١٠ م ١٢ من المناج ثم طبعناها في رسالة على حديثها لتعمم نفعها . وقد ضمت فيها القول بنسبتهم إلى صوفة لأنها قبيلة كانت في الجاهلية ولا وجود لها في الإسلام رجع نسبتهم إلى الصوف وقال أن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك ، وقال أن أول ظهورهم كان في البصرة لأنه كان فيها من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مما لم يكن في سائر الأمصار ولهذا

كان يقال فقه كوفي وعبادة بهرية . وذكر بعض أحوال الصوفية وروزنها بميزان الشرع وسيرة السلف الصالح كدأته فبين الراجح من الشائل فيها وان الناس فيهم بين ذام يرميهم بالابتداع والخروج عن السنة وبين غال يدعي انهم أفضل اطلاق بعد الانبياء ، وان الصواب هو الوسط وهو انهم كثير من الطوائف يحتملون فنيهم ظالم لنفسه ومنهم متعصب ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ولكن انتسب اليهم طوائف من أجل البدع والزندقه ، ثم بين ان كلامه في صوفية الحقائق الاولين ، وأنه حدث بدم صنفان وهم صوفية الارزاق الذين يقيمون في الخوانك ويأكلون فيها ما وقف على الصوفية ، وصوفية الرسم الذين همهم تقليد في اللباس والآداب الوضعية ، ويسهل على السائل أن يراجع هذه الفتوى ويقرأها ، ويقرأ ما كتبه ابن خلدون في مقدمته ان لم يكن قراء فان أكثره صواب

وانا قد ذكرنا في تاريخ الاستاذ الامام عيون ما ذكره هؤلاء المحققون في بيان حقيقة الصوفية وزدنا عليهم مسائل مهمة استنبطناها من كتبهم ومن كتب التاريخ أجلناها في ورقين مثل أوراق المنار لمخصصها ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد في الدنيا والعمل للأخرة برياضة النفس وتربية الارادة والأخذ بالمرام والمحاسبة النفس وحسن النية والمبالغة في العبادة . وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكال المعرفة بالله تعالى . ثم ادعى حالمهم من ليس منهم غشا وتليسا ، ولبس لباسهم من تناقض حاله حالمهم دعوى وتقليدا - وان رياضة النفس وتزكيتها تهم للصادق فيها علما وعرفانا بسنن الله في الارواح وأسرار قواها وأحوالا وأذواقا غريبة خبر مألوفة ولا معروفة لغبر أهلها (منها) التأثير بقوة الارادة في بعض أمور الكون كشفا مريض وتغبر من الشر وجذب الى الخير ويسمونه التأثير بالارادة أو الهمة (ومنها) معرفة بعض الأمور من غير طريق الحس أو الفكر وهو ما يسمونه المكشف (ومنها) النوص على دقائق أسرار الشريعة وحكمها وصفات النفوس البشرية وقواها وعلاها الخ ومنها غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره هنا

وان هذا التصوف برياضة النفس قد سبق للمسلمين اليه قدماء الهند والصينيين واليونان ، وقد سرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك الاقوام وضلالاتهم

وشمازهم وشاراتهم (كفصيح والاعلام) حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم . وبث الباطنية في التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد للآيات والأحاديث وطاعة الأذهان لكل ما يأمر به السالكين شيوخم وإن كان منكرًا وعدم الإنكار عليهم في شيء . وكانت الباطنية تصذهب هذا التعاليم أفساد دين الإسلام وإبطاله ولزاة ملكه بالذرائع التي وضعها هيد الله ابن سبأ اليهودي وجميات الجيوش السرية التي بثت في المسلمين دهوة الغلو في التشيع لآل البيت والطعن في أعظم الصحابة لافساد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي التي تمكن تلك الجماعات بذلك من إعادة ملك الجيوش وسلطان دينهم الذين أزالها الرب بالإسلام . ولولا هذان الاصلان - التأويل والطاعة المطلقة - لما راجت الضلالات والبدع في هذه الطائفة لأن أصل طريقها تزكية النفس بالنس إلى العلم والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والاخذ بالمرئيات ومحاسبة النفس حتى على الخطا وطرق ومن المناور المشهور عن أئمة الصوفية قولهم : التصوف أخلاق فمن زاد عليك في الاخلاق زاد عليك في التصوف . ومن قواعد الإسلام المنصوصة المعلومة منه بالضرورة انه « لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف » وهذا اللفظ من حديث مرفوع في الصحيحين وغيرهما عن علي كرم الله وجهه وفوقه قول الله تعالى لرسوله (ص) في آية المباهلة (ولا يعصيك في معروف)

ثم بينا هنالك أنه لا سبيل إلى تصفية التصوف من البدع إلا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح فيه قبولاً ورداً بعد بيان أن الضلالات والبدع المتغلغلة في كتب الصوفية قسماً - ما أخذها الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الإسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة إلا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والشرع - وما أخذته بعض شيوخ الطريقة من الاوراد والسمائر الدينية المخالفة للسنة في ذاتها وأصلها أوفي صفتها وطريقة أدائها حتى إن بعض كبار الفقهاء والمتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزوه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال ولم يراعوا ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط - فترى مثل النزالي من أكبر أئمة علماء الكلام والفقهاء يرغب (المنار ٣) (٢٣) (المجلد الثاني والعشرون)

في بعض العبادات المبتدعة مستنداً عليها بهذه الاحاديث الواحية والموضوعية
دع ما يتعلق منها بالاعتقاد

مثال ذلك صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ذكرهما النزالي
في الاحياء مستنداً عليهما بما ورد فيهما وهو موضوع وقد قال فيهما النووي
في منهاجه : وصلاة رجب وشعبان بدعتان فيبيحتان مذمومتان . ولم يكن
النووي أعلم بفقہ الشافعي من النزالي بل قال بعض العلماء ان كتب الشيخين الرافي
والنووي مأخوذة من كتبه التي حررها المذهب كما قال فيه وفيها بعضهم .

حرر المذهب حبر أحسن الله خلاصه

بسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

ولكن النووي كان أعلم منه بالسنة فان النزالي لم يتوسع في علم السنة الا
في آخر عمره (ونمت الخاتمة التي وفقه الله لها بحسن نيته واخلاصه له الدين)
ولعله لم يؤلف بعد ذلك شيئاً .

فهذا مثال ما أخذوا فيه بالموضوع . وبما أخذوا فيه بالضعيف الواهي - وهو
أكثر - دعاء الوضوء قال في المنهاج : وحذفت دعاء الوضوء اذ لا أصل له . وهو
يعني الدعاء الذي ذكره الرافي تبعاً للنزالي . واعتذر الشمس الرملي شارح المنهاج
عنه بأنه يعني انه ليس له أصل صحيح أو لم يكن مستحضرأ لما ورد فيه من
حديث ضعيف ورد من طرق والضعيف يعمل به في الفضائل ما لم يشتد ضعفه
فيها له أصل صحيح كلي ولكن لا يستدل به على السنية - هذا ما اذكره عنه
بالمعنى وذكر أن والده الشهاب الرملي اعتمد دعاء الوضوء - وأقول ان النووي
نفى ورود شيء من السنة في دعاء الوضوء في مواضع من كتبه ومنها الاذكار
وتعقبه صاحب المهمات فقال ليس كذلك بل روي من طرق منها عن أنس رواه
ابن حبان في ترجمة عباد بن صهيب ، وقد قال أبو داود انه صدوق قدري وقال أحمد
ما كان بصاحب كذب . وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال لو لم يرد فيه الا هذا لجشي
الحال ولكن بقية ترجمته عند ابن حبان : كان يروي المناكير عن المشاهير حتى
يشهد المبتدئ في هذه الصناعة (أي رواية الحديث) انها موضوعة . وساق منها
هذا الحديث اه وقال الذهبي في ترجمته من الميزان : وروي عن حميد عن أنس
بغير طول في الذكر على الوضوء باطل الخ

أقصر على هذين الشاهدين من لائح بالأحاديث الموضوعة والراهية تصرّص
 الفقهاء فيها وهم الذين يعول الجهور على كلامهم ويرجعونه على كلام سائر العلماء فيما اختلفوا
 فيه لانهم هم الذين اتدبوا لتحريرقه الاثمة الذين بدعي الناس تقليدكم وكانت
 الحكام تحكم بما دونوه في كتبهم ولا تقبل الفتوى لانها حتى صار جماهير المتدبسين الى
 طرق الصوفية يتبعون هؤلاء الفقهاء وان كان الصوفي الحقيقي - وهو العارف بر به العالم
 بدينه العامل به - لا يقلد احدا . وقد احتكر الفقهاء لانفسهم حق ترجيح أقوالهم على
 أقوال المفسرين والمحدثين ، بله الصوفية والمتكلمين ، كما صرح به ابن حجر الهيتمي
 في التناوي الحديثية . وكان الصواب أن يحكم علماء الآثار من التفسير والحديث
 وسيرة سلف الامة في كل خلاف وتنازع يقع بين المسلمين ليدبنا لهم حكم الله
 ورسوله فيه عملا بقوله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم
 تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ولا خلاف بين أحد من العلماء
 في معنى هذا الرد بل هم متفقون على أن الرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول
 بعد وفاته هو الرد الى سنته . وعلماء الآثار هم المختصون بعلم ما صح في التفسير ومن سنة
 الرسول (ص) وسيرة السابق وكثيرا ما يأخذ الفقهاء بما لا يصح من الأحاديث وقد يحكمون
 بالنفاس مع وجود النص بل يأخذون بأقوال المصنفين المتبعين الى مذاهم وإن لم يعرفوا
 لها دليلا ولا نصا من كلام أئمتهم المجتهدين ولا سيما المتأخرين منهم وقد أعلموا للشغلين
 بكتبهم سلاحا يحاربون به نصوص الكتاب والسنة اعتذارا بالتقليد فكل كتاب ينمي
 مصنفه الى مذاهم يحتاج به عندهم ويعمل بما فيه ولكن لا يجوز الاعتداء هذه
 بالكتاب ولا بالسنة الا من هداه الله ووفقه ولم تضل أمة من أمم الرسل عن دينها أبدا
 من ضلال هؤلاء ولولا حفظ الله لكتابه وتوقيه الحفاظ لثديون السنة لتضرر الإصلاح
 ومعرفة حقيقة الاسلام . وقد سبق انا بيان هذا مرارا كثيرة آخرها ما بسطناه في
 الكلام على فتوى شيخ الأزهر في انكار بعض البدع وما فصلته في الفتوى الاولى
 والثانية من جزئي المنار هذين قبل هذا

وجملة القول في صوفية المسلمين أن علماءهم كآثر أصناف علماء المسلمين الذين
 استعملوا عقولهم في الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسع في

علم فجاء فيه بما لم يجي به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب فالصوفية اتقنوا علم الاخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة وامرارها وطرق تزكية النفس واصلاحها - وهذا غرض الدين ومقصده فان كانوا قد فعلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل في كتبهم وأعمالهم من تصوف الامم السافرة ومن البدع ما ينكره الاسلام فانهم كانوا أيضا قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والقياس والاختلاف بالأحاديث الضعيفة والموضوعة . وكل من في هذا العصر من المتحلين لطرق الصوفية فهو منهم الى أحد مذاهب الفقهاء والمتكلمين فلو صلح حال المشتغلين بعلم الفقه لا يمكنهم إصلاح أهل الطريق ، وأتى بصلح غيره من لم يصلح نفسه ، وأتى بصلح نفسه أوفره من اتخذ علم الدين حرفة للارتزاق به فهو بخدمة ويطعم من يستعد أو يظن أو يتوهم أن أمر رزقه بيده ولو فجا بضر ملته وأمته ؟

من هذا البيان الوجيز المفيد يعلم السائل حقيقة التصوف وان له كتابا شبه القوانين أكثر ما فيها منصوص أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له وبعضها بدع تلتصق به بالصقا بشبهات وتأويلات باطلة . وأحسن الكتب في تصوف الحقائق وأصلها من مخالفة الكتاب والسنة فيما نعلم كتاب مدارج السالكين . وأما سؤال السائل عن وجه الحاجة اليه مع وجود الكتاب والسنة فجوابه ان علي الكلام والفقه يشاركان في التصوف في هذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان أصول العقائد التي تعدد الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع وإثباتها بالأدلة النظرية الغنية التي كانت أولوفة بانشار كتب الفلسفة ورد شبهات المخالفين على هذه العقائد - وكما شعروا بالحاجة الى تدوين علم الاحكام الشرعية في العبادات والمعاملات لايضاح ما جاء في الكتاب والسنة من النصوص وما يمكن ان يستنبط منها ولو بطريق القياس الذي احتج على اثباته ببعضها - كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتأديب والآداب المنصوصة فيها أو المستنبطة منها والمنفصلة عما فيها من الأجمال . وقد قلنا آنفا ان ما وقع في كتب الصوفية من المخالفة لبعض نصوصها وسيرة السلف الصالح الذين أجمعت كل الفرق على تفضيلهم وخيريتهم وقع مثله في

كتب المتكلمين والفقهاء . يعلم ذلك من كتب السنة ومن الكتب التي يرد فيها كل منهم على الآخر ، والفقهاء المقلدون يوجبون طاعة شيوخهم الذين التزموا تقليد مذهبهم ويحملون كلامهم أصلا في الدين يردون به نصوص الكتاب والسنة بأوّل أو غير أوّل كما يوجب المتصوفة طاعة شيوخهم المسلمين ويؤلّون ما خالفوا فيه الشرع ولكن لا يقولون انه اصل في الدين يجب على الناس اتباعه شرعا بل شبهة هذه الطاعة عندهم ان التربية المرادة من سلوك الطريقة تنوقف على هذه الطاعة موقتا لاداءة وأن كلامهم في الحقائق رموز لا يفهمها غيرهم

وقد ذكر المحقق ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) أمثلة كثيرة لما خالف فيه المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا لاقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الاقوال بالاقيسة أو بحمل المتشابه أصلا للمحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الاصولية ومنها ما احتجوا له ببارة من حديث صحيح يردون باقيه المخالف للمذهب وهذا من عجيب أمرهم كما قال وقد أورد له ستة وستين شاهدا في الوجه التاسع عشر من وجوه الرد على المقلدين التي بلغت ٨١ وجها فليراجعها السائل ومن شاء في الفصل المقود للكلام في القياس والتقليد من الجزء الاول من هذا الكتاب الجليل .

ثم انه عقد بعد هذا الفصل فصلا آخر في « تحريم الألقاء والحكم في دين الله بما يخالف النصوص وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص » وذكر اجماع الفقهاء على ذلك « وقد أورد في هذا الفصل ٧٧ مثلا لرد أهل المذاهب السنة الصحيحة الصريحة المحكمة بالقياس أو بغير الصحيح أو بالمشابهة ، وذكر في الوجه اثنان منها بعض شبهاتهم ورد عليها باثنتين وخمسين وجها كلها شواهد تؤيد ما ذكرناه

فاذا كان الامر كذلك فلماذا يخشى السائل كسوف شمس الشريعة في أفق الصوفية دون غيرهم وهو يعلم أن المتحللين بطرق التصوف والمتحللين لمذاهب الفقه لا ترزبل بينهم ولا يتميز - فلا هؤلاء على هدي أئمة الفقه من علماء السلف كلاما والشافعي ولا ذلك على هدي أئمة التصوف كالحنابلة والشافعية وأمثالهم من عباد السلف . فالحق أن جميع الفرق لها حسنات وسيئات (ثمة من الاولين وقليل من الآخرين)

١٨٢ غربة الاسلام بدأ وعودا وأبين العالم الاسلامي المنار : ج ٣ م ٢٢.

وأكثر مسلمي هذا العصر ضغنا في الدين علما وعلا ولا سيما في البلاد التي ليس فيها حكومة اسلامية تقيم الحدود وتلتزم الشرع . والبلاد ذات الحكومة الاسلامية على قلتها بعضها شديدة التعصب المذهب معين كالبلاد الافغانية المتعصبة للمذهب الحنفي وحكومة اليمن المتعصبة للمذهب الزيدية فهذان لا يرجى أن يكون فيهما اصلاح اسلامي عام لاستعالة اتباع جميع المسلمين لهذا المذهب أو ذاك - وبعضها شديد الغلو في العمل مع ضعف في العلم كبلاد نجد ولكن لهذه مزية لانعرفها بلاد أخرى من بلاد المسلمين في هذا العصر وهي أنهم وإن كانوا متدينين الى المذهب الامام أحدهم لا تعرف جماعة من جماعات الاسلام غيرهم تقبل اتباع كل مائت في الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وتندهر اليه وترد ما خالفه وإن قاله أو كتبه حنبلي - ثمهم ، ومع هذا يرميهم كثير من المسلمين بالابتداع والضلال ومنهم من يكفرهم كايبرمون بذلك من يدعوا الى الكتاب والسنة من الافراد . وأي بلاد أشد على الاسلام من هذا ؟ وإذا قبض الله لهذه البلاد أن يتم فيها العلم قائما نحيي الاسلام في جزيرة العرب ومن ثم يتجدد في سائر العالم فيعود الامر كما بدأ . قال صلى الله عليه وسلم « بدأ الاسلام غربيا وسيعود غربيا كابدأ فطوبى للغرباء » رواه مسلم عن أبي هريرة والنسائي عن ابن مسعود وابن ماجه عنهما وعن أنس . وروى مسلم من حديث ابن عمر مرفوعا « ان الاسلام بدأ غربيا وسيعود كما بدأ ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » وفسر الغرباء في حديث آخر مرفوع بقوله « الذين يصاحون ما أفسد الناس بعدي من سقي » رواه الترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاد الاسلام غربيا كما بدأ حتى صار المسلم الحق المحيي لسنة غربيا مطبونا في دينه ، فإذا قوي هؤلاء الغرباء القديين يحبون ما أمات الناس من سنته (ص) واعتزوا بعد ضعفهم الذي هو عليه اليوم كما كان سلفهم في بدنه فإن غربته تستنفع المجد والمرتبة لله ولرسوله وللمؤمنين آخرها كما استنبهته أولا لاتحاد السبب

ان العالم الاسلامي ليئن من ضعف دينه وامتهان شموه بامتهانه ، وانه ليتبرم من سوء حال ساداته وكبرائه والمتعجلين اهل الدين ومن جهل أكثرهم بما يجب من الخدمة في هذا العصر وقعودهم عنها حتى امتهنوا وسقطوا من مكانهم الاجتماعية

ولم يبق لأبيهم من مصر إلّا ما بقي من بلادهم في بعض البلاد على الحرمان منها ورضوا بعد ذلك بمشارقة غيرهم حتى لم يبق فيهم - وأنه يضطرون إلى الازهر وأهلهم من معلمي سائر الافكار إلى اصلاح نفي كانوا يراؤونه وأنما يضطرون إلى ذلك باحتقاره لهم عليه اليوم إذ قرب أن يزول ما كانوا يعتزون به من اتباع السواد الاعظم من ائوام لهم وتقبلهم لا بد من واساتهم بالمدايا والصدقات والوصايا فبهذا كانوا إذا قام فيهم مصلح كالسيد الافندي الحكيم والاستاذ الامام همسوا في آذان هؤلاء العوام : هذا منزلي هذا فيلسوف هذا كافر يريد أن يفسد عليكم دينكم و يخافوا على تقاليدكم وروالكم واستغاثتكم بأهل القبور الذين يتوسلون لكم عند الله بدفع النقم وحفظ العلم - اني جعلتكم وراء جميع الامم

نعم أوشك أن يزول ذلك بل زل الا قليلا وقد رأينا ما كان من تأثير موت الاستاذ الامام وموت غيره من أكابر الشيوخ الذين تولوا منصب الافتاء مثله وتولوا ما لم يتول من مشيخة الازهر - اضطرب القطار المصري واضطر العالم الاسلامي كله موت الاستاذ الامام بأشد مما اضطربت بيوت أولئك الشيوخ لموتهم الذي لا يكاد يشعر به وما ذلك الا لانهم كانوا يعيشون لانفسهم وبيوتهم وكان يعيش لأمته ومثله

سبقت الهند ومصر وسورية والحجاز في احياء السنة على وعلا وقد تمهدت العقبات امام مصر وبدأت طلائع الاصلاح في نابذة الازهر ولكن الحركة فيه لا تزال بطيئة ولا تسرع بها الا صدمات المعارضة والمقاومة لها وحيشة نجد من طلاب الاصلاح الديني والدنيوي أهوانا وأنصارا نجريها ويتعاون رجال الدين ورجال المدنية على الاصلاح الاسلامي الديني المدني وبظاهر صدق قولنا في المقصورة بعد التنويه بما قام به الاستاذ الامام من الاجتهاد في اصلاح الازهر

فان يك الازهر لم يصلح بها فقد نأى عن سبيل من كان مأى^(١)

ونبتت من غرسه نابذة سلام السدع وترأب الثأى

وترفع لمح عن المعهود أو يود جحر الصب حبا كمنها^(٢)

(١) مأى بالغوت عمق أي بعد عن طرق المتأخرين المنتظمين المتعمقين في مباحث عبارات الكتب (٢) أي إلى أن يعود جحر الصب الذي دخلوا فيه باتباع سن =

أذا ينال وهو قد أشفى الشفا من مفضل بات به على شفا
 تمت ولي المصلحون شطره بحونه من كل فج ورجا
 ماوردوا حياضه وصدروا الا يفيضون علوما وهدي
 فاحبوا الاسلام في انفس من دانام بهجره صرف الردي
 فساد آهلا الى موطنه من هجرة طال بها عهد النوى
 وامة ثبتت غربته المجد كما كانت فساد الامر مثلها بدا

فتبين بهذا ان خوف السائل على الاسلام من بدع خلف المتصوفة هو من
 قبيل توقع الواقع وانما يتلافى هذا الواقع فيهم وفي غيرهم بتجديد يكون سريرا اذا
 أيدته حكومة اسلامية وبطنا اذا لم يتح له ذلك في بدء التجديد. وانما يكون
 التجديد بالتعارف والتعاون بين الطائفة التي بشر النبي (ص) بأن أمته لا تغلو
 من وجودها فانها الآن متفرقة في البلاد مامن قمار الا وفيه أفراد منها ففي حديث
 ثوبان في الصحيحين وكتب السنن « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق
 لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » وذلك « وفي معناه أحاديث أخرى
 وأهم القواعد التي يجب بناء الإصلاح عليها هي

(١) الاعتراف بالسلام كل مدّعين لا أجمع عليه المسلمون من أمرنا
 (٢) بث دعوة لعمل بهداية الكتاب رائسة الصحيحة وسيرة السلف
 الصالح فيهما كما أثبتته علماء الحديث بالاسانيد المعتبرة وترك ما خالفه من أنظار
 المتكلمين وآراء الفقهاء ولا نزيد في أمور الاعتقادات والحلال والحرام على ذلك ولا
 نقص منه ، وقد بينا حجج هذه المسألة مرارا. وليس معنى هذا ان يكون المهتدي
 بذلك انما مجتهدا بل ان يكون على بضيرة من دينه على طريقة السلف عوامهم
 وخواصهم مع الاعتانة على فهم النصوص بما فسرهما به العلماء

(٣) عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نمار كل تتبع لآراء
 من أئمة السلف المهتدين في حكم من الاحكام من أئمة آل البيت كزيد بن علي
 من قبلهم واسما بسهولة الحنيفة السمجة، اشارة الى حديث ابي سعيد الخدري
 المتفق عليه « لننعم سن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب
 تبعهم يوم » هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم « حقوا دخلوا في جحر ضب لتبعتموم »

والصادق والباقر وأئمة فقها لا مصاد كأي حبيبة ومالك وانشائي وأحد وأئمة الصوفية كالجليد ، وعلما الصحابة والتابعين بالأولى ، ولا تكفر مسلما مذمنا بذنب ولا بدعة ارتكبها بجهل أو بشبهة اتباع منهم أو بتأول . وحتى زال التعصب تكون المناظرة بين المتأخرين في ذلك بالدليل الشرعي مع الأدب والاحترام واثقة الشقاق والتفرق بين المسلمين ، ويقدم دعاة الإصلاح في ذلك قاعدة الامام مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر . يعني النبي (ص) فلا يتعصبون لشخص معين غير الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا لجماعة غير الصحابة رضوان الله عليهم فما أجمعوا عام فلا مندوحة من اتباعه وما اختلفوا فيه يرجع فيه ما كان دليله أقوى والأخذون به من التابعين وسائر علماء السلف أكثر فنه قلنا يسلم عالم بمحمد من شذوذ يتفرد به دون الجماعة فيعذر بآفته هاده ولا يتبع فيه وامانا نكتب في فرصة أخرى . مثالا في شذوذ كبار العلماء الذين خالفوا الجمهور ليكون شرحا لقاعدة الامام مالك رحمه الله تعالى

(٤) لاستماتة بارشاد الكتاب والسنة على الإصلاح الديني مع تحصيل العلوم والفنون التي ترتقي بها الزراعة والصناعة والتجارة والقوى الحربية فان هذا مقصودنا بلنا بتلك الهداية التي نصت على أن الله خلق لنا ما في الارض جميعا وامرنا بأن نعد لحفظ دعوة الحق ما نستطيع من قوة . وقل رسولنا صلى الله عليه وسلم دائما انا بشر مثلكم اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر . وقال « انتم أعلم بامر دينكم رواها مسلم في صحيحه

ولهذه المسائل تفصيل شرحناه في المناظر ارا بل كان المدار في جملة وتفصيله دعوة الى الإصلاح الاسلامي المبني على أساس اتباع جمهور السلف الصالح في أمور الدين رواية وذراية وعلا بلا زيادة ولا نقص . وبالنسبة لبلنا تبلغ مدأ أحدهم أو نصفه . واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبت العلم والاختبار في أمور الدنيا مطلقين لاجتماعهما الثمان فيه . وهذا اتباع السلف فيما فهموه من هدي الكتاب والسنة أيضا كما يعرف من سببهم في فتح البلاد وانشاء الدواوين ونصبة الامم . وروند بين هم واقفون وانعمل بها . وهو مذهب امام دار الهجرة مالك ابن انس تلميذه شاطبي في انصاره وغيره (ومن يتفهم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)

﴿ شرح قاعدة لا تكفر أحدا من أهل القبلة بذهب ﴾

٢

تتمة كلام شيخ الاسلام وهو في الاختلاف في الدين

ثم المختلفون المذمومون كل منهم ينبغي على الآخر فيكفر بما معه من الحق مع علمه انه حق ، ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع علمه بأنه باطل ، وهؤلاء كلهم مذمومون ولهذا كان أهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة فانه مأمهم الا من خالف حقا واتبع باطلا ، ولهذا أمر الله الرسل أن تدعو الى دين واحد وهو دين الاسلام ولا يتفرقوا فيه وهو دين الاولين والآخرين من الرسل واتباعهم قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعهم إليه) وقال في الآية الاخرى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا بما تعملون عليم) وان هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ه فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) أي كتبنا اتباع كل قوم كتابا مبتدعا غير كتاب الله فصاروا متفرقين مختلفين لان أهل الفرق والاختلاف ليسوا على الخيفية المحضة التي هي الاسلام المحض الذي هو اخلاص الدين لله الذي ذكره الله في قوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خفاء) وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ذلك دين القيمة) وقال في الآية الاخرى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ه مبين اليه وأقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فهنا أن يكون من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأعاد حرف «من» ليبين أن الثاني يدل من الاول والبديل هو المقصود بالكلام وما قبله توكيده وقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمتنا سبقت من ربك لنضي بينهم - الى قوله ولو شأ ربك لجلل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فأخبر أن صل الرحمة لا يختلفون. وقد ذكر في غير موضع أن دين الانبياء كلهم الاسلام

كما قال تعالى عن نوح (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال عن ابراهيم (اذ قال ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال يوسف (طاهر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالرحمات) وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال عن الصحرة (ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال عن بلقيس (رب اني نلت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) وقال (واذا أوحيت الى المحاورين ان آمنوا في ورسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « انا معاشر الانبياء ديننا واحد » وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحداً وهو الاسلام كالدين الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فانه هو دين الاسلام أولاً وآخراً، وكانت القبلة في أول الامر بيت المقدس ثم سارت القبلة الكعبة ، وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الاسلام فهكذا سائر ما شرع للانبياء قبلنا ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جملة واحداً وجعل الباطل متعدداً كقوله (وأن هذا صراطاً مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقوله (اجتبه وهدنا الى صراط مستقيم) وقوله (ويهديك صراطاً مستقيماً) وقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الضلالت الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الضلالت) وهذا يطابق ما في كتاب الله من أن الاختلاف المطلق كله مذموم بخلاف المقيّد الذي قيل فيه (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر) فهذا قديين أنه اختلاف بين أهل الحق والباطل كما قال (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وقد ثبت في الصحيح انها نزلت في المقتتلين يوم بدر في حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وعبيدة بن الحرث ابني عميه والمشرّكين الذين بارزوه عتبة وشيبة والوليد بن عتبة

وقد تدرّج كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات المسلمين من خلا مجرداً مثل كتاب المقالات لابي الحسن الأشعري وكتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابي عيسى الوراق أو مع انتصار لبعض الأقوال كسائر ما سنه أهل الكلام

على اختلاف طبقاتهم فرأيت عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم وأما الحق الذي يمت الله به رسوله وأزل به كتابه وكان عليه سلف الأمة فلا يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف بل يذكر أحدهم في المسئلة عدة أقوال والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لا يذكره، وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا يذكرونه بل لا يعرفونه، ولهذا كان السلف والأئمة يذمون هذا الكلام ولهذا يوجد المخالفة منهم المنصف الذي غرضه الحق في آخر عمره يصرح بالحيرة والشك (١) إذا لم يجد في الاختلافات التي نظر فيها وتأمل ما هو حق محض وكثير منهم يترك الجميع ويرجع إلى دين العامة الذي عليه المجاز والاعراب كما قال أبو المعالي وقت السياق: لقد خضت البحر الحضم وخليت أهل الاسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها أناذا أموت على عقيدة أمة. وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف والحيرة بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظر أهل الكلام والفلسفة وسلك ما يتيسر له من طرق المبادأة والرياضة والزهد وفي آخر عمره اشتغل بالحديث بالبخاري ومسلم، وكذلك الشهرستاني مع أنه كان من أخبر هؤلاء المتكلمين بالمقالات والاختلاف وصنف فيها كتابه المعروف بنهاية الاقدام في علم الكلام وقال: قد أشار على من أشاره غنم، وطاعته حتم، ان اذكر له من مشكلات الاصول، ما أشكل على ذوي العقول، ولعله استحسن ذاوهم. ونفخ في غير ضرم،

لمعري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرقي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كيف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

فاخبر انه لم يجد الا سائراً شاكاً مرتاباً أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطؤه فالاول في الجهل البسيط (نظائماً ببعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكدر اراها) وهذا دخل في الجهل المركب ثم تبين له انه جهل فندم، ولهذا تجده في المسائل يذكر أقوال الفرق وحججها ولا يكاد يرجع شيئاً للحيرة، وكذلك الأمدى الغالب عليه الوقف في الحيرة. وأما الرازي فهو في الكتاب الواحد بل في الموضع منه ينصرف ولا وفي موضع آخر منه أو من كتاب آخر ينصرف منه. ولهذا استقر أمره على الحيرة والشك، ولهذا لما ذكر ان أكل العلوم العلم بالله (١) المار: أي الشك في الترجيح بين المسألة الكلامية والفلسفية لاني أصل الاسلام

وبصفاته وأفعاله ذكر على أن كلا منهما اشكال (١) وقد ذكرت كلامه وبينت ما أشنى عليه حتى هؤلاء في مواضع فإن الله قد أرسل رسله بالحق وخلق عباده على الفطرة فمن كل فطرته بما أرسل الله به رسله وجد الهدى واليقين الذي لا ريب فيه ولم يتناقض ولكن هؤلاء أفسدوا فطرتهم العقلية وشرعهم السمية بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف الذي لم يمتدوا معه إلى الحق كما قد ذكر تفصيل ذلك في موضع غير هذا

والمقصود هنا أنه لما ذكر ذلك قال: ومن الذي وصل إلى هذا الباب، ومن الذي ذاق من هذا الشراب

نهاية اقدام العقول عقلا وأكثر سمي المالين ضلال وأرواحنا في وحشة من جسامنا وحاصل دنيانا أذى ووبال ولم نستند من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمنا فيه قيل وقالوا وقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عيلا. ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق لطريقة القرآن - أقرأ في الانبات (إليه يصعد الكلم الطيب - الرحمن على العرش استوى) وأقرأ في النبي (ليس كنهه شيء وهو السميع البصير - ولا يحيطون به علما) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» وهو صادق فيما أخبر به أنه لم يستفد من بحونه في الطرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقالوا وأنه لم يجد فيها ما يشفي عيلا أو يروي غليلا، فإن من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمقول بل يذكر في المسألة عدة أقوال والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره. وهكذا غيره من أهل الكلام والفلسفة ليس هذا من خصائصه فإن الحق واحد ولا يخرج عما جاءت به الرسل وهو الموافق لصحيح العقل وفطرة الله التي فطر عليها عباده: وهؤلاء لا يعرفون ذلك بل هم (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) وهم يختلفون في الكتاب (وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

وقال الامام أحمد في خطبة بمنه الله سنه في محبه في رد على الزنادقة (١) المنار: كتب مستخرج الكتاب في المصنعة الاميرية: هكذا في الاصل. بل في الكلام نقصا أو محررا فإد وتقول للاصل: ذكر أن كلا منها عليه اشكال - أو بذكر أن على كل منها اشكال

والجهمية فيما شككت فيه من منتهى القرآن وتأويله حتى غير تأويله قال: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى. ويصبرون منهم على الأذى. يحيون بكتاب الله الموقى، ويبصرون بنور الله أهل الضلالة والعمى؛ فكم من قتيل لا بليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أفصح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مختلفون للكتاب متفقون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمنتساب من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم». وهو كما وصفهم رحمه الله فإن المختلفين أهل المقالات المذكورة في كتب الكلام أما تلامعجراً للأقوال وأما تلامعجراً لذكر اللجدال مختلفون في الكتاب كل منهم يوافق بعضاً ويرد بعضاً ويجعل ما يوافق رأيه هو الحكم الذي يجب اتباعه وما يخالفه هو المنتساب الذي يجب تأويله أو تعويضه وهذا موجود في كل مصنف في الكلام. اهـ

هذا ما أحيينا نقله من كلام شيخ الاسلام في هذا المقام وقد أطلال بعده في وصف المتكلمين وخلافهم. وفصل الأشعري على غيره في معرفة الفرق ومذاهبها وذكر خلاف الفلاسفة أيضاً. ونسب مذهب الفلاسفة إلى النحل والنقل على مذاهب جميع المتكلمين والفلاسفة. ولا بد من تلك التخلئة عند الرجل لجميع أولئك الأساطين من الفلاسفة والنصار غروراً بشبهة الشيطان. أنه لا يعقل أن يكون هو أعلم منهم أو أذكى حتى يكون أحق بالصواب وأولى. فإرجل ليس صاحب مذهب مخترع تعارضت أدلته مع أدلة هذه الفرق واشتبه علينا الأمر حتى ترجح قوله على كل منها أو ترجح غيره عليه، بن هو ناصر مذهب جمهور السلف الصالح بالأدلة العقلية التي اتفقت بنظرياتها كل من شذ عنه قليلاً أو كثيراً. وأساس مذهبهم الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله وصريح غير رسوله على الوجه الذي كان عليه خير الأمة قبل افتتنائها بالظنيات التي فرقها شرعاً. ونعم أدلته أن سفر لها من هدم كل ما خالف السلف من تلك اضطرابات أدلة من حجة هي أقوى منها. وأثبت بالبرهان أن صريح المعقول لا ينفك عن جميع المستقول. ويتبين هذا أثبات أن هذا الدين من عند الله إذ لو كان من عند الرسول أو غيره دلالة في باطن المتكلمين والفلاسفة

وكان المتأخر أسج رأيا فيه من المتقدم
وقد استوفى الرد على أولئك المخالفين لتساق من المنتسبين الى مذاهب
السنة والمبتدعة والفلاسفة في كتابه (وفاقه مريح المقتول لصحيح المقتول)
وانني اتقل منه هنا ما ختم به الوجه السابع من الوجوه التي تكلم فيها على تقديم
العقل على النقل عند التعارض وهو :

(تنفيذان تبيينه قول المنكاهين بتقديم المنطريات العقلية على النصوص السمعية)
والمتصور هنا التنبيه على أنه لو سوغ لا ظرين أن يمرضوا عن كتاب الله تعالى
وعارضوه بأرائهم ومقولاتهم ! يكن عنك أمر مضبوط يحصل لهم به علم ولا هدى
فان الذين سلكوا هذه السبل كلهم يخبر من نفسه بما يوجب حيرته وشكه والمسلمون
يشهدون عليه بذلك فثبت بشهادته وقراءه على نفسه وشهادة المسلمين الذين هم
شهداء الله في الارض انه لم يفلح من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه يتيقن
بطمئني اليه ولا معرفة يسكن بها قلبه ولذين ادعوا في بعض المسائل أن لهم مقولا
مربحا يناقض الكتاب قابلهم آخرون من ذوي المقولات فقالوا ان قول هؤلاء
معلوم بطلانه بهربح المقول فسد وما يدعى معارضة للكتاب من المقول ليس فيه
ما يجوزم بأنه مقلو صحيح اما شهادة أصحابه عليه وشهادة الامة واما بظهور تناقضهم
ظهورا لا ارباب فيه واما لمعارضة آخرين من أهل هذه المقولات لهم بل من تدبر
ما يعارضون به الشرع من العقليات وجد ذلك مما يعلم بالعقل الصريح بطلانه والنامس
اذا تنازعوا في المقول لم يكن قول طائفة لما مذهب حجة على أخرى بل يرجع في
ذلك الى الفطر السامية التي لم تنبهر باعتقاد يغير فطرته ولا هوى فانتقم حينئذ أن
يعتمد على ما يعارض الكتب من الاقوال التي بسمونها مقولات وان كان ذلك قد
قائه طائفة كبيرة لمخالفة طائفة كبيرة لها ولم يبق الا أن يقال ان كل انسان له عقل
فيتمتع على عقل نفسه وما وجد معارضا لا قول الرسول صلى الله عليه وسلم من رأيه
خالفه وقدم رأيه على نصوص الانبياء صحت الله وسلامه عليهم. ومعلوم أن هذا أكثر
ضلالا واضطرابا فاذا كان غرور الفطر وأصحاب الفلاسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر
الى الغاية وهم ليهم ونهارهم يكدهون في معرفة هذه العقليات ثم لم يصلوا فيها الى

معتول صريح ينفذ الكتاب بل اما الى حيرة وارتباك، وما الى اختلاف بين الاحزاب فكيف غيره هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في لدن وانقاذ، ومعرفة اسلكوه من العتليات فهذا وأمثاله مما يبين أن من أعرض عن الكتاب وعارضه بما ينفذ، لم يعارضه إلا بما هو جهل بسيط أو جهل مركب فالاول (كسرات قيمة يجنبه الظالم ما حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفى حسبه يومئذ) سريع الحساب (والثاني) كظلمات في بحر الجمي ينفشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فلما له من نور) وأصحاب القراء والایمان في نور على نور قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا وانك تهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور) وقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) الى آخر الآيات وقال تعالى (الذين آمنوا به وهزروه وحسروا وانبعثوا نور الذي أنزل معه أولئك المفلحون) فأهل الجهل البسيط منهم أهل الشك والخبرة من هؤلاء المعاصرين للكتاب المعرضين عنه، وأهل الجهل المركب أرباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمون أنها عتليات وآخرون ممن يعارضهم بقول مناقض لتلك الأقوال هو العتليات ومعلوم أنه حينئذ يجب فساد أحد الاعتقادين أو كليهما والعالم قد استكلا لا اعتقدين لما فيهما من الاجمال والاشتباه وأن الحق يكون فيه تفصيل يبين أن مع هؤلاء حقاً وباطلاً ومع هؤلاء حقاً وباطلاً والحق الذي مع كل منهما هو الذي جاء به الكتاب الذي يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه والله أعلم اهـ

[النار] كل مؤمن سليم النطرة صحيح العقل اذا قرأ هذا يجوزم بأنه الحق، وأنه يجب على المسلمين أن لا يمتروا شهرة أحد من المتكلمين ولا الصوفية ولا الفقهاء الذين خالفوا السلف فيما نقله شمس الحديثين منهم من أمر الدين، وإنما انداد كل عالم في اجتهاده اذا ثبت من سيرته ادعاه الحق والحق في قصد تأييد الشرع ولكن لا تتبع أحداً فيما خالف هدي السلف المصلح والدين، معتمدين على نقل فقهاء الحديث دون آراء المختلفين . وهذا متبعي لإصلاح في الدين .

تاريخ فنون الحديث

٣

المستدرك على الصحيحين للحاكم

قد أودع الحافظ محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (١) في كتابه المستدرك ما ليس في الصحيحين مما رأى أنه على شرطهما أو شرط أحدهما (٢) أو ما أدى اجتهداه إلى تصحيحه وإن لم يكن على شرط واحد منهما مشيراً إلى القسم الأول بقوله هذا حديث على شرط الشيخين أو على شرط البخاري أو على شرط مسلم وإلى القسم الثاني بقوله هذا حديث صحيح الإسناد وربما أورد فيه ما لم يصح عنده منها على ذلك وهو متساهل في التصحيح وقد غلب الحافظ التعمي (٣) مستدركه وأبان ما فيه من ضعيف أو منكر وهو كثير وجمع جزء في الأحاديث الموضوعة التي وجدت فيه فبلغت حوالي مائة قال الذهبي : في المستدرك جملة وافرة على شرطهما أو شرط أحدهما ولعل مجموع ذلك نحو نصف الكتاب وفيه نحو الربع مما صح سنده وفيه بعض الشيء وما بقي وهو نحو الربع فهو من أكبر وأهيات لا تصح وفي بعض ذلك موضوعات

وهذا الأمر مما يتعجب منه فإن الحاكم كان من الحفاظ البارعين في هذا الفن ويقال أن السبب في ذلك أنه صنّفه في أواخر عمره وقد اعتريته غفلة وقال الحافظ ابن حجر إنما وقع للحاكم التساهل لأنه سود الكتاب لينقحه فيما جلته المنية ولم يتيسر له تحريره وتنقيحه

وقال كثير من المحدثين إن ما انفرد الحاكم عن أئمة الحديث بتصحيحه يبعث عنه ويحكم عليه بما يقضي به حاله من الصحة أو الحسن أو الضعف اهـ

(١) توفي سنة ٤٠٥ هـ «٢٥» قال النووي المراد بقول المحدثين على شرطهما أو على شرط أحدهما أن يكون رجال الاسناد في كتابيهما أو في كتاب أحدهما لأنهم ليس لهم شرط في كتابيهما ولا في غيرها (٣) سنة ٧٤٨

(المنار: ج ٣) (٢٥) (المجلد الثاني والعشرون)

المستخرجات على الصحيحين

قبل أن نذكر المستخرجات على الصحيحين نذكر معنى الاستخراج فنقول الاستخراج أن يمدح حافظ إلى صحيح البخاري مثلاً فيورد أحاديثه واحداً واحداً بأسانيد لنفسه غير ملتزم فيه ثقة الرواة - من غير طريق البخاري إلى أن يلتقي معه في شيخه أو فيمن فوقه إذا لم يمكن الاجتماع معه في الأقرب وزعمنا ترك المستخرج أحاديث لم يجد له بها اسناداً مرضياً وربما علقها عن بعض رواها وربما ذكرها من طريق صاحب الأصل وقد استثنى كثير من الحفاظ بالتخريج وقصروا ذلك في الأكثر على الصحيحين لكونهما العمدة في هذا الفن . وللمستخرجات فوائد منها ما قد يقع فيها من زوائد في الحديث لانهم لا يلتزمون الفاظ المستخرج عليه ومنها علو الاسناد إذا رواية الحديث عن صاحب المستخرج عليه أبعد من روايته عن طبقته أو شيوخه وقد يقع فيها التصريح بالسماع مع كون الأصل مبنيّاً أو بتسمية مبهم في الأصل ولا يحكم للزيادات الواقعة في المستخرجات بالصحة إلا إذا كان سند المستخرج إلى الشيخ الذي التقى فيه . مصنف الأصل صحيحاً متصلاً . وقد يطلق التخريج على عزو الحديث إلى من أخرجه من الأئمة كقولنا أخرجه البخاري للحديث الذي يوجد في صحيحه ومن الكتب المستخرجة على جامع البخاري المستخرج لابي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني (١) والمستخرج لابي بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي (٢) والمستخرج لابي بكر أحمد بن محمد البرقاني شيخ الفقهاء والمحدثين (٣) . ومن المستخرجات على صحيح مسلم تخريج أحمد بن حمدان النيسابوري (٤) وتخريج ابي عوانة الاسفرائيني (٥) وتخريج ابي نصر الطوسي (٦) والمسند المستخرج على مسلم للحافظ ابي نعيم الاصبهاني (٦)

المجتبى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٧)

لما صنف النسائي سننه الكبرى أهداها إلى أمير الرملة فقال له أكل ما فيها صحيح فقال فيها الصحيح والحسن وما يقاربهما فقال ميز لي الصحيح من غيره .

١٠. توفي سنة ٢٣٠ هـ . سنة ٣٧١ هـ . - ٤٠٤ هـ . سنة ٤٢٥ هـ . سنة ٣١١ هـ . سنة ٣١٦ هـ .

١١. سنة ٣٤٤ هـ . ٧٠٣ هـ . ٣٠٢ هـ .

فصنف له السنن الصغرى وسماه المجتبى من السنن
 ودرجته في الحديث بعد الصحيحين لانه أقل السنن بعد ما ضيفا وأما سننه
 الكبيرة فكان من طريقته أن يخرج فيها عن كل شخص لم يجمع على تركه. وإذا
 نسب الى النسائي رواية حديث فأنما يفتون روايته في مجتبه وقد شرح المجتبى
 شرحا وجيزا الحافظ جلال الدين السيوطي (١) وكذلك شرحه أبو الحسن محمد
 ابن عبد الهادي السندي الحنفي (٢) اقتصر فيه على حل ما يحتاج اليه القارئ
 والمدرس من ضبط اللفظ وایضاح الغريب والاعراب نفاة في شرح الكتب
 الستة على أن شرحه أوسم من شرح السيوطي (٣) وقد شرح سراج الدين ممر بن
 علي بن الملحق الشافعي زرائده على الصحيحين وأبي داود والترمذي في مجله

سنن أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني (٤)

قال أبو سليمان الخطابي في كتابه معالم السنن اعلموا ورحمكم الله أن كتاب
 السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله وقدر زق القبول
 من كافة الناس فصار حكاكين فرق العلماء وطبقات العلماء على اختلاف مذاهبهم
 فلكل منه ورد ومنه شرب (٥) وعليه معمول أهل العراق وأهل مصر وبلاد
 المغرب وكثير من أقطار الأرض. قال أبو داود رحمه الله كتبت عن رسول الله
 (ص) خمسمائة الف حديث فانتخبت منها أربعة آلاف حديث وثمانمائة ضمنتها هذا
 الكتاب ذكرت الصحيح وما يشبهه ريقا به ويكفي الانسان لديه من ذلك أربعة
 أحاديث أحدها قوله (ص) « الأعمال بالنيات » والثاني قوله (ص) « من حسن
 اسلام المرء تركه مالا يعتيه » والثالث قوله (ص) « لا يكون المؤمن في غير مناصح
 يرضى لآخيه ما يرضى لنفسه » والرابع « الجلال بين والجمال بين » الحديث وقال ما
 ذرت في كتابي حديثا أنجم الناس على تركه وما كان به من حديث فيه وجه شديد
 فقد بينته ومنه مالا يصح سنده. وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح وبعضها أصبح
 من بعض، وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبي (ص) الا وهي فيه ولا أعلم
 شيئا بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب ولا يضر رجلا أن
 لا يكتب من العلم شيئا بعد ما يكتب هذا الكتاب الى آخر كلامه في رسالته
 (٦) طبع اثنتي عشرة مرة في الهند (٧) الشرب بالكسر كالورد وهو بمعنى
 المتعمول أي ما يورد وما يشرب (٨) توفي سنة ٢٩١١ هـ سنة ١١٣٨ (٩) سنة ٢٧٥ هـ

الى أهل مكة . وقد اشتهر هذا الكتاب بمجمعه لاحاديث الاحكام وفيه كثير من
المراسيل وكان محتج بها من تقدم الشافعي كسيان الثوري ومالك والاوزاعي
﴿شرحهما﴾ شرح هذه السنن كثير من أفاضل العلماء شرحها الامام الخطابي (١)
في كتابه منام السنن وقلب الدين أبو بكر النخعي الشافعي (٢) في أربع مجلدات
كبار وأبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (٣) كتب من شرحه سبع مجلدات
الى أثناء سجد السهو وشرح زوائده على الصحيحين ابن الملقن في مجلدين وشرح
السنن شهاب الدين الرملي (٤)

مختصراتها قد اختصرها زكي الدين المنذري (٥) واسمى مختصره المجتبى
وقد شرحه السيوطي بكتابه زهر الرباعي المجتبى وهذب المختصر ابن قيم الجوزية
الحنبلي (٦) وشرح مذهبه شرحاً جليلاً ذكر فيه أن الحافظ المنذري قد أحسن
في اختصاره فهذبته نحو ما هذب هو به الاصل وزدت عليه من الكلام على علل
سكت عنها اذ لم يكملها وتصحيح أحاديثه والكلام على متون مشكلة لم يفتح
مغلقتها وقد تبسط الكلام على مواضع لعل الناظر لا يجدها في كتاب سواء
قال ابن كثير في مختصر علوم الحديث أن الروايات لسنن أبي داود كثيرة
يوجد في بعضها ما ليس في الاخرى

الجامع الصحيح لمحمد أبي عيسى الترمذي^(٦)

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز
والعراق وخراسان فرضوا به واستحسنوه وقال ما أخرجت بكتابي هذا الا
جديشاً قد حمل به بعض النقصاء فعلى هذا كل حديث احتج به محتج أو عمل
بموجبه حامل أخرجه سواء صح طريقه أو لم يصح لكنه تكلم على درجة الحديث
وبين الصحيح منه والمعلول كما ميز الممول به من المتروك وساق اختلاف العلماء
فكتابه لذلك جليل التدرج الفائدة كما انه قليل التكرار

﴿شرحوه﴾ قد شرحه محمد بن عبد الله الاشيلي المعروف بابن العربي المالكي (٨)
وأسنن شرحه (عارضة الاحوذى في شرح الترمذي) وشرحه الحافظ محمد بن
محمد الشافعي (٩) شرح نحو ثلثيه في عشر مجلدات ولم يتمه وقد كلفه زين الدين

- (١) توفي سنة ٣٢٨ (٢) سنة ٦٥٢ (٣) سنة ٨٢٦ (٤) سنة ٨٤٨ (٥) سنة ٦٥٦
(٦) سنة ٧٥١ (٧) سنة ٢٧٩ (٨) سنة ٥٤٦ (٩) سنة ٧٣٤

عبد الرحيم بن حسين المراق (١) وشرحه عبد الرحمن بن احمد الحنبلي في عشرين مجلدا وقد احترق شرحه في الفتنة وكذلك شرحه السيوطي والسندي وشرح زوائده على الصحيحين وابي داود عمر بن علي بن الملقن (٢)
 (٣) مختصراته منها الجامع لنجم الدين محمد بن عقيل (٣) ومختصر الجامع لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي (٤)

سنن محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٥)

عد بعض الحفاظ أصول السنة خمسة يعني كتب البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وعددها بعض آخر ستة بضم سنن ابن ماجه الى الخمسة السالفة وأول من فعل ذلك ابن طاهر المقدسي (٦) ثم الحفاظ عبد الغني (٧) في كتاب الاكمال في أسماء الرجال وانما قدموا سنن ابن ماجه على الموطأ لكثرة زوائده على الخمسة بخلاف الموطأ. قال بعض المحدثين ينبغي ان يجعل السادس كتاب الدارمي فانه قليل الرجال الضعفاء نادر الاحاديث المنكرة والشاذة (٨) وان كان فيه احاديث مرسله وموقوفة. وقد جعل بعض العلماء كرز بن السرفسطي (٩) سادس الكتب الموطأ وتبعه على ذلك الجدد بن الاثير في كتاب جامع الاصول وكفا غيره قال الحفاظ المزني ان كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف وليسكن قال الحفاظ ابن حجر انه انفرد بأحاديث كثيرة وهي صحيحة فالاولى حمل الضعف على الرجال

شروح سنن ابن ماجه: شرحها كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي (١٠) في خمس مجلدات واسمى شرح الديباجة ولكنه مات قبل تحريره وشرحها ابراهيم ابن محمد الحلبي (١١) وجلال الدين السيوطي في شرحه مصباح الزجاجة وكذلك السندي وقد شرح سراج الدين عمر بن علي بن الملقن زوائده على الخمسة في ثمان مجلدات وسمى شرحه ما تمس اليه الحاجة على سنن ابن ماجه

(١) توفي سنة ٨٠٤ (٢) سنة ٨٠٤ (٣) سنة ٧٢٩ (٤) سنة ٧١٠ (٥) سنة ٢٧٣ (٦) سنة ٦٠٠ (٧) بعد سنة ٦٠٠ (٨) الحديث المسكر ما كان في سننه كثير الغلط أو غافل عن الاتساق أو ساق والشاذ ما خالف فيه الثقة من هو أرجح منه (٩) توفي سنة ٥٣٥ « ١٠ » سنة ٨٠٨ « ١١ » سنة ٨٤١

بقي كتب السنة الصحيحة غير الكتب الستة

مما أسلفت يتبين لك ان الصحيحين لم يستوعبا كل الصحيح وكذلك
الاصول الخمسة أو الستة وان كان الزائد عليها قليلا قال الامام النووي الصواب
قول من قال انه لم يفت الاصول الخمسة الا التزر اليسير . وهانحن أولاء ندلي اليك
ببقي الكتب الشهيرة الجامعة للصحيح في القرنين الثالث والرابع
فنها صحيح محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري (١) وصحيحه أعلى مرتبة
من صحيح ابن حبان تلميذه لشدة تحويه حتى انه يتوقف في التصحيح لأدنى
كلام في الاسناد . ومنها صحيح أبي حاتم محمد بن حبان البستي (٢) وأهم مصنفه
التقاسيم والانواع والكشف على الحديث منه عسر لانه غير مرتب على الأبواب
ولا المسانيد وقد رتبته ابن الملقن وجرى أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين
في مجلد وقد نسبوا لابن حبان التساهل في التصحيح الا أن تساهله أقل من
تساهل الحاكم في مستدركه . ومنها صحيح أبي عوانة يعقوب بن اسحاق (٣)
وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان (٤) وسنن الامام الحافظ علي بن
عمر البغدادى الشهير بالدارقطني (٥) والمنتقى في الاحكام لابن الجارود عبد الله
ابن علي «٦» والمنتقى في الآثار لقاسم ابن أصبغ محدث الاندلس «٧» .

كتب الاطراف

كتب الاطراف هي ما تذكر طرفا من الحديث يدل على بقیته ونجيب أسانيده
اما مستوعبة أو مقيدة بكتب مخصوصة فمن ذلك
أطراف الصحيحين للحافظ ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي (٨) ولأبي
محمد خلف بن محمد الواسيلي (٩) قال الحافظ بن عساكر وكتاب خلف أحسنها
رتيباً ورسماً وأقلها خطأ ووهما . وهو في دار الكتب السلطانية أربع مجلدات
— ولأبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني (١٠) — وللحافظ أبي الفضل أحمد

«١» توفي سنة ٣١١ ٢٠ سنة ٣٥٤ «٣» سنة ٣١٦ «٤» سنة ٣٥٣

«٥» سنة ٣٨٥ «٦» سنة ٣٠٧ «٧» سنة ٣٤٠ «٨» سنة ٤٠٠ «٩» سنة

٤٠ «١٠» سنة ٥١٧

ابن علي بن حجر العسقلاني وأطراف السنن الاربعة لابن عساكر الدمشقي (١) في ثلاث مجلدات مرتباً على حروف المعجم واسمه الاشراف على معرفة الاطراف وأطراف الكتب الستة لمحمد بن طاهر المقدسي (٢) جمع فيه أطراف الصحيحين والسنن الاربعة قال ابن عساكر في مقدمة كتابه الاشراف سبرته واختبرته فظهرت فيه أمارات النقص والقيته مشتملاً على أوهام كثيرة وترتيبه مختل. لهذا عمل كتابه الاشراف ولهذا السبب أيضاً لخصه الحافظ محمد بن علي الحسيني الدمشقي (٣) ورتبه أحسن ترتيب واسم كتاب المقدسي اطراف الغرائب والافراد، وللحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزني (٤) أطراف الكتب الستة أيضاً وفيه أيضاً أوهام جمعها ابو زرعة أحمد ابن عبد الرحيم (٥) وقد اختصر أطراف المزني الذهبي (٦) كما اختصره أيضاً محمد بن علي الدمشقي الآنف ذكره ولابن الملقن الاشراف على أطراف السنة.

ولابن حجر انحاء المهرة بأطراف العشرة يعني الكتب الستة والمسانيد الاربعة في ثمانى مجلدات. وقد أفرد منه تأليفه المسى بأطراف المسند المعتمى يقع في مجلدين.

دور التهذيب بعد القرن الرابع

ان لجمع السنن من أفواه الرواة والنظر في رجال الاسانيد وازالهم منازلهم وبيان غليل الحديث من منحيجه كاد ينتهي بانتهاى القرن الرابع كما انشأت اذ ذلك جذوة الاجتهاد وركن الناس الى التقليد في الدين فأكثرت الكتب التي تجدها بعد ذلك العصر سلكت مسلك التهذيب أو جمع الثبت وبيان الغريب، أو نحت منحنى الابداع والترتيب أو طرقت سبيل الاختصار والتقريب وجل من تكلم في الاسانيد بعد المائة الرابعة كان غالة على مادونه أئمة الحديث في القرون السابعة

ولا يسبقن الى ذهنك — وأنت التطن اليبيب — أنه لم يسبق القرن الخامس جمع وتهذيب فان ذلك قد وجد ولكن لم يشع شيوعه بعد القرن الرابع ونحن من سنتنا في هذه الرسالة مراعاة الامور الدائمة ولا نلتفت لليسير النادر

«١» توفي سنة ٥٧١ «٢» سنة ٥٠٧ «٣» سنة ٧٦٥ «٤» سنة ٨٤٢ «٥»

سنة ٨٢٠ «٦» سنة ٧٤٨

أم الكتاب الجامعة لمئون الحديث في دور التهذيب

الجمع بين الصحيحين قد جمع كثير من الأفاضل بين صحيح البخاري ومسلم ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الجوزي (١) وإسماعيل بن أحمد المعروف بابن القرات (٢) ومحمد بن أبي نصر الحميدي الأندلسي (٣) وربما زاد زيادات ليست فيهما وحسين بن مسعود البغوي (٤) ومحمد بن عبد الحق الأشبيلي (٥) وأحمد بن محمد القرطبي المعروف بابن أبي حجة «٥»
الجمع بين الكتب الستة قد جمع بينها عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي المعروف بابن الخطاط «٦» وقطب الدين محمد بن علاء الدين المكي «٧» وكتابه مرتب مذهب

وأبو الحسن رزين بن معاوية العبدي السرقسطي «٨» في كتابه تجريد الصحاح ولكنه لم يحسن في ترتيبه وتهذيبه وترك بعضاً من أحداث الستة فلما جاء أبو السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأمير الجرجزي الشافعي «٩» هذب كتابه ورتب أبوابه وأضاف إليه ما أسقطه من الأصول وشرح غريبه وبين مشكل الأعزاب وخفي المعنى وحذف أسانيد ولم يذكر إلا راوي الحديث من صحابي أو تابعي كما ذكر المخرج له من الستة ولم يذكر من أقوال التابعين والأئمة إلا النادر ورتب أبوابه على حروف المعجم وسماه جامع الأصول لأحداث الرسول لجاء كتاباً فذاً في بابيه لم ينسج أحد على منواله فقرب الينا البعيد وسهل علينا السير وهو بدار الكتب السلطانية المصرية في عشرة أجزاء صغيرة ولعل الله يسوق إليه من يبرزه إلى عالم المطبوعات فيسدى بذلك إلى طلاب الحديث معروفاً جليلاً. وقد اختصر هذا الجامع كثيرون منهم محمد المروزي «١٠» وهبة الله ابن عبد الرحيم الحموي «١١» وعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديع الشيباني الزبيدي «١٢» وهو أحسن المختصرات وقد طبع حديثاً بمصر ويقع في ثلاثة أجزاء ولا يباي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي «١٣» زوائد عليه سماها تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول وإن في هذا وما قبله لغنية عن كتب الحديث الأخرى وكفاية

نقد مشروع تعميم التعليم الاولى

نشرنا في ج ٨٧ من ٢١ تقريراً لمشيخة الازهر في نقد تقرير لجنة التعليم الاولى بوزارة المعارف لهذا المشروع . وقد طبع في هذه الايام تقرير آخر في شأن هذا التقرير لصديقنا عبد الله افندي أمين ناظر مدرسة المعلمين للتعليم الاولى في مديرية الجيزة وهو ممن طلب مراقب التعليم العام منهم ابداء آرائهم فيه وقد رأينا أن نقتبس بعض فصول هذا التقرير المفيدة ولما كان الفصل الاول منه قد عقد لنقد تسع فقرات بينت فيها اللجنة سوء حال التعليم العام في القلر المصري ووجه الحاجة الى تعميم التعليم الاولى رأينا أن ننشر أولاً هذه الفقرات وهي التي انتقدها ونقفي عليه بنشر رأيه فيها وفي كل منهما فوائد ذات قيمة ثمينة لمن يعنىهم أمور التربية والتعليم . قالت اللجنة مخاطبة وزير المعارف :

الفقرات ٤-١٢ من تقرير اللجنة

٤ - ونم ما قالت معاليكم في فاتحة جلسات هذه اللجنة حين بينتم أن « فشو الجمل بين جمهور الامة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد ، وأن ضرره لا يقتصر على اصناف الافراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً عظيماً في سبيل الرقي الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ويقضى على أعظم ضرور اصلاح في مهدها فلا تشرثمرتها مادام معظم من يشلمهم نفعها لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها »

(٥) والامثلة على ذلك كثيرة متوافرة في جميع فروع الاعمال الادارية لان الحكومة تضطر في جميع أعمالها الى أن تسبق برأى واسعاً حال التعليم التى عليها جمهور الامة . فنها :

في الزراعة : الوسائل التى تتخذ لمنع قلة محصول القطن — مقاومة دودة القطن ودودة اللوز — اتباع الطرق واستعمال الآلات الحديثة في الزراعة — ادخال أصناف جديدة من المزروعات في البلاد — توسيع نطاق التعاون في الشئون الزراعية — زيادة العناية بالحيوانات — توخي الطرق الفنية في استعمال الاسمدة الخ

فى الصحة العمومية : نشر القوانين الصحية الاولى بين الناس فيما يتعلق بهم وبمنازلهم والبدان التى يغطون بها - تحسين حل المساكن - وضع تصميّيات للمدن والقرى - تقرير أنظمة لتنظيف المدن والقرى - اصلاح موارد مياه الشرب - تقليل نسبة الوفيات فى الاطفال - تحسين وسائل العناية بالنساء والاطفال من الوجهة الطبية - التذابير التى تتخذ عند انتشار الامراض المعدية وغيرها مما يستدعى السرعة فى تداركه - استئصال شائفة الامراض المتأصلة فى البلاد كالبول الدموي (البلهارسيا) والرمد

فى الاشغال العمومية : المصارف - اصلاح البور من الاراضى - تعمير الاراضى غير المسكونة - انفاذ أوامر المناوبات وغيرها من أعمال الري

فى التعليم : ترقية أبسط أنواع التعليم الزراعى والفنى

فى الامن العام: ضبط الجرائم والتبليغ عنها ويدخل فى ذلك الرشوة - منع اجرام الاحداث وصياتهم من الفسق - منع سيم المواشى - مقاومة الهرب من الخدمة العسكرية والعمل على اصلاح الجيش والشرطة (البوليس) - اصلاح طرق الردع بالقوة -

فى القضاء : انشاء محاكم الاخطا وغير ذلك مما له أثر فى اصلاح القضاء

فى الادارة : توسيع سلطة مجالس المديرىات والمجالس البلدية فى ادارة شئون البلاد - توسيع نطاق الضرائب المحلية - الاستعانة فى المسائل الفنية بمشورة للمصالح الاميرية المختصة - الاحتياط لمنع نشوب الحريق بالقرى - اقناع الجمهور بفوائد التدابير التى تتخذها الحكومة كقانون خمسة الافدنة ونحوه - انشاء محلات القطن - تحديد مقدار الاراضى التى تخص بزرعة القطن - تسعير المواد الغذائية - انفاذ أوامر لجنة مراقبة التموين - قانون المستنقعات والبرك الخ

فى الشؤون الاقتصادية : بث روح الاقتصاد والعمل على تقليل ديون الفلاحين - مقاومة كثر الاموال بلا تنمير - توسيع نطاق صناديق الادخار (التوفير) وأعمال المصارف (البنوك) التجارية - رفع شان الزراعة والتجار المصريين حتى يستغنوا عن الوسطاء من الافرنج - ترقية الصناعات - تاسيس صناعات جديدة الخ فى الشؤون الاجتماعية : ترقية شان المرأة - الاهتمام بالاطفال - مقاومة الشحاذة والشرود (التشرد) - تحسين أحوال المعيشة فى بلاد الارياك والتغريب فيها

هذه أمثلة عدة - لا تحتاج في سردها إلى خبرة خاصة - وهي قليلة من كثير من وجوه الإصلاح الإداري والاجتماعي التي تقوم بها الحكومة الآن . وجلي أن أول عامل يتوقف عليه نجاحها إنما هو تحرير الشعب من ريق الجهل والتمالة (١) من هوة الأمية

(٦) وقد جاء في ملحق السير للدن غورست بكتاب «انجلترا في مصر» تأليف اللورد ملتر بعد أن تكلم على عدم بلوغ الحكومة النجاح المنشود في بعض فروع الإدارة ما ترجمته «على أن السبب الحقيقي يرجع إلى ما هو أبعد من ذلك..... وليس هناك علاج ناجح دائم إلا التروال النهوض بالشعب عامة وتهذيبه . وأنا يكون ذلك باسئاج خطة سديدة في التعليم سداها بعد النظر ولحمتها الخبرة السياسية» (صفحة ٤١٣) (٧) وقال المسيو شارلوتي مدير التعليم العام في تونس في خطبة ألقاها بتؤمر افرقية الشمالية سنة ١٩٠٨ ما يأتي «أن التقدم الاقتصادي مرتبط بجميع شؤون الحياة على اختلاف أشكالها . بيد أن الناس لا يستطيعون الوصول إلى هذا التقدم والارتفاع بمزاياء إلا إذا تروا تربية تسهل لهم فهم كنهه وتقر به من أذهانهم . فإن مسألة التعليم من أدق الامور وأشقها وخاصة في بلد يجب فيه قبل بلوغ أسباب الحضارة الحديثة اجتياز جميع مراحل الطريق الطويلة التي خلقتها عصور الجهل المطبق . فإذا لم يتيسر حل هذه المسألة حلا تاما فلا أقل من الاقتراب من ذلك الحل بالتحاذ جميع الوسائل التي يتناولها التعليم والتهديب والتدوة الحسنة»

٨ وقال الدكتور لورنس بولز الذي كان يشغل وظيفة نباتي بوزارة الزراعة في كتابه «مصر وطن المصريين» صفحة ٢١٤ ما ترجمته : «أن مالأرض مصر من الحصب والقوة لا يزال كامتا دفينا إذ هي لم تخلط بعد خطوات تذكر نحو القيام بعملها الطبيعي وهو انتاج المحصولات الزراعية وإرسالها إلى العالم بأسره..... وما لا يعتبره شك أن وادي النيل سيصير في يوم من الايام من أعظم الممالك الزراعية محصولا لأن به من مختلف الانواء ما يناسب كل نزع من أنواع المحصولات المختلفة باختلاف تربة الجهة التي تنمو فيها ويربطها جميعا نهر النيل الذي هو منبع وجودها ومصدر حياتها . ومن هذه البقاع ما ستهي الزراعة فيه أزمانا طويلة الأمد على الحال القطرية التي تشاهد في القابات . ومنها ما يرقى حتى ينتج أنفس المحصولات

(١) المنازع: النشل والانتشال في العربية أخذ اللحم من القدر وله آلة عقاء تسمى المنشال ويطلق النشل على أخذ اللحم عن القظام أيضا ويستعمله كتاب اجراء - رشتاهم من المعاصرين بمعنى الانتاذ من ملكة حسية أو ممنوية ولهذا المعنى في اللغة كلمة فصيحة وهي الانتاش قال ابن دريد :

أن ابن مبال الأمير انتاشني من بعد ما قد كنت كالنار في الننا

ونحن الى الآن لم نألف اختار الاعمال الزراعية الى المهارة الفنية. غير أن مشاهدة ورقة بديعة من تبخ هاذا ما أو الفطن الذي يكفي الرطل منه لصنع خيط طوله ٢٠٠ ميل أو النباتات التي تورع خاصة لاستخراج العقاقير الطبية تكفي لاقتناع كل متردد في عظم فائدة المهارة الفنية في الزراعة وجليل اثرها . فالزراعة التي من هذا القبيل - أى الزراعة التي تحتاج الى مهارة فنية - لها في مصر من الاحوال الملائمة ما ليس في مملكة أخرى . وقد برى في بديهة الامر أن في هذا القول شيئاً من التلو ولكننا لم نقله جراًفاً..... ولكني تنتفع مصر بهذه المزايا الطييمة بحسب أن يكون بها من العمال من يستطيعون أن يعملوا بمقولهم وأيديهم مما لذلك لا نكون مبالغين اذا قلنا بان حاجات المستقبل ستكون كفيلة بإيجاد طائفة جديدة راقية من المصريين أي بإيجاد شعب يجمع توفد القرىحة الى ما كان لاجدادهم من قوة الاجسام» وليس هذا الانتقال المنتظر في المستقبل مقصوراً على القطر المصري. فان وزارة المعارف الانجليزية تقول في رسالة عنوانها «مسألة المدارس الريفية» ان عصر القوى العضلية قد فات ونحن الآن في عصر انبثق فيه فجر العقول» ٩ - وقد قدم للحكومة أخيراً تقريران من لجنتين ألفتا بأمرها : الاولى برئاسة حضرة صاحب المال اى اسماعيل صدقي باشا للنظر في توسيع نطاق التجارة والصناعة ، والثانية برئاسة جناب اللفتنت كولوئل بلقور للنظر في تعديل نظام مصلحة الصحة العمومية بمصر. وجلي أن ضروب الاصلاح المقترحة في هذين التقريرين ستلقى في الخطوة الاولى من انفاذها عقبات كبيرة لجهل الناس غاياتها النبيلة

١٠ - فقد جاء في تقرير لجنة توسيع نطاق التجارة والصناعة ما يأتي : «ان ما سبق لنا ذكره من البيان المختص بالصناعات الصنرى المصرية لهو حجة قائمة وشاهد ناطق على ما بالبلاد من النقص الذي تش منه أنين الشكى وتوزح تحت أتماله . فان خلو الاعمال من النظام والترتيب واستهانة المال باتقان عملهم من الامور الدالة على ضعف التعليم ونقص تهذيب الاخلاق

«فاذا سأل سائل ما حال القطر من حيث التعليم العام والتربية الخلقية كان الجواب ان أقل بحث في هذا الموضوع يكفي للحكم بأن ما يتبع الآن من الخلط في التربية والتعليم في مصر يقصر عن الوصول بالبلاد الى الفرض السامى المقصود منهما وعن النبوض بها من الوجهة الخلقية . اذ مما لا نزاع فيه مطلقاً أن التعليم لم يعم حتى الآن جميع طبقات الامة وأن التربية المنزلية لا تقتصر مساوئها على

تقصها وتسكبها الفرض المنشود بل أنها مبنية على أساس فاسد غير وليد الأركان . فهي بدلا من تمويد النشء النظام وحسن التدبير تولد في نفوسهم الاسراف وسوء الادارة في الاعمال . وهي تبث فيهم روح الكسل والاهمال وتصرفهم عن الجهد والنشاط . وهي تغرس فيهم التردد في الامور أو قلة العناية بها وعدم النظافة وما أشبه ذلك من النقائص التي تقف حجر عثرة في سبيل تقدم البلاد من الوجهة المئوية وبذا تموت تقدمها من الوجهة الحسية أيضا

«ولما كان من واجب هذه اللجنة اقتراح جميع الوسائل التي تؤدي الى أقصى درجات الرقي الاقتصادي فهي تتشرف بلفت نظر الحكومة الى ضرورة الاسراع في اتعاذ مشروعها المختص بتعميم التعليم الاولي وتوجيه مزيد العناية اليه . وترى اللجنة أيضا أن من الواجب عليها التنبيه الى ضرورة بذل مزيد العناية بأمر التربية وتقوم الاخلاق واصلاح أحوال البيئة المنزلية خاصة فان تربية المرأة في هذا المقام من عوامل رقي الامة بأسرها»

١١- وأوردت لجنة النظر في تعديل نظام الصحة العمومية قولاً موجزاً في وصف الحال الحاضرة في مصر فقالت : «من المعلوم أنه لا يتيسر رفع شعب من الشعوب الى المنزلة التي فيها يعرف لنفسه حقها مادام الجو الذي يعيش فيه ملوثاً بالقذارة . فانا اذا أجلنا النظر في أنحاء مصر وجدنا أن معظمها تملوه الاوساخ وتحيط فيه رحالها القذارة . فهي كما كانت في قديم الزمان ملطخة بالامراض على اختلافها ولا أمل في أن يقوم أهلها بما عليهم من رفع شأن بلادهم ما دامت الامراض تثقل عواتقهم ونحيم على رؤسهم . ان نسبة الوفيات في الاطفال رائدة ثلث أبناء الامة يموت وهم في سن الطفولة وغضارة الحياة . هذا الى أن انتشار الحشرات والموام بين التلاحين لم يقل على الرغم مما ثبت حديثاً من أن القمل وسيلة لنقل التيفوس والحُميات الراجعة التي تنتك بالاهلين فتكاً ذريعاً»

وقد اشارت اللجنة بوجوب «شن غارة شعواء للقضاء على الجهل والقذارة : واستئصال شائفة المرض والبؤس» وما يلفت النظر أنها ذكرت الجهل أولاً ولم تعلق أملاً كبيراً على اصلاح الحال الصحية اصلاً ما وافياً بالفرض بتلقين أسباب ذلك لمن بلغوا سن الحلم فقد قالت :

«فإن الحقائق التي وقمنا عليها تدل دلالة واضحة على أن رجال فرقة العمال المصريين بعد أن يقضوا مع الجيش مدة يضطرون فيها إلى مراعاة أنظمة صحية خاصة لا يكادون يرجعون إلى مواطنهم بالقرى إلا وهم عائدون إلى سيرة الأولى . فتراهم لا يعمدون إلى بث شيء في نفوس قومهم مما تعلموه من أسباب النظافة . وكنتى بتأريخ الجيش المصري دليلا على أن ذلك ليس من الغرابة في شيء . فإن الجندي المصري بالرغم من تدريبه على النظام والترتيب ووقوفه تمام الوقوف على الطرق السحية المتبعة في المسكرات والشكنات لا يكاد يرجع إلى قريته إلا وهو مندمج في غمار عشيرته من الفلاحين فلا يمكن تمييزه منهم»

وختمت اللجنة قولها في هذا المقام بأن أوضحت أن أنجع وسيلة يرجى منها إصلاح الحال لا تكون إلا بالبدء بتعليم الطفل «فإن الطفل المتعلم قد يصبح أستاذا لوالديه غير المتعلمين ويكون بمثابة النواة الأولى التي تنبت منها على مدى الأيام عوامل رقي الفلاح» .

١٢ - وقد نشرت جريدة (الآخبار) بمرددها الصادر في ٢٨ إبريل سنة ١٩١٧ مقالة بقلم صحفي مصري (عامونا القراءة أولا) وصف فيها الكاتب حال الفلاح المصري وصفا ممتعا لا يخلو من المبالغة وبين فيها أن مصر لا تحتاج إلى جامعات جديدة بل إلى نشر التعليم الأولي بين جمهور أهلها . قال مانصه :

«السواد الأعظم من الأمة المصرية من الفلاحين لا يسي الجلايب الزرقاء وأكثر هؤلاء (والحمد لله) لا يعرفون القراءة والكتابة . أما الأفراد القلائل المقيون في مواسم الفطر فلا يمتد بهم لقلة عددهم بالنسبة لمجموع الأمة . فإذا أرادوا حدم الفلاحين أن يكتب صكا أو جوابا لا يجد من يكتب له فيضطر أن يسافر من قرية إلى أخرى حتى يفتو شخص يعرف كيف يخط . وكتابة مثل ذلك الشخص لا يكتف رموزها إلا عالم من علماء الآثار القديمة كالعلامة شامبليون الذي تمكن من قراءة الخط المبروغليفي :

(نحن المصريين لانعرف من أصول الصحة شيئا . وكل من ذهب إلى إحدى القرى أو العزب بشتم قبل أن يسأل إليها بيضة أميال الروائح الذكية (في أنوف ساكنيها) المصاحبة من أهوام السائمة الغائمة كاهرام الحنزة صم أجنادنا وهم

تحيط بالقرية أو المزرعة من كل جهاتها . ويرى مجاري جامع القرية ذات المنظر الجليل تجري الى النخلة التي يشرب منها أهل القرية بدون اسم ناز . ويرى شكل القرى الكثيب والمنازل المتلاصقة ذات الابواب الضيقة والنرف التي ليس بها منافذ ويرى الفلاح قائما هو وأولاده بجانب جاموسه لافرق بين الجميع .

ومن المضحك المبكي أن اسم الدكتور عند الفلاحين كلام عزرائيل عند المستدين . فإذا أتى الدكتور الى بلدة ترى المرضى اخفوا بأسرع من لمح البصر إما أن يحموا الى جهة في النبط بعيدة أو يدفنوا في قش الارز أو حطب القطن المكوم على الاسطح . ولا يفهم الفلاح (طبعاً) شيئاً اسمه ميكروب أو عدوى . ومع أنه لا شيء أكثر من الماء عند الفلاحين نجد أكثرهم قدرا وسعاً وكأنه يخشى أن يظلم ملاسه فتحمها تلك المخلوقات الشريرة ونهرب بهيأة لكثرة مائة لها بهرشه وكوشه فهو دائما أبداً في قلبها .

«ليس في الدنيا فلاح يحافظ على تقاليد الفلاحة القديمة من عهد قدماء المصريين أو من عهد أينا آدم الا الفلاح المصري . فلو بحث فلاح من أيام الفرائنة لراى أخاه فلاح اليوم لم يحن الامانة ولم يمد يده الى آلة من آلات الزراعة التي سلمها اليه بتبشير أو تعديل . فالمحراث والشادوف والعلنبور والنطالة الخوص كلها محتات العتيقة كما تركها له . ووجدته أيضاً لم يغير شيئاً من طرق الزراعة القديمة فلم يتفنن أو يجتهد ولم يحسن نوعاً من أنواع المواشي أو المحاصيل ولا يزال طعمة التاجر والمراي بها صنت الحكومة من القوانين لحمايته .

«فهل ينتظر من هذا الفلاح وهو كل الامة المصرية أن يقبل على الجامعات التي تدرس الفلسفة والتاريخ أو يقرأ الجرائد والمجلات العلمية أو يعلم ما تريد أن تعلمه اياه الحكومة بمذشوراتهم ولوائحهم ؟ قال أي شيء ؟ تحتاج الامة المصرية إذن لتوقفي وتمد في مصاف الأمم الحية وبهاو الدواء الذي يشفيها من مرض الجهل فتصبح أمة وكل فرد من أفرادها يعرف القراءة والكتابة فتنتج أذهانها وتتم وترتقي ؟

«(أظن أن كل فاضل من القراء يفهم ذلك الدواء)»

وهناك جرائد مصرية أخرى ألحقت على الحكومة مراوا وصاحت بوجوب الشروع

في تعميم التعليم الاولى والمساعدة الى ذلك حتى تستطيع أن تخطو فيه خطوات واسعة في القريب العاجل . اتسمى نص الفقرات الذم مع تصحيح عبارات قليلة صحفية من مقالة الاخبار وبليها ما كتبه عبد الله افندي أمين فيها وهو

التعليم الاولى والاصلاح

تقد الفقرات ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢

حاولت اللجنة في هذه الفقرات أن تقيم الادلة على ما جاء في الفقرة الرابعة منها من أن « فشوا الجهل بين جمهور الامة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد وان ضرره لا يقتصر على إضعاف الافراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً جسيماً في سبيل الرقي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ويقضي على أعظم شروب الاصلاح في مهدها فلا تثمر ثمرتها مادام معظم من يشلمهم نعمها لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها » .

❖❖

ومراد اللجنة من هذا الكلام إتناوع أولي الامر بوجوب الاسراع في تعميم التعليم الاولى لحسب . وهو مراد شريف جليل ، غير انه شغلها مما سواه ففاتها أن تقصير الاهالي في قيامهم بتصحيحهم من اصلاح الحكومة الاقتصادي والاجتماعي والسياسي اقصور مداركهم ، ليس أكبر من تقصير الحكومة نفسها وهي رشيدة طيبة وبينها وبين الشعب « هوة » لا تبصر « (أنظر ١٤ و ١٥) في قياسها بتصحيحها وحدها من الاصلاح نفسه ولا شك أن قواعد الاصلاح وأصوله كلها ما كان منها من عمل الحكومة وحدها وما كان منها من عمل الشعب وحده ، كسلسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها بأطراف بعض ويقوي بعضها بعضاً . فلو أن الحكومة كانت مثالا لشعبها فقامت بتصحيحها من الاصلاح لكان لهم فيها أسوة حسنة

ولتوسيع هذا النصيب في نفوسهم سروراً عظيماً به وشوقاً إلى القيام بنصيبهم من الإصلاح

ولو أن الحكومة أكثر من مستشفيات الأمراض ومستشفيات الارماد المتنقلة والثابتة وأنشأت حمامات ومنازل وأحواضاً لتخزين المياه وترويقها في القرى لأقبل عامة الشعب على هذه المنشآت إقبالهم الآن وقبل الآن على ما أنشئ من مستشفيات الرمد وهو عظيم جداً ولا تروها على طب الشموذة والتجارب الأهلية الناقصة الفاسدة وعلى الاستحمام وغسل الثياب في مياه الترع والمصارف الراكدة وعلى شرب ماء النيل المكر وأصلح ذلك من أجسامهم ونفوسهم وعقولهم أكبر إصلاح لما فيه من وسائل حفظ الصحة ومن الانصراف عن العادات السيئة والتجارب السفيفة والاعتقاد الفاسد فيها.

ولو أن الحكومة قدرت مثلاً مكافأة لمن يتدع مادة وخيصة جداً إذا مزجت بالتراب جعلته صلباً صقيلاً ترصف به الأرض وتيسر لها وصف الطرق الزراعية الرئيسية وغرست على جانبيها الأشجار الضخمة لدفعت عن الشعب عادية التراب وما يحمل من جراثيم الأمراض المختلفة وأظلمت فدفعت عنه حرارة الشمس، ولبيّنت بذلك في نفوس الأهالي يقظة وانتباهاً لأمورهم في أشد الحاجة إليها — انتباهاً لا يمكن أن يكون بالنصح والواصر وحدها

أن وسائل تربية الشعوب وتهذيبها كثيرة جداً. وكثير من هذه الوسائل من عمل الحكومات وهي أقدر على القيام بها من الأهالي رؤى بها منهم. غير أن سكوت الحكومة وتراخيها وحاجة البلاد الظاهرة إلى (المجلد الثاني والعشرون) (٢٧) (المنازع ٣)

المعمل النافع فيها يدفع من لا يقوى على الانتظار من أبناء الامة العاملين
 الخاضعين الى القيام بما تحتاج اليه البلاد غير ناظر ولا منتظر المسئول عنهم،
 وان اعترضته في سبيلها العقبات من قبل استعداد الاهالي أو امتناع
 الحكومات وحسبنا دليلا على ذلك ما قام به مجلس مديرية الجيزة المحترم
 من انشائه مستوصفين متتقلين في انحاء المديرية سنة ١٩١١م أيام رئسته
 المقطور على الاخلاص والصراحة والغيرة والحزم والعزم والثقة بالنفس
 وحب الاصلاح حضرة صاحب العزة عبد الرحمن فهدى بك

أنشأ المجلس المحترم حينئذ هذين المستوصفين المتتقلين لما كان يتوقمه
 من الآثار الجلييلة التي يتركها في صحة الاهالي وأخلاقهم وعاداتهم
 وعقائدهم وما أعظم ماتركا من ذلك ! فان الذين عولجوا فيها يمدون
 بالالوف . ولعل مصلحة الصحة تذكر ذلك . وقد كانت أحق بهذا العمل
 منه غير أنها سكنت ولا تزال ساكنة حتى ملأ الانتظار ونقد الصبر

ان اللجنة تعلم علما يقينيا أن التعليم وحده لا يصلح العوس . فقد
 نقلت في الفقرة (٢١) من (المستركي) قوله « أجل ان التربية العقلية
 المحضة لا تحدث تغييرا أساسيا في خلق الرجال » وتعلم أن الامة لا تغير
 ماها حتى تغير ما بنفوسها ، فلا بد للحكومة الرشيدة التي توصف بأن
 بينها وبين عامة الشعب « هوة لا تُغبر » من أن تسمى جدران السعى في
 البحث عن العلاج الناجح لتغيير شعبها ما بنفوسه — شعبها المخلص الذي
 ضربت له اللجنة مثلا الشعب الهندي اذ نقلت في الفقرة (١٩) من
 التقرير « وأهني بهم الملايين من الفلاحين الفقراء المساكين الصابرين
 الاذلاء . متين »

وما تلك الوسائل النافذة ؟ تلك الوسائل هي الاصلاح الفعلي كإنشاء المستشفيات وترويق المياه وغيرها ، لا النصائح الدولية والاوامر الكتابية التي لا تغير من نفس ولا تحي من عمل . لقد آن للحكومة الرشيدة أن تعدل عن الخطة العنيفة البالية وهي الامساك عن وسائل الاصلاح الفعلية خوف زيادة الضرائب ولو زيادة طفيفة تقدر بالمليم ، وتعتمد الى خطة المعلم الماهر والمربي الحاذق فتكون مثالا حسنا في الاصلاح لانه يفتاخذ بنصره أخذًا صحيحا الى منازل النعم الحقيقية في الجسم والنفس والعقل من اقرب الطرق وأقومها وألا تظن أن نشر التعليم الاولي يكفي وحده لهداية الشعب وارشاده الى وجوه الاصلاح وحضه عليها من غير أن تقوم هي بالامثلة العملية منها فتوفى نصيبها من الاصلاح حقها

انها ان ظننت ذلك وعولت في كل ما ترهب من وجوه الاصلاح على التعليم الاولي وحده وركنت اليه وألفت العبد كله عليه ، خابت الآمال وصناع الوقت سُدى

التعليم الاولي والعالي

علم الحاكمين وجهل المحكومين

نقد الفقرات ٢ و ٢٤ و ١٢٥

استكثرت اللجنة في الفقرة (١٢٥)^(١) من التقرير ما ينذق على التعليم العالي

(١) [نص الفقرة ١٢٥] ليس الامر مصورا على قلة مجموع الاعتمادات المخصصة بالتعليم بميزانية الحكومة بالنسبة لما في معظم البلاد الاجنبية بل ان معظم تلك الاعتمادات ينفق على التعليم الراقي الذي لا ينتفع به سوى طائفة صغيرة بمنازاة من الامة لا تدفع سوى قسم ضئيل من النفقات التي يتطالبها تعليم أبنائها ، أما سكان الاقاليم الذين تتوقف ثروة البلاد على كدم ونصيبهم فلا يكادون يتألور قسما من التعليم في مقابل الضرائب

بجانب ما ينفق على التعليم الاولى. وانكرت في الفترة (٢٤)^(١) من الخطة التي انتهجتها الحكومة المصرية — وهي متبعة في البلاد من عهد المرحوم محمد علي باشا واضح أساس النهضة الحديثة لمصر ورافع لوائها — بتعليمها الطبقة

التي يقع معظمها على كاهلهم

واذا استثنينا الاعانة التي تمنح المكاتب في المحافظات ومديرية أسوان وقدرها ٧٣٠٠ جنيه وما ينفق على مدارس المعلمين والمعلمات الاولى الاربع وهو ٢٨٨٠ من البنات وصافي ما ينفق على المدرسة الاولى الراقية للبنين والمدرسة الاولى الراقية للبنات وقدره ٤٠٠٠ جنيه وصافي ما ينفق على ثلاثة المصانع (الورش) الاميرية وهو ١٨٠٠٠ جنيه والاعانة المخصصة لبعض مدارس صناعية غير تابعة للحكومة وقدرها ١٠٤١٠ جنيهات — اذا استثنينا كل هذه المقادير ومجموعها ٦٨٠٠٠ جنيه أمكن القول بأنه لم يدرج شيء في ميزانية الحكومة لسنة ١٩١٨ — ١٩١٩ لتعليم طبقات الشعب. على أن معظم هذه المقادير يصرف في مدينتي القاهرة والاسكندرية. ثم ان الألمانية والسنتين من آلاف البنات التي تصرف في تعليم أبناء الشعب بقابلها ٤٩٠٠٠ جنيه تحصل من ايراد الاراضي والمعار الموقوف للاتفاق على المكاتب الالهية. أي أن ما تنفقه الحكومة في الحقيقة من ايراداتها الخاصة في كل سنة على تعليم الشعب نحو ١٩٠٠٠ جنيه فقط

[نص الفترة ٢٤] قال المستر أسكويث «ان الحكم على مقدار رقي الامة وفوزها في مضمار الحياة يجب أن يبنى على ما يتوافر لدى أدنا طبقاتها من الامور الحسية والمعنوية » ويرى أنه لم يبن الحكم على ما وصل اليه القليلون من خبرة أفراد الامة الذين ضربوا في التعليم الرافق بهم. فاذا أردنا الوقوف على ما يتوافر لدى أدنى طبقات الامة المصرية من الامور الحسية والمعنوية وجب علينا أن نلقي نظرة الى انتشار الاكواخ الحقيرة المبنية من الطين التي تضم بين جدرانها الانسان وبهيمنته والى شيوع القذارة والاوراخ وفشو المال والامراض وهلاك ثلث الابناء في طفولتهم وانتشار الامية بحال رائحة تعادل ٩٦ في المائة من السكان وضيق المجال أمام الأفراد واقتصار

الراية للأمة التعليم العالي قبل تعليمها عامة الشعب (التعليم الاولى . بلا شك) وعدت عملها هذا عملا مقلوبا وضربت لذلك مثلا قول (السير كلنتن دوكتز) في الفقرة (٢) ^(١) «ان التعليم الاولى في مصر شبیه بهرم مقلوب رأسه الى أسفل»

كعدم على القوت اليومي . قبل الى ترقية تلك الاحوال في الامة المصرية من سبيل سوى تعميم التعليم ؟ لا . ومن العبث الاعتقاد بأنه يمكن الوصول الى الرقي المنشود بالبدء بتعليم الطبقات الراقية قبل هامة الشعب أو بالاعتماد على ما يحدث من التأثير الذي ينشأ من اختلاط الطائفة القليلة المتعلمة بطبقات الشعب الجاهلة بل ان الضرورة تقضي بالانحسار بالتعليم العام وتتطلب نشر نور العرفان في الامة بأسرها .

قال الشاعر بروننج في قصيدته المعنونة براسلس مامعناه بالعربية

كثبت على لوح الحقيقة حكمة
ان الرقي شريعة الانبياء
مالي أرى الانسان يغمض عينه
عن نور تلك الحكمة الزهراء
أجد حتى صار أهلا لاسمه
ان حق فخر الناس بالاعلاء
أم نال ما نصبو اليه طباعه
من درك أعلى ذروة البلياء
أم أعمل المكنون من قوته
كي يعلأ الدنيا من النماء
أنى يتوج بالسكال ولم يزل
في العلم معظمه من الفقراء
وكان أهل العلم بين سواده
بعض النجوم الزهر في الظلام
أو بضعة من نسل هوج حولهم
جسم من الاقزام والضعفاء

(١) [نص الفقرة ٢] لم يعزب عن أذهاننا من يادي الأمر أن الموضوع يتضمن اعتبارات عدة عظيمة الشأن . فقد قال اللورد مورلي العالم والسياسي الشهير : «ان مسائل التعليم الاعلى كينها تنوعت طرق حلها ذات اتصال بحياة الامم وفتحتها » وقال اللورد كرزن أيام كان حاكم على الهند : « ان طيب الامة الحقيقية هو ذلك الذي يصف لها أنعم وسيلة لحرية أبنائها » . وتناول كل من اللورد كرورمر في كتابه « مصر الحديثة »

فكان هذا الاستكثار من اللجنة مع ذلك الانكار المقرون بهذا المثال
 فصلا حادة تتناولها الحكومة اذا شئت ومتى شئت لتخزيها التعليم العالي
 وأدلة واضحة جلية على أن الاقاويل والآراء التي نقلتها اللجنة الى تقريرها
 من كبار المستعمرين قد تركت فيها أثرا جعلها ترى التعليم العالي بعين
 جنيبة لاستطيع أن ترى بها حل الحاجة وموضع النفع .

وان من يحسن الظن باللجنة كل الاحسان - مثلي - لا يجحد لها فيها
 يتلصص من المآذير الا عذرا واحدا وهو ما يخيل الى المفكر في أول الامر
 من أن البدء بتعليم الولد الصغير التعليم الاولي ثم التنقل به بعد ذلك في
 مراحل التعليم الارق موافق سنة النشوء والارتقاء . أجل ان ذلك
 حق واضح . لكن لا بد معه للولد من وصي رشيد يلقه كيف يشاء وينقله
 من حال الى حال كما يريد . وان ذلك الوصي الرشيد يجب ان يكون منه

والسير ألدون غورست في الملحق الذي ذيل به كتاب اللورد ملترو هو « انجلترا في
 مصر » البحث في وجوب اتباع خطة سديدة في التربية ترمي الى تحسين حال الامة
 عامة من الوجهتين العقلية والحلقية (انظر الفقرتين ٦ و ١٥) . وقال السير كلنن
 دوكنز في ملحقه لكتاب اللورد ملتر (صفحة ٣٩١) : « ان التعليم بمصر يشبه بمصر
 « قلوب رأسه الى أسفل » . والحقيقة أن حال مصر المالية كانت الى عهد قريب تنعم
 من اعداد وسائل التعليم على اختلاف فروعها ومن سد حاجة الامة اليه سدا وافيا
 وقد أوفى اتفاق ما يمكن بذله من المال في هذه السبيل على توسيع نطاق التعليم ذي
 الصبغة الادوية الذي يتلقاه أبناء الاغنياء . فكانت النتيجة أن تعليم العامة لم يوجه
 اليه من هناية أولي الامر الا انزور اليسير . لذلك رأينا أن واجبنا فبر مقصور على
 درس موضوع التعليم الاولي من حيث كونه مسألة قائمة بذاتها منفصلة عن سواها
 وانه لا بد لنا من مراعاة ارتباطها بالخطة القوية التي تتبع في التعليم بوجه عام .

ليكون اخبر بمحاجاته ومنافعه ومضارّه

وان الامة لكذلك يجب ان يكون فيها ومنها ناس كبار العقول
يقودونها الى السعادة ويرفعونها الى اوج المنظمة . لذلك كان تعليم طبقة
رائية من الامة علما راقيين لتعليم عامة الشعب العلم القليل موافقا لسنة
النشوء والارتقاء في الامم ، وقد ضرب لنا التاريخ امثلة كثيرة
قدمة وحديثة دالة على ان آمما كثيرة نهضت من غارها ونشطت
من عقالمها بأفراد منها . فالناية بتكوين افراد افذاذ في الامة
تكويننا فائذا حق واولى بالتقديم من تعليم عامة الشعب تعليما اعظم
ما يقال فيه انه اولي

هذا ما نراه ونشعر به ولم يسعدنا الحظ قط بان سمعنا او قرأنا ان
امة بأسرها امسكت عن التعليم العالي جملة حتى تعلمت كلها التعليم الاول
ثم اخذت بعد في اسباب التعليم العالي ، وان اوتيت اوصاء حكماء ورجاء
بصراء اقوياء من الاجانب

على ان التعليم العالي لا يزال جنينا في بلادنا ، فأين بضم مدارس
اميرية عالية تدرس فيها بعض العلوم العالية من جامعات كبيرة تدرس
فيها كل علوم البشر مع ان العلم الذي يدرس في مدارسنا العالية لم يكن
له في البلاد من اثر ظاهر نافع الا ما كان من علم الطب

لقد كان للجنة التي رأت حاجتها الشديدة الى النظر في التعليم بوجه
عام (انظر آخر فقرة ٢) ان تفتش عن حل آخر لا مكان تفرغ الحكومة
للتعليم الاول . ذلك بأن ترى مثلا ان في وسع الحكومة ضم مدارسها
العالية الى مدرسة جامعة وتأليف مجلس ادارة لها يؤلف من رجال

الحكومة والامة وان تشترك الحكومة والامة معاً في النفقة عليها على نحو الخطة التي خطتها للتعاون بين الحكومة والهيئات النيابية في التعليم الاولي فيكون دراجة لنقل التعليم العالي كله من يد الحكومة الى يد الاهال فتتفرغ الحكومة كل التفرغ للتعليم الاولي ولا تشغل نفسها بجماعة لها كما جاء في الفقرة (١٣٠)

اما الهوة السحيقة التي لاتبرين المحكومين والحاكين كما تري اللجنة في الفقرتين (١٥١٤) فالذي حفزها انما هو التربية المدرسية لا الملم ذاته. فان الولد الذي يُنتزع من حضن أمه وأبيه وينزع عنه زي بلاده ويلبس الزي الغربي ويدفع الى مدارس قد صبت بالصبغة الغربية (فقرة ٢ وفقرة ٨٨) فيعمر فيها طويلا لا تقع عينه فيها الا على كتب سداها ولحنها الروح الغربي ومعلمين غربيين او ممن خلعوا عنهم رداء الوطنية الصحيحة من قبل، فيشب على عادات واخلاق تزعمه في أمه وأبيه وسائر معاشريه كما تقول اللجنة في الفقرة (١٧) وتبعث فيه الغرور بنفسه. وما أبعد الشقة وأعمق الهوة بينه وبين أهله لو أتيح له أن يتم الدراسة في الغرب فيقيم فيه ربحاً من الزمن يفقد فيه لضعفه البقية الباقية له من سجاياها الوطنية حتى المحمودة منها !

هذه حال نشأتهما كل يوم في أكثر الشبان والشواب وقد نسوا جميعاً معارفهم وعلومهم وبقي لهم من طرق التربية المدرسية اسوأ ما فيها وارادوه فلبست الهوة السحيقة البعيدة النور بين الطبقة الراقية من المتعلمين وبين عامة الشعب من تفاوت بينهم في العلم بل من نقص في تربية الطبقة الراقية التنفيذية التي شوهدت بترسية لاتلائم تقاليدنا وأمرحتنا وعاداتنا

• بنا دلائل على ذلك ما نجده فمن يتخرجون في مدرسة المسلمين الناصرية ويرلون الى أرباب بعد أن يكونوا قد صبغوا بصبغة وطنية محضة فانهم يسودون وهم الى آلهم وعاداتهم وتقاليدهم أقرب منهم إليها قبل أن ينادروا بلام لان العلم وسعة العقل والمدارك من شأنها أن تنزع من نفس المائل الوسواس والافهام والخطأ الذي يدفع بكثير من ناقصي العلم والمدارك الى استصغارهم أو طاعتهم وآلهم، وإكبارهم الغرباء وكل ما هم عليه لسبق أحرزوه في شيء من العلم والمدنية، حتى تمتلئ عليهم الحقائق ويحاط عليهم الحابل بالنابل ويلبس الحق بالباطل

هذا هو السبب الحقيقي في المحوة بين الطائفتين لا العلم المالي الذي تمنحني اللجنة أنتشاره قبل التعليم الاولي . وانا ارجو بعد ذلك أن يكون هذا الخوف قد زال



حضرت مرة مجلساً جمعي بفتى ظريف وبأبيه وعمه وطائفة من اقربائه وكان هذا الشاب في زي ظريف ويحمل عصاً ونظارة ودبوساً كلها من ذهب وأعجب من هذا وذاك انه يلبس سواراً من ذهب بساعة من ذهب . وقد جلسنا طائفتين : احدهما فيها أبوه وعمه وناس آخرون ، والآخرى فيها هذا الفتى وكاتب هذه السطور وابن عم له اكبر منه سناً ومقاماً . وكان هذا الفتى على أبواب السفر الى أوروبا وقد ضرب له أبوه على نفسه ثلثمائة جنيه في كل سنة يتسلمها بيده وينفقها كيف يشاء وفيما يريد . وهو مع ذلك يراه مقداراً هيباً . وكنا اذا فتحنا عليه باب النصيحة والاخذ حاول إغلاقه واستخف بأبيه وهو على نسمع ومراى منا لا شيء

آخر سوى الفرق بين زيه وزى أبيه والازعات النفسية فيهما. أما المعارف والعلوم فهو منها خالي الوفاض بادي الانقراض قد نسي تكلم القشور التي قد حصلها منها .

فشل هذا سيمود من أوروبا وقد قطع آخر خيط يربطه ببلاده كلها لا سيما اذا عاود بيده شهادة . وأي خير يرجي من مثله لبلاده؟ وأين هذا الشاب المسكين المغرور بنفسه من شاب تعلم في مدرسة صبغت بصبغة وطنية كمدرسة المعلمين الناصرية مثلا وأنتم الدراسة فيها نتم سافر الى أوروبا؟

الخيال في الشعر العربي

٢

التخييل التحضيري

تداعى المعاني بوسيلة التذكر للأسباب التي كنا بصدد البحث عنها ، ثم الخيلة تنتخب منها ما يناسب الغرض ، وهذا العمل اعنى الانتخاب يسميه علماء النفس تخييلا تحضيريا لانه العمل الذي تتمكن به الخيلة من استحضار العناصر المناسبة للرام

تقتصر الخيلة عند الانتخاب على ما يدعوا اليه الغرض حتى انها تأخذ الجسم مقطوعا من بعض الاعضاء التي لا مدخل لها في المعنى فتتصور الجواد بغير قوائم كما قال المتنبي

اتوك يجررون الحديد كأنما اتوا بجياد ما لهم قوائم

والمعرب بغير ذنب كما قال ابو هلال

تبدو الثريا وأسر الابل مجتمع كأنها عقرب مقطوعة الذنب

وربما انتزعت العضو من بين سائر الجسم كما أخذ ابن هاني اليد فقال

ولاحت نجوم لانريا كأنها خواتيم تبدو في بنان يد تخفى
وأخذ ابن المعتر القدم فقال
وارى الثريا في السماء كأنها قدم تبتت من ثياب حداد
واخذ آخر القلب فقال
نقل الجبال الرواسي من موطنها أخف من رد قلب حين ينصرف

التخيل الابداعي

بعد أن تنتخب الخيلة ما يليق بالنرض من العناصر تتصرف فيها بالتأليف الى أن ينتظم منها صورة مستطرفة، ويسمى هذا التصرف تخييلاً ابداعياً واختراعياً ويجري هذا التخيل في التشبيه والاستمارة وغيرها
فالتشبيه قد تحذف اداته كما في قول النابغة

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منها كوكب

وعمل الخيال فيه هو احضار صورة المشبه به أعني الشمس والكواكب والغناء وجوه التباين بينها وبين المشبه أعني الممدوح وبقية الملوك حتى يدعى اتحادهما ويصح الاخبار بأحدهما عن الآخر، وبني على هذا الادعاء أن ليس للملوك مظهر ولا تقوم لهم امام هذا الملك سمة فان الكواكب يتقلص ضوءها وينغرب عن العيون مشهدها عند ما تنجلي الشمس في طلعتها الباهرة

واما ما تذكر فيه اداة التشبيه فلا يستطيع أن أعده في قبيل الخيال جملة كما اني لأعزله عنه في كل حال، فان كان فيه اخراج المفعول في صورة المحسوس او المحسوس في صورة المفعول أو اخراج الخفي الى ما يعرف بالبداهة أو اخراج الضميف في الوصف الى ما هو أقوى فيه فتصح اضافته الى الخيال اذ له الاثر القوي في تقريره

وأما عقد المشابهة بين أمرين متفقين في وجه الشبه من غير تفاوت كالتشبيه الذي يساق لبيان الاتحاد في الجنس أو اللون أو المقدار أو الخاصية فلا يصح نسبتة الى الخيال الشعري وان وقع في كلام مقفى وانما هو مما ينتظر فيه الباحث عن الحقائق كاتيلسوف أو الطبيب

فلو اتفق ان وقف قى بجانب ظبي وانطلقا في فسيح من الارض ولم يفت أحدهما صاحبه قيد شرب فبدأ لك أن تتحدث عنهما فقلت ولوفي نظم « كان فلان

في سرعة عدوه كالنزال « لم يكن في هذا التشبيه شيء من الخيال لان عقد المشابهة بينهما في هذا الحال يشاركك فيه كل من شاهد الواقعة ، وانما يمتاز التخييل بمثل قول الشاعر

وفي الهيجاء ماجرت تسمى ولكن في الهزيمة كالنزال
حيث ان الخيال بحث عن صورة المشبه به وهو النزال وانتقاها من بين
سائر الصور المتراكمة في الحافظة ثم تصور انطلاق المنهزم وهو الشاعر نفسه
وبالغ في مقدار سرعته الى أن وقع التشابه بينه وبين النزال
وان أردت أن تفرق بين التشبيه الذي يدخل في التخييل والتشبيه الذي هو
جائذ عن طريقته فانظر الى قول الجنون

كان القلب ليلة قيل يندى بليس الصامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت تعالجه وقد علق الجناح
فترى الخيال هنا قد تجول حتى تصيد معنى القطاة ووقع على الشرك ثم انتزع
منها هذه المعاني وهي وقوع القطاة في الشرك وعلوق جناحها به ومعالجتها له كي
تتخلص منه وضم بعضها الى بعض فانتظم ذلك المعنى المركب وانعقدت المشابهة
بينه وبين حال القلب الذي وقع في حب الصامرية فاخذ يرتجف وجل من لوعة التراقب
ولو نظر شاعر الى ازهار مفتحة بمكان منخفض من الارض وقال مثلاً
هذه الازهار في منظرها وشذاها مثل ازهار الربا
لا ستبردت شره لاول وهلة وأخذت تهزأ به كما هزأت بقول الآخر
كأنا والماء من حولنا قوم جلوس حولم ماء

بيد أن ذلك التشبيه نفسه لو يصدر من العالم بالنبات في الرد على من يدعى ان هذه
الازهار ليس لها لون ولا تقحات عطرة كالازهار التي تنبت على الربا لاصغيت اليه
سمك وتلقينه منه بكل وقار. وما ذاك الا لان الاول قاله بوصف كونه شاعراً
ولم يأت فيه على عادة الشعراء بشيء من التخييل وأما الثاني فانما التقاه اليك
في صدد البحث عن الحقيقة فلا تنتظر منه أن يصله بشيء من عمل الخيال
والاستمارة يصنع فيها الخيال ما يصنع في التشبيه الجرد من الاداة الا أنها
تعرض عليك المشبه في صورة المشبه به على وجه أبلغ ولا سيما اذا أنشيف اليها
بعض معان عهد اختصاصها بنوع المشبه به أعني ما يسيه البيانيون ترشيحاً ،
ومن أبدع مانسج على منوالها قول البارودي

من النفر النر الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية لجر
 اذا استل منهم سيد غرب سيفه تمزعت الافلاك والتفت الدهر
 اراد الشاعر وصف قومه بأنهم أولو الصرامة التي تفرج الكرب المدلومة
 والسلوة التي يرهبا كل خطير فساق اليك هذا النرض في صورة تنظر منها الى
 سيوفهم كيف تجرد حول الليلة الفاحمة فيسطع الفجر الواضح في جوانبها، وترى
 فيها الحسام الواحد كيف يسلم من جفنه فترتمد الافلاك ذعراً ويلتفت له الدهر
 حذراً خيل اليك أن الداهية ليلة ظلماء، وأن الفرج الذي ينبعث من مطلع
 سيوفهم صبيحة غراء، وعبر عن الأولى باسم الداجية وعن الثانية باسم الفجر وهذا
 التعبير المألوف الى ذلك التخييل هو الذي يعنيه البيانون بقولهم استمارة مصرحة
 ثم خيل الفلك في صورة من له قلب يفرغ والدهر في صورة من له وجه
 يلتفت، والتصريح باسمهما بمد هذا التخييل يدخل به الكلام فيما يطلقون عليه
 لقب الاستمارة بالكناية، ويمكنك أن تفهم الفجر في البيت بمعنى لمان السيوف
 وتألقها المشاهد بالابصار على غمط قول بشر

سللت له الحسام نفلت أني شققت به لدى الظلماء لجرا

ولكنك تضيق من يدك ما أعاده الوجه الاول من أن النجدة في جانبها،
 والظلمة مترون بظالمها، اذ لا يلزم من لمانها في حواشي الداجية أن تلمعن في
 لبثها وتقلبها بالفوز عليها الى صبيحة مسفرة (١)

(المار) هذان البيتان من قصيدة البارودي يمارض بها رائية أبي فراس
 المشهورة ه أراك عصي الدمع شيمتك الصبر وقد أشرنا اليها في ترجمته من مجلد
 النار السابع وذكرت البيتين وعلقت عليهما بمباراة لا بأس بذكرها هنا لأنها في
 الاشارة الى ما فيهما من الخيال وهي :

وبالله ما أرق حاشية قوله « لها في حواشي كل داجية خبر » وما أدق غزل خياله
 فيه . وأما البيت الثاني فانه ليكاد يروع يلاغته السامع حتى يخيل اليه أن الافلاك
 تصدعت مما تنزع فيلمس رأسه تخافة أن يصيبه كف منها ويتدل له الدهر رجلاً
 فجثته العجب ، قائلت الى السبب، وليكاد يلتفت ما يتخيل من التفات الدهر ، ويلم
 به الدهش والذعر، او يذهب به الوهم الى ان التفات الدهر هو التفات أمه
 فيحبب كل فرد من الناس قد ألوى عنقه وشخص بصره منب يسر ما يكون
 من فعل ذلك السيف المتدل، في يد ذلك البهمة الامثل ، ووجه ما يقال في البيتين
 ١١١ : السحر الذي يأخذ المرء عن نفسه، ويحكم سلطان الخيال في عقله وحسه .

ومن التخييل الذي لا يدخل له الشاعر من طريق تشبيه أو مجاز ما تشهد لصاحبه بالحق في الصناعة وأنت تشرب به عرض عليك الموهوم في حلية المقول كقول الطائي

ولا يروك إيمان القدير به فان ذاك ابتسام الرأي والادب
أخبر عن الشيب بأنه ابتسام الرأي والادب اللذين هما محبوبان ومحترمان
لكل أحد ابتفاء أن تأنس العين لرأيت ولا تنظر اليه نظر الازدراء به، وليس
هذا من قبيل التشبيه إذ لم يكن للرأي والادب ابتسام يعمده السامع حتى
يقصد الشاعر إلى تشبيه الشيب به بل أراد أن يخيل لك أن الشيب ابتسام في
الراقم ولهذا تجدد في نفسك ما يناجيك بأن صورة هذا المعنى غير مطابقة للحق
وان استحكم تأليفها ودق مأخذها

ومن ما يستلحه الذوق ويسمه نظر المحقق ونجد هذا في قول زهير
لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفقا
فهذا البيت لم ينسج على منوال تشبيه أو مجاز، وليس لك أن تطرحه من حساب
التخييلات المقبولة، وبلوغ كف المدحوح الأفق لا يتفق مع النظر الصحيح
غير أن تعليقه على حصوله لإنسان من قبل وإبراده عقب حرف الشرط الدال
على امتناعه قد خلصه من زلة الكذب وجعله في منعة من أن ينبذ العقل
بالتقصايا الوهمية

فنون الخيال

يتصرف الخيال في المواد التي يستخلصها من الحافظة على وجوه شتى، ولا
يسع المقام استيعابها وتقصي آثارها فلم لك بمهمات ما يصلح أن يكون بمنزلة
أصل تنفرج عليه تفاصيلها
أحدها تكثير القليل كقول عمرو بن كلثوم

ملاً بالبر حتى ضاق عنا وظهر البحر غملاً سفينا

فانه اطرد في حلية الفخر حتى وصل إلى التعبير عن منعة الجانب، والسطوة
التي لا يفتوها هارب، فغلط له أن يشت له ولقومه من القوة ووسائل الفوز
ما يرهبون به عدوهم فذكر أنهم ملاً والبرجندا حتى لم يبق فيه متسع وغلاون
ظهر البحر بالمنشات من السفن ليدل بهذا على أنهم لا يبالون بالعدو من أي

ناحية هجم ولا يتعاصى عليهم ادراك في أي موطن ضرب بخيامه
والذي صنع خيال الشاعر في هذا البيت انه تجاوز في الاخبار بكثرة قبيلته
وسفته حد الحقيقة وتطوحت به نشوة الفخر الى أن تخيل ان البر قد غص كما
تغص الشككة بمجنودهم وان البحر يتموج بسفنهم كوج السماء المصحبة
بكرائها الزاهرة

ومنها — تكبير الصغير كقول بشر يعصف وقمة الاسد حين قسمه بالضربة
القاضية على شطرين

نحر مضرجا بدم كائي هدمت به بناء مشمخرا
فقد تخيل عند ماسقط الاسد الى الارض دفعة انه أتى الى بناء شامخ وتغص
من أساسه فانقضت أعاليه على أسافله ، فالخيال هو الذي بلغ بجنة الاسد الى أن
جعلها في العظم بمقدار بناء ارتفعت شرفاته حتى اتخذت من السحب أطواقا
ومنها — تصغير الكبير كقول المتنبي

كنى بجسمي نحو لانا رجل لولا مخايلتي اياك لم تربي
وقوله ولوقلم أقيت في شق رأسه وخط به ما غير الخط كاتب
فالسب وان تقلب على فراش الهجر أمدًا طويلا وأكل الوجد من لحمه حتى
شبع وشرب من دمه حتى ارتوى لا يسيل في نخافة الجسم الى أن يسه شق رأس
القلم أو يخفى عن عين الناظر اليه وان كانت عشواء وانما هو الخيال أخذ يستصغر
ذلك الجسم حتى ادعى في البيت الاول ان مخاطبته للناس هي التي تهديهم الى مكانه
فيبصرونه ، ولولاها لبقني محجوبا عن أبصارهم وان وقف قبالتهم ، وادعى في البيت
الثاني أنه لو وقع في شق اليراعة وانطلقت به اليد في الكتابة لاستمر الخط بحاله
ومنها — جعل الموجود بمنزلة المعلوم كقول المتنبي

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ثبت الجنان كائي لم آتها
وصف نفسه بالاقدام على مواقع الردى واقتحام الاخطار يجنان ثابت وعزم
لا يتزلزل حتى تخيل لقلة المبالاة بها وعدم الفرع للنتائج انه لم يكن قد خاض
غمارها ، ورأها كيف تنشب أظفارها ، وانما نشأ هذا الخيال من جهة أن الخطوب
المدلخنة لا يسلم من روعتها والدهشة لوقفتها في مجرى المادة الامن مادعن ساحتها ،
وجذب غنائه عن السير في ناحيتها ،

ومنها — تصوير الامر بصورة حقيقة أخرى ، ولما في هذا المقام أربعة

أحواض (أحواض) تخيل الحسوس في صورة الحسوس كما في قول زهير
 البرق قد تمشيت حياء الكناس فيهم والفضاء
 تمشيت قد تمشيت أسيحت مقاتلهم ولم تهرق دماء

فهذا الشعر يصور لك من دارت نشوة السكر والغناء برؤسهم، فاجهزت على
 البقية من شعورهم، في صورة قتلى لم تهرق دماؤهم، بل زهقت نفوسهم بمثل خنق
 أو سقاء سم دب ديب الحمر في مفاصلهم

(ثانيا) تخيل المقول في صورة الحسوس كما في قول الشاعر

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت هلام تنشب الفتاة
 فقلت كيف لا أياكي وأهلي جيمًا دون خلق الله ماتوا
 تصور المروءة في ذي فتاة فتسنى له أن يستد الهيا البكاء ويستد بينه وبينها
 هذه المحاورة

(ثالثا) تخيل المقول في معنى المقول وهذا كن تخيل المذلة في معنى الكفر فقال
 أمطري لؤلؤا جبال مرند بسب وفيضي أجيال تكرور تبرأ
 منزلي منزل الكرام ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا
 (رابعا) تخيل الحسوس في صورة المقول، وهذا لم نعرله على مثال في كلام
 العرب ولكن التشبيه الذي هو أساس هذا الفن قد جرى في كلام المؤلفين بإيراد
 الحسوس في معرض المقول كقول المتنبي

فألمض بنار إلى غم كائنها في العين ظلم وانصاف قد انقضا
 وقول الفاروق

تمرغ الأتراب بالغيف من منى مرور الماني في مغاور أفكاره
 وقد يمد الشاعر إلى بعض الماني وينبغي عن أفراد المهودة ويثبت الأفراد منهم
 آخر ونجد هذا في قول بعضهم

ليس من مات فاستراح ميت إنما الميت ميت الأحياء
 إنما الميت من يمشي كشيئا كاسفا باله قليل الرجاء
 فقد نفى أن يكون من قضى نحبه ميتا وأطلق اسم الميت على من قاضيت نفسه

كأية وضاق صدره بأساء على طريقة القصر بدعوى أن المعنى الذي علق عليه الواضع اسم الميت إنما يتحقق فيمن يعيش في نكد وبلاء لا يرجو خلاصا منه، والذي أخذ به إلى هذه الدعوى ما نخيله من أن خواص الراحل إلى القبر وهي مفارقة ما كان يشتم به من طيبات الحياة واطتاع أوله منها ونكت يده من العمل فيها توجد باجمعا في الكتيب اليائس من صفاء العيش بأشد مما توجد فيمن ركبوا هلى مطية المنزل لانه يزيد عليهم في الشقاء بأنه يصلى نار الحسرة والأسف بكرة وعشا
وقد يكون الامر مر بوطا بملء محققة ظاهرة فيضرب عنها ويخترع له علة من عنده وتجد هذا في قول أبي العباس الضبي

لا تركن الى الفرا ق فانه مر المذاق

فالشمس عند غروبها تصغر من فرق الفراق

ادعى ان العلة في الاصفرار الذي يبدو على وجه الشمس حين تتدلى الى القروب وتنعطف بهرنا إنما هو الوجل والحلم من مفارقة الناس الذين طالت عليهم ذلك اليوم حيث انصت بينهم وبينها فيما يزعم عاطفه ألفة وإيناس
وما صنعت على هذا النمط وقد أخذ البرد ينساقط في حديقة

هز التسيب غصون الروع في سحر كما بهز بنات الغادة الزواجر

لقد (١) الحيف على اذن السحاب أما نراه يحثو على أدواها دررا

وقلت وقد أخذت الريح تنسف في روع

قام هذا الروع يشدو مادحا بلسان البلبل الزاهي سحبا

وتأدى غالبا في مدحه تخفت في وجهه الريح ترابا

وقلت في حال أشجار تراكم عليها الثلج ثم ضربت فيها الشمس فاخذت تقاطر عن جوانبها

نسج الغمام لهذه الاشجار من فزل الثلوج براقما وبجلايا

والشمس تبعث في الضحى باشعة تسلو على تلك الثياب نواجا

فبكت لكشف حجابها أو ماترى عبراتها بين الفصون سواجا

وقلت في حمرة الشفق

قتل الدجى هذا النهار ودسه تحت التراب مضرجا بدمايه

(الحلة الثاني والعشرون)

(٢٩)

(٣ - ١١١)

فخذوا من الشفق الشهادة أنه لطاخ من الدم نال ذيل رداثه (٢).
 ود بما يصاغ التليل في قالب التشبيه كقول أبي تمام
 كأن السحاب الغرغرين نحتها حبيبا فلا ترقا لمن مدامع
 فلو حذفت أداة التشبيه هنا لكان الباقي بمنزلة العلة الخيالية لنزول الغيث المنسجم من
 يتابع السحاب، واقرانه بأداة التشبيه يجعله بحيث يسكت عنه العقل ولا يمانعه من أن
 يدخل في سبيل المعاني الصادقة.

ومما نظمت على هذا المثال وكان الجوى يثقف وقت السحر ينثا من الثاج
 تطاول هذا الليل والجو مزبد فضاعت بأواج الثلوج مسالكه
 كأنني أذيب الصبح بالمدق التي يقلبها وجدي وتلك سباتكه
 وقد يقرر الشاعر معنى ثم يقابله بأمر أوضح منه عند المخاطب دون أن يصرح
 فيه بأداة تشبيه بل تكون مصدرة بأداة استفهام كقول مسكين الدارمي
 وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بنير جناح
 أو بأداة التوكيد فقط كقول أبي المتأهب
 ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
 أو تقرن أداة التوكيد بالفاء كقول بشار
 فلا نجعل الشورى عليك غضاة فإن الخوافي قوة للقوادم
 أو بالفاء وحدها كقول بعضهم

لا تمسبوا أن رقصي بينكم طرب فالطرب يرقص مذبوحا من الألم
 ولنوجه البحث الى معنى البيت الاول ثم لا يشبه طليق بعد تحوير الغرض منه
 ان بقية الايات جارية بمعنى التمثيل، أو ذاهبة مذهب الاستدلال والتمايل
 صدر الدارمي البيت بمحمل ابن عم المرء بمكان الجناح له، والشاعر الثاني ينفي
 عن البازي أن ينهض بنير جناح ومعنى الشطرين لا ينتم الا بملاحظة جملة مطوية
 ما بين الصدر والمجز لم يفصح عنها الشاعر بسهولة مأخذها وبعد ملاحظة تلك الجملة
 يكون مفاد البيت أن ابن عم المرء بمنزلة جناحه فلا يقدر أن يقوم بأعباء الحياة أو يدرك
 فيها هاية شريفة الا بمعاذته كما أن البازي لا ينهض الى الطيران الا اذا ساعده

جناحه فالقصد تمثيل حاجة الانسان الى ابن عمه توجة البازي الى جناحه وليس القصد الاستدلال حتى يلتحق بيوت أبي تمام المسوق فيما سلف للاستشهاد على التخييل الذي يراد منه المحادثة وقول الدماميني

فلا تعجبوا يوما لكسر جفونها فان اثناء الحمر في الشرع يكسر
فلا سلوب في نفسه وارد في الغرضين غير ان لغوى الكلام وعجى الخطاب
وطبيعة المبنى تصرفك الى التمثيل، أو تأخذ بك الى الاستدلال والتعليل
وقد يعمد الى أمرين يعدهما الناس بشدة التباين وغاية الاختلاف فيعمد
بينهما تشابها وتمجد هذا في قول المرمي

وشبيه صوت النعي اذا قيد
أس بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة ام غدت
نبت على غصن دوحها المياد
فالمهمود ان النفس ترتاع لصوت النعي وتنفلت حزنا، وترتاح لصوت البشير
وتأنس له طربا، ولكن الحكميم يفوس في اعماق الحوادث، وينظر الى ما تعبر
اليه من المواقب، فيترامى له ان ليس في الحياة ما يدعوا الى لذة، ويستثير النفس
الى جزع، فتكون نعمة البشير وصيحة الناعي في أذنه سواء، ولا يرى فارقا
ما بين النواح والحداء (له بقية)

باب الاخبار التاريخية والآراء

تفرق العرب واختلافهم في جزيرتهم

كان لما كتبناه في الجزئين الاخيرين بشأن العرب وجزيرتهم استحسان عظيم
عند أولي الرأي والنيرة من قراء المنار ومثله ما كتبناه في المجلد الحادي والعشرين
في مسألة الجبلان. بين الجبلان ونجد - تبين لنا ذلك من حديث من كلمنا في هذه
المسألة في سورة اذ كنا فيها عند نشر ذلك ثم من كلمنا في مصر في هذا وذلك
وأكبر مصائب العرب بأنهم وأمرهم أنهم قد ازدادوا تفرقا وتماذا
وعذرانا وتقنالا بقدر اشتداد الحاجة الى الاتفاق والتواد والتعاون فيما بينهم،
وقد رأينا في جريدة القبة المسكية التي هي لسان حكومة الجبلان ورأيها مقبولا
في التعاوي والتقاتل بين العرب السمودين ومن يتسل بهم من عرب نجد

والسكوت واليمن وبين عرب عسير الادريسين وعرب اليمن العليا التابعين للإمام يحيى ، وهذه الجريدة تلقي تبعة ذلك على الامام ابن سمود وعلى السيد الادريسي الذين كان بينهما وبين الشريف والملك حسين من التعادي والتقاتل ما كان

نحن عرب نفار على جميع العرب ، ومسلمون تفضل بلاد الحجاز على سائر بلاد العرب والمعجم ونتم بأمر حفظها وصيانتها فوق اهتمامنا بسائر بلادنا وأوطاننا ، وقد حرم الله تعالى مكة على لسان نبيه وخليفه ابراهيم والمدينة على لسان خاتم رسله وسيد ولد آدم محمد عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام . فلا يجوز أن يقع في هذين الحرمين قتل ولا قتال ولأن يكونا موضعا للنزاعات الحربية ولا السياسية لانها قد تفيض الى الحرب

لما وقع التقاتل بين الحجازيين والنجديين اقترحنا على امامي أقوى الحكومات الاسلامية العربية المجاورة للحرمين التصدي لاصلاح ذات البين ولو بقتال الفئة الباغية حتى تقي الى أمر الله ، ولكن مثل هذا الاقتراح لا ترجى فائدته بالاخلاص الذي يطلبه المسامون الذين ليس لهم هوى ولا منفعة بنصر احدي السائتين على الاخرى ، واننا نخشى ان نرى الحرمين في يوم قريب ميدان قتال يتعذر اقامة ركن الحج في أثناءه وتنهك فيه حرمة بيت الله تعالى وحرمة أو حرم رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلتتلا في ذلك نعرض على أهل الرأي والحصافة والمكانة من المسلمين الاقتراح الآتي

اقترح لصيانة الحرمين الشريفين من الحرب

وعمرانها وأمنها

... القطر الحجازي مرة لا يشاركه فيها قطر آخر من أقطار الدنيا فكل قطر سواء لاهله الامتياز فيه على غيرهم باعكم والتصرف في حكمه وأرضه ومرافقه ولحكومته أن توالي وتعاوي وتعارض وتعاود من تشاء وتعلم من دنياه عند الحاجة من تشاء . وتأذن فيه لمن تشاء بحسب قوانينهم والقانون الدولي العام

واما الحجاز فقبه حرم الله وحرم رسوله الذين حرم الله فيهما ما لم يحرم في

غيرها ككل الصيد وترويعه وقطع الشجر وغيره من النبات وشرع فيه من الباطل ما لم يشربه في غيره فأوجب على مسلمي جميع الاقطار الحج والعمرة فيه وندب الرسول (ص) شد الرحال الى مسجديه وجعله (أي القطر) خاصاً بالمسلمين كما بدم لا يباح لغيرهم الاقامة فيه كما أوصى صلى الله عليه وسلم في مرض موته. وامتن الله على عباده بجعل جوار بيته حرماً آمناً وجهله مثابة للناس وأمناء وقال فيه (ومن دخله كان آمناً) وقال (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) وقد ورد في التفسير المأثور عن النبي (ص) والصحابه والتابعين إن خلق الله فيه سواء لافرق بين المقيم بمكة وغيره ممن يحججه من سائر الاقطار وأنه يجب على أهل مكة أن لا يمنوا أحداً من الحاج شاركتهم في سكنى بيوتهم وحرم بعض السلف أخذ الاجرة منهم وكرها بعض آخر بل روى في ذلك أحاديث مرفوعة الى النبي (ص) وإن رسول الله (ص) توفي وتوفي من بعده أبو بكر وعمر وما كانت ربا عى مكة تدعى الا لسوائب من احتاج سكن ومن استغنى أسكن، وكانوا ينفون أن يكون لبيوتها أبواب ثلاث لا يكون منها من دخلها. وليس هذا الاقتراح بالذي ينسج لنقل الروايات ومذهاب الاثمة فيها وربما خصصناه له مقالا بعد

وقد روي عنهم في تفسير الاحاد والظلم في الحرم تشديد تهظيم فلم يقتصروا بارتكاب ما حرمه الله هناك مما حرمه في غيره وما لم يحرمه الا فيه بل جعلوا من معناه مضاعفة السيئات وكون الصغيرة في غيره كبيرة فيه حتى شتم الخادم وكذلك ألم بالبيئة والعزم عليها ولو قبل الوصول الى مكة. وفي الحديث «احتكار الطعام بمكة إلحاد» وفي رواية في الحرم بدل مكة وقال ابن عباس: نجلوة الأمير بمكة إلحاد قصر المسلمون فيما يجب عليهم للحجاز فلم يقوموا به حق القيام ولم يتفقدوا وصية الرسول الاخيرة فيه وهو المقصود الامم من وصيته في جزيرة العرب حتى ذم بعض العلماء انه هو المراد بها خلافا للتبادر من لفظ الحديث ولا مراء في ان الحاجة الى العناية به في هذا الزمان أشد من كل الازمنة الماضية من وجوه كثيرة ليس هذا محل شرحها فاكثرت مستغني هذا المصر تاهبون لحكومات غير اسلامية تنهم بخباياهم وشؤونهم في سفرهم الى الحجاز فاذا وقع فيه قال قائما نهمهم من اجاء فريضة الحج في اثنته واثلاثه

الحكومة الحجاز مالمسائرالحكومات من حق قلم العلاقات الودية وعلان الحرب على أي دولة يقيم بينها وبينها ما يقتضي ذلك فان هذا يبيع للدولة الحاربه لها المحجور على الحرمين والاضلالا عليها أو حصرهما وضع القوات وغيره اشهدا أنه تدينه الدول الاجبية الى منهم دعاها المسلمين من السفر الى الحج ولا سيما اذا كانت مادية وكل هذا ينافي مصلحة المسلمين العامة وليس فيه منفعة دينية ولا دنيوية ترجع على المفاصد الكثيرة التي اكتفينا بالإشارة اليها عن شرحها وتفصيل القول فيها

وانما المصلحة الاسلامية العامة أن يكون الحرمان الشريفان وسياجهما امن البلاد قطراً آخرامسالمالجميع الامم والدول ليكون مصوقاً من الاعتداء عليه وانتهاك حرمة ويكون دكن الحج من أركان الاسلام قائماً أبداً — بل ليتحقق وانما جعل الله تعالى اياه حراماً آمناً وكون من دخله آمناً وكونه لجميع المسلمين سواء العاكف فيه والبادي لا تعدى فيه ولا إلحاد

فنتقترح على أهل الفكرة الاسلامية من مسلمي الحجاز وسائر الاقطار أن يسعوا الى هذه المصلحة سعياً وهي تتوقف فيما نرى على وضع نظام الحكومة الحجازية على أساسه على جعل الحجاز قطراً إسلامياً على الحياض لا تكون حكومته خفياً ولا عدواً للدولة من الدول ولا حكومة من الحكومات فلا تعدى ولا يستدعى عليها ولا تخاف ولا يخاف منها ، وان تسمى هذه الحكومة بمساعدة أهل النفوذ من مسلمي جميع الاقطار الى جعل جميع الحكومات المجاورة لها وسائر الحكومات التي لها رعايا مسلمون يكون متون البحار ويشدون الرحال الى الحرمين الشريفين لذلك والعبادة فيهما . ونظن أن جميع الدول تجيب الى هذا ولا تعارض فيه

نعرض هذا الاقتراح مجلداً على العالم الاسلامي وفي مقدمته حكومة الحجاز وأشرف الحرمين وعلمائهم لبيان الآراء التفصيلية فيه بنشرها في الصحف الدورية والمناشر مستعدياً لشر ما يأتيه فيه . وان كان لابد من التذكير ببعض التفصيل فيه فليكن اقتراح انشاء محكمة اسلامية بمكة يكون اسكل قمار اسلامي حق تمثيله فيها بعض من علماء الشرع المتنبين الى المذاهب الاسلامية التي يستعمل المتبعون لها هذا البيت في صلاحهم ويحجرون لاهل محاكمة من يتعدى في تلك البلاد على مال

غيره أو بدنه أو عرضه أو شرفه ومنه العلم في المذاهب فإن ضمان حرية كل منهم إلى مذهب من مذاهب المسلمين في تلك البلاد التي لهم حق اداء الذك فيها يستلزم ان لا يظلم أحد منهم في مذهب الآخر وهو من أكبر الالم في الحرم. بل إذا قيل انه ينبغي أن يكون لجميع الشعوب الاسلامية حق المشاركة في تأمين هذا القطر المقدس وحمايته ومراقبة اقامة الشعائر فيه مع منع الكافر كان عليهم ان يماثلوا على كفاية أهله الحاجة وافناء أعرابه عن التمدد وعلى نشر الدين والعلم فيهم وجعل المسجدين الاشرافين مثابة للناس في العلم وفي العبادة جميعاً - إذا قبل هذا كله - رجونا ان يتقبله جميع المؤمنين الصادقين بقبول حسن ويتكاتفوا على القيام به حتى القيام لعل الملك حديقاً يقبل هذا الاقتراح ويبادر الى تنفيذه برأي كبار الشرفاء والعلماء في مكة المكرمة بأن يعضوا له مشروع النظام وينشر في جريدة القبة ونشريل منه نسخ الى المدن الاسلامية الكبرى في الشرق والغرب والجنوب والشمال لآخذ رأي أهل العلم والخبرة فيه ويضرب موسم الحج القابل لهذه التفتية بعد جمع الآراء وتجميعها فيه برضاها على اللجنة تؤلف من خيار حجاج هذه الاقطار علماء ورأياء وحينئذ يكون سعي هؤلاء المسلمين لموافقة الحكومات على حياده وأداءه مرجح النجاح في أقرب وقت

واننا نرى ان هذا المشروع اذا تم يسهل ما اقترحه في الجزء الذي قبل هذا من إنشاء مجلس تحكيم لما يقع من الخلاف بين امراء العرب اذا واثقوا هذه الاتفاق الذي يتفق لهم كل عربي بل كل مسلم يفتق الاسلام ويغار على مصالح أهله ، بان يكون هذا المجلس في مكة المكرمة بل يترتب عليه تعاون جميع المسلمين على عمران الحجاز وتسهيل طرقه وتكثير موارده وتغوين أهله ونشر العلم فيه وغير ذلك من المصالح والمنافع ، والله الموفق

(كلمة للصحف الاسلامية)

نرجو من حرفائنا الكرام أصحاب الصحف الاسلامية في جميع اقطارهم أن يثبتوا رأيهم في هذا الاقتراح ويمضوا قراءهم على القيام بما يرونه فيه

دراهم سوء التفاهم الذي لا أرتاب بأن انه صود بذلك الاعتناء هو صيانة تأثر حريات
مخلصكم خاصة . ولما تكونه للواد البسيطة أيضا من ذلك المعنى رأيت أن أتبين
من حكومة جلالة الملك في الأساس المقرر مع هفتها في النهضة وما بنيت عليه من
مواد الاتفاق المقدم بطيه يانها بأني ما طلبت لبلاد أمام حكومة جلالة الملك ما طلبته
من المواد التي تهدت هفتها بها رغبة مني في تأسيس حكومة أو تشكيل دولة لا ستأثر
بما كبتها أو حرصا على جاءها أو رياءتها لكن عند ما ذهني بربطانتي إلى ما ذهني اليه
وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضا تأمين مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة لم يغني
ألا الإجابة وطلي أقال تلك المواد المؤدية في اعتقادي لما يأتي :

أولا : لمحافظة الكيان للمسلمين الاسلامي بالنظر لما حل وما سيحل بتركيا
ثانيا : صيانة المقامة البريطة من الاستهداف مما سترعى به عكس مقاصدها
ثالثا : سلامة من الاتهام بالتواطى . . . هذا ضد الأساس المقصود بالنهضة
نعم اني لم أجد من جناب الفاضل الأديب المستر « استورس » عند اجتماعي
بمحضرته في السنة الأولى بمجدة ثم بعده بمحضرة الشهم الهام السير « مارك سايكس »
ثم في السنة الماضية بالقومندان الهام « هونغبرت » الموقر - ما شبر الى ما يخالف أو
يخل بتلك المقررات غير أن ما في طبيعة مشروعا وتناه الحياة من الرقة وما
يتصادف من بعض حالات يستدعى سياقها زيادة تميز الاسرونا كد الحقيقة عن
الحدود فقط والاباقي المواد فالتعجز عن أداء شكر الوفاء بها شكرا عملا الخافقين
خصوصا أمر الاعانات عما لو فهمت الغلط في مقرراتنا المذكورة أساسا وحدث
ما يوجب تعديلها الأمر الذي لا أقول أنه يمس كيان العالم الاسلامي ولكني أظن
وبعض الظن اثم أنه لا يخلو من شيء من ذلك . هذا على فكري الخصوصي فتى
أضفنا عليه قظاهر عجزني بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج بتعتم علي
الانسحاب من الامر والتنازل عنه لاعتقادي الشخصي أن تعديل مقرراتنا
المذكورة بصرف النظر عما في اخلاله بالغايات المقصودة الأساسية وعرضتنا
لحذر موادنا الثلاثة آفة البيان وطمس صحيفة تاريخي فهو ريز وسقطني من
ثقة واعتماد بلادى وأقوامي الاقرين حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التي
أعلنها لهم وصرحت بها شفاهة ومحررا في ظرف هذه المدة وأسست عليه الاعمال
(المجلد : ٣ - ٣٠) (٣٠) (المجلد : ٣ - ٣٠)

وأكون خدعت نفسي وغششتكم بأصدقائي بما وراء هذا من اضطراب البلاد
 بالفتن والثورات ونحوها مما لا يمكن لي معه حتى الاستفادة لذاتي وما يزيل
 حينئذ كل ظن بحكومة جلالة الملك بي وأكيد اخلاسي بجرني أن أقول من
 الآن ان مبادي هذه الخطرية على وشك التحسن بها بالنسبة للطلبات المتكررة
 المختلفة عن أمرهم باعلان استقلال بلادهم ، ولم أجد ما أؤدمهم به الا قولي ان
 استقلالي هو استقلال عموم أنحاء البلاد ولكنهم يقيموا الحجة على دفعي هذا
 بأوجه أخر . وعليه فان كان ولا بد من التعديل فلالي سوى الاعتزال والانحساب
 ولا أشبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه امر يتعلق بالحياة لا لتقصد
 عرضي ولا لتسكر غرضي ، وانما لا ترتاب في أنني وأولادي اصداؤها الذين
 لا نغيرهم الطواريء والاهواء . ثم تعينوا البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر
 اليها في أول فرصة . وان رأيت ذلك ولكن مشا كل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله
 الى ختامها حقوق الوفاء والجليل يفرض علينا الثبات أمام . استيضعاف علينا
 من التهمات ونحوه من الموم مما لا مقاومة لدينا أمامها الا حسن النية فالامر
 اليها . أما عطف الامر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأن
 لاعلاقة لنا به ولا مناسبة بيننا وابه حتى ننتظر منه سلباً أو إيجاباً ولو قرر
 المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا وكان ذلك عن غير وساطتكم وقبلناها فنحن
 من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا الذي أتوسل
 اليه بكل آلائه أن يتولانا جميعاً بعنايات رافته الاحدية ، وقبول ما أقدمه
 لفخامتكم في الختام من جزيل احتشاماتي هو من سجايا شيمكم انتهى

(القبلة) بالطبع انما لا ندري ما كان من الرد على هذا التحرير السامي ولا
 عن مواد الاتفاق ولكننا ندري أنه بادي تأمل بسيط يتضح أن هذا التحرير
 لم يدع نقطة مادية أو معنوية تتعلق أساساً بأساس (الهيئة) وسائر محتوياتها
 وما بنيت عليه في ذاتها وما يتعلق بالمعالم سواء في الماضي أو الحال أو المستقبل
 لا . بل بالاختصار نقول انه أحصى ذرات كل ما يتعلق بها بسائر الواجه !
 فإذا عسى أن يقول القارئون في هذا التنبأ السياسي وزاهة الضمير عن
 الذاتيات والشخصيات في كل ما يتعلق بنفس (الهيئة) أو بالمعالم
 وكيف لا نقول بهذا التنبأ في التحرير المالي وهو صادر منذ سنتين تقريباً ؟
 يتأمل المتأملون ، وفي هذا فليتنافس المتنافسون ؛ ولتله فليعمل العاملون

نعم كيف لا نقول ذلك ونحن نرى الامم الاخرى تتباهى بالجرئية ما احتواه تحرير مولاه المنفذ ؟

فلا عجب على « القبلة » أن تقول: (لمثل هذا فليعمل الماملون)
ومتى كانت الأعمال على مثل هذا الاساس فلا علينا من الوسواس والخناس
من الجنة والناس اه تعليق جريدة القبلة اه
(المنار) نشرنا كل ما تقدم بحروفه ، ومتى عادت حرية النشر الى ما كانت
عليه نقول في هذه الوثيقة التاريخية وأمثالها كلمتنا التي نظن أنها لا تخطر لاحد
من محزري جريدة القبلة على بال

٢-٣-٤

حديث الامير فيصل — رواية حكومة مكة عن مصادرها مع

انكسرة — رواية الوزارة البريطانية فيها

جرى حديث للامير فيصل مع صاحب جريدة المفيد دمشقية في الشام يتضمن
ذكر بعض الوثائق الرسمية بين والده ملك الحجاز وبريطانية العظمى نشرته هذه
الجريدة في عددها الذي صدر بدمشق في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ (المواقي
١٥ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠) بعنوان (حديث سياسي مع سمو الامير فيصل .
وثائق رسمية لم تنشر حتى الآن) وهذا نصه :

(مقدمة جريدة المفيد)

لا ريب في ان كل عربي تهمة مصلحة البلاد العامة يتناول الى الوقوف على
سير السياسة العربية ويود معرفة ما قام به سمو الامير فيصل وما هو موقف
سموه تجاه السياسة الاوربية و جلالة والده الملك المعظم والامة العربية جماء
والسوريين خاصة .

وقد تشرف أحد صاحبي هذه الجريدة يوسف بك حيدر بمقابلة سموه
لجرى بينهما حديث تضمن من الوثائق السياسية مالا مندوحة من نشره واحاطة
القراء بدقيقته وجليله والى القراء ما دار بينهما .

ابتداءً أحد صاحبي الجريدة فقال للامير : رأينا يا صاحب السمو في العدد
المؤرخ بثامن جمادى الاولى ١٣٣٨ من جريدة القبلة المبادرة في مكة المكرمة

اعلاناً رسمياً يقول به والدكم صاحب الجلالة الهاشمية ان لديه معاهدات من الحلفاء الكرام تقضي باستقلال البلاد العربية جميعها وان جلالتة ينشرها للملا عند الحاجة فهل لسوكم ان توضحوا لنا ما هي هذه المعاهدات وما تحوي ؟ سمو الامير - ان المعاهدات التي يذكرها صاحب الجلالة ما رأيتها وقد طلبت منه مراراً ان يجعلها سلاحي اذا كانت موجودة ولا أعلم ما سبب تأخيرها ارسالها لي واكتفاء جلالتة بارسال صورة اتفاقية يقول انها نسخة من تلك المعاهدة وها أنا اعطيتك تلك الصورة ويمكنك نشرها - وهذا نصها بحروفها :
صورة ما تقرر مع بريطانيا العظمى

بشأن النهضة ٥

(١) - تتمتع بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقاً من بحر فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالاً ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ويتبعه مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس ما عدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود وتتمتع هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل عنها في رعاية وصيانة تلك الحقوق ونلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الافراد .

(٢) - تتمتع بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تمدد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة البرية المذكورة تشكيلاتها المادية .

(٣) - تكون البصرة تحت اشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من التعمود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكما قاصرة في حضن

٥) تعتبر حكومة الحجاز عن ثورته وما ترتب عنها بالنهضة

- بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشدال .
- (٤) — تتمتع بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيتها العسكرية العربية من الاسلحة ومهماتا والذخائر والنقود مدة الحرب .
- (٥) — تتمتع بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو خاضع لها من النقاط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها .
- قال سمو الامير : ولكنني مع الاسف حينما كنت في لوندرة قد مضت هذه الصورة الى رئاسة الوزارة فأنتكرت وجودها كل الانكار وقالت بأنه لا يوجد عهد ولا كتاب كعهد ينطق بمثل هذا التصريح ولكن لدينا رسائل أهمها شأنها رسالة من السير هنري مكماهون وهذا نصها بحروفها :

كتاب السير هنري مكماهون الى جلالة الملك المقام بمكة

في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥

« لما كانت مقاطعات مرسين والاسكندرونة وبعض أجزاء سورية الواقعة الى الغرب من مقاطعات دمشق وحماه وحلب لا يمكن تسميتها عربية محضة فانه يقتضي اخراجها من الحدود التي ينتموها — وانه يقتضي ههنا التعديل ومن غير اخلال بمعاهداتنا السابقة مع بعض زعماء العرب تقبل الحدود على ما ذكرتموه

« ثم بخصوص الاراضي التي لبريطانيا العظمى حرية العمل فيها من غير اضرار بمصالح حليفها « فرنسا » فان لي السلطة باسم بريطانيا العظمى أن أعطى التأكيدات الآتية وأجيب عن كتابكم بما يأتي : —

ان بريطانيا العظمى مستعدة بعد التمديدات المذكورة أعلاه ان تتصرف باستقلال العرب والاخذ بناصرهم وذلك ضمن الحدود التي قد مضت فيها شروطها « أما ولاية بغداد وولاية البصرة فعلى العرب ان يسلموا انهم موافقون لبريطانيا العظمى ومصالحها تقتضي اتخاذ تدابير خاصة لادارتها وحمايتها من كل جهة اجنبية ولا ارتقاء أهاليها والحفاظة على مصالحنا المشتركة فيها (انتهى)

قال سمو الامير : عندئذ كررت طاب تلك الماهدة من مكة المكرمة ولكنها وبالاتس لم ترد علي حتى الآن . فلماذا لا يمكنني ان اقول اني قد

من الحقوق في أقسام البلاد العربية سواء كان في سورية أو العراق أو غيرها وما هي خطة سموكم في هذا الامر؟

جواب: انني لا أتصور أن أقابل جميل هاتين الحكومتين بمعاملة غير لائقة، وأنا أعلم بأن لها منافع أدبية واقتصادية يجب احترامها ولكفي في الوقت نفسه أؤمل أن ننظر اليها هاتان الحكومتان بنظر الاحترام والحقوقنا بنظر الانصاف والعدل. وان لا نطالبها بما يخل باستقلالنا ورقبتنا المادي والمعنوي وان لا نتجربانا على اتباع تقاليدهما على العمياء بل نأخذ منهما ما نأبى من مدينتهما الحديثة وتترك ما هو مخالف لمدينتنا وعظمتنا التاريخية.

سؤال: نشرنا في المفيد برقية منقولة عن جريدة الاهرام المصرية واردة من جلالة الملك يحدد بها دائرة توكيل سموكم فارتد فيها؟

جواب: ان الوكيل يدافع في قضيتي على قدر قوة ما بيده من الحجج فاذا كانت مستنداته قوية وكان الحاكم عادلا فلا شك بأن الوكيل اذا خسر القضية يكون مسؤولاً - وأنا في هذه الحالة لا فرق بيني وبين وكلاء الدناوي امام الحاكم فدافعتي تكون على قدر قوتي المادية والمعنوية. وعلى كل فاني أؤمل من رجال الحكومات والامم المتقدمة ان ننظر اليها بعين الحب ولا تهضم لنا حقاً كما تتمكن من خدمة المدنية الحاضرة كما خدم أجدادنا المدنية العابرة

سؤال: كننا قرأنا في جريدة الشرق التي كانت تصدر في دمشق ابان الحرب نص معاهدة تسمى «معاهدة سايبكس بيكو» نشرها جمال باشا زاعماً ان البلشفيك ظفروا بها بين الاوراق الرسمية في بتروغراد عندما استولوا عليها ثم انقطعت اخبار هذه المعاهدة حتى عادت صحف أوروبا منذ بضعة أشهر تردد صداها وقيل ان جلاء الجنود الانكليزية عن سورية منذ مدة كان تنفيذاً لنص تلك المعاهدة فهل ذلك حقيقي وهل سمعتم سموكم بها في الاماكن الرسمية أو اطلعتم عليها في أثناء الحرب أو بعدها؟

جواب: حينما نشر جمال باشا تلك المعاهدة أثناء الحرب اطلع عليها والدي في العدد ١٠١ من جريدة المستقبل فسأل جلالة الحكومة البريطانية بواسطة ممتدحه بمصر عن تلك المعاهدة فأجابته الحكومة الانكليزية بكذب منه: «ان البلشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بتروغراد معاهدة معقودة بل محاورات ومحددات مؤقتة بين انكليزنا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع

المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك وذلك قبل النهضة العربية وان جمال باشا اما من الجهل او الخبط غير في مقصدها الاساسي وأهمل شروطها القاضية بضرورة رضی الاهالي وحماية مصالحهم وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى »

قال سمو الامير : فيظهر لكم من هذا الجواب ان تلك المعاهدة لم تكن معترفاً بها اعترافاً رسمياً لدى والدي والعرب واذا فرض وجودها فانهم قد انكروها بتاتاً بحيث أصبحت كأنها لم تكن وتصريحات الحكومات بالغاء جميع المعاهدات السرية تجعلنا لانعترف بتلك المعاهدة . اهـ

(المثار) هذا ما صرح به الامير فيصل في دمشق قبل نصبه ملكاً على سورية فيها نزهاء ثلاثة أسابيع فهو الى ذلك الوقت لم يكن مطلعاً على شيء غير ما ذكر فيه عماد الدين والده وبريطانية العظمى من الاتفاق الذي حمله على الخروج على الدولة العثمانية وعاربتها مع الحلفاء وكان هو النائب لجيش والده في هذه الحرب بل كان صرح لي قبل التصريح لصاحب جريدة المفيد بأنه لم يطلع على شيء قط وانه حارب بأمر والده اعتماداً على ان بيده شيئاً وناظر ان كلا من الروايتين مبين لمصلحة العرب ومناف لحريةهم واستقلالهم فان تشكيل بريطانيا العظمى لحكومة عربية تدخل فيها الحجاز بالشروط المذكورة التي منها حفظها وصيانتها في داخليتها وخارجيتها يجعلها حكومة تابعة للامبراطورية الانكليزية ويحول لجيوش هذه الامبراطورية أن تقيم حيث شاء منها بحجة منع الثورات والفتن الداخلية دع احاطتها بها بحراً وبراً كما هو معروف

واننا كنا قد اطلعنا على النص العربي للمعاهدة المشار اليها في هذه الوثائق وهي بين السر هنري مكماهون بالنياية عن حكومته وبين شريف مكة وأمرها سنة ١٩١٥ وقد رأينا أن كلا من الروايتين الحجازية والانكليزية اللتين صرح بهما الامير فيصل قد ذكرت بعض ما جاء في تلك المعاهدة بالمعنى على ما تذكر كله وقد نشر ملخصها أيضاً في مقال للكونلونيل لاسكازي لورانس مستشار فيصل في أثناء الحرب وبعدها

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألبان

قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صرى « ومثارا » كذا الطريق

مصر ٢٩ رجب ١٣٣٩ - ١٨ المحل (١) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٨ مارس ١٩٢١

فَتَاوَى الْمَلْبَسَانِ

فصحت هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ولشروط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا ، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(النيل والفرات وتعدية التعزية وأهل الفترة)

(س ٤ - ٦) من صاحب الامضاء في بلدة - العلاقة - مصر

حضرة الاستاذ العلامة صاحب الفضيلة مفتي مجلة المنار الغراء
سلام عليكم ورحمة الله. اما بعد فهذه رسالة نذكركم فيها بما أرسلناه الى فضيلتكم سابقا راجين ان تحييونا عما تتضمنه من الاسئلة بما نعهده فيكم من شافي الجواب وفصل الخطاب

الاول: روى الصحيحان من حديث الاسراء ان النبي (ص) قال فيما يحدث عن الجنة ان بها نهرين ظاهرين هما النيل والفرات وان منبعمهما في أعلى سدرة المنتهى ونهرين باطنين ينبعان من أصل السدرة. وقد أصبح مما لا ريب فيه ان كلا من النيل والفرات له منابع خاصة فلا نستطيع التوفيق بين الحديث وبين ما اثبتته العلم الحديث حتى لقد قال بعض الناقدين في الحديث من العلماء انه موضوع اذ ليس بعد البيان من دليل وقوى ذلك اضطراب روايات الحديث خصوصاً ما روي عن ام هاني. انها صلت مع النبي (ص) المشاء ثم بات عندها

ومعلوم انه لم يكن قبل الاسراء عشاء مع اتفاق اهل السير على انها لم تسلم الا يوم التمتع او بعده

الثاني : قلتم في احد المجلدين (الرابع او الخامس) عن امام اللغة الشيخ الفنقيطي (رح) ان عزى من التعمية بالميت لا تستعمل الا متعمية بمن خلافا للشهور من تعميتها بالباء ولكن العرب قد استعملوها متعمية بالباء قال شاعرهم في رثاء محمد بن يحيى (بلسان الندى والجود)

فقالا أقتنا كي نغزى بفقده مسافة يوم ثم قتلوه في غد

الثالث : يكاد اهل السنة يتفقون على ان اهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام فكيف يتفق هذا مع ماورد في صحيح مسلم من عدم الاذن للنبي (ص) في الاستغفار لامة وما ورد في الصحيحين وغيرهما من قوله (ص) لا عرابي «ان ابي واباك في النار» وهل ما يروونه في تمذيب حاتم وامريه القيس وغيرهما صحيح يعول عليه ام لاعم ملاحظة عدم قرينة تدل على تأويل الاب بالمع في الحديث السابق ولماذا لم يكن ابواه (ص) من اهل الفترة الناجين؟ هذا ونرجو من فضيلتكم عدم ارجائها حتى لا نخرجونا الى تذكرة آخر واقبلوا منا في الختام التحية والمودة الخالصة
الاخ المخلص
احمد عطيه قوره

[الجواب من الاول]

(خروج النيل والفرات من سدرة المنتهى وكونهما من الجنة)

في حديث أنس عن مالك بن صمصة انه (ص) لما ذكر سدرة المنتهى قال «واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران قلت ما هذا يا جبرئيل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات» وفي رواية أخرى لحديث المراج حسد البخاري «فأذا في أصلها أربعة أنهار» وفي رواية «يخرج من أصلها أربعة أنهار» وقد اختلفت الروايات في سدرة المنتهى فبني بعضها أنها في السماء السادسة وفي بعضها أنها في السابعة وفي أخرى أنها في الجنة وقال القاضي عياض هي في الارض . وفي بعض الروايات أن النبي (ص) رفع اليها وفي بعضها أنها هي رفعت اليه حتى وأما ، وفي رواية شريك لحديث المراج في كتاب التوحيد من صحيح

البخاري أنه رأى في السماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النيل والفرات،
فروايات حديث المراج مضطربة المتن في هذه المسألة وغيرها كثيرة التعارض
والاختلاف كما بيناه منذ سنين .

والظاهر أن من أسباب الاضطراب والاختلاف في هذه الأحاديث روايتها
بالمعنى ولم يبرهه العلماء المتقدمين حاجة الى ردّها بالاضطراب ولا تأويل هذه
المسألة فيما أولوا قالوا لئلا تنافي العقل وقائهم أنها تخالف ما هو أقوى من
دلالة العقل الذي يكثر خطؤه في النظريات وهو الحق فان الأول من الناس رأوا
منبع النيل والفرات بأرضهم وفي معركتنا مطبوع فيه رسم بحيرات النيل التي ينبع
منها ويجهزها من أوله الى مصبه في البحر المتوسط

قال النووي في شرح مسلم قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث يدل على
أن أصل سدرة المنتهى في الأرض لخروج النيل والفرات من أصلها إذا حفظ في
شرح البخاري ، ولما بالشاهدة يخرجان من الأرض فيلزم منه أن يكون أصل السدرة
في الأرض . ورد النووي قول القاضي بظاهر معنى الحديث وكونه لا يمنعه عقل ولا شرع
ثم ذكر النووي في شرح حديث أبي هريرة عند مسلم في المسألة « سيحان وجيحان
والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » ان سيحان وجيحان في بلاد الارمن
الاول نهر اذنه (اطنه) والثاني نهر المعيصه ثم قل عن القاضي عياض في تأويل
الحديث ان الايمان هم بلاد هذه الأنهار وان الاجسام المتغذية بماثها تهاجرة الى الجنة
ثم قال والأصح أنها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة واحتج بحديث المراج اه
وقال بعضهم ان المراد يكون النيل والفرات من الجنة هو التشبيه لانهما ماء الجنة في عذوبته
وجسده وبركته أي فوائده على طريق البالغة ، وهذا لا تكلف فيه اذا فسر به
حديث أبي هريرة بأنها من الجنة ولكن الاستعارة لا تظهر في روايات أحاديث
المراج الا بتكلف ولعل سبب ذلك روايتها بالمعنى ويسهل الخطأ على القول بأن
حديث المراج كان بياناً لرؤيا منامية أو مثلاً لمشاهدة روحية والله اعلم
(مسألة تمدى التعزية بالباء)

البيت الفني ذكره السائل في رثاء محمد بن يحيى البرمكي ليس من كلام العرب .

بل لا أصدق أنه من كلام أهل ذلك العصر إلا إذا وجدته مرويا في كتب المتقدمين على أن الباء فيه لا يتعين أن تكون للتعدية بل اظاهر أنها لاسيية أي أقنا لكي ندرى بسبب فقدته على أن معاجم اللغة ذكرت الفعل لازما لامتديا بمن ولا بالباء ولها وجه قياسي كما علمت

(أهل الفترة وأبو النبي (ص))

في نجاة أهل الفترة خلاف مشهور وقد استثنى المتبتون لما من ورد النص بأنهم من أهل النار في الأحاديث التي ذكرها السائل وغيرها والأ كانت هذه الأحاديث حجة عليهم - وقد شرحنا مسألة أبي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام في تفسير (وذا قال إبراهيم لآبيه آزر اتخذ أمنا آلهة) الآية فراجع في المجلد العشرين من المزار أو المجلد السابع من التفسير

﴿ كعب الاحبار ﴾

(ص ٧) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

حضرة العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي سؤالنا عن العلامة كعب الاحبار الذي نسمع بأحاديثه الكثيرة وكان عالما عند اليهود ثم أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وعاش المذموم معاوية ومات وعمره ٢٠٠ سنة أهو شخص حقيقي أو وهمي
صلاح ناجي الكسادي

(ج) كعب الاحبار شخص حقيقي معروف في كتب الحديث ونوار مجها وقد اختلفوا في تاريخ اسلامه قل الحافظ ابن حجر في الاصابة : والراجح ان اسلامه كان في خلافه عمر وروي عنه أن سبب تأخير اسلامه أن أباه كان كاتبا له كتابا من التوراة وأمره بالحل به دون غيره وختم على سائر كتبه وعهد اليه ألا يقض الختم فلما رأى ظهور الاسلام وانتشاره ففس الختم فرأى في الكتب صفة النبي (ص) وأمنه فأسلم. وتقل عن ابن سعد أنه مات سنة ٣٢ وهن ابن حبان في الثقات أنه مات سنة ٣٤ وأنه بلغ مئة وأربع سنين. وقد عدلوا روايته وذكروا انه روى عنه بعض الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير ومعاوية ولكن كل قه مملوكة فان

كان لمن أصدق هؤلاء المحرثين من أهل الكتاب وإن فذام ذلك لنبلو عليه الكذب.
رواه البزار في صحيحه وأعله بهضم أن المراد هدم وقروح ما يجبر به لا اختلاق الكذب
﴿ أفضل النبيين والسؤال بحقه ﴾

(س ٨ و ٩) ومنه

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا المحترم زيد في مجده
سيدي السلام عليك ورحمة الله . وبعد فالرجو من فضيلتكم ان تبين لنا
الجواب عن السؤال الآتي وهو :

قد نص القرآن الكريم على افضلية بعض النبيين على بعض في الدرجات
ولم نرفقه آية تدلنا صريحا على من هو افضلهم وما هو نوع التفضيل فاذا كان
الافضل محمداً فما الدليل وبماذا كان افضل

نم اذا دما أحد هكذا (اللهم اني أسألك بحق أو بجاه محمد سيد المرسلين
أن تسهل لي رزقي او تغفر لي ذنبي) مثلاً فهل هذا الدعاء جائز شرعاً او يعد ذلك
شركاً. أفيدونا أنا بكم الله

(ج) هنا سؤالان لسؤال واحد واتنا نجيب عنهما باختصار لما سبق لنا
في موضوعهما من التفصيل في عدة مواضع

﴿ فضل نبينا على سائر النبيين عليه وعليهم الصلاة والسلام ﴾

الفضل في اللغة الزيادة وأفضل الشئين أو الشخصين مثلاً ذو الزيادة في
الصفات والمزايا والخصائص والأعمال الشريفة التي من شأنهما الاشتراك فيها
فتكون موضوع التفاضل، فالأنبياء منهم المرسلون وغير المرسلين والمرسلون
أفضل بما خصوا به من الرسالة، وقد كان كل رسول يرسل الى قومه خاصة
بشرع مؤقت يليق بحالهم واستعدادهم للهداية حتى استمد جميع البشر للهداية
الكاملة العامة فبث الله محمداً خاتم النبيين للناس كافة وأكمل به دينه الذي بمت
به من سبق من رسله وأتم نعمته عليهم فكان رحمة عامة للعالمين وانما تكلل الاشياء
بخواتيمها فكان أفضلهم بمعوم بعنته وشمول هدايته وكمال الدين على لسانه وبده
وحفظ كتابه وآيته وهذه مزايا تتعلق بموضوع الرسالة، والقرآن ناطق بكل منها،
ولهذا قال من قال في تفسير قوله تعالى (ورفع بعضهم درجات) انه هو المراد بالبعث،
والتلخيص قد يختار على التصريح اذا كانت قرائن الحال معينة له، وقال شيخنا

الاستاذ الامام ان نكتة ذكره بين موسى وعيسى عليهم الصلاة في قوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) هي التنبيه لكونه هو الوسط كما قال انه جعل أمته وسطا - وخير الامور أوسطها - وقد كانت شريعة موسى مشتملة على المبالغة والشدة في الاحكام الجسدية والامور المادية وتعاليم عيسى مشتملة على المبالغة في احكام الزهد والمواظف الروحية فجاءت شريعة محمد وتعاليمه وسطا في كل منهما كما بيناه بالتفصيل في مواضع من التفسير وغير التفسير من أبواب المنار، ولما كانت أمم الرسل المعروفة في زمن بعثته محصورة في أمة موسى وعيسى كان ذلك من أقوى القرائن اللغوية على ان من رفعه الله درجات هو النبي الذي بعث بعدهما لان حمله على نبي انقضت أمته ولم يبق أثر لشريعته بعيد وغير مفيد وتتنزه بلاغة القرآن وهدايته عن ذلك

سؤال الله بحق خاتم رسله وجاهه

سؤال الله تعالى ودعاؤه هو روح العبادة وركنها الاعظم والقاعدة التي تلي توحيد الله وعدم اشراك أحد معه في العبادة هي ان عبادته تكون بما شرعه سبحانه فقط أي اتباعا لا ابتداء فيه. ولم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله المثبتة التي صحت بالنقل والعمل عن السلف الصالح ان يسئل سبحانه شيئا بحقوق أحد من خلقه عليه وان كان من عباده المكرمين الذين جعل لهم حقا عليه جزاء على أعمالهم ، ولا يجاهه عنده وان ثبت انه جعل له وجاهة ، فهذا السؤال اذا بدعة ولكنه ليس شركا في هذه العبادة لان السائل قد توجه فيها الى الله ودعاه وحده ولكنه ابتدع في دعائه بدعة أراد ان تكون سببا لاجابة السؤال ، وهي ادخال شيء في العبادة لم يأذن به الله بنس ولا خوى بل يدل الشرع والعقل على بطلانه ، ذلك بانه ليس لاحد على الله تعالى حق الا ما جعله هو له بفضله وان كان جزاء على عمله فثابته امييده فضل منه عليهم كما ثبت . وقد ورد في الصحيح من ان حق الله على عباده ان يمدوه ولا يشركوا به شيئا وحقهم عليه اذا فعلوا ذلك ان يدخلهم الجنة - فهذا الحق يزيد العابد المتخلص لله تعالى لا يسح ان يكون سببا لاجابة سؤال عمرو شفاء مرضه أو توسيع رزقه أو مسرة ذنبه لان من أصول دين الله المعقولة (ان لا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان) (المنار : ج ٤) (٣٤) (الجلد الثاني والعشرون)

الاباسمى) وكذلك ما جعل الله من الوجاهة بفضله لموسى عليه السلام اذ قال فيه (وكان عند الله وجهاً) لا يمتثل ان يكون سبباً لمثل ذلك . فانه تعالى قد جعل لكل شيء سبباً وليس هذه الوجاهة ولا تلك الحقوق من أسباب ما ذكر ، على انها لو كانت منها لما صح ان تدخل في العبادة الا باذن منه تعالى كما اذن بغير زيادة ولا نقص . نعم ان من الجاه او الوجاهة الشفاعة وهي من أسباب المغفرة وذلك ان تسأل الله ان يجعلك أهلاً للشفاعة برسوله وبغفرلك بها ولكن لم يرد أنها سبب لمصالح الدنيا ولم يكن الصحابة يطلبون من النبي (ص) عند قبره ولا في حال البعد عنه في حياته ان يشفع لهم في شفاء مرض ولا دفع ضرر ولا نزول مطر ولا يسألون الله ذلك بمجاهبه (ص) وقد طلبوا من عمه العباس ان يستسقي لهم بعده بدلاً من استسقائه ولو كان هذا من عبادتهم لتواتر عنهم أو اشتهر برواية الشيخين وأصحاب السنن لتوفر الدواعي على ذلك

فان قيل: ان شرع ما لم يأذن به الله قد عد من الشرك وعد من يقبله ويعمل به من متخذي الشركاء والارباب من دون الله في قوله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقوله عز وجل (اتخذوا احبارهم وورهبانهم ارباباً من دون الله الآية) وقد فسّر في الحديث المرفوع اتخذهم ارباباً بطاعتهم فيما يحملون لهم ويحرمون عليهم ، وطالما كرر المنار هذه المسألة (وفي تفسير هذا الجزء قول مفصل فيها) قلنا ان السؤال وارد ولكن يفرق في مثله بين تنقيح المناط وتحقيق المناط فان الشيء قد يكون بمقتضى الدليل شركاً أو كفرةً ولا يعد كل من فعله مشركاً أو كافراً كما قلناه عن شيخ الاسلام (ص ١٢١ ج ٢) ولا يسأل ذلك السؤال من يقوله من المسلمين الا وهو يظن انه مشروع بتقليد أو شبهة دليل على صحته كـ بعض الاحاديث المرووعة أو الضعيفة التي لا يثبت بها حكم . وكل البدع الدينية ومساائل المبادات التي لا تدل عليها النصوص من هذا القبيل ولم يكفر السلف مسلميها كما فعلناه في الاجزاء التي قبل هذا ومنهم من يدخل هذه المسألة في باب الاقسام على الخالق بالخلق وقد صرح الحنفية بكراهته قال ابو يوسف وأكره ان يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمقبر الحرام . والمراد كراهة التحريم . وقد فصل القول في هذه المسألة شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (التوسل والوسيلة) وهو مطبوع قلنا بعض اقواله في الجمله الثاني عشر من المنار وغيره فليراجع السائل ذلك في موضعه

ما وراء القبر

حديث مع اديسن عن الحياة والموت

قابل كاتب أميركي المبتدأ اديسن العالم الأميركي المشهور واستطلعه رأي في نبأ نشرته الصحف الأميركية وغواه انه يبحث ويفتش لعله يفوز برفع الحجاب عن حقيقة ما تصير اليه نفس الانسان بعد الموت ويؤيد ذلك بالدليل العلمي. وقد نشرت خلاصة هذا الحديث في مجلة السينتك اميركان المروفة بتدقيقها العلمي وقدمته بمقدمة من عندها قالت فيها :

« اذا كان رجل في مقام لودج او اديسن يتم بموضوع ما فان الجمهور يتبالغ في الاهتمام بما يقول وبما يرجو ان يفعل. وعليه فلما أذيع منذ ايام ان اديسن يجرب تجارب لمناجاة الموتى فحقت الصحف مجالا واسعا لهذا النبأ يفوق ما يستحقه بالنسبة الى الدرجة العليا التي بلغت أعمال اديسن من التقدم العلمي. وقد أصابت فيما فعلت لان القراء اهتموا مزيد الاهتمام بمجرد علمهم ان اديسن يشتغل بهذه المسئلة ». الى ان قالت « وأنهم ما في الاسر ان اديسن رغم الاراجيف التي قد تذيبها الصحف عن هذه المسئلة وعلاقته بها يسعى ليمود بنا الى الموقف الصحيح في أسرار الحياة بعد الموت وبقاء الانفس وامكان مخاطبة الموتى ». وهذه صورة الحديث. قال الكاتب :

« ان اديسن الذي استنبط المصباح الكهربائي والفونوغراف والصور المتحركة وبطرية النكل والحديد والدينامو الكامل وغيرها من المكتشفات والمخترعات التي تدخل أعمالنا اليومية سيوجه سعيه وجهده الى أمر يفوق كل اكتشاف واختراع بما لا يقاس. فان في العالم نحو ١٥٠٠ مليون نسمة سيدركهم الموت عاجلا او آجلا ولكنهم يجهلون كل الجهد مصيرهم بعده. ومثل ذلك يقال عن مجيئنا الى هذه الدنيا. وعليه فالحياة والموت لا يزالان سرا من الاسرار ولغزا من الالغاز التي لم يفتح بها على مخلوق

منذ بضعة أسابيع شاع ان هذا المخترع العظيم يمد طريقته او آلة للمخاطبة

(١) نشرت في بعض الصحف المصرية والسورية واعتمدت ترجمة المتكلم

منها مع تصحيح لغوي قليل

الذين انتقلوا من هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . فنشرت صحف اميركا واوروبا ان توماس اديسن اندمج في صفوف الروحانيين الذين بينهم الآن كثيرون من كبار العلماء والمؤلفين والمخترعين والطبيين والمهندسين ورجال الدين وغيرهم . ووصف الكتاب الفرنسيون الواسع الحيال آلة اديسن بانها محطة تلفونية او مكتب تلفراف او ما أشبه يقصدها الناس ليخاطبوا منها ارواح احبابهم واصدقائهم في العالم الآخر بطريقة عاجلة أكيدة . وليس في الناس احد اشد اسفا من المستر اديسن على اذاعة اخبار مثل هذه . فقد قال لي في حديثي معه « اني لا أستطيع تصور شيء يسمونه الروح . تصور شيئا لا تقل له ولا صورة مادية ولا حجما . وبعبارة أخرى تصور غير شيء . انا لا استطيع ان اعتقد ان الارواح يمكن ان ترى في أحوال معينة وتحرك الموائد او تفرع عليها او تعمل أعمالا سخيفة مثل هذه وكل ما قيل من هذا القبيل حديث خرافة »

واقول هنا انه انما قاياني لازالة ماعلق بالاذهان من الاشاعات التي شاعت عن غرضه من البحث والتنقيب في هذا الموضوع . ولا تزال الآلة التي شاع أنه يصنعها في دور التجربة والامتحان . وقد طلب مني ان أعلن ما يأتي قال: « فكرت منذ مدة في اختراع آلة او اداة يمكن ان يستخدمها او يؤثر فيها الذين غادروا هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . والآن أسمع وع ما اقول لك . انا لا ادعي ان شخصياتنا تنتقل الى وجود آخر او منطقة أخرى . ولا ادعي علم شيء في هذا الموضوع لاني لا اعلم شيئا فيه ولا احد من الناس يعلم . ولكنني ادعي انه يمكن صنع آلة بالغة من الدقة مبلغا بحيث انه اذا كان اناس في عالم آخر يريدون مخاطبتنا في هذا العالم فان هذه الآلة تكون اوفى بهذا الغرض من تحريك الموائد والقرع عليها او غير ذلك من الوسائل السخيفة المعروفة والحق يقال ان سخافة هذه الوسائل هي التي تحملني على الشك في صحة مناجاة الموتى التي يدعونها . فلست أدري لم يضيع الاشخاص الذين في العالم الآخر وقتهم في تحريك مثلث من الخشب على مائدة عليها حروف الهجاء ، وما غرضهم من تحريك الموائد؟ هذا كله يظهر لي أنه من الاعمال الصيانية حتى لا أستطيع ان ابحث فيه بعين الجدل والاهتمام . وعندي انه اذا شئت ان تتقدم تقدما حقيقيا في البحث العقلي وجب ان تعلمم عليه بالآلات العلية والبالغة ،

العملية كما تفعل في الطب والكهربائية والكيمياء وغيرها
واما ما اريد ان اعمله فهو ان اجهز الباحثين في المباحث العقلية النفسية
بآلة تلبس عملهم لباساً علمياً . وهذه الآلة ستكون مثل مصراع او تشبه
مفتاحاً صغيراً يستطيع به رجل واحد ضعيف القوة ان يفتح مصراعاً تدار
به آلة قوتها ٥٠ الف حصان . وستكون آتني على هذا المثال حتى ان اصغر
قوة تكبر بها كثيراً فتساعدنا على بحثنا . ولا اقول اكثر من ذلك عن ماهيتها .
وقد مضت علي مدة وانا اشتغل بتفاصيلها وكان يماونني في عملي هذا صديق
فتوفى منذ حين . ولما كان يعلم ما انا ساع اليه فالواجب ان يكون اول من
يقدم على استعمال هذه الآلة ان استطاع ذلك

واعلم اني لا ادعي اني اعلم شيئاً عن بقاء الشخصيات بعد الموت ولا اعد
بمخاطبة الذين انتقلوا من هذا الوجود وانما اقول اني ساع في تجهيز الباحثين
النفسيين بآلة قد تساعدهم في عملهم كما يساعد المكرسكوب رجال الطب في
مباحثهم . واذا عجزت هذه الآلة عن ان تكشف لنا شيئاً خارق المادة فاني
افقد كل ثقة وايمان ببقاء الشخصيات بعد الموت كما نعرفه في هذا الوجود «
ومما يقال عن المستر ادوين انه لا يصدق المذاهب المعروفة في الحياة
والموت لانه يعتقد انها فاسدة الاساس ، قال لي باسلاً مذهبه فيهما » عندي
ان الحياة كالمادة غير قابلة للفناء . فقد كان في هذا العالم مقدار معين من
الحياة على الدوام وسيبقى هذا المقدار كما هو على الدوام . فانك لا تستطيع
خلق الحياة ولا ابادتها ولا مضاعفتها . وفي اعتقادي ان أجسامنا مركبة من
ملايين من الكائنات المتناهية في صغرها وكل منها حي مفرد وبرتبط بعضها
ببعض لتكوين الانسان . ونحن نقول عن انفسنا ان كلا منّا شخص واحد
قائم بنفسه وتتكلم عن الهرة او الفيل او الحصان او السمكة كأن كلا منها فرد
قائم برأسه ولكنني أرى ان طريقة التفكير هذه فاسدة الاساس فان هذه
الاشياء كلها تظهر انها بسيطة مفردة لان الكائنات الحية التي تتألف منها أصغر
من ان ترى حتى بأعظم المكبرات

وقد يمترض على هذا الرأي بأنه اذا كانت هذه الكائنات صغيرة الى هذا
الحد فلا يمكن ان تكون مؤلفة من أعضاء مختلفة تستلزم القيام بالأعمال التي
سأذكرها . فاقول في الرد على ذلك انه لا احد لصغر الاشياء كما انه لا احد لكبرها

واكتشاف الألكتروليت خير جواب على مثل هذا الاعتراض. فقد ظهر لي بالحساب أنه يمكن وجود حي متقن التركيب والتنظيم مؤلف من ملايين من الألكتروليتات الصغيرة التي لا ترى بما نعرف من المكبرات. وهناك دلائل كثيرة تدل على أننا نحن الخلائق البشرية نتصرف كل منا تصرف جماعة من الأحياء لا تصرف حي واحد. وهذا ما يحملني على اعتقاد أن كلا منا يحتوي على ملايين من الأحياء وأن أجسامنا وعقولنا تمثل أفعال الكائنات التي تتألف منها.

ولنتأمل الآن في السبب الذي يحملني على القول بأنه لا بد أن تكون أجسامنا مؤلفة من هذه الكائنات. خذ بصمة إبهامك كما يفعل البوليس في بصم إبهام المشبوهين ثم ازل خطوط إبهامك بحرقها بالنار. فتي تما الجلد ثانية تجد أن خطوطه لم تتغير البتة عما كانت قبل احتراقه وقد امتحنت ذلك بنفسي حتى تحققت. هذا سر من الأسرار ما بقي مطلقاً حتى الآن. تقول لي أن هذا عمل الطبيعة. وهو جواب يراد به التفتي لا غير إذ لا معنى له بل هو وسيلة لاسكات السائل بذكر كلمة فارغة مكان الجواب. إن كلمة «طبيعة» ما اقمعتني قط: أما جوابي أنا فهو أن الجلد لم يثبت ثانية كما كان أولاً بمجرد الاتفاق بل إن هناك من وضع رسوم التوالثاني وعني بمطابقته لرسوم التوالثاني من كل وجه. وافت لا تعلم شيئاً من تلك الرسوم فإن دماغك لم يشترك في هذا العمل: وهنا تدخل الكائنات المشار إليها وتشترك في العمل. وأنا اعتقد جد الاعتقاد أنها تحرك نسيج جلد الإبهام بمزيد العناية مستعينة على رسم التفاصيل الدقيقة بدأكرتها المعجبة.

ولزيادة الإيضاح أقول. لنفرض أن كائناً من سكان المريخ هبط إلى هذه الأرض ولنفرض أن بصره ليس دقيقاً كبصرنا وأن أصفر شيء يمكنه أن يراه ببنيه هو جسر (كبري) مثل جسر بروكلين فهو إذاً لا يرى أجسامنا وقد يحب الجسر المذكور شيئاً طبيعياً كما نحسب نحن العشب أو الرمل أو المعادن وغيرها من الأشياء الطبيعية، ولنفرض أنه هدم جسر بروكلين وذهب ثم عاد بعد سنين فر من هناك فوجد جسراً جديداً مكان القديم وعلى مثاله. فهل يتورده الفكر الصحيح إلى افتراض أن الجسر الجديد تما بنفسه مكان القديم وعلى مثاله أو إلى افتراض أنه مد ثانية بفعل فاعل عاقل. لا ريب أن الفرض الثاني

اقرب الى العقل

هذا هو الموقف الذي يجب ان تقفه نحن براء الكائنات الحوية. والمسئلة كلها مجرد افتراض وتخمين كما لا يخفى. فقد يكون ٩٥ في المئة من تلك الكائنات التي تتألف أجسامنا منها اعمالاً والجثة الباقية مدبرة للعمل وقد يكون غير ذلك. وهما يكن من الامر فان مجموعها هو الذي يكون شكل أجسامنا الطبيعي وصفاتنا العقلية وشخصياتنا وما اشبه ذلك

وهذه الكائنات هي الحياة بعينها وهي لا تفنأ تعمل وترمم النجاة اجسامنا وتشرف على وظائف اعضائنا. فاذا أصيب الجسم بطاريء انفضى الى موته كأن يكون مرضاً عضالاً او عارضاً او هرماً فان هذه الكائنات تفارقه ولا تترك وراءها الا بناء غاوياً خالياً. ولما كانت عمالاً لا تسكل ولا تعمل فاما ان تدخل جسم انسان آخر او تبدأ العمل في صورة اخرى من صور الحياة واشكالها. وسواء كان هذا او ذلك فان هذه الكائنات معدودة العدد وهي نفسها عملت كل شيء في عالمنا هذا ولكن تعدد التراكيب التي تتألف منها هو الذي اوقفنا في الخطأ فحسبنا ان لكل مولود حياة جديدة

وهذه الكائنات خالدة لا تموت فانك لا تستطيع افناءها كما لا تستطيع افناء المادة وجهدها هناك انك تستطيع تغيير صورة المادة لا غير. فقد كان مقدار الذهب والحديد والكبريت والأكسجين وغيرها في بدء العالم كما هو الآن بلا زيادة ولا نقصان. نعم اننا نستطيع التغيير في تركيب مركبات هذه العناصر ولكننا لم نفلتر بتغيير نسب بعضها الى بعض

وهذا هو حال الكائنات الحوية فاننا لا نستطيع افناءها بل نغير صورها واشكالها. وقدرتها متعددة الضروب حتى يصعب علينا تمييز اعمالها في كل الاحوال. وعليه لم يستطع العلماء حتى الآن ان يرسوا حداً بين الاشياء الحية وغير الحية. وقد يكون ان هذه الكائنات تمتد الى الجماد وتعمل فيه والا فاشيء الذي يجعل البلورات تتكون على أشكال هندسية محدودة؟

والآن نأتي الى مسئله الشحنة. أنت لكر بورا (اسم الكاتب) وأنا ديسن لان في كل مناجمواً من كائنات يختلف عن مجموع الآخر. فقد أثبت ألب بانيتين وثمانين عملية جراحية شهيرة عملت حتى الآن ان مركز شخصيتنا هو في تلقيف من تلافيف الدماغ اسمه تلقيف «بروكا». ومن العقل والصواب

ان نعرض ان مركز مكر الكائنات التي تدبر حركاتنا وتشرف عليها انما هو في ذلك التلغيف . فهو الذي يشمرنا بالتأثيرات العقلية وبشخصيتنا . ولقد قلت ان مانسبه الموت انما هو مفارقة تلك الكائنات لابدانتنا . والمسئلة كلها في زعمي هي مسئلة مايجري للكائنات المرشدة التي مقرها في تلغيف « بروكا » . اذ المقول ان الكائنات الاخرى التي تعمل عملا ميكانيكيا في اجسامنا تنشت وتذهب في جهات مختلفة طلبا للعمل فيها . واما الكائنات التي تتكون منها شخصياتنا فتكون انت بها لسكروورا وأكون انا اديمن ويكون زيد زهدا فاذا يجري بها ؟ هل تبقى بمجموعة واحدة أو تنفرق في الكون طالبة العمل منفردة لا بمجموعة ؟ فان كانت تنفرق فان شخصياتنا لا تبقى بعد الموت . فقد تقدم القول ان هذه الكائنات تعيش الى الابد وتتحنا الخلود الذي يرجوه كثير منا ولكن ان كانت تنفرق ثم تتحد بكائنات أخرى لتؤلف أجساما جديدة منها فان ذلك يضيغ علينا شخصياتنا والخلود الذي نرجوه أي خلود تلك الشخصيات بعينها

ولي الرجاء ان شخصياتنا تبقى . فان كانت تبقى فان الآلة التي أنا ساع في اختراعها لا بد أن تقيدها . وهذا مايعدوني على الانهماك بعملها واخراجها على غاية من الدقة . واني انتظر النتيجة بذهاب الصبر»

(المنار) يؤخذ من حديث هذا المقترح الشهير أنه يعتقد بنظره العقلي واختباره العلمي جواز مايجزم به جميع الملمين ايمانا بالغيب وكثير من الفلاسفة والعلماء الروحيين باللائل أو الاختبار الذي يعرف باستحضار الارواح ، ويرجو أن يكون مايجوزه ويقول بامكانه من الحياة بعد الموت والبقاء بعد فنا هذه الهياكل الجسدية حقا واقما وان كان يرتاب فيه بما شرحه من نظريته الخيالية في سر الحياة وسببها ، وبناء على هذا الرجاء يحاول وضع الآلة الكهربائية التي يرى انها تكون خير وسيلة وأقوى سبب لتأثير أرواح الموتى في الاحياء بمخاطبتها لهم بها ان كان ذلك مما تتوجه اليه وتتمنى به كما يدعى أهل المذهب الروحاني الذي عرفه الاقربنج في هذا العصر وكان مرموما عند الصوفية في القروب الماضية والمصور الحالية . فتأمل كيف قربت المعلوم المادية عالم الغيب من عالم الصهادة . ان في ذلك للمتفكرين ، وقد أقر بجهه بحقيقة الروح ولا غرو (من الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

تاريخ فنون الحديث

٢

الجوامع العامة

« ا » منها جامع المسانيد والالقاء لابن النرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (١) جمع فيه بين الصحيحين ومسند احمد وجامع الترمذي وقد رتبته احمد بن عبد الله المسكي (٢)

« ب » ومنها جامع المسانيد والسنن الهادي لافوم سنن) للحافظ اسماعيل بن عمر الوشي الدمشقي المعروف بابن كثير (٣) جمعه من الصحيحين وسنن النسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه ومن مسانيد احمد والبرار وأبي يعلى والمعجم الكبير للطبراني ' « ج » ومنها مجمع الزوائد للحافظ أبي الحسن علي الهيثمي (٤) جمع فيه زوائد مساند احمد وأبي يعلى والبرار ومناجم الطبراني الثلاثة وموجود منه بدار الكتب ثمان مائتي مجلدات، وقد شرع بطبعه من زهاء ٢٠ سنة ولعله تم

« د » ومنها مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود البغوي (٥) جمع فيه ٤٤٨٤ حديثاً من الصحاح والحسان ويعني صاحبها بالصحاح ما أخرجه الشيخان وبالحسان ما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما وما كان فيها من ضعيف أو غريب بينه ولا يذكر ما كان منكراً أو موضوعاً وقد اعتنى العلماء بها عناية عظيمة فشرحوها شروحات كثيرة وكلها محمد بن عبد الله الحليبي وذيل أبوابها فذكر الصحابي الذي روى الحديث والكتاب الذي أخرجه وزاد على كل باب من الصحاح والحسان فصلاً ثالثاً عدا بمض الأبواب وكان ذلك سنة ٧٣٧ هـ كتاباً حافلاً واسماء مشكاة المصابيح وقد شرح المشكاة كثيرون

« هـ » ومنها جمع الجوامع في الحديث لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها وقد قصد في كتابه جمع الاحاديث النبوية بأسرها . قال المناوي انه مات قبل ان يتمه ولقد اشتمل كتابه على كثير من الاحاديث الضعيفة بل الموضوعية وقد هذب ترتيبه علاء الدين علي بن حسام الهندي المتوفى بمكة سنة ٩٧٥ في كتابه كنز العمال في سنن الاقوال والافعال وقد اختصر السيوطي كتابه في الجامع الصغير وزوائده

« و » ومنها تحف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة لاحمد بن أبي بكر

(١) توفي سنة ٥٩٧ (٢) سنة ٦٩٤ (٣) سنة ٧٧٤ (٤) سنة ٨٠٧ (٥) سنة ٨١٦

(المنار : ج ٤)

(٣٥)

(المنار : ج ٤)

البوصيري (١) أفرد فيه زوائد - مسانيد أبي داود الطيالسي والحليدي ومنسد وابن أبي عمرو وإسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع وعبد بن حميد والحرث بن محمد بن أبي أسامة وأبي يعلى الموصلي - أي مازاد من أحاديثها على الكتب الستة وهو مرتب على مائة كتاب.

الكتب الجامعة لأحاديث الأحكام

«أ» منها الامام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٢) جمع فيه متون الأحكام وشرحه ولكن لم بكل شرحه ويقال انه لم يؤلف في هذا النوع أعظم منه «ب» ودلائل الأحكام من احاديث النبي (ص) لابن شدداد الحلبي (٣)

تكلم فيه على الاحاديث المستنبطة منها الأحكام في الفروع ويقع في مجلدين «ج» ومتن في الاخبار في الأحكام للحافظ محمد الدين أبي البركات عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الحراني المعروف بابن تيمية الحنبلي (٤) انتقاء من صحيح البخاري ومسلم ومنسد الامام احمد وجامع أبي عيسى الترمذي والسنن للنسائي وأبي داود وابن ماجه واستغنى بالمزوال هذه المسانيد عن الاطالة بذكر الاسانيد وانه لكتاب قيم شرحه الامام المنجد الشوكاني محدث اليمن (٥) شرحاً مسهباً بلغ ثمانية أجزاء جمع فيه من فقه الحديث ما لعله يرضى عليك في كتاب آخر وقد اسمى شرحه نيل الاوطار - طبع بمصر وتعدت نسخته - «د» وبلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني (٦)

ويعين شرحه شرحاً وجيزاً صديق حسن خان (٧) بلغ شرحه مجلدين - طبع وتعدت نسخته - وقد اشتمل بلوغ المرام على ألف وأربعمائة حديث من احاديث الأحكام وهو كتاب عظيم القدر طبع في مصر وفي الهند مع حواشي للسيد أحمد حسن الدهلوي المعاصر بين فيها علل الاحاديث المعلولة وخلاصة المعنى

كتب أخرى

من الكتب النفيسة في الحديث (المختارة) لمحمد بن عبد الواحد المقدسي (٨) التزم فيها الصحة فصحح احاديث لم يسبق الى تصحيحها ولم يتم الكتاب وقد رجع بعض الحفاظ على استدرك الحاكم ومنها السنن كتابا الكبير والصغير كتابان لاهمدين حسين البيهقي (٩) قيل لم يصنف في الاسلام مثلها قال ابن الصلاح ما (١) توفي سنة ٨٤٠ (٢) سنة ٧٠٢ (٣) سنة ٦٣٢ (٤) سنة ٦٥٢ (٥) سنة

١٢٥٠ (٦) سنة ٨٥٢ (٧) سنة (٨) سنة ٦٤٣ (٩) سنة ٤٥٨

ثم كتاب في السنة اجمع للدلالة من كتاب السنن الكبرى للبيهقي وكأنه لم يترك في سائر اقطار الارض حديثاً الا وقد وضعه في كتابه - ومنها بحر الاسانيد للامام الحافظ الحسن بن احمد السرقندي (١) جمع فيه مائة الف حديث ورتبه وهذبه ولم يقع في الاسلام مثله . ومنها الترغيب والترهيب للحافظ المنذري (٢) وهو من أحسن الكتب طريقة في جمع الحديث وبيان درجته وليت كتب الحديث كلها على نمطه - وهو مطبوع -

ترتيب كتب الحديث في الصفة

قد بينا فيما سلف درجة كل كتاب من كتب السنة الشهيرة في الصفة وهانحن أولاء ندلي اليك بفصل جم الفائدة عظيم الفائدة ينجلي لك فيه ترتيب كتب السنة من حيث الصفة لتكون على بينة من أمرها فنقول وبالله توفيقنا

قد قسم الجمهور الحديث الصحيح بالنظر الى تفاوت الارصاف المقتضية للصحة الى سبعة أقسام كل قسم منها اعل مما بعده فالاول ما أخرجه البخاري ومسلم ويسمى بالمتفق عليه والثاني ما اقرده البخاري والثالث ما اقرده مسلم والرابع ما كان على شرطهما مما لم يخرجهما واحد منهما والخامس ما كان على شرط البخاري والسادس ما كان على شرط مسلم والسابع ما صححه أحد الامة المعتمدين وترجيح كل قسم من هذه الاقسام السبعة على ما بعده انما هو من قبيل ترجيح الجملة على الجملة لا ترجيح كل واحد من أفرادها على كل واحد من أفراد الآخر فيسوغ أن يرجح حديث في مسلم على آخر في البخاري اذا وجد موجب الترجيح ولقد كتب الشيخ احمد المروفي بشاه ولي الله المحدث الدهلوي (٣) في كتابه حجة الله البالغة فصلا في طبقات كتب الحديث نورد لك خلاصته قال : طبقات كتب الحديث أربع فالطبقة الاولى منحصرة بالاستقراء في ثلاثة

كتب الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم والطبقة الثانية كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ولكنها تتلوها كان مصنفوها مروفين بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر في فنون الحديث ولم يتساهلوا فيها وتلقاها من بعدهم بالقبول واعتنى بها المحدثون رتبه وذاعت

بين الناس كثر أبي داود وجامع الترمذي ومجتبى النسائي . وهذه الكتب مع الطبقة الاولى اعتنى بأحاديثها رزين ابن معاوية المبدري السرقسطي في تجميع الصحاح وابن الاثير في جامع الاصول وكاد مسند أحمد يكون من هذه الطبقة . والطبقة الثالثة مسانيد وجوامع ومصنفات منفت قبل البخاري ومسلم وفي زمانها وبعد ما جمعت بين الصحيح والحسن والضعيف والمعروف والمنكر والغريب والشاذ والخطأ والصواب والثابت والمقلوب (١) ولم تشتهر في العلماء ذلك الاشتهار وان زال عنها اسم النكارة المطلقة ولم يتداول ما تقدمت به الفقهاء كثير تداول ولم يفحص عن صحتها وضعفها المحدثون كبير فحص . ومنها ما لم يخدمه لغوي لشرح غريب ولا فقيه بتطبيقه على مذهب السلف ولا محدث ببيان مشكله ولا مؤرخ بذكر اسماؤه ، ولا أريد المتأخرين التامسين وان كلامي في الأئمة المتقدمين من أهل الحديث فهي آفة على استئناسها وجموعها كسند أبي يعلى ومصنف عبد الرزاق ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد بن حميد ومسند الطبراني وكتب البيهقي والطحاوي والطبراني وغيرهم قصدم جمع ما وجدوه من الحديث لانتخيه وتهذيبه وتقريبه من العمل والطبقة الرابعة كتب قصد مصنفوها بعد قرون متساولة جمع ما لم يوجد في الطبقتين الاولين وكانت في اعماميع والمسانيد المختلفة فذوها بأمرها وكانت على السنة من لم يكتب حديثه اتحدون ككثير من الروايات المتشددين وأهل الاهواء والضعفاء أو كانت من آثار الصحابة وشبابهم أو من كلام الحكماء والروايات خلطها الرواة بحديث النبي (ص) سهواً أو عمداً أو كانت من محتملات (١) الصحيح من الحديث ما رواه عدل تام السبيل بسند منسل غير معتر ولا شاذ وهذا هو الصحيح لذاته فان خف السبيل فالحسن لذاته وبكثرة الطرق يصحح فيسمى الصحيح لغيره والضعيف مادون الحسن والمعروف ما كان في في سنده ثقة خالف ضعيفاً في حديثه . ومروي ذلك الضعيف يسمى المنكر ويطلق المنكر أيضاً على حديث في سنده كثير الخطأ أو غافل عن الاتقان أو فاسق . والغريب ما كان في سنده منفرد بالرواية لم يشترك فيها أحد أو لم يكن الاسند واحد . والشاذ ما كان في سنده ثقة سنده صحيح صحيح منه زعموا . يطعن على من لا يرويه . ريب السند والمقلوب ما كان فيه تقديم وضعف كبير كعقب وعقب من ربه

القرآن والحديث الصحيح فرواها بالمعنى قوم صالحون لا يرفون غوايض الرواية لجملوا المعاني أحاديث معروفة أو كانت مفهومة من اشارات الكتاب والسنة جعلوها أحاديث منفصلة برأسها عمداً أو كانت جملات في أحاديث مختلفة جعلوها حديثاً واحداً بنسق واحد ومظنة هذه الاحاديث كتاب الضعفاء لابن حبان والكامل لابن عدي وكتب الخطيب وأبي نعيم والجوزقاني وابن عساكر وابن النجار والديلمي وكاد مسند الخوارزمي يكون من هذه الطبقة وأصلح هذه الطبقة ما كان ضعيفاً محتملاً وأسوأها ما كان موضوعاً أو مقلوباً شديد النكارة. وهذه الطبقة مادة كتب الموضوعات لابن الجوزي أما الطبقة الاولى والثانية فعليهما اعتماد المحدثين . وأما الثالثة فلا يباشرها للعمل عليها والقول بها الا النحارير الجهابذة الذين يحفظون اسماء الرجال وعلل الاحاديث، نعم ربما يؤخذ منها المتألمات والشواهد — وقد جميل الله لكل شيء قدر — وأما الرابعة فلا اشتغال بمجمها أو الاستنباط منها نوع تمدق من المتأخرين وان شئت الحق فطوائف المبتدعين من الرافضة وغيرهم يتمكنون بأدنى عناية ان يلخصوا منها شواهد مذاهبهم فالانتصار بها غير صحيح في معترك العلماء بالحديث اه

ولابي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (١) مقالة في ترتيب كتب الحديث جرى فيها على ما ظهر له في ذلك ذكرها في كتاب مراتب الديانة وقد أورد السيوطي خلاصتها في كتاب التقریب فقال . وأما ابن حزم فانه قال أولى الكتب الصحيحان ثم صحيح سعيد بن السكن (٢) والمنتقى لابن جارود (٣) والمنتقى لقاسم بن أصبغ (٤) ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داود (٥) وكتاب النسائي (٦) ومصنف قاسم بن أصبغ ومصنف الطحاوي (٧) ومسند أحمد (٨) ومسند البزار (٩) وأبي بكر (١٠) وعثمان (١١) ابني أبي شيبة ومسند ابن راهويه « ١٢ » والطيلاسي « ١٣ » والحسن بن سفيان « ١٤ » والمستدرک للحاكم « ١٥ » وكتاب ابن سنجر « ١٦ » ويعقوب بن شيبة « ١٧ » وعلي (١) توفي سنة ٤٥٦ (٢) سنة ٣٥٣ (٣) سنة ٣٠٧ (٤) سنة ٣٤٠ (٥) سنة ٢٧٥ (٦) سنة ٣٠٣ * انما لم يذكر سنن ابن ماجه ولا جامع أبي عيسى الترمذي لانه ما رأها ولا دخلا الاندلس الا بعد وفاته (٧) سنة ٣٢١ (٨) سنة ٢٤١ (٩) سنة ٢٩٢ « ١٠ » سنة ٢٣٥ « ١١ » سنة ٢٣٩ « ١٢ » سنة ٢٣٧ « ١٣ » سنة ٢٠٤ « ١٤ » سنة ٣٠٣ « ١٥ » سنة ٤٠٥ « ١٦ » سنة ٢٥٨ « ١٧ » سنة ٢٦٢

ابن المديني (١) وابن أبي عزرة (٢) وما جرى مجراها من الكتب التي أفردت لكلام رسول الله (ص) ثم تبعها الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره. ثم ما كان فيه التصحيح فهو أجل مثل مصنف عبد الرزاق (٣) ومصنف ابن أبي شيبة ومصنف بقي بن مخلد القرطبي (٤) وكتاب محمد بن نصر المروزي (٥) وكتاب ابن المنذر (٦) ثم مصنف حماد بن سلمة (٧) ومصنف سعيد بن منصور (٨) ومصنف وكيع بن الجراح (٩) ومصنف الرزالي وموطأ مالك وموطأ ابن أبي ذئب (١٠) وموطأ ابن وهب (١١) ومسائل أحمد بن حنبل وفقه أبي عبيد (١٢) وفقه أبي ثور (١٣) وما كان من هذا النمط مشهوراً كحديث شعبة (١٤) وسفيان (١٥) والبيهقي (١٦) والاوزاعي (١٧) والمجدي (١٨) وابن مهدي (١٩) ومسدد «٢٠» وما جرى مجراها فهذه طبقة موطأ مالك بعضها أجمع للصحيح منه وبعضها مثله وبعضها دونه ولقد أحضبت ما في حديث شعبة من الصحيح فوجدته ثمانمائة حديث وثيقاً مستندة ومرسلات يزيد على المائتين وأحصيت ما في موطأ مالك وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند ثمانمائة وثيقاً مستندة وثلاثمائة ومرسلات وثيقاً وثيقاً وسبقون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضعيفة وأما جمهور العلماء

تاريخ علوم الحديث الاخرى

الى هنا كانت العناية موجهة الى تاريخ الحديث من حيث الكتب الجامعة للفاظه والشارحة لمثونه وان ذلك لمرض من أغراض، وناحية من نواح، فان خيرة المسلمين، وشيوخ الحديثين، كما عنوا بذلك عنوا بالتأليف في شرح غريبه، وبيان ناسخه من منسوخه، واطهار حال رجاله والكشف عن علومه ومصطلحاته

توفي «١» سنة ٢٣٤ «٢» سنة ٢٧٦ «٣» سنة ٢١١ «٤» سنة ٢٧٦ «٥» سنة ٢٩٤ «٦» لا أدري هل هو ابراهيم بن المنذر المتوفى سنة ٢٣٦ أو علي بن المنذر المتوفى سنة ٢٥٦ «٧» سنة ١٦٧ «٨» سنة ٢٢٧ «٩» سنة ١٩٧ «١٠» سنة ١٥٩ «١١» سنة ١٩٧ «١٢» سنة ٢٣٤ «١٣» سنة ٢٤٠ «١٤» سنة ١٦٠ «١٥» سنة ١٩٨ «١٦» سنة ١٧٥ «١٧» سنة ١٥٦ «١٨» سنة ٢١٩ «١٩» سنة ١٩٨ «٢٠» سنة ٢٢٨

من صحيح وعليل ومقبول، ومردود ومتواتر ومشهور، الى غير ذلك من جليل
الانغراض ومتنوع الاقسام
وسنفرد فصلاً لكل نوع من أنواعه الشيرة نلم فيه بتوضيحه، ونرج
على تاريخه، بمقرنين ذلك بذكر أحسن المؤلفات فيه حتى يتجلى لك تاريخ
الحديث من جملة نواحيه

علم غريب الحديث

الغريب من الكلام يقال على وجهين أحدهما أن يراد به بعيد المعنى غامضه
بحيث لا يتناولوه الفهم الاعن بعد ومعبانة فكر والوجه الآخر أن يراد به كلام
من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب
وها نحن أولاء نحكي لك خلاصة ما قاله ابن الاثير في مفتتح نهايته فانه أحسن من
وفي هذا الموضوع قسطه من البيان ضامين اليه ما عثرنا عليه في بطون الكتب
التي تعرضت لهذا الشأن

كان (ص) انفسح العرب لساننا، وأوضحهم بياننا، وأعرفهم بمواقع الخطاب،
وأهداهم الى طرق الصواب، وكان يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وتباين
لهجاتهم، كلا منهم بما يفهم، وبمبادئه بما يعلم، وكان اصحابه والوفود عليه من
العرب يعرفون أكثر ما يقول وما جهلوه سألوه عنه فيوضحه لهم واستمر
عصره (ص) الى حين وفاته على هذا السنن المستقيم وعليه سلك الصحابة في
عصرهم. وكان اللسان العربي عندهم صحيحاً محروساً من الدخيل الى أن فتحت
الامصار وغالط العرب غير جنسهم من الروم والفرس والحش والنبط وغيرهم
من أنواع الامم الذين فتحت بلادهم للمسلمين وورفرف عليها علم المرحومين
فاختلطت الفرق واستترجت اللسن وتداخلت اللغات ونشأ بينهم الاولاد فتهلخوا
من اللسان العربي ما لا بد لهم في الخطاب والمحاورة منه، وتركوا ما عدها القنبيهم
عنه واستمر الامر على هذا النهج الى أن انقرض عصر الصحابة — القرن
الاول — وجاء التابعون لهم باحسان فسلكوا سبيلهم، وإن كانوا في الاتقان
دونهم ولم يتقن زمانهم — سنة ١٥٠ — الا واللسان العربي قد استحال
اعجباً أو كاد فلا تزي المستقل به والمحافظ عليه الا الآحاد جهل الناس من هذا
الهم ما كان يلزمهم معرفته واخبروا منه ما كان يجب عليهم تقدمته، فلما اعتزل

الداء، وعزالدواء، اللهم الله جماعة من اولي المعارف والنهي ان يصرفوا الى هذا الشأن طرفاً من عنايتهم، فشرعوا للناس موارد، وقمدوا لهم قواعده، فقيل ان أول من جمع في هذا الفن شيئاً أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري «١» لجمع من الفاظ غريب الحديث والازر كتباً صغيراً ولم تكن قلته لجله بغيره من غريب الحديث وانما كان ذلك لامرئ أحدهما ان كل مبتدع لامرئ لم يسبق اليه فانه يكون قليلاً ثم يكثر والثاني أن الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة فلم يكن الجهل قد عم. ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني «٢» كتاباً اكبر من كتاب أبي عبيدة بسط فيه القول على صغر حجمه، ثم جمع عبد الملك ابن قريب الاصمعي وكان في عصر أبي عبيدة وتأخر عنه كتاباً احسن فيه الصنع وأجاد، ونيف على كتابه وزاد، وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب «٣» وغيره من أئمة اللغة والفقهاء جموا أحاديث وتكلموا على لغتها ومعناها في اوراق ذوات عدد ولم يكدهم أحد من يتفرد عن الآخر بكثير حديث لم يذكره الآخر واستمر الحال الى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام «٤» وذلك بعد المائتين لجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار اثنى فيه عمره اذ جمعه في أربعين سنة وانه لكتاب حافل بالأحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والفوائد الجليلة، ولقد بطن رحمه الله على كثرة تعب وطول نصه انه قد أتى على معظم الغريب وما علم ان الشوط بطين، والمهل معين، ولقد بقي كتابه معتمد الناس الى عصر أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري «٥» فصنف كتابه المشهور ولم يودعه شيئاً من كتاب أبي عبيد الا ما دعت الحاجة اليه من زيادة شرح وبيان أو استدراك أو اعتراض لجاء مثل كتاب أبي عبيد أو أكثر منه وقد قال في مقدمته أرجو ان لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال وقد كان في عصره ابراهيم بن اسحاق الحاربي الحافظ «٦» جمع كتاباً في الحديث بلغ خمس مجلدات بسط فيه القول وأطال بهذا ذكر المتن واسانيدها ولولم يكن في المتن الا كلمة واحدة من الغريب فمجر الناس لذلك كتابه وان كان جم الفائدة. ثم اثر الناس من التصانيف في هذا الفن كالمبرد «٧» وثلث «٨» ومحمد بن قاسم الانباري «٩» وسلمة بن عاصم النحوي وعبد الملك

«١» توفي سنة ٢١٠ هـ «٢» سنة ٢٠٤ هـ «٣» سنة ٢٠٦ هـ «٤» سنة ٢٢٤ هـ

«٥» سنة ٢٧٦ هـ «٦» سنة ٨٥ هـ «٧» سنة ٢٨٥ هـ «٨» سنة ٢٩١ هـ «٩» سنة ٣٢٨ هـ

ابن حبيب المالكي ومحمد بن حبيب البغدادي وغيرهم من أئمة اللغة والنحو والفقه والحديث، واستمرت الحال الى عهد الامام محمد بن احمد الخطابي البستي (١) فالف كتابه المشهور في غريب الحديث سلك فيه نهج أبي عبيد وابن قتيبة وصرف عنايته فيه الى جمع ما لم يوجد في كتابيهما فاجتمع له من ذلك ما يذاني كتاب أبي عبيد أو كتاب صاحبه فكانت هذه الكتب الثلاثة في غريب الحديث والآثر امهات الكتب وهي الدائرة في أيدي الناس وعليها يعول علماء الامصار الا ان هذه الكتب الثلاثة وغيرها لم يكن فيها كتاب صنف مرتباً ومقنّى يرجع الانسان عند طلب الحديث اليه الا كتاب الحربي وهو على طوله وعسر ترتيبه لا يوجد الحديث فيه الا بمتعب وعناء، ثم هي مع ذلك متفرقة فيها الاحاديث فلا يعلم الناظر في أيها يوجد الغريب فيحتاج الى البحث في كثير منها حتى يجد غرضه. فلما كان زمن أبي عبيد احمد بن محمد الهروي (٢) وهو من طبقة الخطابي ومضاصريه الف كتابه السائر جمع فيه بين غريب القرآن والحديث ورتبه ترتيباً لم يسبق اليه فاستخرج الكلمات النغوية الغريبة من أماكنها وانبتها في حروفها مرتباً لها على حروف المعجم ولم يفعمه بالاسانيد والمتون والرواة — شأن ما سبقه من الكتب — فان ذلك له علم مستقل به وقد جمع فيه من غريب الحديث ما في كتب من تقدمه واربى عليه لجاء كتاباً جامعاً في الحسن بين الاطاعة والوضع الا أنه جاء الحديث مفرقاً في حروف كلماته. ولقد ذاع صيت هذا الكتاب بين الناس واتخذوه عمدة في الغريب واقتنى أثره كثيرون واستدرك ما فاته آخرون وما زالت الايام تنقضي عن تصانيف وتبرز تأليف الى عهد الامام أبي القاسم محمود بن عمر الزعفراني (٣) فالف كتابه الفائق في غريب الحديث وأنه لكتاب قيم رتبة على وضع اختياره مقنّى على حروف المعجم ولكن في العثور على متفرقة الغريب منه مشقة وان كانت دون غيره مما سبقه لانه جمع في التقفية بين ابراد الحديث متروداً جميعه أو بعضه ثم شرح ما فيه من غريب فيجزيه شرح كلماته الغريبة في حرف واحد فترد الكلمة في غير حروفها فكان لذلك كتاب الهروي اقرب منه متناولاً وان كانت كلمات الحديث متفرقة في حروفها

ولقد الف أبو بكر محمد بن أبي بكر المديني الاصفهاني (٤) كتاباً جمع فيه

(١) توفي سنة ٣٨٨ (٢) سنة ٤٠١ (٣) سنة ٥٣٨ (٤) سنة ٥٨١

(المنار: ج ٤) (٣٦) (المجلد الثاني والعشرون)

على طريقة الهروي ما فاته من غريب القرآن والحديث، وكذلك صنف أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي "١" كتاباً في غريب الحديث حاسة نرج فيه منهج الهروي بل كتابه مختصر من كتابه لا يزيد عليه الا الكلمة الشاذة واللفظة الغاذة بخلاف كتاب أبي موسى المديني فانه لا يذكر منه الا ما دعت الحاجة اليه أقول ثم جاء محمد الدين مبارك بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الاثير "٢" الذي تلخص ما تقدم من مقدمة نهايته لجمع ما في كتاب الهروي وأبي موسى من غريب الحديث والاثر وأضاف اليه ما عثر عليه في كتب السنة من صحاح وستون وجوامع ومصنفات ومسانيد - وانه لكثير - سالكا في الترتيب منهج أصله فكان من ذلك كتابه - النهاية في غريب الحديث والاثر - وقد رمز لما في كتاب الهروي بالهاء ولما في كتاب أبي موسى المديني بالسين . وقد ذيل النهاية محمود بن أبي بكر الارموي (٣) واختصرها عيسى بن محمد الصفوي (٤) فيما يقرب من نصف حجمها وكذلك الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٥) في كتابه الدر النثير تلخيص نهاية ابن الاثير ، وله : التذييل والتذييب على نهاية الغريب ، وقد طبعت النهاية وعلى هامشها الدر النثير مشكولة وغير مشكولة

علم رجال الحديث

هذا فن جليل القدر عظيم الاثر الحاجة اليه داعية والضرورة به قاضية وليس من عظيم في الحديث وهو عنه بعيد أو باعه فيه قصير وكيف لا يكون كذلك وهو نصف علم الحديث فانه سند ومتن والسند عبارة عن الرواة فعرفة أحوالهم نصف هذا العلم بل ارب

- والكتب المصنفة فيه كثيرة الانواع متشعبة الاغراض فمن مؤلف في أسماء الصحابة خاصة أو في رواية الحديث عامة ومن خاص بالفتاوى أو الضعفاء أو الحفاظ أو المدلسين أو الوضاعين ومن مبين للجرح والتعديل والفاظهما ومراتب كل منها ومن كاشف عن المؤلف والمختلف أو المتنق والمفترق من الاسماء والانساب ومن قاصر على ذكر الوفيات أو موضح لرجال كتاب معين أو عدة كتب مخصوصة وكل كتب فيه الغناء فأحسنوا الكتابة وبلغوا فيها الغاية كما ترى بعد

(١) توفي سنة ٥١٤ (٢) سنة ٦٠٦ (٣) سنة ٧٢٣ (٤) سنة ٩٥٣ (٥) سنة ٩١١

١٠ أسماء الصحابة

الصحابي كل من لقي النبي (ص) مؤمناً به ومات على ذلك ولو تخللت ردة في
الاصح وأول من يعرف عنه التصنيف في هذا النوع أبو عبد الله محمد بن اسماعيل
البخاري (١) أفرد أسماء الصحابة في مؤلف وجمعها مضمومة الى من بعدهم جماعة
من طبقة مشايخه تكليفة بن الخياط المحدث النسابة (٢) ومحمد بن سعد (٣) الذي بلغ
مؤلفه خمسة عشر مجلداً ومن قرأه كيعقوب بن سفيان (٤) وأبي بكر بن أبي
خيشة (٥) وصنف في الصحابة خاصة جمع بعدهم كالحافظ البغوي عبد الله بن محمد
ابن عبد العزيز (٦) وأبي بكر الحافظ الكبير عبد الله بن أبي داود (٧) ثم علي بن
السكن (٨) وأبو بكر عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين (٩) وأبو منصور
البارودي وأبو حاتم الرازي ابن حبان (١٠) وسليمان بن أحمد الطبراني (١١) ضمن
معجمه الكبير ثم عبد الله بن منده (١٢) والحافظ أبو نعيم (١٣) ثم عمر بن
عبد البر (١٤) ألف كتابه الاستيعاب وسماه بذلك لظنه أنه استوعب كتب من
قبله في كتابه ومع ذلك ففاته شيء كثير فذيل عليه أبو بكر بن فتحون ذيلاً
حافلاً وذيل عليه جماعة في تصانيف لطيفة وذيل أبو موسى المديني (١٥) على
ابن منده ذيلاً كبيراً. وما زال الناس يؤلفون في ذلك الى أن كانت تباشير القرن
السابع فجمع نزيل الدين ابن الإثير «١٦» كتاباً حافلاً سماه أسد الغابة جمع فيه
كثيراً من التصانيف المتقدمة الا انه تبع من قبله غلط من ليس صحابياً
وأغفل كثيراً من الاوهام الواقعة في كتبهم، ثم جرد الاسماء التي في كتابه مع
زيادات عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبي «١٧» في كتابه التجريد وأعلم لمن ذكر
غلطاً ولمن لا تصح صحبته ولم يستوعب ذلك ولا قارب ثم جاء الحافظ أحمد بن
حجر المستقلاني (١٨) فألف كتابه الاصابة في تمييز الصحابة - في ثمانية أجزاء
صغيرة - جمع فيه ما في الاستيعاب وذيله وأسد الغابة واستدرك عليهم كثيراً
وقد اختصره تلميذه جلال الدين السيوطي في كتاب سماه عين الاصابة

- (١) توفي سنة ٢٥٦ (٢) سنة ٢٤٠ (٣) سنة ٢٣٠ (٤) سنة ٢٧٧ (٥) سنة
٢٧٩ (٦) سنة ٢٣٠ (٧) سنة ٣١٦ «٨» سنة ٣٤٣ «٩» سنة ٣٨٥ «١٠» سنة
٣٥٤ «١١» سنة ٣٦٠ «١٢» سنة ٣٥٥ «١٣» سنة ٤٦٣ «١٤» سنة ١٦١ «١٥»
سنة ١٨١ «١٦» سنة ٦٣٠ «١٧» سنة ٧٤٨ «١٨» سنة ٨٥٢

ومعد الف كل من البخاري ومسلم كتاباً في أسماء الوجدان أي الصحابة الذين ليس لهم الأحديث واحد وكذلك الف يحيى بن عبد الوهاب بن منده الاصبهاني (١) كتاباً فيمن مات من الصحابة عشرين سنة ومائة

«ب» علم الجرح والتعديل

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بالقاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألقاب والكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً ثابت عن رسول الله (ص) ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وجوز ذلك صوتاً للشرعة لاميناً في الناس وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة والتثبت في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والأموال فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك وقد تكلم في الرجال خلق لا يتهاى حصرهم وقد سرد ابن عدي (٢) في مقدمة كتابه الكامل جماعة الى زمنه من الصحابة ابن عباس (٣) وعبادة بن الصامت (٤) وأنس (٥) ومن التابعين الشعبي (٦) وابن سيرين (٧) وسعيد بن المسيب (٨) وهم قليل بالنسبة لمن بعدهم وذلك لقلة الضعف فيمن يروون عنهم إذا كثروا ضجاجة وهم عدول وغير الصحابة منهم أكثرهم ثقات إذا لا يكاد يوجد في القرن الاول من الضعفاء الا القليل وأما القرن الثاني فقد كان في أوائله من اوساط التابعين جماعة من الضعفاء وضعف أكثرهم نشأ غالباً من قبل تحملهم وضعفهم للحديث فكانوا يرسلون كثيراً ويرفعون الموقوف وكانت لهم أغلاط وذلك مثل أبي هريرة المبدري ٩ ولما كان آخر عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة تكلم في التعديل والتجريح طائفة من الائمة فضعف الامش ١٠ جماعة ووثق آخرين ونظر في الرجال شعبة ١١ وكان مثبته لا يكاد يروي الا عن ثقة ومثله مالك ١٢ وعن كان في هذا العصر اذا قل قبل قوله معمر ١٣ وهشام الدستوائي ١٤ والاوزاعي ١٥ وسفيان الثوري ١٦ وابن الماجشون ١٧ وحامد بن سلمة ١٨ واليث بن سعد ١٩ ويمده هؤلاء طبقة

(١) توفي سنة ١١١ ٢٢٥ ٣٣٥ ٤٢٥ ٦٨ ٤١٥ ٣٢ ٥٠ ٩٢ ٤٦٥ يد المائت
 ٥٧٠ ١١٠ ٤٨٠ يد التسعين ٤٦ ١٢٤ ٤١٠ ١٤٨ ٤١٥ ١٦٠ ٤١٢ ١٧٩
 ٤١٣ ١٥٣ ١٤ ١٥٤ ٤١٥ ١٥٦ ٤١٦ ١٦١ ٤١٧ ٢١٣ ٤١٨ ٦٧
 ١٢٠ ٤١٦

منہم ابن المبارک «١» وھیم بن بشیر «٢» وأبو اسحاق الفزازی «٣» والمما
عمران الموصلي «٣» وبشر بن المنفل «٤» وابن عینة «٥» وقد كان في
طبقة أخرى منهم ابن علیة «٦» وابن وهب «٧» ووکیع بن الجراح «٧»
انتدب في ذلك الزمان لنقد الرجال الحافظان الحجتان یحیی بن سعید القطان
وعبد الرحمن بن مہدی «٨» وكان للناس وثوق بهما فصار من وتقاهمة
ومن جرحاه مجروحاً ومن اختلفا فيه — وذلك قليل — رجع الناس في
ما رجح عندهم ثم ظهرت بعدهم طبقة أخرى رجع اليهم في ذلك منهم
ابن هرون «٩» وأبو داود الطيالسي «١٠» وعبد البراق بن ہام «١١»
عاصم الضحاك النبیل بن مخلد «١٢»

ثم صنف الكتب في الجرح والتعديل والملل وبينت فيها أحوال
وكان رؤساء الجرح والتعديل في ذلك الوقت جماعة منهم یحیی بن معین
وقد اختلفت آراؤه وعبارته في بعض الرجال كما تختلف آراء التقيہ الله
وعبارته في بعض المسائل التي لا تكاد تخلص من اشكال ومن طبقته آخر
حنبل «١٤» وقد سأله جماعة من تلامذته عن كثير من الرجال فتكلم فيهم
بدلاً ولم يخرجهم عن دائرة الاعتدال. وقد تكلم في هذا الامر محمد بن سعد
كاتب الواقدي في طبقته وكلامه جيد معقول وأبو خيشة زهير بن حرب
ولد في ذلك كلام كثير وأبو جعفر عبد الله بن محمد النبیل حافظ الجزيرة
قال فيه أبو داود: لم أر أحفظ منه. وعلي بن المديني (١٧) وله التعانيف الك
في الملل والرجال ومحمد بن عبد الله بن نمير (١٧) الذي قال فيه أحمد هو
العراق وأبو بكر بن أبي شيبة (١٨) صاحب المسند وكان آية في الحفظ وعبد
بن عمرو القواريري (١٨) الذي قال فيه صاحب جرزة هو أعلم من رأيت بحج
أهل البصرة واسحق بن راهويه (١٩) امام خراسان وأبو جعفر محمد بن عبد

- (١) توفي سنة ١٨١ (٢) سنة ١٨٨ (٣) سنة ١٨٥ (٤) سنة ١٨٦ (٥)
١٩٧. (٦) سنة ١٩٣ (٧) سنة ١٩٧ (٨) سنة ١٩٨ (٩) سنة ٢٠٦ (١٠)
٢٠٤ (١١) سنة ٢١١ (١٢) سنة ٢١٢ «١٣» سنة ٢٢٣ «١٤» سنة ٢٤١ «١٥»
سنة ٢٣٥ «١٦» سنة ٢٣٤ «١٧» سنة ٢٣٤ «١٨» سنة ٢٣٥ «١٩» سنة ٢٣٥

بن عمار الموصلبي الحافظ وله كلام جيد في الجرح والتعديل وأحمد بن صالح (١) حافظ مصر وكان قليل المثل (٢) وهرون بن عبد الله الحنالي (٣) وكل هؤلاء من أئمة الجرح والتعديل

ثم خلفتهم طبقة أخرى متصلة بهم منهم اسحق الكوسج (٤) والدارمي (٥) والبخاري (٦) والعجلي الحافظ نزيل المغرب (٧) ويتلوهم أبو زرعة (٨) وأبو حاتم (٩) الرازيان، ومسلم (١٠) وأبو داود السجستاني (١١) وبقي بن مخلد (١٢) وأبو زرعة الدمشقي (١٣) ثم من بعدهم جماعة منهم عبد الرحمن بن يوسف البغدادي وله مسنف في الجرح والتعديل وكان كاتب حاتم في قوة النفس وإبراهيم بن اسحاق الحربي (١٤) ومحمد بن وضاح (١٥) حافظ قرطبة وأبو بكر بن أبي عاصم (١٦) وعبد الله بن أحمد (١٧) وصالح جرزة (١٨) وأبو بكر البزار (١٩) ومحمد بن نصر المروزي (٢٠) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة (٢١) وهو ضعيف لكنه من الأئمة في هذا العصر. ثم من بعدهم جماعة منهم أبو بكر التريابي والنسائي (٢٢) وأبو يعلى (٢٣) وأبو الحسن سفيان وابن خزيمة (٢٤) وابن جرير الطبري (٢٥) والدولابي (٢٦) وأبو عروبة الحراني (٢٧) وأبو الحسن أحمد بن عمير وأبو جعفر العقيلي (٢٨) ويتلوهم جماعة منهم ابن أبي حاتم (٢٩) وأحمد بن نصر البغدادي شيخ الدارقطني (٣٠) وآخرون. ثم من بعدهم جماعة منهم أبو حاتم ابن حبان البستي (٣١) والطبراني (٣٢) وابن عدي الجرجاني (٣٣) وكتابه في الرجال إليه المنتهى في الجرح والتعديل

وقد جاء بعد ابن عدي وطبقته جماعة منهم أبو علي الحسين بن محمد النيسابوري (٣٤) وله مسند معلل في ألف جزء وثلاثمائة، وأبو الشيخ ابن حبان (٣٥) وأبو بكر الاسماعيلي (٣٦) وأبو أحمد الحاكم (٣٧) والدارقطني (٣٨) وبه ختمت معرفة العلل. ثم من بعدهم جماعة منهم ابن منده (٣٩) وأبو عبد الله

(١) توفي سنة ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦٠٤ ١٦٠٥ ١٦٠٦ ١٦٠٧ ١٦٠٨ ١٦٠٩ ١٦١٠ ١٦١١ ١٦١٢ ١٦١٣ ١٦١٤ ١٦١٥ ١٦١٦ ١٦١٧ ١٦١٨ ١٦١٩ ١٦٢٠ ١٦٢١ ١٦٢٢ ١٦٢٣ ١٦٢٤ ١٦٢٥ ١٦٢٦ ١٦٢٧ ١٦٢٨ ١٦٢٩ ١٦٣٠ ١٦٣١ ١٦٣٢ ١٦٣٣ ١٦٣٤ ١٦٣٥ ١٦٣٦ ١٦٣٧ ١٦٣٨ ١٦٣٩ ١٦٤٠ ١٦٤١ ١٦٤٢ ١٦٤٣ ١٦٤٤ ١٦٤٥ ١٦٤٦ ١٦٤٧ ١٦٤٨ ١٦٤٩ ١٦٥٠ ١٦٥١ ١٦٥٢ ١٦٥٣ ١٦٥٤ ١٦٥٥ ١٦٥٦ ١٦٥٧ ١٦٥٨ ١٦٥٩ ١٦٦٠ ١٦٦١ ١٦٦٢ ١٦٦٣ ١٦٦٤ ١٦٦٥ ١٦٦٦ ١٦٦٧ ١٦٦٨ ١٦٦٩ ١٦٧٠ ١٦٧١ ١٦٧٢ ١٦٧٣ ١٦٧٤ ١٦٧٥ ١٦٧٦ ١٦٧٧ ١٦٧٨ ١٦٧٩ ١٦٨٠ ١٦٨١ ١٦٨٢ ١٦٨٣ ١٦٨٤ ١٦٨٥ ١٦٨٦ ١٦٨٧ ١٦٨٨ ١

الحاكم (١) وأبو نصر الكلأبازي (٢) وعبد الرحمن بن فطيس قاضي قرطبة (٣) وله دلائل السنة وعبد النبي بن سميد (٤) وأبو بكر بن مردويه الاسفهازي (٥) ثم من بعدهم جماعة منهم محمد بن أبي التوارس البغدادى (٦) وأبو بكر البرقاني (٧) وأبو حاتم العبدي - وقد كتب عنه عشرة آلاف جزء - وخلف بن محمد الواسطي «٨» وأبو مسعود الدمشقي «٩» وأبو الفضل الفلكي «١٠» وله كتاب الطبقات في ألف جزء. ثم من بعدهم جماعة منهم الحسن بن محمد الخلال البغدادى «١١» وأبو علي الخليلي «١٢» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن عبد البر «١٣» وابن حزم «١٤» الاندلسيان والبيهقي «١٥» والخليل «١٦» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن ماكولا «١٧» وأبو الوليد الباجي «١٨» وقد صنف في الجرح والتعديل - وأبو عبد الله الحميدي «١٩». ثم من بعدهم جماعة منهم أبو الفضل ابن طاهر المقدسي «٢٠» والمؤتمن بن أحمد «٢٠» وشهرويه الديلمي. ثم من بعدهم جماعة منهم أبو موسى المديني «٢١» وأبو القاسم بن عساكر «٢٢» وابن بشكوال «٢٣». ثم من بعدهم جماعة منهم أبو بكر الحارثي «٢٤» وعبد الغني المقدسي «٢٥» والرهاوي وابن مفضل المقدسي «٢٦». ثم من بعدهم جماعة منهم أبو الحسن بن القطان «٢٧» وابن الأنعمي «٢٨» وابن نقطة «٢٩» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن الصلاح «٣٠» والزي المنذري «٣١» وأبو عبد الله البرذالي «٣٢» وابن الأبار وأبو شامة «٣٣» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن دقيق العيد «٣٤» والشرف الميديمي وابن تيمية «٣٥» ثم من بعدهم جماعة منهم المزني «٣٦» وابن سيد الناس وأبو عبد الله بن أبيك والذهبي «٣٧» والشهاب بن فضل الله «٣٨» ومغلطاي «٣٩» والشريف الحسيني الدمشقي والزين العراقي «٤٠» ثم من بعدهم جماعة منهم الولي الراقي والبرهان الحلبي وابن حجر العسقلاني «٤١» وآخرون من كل عصر إلا أن المتقدمين كانوا أقرب إلى الاستقامة وأبعد من موجبات الملامة ولعلك شئت الاكثار من ذكر الاسماء - وإن كان مقتضى الحال وعين ما يتطلبه المقام - لكن لنا في ذلك غرض جليل ومنزى نبيل وهو أن نكم

١ ترقى سنة ١٠٥٠ - ٢ - ٣١٨ - ٣ - ٤٠٢ - ٤ - ٤٠٩ - ٥ - ٤١٦ - ٦ - ٤١٢ - ٧ -
 ٤٢٥ - ٨ - ٤٠١ - ٩ - ٤٠٠ - ١٠ - ٤٣٨ - ١١ - ٤٣٩ - ١٢ - ٤٤٦ - ١٣ - ٤٦٣ -
 ١٤ - ٤٥٦ - ١٥ - ٤٥٨ - ١٦ - ٤٦٣ - ١٧ - ٤٧٥ - ١٨ - ٤٧٤ - ١٩ - ٤٨٨ - ٢٠ - ٥٠٧ -
 ٢١ - ٥٨١ - ٢٢ - ٣٢٣ - ٢٣ - ٥٧٨ - ٢٤ - ٥٨٤ - ٢٥ - ٦٠٠ - ٢٦ - ٦١١ - ٢٧ - ٦٢٨ -
 ٢٨ - ٦١٩ - ٢٩ - ٥٢٩ - ٣٠ - ٦١٣ - ٣١ - ٦٣١ - ٣٢ - ٦٢٥ - ٣٤ - ٧٠٢ -
 ٨٥٢ : ٤١٤ : ٨٠٦ : ٤٠ : ٧٦٣ : ٣٩ : ٧٤٩ : ٣٨ : ٧٤٨ : ٣٧ : ٧٤٤ : ٣٦ : ٧٢ : ٨٣٥ :

أفواه أولئك الذين تقولوا على السنة أنه دخل فيها الغريب عنها إذ قد طال العهد عليها وتناولتها عصور الجاهلية وبعثت منها أحن الزمان وطوارئ الحدائق فنحن نقدم لهم دليلاً بيناً وبرهاناً ساطعاً أن السنة خدمها المسلمون خدمة جليلة لم تهمد لدى أمة من الأمم ولا في ملة من الملل وإن ذلك كان ديدن المسلمين في كل عصر فلم يغفلوها فترة من الزمن حتى يبعث بها أولو الأغراض، وينال منها ذوو الأحاد، بل لازالت محفوظلة من يد العابثين، بخدمة من جهابذة المحدثين، فلمم الكلمة على المتقولين، والثناء من عامة المسلمين

الخيال في الشعس العربي

٣

حال المعنى والتخييل

قد بصوغ الشاعر المعنى لأول الخطاب في صورة خيالية فلا يدركه إلا من صفت قريحته ووقت حاشية المعنى ككثير من الأشعار الواردة على طريق المصيات والالغاز أو من معنى إلى ما يهديه إلى المراد ويساعده على فهمه من قرينة حال أو مقال كجهد الحادرات التي يقصد فيها المتخاطبان إلى إخفاء الغرض وكنهه عن بعضى إلى حديثهم أو يطلع على رسائلهم

وقد يصرح بالمعنى ثم يدخل به في طريق التخييل وهذا إما أن يخرج الصريح بالتخييل فيفصل المعنى ويضع بازاء كل قطعة منه صورة خيالية كما قال العنابي يصف السحاب

والنجم كالثوب في الآفاق منشور من فوقه طبق من تحت طابق
تظنه مصمتاً لا تفتق فيه فان سالت عزاليه قلت الثوب مفتوق
ان ممع الرعد فيه قلت منخرق أو لآلاً البرق فيه قلت محترق
مثل النجم الضارب في الآفاق بالثوب المنشور ثم أخذ بقرن كل حال من أحواله بما يقابلها من أحوال الثوب فجعل أمساكه من المطر مظنة الصحة والثبات، وانسكاب النيث من خلاله منبأ بفتقه، ومعهمة الرعد إعلاناً بانحراقه، وببيض البرق شطاً يما من

الاهب تؤذن باحتراته، واما ان يستوفى المعنى بالصراحة ثم يأتي بمثاله الخليلي متواصل الاجزاء وهذا كقول بعضهم

رأيتكم تدرون للحرب عدة ولا يمنع الاسلاب منكم مقاتل
فأتم كئل النخل بشرع شوكة ولا يمنع الخراف ما هو حامل
استمعى المعنى الصريح وهو تظاهرهم بالاهبة للحرب وقعودهم من قتال عدوهم
وافتنسكك ماسب من حقوقهم، ثم ضرب له المثل على نسق واحد بالنخل بشرع
فصالا مستنونة من الشوك كالناهب للذود بها مما يحمل من الثمار فيعمد الخراف لها
ويجتنبها بأجمعها دون أن يتاله ذلك الشوك بأذى

ومن أبدع ما جاء على هذا النمط قول ابن رشيق اقبرواني
رجوتك للامر المهم وفي يدي بقايا امي النفس فيها الامانيا
وساوقت لي الايام حتى اذا انقضت أواخر ما عندي قطعت رجائيا
وكنت كأني نازف البئر طالبا لاجعائها أو يرجع الماء صافيا
فلا هو أبقي ما أصاب لنفسه ولا هي أعطته الذي كان راجيا
وإما ان يصرح لك بالحل الذي يجعله مناطا للحديث عنه ثم يسوق القول كله
على طريق التخييل كقول بعضهم

أني وإياك كالصادي رأى نهلا ودونه هوة يخشى بها التلغا
رأى بينه ماء هز مورده وليس بلك دون الماء منصرفا
فقد أراك أول الشمراته يريد الحديث عن حاله مع المخاطب ثم اطرده في مجال التخييل
الذي أفاد به اذ الحاجة تفتحه على القرب منه ، ولخطر المترص في سبيله ينصح له
بالاجتماع عنه، ومن أبدع الوصف المنسوج على هذا المثال قول شرف الدين التقياني
أما ترى الارض من زلزالها عجا تدعو الى طاعة الرحمن كل قمي
أضحت كوالدة خرقاء برضة أولادها درندي حافل غدق
قد مهدتهم مهادا غير مضطرب وأفرشتهم فراشا غير ماقاق
حتى اذا أجزعت بعض الذي كرمت بما يشق من الاولاد من خلق
(المنار: ج ٤) (٣٧) (المجلد الثاني والمشررون)

هزئت بهم مهدهم شيتا قنبورم ثم استشاطت وآل الطبع للخرق
فصكت الممد غضبي وهي لافظة بمضا على بعضهم من شدة النرق

اسباب جودة الخيال

لا مباحة ان النفوس مختلف في بطرتها في صحة الذوق وقوة التذكر فيكون من اسباب
التي تاتي في جودة الخيال ما هو هائد الى الفطرة، والغرض في هذا المقام انما هو البحث
عن الامور التي تؤثر في جودة الخيال وتبسط في نطاقه من خارج، ومدارها على امرين
(أحدهما) تردد النظر في مظاهر المدنية فان امتلاء حافظه الشاعر من المناظر
المختلفة والصور التي لا تدخل تحت حصر تجعله أغزر مادة حتى اذا عرض له معنى
اقتضى الخيال ابراده في طريقة الخيال لا يعوزه مني التفت الى حافظته ان يلاقه منها
ما يساعده على العمل بسهولة، ثم انه لفرازة مادته وسعة مجاله تكون مخيلته أكثر
عملاني انشاء المعاني وابداعها، وكثرة العمل مما ترشح به هذه القوة النفسية فيكون صاحبها
أقدر على صناعة التخييل وأرسخ فيها من كانت بضاعته مزجاة وحافظته في املاق
ومن جهة ان حرارة المادة تساعد على كثرة العمل الذي هو الابداع، وكثرة
العمل تقوى بها النفس في صناعة التخييل أمكن للشاعر المدني أن يفوق الشاعر
البدوي أو القروي في تخيل معاني اشتمروا في العلم بالناصر التي تنزع منها الصور الخيالية
يلعب تأثير المدنية في تهذيب الخيلة الى ان يكون الفرق بين عملها في حال البداوة
ومعملها بعد ان تجبض صاحبها الحضارة أوضح من نار على علم، فهذا على ابن الجهم
الذي قال للحنيفة

انت كالكلب في حفاظك لهم د وكاتيس في مراعي الخطوب
هو الذي يقول

قلن لا نحن الالهة انما نفعي لمن بأوي البنا ولا تقري
بيد انه قال البيت الاول أيام كان يسكن البادية وقل البيت الثاني بعد ما نزل
بنداد وترأف في حافظته من الصور والمعاني ما رقت به حاشية طبعه وجعل قريحته
تسج من المعاني البديعة برودا ضافية

(ثانيهما) الحرية اذ لاشبهة ان الاستبداد الاعمى يطبع الناس على الجبن ويلقي في أفئدتهم رهبة نخملهم على ان يجعلوا بينهم وبين الاقوال التي تسخط لها الحكومة القاسية حاجزا لا يدنون منه ، فيضيق بذلك مجال الشاهد وبما تنسكب انطوس في الاجتماعيات ، حذر الوقوع في السياسيات ، ومن ذا ينكر ان الخيال الذي يسخره صاحبه في كل غرض ويطلق له العنان في كل حيلة يكون أبعد مرمى وأحكم صنما من خيال الشاعر الذي حصرت له السياسة في دائرة ورسمت له خطة لا يفوتها ، ولقد كنت أعرف أنا ما شيوخا تحت سلطة نكره للاديب أن ينتج لماته في الاحوال السياسية فصرفوا معظم حياتهم في التردد على الغزل والمدح والرقاء وفاضت عليهم قرايحهم في هذه الاغراض بعمان رائقة ولا سمح الوقت بالكلام في مقاصد اجتماعية أو سياسية وقف بهم الخيال في عتبة كؤود أو أتوابها في نسج واه وهياة متخاذلة

فالخيال حر في عمله لا تملك السلطة المستبدة مرده ولكنها تمنعه من ان يتجول على مراكب الالسنه والاتلام وهذا ما يثبط الشاعر عن اطلاق خياله للفعل ولا يرخي له العنان الا في أغراض يسمه الحال لان يخاطب بها الناس نطقا أو كتابا

فذاك سبيان لان يكون الخيال بديع الصنع في كل غرض يتوجه اليه ، وههنا أمر آخر اذا اتفق للشاعر حال تصديه للنظم في غرض يكون له أثر جلي في سهولة التخيل وبعد الرمية الى المعاني الغامضة وهو الاحساس والتأثر

فن الشعراء من يتكلم عن مشاهدة وتأثر نفسي كأن يرى البطل يلقي بنفسه في مواقع الخطوب أو العالم كيف يتدفق بالحكمة البالغة أو الجواد كيف ييسط يده بالزوايا فيشمر باعظامه وبأخذ في مدبحة ومعجده ، ويرى الجبان كيف تصفر أنامله من ذكر الحرب أو الجمال كيف يتعضض بالقنود أو الباطل ، أو البخل كيف يشد على الديثار وباطا فوق رباط فيشمر في نفسه بمهاته ويتصدى لمجائه . ويموت من يمز عليه من قريب أو صديق أو استاذ فيشمر بالنفيم والاسف عليه وتتفجر قريحته برثائه . وتحمل بصديقه فاجعة فيحس بالاشفاق عليه فيأخذ في تسليته وتهوين وقها عليه بالزوايا الجبل . ويدخل الروضة الفيحاء فيضنح بمراى أزهارها وتلحين بلاياها فيهب في صدره ابتهاج وانس ويستمرسل في وصفها وذكر مآراقه من مشاهدتها

ومن الشراء من يسوقه الى الشرباء طمع أو خوف أوجاه ومن الجلى ان
الاحساس والتأثر مما يفتح أمام الخيال طرقاً قلما يصير بها من يحمل نفسه على الشر
المجرد الطمع أو الخوف أو الهياه فانظر ان شئت مثلاً الى قصيدة أبي الحسن الانباري
التي يقول في مطلعها

هلو في الحيلة وفي المات لحق أنت احدى المعجزات

تجد فيها تخيلات فائقة ، والذي ساعده على ذلك فيما أحسب انه انشأها
من قنص وعظام بالغ لانه رقى فيها الوزير ابن بنية يرم قتله عضد الدولة مصلواه فظمه
بها - وهو لا يرجي من درائها فائدة بل يوجس في نفسه انطية من أن يناله عضد الدولة
بالعقوبة عليها - بشر بأن الباعث له على انشائها التلهف والاخلاص

ولو نظرت الى القصائد التي يخاطب بها الشراء الملوك تهنته بانتصار أو فتح
وقتها بالقصائد التي يخاطبونهم بها تهنته بعيد مثلاً أو بمولود أو بناء قصر لوجدت
الاولى أجود خيالاً لان انتصار الدولة مما يبرز في قوس الامة فرحاً ويشير فيها
عاطفة اجلال لمن جرى النصر على يده وليست الثانية بهذه المكانة اذ طلوع العيد
على الامير وازدياد وفد له أو تشييد قصر لانه تزل له نفس الشاهر حتى تطاير به في
جو الخيال، ويقتصر مايلذه القروق من بدائع الافكار، وانظر ان رمت الوثوق
بهذا الى قصيدة أبي تمام التي ينهى فيها المنتصر بفتح عوربة

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فانه ذهب بمعانيها مذاهب خيالية لا تطلع له على ما يحاكبها في القصائد التي لم
يستغزرها لما غير ما يرجوه من التوال

وكذلك الشاعر الذي يريد أن يثيراً من جنانية تمزى اليه أو يحاول أن يزيل
ما في نفس السلطان من ضمنية أو نية سيئة فانه يبتكر من المعاني ما لا يبتكره في
القصائد التي يمدح بها وهو مقبل عليه

وبما يخوض الشاعر في فرض أعاء اليه بمجاعة غيره ومباراته في مضمار البيان
فيبلغ مبلغ من اتقوا اليه عن احساس وعاطفة نفسية ويقع على تخيلات جيدة
ولكن أشبال هذه التخيلات تنال على ذي التأثير النفسي بدون نصف حينها يحتاج

الآخر الى أن يحدّث اليها قريحته ويجاذبها وهي كاللصاصة هذه

بماذا يفضل التخيل ؟

عرف مما سبق أن التخيل يدور على انتقاء مواد متفرقة في الملاحظة ثم تأليفها وإبرازها في صورة جديدة ، فبرغم فضله والبراعة فيه الى ثلاث مزايا احداها أن يكون وجه المناسبة بين تلك الجواهر - أعني المواد المؤلفة منها صورة المسمى - فاضاً ، فزينة من يتخيل الكواكب أزهاراً باسمه في روضة قاضية دون مزينة من يقول

وضوء الشهب فوق الليل باد كاطراف الاسنة في الدروع
فان المشابهة بين الكواكب والازهار لا تنيب عن كثير من الناس أما التشابه بين النجوم وبين أطراف الاسنة الالامة عند نفوذها في الدروع لا يحوم عليه الا خيال بارع

ولا فضل لمن يرى الشمعة فيحياكيها بالرمح اذا قسته بمن ينظر اليها فيقول
كأنها عمر الفتى والنار فيها كالاجل
فان محاكاة بالرمح لا تكاد تخفى على ذي بصر وانما الخيال الفائق هو الذي ينتقل منها الى العمر والاجل حيث يشعر بالمناسبة الدقيقة بينهما وهو أن الاجل يدنو من الانسان حيناً فحيناً ويتقاضى عمره رويداً رويداً الى أن تنقلم عنه أشعة الحياة كليب الفتيلة يدب في جسم الشمعة وينتقصها قليلاً قليلاً الى أن يأتي على آخرها وتذهب في الجو هباء منثوراً

ثانيها - أن يكون التخيل مبنياً على ملاحظة أمور متعددة فالصورة التي راعى في تأليفها ثلاثة معانٍ مثلاً تكون أرجح وزناً وأقرب قيمة من الصورة التي تبني على رعاية معنيين فن الشعراء من يصور لك الرمح شهاباً ثاقباً فهل يحق لك أن تساويه بمن يخيله لك ورؤوس الاعداء منصوبة على طرفه بالنفس يوم يكون مكللاً بالثمار كما قال ابن صهارب يخاطب المتصم صاحب المرية

أثمرت رمحك من رؤوس كلهم لما رأيت النفس يمشق مشرا
يقف الناس في تصور الحرب بمعنى الرمح عند قولهم دارت رحي الحرب
وكان عمرو بن كلثوم أبسأهم في هذا التخيل باعاً حيث يقول في وصف الحرب
متى تنقل الى قوم رحاها يكونوا في اللقاء لها ملحنينا

يكون تغالما شرقى نجد ولطوتها قضاة أجمينا
 فالنغال ما يبسط تحت الرضى لتساقط عليه الدقيق والبهوة القبضة من
 الحب تلقى في فم الرضى لتطحنها وقضاة هي القبيلة التي يهددها هذا الشاعر
 بالحرب الطاحنة ، وكانى به عند ماحضر في نفسه معنى الحرب انساق اليه معنى
 الرضى لما بينهما من التشابه المهود ثم تنقل نظره من الرضى الى ما هو من
 خواصها فوق على النغال والبهوة ثم انقلب الى معنى الحرب وألقى نظره الى
 ماحولها فترأى له ميدانها مبسوطا كالنغال والرجال الذين يتهافون عليها
 فتتناثر رؤوسهم وتتساقط أضلاؤهم على ذلك الميدان في صورة البهوة فصاغ
 الايات على هذا الوجه الذي يدل على حسن تصرفه في ضم المعاني الى أشكلها
 والادباء الذين أروك الحصى في صورة الدريلسوا بقليل وانما المزية لمن اتسع
 في صورة هذا المعنى ونظر في تركيبها الى أمور متعددة فقال يصف واديا

وقانا لصحة الرضاء واد سقاء مناعف الفيض الميم
 نزلنا دوحه غننا علينا حنو المرضعات على العظيم
 وأرشفنا على ظنا زلالا ألد من المدامة للنديم
 يروع حصاه خالية العذارى فتلس جانب العقد التنظيم

كانى بالشاعر عند ماصح فتح جفنه على الحصى وهي في ملاستها وصفاء
 منظرها انصرف خياله الى ما يحاكيها من الجواهر النفيسة ثم الى حال تناسقها في
 هيئة قلادة وتذكر هذا موقعها من الصور فحسرت على قلبه الفتاة وشرع يتصور
 كيف تنظر الى تلك الحصى فيبهجم على ظنها بقية ان قلادتها انقرطت وان ماتراه
 من الحصى انما هو اللؤلؤ الذي كان متناسقا في نحرها قد تساقط الى مواضع
 أقدامها فلا تملك أن تصرب يدها على العقد حتى تحفظ البقية من السقوط
 أو لتتيقن صدق ظنها فتسعى الى التقاطها

تالفتها — ان يجري الشاعر في استخلاص المعاني وتأليفها على ما يوافق الذوق
 السليم فهو الحافظ لنظام المعاني كما ان القواعد الرئيسة تحفظ لنظام الالفاظ ،
 ومن الشعراء من تأخذ سنة عن هذا الشرط فيضع المعنى الخيالي على مثال
 تسمثر منه النفس كما أن ناسج الثياب من غزل اختلقت ألوانه اذا لم يكن
 صاحب ذوق فائق لم يحكم وضعها وأخرجها في صورة تقذفها العيون . ومثال
 هذا ان أبا القاسم بن فرناس ألد الامير محمدا أليانا يقول فيها

رأيت أمير المؤمنين محمداً وفي وجهه بذر المحبة ينثر
فقال له مؤمن بن سعيد : فبحاً لما ارتكبته جعلت وجه الخليفة عراقاً
تنثر فيه البذور ؟ فغشيه الخجل وجعل جوابه عن هذا النقد العائب سجعاً
ووقع في مثل هذه الزلة كثير من كبار الشعراء فهذا أبو تمام يقول في مدح
أجد الأبطال

ضاحي الحيا للهجير وللقنا تحت المعاج نخاله محراثاً
لجمل ممدوحه محراثاً كما جملة هاذياً حين قال
لا زال يهندي بالمسكارم والملا حتى ظننا انه محموم
وهذا بشار بن برد يقول

وجذت رقاب الوصل اسياف هجرها وقدت لرجل البين فلعين من خدي
فائيات الرقاب للوصل والرجل للبين من التخييلات المستهجنة
قد يحظر لسائل أن يقول : ان هؤلاء الشعراء براعة مسلمة واذواقاً لا ترتاب
في صحتها وصفاتها ، وقد مرت هذه المماني التي رمتوها بسبب السخافة على
أذواقهم فألقت اليها بالتسليم أفلا يكون رضاهم عنها واستحسانهم لها شاهداً
ببراءتها بما تدعون من سحابة الوضع ومنافرة الذوق ؟
والجواب ان القبح في هذه المماني وما كان على شاكلتها محقق بما يجسده
الانسان في نفسه من أثر الفكرة لها وعدم الانس لسماعها ، فضلاً عن شهادة
فريق عظيم لا تقصر بهم سلامة الذوق والمعرفة بحرفة الادب عن طبقة أولئك
الشعراء . وهذا ابن رشيق يقول عقب ايراد البيت الاول من بيتي ابي تمام
« فلمنة الله على المحراث ههنا ما أقبحه واركة » ولم يبق سوى النظر في عدم
تنبيههم لذلك القبح وكيف خفي عنهم وجهه وهو كاشف لثامه حتى لا يعتقروا
بادراكه في بعض الابيات الادباء عن غيرهم

والوجه في هذا ان البصيرة مثل البصر والمشاهد للصورة عن عيان قد
يفوته ان يحدق فيها من بعض الجهات فلا ينثر بما فيها من عيب . فكذلك
الشاعر قد يصوغ المعنى ولا يأخذ بالنقد من جميع أطرافه فيصدر على غرض
قد يبصر به من هو أضعف بصيرة منه ، والملة في عدم تنبيه الشاعر لذلك
الخلل . قصر المدة فيما بين انقضاء القصيدة واداءتها للبل لا يجتنب لا يشك من
تجريد نظره الى كل بيت وقد مضاه من سائر وجوهه

وربما أصيب الشاعر من اعتماده على براعته ومكاته سمعته ، اذ كثيراً ما يستفيد الشاعر من المقام والشهرة التي يدر كها بين قومه فيتلقون شعره باستحسان فوق ما يتلقون به شعر غيره بمن لم يقيم لهم صيت وان كان في نفسه أبعد أمداً وأحكم نسجاً ، فكثرة الابداء وسعة الذكر قد تؤثر في همة الشاعر في بعض الاحيان فيلقي القصيدة على علانها ولا يحمل نفسه على التدقيق في تقدها . ومن ثم ترى أكثر الذين يقومون في هذه العثرات ان هم الاكابر الشعراء والمكثرون منهم كأبي تمام والمتنبي ومن كان في طبقتهم

ويؤكد لك أن سيئات الشعراء في هذا الصدد انما لصقت بهم من جهة عدم تقدم المعنى بمد أن تقذه القرينة نقداً وافياً اما لضيق الوقت أو اغتراراً بما ملكوا من البراعة وأحرزوا من الشهرة ، أن أحدهم قد ترسل قريحته معنى فيقع منه موقع الإعجاب حتى اذا أعاد عليه النظر مرة ثانية انكشف له من مساويه ما يجعله في أسف على اذاعته أو في ارتياح من عدم اطلاع الناس عليه

ومن المحتمل أن يصوغ الشاعر المعنى فتأخذ جهة الحسن بقلبه مأخذاً بليغاً ثم يعثر في صورته على وجه من الخلل ولا يتمكن من تلافيه وإكمال قصه الا برفض الصورة من أصلها ، وحيث يرى أن جهة الحسن أرجح ويرجو أن تسبل على ذلك المغز فضل ردائها فلا يشعر به الناقدون بيبقي صورة المعنى على حالها ويجيزها للرواة وهو بصير بملتها . ولا أخال أن النابغة حين قال

نظرت اليك لحاجة لم تقضها نظرت السقيم الى وجوه العود
لم يחדش عاطفته أن يضع المحبوبة بمنزلة السقيم ولكنه عز عليه أن يضرب عن هذا التشبيه الذي لا يلحق شأوه وان وخزه لفظ السقيم في ضميره وخزات بالغة

الاهل والعيال

« وهو فصل من كتاب «الاخلاق والواجبات» للمغربي »

ذكرنا في الفصول السابقة واجبات الشخص منفرداً . وزيد ان نذكر في الفصول التالية واجباته مجتمعا مع غيره من أبناء جنسه . وأول اجتماع له من هذا القبيل اجتماعه مع أهله وعياله . وأهله زوجته . وعياله أولاده . واذم كانوا أغنياء انضم اليهم خادم يكفهم مؤونة العمل ويقال للجميع المؤلف

من هؤلاء الافراد في اللغة العربية «عيل الرجل» - بتشديد الياء - وفسروه بقولهم هم أهل بيته الذين يتكفل بهم ويعونهم من أزواج وأولاد وأتباع . وقد اصطلح كتاب هذا العصر على تسميتهم بالمائلة مع ان كلمة عائلة في أصل وضعها اللغوي بمعنى فقيرة تأنيث (عائل) فقير و (الميلة) التفقرو (عال) افتقر . ويحث الواجبات المائلية يتضمن بيان ما يجب على الشخص نحو أفراد عائلته المذكورين ويدخل فيهم أحياناً من يعوله من غيرهم كإبيه وأمه أو يقيم بكفله أو امرأة تأوي الى كفله ، وتعيش على نفقته .

وقد وجدت المائلة على وجه البسيطة من يوم وجدت المرأة بجانب الرجل وولدت له أولاداً والأعمال التي يراد لها كل من الرجل والمرأة في عائلتهما تختلف باختلاف حال الأمة التي يعيشان فيها بدعوة وحضارة . رقيقاً وانحطاطاً . وينبغي في الأمم المتحضرة ان تكون وظيفة المرأة ادارة الأعمال البيتية . كما تكون وظيفة الرجل العمل خارجه . فهو يشتمل ويشعب ويستثمر أتمابه ثم يلقي بهذه الثمرات الى زوجته . ويتكفل في هنائه العائلي وراحته المنزلية عليها . فالزوجة هي الرئيسة العاملة في المنزل . اما الزوج فهو بمثابة رئيس شرف له . وقد جاء التصريح بذلك في الحديث الشريف مذكور صلى الله عليه وسلم

«(كل نفس من بني آدم سيد : فالرجل سيد أهله . والمرأة سيدة بيتها)

فانظر كيف جعل سيادة البيت للمرأة . وخصها بها . وان كان لرجلها سيادة أخرى لا تنكر . واذا كانت المرأة هي سيدة البيت ورئيسة كان من أول واجبات الزوج ان يحسن انتخاب تلك الرئيسة : فيختارها من ذوات العقل والدين والتربية الصالحة فانها اذا توفرت فيها هذه الشروط أصبح المنزل فردوس الرجل . ومظهر كرامته في قومه والمنبت الخصب لوريثته وأولاده . ومن ثم كان للمنزل والمائلة المقام الاول في نظر علماء الاجتماع . حتى جعلوا نظام الحياة المنزلية أساساً لنظام الحياة الاجتماعية في الأمة كلها : فاذا فسد النظام الاول فسد النظام الثاني وانحطت الأمة على أثره والمكس بالعكس . قالوا : واذا دخلت احدى المدن كان لك ان تحكم على ارتقاء المائلة فيها بمجرد نظرك الى حالة سكانها وما هم عليه من الاطوار والاخلاق في أسواقهم وحوادثهم ومعاملهم وقهاويهم وسائر مظاهرهم الاجتماعية : فاذا رأيتهم هنا

(المنار : ج ٤) (٣٨) (المجلد الثاني والمشرون)

على نظام أدبي ثابت حكمت باستحكام النظام الادبي في بيوتهم وعائلاتهم. لان هذا أصل ذاك. والا فلا.

فلنا اتفاقاً ان (المتزل) هو المنرس الاول للذرية والاولاد. فهم ينقلون منه الى المعرض الثاني أغني (المدرسة) ومنها الى ساحة التجارب والعمل والسعي في خدمة أمهم ووطنهم. فاذا طابت تربية المنرس الاول (العائلة) طابت اذ ذاك ثمار أبناء الأمة. وغزرت محصولات عقولهم وأخلاقهم، وان خبثت تلك التربية خبثت الثمار. وقبخت الآثار. وساءت الاخبار.

وقال بعض علماء الاجتماع المعاصرين « ان أحقر المنازل اذ تولت رئاسته امرأة مدبرة بدوش كان ملؤه الراحة والهناء والسعادة. كان فيه أشرف الموظفين العائلية. كان عزيزاً لدى الرجل لما يستلزمه من دواعي السرور. كان ملاذاً للقلب. وملجأ من عواصف الحياة. كان خير مكان للراحة من عناء الاشغال ومتاع الحياة. كان في الشدة مسلياً. وفي الرخاء مغزياً. وفي كل حال نمياً. فالمتزل الصالح اذن خير معاهد التربية لا للشباب وحده بل للكهل أيضاً. وفيه يتعلم الشاب والكهل البشاشة والصبر وضبط النفس وتذكر روح الحياة ومعنى الواجب »

فلنتنظر الامم كيف تضم نظام عائلاتها على أساس وطيد ثابت ولينظر الآباء واجبهن الشرعي والاجتماعي من هذا القبيل
، وأول واجب عليهم حسن اختيار سيده المتزل وقد ورد في الاحاديث النبوية الحث على العناية باختيارها لينجب أولادها. ، ويطيب الميشت معها. وقد امنت حكيم من حكماء العرب على أولاده في قيامه بهذا الواجب بنجومه مذ قال :

وأول اخواني اليكم تخيري لماجدة الامراق باد غفافها
ومن الواجبات العائلية أيضاً العناية بتربية الامل والعيال وتعليمهم ما به صلاح أمرهم. وتثقيف عقولهم. وبهذا المعنى فسروا قوله تعالى .
(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا)
أي حولوا بينهم وبين شقاء العذاب بما تعلمونهم إياه من ضروب الحكمة والعلم النافع. وبهذا المعنى أيضاً ورد قوله صلى الله عليه وسلم
• ارجعوا الى أهليكم فعلموهم

فطلق يفر مرة هنا ومرة هنا . ورسول الله يضحكه . ثم أمسكه فجعل احدى يديه تحت ذفنه والاخرى تحت فأس رأسه (أي قفا رأسه من تحت قذاله) وأقنمه (أي رفعه) وجعل يقبله وقال :

• أنا من حسين وحسين مني أحب الله من أحب حسينا

أما حسن معاشرته لنسائه الطاهرات فالسنة مستفيضة به . من ذلك ما روي في الضحاح عن عائشة رضي الله عنها قالت « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على باب حجرتي والحبيشة يلعبون بحراهم في المسجد وهو يسترني بردائه . انظر الى لعبهم . وكان يقول لي كفى ! فاقول لا احتى اكتفيت . ومن جلة الرفق والعناية بالاهل والعيال ما ورد في الحديث وهو :

• كان صلى الله عليه وسلم لا يكاد يدع أحدا من أهله في يوم عيد الا أخرجه يعني انه كان في صبيحة أيام الاعياد يخرج كل واحد من أفراد عائلته الى خارج المدينة حيث يجتمع المسلمون لصلاة العيد في مصلاها الخاص فيصلون ويشاهدون الناس في هذا الاجتماع الحافل فيدخل عليهم السرور والفرح بروية ذلك .

• مشيك الى المسجد وانصرفك الى اهلك في الاجر سواء

سوى في الاجر والثواب بين المشيتين مشي الرجل الى عبادته ومشيه واجما . الى مسامرة عائلته . وكأن الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله هذا يمرض بأولئك القساة الذين لا يجمعون من اوقاتهم نصيبا مفروضا لمعاشرة عائلاتهم بل ينفقونها جزافا في أما كن اللهو والبطالة . وبذلك تسوء عيشة العائلات وتتفكس حياتها بل ربما أدى بها الامر احيانا الى المفاسد وقبيح الاعمال ومن الواجبات العائلية ترفيه العائلة . والتوسعة عليها بالنفقة ، واعداد ما يلزم لها من وسائل الراحة والهناء . ومرافق الحياة والمعيش . وقد حض الشارع صلى الله عليه وسلم على ذلك في أحاديث كثيرة منها :

• ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله

• شر الناس المضيق على أهله

• أول ما يوضع في ميزان المرء اتقاه على أهله

أي ان النفقة عليهم من أول الاعمال التي يناب عليها .

• دينار أنفقته في سبيل الله ودينار اتفقته في رغبة ودينار تصدقت به على

مسكين ودينار اتفقته على اهلك . اعانها اجرأ ذلك الذي اشقته على اهلك
 * أطعم زوجك اذا طعمت واكسها اذا اكتسيت ولا تقبح الوجه
 ولا نضره (١)

ينهي عن ضربها وكل ما يؤذيها وعن تقبيح وجهها فلا يواجها بقبيح القول
 وفطيع الشتم . او المعنى : لا يقول لها « قبح الله وجهك » وهو شتم مألوف
 بينهم نهى الشارع عنه بخصوصه .

* الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر :

في هذا الحديث تحذير لارباب العائلات الذين يجمعون المال حلالا وحراما
 صدا لحاجات عائلاتهم . وأشباعاً لنهاتهم : فهو صلى الله عليه وسلم يقول :
 لا تنماسة ذلك الاب الذي يترك عائلته بعد موته في سعة من الرزق وبمحبوحة
 العيش من مال جمعه حراماً لهم ثم يقدم على ربه يوم القيامة وهو مثقل بتبعات
 ذلك المال الذي جمعه وخان الناس فيه فيمذبه الله عليه . ويكون قد اشته الشمة
 التي تضي للناس وتحرق نفسها . فاذا كانت التوسعة على العيال واجباً عائلياً على
 رب العائلة فان تحري الاتفاق عليها من المال الحلال هو ايضاً واجب عائلي عليه
 تجدر به مراعاته والانتباه اليه .

وأما الاولاد والصبيان فهم ثمرة الحياة ، وريحانة البيت . وأمل العائلة
 والغاية المقصودة من الزواج . قال صلى الله عليه وسلم

* بيت لاصبيان فيه لبركة فيه

* ربح الولد من ربح الجنة

* الولد ربحان الجنة

(١) المنار : الحديث لا يوجد بهذا اللفظ في الجامع الصغير الذي استمد منه
 الكاتب معظم ما أورده في كتابه من الاحاديث ويوجد باللفظ الآتي معزواً الى الطبراني
 والحاكم مصححاً ورواه أيضاً أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني وصححه
 وعلقه البخاري في الصحيح عن معاوية بن حيدة مرفوعاً وهو « حق المرأة على الزوج
 ان يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر
 الا في البيت » قالوا أي المبيت بان يبيت وحده مؤاخذه لها على النشوز وهو
 عصيان الزوج ولكن لا يحمل له أن يترك مكالتها

لكن ينبغي للآباء والامهات ان يعلموا ان اولادهم ليسوا ملكا لهم
كملكهم اشياءهم وانه لم تمنحهم العناية الالهية لهم ليكونوا بمثابة متاع او
قطعة زينة في البيت ينافس بها . ويحرص عليها . وتتلذذ النفس بالنظر اليها
فحسب . وانما خلقوا ليقضوا زمن الصبوة في حجر العائلة ثم يخرجوا منها
احراراً مستقلين . ويضافوا مدداً الى الرجال العاملين

فالعائلة اذن مكلفة بتربية الطفل وتهيأته جسماً ونفساً وخلقاً للقيام بوظائفه
المختلفة في خدمة قومه ووطنه . وان العناية بالاولاد وتربيتهم هذه الترية
الصالحة من أكبر واجبات الابوين التي يفرضها الشرع ونظام الاجتماع عليهم
كما أن امالم والتفريط في تربيتهم من أكبر الجنائيات التي بمقتها الشرع وتماقب
عليها القوانين المدنية (١) . قال صلى الله عليه وسلم :

* أكرموا اولادكم واحسنوا آدابهم : فان اولادكم هدية الله اليكم
ولا ينبغي أن الشكر على الهدية انما يكون في تقبلها بفرح ثم العناية بها . والحفاظة
عليها . كما أن التفريط فيها كفران لحق من أهداها . وباعت على غضبه ونقمته
* لان يؤدب الرجل ولده خيراً من أن يتصدق بصاع (٢)
* حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمية وأن لا يرزقه
الا حلالاً طيباً

هذه أهم علوم الرجل (٣) في ذلك العهد . ومنها الرماية بالسهم . أما اليوم
فقد اختلفت الاحوال وتبدلت الاوضاع . واستجدت علوم لم يكن يعنى بها
من قبل ، فالواجب على أولياء الاولاد اليوم أن يعملوهم منها ما هم في حاجة ماسة
اليه ، وان الاسلام ليقدر هذا الاختلاف الزمني قدره كما ورد في الاثر
* خلقوا اولادكم بغير أخلاقكم فقد خلقوا الزمان غير زمانكم (٤)

(١) المنار : لعله أراد السنن الاجتماعية لا المعنى الاصطلاحي عند الحكومات
(٢) في الاضل بصدقة وهو سهو ولذلك صححناه والصباح ميكال معروف
والحديث في الترمذي من طريق ناصح بن عبدالله الحملي وهو كما قال الذهبي
هالك فلذلك أنكر الحفاظ على الترمذي روايته عنه (٣) هذه ليست علوما بل
الكتابة فن عملي والسباحة والرمية رياضتان ولا يزال هذا من أهم ما يربى عليه
الاولاد ولكن رماية هذا العصر بالرصاص لا بالسهم (٤) هذا ليس بحديث بل هو من كلام
بعض المولدين فلان لفظ التخليق فيه بهذا المعنى عمرى فصيح ولا معناه شرعى صحيح

فاذا كانت الاخلاق تختلف بين زمن الاب وابنه فكيف يكون مبلغ اختلافها بين زمن السلف وزماننا هذا ؟

* أيما امرأة قدمت على بيت أولادها فهي ممي في الجنة
برشد الشارع صلى الله عليه وسلم المرأة في هذا الحديث الى واجبه في تربية أولادها وهي أجدر بهذا الخطاب الشرعي من الرجل : فهو يقول لها: ان تركها الاشتغال بما لا ينفعها والمكوف على تربية أولادها في بيتها خير وسيلة الى دخول الجنان

* مانحل والد ولده أفضل من أدب حسن
كان هذا تريض بمن يخص بعض أولاده بالنحل والمطايا وتيس المتاع وقد ورد النهي عن ذلك صريحا في الاحاديث الاخرى
* اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم
* ان الله يحب أن تمدلوا بين أولادكم حتى في القبل
(والقبل) على وزان غرف جمع قبلة وهي الثقيلة .

* ساوا بين أولادكم في العطية: فلو كنت مفضلا أحداً لفعلت النساء
لعل السبب في استحقات النساء للتفضيل انهن سريمات التأثير . وقيقات الشعور . شدييدات الغيرة : فمن لذلك أجدر بالعطايا . وأنواع البر والالطف (للهدايا) من أخوتهم الذكور . ومع هذا فان الشارع نهى عنه خشية التنافس والتحاسد بين الاولاد . وفي الحديث اشارة لطيفة الى وجوب العناية بالنساء ومراعاة شعورهن وعواطفهن ، ومن هذا القبيل ماورد في الحديث وهو انه صلى الله عليه وسلم .

* كان يكسو بناته خمر القز والابرسم
يفعل ذلك موافاة لرغبتهن ، ومراعاة لميلهن وتناسفهن في لبس الحرير والنفيس من الثياب . والاسلام لا يفرق بين الذكر والانثى في الحب والعناية والتربية كما رأيت وسيأتي في بحث (النساء والايام) زيادة بيان لذلك وان من أهم الاغراض التي جاء الاسلام من أجلها هدم ماكان عليه أهل الجاهلية من هضم المرأة واذلالها . والتفريط أحيانا بحياتها . حتى عابهم القرآن في ذلك . وعيبرهم به . مد قل تعالي :

(واذا بشر أحدكم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم)

من خوء مباشر به : أيمككه على هون أم يدسه في التراب)
 هذا هو حال أهل الجاهلية قبل الاسلام : كانوا اذا ولد لاحد منهم انثى
 اكفهر وجهه . واستخفى عن اعين الناس حياء وخجلانم فكرفي كيف يتخلص
 من هذا النيف الثقيل ؟ ابصر عليه ؟ أو يثده تحت التراب ؟ فجاء الاسلام ناعيا
 عليهم حالتهم هذه . وبشر بالمرأة . وجوب العناية بها . واعطائهم حقها من
 الوجود ولعنيها من الحقوق . وعما قاله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى :

لا تبركروا البنات فانهن المؤمنات الغاليات

وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فتتشبث به (أمامة) ابنة ابنته زينب . فكان
 يحملها على عاتقه : فاذا سجد وضعها واذا قام حملها .

وانما هي الشارع صلى الله عليه وسلم عن تفضيل بعض الاولاد بالمعوية تقاديا
 من التحاقد والتحاسد بينهم كما مر آنفا . بل قد يحقدون أحيانا على ايهم نفسه
 والاب مأمور بأن لا يتعامل من الاسباب ما يثير شيطان العقوق في نفس ولده
 ومن قوله صلى الله عليه وسلم في ذلك

• رحم الله والدًا اعان ولده على بره

• اعينوا اولادكم على بركم : من شاء استخرج العقوق من ولده

أي انه في مكنة الاب أن يحمل ابنه على العقوق وترك الطاعة . وذلك
 يكون بتفضيل أخيه عليه بوصية أو عطية أو تقريظ أو ابتسامة أحيانا . فليكن
 الاب حكيما فطنا ضابطا لمواقفه وتوزيعها بالعدل بين اولاده . والا جر على
 نفسه وعائلته من بعده تعبًا وبلاء .

وكما يطالب الولد ببر والده يطالب الوالد نفسه ببر ولده . وبر كل منهما بحبه .

وقد وصف صلى الله عليه وسلم قوما من الابرار فقال :

• انما ساء الله الابرار لانهم يروا الآباء والإمهات والابناء . كما ان لوالديك
 عليك حقا كذلك لولدك

ومن جملة بر الوالد لولده ما ذكر صلى الله عليه وسلم في قوله :

• لا يمد الرجل صبيه ثم لا يني له

فان هذا فضلا عن كونه يحمل الولد على احتقار والده واعتقاد الكذب
 فيه سهل أمر الكذب عليه ومن شابه اباه فاطم من فيثا كذابا لا يصدق
 بقول . ولا يني بهد .

ومما به اليه الشارع من أمر تربية الاولاد أن لا يتشاءم الوالد بأحد أولاده ولا ييأس منه اذا رآه غنيدا شرسا ذا شرّة وأذى : فقد يتحول كل هذا فيه اذا أحسنت تربيته الى أخلاق فاضلة كالشجاعة . وقوة الارادة . وكبر العقل . والشتم وطلب المعالي . قال صلى الله عليه وسلم
 * عرام (١) الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره
 والعرام الشراسة والأذى والاشر والبطر ومفارقة القصد والخروج عن الحد . وقيل هو الفساد

ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم ايضاً لآباء الاولاد ما جاء في قوله :
 * الولد ثمرة القلب وانه مجبنة مبخلّة محزنة
 ومعنى ذلك أن الآباء لقرط حبههم اولادهم وحرصهم على خيرهم قد تنقلب عليهم صفات (الجبن) فترامهم يجبنون عن التعرض للاخطار خشية ان يموتوا فنضيع صغارهم من بعدهم - و (البخل) فهم يبخلون ويشحون بالمال فلا ينفقونه في وجوهه الواجبة أحياناً لئلا يموتوا بلا ارث يتركونه لصغارهم يتمتعون به في كبرهم - و (الحزن) : فهم اذا اعتل الولد وساءت حاله وجوا وحزنوا واستولى عليهم اليأس والقنوط وهذا معنى (مجبنة) (مبخلّة) (محزنة) وهي من صيغ المبالغة في الوصف . وما ذكر من هذه الاوصاف وان كان أمراً فطرياً أو طبيعياً في الآباء والشارع يمتد به نحو بنه الى خطرته . ويوصي الآباء بالرفق والاعتدال خشية ان تستحكم فيهم هذه الملكات، فتقودهم الى الشرور والآفات

ومما ورد في فضل الولد قوله صلى الله عليه وسلم :
 * اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له بخير
 * ان الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول انى لي هذا ؟ فيقال له باستغفار ولدك لك

والحنو على الولد والرفقة به والصبر على ما يبدو منه أحياناً من المناد والطيش ودواعي الصبوة امر طبيعي في الآباء يحتملونه بصبر ورضا . الا من

(١) المنار : الرواية كما في الجامع الصغير عرامة وهي بالفتح كالعرام بالضم
 (المنار : ج ٤) (٣٩) (المجلد الثاني والعشرون)

ندرم منهم: فقد رأى الافرع بن حابس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ولده الحسن فقال له: ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال صلى الله عليه وسلم: «ان من لا يرحم لا يرحم»

وقال معاوية رضي الله عنه للاحنف بن قيس: ما تقول في الولد؟ قال: «يا أمير المؤمنين: ثمار قلوبنا. وعمار ظهورنا. ونحن لهم ارض ذليلة. وسماه طليقة. وبهم نصول على كل جليلة. فان طلبوا فلعظمهم. وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم. ويحبوك جهدم. ولا تكن عليهم فضلاً قليلاً. فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك. ويكرهوا قربك» فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف لقد أرضيتني ممن سخطت عليه من ولدي. ثم وصله بعبية عطني

﴿ كلمة للمنار في هذا الفصل ﴾

هذا الفصل من كتاب الاخلاق والواجبات للشيخ عبد القادر المغربي صديقنا ورفيقنا في طلب العلم بطرابلس الشام أنه حديثاً لحكومة دمشق الشام ليقرأني مدارسها وهو كما يرى القارئ في حسن أسلوبه وكثرة فوائده الجامعة بين حاجة العصر وحداثة القرن، ولما أرسل الينا هذا الفصل منه لنشره في المنار كتبنا اليه متقدمين اغفاله تخريج احاديثه وكثرة الضعاف فيها مع امكان الاستثناء عنها بالصالح فكنت اليها انه قد رما كتبناه اليه قدره وان عذره الاضطرار الى الاختصار مع كون الكتاب كتاب آداب لا كتاب حديث وان احاديثه منقولة من الجامع الصغير وهي مخرجة فيه «سوى احاديث قليلة مسندة غالباً الى راويها» وان التصريح بنصف بعض الاحاديث يسقط تأثيرها من النفوس ويظن الطالب أن الضعيف بمعنى الباطل مع انه ليس الاصطلاحاً للحدثين - وان العلماء تناولوا في احاديث الفضائل ولا سيما اذا كانت موافقة لاصول الاسلام الخ

لأجل هذا رجعتنا عما كنا عزمنا عليه من تخريج احاديث هذا الفصل بويانا مراتباً من القوة والضعف في أساسيدها كعادتنا، وما قاله في ضعف الاحاديث يصدق على الكثير منها ويختلف اصطلاحهم فيها حتى ان الضعيف في مسند الامام أحمد أقوى من الضعيف في زوائده. دج الكتب التي يساهل أصحابها في التديل كإبن حبان والحاكم ولده وافق القتها. على العمل بها في احاديث الارشاد والفضائل بشرط ميئانها

في النار من قبل أهمها موافقتها للثابت المقرر في الدين وعدم اشتداد ضعفها فاز منها ما سبب ضعفه مخالفة الراوي له لبعض الثقات أو ضعف ضبطه ولو في آخر عمره بل عد بعضهم كثيراً من رجال الصحيحين في الضعفاء . مثال ذلك حديث « ان الله سائل كل راع عما استرعاه » في ص ٢٩٩ أخرجه النسائي وابن حبان عن انس بن مالك طريق معاذ بن هشام وقد عد بعضهم معاذ في الضعفاء وقل ابن معين فيه صدوق ليس بحجة ، على أنه قد روى عنه السنة

ومنها ما ضعفه شديد يقرب من الموضوع أو يدخل في باب وقد ذكرنا مثالا في الجزء الذي قبل هذا في سياق الكلام على التصوف وتأهل بعض الفقهاء في الاحاديث الواهية والموضوعة كحديث دعاء الوضوء ومنه في هذا الفصل حديث « عقوا نفن نساؤكم » الخ نقله في الجامع الصغير عن الطبراني في الاوسه من حديث عائشة بهذا اللفظ مع تمة وعلم عليه بالضعف وعن الحاكم عن ابي هرير بلفظ « عقوا عن نساء الناس » الخ فالاول الذي اختاره المؤلف في استاده يزيد خالده الغنى كذاب . قاله الشيخ محمد الحوت وعنده شرح المناوي على الجامع الصغير واسند هذا القول الى الميشتي وليس لهذا الرجل ذكر في ميزان الاعتدال . يقال في الحديث الآخر : صححه الحاكم ورد عليه الذهبي فيه مريد عن قتاده ضعيف وقال المنذري هو ابن عبد العزيز واه انتهى ولعل الصواب انه سويد بن ابراهيم المحدث ابو حاتم المناط فانه هو الذي قالوا انه يروي عن قتاده فيخلط ويأتي باحاديث لم يأت بها أحد غيره وهو ضعيف وبالغ ابن حبان في جرحه فقال يروي الموضوعات على الثقات ، وذكر المنذري أن الطبراني رواه من حديث ام عمر أيضا باسناد حسن ، فلهذه الروايات كان عنده مما يتأدب به ولذلك أورده في الترغيب والترهيب لان معناه صحيح . ووافق لاصول الشريعة في الترية بالمل فلا تضربه مثل هذه المل .

ومثل ذلك ما كان في سنده انقطاع كحديث « ان من أكل كل المؤمنة إيماناً أحسنهم خلقاً وأطهرهم بأمله » وكذا ما كان في سنده مجهول كحديث « عام في حديث » من كان له صبي فليصأبه له » ولكن لا يخرجها في تشريع بعد

في الأحكام والحلال والحرام ، ولا في أصول العقائد والايان وعالم الغيب ، ولا يعتمد بشي . منها اذا خالف النصوص الصحيحة أو القواعد الثابتة في الشرع والادور الثابتة في الوقائع أو يقتضى البرهان العقلي أو الدليل العلمي القطعي فان مخالفتها من علامات الوضع . وأكثر اهتمام المبتدعين على أمثال هذه الروايات الشاذة أو المنكرة التي لا يثبت لها اسناد

وفي هذه الاحاديث ما ليس في الجامع الصغير ولم يمز الى كتاب آخر كحديث «ارجعوا الى أهليكم فلعنهم» وحديث «كان (ص) في بيته أربعين الناس وأكرم الناس ضحكا كامسا» ولا أذكر اني وأيت هذا الحديث في التماثل ولا غيرها وفيه وصفه (ص) بالضحك ولم يكن ضحكا كامسا كما كان ضحكه تبسما : وحديث «أما امرأة قدمت على بيت أولادها» الخ وحديث «لا يمد الرجل صبيه» الخ وهو جزء من حديث رواه ابن أبي الدنيا في الصمت ولله في الجامع ولا أذكر أوله لاراجعه فيه وفيها ما أورده بغير الفاظه التي في الجامع الصغير كحديث «اذمات ابن آدم» الخ عزاء في الجامع الصغير الى البخاري في الادب المفرد ومسلم وأصحاب السنن الثلاثة عن أبي هريرة بلفظ « اذا الانسان » وليس في آخره كلمة بخبر . وحديث «انا من حسين الخ فانه فيه بلفظه المشهور «حسين مني وانا منه أحب الله من أحب حسين الحسن والحسين سبطان من الاصباط» عزاء الى البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن يعلى بن مرة ، وحديث «اكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم» فانه ذكره بهذا اللفظ وعزاه الى ابن ماجه عن انس . وقد زاد المؤلف فيه ما ليس في سنن ابن ماجه ولا الجامع الصغير وهو «فان أولادكم هدية الله اليكم» ولم يذكر من أي كتاب نقله

ومما اقتصر فيه على الضعاف مع وجود الاحاديث الصحاح ما أورده في المساواة بين الاولاد من حديث الثمان بن بشير «اتقوا الله واعدوا بين أولادكم كما تحبون ان يروكم» وقد عزاه في الجامع الصغير الى الطبراني وأشار الى ضعفه ، ثم ذكر بعده بحديث حديث «سادوا بين أولادكم» الخ وعزاه في الجامع الصغير الى الطبراني واليهي وأشار الى ضعفه وذلك أن في اسناده سميد بن يوسف وهو ضعيف وذكر ابن عدي في الكامل أنه لم يرو له أنكر منه ، وقد ترك حديث الثمان بن بشير .

المروي في الصحيحين « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » وفي رواية بين أولادكم وله قصة في انكار النبي (ص) على من ميز احد لاختاره على الآخرين . وانما فعل المؤلف هذا لان في الاحاديث التي اختارها زيادة فائدة في المعنى مقصودة في بابها . وقد ذكرت في الحواشي تنبيهات أخرى ما أحسبت ان تؤخر الى هذه التعلقات العامة

وانتي أحب لصديقي أن يراجع جميع أحاديث الكتاب ويقابلها بالكتب التي نقلها منها ويذكر في حواشي الصحائف مأخذ كل حديث ليس في الجامع الصغير بنصه ، ويصرح بأن كل حديث لم يمهز الى كتاب فهو في الجامع الصغير فان هذا ادعى الى ثقة الناس بهذه الاحاديث في كل قطر ، وهذا العمل لا يقتضي زيادة كثيرة في أوراق الكتاب لقلة الاحاديث التي ليست من الجامع الصغير ، وان يدقق النظر في تحرير الالفاظ ولا يتساهل في ذلك اعتمادا على ما ذكره بعض المحدثين من جواز رواية الحديث بالمعنى فان هذا ليس لمن ينقل من الكتب مثلاً وانما هو خاص بمثل الصحابي أو التابعي يسمع الحديث فيتحرى بيان المعنى الذي فهمه منه فلا يضره اختلاف بعض الالفاظ كقوله « اعدلوا في أولادكم » أو « بين أولادكم »

مختارات من الجرائد الغربية . في حل المسألة الشرقية

جاء في جريدة الباتري (الوطن) في ١٧ مايو سنة ١٩١٩
نهاية الدولة التركية - هدم عقد شروط صلح ١٨٠٠ - تقسيم الولايات العثمانية

تقسيم الدولة

قالت النيويورك هيرالد في عددها الصادر هذا الصباح ان من المرجح عدم عقد شروط صلح مع تركيا وان كان ذلك غير مطابق للقواعد المرعية ، لا ان المؤتمر يفكر بكل اهتمام في هذا الامر مرتكنا على ان تركيا لم يعد لها حكومة دولية حقيقة وانه لم يبق للعالم المدني الا الانتفاع بتركية الدولة العثمانية

سننال اليونان أكبر جزء من تركية أودية ، وأما الآستانة مع مضائق البحر

فتسبب لعصبة الأمم نكبت وصاية أمريكا التي تملأ في هذا الابان نفسه الوكالة على
أرمينية الى ان تصير هذه البلاد سالمة لان يحكم نفسها بنفسها
ثم ان اليونان سيصيرها جزء ليس بقليل من آسيا الصغرى وأما باقي ولايات
هذه الجهة فتكون تحت وكالة فرنسا وإيطاليا بالنيابة عن عصبة الأمم وانكسار تأخذ
بلاد العراق وفرنسا تأخذ سورية أما العرب فقد قرر الحلفاء منحهم الاستقلال

وراثه الخلافة

ان انحلال تركية أوجد مسألة ايلولة الخلافة كما انه وضع حدا لنهاية نفوذ فرنسا
في الشرق - لقد كان لنا عدة قرون أكبر نفوذ بسياستنا الودية مع تركية ، وقد حلت
ألمانية بجلنا عند ما أهمنا المحافظة على هذا النفوذ ، وكان في إمكاننا استرجاع مكانتنا
الاولى على أثر صولة النصر الا اننا لم نقتنم هذه الفرصة بل قبلنا تسوية بحسنة
بمصلحتنا - فايكون نصيب فرنسا بالنسبة الى البلاد المدمرة التي وضعت تحت وصاية
انكسار وأمريكا ، ان ما يخص لنا انما هي سورية بعد استثناء تليسيا وفلسطين
منها وحرمانها من البوغازين الموهين أعني بهما ثغري اسكندرونه وحيفا

وجاء في جريدة لافير (المستقبل) في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

تعديل الخريطة - إعادة نظام النمسة وانحلال تركية

عزم المؤتمر على فحص المسئلة التركية وقد بدأ هذا الفحص بارسال مدرعات
وجيوش دولية لاحتلال أزمير التي تقرر ضمها الى اليونان وتم ذلك فعلا
تقرر أيضاً ضم سورية الى فرنسا ولكن لم ينفذ هذا القرار وجعل
العراق وفلسطين تابعتين لانبجثرة وقد تم ذلك ثم ينتظر الحاق اضاالية وقونية
بايطاليا والاساتنة وأرمينية بامريكا

أما التركي فانه يحسب تخويل الشعوب حق تقرير مصيرها قد صار ازالته
من الخريطة والمأمول ان هذه المخالفة لمشروع عصبة الأمم لا تتم لانه ليس
من حسن السياسة تحريك عواطف الوحدة الاسلامية في أنحاء العالم واضرارها
في الاستاتنة

كان لدى الدول فرصة وحيدة لوضع تركية تحت سيطرة دولية ثم رؤي اتباع طريقة أخرى وهي تقسيم البلاد وتجنيسها بجنسية الحكومات التي لها عليها حق الوكالة أو الوصاية لاحق الملك الحقيقي
 اننا بتضحية تركية وبتشريح هذه المملكة أوجدنا أوجهاً للنزاع وللشقاق بين دول أوروبا في المستقبل اذ ان الرجل المريض سينقل عدوى مرضه الى أوروبا ولاجل تميم العدوى دخلت أيضاً امريكة في المسرح ولنا أن تتسابل ما شأن امريكة في تركية ؟ ولماذا لم تكلف الدول صاحبة الشأن حماية مضائق البحر ؟ هل تدخلنا نحن في مراقبة ترعة بناما ؟
 ان الحل الوحيد هو عدم تخصيص الاستانة لدولة معينة من الدول واذا كان لا بد من وضع مراقبة على تركية فليس نجت أحسن طريقة من جعل هذه المراقبة دولية مشتركة، وكل طريقة أخرى تكون مغالطة للعدالة وللروح المصري والصوالح الأوروبية في الشرق

وجاء في جريدة الفيغارو في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

الارث العثماني

بعد انكسار المانية العسكري وانتهزام دولتي تركية والنمسة والمجر أصبحت هاتان الدولتان الاخيرتان مزععتي الاركان وتولد عن ذلك مشكلة من أصعب المسائل وأعقدها ألا وهي تسوية الارث العثماني
 ان سقوط الدولتين المذكورتين انقذ الشعوب التي ليس لها رغبة ولم يمد لها ضمير على احتمال نير الحكم الاستبدادي الذي رزحت تحته اجيالاً ملوثة فالتين تقول اليهم تركية هم أولا اليونان الذين بعد ان تخلصوا من ذلك الملك الخائن انضموا الى قضية الحلفاء = ثم الارمن الذين بسبب السياسة الخرقاء المزعزعة بها من عمال الالمان قاسوا أشد انواع العذاب واوشكوا ان ينفروا وتليهم السوريون الخ
 فاليونان القاطنون في تركية أوروبا سينضمون الى دولتهم التي ستنتفع كثيراً على أثر هذا الانضمام كما ان ولاية أزمير = حيث يكون المنصر اليوناني = ستنتفع أيضاً الى دولة اليونان بناء على التوكيل المعطى لهذه الدولة وبحسب الشروط المعينة لذلك

وأمام شروع انشاء أرمينية الكبرى مع ضم أطنة ومرسين اليها ليكون لها منفذ على البحر المتوسط فالمنظور أن امريكة تكون الوصية على هذه البلاد كي تساعد على ارتقاءها ونموها كما أنها ستكون على الراجح هي الوصية على الاستانة وعلى المضائق التابعة لها ايضا = فإذا قبل الرئيس ويلسون هذه الوكالة باسم الشعب الامريكي لا يكون قبوله نافذاً ونهائياً الا بعد موافقة مجلس الشيوخ الامريكي عليه

وفرنة تكون الوصية على سورية بالنظر لملاققتها القديمة بها لكن لا بد ان تكون هذه الوصاية شاملة للبلاد السورية بأكملها وليس على سورية مقسمة ولا ريب في أن المخابرات التي جرت في ذلك كان فيها بعض التراخي من قبل فرنة لكن من الضروري ان تؤيد حقوقنا بكل حزم وعزم

بلاد الاناضول ستمطى لايطاليا مع ميناء اضاليا

ثم ان فلسطين والمراق يكونان تحت مراقبة إنجلترا

هذا هو التقسيم الذي تم الاتفاق عليه بادئ بدء وبقي في آسية الصغرى جزء مأهول بسكان اترك يحتوي على بروسة وانقره وقد طلب من فرنة حماية هذا الجزء لان بروسة حيث يقيم السلطان تكون عاصمة المملكة العثمانية الجديدة وتسمى ان لا يتبع الحلفاء سياسة التجزئة في آسية الصغرى والذي زراه هو أن تكون دولة تركية المقبلة تحت اشراف مستشارين اوروباويين وبمعاوتهم

(المنار) هذا نموذج مما كان ينشر في جرائد الحلفاء منذ عامين بياناً للرأي العام في بلادهم عقب الحرب التي كانوا فيها هم المنتصرين ، وكان أكثر الناس من جميع الامم يظنون ان ماتقوله هذه الجرائد هو القول الفصل الذي لامرد له لانه صدى سياسة دولهم المنتصرة التي لها الدهر عبد الزمان غلام ، وقد وضعوا المعاهدات لجلل تلك الاماني حقوقاً ثابتة ولعكس الزمان جاء بما لم يكن في حساب أحد من المخطوب والمشكلات التي عجز جميع دهاء السياسة عن حل عقدة واحدة من عقدها الكثيرة وقد جف ريقهم من كثرة ما نقشوا فيها ودميت أظافرهم من تكرار محاولتهم لها ، فكان ذلك حجة بالغة على جهل المفرورين بالقوة والعظمة الباطلة الذين يرتكسون في البأس عند سماع كل صيحة هائلة ،
(فاصبروا يا أولي الابصار)

أماني المبشرين ، أو نخادعهم للموسرين

كتبت إحدى الجرائد التبشيرية الأمريكية مقالاً للدكتور صموئيل م زويمر المعروف في مصر تحت هذا العنوان

« الاسلام يرحب بالنصرانية »

ان الجاحدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين في الشرق الأدنى وان دور الاولياء والكهنة قد انقضى فاصبح الماسون يرحبون بالانجيل المسيحي هذا ما كتبه الدكتور صموئيل زويمر من القاهرة الى (الاتليجنسر) مبيناً أن الاضطراب السياسي في الشرق الأدنى لم يكن ناجماً عن عوامل اقتصادية أو رغبة في الحكم الذاتي بقدر ما كان ناجماً عن عدم القناعة الدينية وقد أقام برهاناً على أقواله ان اللورد رادستوك الموثق في جمعية الشبان المسيحيين YMCA قد ألقى عدة مواعظ دينية في المدن والقرى المصرية ابان الاضطرابات الاخيرة قوبلت بكل ترحيب وحفاوة بالرغم من تلك الاضطرابات السياسية ومن ظهور برته الافرنجية ، فبدل هذا على ان القرس سانحة جداً للتبشير بين الطبقات كافة والمسلمين الذين يمثلون المجموع الاعظم خاصة ، وان الابواب التي كانت مستعدة بان تفتح اصبحت الآن مفتوحة على مصراعيها لقبول الدعوة لان الابحاث اللاهوتية ابتدأت تأخذ طوراً جديداً في الوقت الحاضر واصبحت صفات السيد المسيح تحضر في الجرائد اليومية . ومما يشجع على ذلك اننا نرى اقبالا لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية حتى معلمي الجامع الازهر وكافة طبقات الشعب فقد جاء في مؤلف لاحد علماء الاسلام في القاهرة فصل عن السيد المسيح بين فيه الكاتب جلال المسيح وتأثيره العظيم على التاريخ

ان الاسلام لا يعترف رسمياً ببسبب المسيح وآلامه فاصبحت خشبة الصليب هي العثرة في سبيل إيمانهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغريها عقل المسلم قد نكون عرضة لنسيان أن الشرق الأدنى نال قسطه من (جنسباني) « مكان في القدس حيث دفن المسيح » فان الحرب قد حفرت حفراً عميقة في حياة البشر وقلوبهم حيث ترى الملايين من اليتام والإرامل ونازحين في تركيا والأشهاد فيه فراغاً .

غلب الاسلام في ساحة الحرب فاصبح نخدوعاً في مظاهره مضطرباً في برنامجه وعليه فانه أصبح ناضجاً مستعداً لقبول التعاليم المسيحية اذ بات يفهم أن الله لم يعد يحارب لاجل الاسلام كما كان يحارب قبلاً وان تلك الخطط الثورية والمطالب التي كانوا يلبسونها ستاراً من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب لم تجدهم نعماً فان اليهودي رجع الى فلسطينه وأصبح المسيحي في مصر وسوريا يرفع رأسه بعد أن كان ذليلاً مهاناً .

ان المسلمين أنفسهم يدرسون حياة محمد وتعاليمه درس الناقد وان ما جاء في تفسير القرآن الذي كان ينشر تباعاً في مجلة المنار التي هي من أمهات الجلات في القاهرة دليل على ما ذكرناه

ان الطلاء الايض ابتداء يزول فالتعلمون من المسلمين يقرأون الكتب الانجليزية والانكليزية وعلى الاخص كتابات « لامنس » و « كايثاني » و « موير » و « ماكوليوت » وغيرهم ثم ان « س خدا باخش » من كلكتا ترجم مؤخراً كتاب الدكتور ويل في تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانكليزية منتقداً الترية الاسلامية اكثر مما كان ينتقدها في خطابه وعاضراته الشائقة غير هياب ولا وجل . وعليه فان الفرصة سانحة للتبشير وبث التعاليم المسيحية كما تنتاش النابتة ونخلص المرأة المستعبدة ثم نبث معنى الحياة الزوجية

قد يرى المبشرون في هذا الجهاد انصاراً لهم من الفئة المتعلمة من المسلمين الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آبائهم .

الرق قضى عليه والحجاب في حالة القضاء عليه وأما تعدد الزوجات وشريعة الطلاق فان الظروف الحاضرة كفيلة بزوالها . انتهى

(المنار) يغلب على ظننا ان الغرض الاول من هذه الكتابة استئداء أ كف الموسرين من الفيورين على تنصير المسلمين ليجودوا بالمال ، ولا يبعد أن يكون الكاتب مفروراً متنبهاً يرى أن أمانيه حقائق ثابتة كالسياسيين الذين يظنون أنهم قضوا على الاسلام بكسر الدولة العثمانية ، واقتسام البلاد العربية ، والحق ان المبشرين كانوا قبل الاحداث التي ذكرها أشد تعظيماً للمسيح عليه السلام منهم الآن وان أوربة قد جنت بهذه الحرب الوحشية وبمهادبات الصليح على المسيحية وعلى المدنية الغربية أقبح جنائية فاصبحت جميع الامم الشرقية نافرة منها أشد النفر فان لم يكن الكاتب شعر بهذا الى اليوم — وهو ما لا نظنه — فلينتظر فانا منتظرون

باب الانتقاد على المنار

مسألة فناء النار أو انتفاء عذاب أهلها

راجعنا أفراد من قراء المنار فيما نقلناه عن كتاب (حادي الارواح) في مسألة الخلاف في فناء النار وبقائها وما رجونا من اقتناعه لبعض المنكرين لعدم نهاية عذابها مع عدم تضرر المؤمنين بقول الجمهور به . ورأينا بعضهم فهم من كلام ابن القيم أنه يرجح القول بفناء النار ويختاره واتنا وافقناه على ذلك بما قمينا عليه ، ولم نر أحداً منهم فهم قولنا حق الفهم ولا قوله ، وقد تيسر لنا افهام من كلمنا في ذلك مشافة حتى اتفقنا فيه رأياً

وكتب الينا بعض اخواننا في ذلك مستعظماً للامر ظاناً أنه كلام يهدم الدين ، ويؤيد شبه المرتدين ، ويجري مصاة والفساق على ارتكاب القواحش والمنكرات ، وقد كتبنا اليه بعض التوضيح لقولنا والتذكير بما لعله ذهل عنه وقتحنا له باب الرد على ما ذكره وازالة شبهات من يظن أنه يفتن به ، فشرع في ذلك ، ثم رأينا ان نبين له ولنيره من القراء المسائل الآتية ونذكرهم ببعض ما سبق لنا من القول في أمثال هذه المسائل

- (١) ان المسألة خلافية بين المسلمين لاجماعية وقد نقل الامام الطحاوي فيها ثمانية مذاهب في عقيدته عزرا اثنين منهما الى أهل السنة أحدهما ان الله تعالى يبقيهما يشاء ثم يغنيها ، والآخر قول الجمهور المشهور ، وابن القيم لم ينقل الاسبعة أقوال ، وقد ذكر الخلاف في كثير من كتب العقائد والتفسير والحديث ، ومقتضى كلام الطحاوي ان مذهب بعض الصوفية فيها كذهب الجهمية ليس من مذاهب السنة
- (٢) ان الطحاوي لما ذكر القولين اللذين عزاهما الى أهل السنة قال :
ولينظر في دليلهما . فجاء بعده ابن القيم وبسط دلائلها ، ولم يجزم بهذا ولا ذاك بل فوض الامر فيه الى ارادة الله ومشيته وهو قوله أو لا أهل السنة
- (٣) ان المنار لم ينشر ملوياً ما كتب التي ذكر فيها الخلاف متداولة بين الناس ولا سيما الدر المنثور في التفسير بالمأثور لحافظ السيوطي وشرح عقيدة السفاريني وما زاد حادي الارواح على غيره الا تلك المسائل الدقيقة في حكم التواب والمقاب ورحمة الله تعالى وحكمته في الجزاء والنفرة بين سنات ثلاث كالحكمة والرحمة وصفات الافعال كالرزاق والمحمي والميت والمتقم وهي التي نوهنا بفهمه

واتنينا على سبعة علموه معرفته لاجلها دون أصل المسألة المشهورة قبله -
 (٤) اتنا قد بينا غير مرة في المنار أن المعتقد عندنا في التفسير وأصول
 الدين وفروعه ظواهر النصوص مجتمعة وفي اختلاف العلماء ما كان عليه جمهور
 السلف ان علم بالتقليد الصحيح ، واتنا اذا أوردنا في المنار أقوالاً أخرى فاما
 نقصد بذلك دفع بعض الشبهات عن الدين أو تقريب بعض مسائله الى بعض
 من لا يقتنهم غيره بحسب اختبارنا . وعلى هذه القاعدة جزيئا في تفسير آية
 الانعام فان فيها بعد ذكر الخلود الاستثناء بمشيئة الله تعالى وتعليل هذا
 الاستثناء بقوله تعالى (ان ربك حكيم عليم) وقد فوضنا اليه سبحانه الامر
 في ذلك وبيننا ان مشيئته في ذلك بمهولة لنا ولا يملكها حق العلم غيره سبحانه
 وانما تتعلق بما يقتضيه علمه وحكمته ووعدا بتحرير الدلائل في المسألة عند
 تفسير آيتي سورة هود فيها

وقد سبق لنا تحقيق مثل هذا التفويض في تفسير قوله تعالى حكاية عن
 عيسى عليه السلام في قومه (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
 العزيز الحكيم) وبيننا فيه ضعف من اضلرب فيه من المفسرين لصراحة العبارة
 في جواز المغفرة لمن اتخذه وأمه الهين من دون الله ومنه أقوال بعض مفسري
 الاشعرية باستحسان غفران الشرك كما سرح : أبو السمود والاكوسي وأئنب
 الرازي في ذلك . وأنى بعدة وجوه في تأييد مذهبهم رددناها عليه أقوى رد
 بفضل الله علينا ، وبيننا وجه تذييل الآية بصفتي العزة والحكمة دون المغفرة
 والرحمة بما لم نطلع على مثله لاحد

(٥) ان قيل انه تعالى بين في سورة النساء انه لا يغفر ان يشرك به ويغفر
 ما دون ذلك لمن يشاء فهذا تقييد المشيئة بنقض قول الاشعرية . قلنا انما يدل
 هذا على أن العقاب على الشرك حتم مقضي ولكنه لا يدل على أنه سرمدى لا
 نهاية له بل هذه مسألة أخرى ، وجمهور العلماء يقيدون المشيئة بغير هذا النص
 أيضاً اذ صرحوا بأنه لا يغفر لمن يوحد الله ولا يشرك به اذا لم يؤمن بالله
 الله ورسله واليوم الآخر ، ولا لمن جحد أي أمر مجمع عليه معلوم من دين
 الاسلام بالضرورة ، ويؤولون النص في جواز غفران ما دون الشرك كالنص في
 خلود متعمد القتل في جهنم بناء على مذاهبهم فأكتر التأويل لتصحيح المذاهب
 المتبعة لا للجمع بين النصوص وتقديعها على جميع المذاهب ، والآيات تثبت

اطلاق المشيئة الا انها لا تعارض غيرها من صفات الله ومدلول كلامه (٦) ان مرادنا بقولنا : ان هذا البحث لا يضر المؤمنين بقول الجمهور مقلدين كانوا أو مستدلين — ظاهر جلي وهو أنهم يردون القول المخالف لم قلدومهم أو لدلائلهم فلا يترتب عليه أثر في أعمالهم ، وزيد على ذلك انه لا يضر أحداً من المؤمنين مطلقاً وان سابه لان جواز تعلق مشيئة الله تعالى بانتهاء عذاب الكفار بمد لبثهم في النار احقاباً لا يصح أن يكون سبباً لترك المؤمن الصادق لشيء من الواجبات ، ولا لارتكابه لشيء من المحرمات ، ولكن في كتب الفقه والكلام والمواعظ والادب وخطب المنابر كثيراً من الاقوال التي ازلت حرمة الاوامر والنواهي من قلوب الجاهل الغفير من الناس وكان من أثرها ما نراه من ترك الصلاة ومنع الزكاة والتجاعة بالنفطر في رمضان وفشو السكر والزنا والقمار ... كالكلام في تحلف الوعيد والعفو والمغفرة والكفارات والشفاعات والكرامات ، وقد شرحنا ذلك مراراً ورددنا شبهات الضالين فيها وبيننا ما له أصل منها وما هو موضوع باطل كحديث اعتاق ستائة الف عتيق من النار في كل ليلة من رمضان ... ولم يكشف خطباء الفتنة وعلماء التقاليد بتلقين الدعاة هذه الموضوعات بل تصدى بعضهم رد ما يرد عليها كأنها من أصول الدين كقول بعضهم اذا كان عدد عتيق رمضان يزيد على عدد مسمي الارض كهم ولا سبباً في زمن النبي (ص) فان الله تعالى يكفه من الجن :

وانني بما اتفق لي من الاختبار الواسع للناس وبقدراً ما أتيت من العقل والفهم اجزم بأنه يندر أن يكون الخوف من العذاب الابدي سبباً لاستجابة كافر لدعوة الدين ، بل هذا قلب للمعقول لانه يتوقف على التصديق بالعذاب المذكور قبل الايمان بالرسول وبما جاء به ، وهذا قلما يقع الا لافراد من المعاندين كبعض كبراء مشيخة قريش في زمن البعثة .

(٧) لا انكر ان بعض المارقين والملاحدة المشاغبين قد تزيدهم أمثال هذه المباحث رجساً الى رجسهم من حيث تزيد المؤمنين ايماناً بالله تعالى (ينزل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما ينزل به الا الفاسقين) الذين فسقوا من نور القطرة والاستعداد للهداية كما تنسق الرطبة من قشرتها وانما ارجو أن يهتدي بهذا البحث بعض المرتابين من أهل النشر الذين يؤسرون ان نعلم الهأ عشيها حكيماً ، وربما رؤفاً رحيماً ، وان من حكمته الجزاء على الاعمال النفسية والبدنية ،

وان جزاءه عدل وفضل، ويستحيل عليه الجور والظلم، وهم ينظرون ويتفكرون، وإذا ظهر لهم الحق يقبلونه وله يذعنون، وأما أولئك المارقون المستهزون من أهل الرقاعة فلا يلتفت إليهم ولا يبالي عاقل بامرهم، ألا ان يشفق عليهم ويحزن لكونهم من اهتة أو أبناء جنسه

(٨) ان الشبهة التي أشرنا اليها ليست واردة على بقاء دار العقاب التي تسمى النار والجحيم والهاوية وجهن وغير ذلك من الاسماء فقد تبقي وينقلب عذابها عذابا كما زعم الشيخ محي الدين بن عربي وشيعته أو لتعذيب خلق آخر من المكلفين مثلاً - ولا على أصل العقاب فيها فظالما أقنعنا المنكرين لهذا بأنه حق وعدل - وانما يقول أصحابها وهم من المنتسبين الى أديان مختلفة : ان المختبر لاحوال البشر يعلم علماً يقينياً ان أكثرهم ينشأ متديناً بالدين الذي نشأ عليه بين قومه وأهل ملته تقليداً لهم وتقليداً ثم يمرض لبعضهم الشك والريبة في دينه وفي سائر الأديان بالتبع ويتفق لبعض آخر الاطلاع على دين آخر والاقتناع بحقيقته فينبهه . ولكن يقل جداً أن يظهر لاحد حقيقة دين ويجحد به كبراً وعناداً كما وقع لبعض كبراء أقوام الرسل عليهم السلام في عصرهم، ثم ان المتدينين يعملون بما يعلمون من أديانهم على تفاوت عظيم بينهم في العمل سببه تأثير التربية والقنوة وطريقا التعليم له ؛ ويعلم ايضاً ان بعض المرتدين عن اديانهم بشبهات نظرية او علمية يؤمنون بالله ولا يشركون به شيئاً ؛ وان بعض المتدينين بالاديان الكتانية كغيرها يشركون بعبادة الله تعالى اشياء كثيرة من الاحياء والاموات كما ان بعض المرتدين احسن من بعض المتدينين اخلاقاً واعمالاً وانفع منهم للناس وللأوطان؛ ويقولون اننا مع هذه الحال نرى اهل كل دين يقولون ان الموافقين لهم في دينهم لانهم ولدوا فيهم وتربوا بينهم هم وحدهم اصحاب النعيم المؤبد الذي لانهاية له وان جميع المخالفين لهم سيكونون في عذاب اليم مؤبداً لانهاية له سواء عرفوا حقيقة دينهم او جهلواها؛ بل يعلم أكثر اهل البصيرة والاختيار ان أكثر المخالفين لهم لا يعرفون حقيقة دينهم ؛ وان من يعرف شيئاً منه يقلب يعرفه على وجهه عندهم ؛ وان ليس كل من يعلم شيئاً منه على حقيقته يقو - عنده الدليل على صحته - ونتيجة ما تقدم ان أكثر افراد البشر مقلدون في دينهم لمن تربوا معهم وتعلموا منهم ؛ وان غير الأكثر اهل نظر واستدلالاً يرجعون ما ثبت عندهم بحسب درجات نظرهم واستدلالهم على غيره في العقائ

والاعمال — فالذي اصاب الحق من المقلدين لافضل له في اصابته اذ لا عمل له فيه ولا اجتهاد ، والمقلدون في هذه الاعصار انما يتبعون جهوراً مقلداً فلا يكاد يتفق لاحد منهم ان يصيب الحق في جميع المسائل ، واذا كان التقليد حجة لصاحبه فيما وافق الصواب وعذراً فيما خالفه كما يقول أكثر اهل كل ملة في انفسهم فلماذا كان ذلك خاصاً بهم والله رب الجميع وهو الحكم المدل
ثم انهم يقولون لاهل كل دين انتم قد فترتم في دينكم وكتمت شيئاً نحكم كل شيعة على الاخرى بالكفر أو الابتداع والضلال فاذا كان الواجب على جميع البشر أن يتبعوا وكان كل من لا يدين بدينكم خالداً في العذاب بالمعنى الذي تقولون فاي مذاهب الشيع يجب عليهم الاخذ به لينجو من الهلاك الابدي ؟ إن قصارى قول كل شيعة بل كل فرد منكم أن من يدين الله بدينه ويموت على عقيدته هو الناجي المثاب بالنعيم الابدي وان عاش العمر الطويل قبله على غير ذلك ، وان كل من مات على غير عقيدته يخلد في العذاب الاليم الابدي وان عاش العمر الطويل قبله على الايمان بالله وحده وبالبعث والحساب وعمل البر والاحسان بتعاليم دين آخر أو باجتهاده

فورد الشبهة بعد هذا البيان ان أكثر أفراد هذا الانسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وكرمه وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً انما خلقهم تعالى لاجل أن يعذبهم عذاباً شديداً أبداً مهيناً أبدياً تمر الالوف والملايين من الاحقاب والقرون وهو لا يزداد الا شدة واستمراراً ، وان هذا العقاب جزاء عادل على مسائل اعتقادية قليلة كان أكثرهم جاهلاً بها وغافلاً عنها لانه لم يدعه أحد اليها البتة ، وقد بلغت بعضهم على وجوه مختلفة مذكرة لاعلى وجه صحيح يحرك داعية النظر فلم ينظر فيها . وبعضهم نظر وبحث فلم يبين له أنها الحق . وبعضهم ليس أهلاً للنظر بفسوخه في تقليد أهل دينه واطمئنانه به . وان هذا العقاب الابدي الاليم لا ينافي ثابت في العقل والنقل من عدل الله تعالى وحكمته وسعة رحمته وكونه أرحم الراحمين بل أرحم من الوالدة الروم بغافلها الرضيع . هذا ما يقولون انهم لا يقتلونه فيؤمنوا به وليس في طاعتهم ان يفتقدوا صحة دين يحكمهم به وبحمته

(٩) اني اجد الله تعالى ان وقتي لا تنفع كثير من الناس مختلفي الدين والجنس

بحكمة الله وعدله في عقاب الجرمين كما وفقني لاقناع من لأحصي لهم عددا من المرتدين والمعطلين الماديين بوجود إله خالق واحد وبالرسالة وبكثير من أصول الدين وحكم فروعه وموافقة الدين الإسلامي للعقل والمصالح البشرية دنياهم. وانتهى ابتليت بمراجعة الناموس في ذلك من أيام طلبي للعلم لأنني كنت كثير البحث فيه بالليل القطري حتى إن بعض الشيوخ في طرابلس الشام كان يراني في السوق فيسألني عن بعض مشكلات الشريعة ووجه مطابقتها للعقل أوله الصالحة العامة. وحدثني دانتش بك الذي كان أمين السر لمحمود باشا الداماد والد الأمير صباح الدين بك التركي الشهير حين جاء من مصر في أوائل العهد بهجري اليها أن الأستاذ الامام قال له: أني لأهرف أحدا أقدر من هذا الشاب صاحب المنار على التوفيق بين الدين وبين العقل والمدنية. ثم أقول بعد هذا وحمد الله عليه عودا على يده اني لم أعجز عن إقناع منكر لشيء من أصول الدين أو حكمه كما عجزت عن إقناع المنكرين لابتدئة العذاب الاليم الشديد انكارا وشبهة وارتباب لا جعود وضاد، فإن الجاحد الماند لهوى في نفسه لا يقنع بالضروريات بله إشكالات، ولكنني اذا قلت لبعضهم ان لبعض السلف والخلف من المسلمين قولاً باتناء العذاب وقولاً بنفي بعض الامر فيه الى الله تعالى قالوا اتنا نجزم بأن عظمة الله تعالى وحكمته ورحمته نجل عن تعذيب هؤلاء العباد الضعفاء الجاهلين الى غير نهاية أي الامرين أجدر بهم ولا؟ ألجزم بأن عدم نهاية العذاب الشديد لمن ذكر من أصول الدين التي بعد غير المؤمنين بها مرتدا لا يعتد باسلامه أم إقناعه بأن اعتقاده لا ينافي الاسلام وان له أسوة بمن سلف المؤمنين ولو الجهمية الذين لا يكفرهم أهل السنة بما خالفهم فيه من استدلال وتأويل؟

(١٠) بعد هذا كله أصرح هنا بأن مسألة فناء النار أو انتهاء عذابها الاليم الشديد مع بقائها ليست عندي من المسائل التي ادعو اليها وأناضل عنها ولا أبالي أن أنشر لمن يرد عليها ما يكتبه على علانية. غير نقد لما أراه متيقنا منه بشرط ألا يطيل بما لاحية اليه في الموضوع. عارفاً بما سبق ذكره لأن مقامي في حجة ثانية بالقول الآخر، وان يبين صفة من لا ينتمي عندهم ومن لا ينهي نعيمهم التي استحق بها كل منهما ذلك وأنمي لو يوفق أحد لشيء يقنع من ذكرت، والله الموفق للصواب

أول شبرا كثيرا وما يذكر الأول الابواب
يقول الحكمة من رتاء ومن يؤث الحكمة فقد

المكتبة
١٣١٥

أولئك الذين معادهم الله وأولئك هم أولو الالباب
نشر عادي الذين يستمرون القول فينبون أحد

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى « ومثارا كثر الطريق » ﴾

٣٠ شعبان ١٣٣٩ - ١٧ الثور (٢) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٨ ابريل سنة ١٩٢١

فَتَكُنْ مِنَ الْمُبْتَلَيْنِ

فتحنأ هذا الباب لاجابة أسئلة الشركيين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونذكر على السائل أن بين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . وأما تذكر الاسئلة بالترتيب غالبا ورعا قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجنبية غير مشترك لئلا هذا ، ولأن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ القرآن المتواتر والقراءات السبع وخاصة قراءة حمزة ﴾

(س ١٠ - ١١) من الشيخ عبد القادر حمزة من كفر الشيخ عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

الى سيدي الاستاذ الامام السيد محمد رشيد رضا

السلام عليك وعلى سائر الاسرة والاحباب (وبعد) فأعرض على نور علمكم مسائل أشكلت علي مأخذها وتعارضت أدلتها لتنبهوا للناسيل الحق فيها على صفحات مناركم أو في كتاب خاص الي أطال الله حياتكم لهذا المبدأ المسلمين أمين ١ - تواتر القرآن مجمع عليه من جميع طوائف المسلمين فهل هذا التواتر هو لما اتفق عليه القراء - وهو جمهور القرآن - ويكون ما اختلفوا فيه صحيحا غير متواتر لاختلافهم فيه من جهة ولأن كل قراءة جاءت عن واحد وعرفت به وأضيف اليه كقولهم قراءة خفص . قراءة حمزة . قراءة ابن كثير . مثلا أو أن كل قراءة من هذه القراءات متواترة قد شارك كل قاري منهم في قراءته من لا يحصى من أمثاله غير أن المصنفين اقتصرُوا على واحد من رواة القراءة - وهذا عذير لولا ما يكدر صفوه من اتهام المسلمين بالاهمال في بيان تواتر كتابهم الذي هو أصل دينهم ويكدره أيضا صنيع الطبري - وهو أمام في القراءة والتفسير والحديث والفقهاء - من رده في تفسيره لكثير من القراءات التي يشتملها نسخة . كقراءة حمزة : فأزالها الشيطان عنها : من سورة البقرة (المنار : ج ٥) (٤٣) (المجلد الثاني والمشرون)

وقراءة ابن عامر: وكذلك زَيْنٌ لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم: إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة في تفسيره والرجل أجل من أن يقول في قراءة متواترة أنها مردودة لكذا.. ولا جماع الحجة من القراء على خلافها !!!

٢ - في ترجمة حمزة بن حبيب الزيات من كتاب ميزان الاعتدال للذهبي وتهذيب التهذيب للعسقلاني نقل كلام الحفاظ في ردقراءة حمزة ككراهة يزيد بن هرون وأحمد بن حنبل لها - وتمني عبد الرحمن بن مهدي سلطاناً يوجع به ظهر من يقرأ بها وحكم أبي بكر ابن عياش بأنها بدعة وبإعادة صلاة من يصلي خلف القاريء بها الخ مما لا يقوم في وجهه قول الثوري أن حمزة لم يقرأ حرفاً إلا بأثر . فلا يدفع ذلك قدح النقاد فيها لأن في الآثار الصحيح والمعلول فيقال فيها أنها بدعة ويوجع ظهر من قرأ بها وتبطل الصلاة خلفه الخ لأنها رويت بأثر معلولة غير صحيحة فكيف من هنا يكون حمزة شيخ القراء وأحد السبعة وينعقد الاجماع بآخرة على تلقي قراءته بالقبول كما زعم الحفاظ الذهبي . اهـ

(الجواب) ثبت في الصحيح أن النبي (ص) كان كلما نزل عليه شيء من القرآن يقرأه على أصحابه فيحفظه من يحفظه ممن حضر منهم ويأمر كتاب الوحي بكتابته وحفظه . وكان النبي (ص) يقرأ كل ما أنزل عليه في الصلوات فيسمعه الصحابة (رض) في الجهرية منها ، وكانوا هم يقرؤون في صلواتهم وغيرها ما حفظوه ، وثبت أيضاً أن جبريل أمين الوحي عليه السلام كان يمارض النبي (ص) القرآن في كل ليلة من ليالي رمضان في كل سنة أي كان كل منهما يعرض على الآخر كل ما نزل من القرآن وأن جبريل أقرأه القرآن على حرف واحد فاستزاده حتى أقرأه على سبعة أحرف وإن المعارضة في آخر رمضان من عمره (ص) كانت مرتين أي بالسبعة الأحرف .

وثبت أيضاً أنه كان في الصحابة طائفة كبيرة يوصفون بالقراء لعنايتهم بحفظ القرآن وكثرة قراءته وأنه قد جمعه كله في عصر النبي (ص) أربعة من الخزرج بالتلقي قراءة وكتابة . وهو أقوى ماوجه به الحصر في الخبر الوارد في ذلك ومن المعلوم بالبداهة أن المهاجرين كانوا أشد عناية بحفظه ولا سيما السابقين الأولين وثبت أيضاً أنه لما استحر القتل (اشتد وحمي) بالقراء في قتال مسيلة الكذاب بالهامة خشي عمر أن يقتلوا في كل مكان فيقولوا فأشار على أبي بكر بجمع القرآن كتابة فأمر أبو بكر زيد بن ثابت كاتب رسول الله (ص) بجمعه فجمعه مما كانوا

يكتبونه فيه من الحجارة الرقاق وعظام الكتف وعصب النخل لجمعه في الصحف بالترتيب الذي تلقوه عن النبي (ص) وكانت هذه الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر مدة حياتهما ثم عند حفصة أم المؤمنين الى ان نسخت عنها المصاحف بأمر عثمان في عهد خلافته وبعث بها الى الافاق ليرجع اليها القراء والحفاظ حتي لا يختلفوا في القرآن فيضلوا كما ضل من قبلهم

وقد أجمع المسلمون سلفاً وخلفاً على أن كل ما وافق رسم المصحف الامام الذي كتب في خلافة عثمان بأقراء علماء الصحابة واتفاقهم من القراءات المروية عن النبي (ص) رواية صحيحة بمبارة عربية فصيحة فهو قرآن وقد توفرت الدواعي على تواتر ذلك كله بما ذكر عن أهل الصدر الاول ثم بما كان يخص به الخلفاء وعما لهم حفظ القرآن من العطايا . واختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم سببه الاحرف السبعة التي نزل القرآن بها ، وقد اختلف العلماء في معناها ، واختارونها أوجه القراءات وهي كما بينا في التفسير قسمان احدهما لفظي كقطع الهزة ووصلها والامالة ومقابلها وتذكير بعض الكلام وتأنيتها مما تختلف به لغات قبائل العرب ولهجاتها وسببه تسهيل قراءة القرآن عليهم ، وثانيها معنوي وهو ما أفاد معنى جديداً بتغيير القراءة كلك يوم الدين ومالك يوم الدين فان الملك في اللغة هو المتصرف بالتدبير والحكم والمالك المتصرف بالاعيان ولا ولا ملك ولا مالك يوم الدين غير الله تعالى ، وبما انفرد به تفسير نادون جميع ما اطلعنا عليه من التفاسير توجيه القراءات وبيان فوائدها اللفظية والمعنوية وقد ذهب بعض العلماء ان القراءات السبعة المشهورة هي الاحرف السبعة التي ثبت في الصحيح نزول القرآن بها ورد ذلك المحققون فالصحيح انها منها لا كلها ، واختلفوا في المصاحف هل هي جامعة للاحرف السبعة أم كتبت بحرف واحد أم بمدة أحرف وهي الموافقة للرسم ؟ وهذا الاخير أظهر هذه الاقوال ، ولا يتضمن اضاعاً شيء من القرآن لان الاحرف السبعة لم تكن كلها حتماً على كل مسلم وانما كان الكثير منها رخصة حتى لا تشق قراءة القرآن على غير قريش من العرب فانه نزل بلغة قريش ورخص لغيرهم قراءته بما يسلسل على السنتهم وهي رخصة عارضة قد زال سببها منذ العصر الاول بقلبة لغة قريش وتربية اولاد المسلمين من جميع العرب والعجم على القراءة بها ، وبقي المروي من غيرها آثاراً علمياً فيما وافق منه رسم المصحف مع صحة روايته وعريته ثبت كونه قرآناً دون

غيره وقد عني العلماء بجمع كل ما ثبت من ذلك ومنهم من يرجح ماصح عنده بالرواية من تلك القراءات ويرد غير دكان جرير الطبري وقد يكون صحيحاً عند غيره بشروطه الثلاثة، ومثله من أنكر بعض قراءات حمزة في مثل إطالة المد والامالة وتخفيف الحمزة كالأمثلة الذين ذكروا في السؤال لعدم ثبوت روايتها عندهم، فعدم ثبوت بعض الاحرف السبعة عند بعض العلماء لا يتناقض بثبوتها عند آخرين حتى بالتواتر، وقد كان عصر هؤلاء العلماء عصر الرواية ومبدأ عصر التدوين والتصنيف الذي صار يسهل فيه العلم بالمروية لغیر الرواة بمراجعة الكتب التي ثبتت نسبتها الى مؤلفيها الثقات كدواوين السنة وغيرها

وقد نقل الحافظ في شرح حديث الاسبعة الاحرف من التفتح أقوال المحققين فيها وفي القراءات ومنه في سياق كلام لابن أبي شامة: والحق أن الذي جمع في المصحف هو المتنق على ازمائه المقطوع به المكتوب بأمر النبي (ص) وفيه بعض ما اختلف فيه الاحرف السبعة لاجمعها. وذكر أمثلة من ذلك - ثم ذكر عن ابن أبي هاشم أن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التي وجهت اليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل (قال) ثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة بشرط موافقة الخط وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً لامر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاجتياط للقرآن فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الامصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد من السبعة (يعني لغة قريش). وقال مكي ابن أبي طالب: هذه القراءات التي يقرأ بها اليوم وصحت رواياتها عن الأئمة جزء من الاحرف السبعة التي تزل بها القرآن أي لا كلها ولا واحد منها فقط.

وجملة القول ان العلماء الذين صنفوا الكتب في القراءات والمصاحف والحديث قد احصوا كل ما روي عن الصحابة في القرآن والقراءات والتفسير من متواتر ومشهور وشاذ ولكن العمد في ثبوت القرآنية ما تواتر ولو في بعض الامصار دون بعض والقاعدة الكلية فيما جروا عليه في اقراء الناس في الامصار هي كما قال الكواشي: كل ماصح سند له واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الامام فهو من السبعة المنصوصة (أي في الحديث) فعلى هذا الاصل يجب قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف، ومن

فقد شرط من هذه الثلاثة فتواتر الشاذ اهـ

ثم ان المشهور عند غلظة الاصول والفتناء أن القراءات السبع المسندة الى القراء السبعة الذين اشتهروا في الامصار بالاقراء (ابي حمزة وناقع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي) تتواتر. ولكن استثنى بعضهم منها ما ليس من قبيل الاداء كصفات المد والامالة وتخفيف الهجزة التي خولف فيها الاصل كما ترى في جمع الجوامع وصرح بعضهم بأن بعض رواياتهم في هذا غير متواترة الا انها مروية عن الاحاد أو من طرق ضعيفة وان القاعدة الثمانية التي ذكرنا عبارة - كواشي فيها آتية محكمة في هذه القراءات كغيرها وتقل الحافظ هذا المعنى عن شرح المنهاج للسبكي وعن ابي شامة وقال في آخر هذه القول : ونحن وان قلنا ان القراءات الصحيحة اليهم نسبت وعنهم نقلت فلا يلزم أن نجتمع ما نقل عنهم بهذه الصفة بل فيه الضعيف لخروجه عن الاركان الثلاثة ولهذا ترى كتب المصنفين مختلفة في ذلك فالاعتماد في غير ذلك على الضابط المتفق عليه اهـ

فعلى هذا يكون مثل هؤلاء القراء السبعة كمثل أصحاب الكتب الستة في السنن من حيث شهرتها وكثرة المتلقين لاحاديثها عنهم وان كانوا لم ينفردوا بروايتها ولا كانت تكون بمجولة لولم يدونوها في كتبهم ومن حيث ان ماصححوه منها لم يقدم العلماء به تقليداً ، بل كان جميع مادونه الشيخان في صحيحهما معروفاً عند جماهير المحدثين من شيوخهما وغيرهم في عصرهما وبعد عصرهما ومروياً عن غيرهما وقد ناقشهما بعضهم في توثيق بعض رجالهما وفي غير ذلك مما هو معروف ، وطعن بعض المحدثين في بعض قراءات بعض القراء كحزمة لا ينافي صحة قراءته مطلقاً ولا صحة ما أنكره منها كطعن بعضهم في صحة بعض احاديث البخاري واتفاق سائرهم بمد هذا الطعن على صحة ما طعن فيه كله أو أكثره ذكر الحافظ الذهبي في الميزان الخلاف في جرح حمزة وتمديله في قراءته فمعظم السائل أمر الجرح دون التمديل ومنه قول ابي حنيفة غلب حمزة الناس على القرآن والقراءات وقراءة الاعمش عند رؤيته مقبلاً قوله تعالى (وبشر الخبيثين) وقول الامام سفيان الثوري : ما قرأ حمزة خرفاً الا باثراً. وقد بين أبو بكر بن عياش مراد من قال ان قراءته بدعة بقوله لما فيه من المد المفرط والسكت والامالة واعتبار الهجزة في الوقف. وقال الحافظ الذهبي مع ذلك : واليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى وقال : وقد انعقد الاجماع بانحرافه على تلقي قراءة حمزة بالقبول، ثم قال وحسب

حزة شهادة مثل الامام سفيان الثوري له. وتقل الحافظ ابن حجر هذه الاقوال في تهذيب التهذيب وأقرها والمعبر في الجرح والتعديل من حيث الترجيح على ما يستقر عليه حكم أئمة الناقلين المحققين بعد العلم به فما باله يحكم الاجماع. وصفوة الجواب ان عدالة حزة لا غبار عليها وان قراءته غير مطعون فيها على الاطلاق بل طعن في مثل اطالة المد من لم يثبت عند غيره فلم يكن حزة منفردا بشيء منه، على انه من النوع الذي اختلف في تواتر بعضه، ولا ضرر فيه لانه لا يترتب عليه اثبات معنى ولا نفيه

ب - ذكاة الحيوان والصيد

(س ١٢-١٣) منه ١ - ورد في الصحيح التذكية بالحجر فهل كان ذلك حزا أو صدمًا وهل في معنى الحجر في ذلك المحدد الكليلة كعول الزراع (الفاوس) وممول النحت اذا انهر الدم بالصدمة الشديد والطرق عند فقد المدية الحديدة فيحل بذلك الحيوان ويفتقر للضرورة عدم احسان القتل لعدم السكين ٢ - جاء فيه ايضاً النهي عن حذف البندق لعله انه لا يصيد صيداً ولا ينكي عدواً وجاء فيه التفصيل في صيد المراض فأحل ما أصاب بحده وحرم ما قتل بمرضه فإذا ترون فيما حدث الآن من الصيد بمقدوف البارود . فهل يلحق بمقدوف البندق مع أنه يصيد وينكي أو يفصل فيه نظير تفصيل المراض فيقال أن صيد صغير الحيوان كالارانب والطير بما يسمونه رشا وهو ما كان في حجم حبة القمح مثلاً حل الحاقاً بحد المراض وما كان بأكبر لم يحل الحاقاً بمرضه وكذلك في كبار الحيوان فما صيد بمثل البندقة حل وما صيد بمقدوفات المدافع لم يحل

أرشدني أرشدك الله الى ما فيه رضا

(الجواب) من فقه جملة ماورد في الكتاب والسنة في تركية ليوان وصيده وأن أصل معنى التذكية في اللغة امانة الحيوان بقصد أكله وحقيقته ازالة حرارته الغريزية كما قال الراغب في مفردات القرآن - علم ان الشرع لم يجعل للتذكية صفة معينة هي شرط الحل أو كل الحيوان ولكنه حرم التعذيب وأمر بالاحسان في كل شيء حتى القتلة والذبحه وقد فصلنا ذلك فيما كتبناه في تأييد فتوى للاستاذ الامام في المجلد السادس ثم لحصناه في تفسير آية محرمات الطعام من سورة المائدة فليراجعه السائل بحمد فيه غنا ان شاء الله تعالى. وأما ما اشبهه فيه من الفرق بين

الصيد بالبندق والرش والرصاص يعرف حكمه من حديث صيد المراض فان النبي (ص) قال لعدي بن حاتم اذ سأله عنه « اذا رميت بالمراض فخرق فكل وان اصابه برضه فلا تأكل » والرش والرصاص كما في حديث الصحيحين يخزق دون بندق الطين . وأما المدافع الكبيرة فلا يصطاد بها ولكن قد تصطاد آجال الغزلان وبقر الوحش بالمدفع الرشاش (التراليوز) والمراض عصا محددة الرأس أو الطرفين وقد يكون في طرفها حديدة كانوا يرمون به الصيد فيقتله وفي لفظ لحديث عدي عند البخاري « ما اصاب بحده فكله وما اصاب برضه فهو وقيد » قال وسألته عن صيد الكلب فقال « ما أمسك عليك فكل فان اخذ الكلب ذكاة » ونقل الحافظ في شرحه عن الامام الاوزاعي وغيره من فقهاء الشام حل ما قتل برضه أيضاً . وقال البخاري وكرهه سالم والقاسم ومجاهد وابراهيم وعطاء والحسن اه فحديث أخذ الكلب ذكاة وقول ابن عباس : ما أعجزك من هذه البهائم بما في يديك فهو كالصيد وفي بعير تردى في بئر فذكه من حيث قدرت عليه (وهو في البخاري) دلائل على ما فسرنا به الذكاة

هذا وان كثيراً من علماء الشرق والغرب قد أفتوا وألقوا الرسائل في حل صيد بندق الرصاص بعد حدوثه فمن علماء المنفعة الشيخ محمد يريم من علماء تونس الاعلام ومن علماء الحديث الامام الشوكاني الشهير من مجتهدي اليمن والسيد صديق حسن خان صاحب النهضة العلمية الدينية الاستقلالية الحديثة في الهند فانه قال في باب الصيد من كتابه (الروضة الندية ، شرح الدرر البهية) للشوكاني ما نصه :

وقد نزل صلى الله عليه وآله وسلم المراض اذا اصاب فخرق منزلة الجوارح واعتبر مجرد الخرق كما في حديث عدي بن حاتم المذكور (وكان ذكر رواية الصحيحين له) وفي لفظ لاحمد من حديث عدي قال قلت يا رسول الله ان اقوم نومي فاجل لنا قال « يحل لكم ما ذكيت وما ذكرتم اسم الله عليه فخرق فكلوا » فدل على أن المتبر مجرد الخرق وان كان القتل بمثقل فيحل ما صاده من رمي بهذه البنادق الجديدة التي رمي بها بالبارود والرصاص لان الرصاص يخرق خرقاً زائداً على خرق السلاح فلها حكمه وان لم يدرك العنائد بها ذكاة الصيد اذا ذكر اسم الله على ذلك . وعبارة الماتن (الشوكاني) في حاشية الشفاء : أقول ومن جملة ما يحل الصيد به من الآلات هذه البنادق الجديدة التي رمي بها بالبارود وذوات الرصاص

فإن الرضاة يحصل بها خرق زائد على خرق السهم والرمح والسيف ولها في ذلك عمل يفوق كل آلة - وذكر مثالا لذلك - وما روى من النبي عن أكل مارمي بالبندقة كما في رواية من حديث عدي بن حاتم عند أحمد « ولا تأكل من البندقة إلا ما ذكيت » فالمراد بالبندقة هنا هي التي تتخذ من طين فيرمى بها بعد أن تيبس . ثم ذكر بعده الخذف بالحصى وكونه مثل بندقة الطين

حقيقة الصيام وحكمه وفوائده^(١)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا
كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

الدين هداية روحية مدنية ، ورابطة اجتماعية أدبية ، والصيام ركن من أركانه الدينية ، وشعيرة من شمائره المليّة ، ورياضة من رياضاته النفسية والبدنية ، تربي به الارادة ، ليكون لها السلطان على الهوى والعادة ، وبهذا يكون سببا لتحقيق ملكة التقوى ، وهي انقضاء ما حرم الله في السر والنجوى ، وفي الملاينة بطريق الاولى

ذلك بان الصيام حرمان للنفس من التمتع بشهوتي الطعام والشراب والشهوة الموجبة للغسل من طلوع الفجر الى غروب الشمس بنية العبادة التي شرعها الله تعالى لهداية عباده وتربيتهم بما يساعد هداية النطرة السليمة والعقل على كبح جماح الشهوات المفسدة لها ، فمن راض نفسه على ترك الشهوات الضرورية المباحة كالأطعام الحلال عند الجوع والماء بالزلال على الظما والملامسة الزوجية مع قوة الداعية فيكون أقدر على

(١) طبع هذا المقال جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في رسالة خاصة لتوزيعه على المسلمين في شهر رمضان

اجتناب الشهوات المحرمة الضارة كأكل أموال الناس بالباطل والنمدي على أعراضهم وغير ذلك ولا سيما اذا كان ذلك الترك للضروريات تقصد به طاعة الله تعالى وتكتسب به ملكة مراقبته فيكون الوازع نفسياً في الفعل والترك؛ وكفى بذلك عزة للنفس وطاعة للرب، فهذه غاية الصيام من حيث هو هداية روحية وعبادة دينية

وأعظم فوائده من حيث هو رياضة بدنية ازالة مرض تمدد المعدة أو تخفيفه وهو مرض قلما يسلم منه أحد من المترفين وغيرهم من متنادي الامتلاء من الطعام والشراب، وإفناء الفضلات والمواد الراسبة التي هي سبب أمراض كثيرة ولا سيما تصلب الشرايين الذي يوهن القوى ويعجل الهرم، وأعظم فوائده الاجتماعية انه يساوي بين الملوك والسوقة وبين الاغنياء والفقراء، ويذكر الواجد الموسع، بحاجة العادم المسرع، ويلزم أفراد الامة النظام الدقيق في مواعيد أكلهم اذ يتناولوه الملايين منهم في وقت واحد

هذا تعريف الصيام وغايته الشريفة وفوائده العظيمة بمجمل موجزة، وليس هو عبارة عن تغيير مواقيت الاكل بجعلها بالليل بدلا من النهار كما يزعم الجاهلون بحقيقته، الغافلون عن سره وروحه، وقد قال أحد حكماء الغرب في كتاب ألفه في تربية الارادة ان أقوى ذرائع تربية الارادة الصيام ولذلك شرع في جميع الاديان، وهذا موافق لما ذكرنا من نص القرآن، وقوة الارادة أعلى ما يتفاضل فيه الناس من صفات النفس وجميع الرجال العظم كآوا من أولي الارادات القوية والعزائم الثابتة، فمن كان قوي الارادة في أصل الفطرة زادته تربيته بالصيام وغيره كما لا فيها، وحملته على توجيها

(المنار: ج ٥) (٤٤) (المجلد الثاني والعشرون)

الى اقامة الحق والثبات على الفضائل، ومن خلق ضعيف الارادة، يضعف المزاج وسوء الوراثة، أصلحت هذه التزينة من فسادة حتى يفوق ويفضل من أفسد سوء تربيته، ما كان صالحا من سلامة فطرته

ينال الصائم من فوائد الصيام بقدر ما يقصد مما يعقل منها، وفاقا للقاعدة الشرعية المعقولة « الامور بمقاصدها » فلا يقال اننا نرى كثيرا من الصائمين ليس لهم حظ يذكر من تلك الفوائد، وفي الحديث الصحيح « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع »^(١) ومثل هذا كمثل الدواء الذي اتفق الاطباء على فائدته في معالجة بعض الامراض أو الوقاية منها بشروط يشترطونها اذا تناوله مالم تتحقق فيه تلك الشروط لجهلها بها أو حرم فائدتها بسبب آخر أو استفاد منه ثم أفسد تلك الفائدة، كمن فسدت أعضاؤه فعالجها بدواء مطهر أزال الفساد ثم اتبعه بطعام غليظ قبل تمام الشفاء، وهكذا شأن من يصوم عن الحلال من طعام وشراب مجارة للناس لا احتسابا لوجه الله وطلب مرضاته بهذيب نفسه ثم يأكل أموال الناس بالباطل أو ينال من أعراضهم أو يصيب غير ذلك من المحرمات، وفي الحديث الصحيح في الكتب الستة « الصيام جنة » فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإذا شاتمه أحد أو قاتله فليقل اني صائم اني صائم » (والجنة بضم الجيم الوقاية)

ولهذا المعنى كانت النية شرطاً في صحة الصيام وسائر العبادات وقال صلى الله عليه وسلم « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » رواه البخاري في فاتحة صحيحه. وليست النية المفروضة في العمل الا ملاحظة

الغرض المراد منه والباعث عليه، لا قصد نفس العمل بتصوره عند الشروع فيه كما قال الكثيرون ، فان هذا أمر ضروري في كل عمل اختياري اذ لا يمكن الشروع فيه مع غفلة النفس عنه وعدم توجيهها اليه . ولكن نص على طلبه في الصيام بوجه خاص لانه أمر سلبي وهو ترك الشهوات المعلومه والترك هو الاصل فلا يتوقف على قصد الا اذا عارضت داعية الفل فلداعية استمرار الترك ، وهذا انما يكون بعمل نفسي وهو ترجيح الترك وقصد الاستمرار عليه ولهذا احتيج في جعل الترك المخصوص - وهو الصيام - في الزمن المعين - وهو النهار - الى توجه خاص قبل الشروع ليكون عبادة مستغرقة لهذا الزمن وهو معنى حديث حفصة في السنن الاربع « من لم يُجمِع الصيام قبل الفجر فلا صيام له » أي من لم يزم عليه في الليل لا يصح منه - فنية نفس الصيام هي العزم على كف النفس عن المفطرات مدة النهار وهي غير النية فيه التي تصاحب هذا العزم فهذه أخت الاحتساب وهو الاخلاص لله وإتقاء مرضاته ونوابه بالاتيان بالعبادة على الوجه الذي شرعها الله تعالى لاجله وهو في الصيام ما تقدم بيانه في فاتحة هذا الكلام ، وفي الحديث المتفق عليه في الكتب الستة « من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي رواية - ايماناً واحتساباً ونية . وقد يعنوم الانسان رياء أو تطبيقاً أو تعوداً لا تميداً ، والتميد بالصيام لا ينافي قصد منافعه البدنية والاجتماعية من حيث ان الله هدانا اليها لانه شرع لنا العبادة لمنفعتنا لا لإغنائنا وإيماننا

فينبغي لكل مؤمن أن يلاحظ بصيامه باعث الايمان بالله والاذعان لدينه الذي شرعه لخير المباد لان غني عنهم وعن صيامهم وسائر أعمالهم ، وإن

بلا حظ طلب مرضاته وثوابه بطاعته ، وشكره على جعل تربته له وهدايته
لنفاعه في الدنيا سبباً لنيل نعيمه وكرامته في الآخرة ، وأن يتذكر عند
النالم من الجوع والعطش ان الله تعالى يريد أن يهذه ويقوى عزيمته باحتمال
الآلام التي تطاق اختياراً ، حتى يسهل عليه حمل مثلها وما هو أشد منها
إذا اضطر اليه اضطراراً ، وحتى يكون انساناً كاملاً لا تعبت به الشهوات
الجسدية ولا الاهواء النفسية . وان تبد الشهوة التي لا يستطيع مخالفتها يحني
على بدنه فينهنك صحته ، ويحني على ماله فيتلهه ، ويحني على عرضه فيتلثم شرفه ،
ويحني على وطنه فيضيع حقوقه ، ويحني على دينه فيخسر دنياه وآخرته
وبنفي للصائم إذا كان ملكاً أو أميراً أو غنياً كبيراً أن يلاحظ في صومه
فوق ما ذكر ان الله تعالى يحب أن يهذب بهذا الصيام نفسه باشعاره
المساواة بينه وبين الضعفاء والفقراء من العمال والصناع لكي يتي الكبرياء
والبخل والقسوة ، ويزداد علماً بقيمة ما أوتي من الجاه والحرمة ، وما
امتاز به من النعمة ، فيشكر الله تعالى على ذلك باحترام من دونه ، والافاضة
على الفقراء والمساكين من فضل ماله ، فيحبه الله ويحبه الى خلقه ، ويرضي
كل ذي حق بحقه ، وان لم يفعل هو وأمثاله هذا يحق الفقراء عليهم ، وربما
يمدون أيدي الاذى اليهم ، بل ذلك واقع ومنذر بأعظم انقلاب اجتماعي
في الارض ، ولا يدروا الا الاهتداء بالاسلام ، ولا سيما إقامة ركني الزكاة
والصيام ، كما ينبغي للصائم الفقير والخالل الذي لا يؤبه له أن يعلم أن الله
قد ساوى في هذه العيادة وغيرها بينه وبين الملوك والامراء وكبار الاغنياء
تكريماً له بدينه ، كما أوجب عليهم أن يشاركوه بفضل أموالهم ، فيكرم نفسه
ولا يرضى لها بالذلة والمهانة .

ما أجمل الصائمين عند ما يتحلّقون حول موائد الطعام المرفوعة عند
اناس وصحافه الموضوعه على الارض عند آخرين وهم ينتظرون في كل
قطر وكل بلد تلك الدقيقه أو الثانيه التي يسمعون فيها صوت المدفع أو كلة
المؤذن، والاحشاء خاوية، والشفا ذابله، واللحم جافه، ولا أحد
يعد يده الى ما أمامه من كأس دهاق، وأنواع ذواق^(١)، حتى اذا ما طرق
المسامع ذلك الصوت المنتظر، امتدت الايدي الى ما أعد لها مثل الملح
بالبصر، وانطلقت في أثرها اللسانة بالثنا والدعاء : اللهم لك صمت، وعلى
رزقك أفطرت، ذهب الظم وأبتنت العروق وثبت الاجر ان شاء
الله تعالى^(٢)

وفي الحديث المتفق عليه «لصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة
عند لقاء ربه» وليست الفرحة عند الفطر باعطاء النفس الحيوانية حقها
وشهوتها المحللة لها فقط وان كان هذا حاصلًا ولا غشاضة فيه، بل الاصل
في هذه الفرحة ما يشعر به كل من أدّى عملاً شريفاً عند اكماله له ولا سيما
اذا كان شاقاً وانتقل منه الى ما يلدو وترتاح له النفس، وقد جعل الله تعالى لصيام
كل يوم لذة وجعل حاقبة صيام الشهر كله عيداً، كما جعل يوم اتمام أركان
الحج عيداً، لأن في كل من الصيام والحج مشقة بدنية مقرونة بلذة روحية
ياحسرة على الخاسر المحروم من هذه النعمة الروحية والرياضة البدنية
والرابطة الاسلامية، نعمس عبد الشهوة، نعمس ضعيف الارادة، الذي

(١) الدهاق (ككتاب) الملاهي والذواق (كسحاب) ما يذاق من طعام وشراب
وهما مصدران في الاصل والمراد بانواع الذواق ما يرضه الموسرون على الموائد في
رمضان لأجل الافطار به من التمر والزبيب والمرق والجبن والزيتون ويعتبر فيه
الفلة (٢) كان النبي (ص) يقول هذا اذا أفطر رواء ابو داود في سننه

يفطر في شهر رمضان، ويقطع هذه الصلة ببنه وبين ربه، ويفصم عروة هذه الجامعة التي تربطه بأخوة الملايين من أهل دينه، فإذا كان يفطر لانه يشق عليه ترك طعامه وشرابه ودخان مثاقفه بالعبوات، من الأنعام والحشرات، وليتأمل ما أجمع عليه علماء التربية في هذا العصر في نظام الكشفة من الولدان، وكيف يروضون أبدانهم باحتمال التعب وركوب أنواع المشاق، وإذا كان يترك الصيام لإرضاء للملاحدة والمرتين، ويرضى أن يكون من مقلدتهم العيان المنكوسين، الذين قال فيهم الشاعر
عمي القلوب عمواعن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليدا

فهو وشر مكانا وأضل سبيلا، وان غش نفسه أو غشه شياطينه باتحال
الانقلاب الخادعة الخاطئة الكاذبة للحرية والمدنية واستقلال الفكر وتحكيم العقل، ولو حاسب نفسه بفكر مستقل وعقل سليم من الغرور وتليس
الاهواء والشهوات لعلم انه مغرور يفس نفسه ويخدعها بهذه الاسماء
التي يستر بها نفوسها وعبادتها لشهواتها

الافطار في رمضان بغير عذر معصية من الكبائر، واستحلاله
واستقباحه والانكار على شرعه للناس كفر بواح، والمجاهرة به معصية
أخرى من أكبر الكبائر، لان ضرر الافطار وحده قاصر لا يتعدى المفطر،
وضرر المجاهر متعمد، فان المجاهرة استهانة بالشرع، وهدم للشريعة
الدينية التي يشترك المسلمون فيها ويمتازون من غيرهم، حتى كأن المفطر
ليس منهم، وقدوة سيئة لضعفاء الايمان أقوياء الشهوات البهيمية تجرؤم
على الفطر وعدم المبالاة بالدين ولا باحترام المسلمين، فالمجاهر بهذه الجريمة
من الذين يطمعون ما أمر الله به أن يوصل ويسعون في الارض فسادا بآزالة

المقومات المعنوية والمشخصات الاجتماعية التي تتناز بها أمتهم وتستقل دون غيرها، وبالفسوق من الآداب والفضائل الشخصية التي ترتقي بها نفوس افرادها ، وتحفظ حقوق جماعاتها

أي أمة تمشي عزيزة كريمة بنير آداب ولا فضائل؟ وكيف يمكن ان تبني الفضائل على غير قواعد الدين؟ واذا كان الدين أقوى روابط الاجتماع بين أكثر البشر ولا سيما الشعوب الاسلامية منها وكانت الامم العزيزة القوية تنفق الملايين من الجنيهات على دعاة دينها لاجل استمالة أهل الأديان الأخرى اليه - واذا كان بعض كبار استهزاء قد صرح بأن أول خطوات الاستعمار مدارس المشرىين التي تبطل ثقة نابتة الامة الجديدة بدينها فتحدث الشقاق المعنوى بينها، فتضعف وحدتها بانقسامها وتفرقها - واذا كان كل خبير واقف على سير الاجتماع فينا يعلم علم اليقين أن كل هذه المفاسد الدينية والادبية لم تتسرب الى أفكار المتفريجين منا الا من الطامعين في تقطيع روابطنا المليية ، واضماف مقوماتنا الاجتماعية - اذا كان ما ذكر كما ذكر لا مصرية فيه فهل يبقى عند العالم به ريب بأن المهاجرين يهدم ركن من أقوى أركان دينهم والمحتقرين لشيرة من أعظم شعائره هم من أكبر الجناة على أمتهم والمفسدين المحققين لطمع الطامعين فيها؟ فكيف اذا كانوا مع ذلك هادمين لسائر الأركان ، ويتركون الصلاة والزكاة كما يتركون الصيام؟

تنهوا أيها الغافلون، وأيقظوا أيها النائمون، ولا تمشوا أقدامكم بانكم تستغنون عن الرابطة المليية ، بالرابطة الوطنية، وتستبدلون الآداب الفلسفية ، بالآداب الدينية ، على ان الدين لا يمتكم من الاتحاد الوطني على

المصالح والمنافع الوطنية، ولأمن اقتباس الحكمة والعلوم العقلية، ولا شيء من هذه المصالح وعلوم بمنع من عبادة الله تعالى وإقامه شعائره دينه، وترك ما حرمه من الفواحش والمنكرات. كالسكر والزنا والقمار، وهي الموبقات التي قلما يسلم من شرورها أحد. هؤلاء المتفرنجين المدعين للفلسفة والوطنية، وهي الوباء القاتل للوطن، والمذهب للدين والشرف، أيها الغافل عن نفسه وعن أهله وقومه حاسب نفسك حساب القاضي الذكي العادل لمتهم الخائن المخادع تظهر لك جنائياتها عليك وعلى أهلك وقومك ببرك أركان الدين وفرائضه، ثم اجتهد في جعلها مصلحة مصلحة، وقدوة حسنة في الدار وفي مكان العمل وكل مكان. فإن غلبت شهوراتك فاجتهد في كتمانها قبل أن تظهر بها بأن لا تظهر الفطر في رمضان لأحد، ولا تخدعك وسوسة شياطين الإنس أو الجن بتسمية بشدة الوقاحة قوة ارادة، فإن كنت مرئياً عن هذا الدين فقوة الارادة الحقيقية ان تصرح بهذه الردة وتلتزم ما يترتب عليها من أحكام الزواج والارث وغير ذلك. ان الامم الحية تعظم كل ما ينسب اليها حتى انها تبذل الارواح في الحرب تكريماً لعلها الممثل لها وما هو الا قطعة من نسيج لا قيمة لها نذكرها بالك أيها الغافل تحتقر أشرف ما تنتمي اليه وهو الدين بهتك حرمة رمضان في المطاعم، أو التدخين في الشوارع، لاشك انه سبب ذلك الغفلة والذهول، فتى تنهت، تبت وأبنت، والسلام على من اتبع الهدى، ورجع الحق على المهوى.

تاريخ فنون الحديث

٥

كتب الجرح والتعديل

الكتب المؤلفة في الجرح والتعديل ذات مسالك مختلفة فيها خاص بالنقات أو الضعفاء أو المدلسين ، ومنها جامع لكل أولئك . ثم منها ما لا يتقيد برجال كتاب معين أو كتب مخصوصة ومنها ما يتقيد بذلك ونحن ذاكرون من كل نوع كتبه المشهورة بتوفيق الله وإرشاده

١ الكتب الجامعة بين النقات والضعفاء — من الكتب المشتعلة على النقات والضعفاء جميعاً طبقات محمد بن سعد الزهري البصري «١» وهو من أعظم ما صنّف يقع في خمسة عشر مجلداً جمع فيه الصحابة والتابعين فمن بعدهم وقد اختصره السيوطي في كتابه انجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد ، وكذلك طبقات خليفة ابن خياط «٢» ومسلم بن الحجاج «٣» وتاريخ ابن أبي خيثمة «٤» وهو كثير القوائد ، وتواريخ البخاري «٥» وهي ثلاثة كبير وهو على حروف المدجم وابتدأ بمن اسمه محمد وأوسط وهو على السنين وصغير ، ولمسة بن قاسم ذيل على الكبير وهو في مجلد ولابن أبي حاتم «٦» جزء كبير انتقد فيه على البخاري وله الجرح والتعديل منى فيه خلف البخاري ولأحسين بن إدريس الأنصاري الهروي «٧» — ويعرف بابن خرم — تاريخ على نحو التاريخ الكبير للبخاري ، وللمل بن المديني «٨» تاريخ في عشرة أجزاء حديثة ولابن حبان «٩» كتاب في أوام وأصحاب التواريخ في عشرة أجزاء أيضاً ولأبي محمد بن عبد الله بن علي بن الجارود كتاب في الجرح والتعديل ، ولمسلم رواة الاعتبار ، وللنسائي التمييز ، ولأبي يعلى الخليلي «١٠» الارشاد ، وللمعاد بن كثير (التكميل في معرفة النقات والضعفاء والمجاهيل) جمع فيه بين تهذيب المازي وميزان الذهب مع زيادات وتحرير في العبارات وهو أنفع شيء للمحدث والمفقيه

١ نهر: ٢٣٠ ٢ ٢٤٠ ٣ ٢٦١ ٤ ٢٧٩ ٥ ٢٥١ ٦ ٣٢٧ ٧ ٣٠١

٨ ١٣٤ ٩ ٣٥٤ ١٠ ٤٤٦

(المجلد الثاني والمثرون)

(٤٥)

(ج) (المنار: ٥٠)

التالي لأثره، ومنها تاريخ الذهبي والتذكرة في أسماء الثقات والضعفاء لاسماعيل ابن عمر المروفي وابن كثير الدمشقي (١) ولبقات المحدثين لعمر بن علي بن الملقن (٢) ذكر فيها المحدثين الى زمنه والكمال في معرفة الرجال له

٢ كتب الثقات — منها كتاب الثقات للمعالي (٣) وكتاب الثقات لخليل ابن شاهين والثقات لابن حاتم بن حبان البستي وكتاب الثقات الذين لم تذكر أسماؤهم في الكتب الستة زين الدين قاسم بن قطلوبغا (٤) وهو كبير في أربع مجلدات ومن هذا النوع الكتب المبينة لبطقات الحفاظ وقد ألف فيها جمع فنهم

الذهبي وابن الدباغ (٥) وابن المفضل وابن حجر العسقلاني والسيوطي — ذيل على تاليف الذهبي — وتقي الدين بن فهد وذيل مؤلفه محمد بن محمد الهاشمي (٦)

٣ كتب الضعفاء — منها كتاب الضعفاء للبخاري والضعفاء والمتروكين للنسائي ولابي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (٧) وكتابه كبير وقد اختصره

الذهبي ثم ذيله كما ذيله علاء الدين مغلطي (٨) والضعفاء لمحمد بن عمرو العقيلي (٩) وكتابه مفيد، وللإمام حسن بن محمد السنائي ولمحمد بن حبان البستي

وكتابه كبير، ولابي أحمد بن عدي كتاب الكامل وهو أكل الكتب في ذلك وأجلها وعليه اعتماد الأئمة وله ذيل يقال له الحافظ لابن العباس أحمد بن محمد

الاشبيلي المروفي وابن الرومية (١٠) والضعفاء للدارقطني وللحاكم وعلاء الدين المارديني (١١) وميزان الاعتدال للحافظ الذهبي وهو أجمع ما جمع — طبع في الهند

ثم بمصر — وقد ذيل عليه الحافظ زين الدين العراقي في مجلدين وقد التقط منه الحافظ ابن حجر من ليس في تهذيب الكمال وضم اليه ما فات في الرواة وتراجم مستقلة

في كتابه المسمى لسان الميزان وله كتابان آخران وهما تقويم اللسان وتحرير الميزان ويوجد عدا ذلك كتب كثيرة

٤ كتب المدلسين — أول من أفرد المدلسين (١٢) بالتصنيف الامام حسين ابن علي الكرايسي (١٣) صاحب الشافعي ثم صنف فيه النسائي ثم الدارقطني ونظم

الذهبي في ذلك ارجوزة وتبعه تلميذه احمد بن ابراهيم المقدسي فزاد عليه من

(١) توفي سنة ٧٧٤ (٢) ٨٠٤ (٣) ١٦٦ (٤) ٨٧٩ (٥) ٥٤٦ (٦) ٨٩٠ (٧) ٥٩٧ (٨) ٧٦٢ (٩) ٣٢٢ (١٠) ٦٣٧ (١١) ٧٥٠

٩٢ المدلس من لا يذكر اسم شيخه من يروي عن فوته باللفظ يوم اسما منه ولا يكون كذا فيناطيا كقول من فلا وقال لفلان — والحديث المدلس (يقسم الامام) من أنتم المنقطع ٧٤٥٤١٣

جامع التحصيل للملائى شيئاً كثيراً بما فاته ثم ذين الحافظين الدين العراقي (١) في هوامش كتاب الملائى أسماء وقمت له زائدة ثم سمها ولده ولي الدين الى من ذكره الملائى وجعله تصنيفاً مستقلاً وزاد فيه من تتبعه شيئاً يسيراً وصنف ابراهيم ابن محمد الحلبي (٢) كتابه التبيين في أسماء المدلسين زاد فيه عليهم قليلاً وجميع ما في كتاب الملائى ثمان وستون نفساً زاد عليهم ابن العراقي ثلاث عشرة نفساً وزاد عليه الحلبي اثنتي عشرة نفساً وابن حجر المصقلاني تسعاً وثلاثين نفساً فجمله ما فيه اثنتان وخمسون نفساً ومائة وللبيروني رسالة في أسماء المدلسين

٥ المصنفات في رجال كتب مخصوصة — منها رجال البخاري لاحد بن محمد الكلابةذي (٣) ورجاله أيضاً لمحمد بن داود الكردي (٤) ورجال مسلم لاحد ابن علي المعروف بابن منجويه (٥) ورجاله أيضاً لاحد بن علي الاصماني (٦) ومن جمع بين رجالهم محمد بن طاهر المقدسي (٧) جمع بين كتابي ابن منجويه والكلابةذي وأحسن في ترتيبه على الحروف واستدرك عليهما وكذلك جمع بينهما هبة الله المعروف باللالكاشي (٨) ومن افرد رجال السنن لابي داود حسين بن محمد الجبائي (٩) وجمع رجال الموطأ السيوطي ورجال المشكاة لصاحبها محمد بن عبد الله الخطيب ورجال الاربعة — موطأ مالك ومسنند الشافعي ومسنند أحمد ومسنند أبي حنيفة — لابن حجر المصقلاني ورجال السنن الاربع — سنن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه — لاحد بن أحمد الكردي (١٠) ومن جمع رجال الكتب الستة أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي (١١) في كتابه الكمال في معرفة الرجال وتهذيبه لجمال الدين يوسف بن الزكي المزني (١٢) وهو كتاب كبير يقع في ثلاثة عشر مجلداً لم يؤلف مثله واکمال التهذيب لعمربن علي بن الملقن (١٣) وزوائد الرجال على تهذيب الكمال للسيوطي . وللهذه مختصرات كثيرة منها الكاشف للحافظ الذهبي قال فيه : هذا مختصر في رجال الكتب الستة الصحيحين والسنن الاربع مقتضب من تهذيب الكمال للمزني يقتصر فيه على ذكر من له رواية في الكتب الستة دون من عدلهم ما في كتاب المزني ومنها تهذيب التهذيب لابن حجر وهو أكمل من كاشف الذهبي وقد

(١) توفي سنة ٨٠٦ (٢) ٨٤١ (٣) ٣٩٨ (٤) ٩٢٥ (٥) ٤٧٨ (٦) ٤٧٨ (٧) ٥٠٧ (٨) ٤١٨ (٩) ٤٩٨ (١٠) ٧٦٣ (١١) ٦٠٠ (١٢) ٧٤٢ (١٣) ٨٠٤

أضاف إليه ابن حجر بعض التراجم التي عثر عليها كما اختصره في كتابه تقريب التهذيب. وقد جمع الحافظ أبو المحاسن الدمشقي (١) في كتابه التذكرة رجال العشرة

« ج » وفيات المحدثين

كثير من الكتب الجامعة لرجال الحديث يتعرض في الأكثر لذكر الوفيات وقد أفرده الوفيات بالتأليف جمع من العلماء فقد ابتدأ أبو سليمان محمد بن عبد الله الحافظ بجمع وفيات النقلة من وقت الهجرة فوصل إلى سنة ٣٣٨ ثم ذيل على كتابه أبو محمد بن عبد العزيز الكتاني الحافظ (٢) ثم ذيل على الكتاني هبة الله بن أحمد الأكفاني ذيلًا صغيرًا ١٠١٠ - مل على نحو عشرين سنة وصل فيه إلى سنة ٤٨٥ ثم ذيل على الأكفاني علي بن مفضل المقدسي (٣) إلى سنة ٥٨١ ثم ذيل على ابن المفضل عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٤) ذيلًا كبيرًا في ثلاث مجلدات سماه التكتلة لوفيات النقلة ثم ذيل على المنذري تلميذه عز الدين أحمد بن محمد إلى سنة ٦٧٤ وذيل على عز الدين أحمد بن إيبك الدمياطي إلى سنة ٧٤٩ وذيل على ابن إيبك الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (٥) والكل مرتب على حسب وفياتهم في السنين والشهور لأعلى ترتيب حروف الهجاء ومن الكتب المفردة بوفيات النقلة تاريخ البرذالي القاسم بن محمد الدمشقي (٦) وقد ذيل عليه تقي الدين بن رافع من سنة ٧٣٧ إلى سنة ٧٧٤ وذيل ذيل تقي الدين بن حجر. ومنها وفيات الشيوخ لمبارك بن أحمد الانصاري. ولا إبراهيم بن اسماعيل المعروف بالحلب (٧) كتاب الوفيات

« د » معرفة الاسماء والكنى والالقب

من رواة الحديث من يكون مشهوراً باسمه دون كنيته أو لقبه أو مشهوراً بكنيته أو لقبه دون اسمه وقد ألف العلماء في بيان أسماء ذوي الكنى وبيان كنى المشهورين بالاسماء وكذلك ألفوا في بيان ألقاب ذوي الاسماء كما ألفوا في نحو ذلك حتى لا يشتبه راو بأخر ولا يظن لقب شخص أو كنيته اسماً لئلا فيعد الثقة ضعيفاً أو الصادق كاذباً أو يمسك الاسم

فمن ألف في النوع الاول علي بن المديني والسائي والحاكم وابن عبد البر وكثيرون غيرهم وللحافظ الذهبي كتاب المقتنى في سرد الكنى وهو من أجل الكتب المؤلفة في هذا النوع

ومن كتب في بيان كنى المعروفين بالاسماء ابو حاتم بن حبان البستي ومن صنف في الالقاب ابو بكر الشيرازي (١) وابو الفضل الفلكي في كتابه منتهى الكمال وابن الجوزي (٢) وابن حجر السقلائي

المؤلف والمختلف والمتفق والمفترق والمشتبه من الاسماء والانساب

من الاسماء والانساب ما يأتلف في الخط صورته ويختلف في اللفظ صيغته كلام بتخفيف اللام وسلام بتشديدها ويسمى المؤلف والمختلف ومنها ما يتفق خطه ولفظه ولكن يفترق شخصه كاخليل بن احمد اسم لعدة أشخاص ويسمى المتفق والمفترق ومنها ما تتفق فيه الاسماء خطأ ولفظاً وتختلف الآباء أو النسب لفظاً مع ائتنلافها خطأ أو بالعكس كمحمد بن عقيل بكسر القاف ومحمد بن عقيل بفتحها وشرح بن النعمان وسريح بن النعمان الاول بالشين المعجمة والحاء المهملة والثاني بالسین المهملة والجيم ويسمى هذا النوع بالمشتبه

ومعرفة هذه الأنواع مهمة . قال علي بن المديني أشد التصحيف ما يقع في الاسماء ووجه بعضهم بانه شيء لا يدخله القياس ولا قبله شيء يدل عليه ولا بعده، ولانه يخشى ان يظن الشخصان شخصاً واحداً اذا اتفقت الاسماء وفي ذلك ما فيه من الخلط بين الرواة

ولقد ألف المحدثون في كل هذه الأنواع فصنف في النوع الاول ابو احمد العسكري لكنه أضافه الى كتاب التصحيف له ثم أفرد بالتأليف عبد الغني بن سعيد (٣) فجعل فيه كتابين كتاباً في مشتبه الاسماء وكتاباً في مشتبه النسبة وجمع شيخه الحافظ الدارقطني (٤) كتاباً حافظاً لجمع احمد بن علي الخطيب (٥) ذيلاً لاسماء المؤلفات تكملة للمختلف ثم جمع الجميع ابو نصر علي بن هبة الله بن ماكولا (٦) وجعله كتاباً حافظاً لاسماء الاكمال واستدرك عليهم ما فاتهم في كتاب آخر جمع فيه أوهاهم وبينها وكتابه من أجمل ما جمع في ذلك وهو عمدة كل محدث بعده وقد استدرك عليه محمد بن عبد الغني المعروف

بأين نقطة الجنيلي (١) ما فاته أو تجدد بعده في مجلد ضخم ثم ذيل عليه منصور ابن سليم (٢) في مجلد لطيف وأبو محمد بن علي الدمققي (٣) وذيل على ذيليهما علاء الدين بن مغلطاي (٤) لكن أكثره في أسماء الشراء وأنساب العرب وقد جهم الذهبي في ذلك كتاباً مختصراً جداً اعتمد فيه على الضبط بالقلم فكثرت فيه الغلط والتصحيف المبين لموضوع الكتاب وقد وضحه الحافظ ابن حجر في كتابه تبصير المنتبه بتحرير المتن وهو مجلد واحد ضبطه بالحروف وزاد عليه شيئاً كثيراً مما أهمله الذهبي أو لم يقف عليه وقد ألف فيه أيضاً يحيى بن علي المصري المؤرخ (٥) ومحمد بن أحمد الأيوبي (٦) وعبد الرزاق المروفي بأين النول (٧) في كتابه تلخيص الانعام في المختلف والمؤتلف وعلي بن عثمان المارديني (٨)

ومن ألف في النوع الثاني أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب في كتابه المتنق والمفتق وكذلك ألف الخطيب في النوع الثالث في كتابه تلخيص المتنباه ثم ذيل عليه هو أيضاً بما فاته وكتابه كثير الفائدة

علم ناسخ الحديث ومنسوخه

إذا سلم الحديث المقبول من المعارضة سمي محكماً وإن عورض بمثله وأمكن الجمع بين المتعارضين بلا تصف فذلك مختلف الحديث وإن لم يمكن الجمع وثبت تأخر أحدهما فالمتأخر يقال له الناسخ والمتقدم يطلق عليه المنسوخ وقد ألف في ناسخ الحديث ومنسوخه جمع كثير منهم أحمد بن إسحاق الديناري (٩) ومحمد بن يهر الاصهاني (١٠) وأحمد بن محمد النحاس (١١) وأبو محمد قاسم بن أصبغ (١٢) ومحمد بن عثمان المروفي بالجمد الشيباني وربة الله بن سلامة (١٣) ومحمد بن موسى الجازمي (١٤) في كتابه الاعتبار في ناسخ الحديث ومنسوخه وأبو حفص عمر بن شاهين (١٥) وقد اختصر كتابه إبراهيم بن علي المروفي بأين عبد الحق (١٦) في مجلد وللامام عبد الكريم بن هوزان التفسير في كتاب في ذلك أيضاً

- (١) توفي سنة ٦٢٩ (٢) ٦٧٣ (٣) ٦٨٠ (٤) ٧٦٣ (٥) ٤١٦ (٦) ٥٠٧
(٧) ٧٢٣ (٨) ٧٥٠ (٩) ٣١٨ (١٠) ٣٢٢ (١١) ٣٣٨ (١٢) ٣٤٠ (١٣) ٤١٠
(١٤) ٥٨٤ (١٥) ٣٨٥ (١٦) ٧٤٤

علم تليق الحديث

هو علم يبحث فيه عن التوفيق بين الاحاديث المتناقضة ظاهراً اما بتخصيص العام تارة أو بتقييد المطلق أخرى أو بالحل على تمدد الحادثة الى غير ذلك من وجوه التأويل ويطلق عليه مختلف الحديث وعن ألف فيه الامام محمد بن ادريس الشافعي (١) ولكنه لم يقصد استيعابه وعنده الله بن مسلم المعروف بابن ليثبة «٢» وأبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي «٣» والفلحاوي «٤» ولا بن الفرج بن الجوزي «٥» التحقيق في احاديث الخلاف وقد اختصره ابراهيم بن علي بن عبد الحق.

علل الحديث

معرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث وادقها واشرفها ولا يقف عليها الا من رزقه الله فها ثاقباً وحفظاً واسماً ومعرفة تامة بمراتب الرواة وملكة قوية بالاسانيد والمتون ولهذا لم يتكلم فيه الا القليل من أهل هذا الشأن، وعلل الحديث عبارة عن أسباب خفية غامضة قاذجة فيه من وصل منقطع أو رفع موقوف أو ادخال حديث في حديث أو نحو ذلك وكل هذا مما يقدح في صحة الحديث

وعن كتب في هذا النوع ابن المديني «٦» وابن أبي حاتم «٧» وكتابه قيم والخلال «٨» والامام مسلم «٩» وعلي بن عمر الدارقطني «١٠» ومحمد ابن عبد الله الحارثي «١١» وأبو علي حسن بن محمد الزباجي وألف فيه أيضاً ابن الجوزي

علم مصطلح الحديث

أول من ألف في علوم الحديث أو مصطلحاته في غالب الظن القاضي ابو محمد الزاهر مزي (١٢) في كتابه المحدث الفاضل بين الراوي والسامع وقد وجدت قبله مصنفات لكن في بعض فنون الحديث فقط وكتابه أجمع ما جمع في زمانه

«١» توفي سنة ٢٠٤ «٢» ٢٦٣ «٣» ٣٠٧ «٤» ٣٢١ «٥» ٥٩٢
«٦» ٢٣٤ «٧» ٣٢٧ «٨» ٣١١ «٩» ٢٦١ «١٠» ٣٧٥ «١١» ٤٠٥

وان لم يستوعب، ثم توسع العلماء في هذا الفن وأول من تصدى لذلك الحالم محمد بن عبد الله التيسابوري وقد اشتمل كتابه على خمسين نوعا لكنه لم يرتب ولم يهذب وتلاه أبو نعيم الاصبهاني فعمل على كتابه مستخرجا وأبقى أشياءه للتعقب ثم جاء أحمد بن علي المعروف بالخطيب (١) فصنف في قوانين الرواية كتابا سماه الكفاية وفي آدابها كتابا سماه الجامع لأدب الشيخ والسامع وقل من فنون الحديث الا وقد صنف فيه كتابا فكان كما قال ابن نقطة كل من أنصف علم ان الحديثين بعد الخطيب عيال على كتبه ثم جاء بعد الخطيب من أخذ من هذا العلم بنصيب لجمع القاضي عياض (٢) كتابا لطيفا سماه الالماع وأبو حفص الميمني جزء سماه ما لا يعم المحدث جهله ثم ألف الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (٣) كتابه الشهير المطبوع ذكر فيه خمسة وستين نوعا وقد اعتنى به العلماء عناية عظيمة بين معارض له أو منتصر أو ناظم له أو مختصر أو شارح له أو مستدرك عليه ومن المختصرين له محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٤) في كتابه الارشاد ثم اختصر مختصره في كتابه التقريب والتيسير وقد شرح السيوطي التقريب بكتابه تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي وهو من أجل الشروح. وقد عمل الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٥) الفية لخص فيها علوم ابن الصلاح وزاد عليها أولها

يقول راجعي ربه المعتذر عبد الرحيم بن الحسين الانري

وقد أنما سنة ٧٦٨ وحمل عليها شرعا سماه فتح المغيث أنما سنة ٧٧١ وقد عمل برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٦) حاشية عليه سماها النكت الوفية بما في شرح الالفية أورد فيها ما استفاده من شيخه ابن حجر وقد بلغ الى نصفه وشرح الالفية كثيرون ولعل أحسن الشارحين محمد بن عبد الرحمن البخاوي (٧) وقد نظم السيوطي الفية جمعت كثيرا من الفوائد أولها
 لله حمدي واليه استند وما ينوب فمليه أعتمد
 علم على نبيه محمد خير صلاة وسلام سرمد

٨٠٥ « ١ » توفي سنة ٤٦٣ « ٢ » ٥٤٤ « ٣ » ٦٤٣ « ٤ » ٦٧٦ « ٥ » ٨٠٥

٩٠٢ « ٧ » ٨٥٥ « ٦ »

وهذه الفية تحكي الدرر منظومة ضمنها علم الاثر
فاتحة الفية المراقي في الجمع والايجاز واتساق
ومن المتون الجامعة الممتعة نخبه الفكر في مصطلح أهل الاثر لشهاب
الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني وقد شرحها بكتابه زهرة النظر في توضيح
نخبه الفكر وهو شرح وجيز جليل، وقد شرحها كثيرون كما نفلها أحمد بن
صدقة «١٥» ومحمد بن اسحاق المقدسي «٢» وقد ألف كثيرون في علوم الحديث
كمحمد بن المنفلوطي «٣» وابن الملقن «٤» وابن الحريري «٥» ولكن ما ذكرنا
مستقى كل من كتب وفيه الفية عن غيره
ولا يفوتنا قبل ختم هذا الفصل كتاب توجيه النظر في أصول الاثر
لمعاصرنا الشيخ طاهر الجزائري فانه كتاب جمع بحقيقات لطيفة ومسائل دقيقة
ووفى المصطلح من الابانة حقّه وان كان جما بما سبقه وقد كان من أهم الكتب
التي عولنا على الرجوع اليها في كتابة هذه الرسالة

تو تخریج أحادیث مؤلفات محمودة

له در علماء الحديث سموا في توفير الراحة للطلاب العلم فسهلوا لهم
عبيره وكشفوا لهم عن غوامضه وكفهم النساء ومؤنة البحث والتنقيب
علموا انك ستتناول كتابا من كتب التفسير الشهيرة أو من كتب الفقه السائرة
أو ما نحا نحو ذلك وان سيمر بك أحاديث مختلفة لم يذكر لها سند ولم تنسب
لاصل من أصول السنة وأنت ستقف عند ذلك تتطلب درجة الحديث لتعرف
قيمة الاستدلال به وإيصاله الى الغرض الذي سبق له وانهم ان وكلوك الى
نفسك كلفوك شاقا وأوردوك صعبا وربما لم يكن لك في فنون الحديث باع
فأمسكوا بالكتاب وجموا ما فيه من الاحاديث وعزوها الى روايتها وبينوا
درجاتها فاعليك سوى نظرة تحظى فيها بالبنية واني ذاكر لك من ذلك ما
وصل الى علمي

١ تخریج أحادیث الكشف - في التفسير - لجمال الدين محمد عبد الله
الحسني (٦) في مجلد

«١» توفي سنة ٩٠٥ (٢) حوالي ٩٠٠ (٣) ٧٠٢ (٤) ٨٠٤ (٥) ٨٣٣

٧٦٢ (٦)

(المجلد الثاني، الثالث، والرابع)

(١٦)

(المار: ٥)

٢ التمتع السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي - في التفسير - للشيخ عبد الرؤوف المناوي «١»

٣ الطرق والوسائل الى معرفة خلاصة الدلائل شرح مختصر القدوري - في فقه الحنفية - لاحد بن عثمان التركماني «٢»

٤ تخريج أحاديث الهداية - كتاب شهير في فقه الحنفية - لمحمد بن عبد الله «٣» وكذلك لمحمد بن يوسف الزيلعي «٤» وقد طبع بالهند

٥ تخريج أحاديث الشرح الكبير للوجيز - في فقه الشافعية - لسراج الدين عمر بن علي الانصاري «٥» ويقع في سبع مجلدات وقد تلخصه ابن حجر العسقلاني في ثلث حجومه مع زيادات عليه

«٦» تخريج أحاديث المنهاج - في فقه الشافعية - لسراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن

٧ كتاب المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار - أي كتاب احياء علوم الدين - لمحمد الرحيم بن الحسين العراقي «٦» وقد طبعه الحلبي في مصر بهامش الاحياء فأحسن صنفاً

٨ ادراك الحقيقة في تخريج أحاديث الطريقة - في الموعظة - لعلي بن حسن ابن صدقة المصري ثم الجبائي فرغ من تأليفه سنة ١٠٥٠

الخاتمة

سنعتقد في هذه الخاتمة فصولاً يجدر بمشاق الحديث معرفتها وبهمهم الوقوف عليها فنقول وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا

متى يحتاج بالحديث

قد رأيت أكرمك الله أن آتي بكلمة موجزة تكون لديك بمثابة ميزان تعرف به ان كان الحديث مقبولا فيسوغ لك الاحتجاج به أو مردوداً فترفض الاعتقاد والعمل به فأقول ينقسم الحديث الى مقبول ومردود، فالمقبول ما رواه عدل ضابط لما يرويه بسند متصل مع خلوه من الشذوذ والاعلال. والشذوذ مخالفة الثقة من هو أرجح منه والاعلال وجود أمر خفي يقدر في صحة

«١» توفي بعد ٩٠٠ «٢» ٧٤٤ «٣» ٧٧٥ «٤» ٧٦٢ «٥» ٧٠٤

الحديث كوصل منقطع أو رفع موقوف، ثم المقبول ان سلم من المعارضة يسمى محكما وان عورض بمثل فان أمكن الجمع بنفي تهـفـفـو مختلف الحديث وان لم يمكن الجمع وثبت تأخر أحدهما عرف المتأخر بالناسخ والآخر بالمسوخ وان لم يثبت فان أمكن الترجيح بين الحديثين صير اليه . والاتقنا عن العمل بهما والحديث المردود ما وجد فيه أحدا من الاول عدم الاتصال في السند والثاني وجود أمر في الراوي يوجب طمنا فيه . ودرجات الطعن في الراوي عشرة الكذب والتهمة به وغش النلط والغفلة عن الاتقان والوهم . بأن يروى على سبيل التوهم ومخالفة الثقات والفسق وجهالة الراوي والبدعة وسوء الحفظ . ولعلماء تفصيل في هذه الدرجات فالمحققون يقبلون رواية المبتدع في غير ما يؤيد بدعته وقال بعضهم ما لم يكن داعية ، ولهم في العمل بالحديث الضعيف الذي لم يشتد ضعفه أقوال وشروط يميزونه بها أو يقدمونه على القياس كما يمل من كتب أصول الحديث وأصول الفقه

كيف نأخذ السنة الآن ؟

كانت السنة في القرون الاولى تؤخذ من أفواه الشيوخ وقلماء كان الرواة يثقبون بالخطوط وكان اتصال سند الراوي بالرسول (ص) مع عدالة المروي عنهم وكمال ضبطهم أمرا لا يحصى عنه حتى يحوز الحديث درجة الصحة فقلان صنف كتب الصحاح المشهورة وذاعت في الاقطار المختلفة قامت شهرتها مقام تواترها فلم تبق حاجة لاتصال السند منا الى مصنفها في كل حديث دون فيها وأصبح الاعتماد على الكتاب فوق الاعتماد على الشيوخ ، قال أبو عمرو بن الصلاح (١) اعلم أن الرواية بالاسانيد المتصلة ليس المقصود منها في عصرنا وكثير من الاعصار قبله اثبات ما يروى اذ لا يخلو اسناد منها عن شيخ لا يدري ما يرويه ولا يضبط ما في كتابه ضبطا يصلح لان يتمد عليه وانما المقصود بها بقاء سلسلة الاسناد التي خصت بها هذه الامة ، أقول وهذا هو الغرض بعينه في عصرنا والمقصود السالفة قبله في محافظة الشيوخ على سلسلة السند الى مصنفي الكتب الشهيرة كالبخاري ومسلم انما الواجب على أمثالنا أن يتثبتوا من أمور ثلاثة كون الكتاب الذي يروون الحديث عنه صححت نسبته الى مؤلفه أو تواترت والبحث في سند

الحديث الذي روي به في ذلك الكتاب وخلوه من الغلط والتحريف والدخيل وسبيل معرفة الثالث ان تقابل نسخة من الكتاب الذي يراد الاخذ عنه بسح أخرى منه مختلفة في الرواية - ان كان ثم اختلاف فيها - أو بنسخ متعددة منه - ان لم يكن اختلاف في الرواية - فاذ ذاك يطش القلب الى تلك النسخة وتبين له درجة صحتها وخلوها من العيوب فيقوم ذلك مقام تعدد الرواة

وعلى ذلك ينبغي لمن رام طبع كتاب من كتب السنة أن يقابل الاصل الذي لديه بأصول متعددة حتى تسكن لصحتها نفوس القارئین ويكنبهم بذلك مؤونة المقابلة ان كان من المدول الثقات

وان مما يؤسف له ان كثيراً من كتب الحديث التي طبعت لم تعط من العناية في التصحيح ما ينبغي لغير جليل كالحديث ولم تضبط بالشكل الذي هو أيسر الامور واقل ما يراعى في سنة الرسول فعسى أن يتنبه لذلك الطابعون بعد ويولوا هذا الفن من عنايتهم ما يلائم كبير مقامه وعظيم شأنه

الاستنباط من السنة وأثره فيها

لم تكد المائة الثالثة تؤذن شمسها بالغروب حتى أخذ مصباح الاجتهاد ينكمش ضوءه ويتضاءل فيه بل كاد ينمحي أثره . فبعد ان كانت عقول النابهين مطلقة السراح في رياض القرآن والسنة تستنبط منها الاحكام وتفصل بها في الحوادث وتحكمها في الامور الجلى أصبح الناس منصرفين عنها لاهين أبقاويل الفقهاء ينتصر كل لآمامه ويسمى في تأييد مذهبه وان خالف صريح السنة فاقسم الناس في الفروع شيعاً واحزاباً وقامت معركة الجدل والناظره بينهم واستمرت عدة قرون وكانت عاقبتها ان اعتصم كل بما عنده واطمأنت نفسه اليه . وعول في العمل عليه ، ورفض أن ينظر في أقوال خصمه الا ليدحضها أو يضع من شأنها فتناسى الناس بذلك المحيط الشاسع والقاموس الواسع الذي من مائه نمت عيون فقههم ومن هباته كوت مذهبهم اعنى بذلك الكتاب والسنة لقد كان الاستنباط من السنة أكبر عامل على احيائها وخير مشجع على خوض غمارها فانكب الناس عليها دارسين وآخذين وناقدين ومؤلفين ولم يتركوا

ناحية منها لا تبيينوها ولا شبهة الا دحضوها ولا فرية الا قتلوها
فلما ركنوا الى التقليد وتركوا الاجتهاد جانباً شغلهم كتب القروع عن
السنة وشفغوا بدراستهم لها عن ورودها ورأوا - خطأ أو صواباً - ان فيها
بغيتهم، وان السنة فرغت منها حاجتهم . وما لهم وللسنة وقد أوصدت في وجوههم
أبواب الاخذ منها وحظر عليهم ان يقولوا سوى ما قاله الاصحاب فالهم ينسبون
ولا يمنون، ويكدون ولا يستفيدون

نعم كان من الناس من يتطلبها لما فيها من أخلاق ومواعظ وآداب ورقائق
أو تبركاً بحديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه

على ان ذلك لم يمنع من وجود اعلام نابهين في العصور المختلفة درسوا
السنة حق دراستها وعرفوها حق معرفتها وأطلقوا لانفسهم حرية الاخذ عنها
كابن عمر بن عبد البر وابن حزم الاندلسي وابن تيمية الحراني وتلميذه ابن القيم وابن
حجر المسقلاني وأبي بكر السيوطي والشوكاني وكثير غيرهم فهزلوا وأماهم ممن
تقدم ذكرهم تحت عنوان الجرح والتعديل - قاموا للسنة بخدمات جليلة وزادوا
الناس التفاتاً اليها وشفغاً بها فلمهم منا جزيل الثناء ووافر الشكر

حال السنة في عصرنا الحاضر

كان خليقاً بالازهر وفروعه - وهو كعبة العلوم الدينية - ان تكون للسنة
فيه عناية كبيرة ومقام عال يبرز علوم الدين ولكن للأسف بخس الحديث في هذا
المعهد الكبير حققه - بمدان انتهت اليه الرياسة فيه على عهد الحفاظ ابن حجر وتلاميذه
فلأوليه الازهر يوم من نشاطهم وطويل وقته ما أولوا الفقه وأصوله وعلوم
المرية فلأزهرهم يدرسون سوى صحيح البخاري وصحيح مسلم على قلة قراءتهم
لثاني واقتصار الكثيرين على مختصر الاول مع حجرهم على الأفكار ان تفهم الا
ما فهمه الشيوخ وسلوكهم في تفسير الاحاديث مسلك تأييد المذاهب وتزويل المعاني
عليها كأنما القروع أصل من أصول السنة أو المنبع الاول للتدريج الاسلامي
ثم ان دراساتهم لهذه الصنوين لا تعدو المتن الى السند فلا يبحثون
فيه ولا يتعرفون رجاله ولا يثبتون ان كان متصلاً أم منقطعاً مع انهم يدرسون
قبل ذلك مسطرح الحديث فا الفائدة فيه اذا لم يلقوه في دراسة المتن
والاسانيد - ربما قالوا ذلك من باب العلم بالشيء ولا الجهل به، وربما قيل لهم

أهذا هو علم السنة المطلوب شرعاً
ولقد أخذ بعض الاساتذة الاجلاء يدرس الكتب الستة في العطة الصيفية
وبدأ منها بكتاب الموطن ورجوا ان يوفق لاتمامها وأن ينفع ذلك في روع
الازهرين حب التفوق في الحديث والعناية بكتبه
وقد وجد بين الازهرين في هذه الايام أفراد عتوا بدراسة السنة دراسة كاملة
وأطلقوا لانفسهم حرية البحث والفهم وراضوا أنفسهم في كتب السنة المختلفة
وانهم لبشير خير بتبدل الاحوال واحلال العناية بالحديث محل الاهمال
ولما كانت مجلة المنار سلفية المنهج وكانت عنايتها موجهة الى محاربة البدع
والرجوع بالدين الى ما درج عليه الرعيل الاول من السلف، وكان ذلك داعياً للعناية
بالسنة والبحث فيها وفي فنونها والاستدلال بها في الفتاوى وغيرها، كان لها أثر
صالح في نشر السنة وتكثير سواد الطالبين لها في الاقطار الاسلامية المختلفة
ولا يوجد في الشعوب الاسلامية - على كثرتها واختلاف أجناسها - من
وفي الحديث قسطه من العناية في هذا المصير مثل اخواننا مسلمي الهند وللك الذين
وجد بينهم حفاظ للسنة ودارسون لها على نحو ما كانت تدرس في القرن الثالث
حرية في الفهم ونظر في الامانيد كما طبعوا كثيراً من كتبها النفيسة التي كادت
تذهب بها يد الاهمال، وتقضي عليها غير الزمان، وان أساس تلك النهضة في
البلاد الهندية أفذاذ اجلاء تمخضت بهم المصور الحديثة واتهجوا في تحصيل
العلوم نهج السلف فنبه شأنهم وعلا أمرهم وذاع صيتهم وتكونت جمعيات سالت
سبيلهم وعملت على نشر مبادئهم فكان لها ذلك الاثر الصالح، والسبق الواضح،
ومن أشهر هؤلاء الاعلام ولي الله الدهلوي صاحب التصانيف في اللغتين العربية
والفارسية وأشهرها كتاب حجة الله البالغة، والسيد حسن صديق خان ملك
بهوبال صاحب التصانيف الكثيرة أيضاً وقد سبق ذكرهما في هذه الرسالة
ومن حسنات الثاني طبع فتح الباري في شرح البخاري للعافظ ابن حجر ونبيل
الاطار للامام الشوكاني وتفسير الحافظ ابن كثير مع تفسيره فتح البيان. طبعت
هذه الكتب على نفقته في المطبعة الاميرية بمصر فكانت من أنجح وسائل احياء السنة،
وفي الهند الآن طائفة كبيرة تهتدي بالسنة في كل أمور الدين، ولا تقلد أحداً
من النقيض ولا المتكلمين، وهي طائفة المحدثين، وقد كان لم السنة سوق رائجة
في اليمن بمد كساد سوقها بمصر بعد القرن العاشر

وان من آكد الامور على المسلمين وأحقها بالرعاية وأولاها بالعناية العمل على احياء السنة ونشرها بين المسلمين فانها داعية الى التوحيد في العمل والاعتقاد ومزيلة ما بين الفرق المختلفة من الشحنة والمدا لانها رجوع الى أصل الدين وكل يقر به وينتمى اليه وفي ذلك تقوية شوكتنا وأنهاضنا من كبوتنا التي ملأ أمدها واستفعل أمرها

كيف تقرب الى الناس تحصيل السنة ؟

بيننا تحت عنوان - الجمع بين الكتب الستة - ان ابا السعادات مبارك ابن محمد المعروف بابن الاثير الجزري جمع بين الاصول الستة التي بينا فيما سلف أمرها واسمى كتابه جامع الاصول لا حاديت الرسول وتكلمنا على هذا الجامع بما يغنيننا عن اعادته هنا وذكرنا اذذاك ان لابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزيادي زوائد عليه سماها تسهيل الوصول الى الاحاديث الزائدة على جامع الاصول فلو اننا جمعنا بين الجامع وزوائده على نحو ما جمع بين الكتب الستة وعقبنا كل حديث ببيان درجته وذكر من ملعن فيهم من رجال سنده وجعلنا لكل كتاب ذيلًا يذكر فيه اولئك الملقون فيهم مرتبة اسماءهم حسب الحروف الابجدية مشفونًا كل شخص بما قاله أئمة النقد فيه من جرح وتعديل على نحو ما فعل المنذري في كتابه الترغيب والترهيب

لو اننا فعلنا ذلك لكننا مقرين الى الناس تحصيل السنة وجاعلها على طرف الثمام يتناولونها من كتب ويقتبسون منها بلاعناء ولا اجهاد فكل ولا كثرة بحث وان هذا العمل الجليل وذلك القاموس الكبير يستطيع ان يقوم به فرد مارس الحديث ممارسة طويلة وكان له بفنونه خبرة مع حكمة وعزم وأناة وصبر وينبغي ان يقوم ببلعه شركة تبني بعملها فضلًا من الله ورضوانا حتى تنفق عليه بسخاء وتبرزه في خير حلة وأجل جلباب

ولو شفع ذلك بشرح واسع يلازم روح المصير الحاضر يقوم به جماعة كل فيما ينبغي وبذل حياته في اتقائه لكان ذلك من خير الامور وأجل الخدمات ولا اظن فردًا بقدر على ذلك كله مع الاحسان لان السنة فيها طب واحكام وآداب واخلق واحاديث صفات وكل هذي فروع واسعة لا يتسع في واحد منها الا من بذل فيه جهده، وحبس على تعلمه نفسه. فعلى الطبيب ان يشرح ما

ورد في الطب، وحرى بالفقهاء الحاذق ان يبين احاديث الاحكام، وجدير بالواعظ
الاديب ان يوكل اليه الكتابة على احاديث الآداب والاخلاق والمراغظ والرقائق،
وعلى المتكلم ان يوضح احاديث الصفات سالكا طريقة اهل السنة من السلف
الصالح. وهكذا يقوم كل خصيص بفن يشرح ما يناسب فنه من احاديث
الكتاب على شرط ان يكون متشبها بروح الدين عليا بثبوت المعسر الحاضر
خيرا بالامور العدنة والمعاملات المستجدة

وبوجد كتابان جليلان يد كل منهما حاجة طالما تاقت النفوس الى سدها
احدهما المنتقى لابن تيمية مع شرحه نيل الاوطار للشوكاني وتاثيرها الترغيب
والترهيب للمنفذ فالاول يعني كل من رام الوقوف على احاديث الاحكام
وشرحها شرحا وافيا مع ذكر اقوال العلماء فيها والثاني يعني الوعاظ المرشدين
وبهيم مادة واسعة ليس فيها من شبهة ولا يعتري صحتها فقرة، وحرى بالفقهاء
والمتفتلين بالقانون ان يدرسوا الاول دراسة وافية ويتعرفوه معرفة كاملة،
وجمل بالناصح الامين ان يجمل الثاني اسوته في ارشاده وان يحفظ من احاديثه
ما يمينه على القيام بعمله ويسهل عليه أداء مهنته

ماذا نعمل لنشر السنة ؟

كل عمل يقوم به جماعة متماسكة خليق ان يبقى ويظهر له في الناس اثر
بين، وامام يقوم به الافراد انه يبقى مابق العزم فيهم ماضيا وعامل الاخلاص
في نفوسهم فائما، ثم هو بعد ذلك ضئيل الاثر قليل الجدوى وماذا تبلغ نفس واحدة
من نفوس المسلمين، الذين تجاوز عددهم مئات الملايين. فاذا مارمنا للسنة نشرأ
ولسلطانها بسطا ولعبيرها اذاعة فعلينا ان نكون حمية دينية يكون أفرادها
من خلاصة المعتصمين بالسنة والمتشبعين بروح هذا الدين ويكون مركزها في صرة
البلاد الاسلامية وقطب الرحي منها أعني بلادنا المصرية. ويكون لتلك الجمعية
فروع في الممالك الاسلامية ويكون للفروع أغصان في الولايات الصغيرة والمدن
الكبيرة ويكون شمارها قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)
وقوله (ص) (شيثان لن تفلوا بمني ماتمسكتم بها كتاب الله وسنة رسوله)
وان هذه الجمعية يقوم صرحها على أمور أربعة اخلاص وعزم وحكمة
وصبر، ومنى وجدت هذه الامور سهل تكوين ثروة لها تكون مادتها وعضدها

في نشر مبادئها، وأرى ان تكون الثروة من اشتراكات يدفعها الاعضاء الجمعية وفروعها وأغصانها وبما يوجد به أهل البر والاحسان واذاسعى الاعضاء وضموها الى جانبهم بعض الملوك أو الامراء كان ذلك خير مشجع لهم وتمم لعملهم وعلى الجمعية ان تقوم بطبع كتب الحديث القيمة مقدمة الامم على المهم وعلى كل عضو أن يقوم بتعليم العامة والخاصة وإرشادهم الى ينبوع هذا الدين كتاب الله وسنة رسوله (ص) ولا يقصر إرشاده على الوعظ في المساجد بل يعممه في الاندية المختلفة والجمعيات العامة ودور العلم ومدارسه فان في هذه توسعاً أخرج الى الموعظة وأجدر بالإرشاد من الركن السجود

وليكن للجمعية حرص بالغ على ان تضم اليها تلمذسين والمعلمين والخطباء والوعاظ فان اولئك اذا رشدوا هددوا كثيرين فيذبح اثار السنة بين الناس ويكثر أنصارها حتى يكونوا أمة يمينها القرآن ويسارها السنة وانهم السيفان ماضيان يكتسحان الالحاد، ويقضيان على الفساد، ويبصران طريق الرشاد وينتشان المسلمين من الضعف والذلة، الى حيث المنعة والعزة

فالهم بصرينا بديننا، واهدنا سبيل سلفنا، واجعل عمانا خالصةً لوجهك، لا نبني به الا خدمة دينك، وورقة سنة نبيك صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطاهرين، ومن تبعمهم باحسان الى يوم الدين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين... تم تأليف هذه الرسالة ليلة الجمعة ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٩ هـ ١١ فبراير سنة ١٩٢١ م

محمد عبد العزيز الخولي

(المنار) حمد الله عمل صديقنا مؤلف هذه الرسالة وأجزل ثوابه وأحسن ما به وحشرنا وإياه في زمرة أنصار السنة واب جميع الاعمال التي اقترح تأليف الجمعية لها في خاتمة رسالته هي بعض ما كنا نبني من جماعة الدعوة والارشاد، الا طبع الكتب فانه عمل أصحاب المطابع والشركات، وقد كان عزيز مصر العباس أعز الله به العلم والدين، ملتزماً بمدادها الدائم من أوقاف المسلمين، الاوقاف الخيرية العامة، وأوقاف أسرته المالكة الخاصة، فكان من سيئات الحرب العامة ومفاسدها، ان قطعت الحكومة المصرية اعانة الاوقاف التي كان قد أمر بمضاعفتها، فوقف عمل الجماعة وأقبلت مدرستها، ولا نياس من روح الله ان يمن بها دعته، وبورق أهل البصرة من أغنياء المؤمنين بمساعدتها، فهم لله الحمد كثيرون، ولكن أكثرهم غافلون

(المجلد الثاني والعشرون)

(٢٧)

(المنار: ج ٥)

الخيال في الشعر العربي

٥

التفاضل في التخيل

اتينا في الفصل الذي كنا بصد تحريره على الوجوه التي تفضل بها صور المعاني التخيلية اعني غرابة الجامع بين الاجزاء المؤلفة ثم التوسع في الخيال وبعده عن البساطة مم الالتئام بالذوق السليم ، فيصح لمن انتصب للموازنة بين الشعراء في التخيل أن يتخذ هذه الوجوه مدخلا للحكم وأساساً يبنى عليه في التفضيل

تمتد الموازنة تارة بالنظر الى معنى خاص يتناوله كل من الشعارين وهذا اما أن تتحد الواقعة فيه أو تختلف . وتارة تجري في غرض خاص يصوره كل منهما بغير ما يصوره به الآخر ، فهذه ثلاث حالات تضاف اليها حالة رابعة وهي المقابلة بين الشعارين يختلفان معنى وغرضاً ، وحالة خامسة وهي أن تقام الموازنة بين الشعارين على ان يقضى لاحدهما بالافضلية المطلقة

(الحالة الاولى) اعني ما تمعده الموازنة بالنظر الى معنى خاص والواقعة واحدة

كقول أبي عبد الله بن الزين النحوي يصف بركة نثر عليها الياسين:

نثر الغلام الياسين ببركة مملوءة من مائها المتدفق

فكانه نثر النجوم بأسرها في يوم صحو في سماء ازرق (١)

فاذا قسته بقول علي بن ظافر في هذه البركة نفسها

زهو الياسين ينثر في الما .. أم الزهر في اديم السماء

ظل يحكي عقود در على صد .. و فتاة في حلة زرقاء

رأيت كلا من الشعارين شبه الياسين بالنجوم بادية في السماء وتشبيه ابن

الزین في هذا الوجه اجود لانه ذهب به الخيال الى تفاصيل لم يأت عليها ابن ظافر

فاذا التفت الى تشبيه ابن ظافر في البيت الثاني رأيت خطوط هيئة النجوم والسماء

(١) المنار: فيه تذكير نمت السماء وقد أراد باليوم ما يم الليل وكان يمكنه التعبير به

عند مشاهدة الياسمين يلفو فوق الماء، أقرب من خطوط عقود الدر تتقلدها
الفتاة المتبرجة في حلة زرقاء، فيكون تشبيه علي بن ثاغر أجود لندرة المشبه به
وقلة ابتذاله بمشاهدة كل ذي عين باصره . ولولا أن ابن الزين أسند تر النجوم
الى الغلام ونبه على كثرة الياسمين بقوله: نثر النجوم بأسرها - لا تنفت عنه
المزية وكان تشبيهه من التخييلات الموضوعية في طريق كل من خطر على باله أن
يذهب في تصور المعنى من باب التشبيه . ومن هذا الضرب قول ابن المنجم
يصف مطلع الهلال عند غروب الشمس

وعشاء كأنما الافق فيه لا زرود مرصع بنضار
قلت لما دنت لمربها الشمس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه القرب ديننا رآ فاعشاء الرهن نصف سوار
مم قول ابن قلاص ولم يطلع على ما قاله ابن المنجم
لا تظنوا الظلام قد أخذ الشمس س وأعطى النهار هذا الهلالا
أنما الشرق أقرض القرب ديننا رآ فاعشاء رهنه بخلخلا

فقد سار الشاعران في التخييل على طريق واحد وزاد ابن المنجم على ابن
قلاص نظرة في السوار فلم يأخذ منه الا المقدار الذي يطابق حال الهلال وهو
الشرط فكان تخيله أحكم وقماً

(الحالة الثانية) وهي ما تكون الواقعة فيها مختلفة كقول بعضهم
خلقنا لهم في كل عين وحاجب بسر القنا والبعض عيناً وحاجباً
مع قول ابن نباتة

خرقنا بأطراف القنا في ظهورهم عيوناً لما وقع السيوف حواجب
فقد اتفق الشاعران على تصوير المعنى وهو تأثير السيوف والرماح في
أجسام الاعداء ولكن تصوير ابن نباتة أجود لانه يزيد على الاول بما فيه
من الانباء الى انهزامهم وتوليهم بظهورهم حتى تصنع فيها الرماح والسيوف
عيوناً وحواجب

ولا ينبغي عنك ان تفضيل بيت ابن نباتة انه يتم اذا تأملت الواقعتان أو
كان كل من البيتين صادراً عن تخيل محض . واما اذا قصد كل من الشاعرين
وصف الواقع وكان الاعداء المشار اليهم في البيت الاول لم ينهزموا بن بنوا
للطنن في وجوههم الى ان وقموا على مضاجعهم اولم ينلهم السلاح بعد ان ولوا

مدبرين لم يكن لك ان تفضل عليه بيت ابن نباتة من جهة التخييل وان اشار
الى معنى يعود الى مدح قومه بالشجاعة والمهارة في الطعن والفرب
ومن قبيل هذا الضرب قول عبد الرحمن الننداقى في وصف حال الندى
وتقاطره من زهر النرجس

والندى يقتل من رجه كدموع اسكبين الجفون
وقول ابن زيدون في مثله

تلوه بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال اعناقنا
كان أعينه اذ عاينت ارقى بكت لما بي لجال الدمع رقراقا
وبما يفضل به هذان البيتان على بيت الننداقى ايمانؤهما الى سبب ارسال
الازهاد للدماع وهو معاينتها لارق الشاعر واعناقها عليه
(الحالة الثالثة) وهي ما يقصد الشاعر ان فيه الى غرض واحد ويختلفان في المعنى
الذي يصورانه فيه، ومثال هذا ان يكون الغرض وصف شخص بالندى فيقيم
الاختلاف في الفريق الذي يقرر به هذا الوصف كما قال بعضهم
سألت الندى هل أنت حرق قال لا ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل ورائة توارثني عن والد بعد والد
وقال الآخر

ولما رأيت البحر في الجود آية ومن جوده الدر الثمين المقلد
سألته من في الناس علمك الندى فقال أمير المؤمنين محمد

ومثل هذا مما يرجع بالتفضيل فيه الى القوانين السابقة فا كان أقل خطورا
على الذاكرة أو أوسع نطاقا في التخييل أو ألد وقعا على الذوق فهو المشهود له
بمزية الرجحان . ومن الجلي أن تشبيهه الكريم بالبحر من المعاني التي وعاءها
كل قلب وتناولها كل لسان فصاحب البيتين الاخيرين بني محاورته على أمر
اشتهر ذكره عند الحديث في هذا الغرض وانما زاد عليه شيئا من التخييل
فنتكون المحاوررة الاولى أبعد لانها قائمة من أول حالها على شعور غريب فضلا
عما امتازت به من الانباء الى دعوى قصر الندى على المدح وهذا ما يجعلها أبلغ
في الدلالة على ما رمي اليه الشاعر من غرض الوصف بالسخاء

ويدخل في هذا القسم قول عنترة
ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض المهند قطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كإبريق تنفك المتبسم
 مع قول بعضهم
 ولقد ذكرت في السفينة والردى متوقف بتلاطم الأمواج
 وعلى السواحل للإعادي جولة والليل مسود الدواب داجي
 فعلت لأصحاب السفينة ضجة . وأنا وذكرك في ألد تناجي
 ففرض الشاعرين واحد وهو أنما ذكر الحبيب في حال تقتضي لشدة عو لها
 عظم خطاها دهشة القلب وتفرغه لانتظار الفرج أو الاحتفال على وسيلة
 نجاة ، وإنما يصح لنا أن ندخل للمناضلة بين الشعرين إذا كانا من التخييل المعض
 نقول ان شعر عنتره أبلغ لأنه صور ذكره للحبيب في حال انتشاب الخطر به
 حيث ترتوي الرماح وتقطر السيوف من دمه الذي هو مادة حياته ثم تمنى
 بآدة الاتصال بالسيوف التي هي مهبط العطب حين خيأت له نغمة الباسم يبريقها ،
 أما شاعر السفينة فأقصى غمراته توقع الهلاك بما أحاط به من أسباب القرية
 زية من تذكر الحبيب وقد انشب به الردى غلبه أعظم من مزية من يتذكره
 وهو يبصر الخطر ولم يبسط إليه يده : فان كان كل من الشاعرين حكى واقعة
 عرضت له في حياته فلا تفاضل بينهما الا من جهة تأليف اللفظ وصفاء ديباجته
 (الحالة الرابعة) وهي ما يختلف فيه الشعران معنى وغرضاً ، وعقد المناضلة
 في مثل هذا النوع قلما يخطر على بال الأديب ، ولو قصد الى ذلك لوجد المملك
 وعرا اذ من المحتمل أن يكون كل من الشعرين ورد على ابداع غاية ممكنة في
 المقصد الذي سبق اليه وان كان أحدهما أوسم نطقاً في الخيال . فلو نظرت الى
 أقول بشار

كأن منار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها
 سهل عليك الدخول الى المناضلة بينه وبين قول ابن المعتز
 وعم السماء النقم حتي كأنها دخان وأطراف الرماح شرار
 ولو عمدت الى الموازنة بينه وبين قول أحمد بن دراج يصف حالة وداعه
 لزوجته وابنه الرضيع

تناشدني عهد المودة والهو وفي المهد مبثوم النداء صغير
 عني . نرجوع الخطاب ولحنه بموقع أهواء النشيد . كبير
 أو قول بعضهم

لش بكت دما والعزم من شيمي على الخليط فقد يكي الحسام دما
لم نجد الطريق الى التفضيل أمراً ميسوراً . وليس لك أن تقول على ابتهاج
النفس واهتزازها وتجلت تفاوته ميزاناً للتفاضل لان شدة الابتهاج لسمع
الشعر قد تكون تابعة للمواطف والاهواء ، فمن رقت عاطفته لولده الصغير
حتى كاد قلبه يذوب لنظراته المكحولة بالتبسم يهتز لقوله أحمد بن دراج
« ولحظه بموقع اهواء النفوس خبير » بأشد مما يهتز لنفيره ، ومن لم يذق حلاوة
المطف على البنين وكان كلفاً بمواقع الحروب منفرماً بالحديث عن آثارها يلهث
ببيت بشار أكثر من التذاذه ببيت ابن دراج وما ذكر بعدها

فلا أنكر ان يكون بين التخييلات المختلفة في المعنى والغرض فرق جلي
وتفاوت واسع من جهة التركيب أو الغرابة فيبني عليه الاديب حكمه بالتفضيل
وانما أعني أن الاشعار المتفقة في معنى أو غرض نجد المدخل للمفاضلة بينها سهلاً
اذ يتبين لك التفاوت بينها في التركيب أو الغرابة من غير اطالة نظر وعلى فرض
اتحادها في ذلك يمكنك الرجوع الى وقعها على حاسة الذوق واخذها بالروح التي
يتقوم بها المراد من الكلام ، وأما المختلفة في المعنى والغرض فيتيسر القضاء
فيها متى كان التفاوت بينها جلياً . وأما اذا كانت في مراتب متقاربة في الغرابة
والتركيب والتمكن من روح المعنى أو الغرض الذي افرغ فيها فباب الحكم فيها
لا يطرقة الا الماهرون في هذه الصناعة حيث وصلوا الى أن هذا الشعر لم
يتجاوز في الغرض الذي عبر عنه الدرجة الوسطى مثلاً وان الآخر انتهى في
وجهته الى غاية ليس وراءها مرتقى

وقد يكون مناط التخييل إمعاناً واحداً ويختلف نظر الشاعرين بتوجه
احدهما الى حال او صفة قد اخذ نظر الآخر بشيرها فيصير التخييل بهذا من
قبيل التخييل في امرين مختلفين في خفاء التفاضل بينهما وهذا كما قال الوزير ابو
فارس يصف النهر من جهة منظره

فنضض ما بين الفروس كأنه وقد رقرقت حباؤه حية رقطا

وقال ابو القاسم الابرش يعنه من جهة خبره

وقال النهر يشكو من حصاء جراحات كما أن الجريح

وقد يمجده احد الشاعرين من جهة الغرابة ويغيد الآخر من حيث
التركيب كقول الصنوبري يصف الشجرة

كانها عمر الفتى والنار فيها كالاجل

مع قول الارجاني يصفها ايضا
تفتت نفس المهجور اذ ذكرت عهد الخليل فبات الوجد يذكها
فان تشبيه الشمة حين تدب فيها النار وتتناقص شيئاً فشيئاً الى ان تذهب
في الجو هباء منثوراً بعمر الفتى حين ينقضي ساعة فساعة الى ان يلتقي الاجل
بآخر نفس منه فيعود الى الفناء تشبيه ادق واخفى من تشبيهها بسبب ذكر
عهد الخليل فقدحت الذكرى في مهجته وجداً بات يحترق بلوعته الملتبئة
ولكن هذا التشبيه اوسع نطاقاً وأحلى مساقاً
وربما فاق احدهما من جهة النراية وفاقه الآخر من جهة المطابقة لحال
المعنى كقول ابن الخطيب يصف ليلة
وعشت كواكب جوها فكأها ورق تقلبها بنان شحج
وقول عنتره

اراعي نجوم الليل وهى كأنها قوارير فيها زئبق يترجرج
فتشبه ابن الخطيب ادق واخفى وتشبيه عنتره اشد مطابقة لحال النجوم
(الحالة الخامسة) وهى ما يجري فيه تفضيل احد الشاعرين على آخر بالملاقه
وهذا لا يستقيم الا بمن اتى على معظم شعرها حتى عرف الذين يستوفى في
تخيالاته شرائط الجوده اكثر من غيره ولا سيما اذا اعتدى للمقايسه بينهما في
كثير من المعاني أو الاغراض التي يتفقان فيها
ومن الخطأ الحكم بتفوق شاعر على غيره لمجرد تخييل بديع يتفق له في
بيت أو ابيات فربما ترجح شاعر في معنى سره وفاقه غيره في معان اخرى فلا
يصح لك متى وقفت على قول ابن زمرك

وجرد من غمد الغمامه صارما من البرق مصقول الصفيعة صافيا
ورأيت متوغلا في الخيال اكثر من قول ابن الخطيب

لك الله من برق كأن ومينه يدالسا المرقور قدقدحت زندا
ان تقضي بتفضيل ابن زمرك على ابن الخطيب اذ قد يكون لابن الخطيب
تخييلات اخرى ادرك فيها شأوا لم يلحق ابن زمرك غباره بل تجدد له في هذا
المعنى نفسه تخيلا سبق فيه الى الغاية القصوى وهو قوله
وميض واي برد الغمامه مغفلا فد يدا بالتبر اعلمت البردا

ومما يصدق أن تكتفي في تفضيل الشاعر بأجاده في البيت أو الايات
أنك ترى حازما الاندلسي قد فاق ابن هاني في وصف التقاء الصبح بأخر
الليل حيث يقول الاول

كأن يياض الصبح معصم غداة جنت يدها ازهار زهر الدحي لقطا
ويقول الثاني

كان عمود الصبح خاقان عسكر من الترك نادى بالنجاشي فاستغنى
وترى ابن هاني يقول في وصف الثريا

وولت نجوم للثريا كأنها خواتيم تبدو في بنان يد تخفى
ففاق حازما حين قال

كان الثريا كعب ازمنت نوى وامت بأقصى الغرب منزلة شحطا
وقد لوحنا فيما سلف الى بعض الاسباب التي تقوم للشاعر فيفضل في
بعض المعاني أو الاغراض من هو كثر له أو أرسخ منه قدما كالتفاوت في قوة
الباعث على النظم فن يخاطب انسانا وقد ماجت مهجته بمواطف وده الخالص
واضمرت النوى في فؤاده شوقا اليه يقع على دقات من المعاني يقف دونها من
بخطابه تقصيا من ملامة أو تمرضا لمسألة ليست بذات بال . ويضاف الى هذا
أن أحد الشعراء قد يمتاز بمعرفة العناصر التي يؤلف منها المعنى كما امتار البارودي
عن بعض ادباء عصره بمشاهدة الكهرباء واشراقها في اجرام كروية فقال يصف الثريا
وكانها اكر توفد نورها بالكهرباء في سماوة مصنم

وقد يستوي الشاعران في الاملاص على العناصر البسيطة ولكن أحدها
يشاهدها مؤلفة في صورة لم يشدها الآخر فيساعده استحضار تلك الحياة على
انتزاع معنى لا يحظر على بال غيره ، فصفوان ابن ادريس الاندلسي عاش في
مطربرى فيه المقلة الزرقاء تلوح عليها حمرة الرمد فقال يصف الورد مفتحا على
شاطيء الخليج

والورد في شط الخليج كأنه رمد ألم بمقلة رمداء

ومس الشعراء من لم يأخذ في حافظته صورة المقلة الزرقاء وعليها مسحة من
الرمد كن نشأ في ناحية الجنوب وانما رأى المقلة الرمداء ولون الزرقا ينفرد
احدهما عن الآخر . وانظر الى ابن الرومي حين قال له بعض اللاتمين لم لا تشبه
تشابه ابن المعتز وانت أشعر منه ثم قص عليه قصيدته لللال بزورق من فضة

ليه جملة من غير، وتشبيه الأذريون بمداهن من ذهب فيها بقايا غالية - قال
الرومي (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ذاك انما يصف ماعون بيته لانه ابن
يغفة وأنا أي شيء أصف؟ ولكن افكروا اذا انا وصفت ما أعرف أين يقع
لي من الناس

وقد يتفق الشاعران في معرفة العناصر والهيئة المثلثة ويكون احدهما
مدعلقة بها وأكثر تردداً عليها فيكون خطورها على قريحته أكثر من خطورها
، فربما من شاهدها مرة أو مرتين . كنت رأيت مرة الآلة المصورة وعرفت
يف رسم الصورة في زجاجتها ولم يسع لي أن أستمد منها معنى خيالياً حتى زل
راري في بعض البلاد أحد المولعين بها وتكررت ملاحظتي لها فربما جال في
فري معنى الخطأ في فهم الحقيقة هجمت علي صورة الآلة والزجاجة فقلت
عذرتك اذ صورت في تلك الهدى ضلالا وسورت الضلال رشادا
فإن زجاجات المصور تقلب الـ سواد بيضاء والبياض سواداً

°°°

يستمد الشاعر من غيره تخيلاً يضيف اليه ما يوسع في نشأته ولهذا ثلاثة أحوال
(أحدها) أن يكون الاصل من المعاني النادرة والزيادة تساويه في غرابتها
تنقص عنه وهنا لا يكون صاحب الزيادة ارجح بمن أنشأ أصل المعنى قطعا
من المحتمل ان شبه هذه الزيادة وادراجها لها في صورة المعنى انما تيسر له
، تلقية لذلك الاصل الذي أقامه له الشاعر الاول بحيث لا يكون في قريحته
مل قوة على تفصيل هذا الا - اس بنفسه ومثال هذا قول عني الكوفي يصف النجوم
كأن التي حول المجرة أوردت لتكرع في ماء هناك صيب
ول البارودي يصفها أيضاً

وكأنها حول المجسر حمام بيض عكفن على جوانب مشرع
فلم يزد البارودي مما خيل اليك الكوفي سوى أن جعل تلك النجوم
أردة حمام بيضاً

ومن هذا القبيل قول المعتمد بن عباد يصف نهرا في روض
ولربما سلت لنا من ماها سيفاً وكان عن النواظر منعمدا
وقول أبي القاسم البخاري
والنهر شق بساط الروض تحسبه سيفاً ولكنه في السلم مشهور
(لنارج •) (٢٨) (المجلد الثاني والعشرون)

فهذا البيت اخذ في ضمنه معنى البيت الاول وانما زاد عليه بان السيف مجرد في حال السلم
(ثانيها) ان يكون المعنى الاصلي غريباً وتكون الزيادة ادل منه على البراعة،
ويصح لك في هذا الحال ان تقضي بفضل الثاني اذ في يدك ما ينهض بمجربتك
على ان في قريحته قوة تمكنها من انشاء الصورة من اصلها ، ومثال هذا قول
الخفاجي

كان الدجى لما تولت نجومه مدبر حرب قد هزم له صفا
وقول البارودي يصف الليل ايضاً

متوشح بالنيرات كباسل من نسل حام بالهجين مدرع
حسب النجوم تخلفت عن امره فوحى لمن من الهلال باصبع

فان كان البارودي قد تنبه الى تشبيه الليل بامير حرب من بيت الخفاجي
فقد زاد عليه ما هو اغرب منه اعنى ظنه ان النجوم تخلفت عن امره ثم اشارته
اليها باصبع من الهلال

(ثالثها) ان يكون الاصل من المعاني التي تتناولها العزائم لاول لفظة اذ
اصبحت مبذولة ابتذالاً تمثيلاً جميل الطلعة بالقمرة والمقدام بالاسد، ويسوغ
لك بدون شبهة ان تعد التخييل فيما يرجح به وزن صاحب الزيادة البديعة ،
فالذين شبهوا الزهر بالدرهم كثير ولكن ابن زمرك اضاف الي ذلك ان جعل
النسيم جايها لها فقال

كانما الزهر في حافاتهما سعرا دراهم والنسيم اللدن يجيها

ومن المتداول تشبيه الاقحاح بالنفور وقد بنى عليه ابن رشيق ان جعل
الشمس ترشف منه ريق النوادي فقال

باكر الى اللذات واركب لها سوابق السهو ذوات المزاح

من قبل ان ترشف شمس الضحى ريق النوادي من نفور الاقحاح

ومن الممهور تشبيه الليل بالغراب فساو له عبدالرحمن الفندقي الاندلسي
ورفعه في الحسن درجات فقال

وانبرى جنح الدجى عن صبحه كغراب طار عن بيض كنين

وقد يذهب الشاعران الى محاكاة امر فيحاكيه احدهما ناظراً اليه باقتراده
ومحاكيه الآخر ناظراً اليه في حال اقترانه بامور اخرى ، فلا يحق لك مني

قالت بينهما ورايت الاول احكم ان تقضي لمصاحبه بالرجحان اذ قد تكون محاكاة الثاني انما جاءت الجوده من ملاحظة ما اتصل به من المعاني ولولا هذه المقارنة لم يقدم صاحبه على هذه المحاكاة . ربما تسمع ان ابا جعفر الاندلسي خيل اصوات الحمام في الصباح بالخصام فيبدو لك ان تشبيهه بالفناء أو النواح اقرب الى الجوده واشد مطابقة لحالها ولكنك اذا وقفت على قوله

فالصبح قد ذبح الظلام بنعله . ففدت تخاسمه الحائم فيه
ادركت جوده التخيل التي احرزها بما انغم اليه من تمهيد سبب الخصام
وهو اعتداء الصبح على الظلام وقتله بالنسل ذبحا

يمدون في تخيلات (فكتور هيغو) تشبيه الموج بالغنم فاذا قيل لك ان الشاعر العربي معروف الرصافي قد شبهه بالرجال حسبته انه وقع التشبيه الى الحضيض حتي اذا قرأت قوله يصف قصر البحر في بيروت

كان الموج في الدأما رجال . وهذا القصر بينهم خليط

تخاطبهم مبانيه فيملو من الامواج تصفيق رحيب

تيقنت ان الرجل قد ذهب في التخيل البديع الى الدرجة القصوى . فتشبيه الموج بالغنم هو احكم من تشبيهه بالرجال متي نظرت اليه مستقلا ولكنك اذا رايت ما انغم اليه من تشبيه القصر القائم على سفة البحر بالخليط وتلاطم الامواج بالتصفيق لم يكن في وقوعه على ذوقك اقل تأثيرا من تشبيهه بالغنم السائمة (١)

باب المراسلة والمناظرة

بحث أبدية النار

حضرة مولانا السيد السديد ، الاستاذ الاكبر الشيخ محمد رشيد : ادام
رشد الرب الفعال لما يريد ، آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد انطلمت على جزئي المنار
الاعمر الاول والثاني من الجلد الثاني والعشرين فأنقمت بهما وبرز الفرق بين

(١) المنار: بل هو أكبر تأثيرا ، وأعز نصيرا

الجنة والنار المنقولة عن ابن القيم رحمه الله بدوام الجنة وفناء النار بخلاف ما عليه المسلمون (١) من دوامهما مابدوام الله تعالى وهو الحق الموافق للمعقول والمنقول والحكمة وأما الشبه التي ذكرها ابن القيم فهي الا مراب وقد عجبنا من تحمين فضيلتكم لتلك الوجوه وأنها تفيد المارقين وأنها الموافقة للغة دون الاصطلاح الكلامي مما كاد يكون صريحاً في الميل لها ، ومما زادني عجباً قول فضيلتكم في نهاية تمقيها بأنها تنفع المارقين ، ولا تضر المؤمنين بقول الجمهور مستدلين أو مقلدين ، فكيف الجمع بين متنافيين في عقيدة يجب توحيد الحق فيها (٢) على أن ابن القيم نفسه لم يجزم بتلك الوجوه بدليل قوله عنها (فإن قيل فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟ قيل الى قوله تبارك وتعالى (إن ربك فعال لما يريد) الخ وليس في هذه الآية ما يدل على فناء النار أصلاً واذا جاز تأويلها مع آيات التأييد الكثيرة فأني مانع يمنع من تأويل قوله تعالى في الجنة (عطاء غير مجدوذ) بأنه غير مقاموع مادامت الجنة كما قبل في المذاب فالترق بينهما تحكم به دون موجب أصلاً ودعوي أن الجنة مقتضى صفات الدات والنار مقتضى صفة الفعل ليست بشيء لأن المذاب الدائم مقتضى صفة القهر الدائمة كما سيأتي وقد ذكر بن القيم تلك الوجوه أيضاً في كتابه شفاء العليل وتوقف فيها ثم قال أنزها او من كان عنده فضل علم فليحدثه (إشارة الى عدم كفايتها في الدلالة مع الاجتهاد في تحمينها كل التحسين بذكر أشياء حسنة في نفسها لكنها بمبيدة عن المقصود، ولقد وجدنا تلك الوجوه يناقض بعضها بعضاً فتارة يذكر فيها استحالة دخول الكافر الجنة كقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى ياج الجمل في سم الخياط) وتارة تجز العفو عن الكافر بعد تطهيره بمكته طويلاً في المذاب وبعد فناء النار ، ولا معنى للعفو والتطهير الا ادخاله الجنة بعد ذلك فخالف في ذلك صريح قوله تعالى (إن الله لا ينفر أن يشرك به) هذه بعض ملاحظاتني على ذكر تلك الوجوه الفاسدة والشبه الكاسدة بمجلة المنار الاغر ولم يكن بد من البحث وراء الحقيقة فتقول بالاختصار: ان تلك الوجوه ترجع الى خمسة أمور

(١) المنار: أي جهورهم والا كان خطأ فالخلاف معروف

(٢) : بينا في الجزء الماضي مرادنا بهذا القول وغيره نالم يفهمه المستقدون

من كلامنا وكلام ابن القيم أيضاً

(أولها) مخالفة ابدية النار للمقل (ثانيها) النقل لا يفيد الابدية (ثالثها) الابدية مخالفة لتكون دائرة رحمة الله أوسع من دائرة غضبه (رابعها) لامانع من توبة الكافر بعد ما هارته بالمذاب ولو بعد حين (خامسها) مخالفة الابدية للحكمة وسنين بطلان الجميع ان شاء الله فقول

(أما الاول) فهو ان هؤلاء الكفار لما زاولوا الكفر والمعاصي عناداً أو اعمالا مرة بعد مرة منع الاصرار عليها حتى اصبحت ملكة راسخة في قلوبهم فحينئذ هم خبيثاً دائماً واصروا على كفرهم وعصيانهم أبداً الآباد وعزموا على أن يدنوا عليه ولا يتركوه بحال من الاحوال ، كما يرشد الى ذلك قوله تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) ودعوى أن ذلك بالوقوف فقط وعدم المذاب بانقل (١) مردود بأنه لا فرق بين رؤية المذاب واقتحامه على أنهم لم يطلبوا لرحمة عند رؤيته فقط بل طلبوها مراراً بعد مكثهم في المذاب لقوله تعالى زجراً لتقائل منهم (رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً في ما ركت كلاً انها كمة هو قائلها) وقوله تعالى (ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) قال اخشوا فيها ولا تكلمون) ونحو ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الصدد. فكان دوام المذاب جزاء ومافاة على قدر الجريمة والمصيبة. الا ترى لو أن ملكاً وضع قانوناً لرعيته بين فيه عقاب كل جريمة واقتضى نظام رعيته وأمن كل واحد منهم على نفسه وماله وعرضه انه جعل عقوبة جريمة القتل مثلاً السجن الدائم مع الاضطهاد الشاقا واعلن ذلك على رعيته ثم ارتكب بعد ذلك واحد منهم تلك الجريمة فاقبه عليها بمقتضى قانونه الذي علم الجاني قبل اقدامه على الجريمة فالمقتل لا يستقيح ذلك بل يمدد العقلاء عدلاً وحسناً فكذلك صنع الله الحكيم في خليفته جعل عقاب الكفر عذاباً دائماً في دار الآخرة لانه وجود بنعمة من لا تنتهي كبرياؤه ولا تنحصر عظمتة ، وقد بين كل ذلك على لسان رسوله ونصيب الادلة في الاقتصار

(١) المنازع: يشير الى ان الله تعالى قال فيهم هذا حين وقفوا على النار فنبأوا الرد الى الدنيا هم يقولون ان هذه دعوى مرددة بعدم الفرق بين رؤية المذاب والوقوف فيه. والمكن الدعوى حق وما ردوها به باطل فليس سواء ذوق المذاب ورؤيته. ومن الغريب استشاده على طلب الرجوع الى الدنيا بعد المكث في المذاب بما حكاه الله تعالى في قوله (رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت) وأول الآية (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) الخ وأما الشاهد الثاني في محله

والآفاق ووعد أولئك الكفار أنهم ان تابوا (أي في الدنيا) يغفر لهم ما قد سلف ففضلا وكرا وما قال سبحانه (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) ثم انه لاشك أن الملك اذا وضع قانونا وجعل فيه لكل جريمة عقابا فاذا لم يحزم الناس بأن ذلك الملك يوقع عقاب كل جريمة على فاعلموا كان جعل تلك العقوبات في ذلك القانون عبثا ولا يفيد فائدته المطلوبة ولولا قوله تعالى (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ما كان العقل يميز البغف عن غير المشرك ولكنه حيث قال وقوله الحق قلنا بمجوازه

(واما الثاني) فلا شك انه جاء مالا يحصى في القرآن والسنة المتواترة بما يدل على خلود الكفار في النار والمذاب دلاله واضحة لا خفاء فيها ودعوى عدم صراحة الآيات والاحاديث في دوام العذاب فهو بفرض تسليمه يرد بأنها ان لم تكن صريحة فيه فهي ظاهرة وقد صرح الأصوليون بأن دلاله الظواهر الكثيرة على ما يظهر منها قطعية. على أن قوله تعالى (ولهم عذاب مقيم) يمد قوله (وما هم بمخرجين منها) كما ينفي موتهم فيها مع بقائها ينفي فناءها حيث وصف نفس العذاب الحاصل بالنار بأنه مقيم اي دائم، ولولا هذه النكتة لم يكن له فائدة بعد قوله (وما هم بمخرجين منها) كما لا يخفى

(وأما الثالث) فبني على أن الكفار أكثر من المؤمنين كما يقتضيه قوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيكون المذبذبون الخالدون أكثر من المنعمين فكيف تكون دائرة رحته أوسع من دائرة عقابه؟ نقول ان هذه البكثرة بالنسبة الى بني آدم فقط وبنو آدم قليلون بالنسبة الى الملائكة والجن والولدان (وما يعلم جنود ربك الا هو) ويخلق ما لا تعلمون) فيكون أهل الرحمة أكثر أهل من أهل الغضب على أن أهل النار مرحومون في عذابهم فان ما عند الله من كل شيء لا يقناهي. وبعض الشر أهون من بعض، وهم مختلفون في العذاب وان ظن كل واحد من أهلها انه أشد الناس عذابا لكن الكلام انما هو في الواقع ونفس الامر، على ان الجميع ما داموا في دائرة الوجود والحياة فهم في دائرة الرحمة والفيض العليم، فان كلا منهما من النعم التي يحافظ عليها الانسان ويتجشم لاجلها أبشع الأدوية

(وأما الرابع) فلم يقل أحد ان التوبة تنفع في الآخرة فأما من تاب في هذه الدار دار العمل من الكفر فقد أبدل الكفر القبيح بضده الحسن اختياري

منه وامتنالا لاسر الله تعالى فهناك كفر قبيح زائل وايمان حسن ثابت وقد انضم الي هذا الايمان ندم على ذلك الكفر في دار ينفع فيها العمل أو يضر ويمكن للمعبد باختياره ان يتدارك ما فات من الاعمال الحسنة وان يندم على ما عمله من الاعمال القبيحة فيصير الكفر بهذا الايمان كأن لم يكن قال تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) فلا بدع في مغفرة الله جودا وكرما ورحمة وفضلا، واما في الدار الآخرة التي هي دار الجزاء على الاعمال لا دار عمل فلا تنفعهم التوبة أصلا فقد اختلفت الداران وامتاز الفريقان (فريق في الجنة وفريق في السعير) واتمى الامد بعد الذي ضربه الله على لسان رسله للعمل وقبول التوبة وقد رأينا في هذا ان الدواء ينفع وقتنا محدودا فاذا مات ذلك الوقت واستحكم الداء فلا ينفع الدواء (وأما الخامس) وهو أهمها فسنبين بعون الله تعالى من وجوه الحكمة في دوام عذاب الكفار وعدم فنائها ما يكون ناقضا للاساس الذي بنى عليه ابن القيم تلك العلالي من مخالفة دوام المذاب للحكمة فنقول : أما حكمة النهي عن الشرور والوعيد عليها أي وعيد الكفار بتأييد المذاب وغيرهم بالمذاب المؤقت فهي ارادة تقليل وقوعها حتى لا يفسد الكون ويتم له ما قدر من الاجل ونحن نرى المؤمن المصدق بوعيد الله ورسوله تصده الشهوات والشياطين عن الانزجار بالوعيد مهما يبلغ من الشدة والصرامة اغترارا بكون المذاب مهما طال ينقطع فكيف بالكافر المكذب بالوعيد اذا كان المذاب الذي توعد به منتهيا أفيصح أن يكون توعدهم به زاجرا لهم عن كفرهم كزجر الوعيد بالمذاب الدائم؟ أفيصح أن يكون العليم الحكيم قد علم أنه لو لم يجمل عذابهم دائما لما آمن من الناس من يكون ايمانهم مانعا من مصير الكون الى الغرابة والتساقط قبل انتهاء الاجل المقدر له؟ ثم في دوام عذاب الكفار دوام ظهور آثار طائفة من أسمائه تعالى كالتهاور والمنتقم كما أن في بقاء نعم المؤمنين بقاء آثار رحمة أخرى منها كالجود والكريم ومعلوم أن جميع مدلولات أسمائه تعالى صفات كالموجب بقاءها له وفناء النار وأهلها ينافي ذلك ، ولا جائز أن يقال يمكن أن يخلق بعد هذا الفناء خلق يكفون فيعاقب المخالف منهم فيكون مظهر أسماء القهر لان هذا لم يقل به أحد ولم يدل عليه دليل (١) ثم من المعروف المأثور أن الانسان بعد (١) (النار) ليس من أسمائه تعالى الخالق الباري والغلاق فكيف جزم بتخصيص إلقاها وخالف قوله في صفتي القهار والمنتقم على ان القهار ليس بمعنى المذهب =

طول النعيم عليه يسير ليعيه تأخذ المادات نيس فيه كبير لذة وإذا كان مسبوقاً بالآلام نسبت الآلام بتتابع النعيم فلو فئت النار وأهلها خلفت لذة أهل الجنة وقتل قيمة نعيمهم في نظرهم بمد طول المهمل فكان في دوام تعذيب الكفار الذي استحقوه بكفرهم الذي لاحد ثلثته بمد إقامة الحجج وإزاحة الاعتذار دوام عليم اغتباط المؤمنين بنعيمهم واستمرار كمال شكرهم لربهم ومعلوم أن المؤمنين أكثر جداً من الكافرين إذ منهم الملائكة الذين لا يحيط بعشر معشار عشرهم إلا خالقهم جل وعلا، وقد تقرر في المقول أن إجماع الشر القليل لاجل الخير الكثير خير وقد اعترف هو (ابن القيم) بنحو ذلك فظهر أن لدوام عذاب الكفار عدة حكم

(١) جعل العقاب بحيث يترتب على العلم به غايته التي أريد لاجلها من منع انتشار الكفر إلى حد يفسد الكون قبل أجله المسمى
(٢) جعل العقاب مناسباً للجريمة في عدم التناهي لما علم من أن خبت الكفر لاحد له

(٣) دوام ظهور آثار الأسماء الإلهية التي بها تتحقق الألوهية
(٤) دوام ابتهاج المنعمين بنعيمهم بالمقايسة بينه وبين ما فيه المذبذون وقد يشير إلى هذا قوله تعالى (وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً) فأدخل أعداد العذاب الأليم لغير المؤمنين في بشارة المؤمنين وما هذا إلا لأنه يعظم اغتباطهم بنعيمهم بالمقايسة بينه وبين عذاب أعدائهم. هذا وبقي أن بعض النفاصرين يقول إذا كان المخلوق لا يسمح ببقاء عدوه في العذاب الصارم الطويل مهما بلغت عداوته وإن سمح عد غليظ القلب فكيف يسمح أرحم الراحمين بدوام العذاب البالغ غاية الصرامة؟ فنقول هذا قياس للثواب على الشاهد وهو فاسد فإن المخلوق يتألم قلبه برؤيته المماقب فإذا سسى في إزالة عقابه كان ذلك بالحقيقة سمياً في إزالة الألم عن نفسه والله تعالى متزه عن القاب والانتعالات كما لا يخفى. وبقي أيضاً أن ما ينقل عن بعض السلف وما يذكر في بعض كتب الصوفية بمدام المخلوق في النار فذلك محمول قطعاً على عدم خلود عصاة المؤمنين الموحدين في

= والانتقام يصدق بكل عقاب ورد عليه أسماء أخرى كالغفو والغفور أيضاً

النار ومتى كان الكلام محتملاً تعين حمله على ما لا يمارض القاطعات. هذا ما عن لي ذكره في هذا الموضوع الخطير. مؤمل تحقيق الحق فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

ابراهيم محمد عريقات
امام وخطيب مسجد عز الدين
بيربال غربية

(المنار) قد أحسن الكاتب بانزاه شروط المنار بمحذر الكلام في موضوعه وجل ما ذكره قد سبق للمنار قول فيه وفي كثير من مسائله فنظرنا أثرنا الى بعض ما يتعاق بالتفسير وأسماء الله منه لذاته لا لسماته بموضوع الرسالة فالتنا وعدنا بعدم مناقشة المثقدين في أصل هذه المسألة، ولا يمتنعنا هذا من ان نوجه نظره الى التأمل في الحكم الرابع هل الاولى واقعة والثانية ثابتة؛ وما حد الكفر المذكور فيها وهل اسماء الافعال كالقهار والمحبي والمديت ابدية كاسماء الذات خلافا للعلماء الذين قالوا بأبدية اسماء الذات فقط وما دليل ذلك؛ وهل تعذيب بعض العباد ليتنم غيرهم أو ليزداد نعيمه بمذابهم من الحكم التي لا تنافي المدل ولا الرحمة وقوله تعالى (جزاء وفاقا) وقوله (لا يظلم مثقال ذرة) وأمثاله؛ وكون العقاب بالمدل والثواب بالفضل؛ وهل ملائكة الجنة من الذين ينعمون فيها جزاء على أعمالهم وما القول في ملائكة النار اذا؛ نرجو أن يتأمل أخوانا الكاتب الفاضل في ذلك كله حق التأمل وان شاء بعد ذلك ان يبين ما يحققه فيه بمقال فعل

رسالة أخرى بغير عنوان

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي تنزه عن الخطأ والنسيان، وجعل ذلك في الانسان دليلا على كمال ربوبيته وانه الواحد الديان، وأشهد ألا اله الا هو منزل القرآن بالوعد والوعيد على سيد الاكران، محمد خاتم النبيين وامام المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله ومن اقتفى أثره واتبع سنته الى يوم الدين، أما بعد فقد رأيت لاستاذنا العلامة صاحب المنار نقلا في فناء النار معزوا لابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الارواح اعقب به تفسيره آية الانعام (ويوم يحشرهم الخ) فدهفت من قول ابن القيم وأنكرت عليه ذلك القول كما أنكرت على استاذنا صاحب المنار نقله في مناره ونشره بين الناس وقد كتبت له في ذلك (المنار ج ٥) (٤٩) (الجلد الثاني، المشرق)

وكتب لي وقد ذكر الأسباب التي دعت لابراد ما نقل: ولما رآني مصرًا
انكاري خاشعاً عواقب هذه النقول على العامة كتب لي حفظه الله بأن أكتب
ما بدفم الضرر الذي أخشاه ريثما يدود هو للموضوع نفسه في تفسير آية هو
إذا كنت أظن أن المدة إلى ذلك الوقت تطول ، فكنت ماسياً في مستعينا
متحزباً الاختصار المفيد رغباً عن التطويل المدل الامادعت إليه الحاجة. وقد
البدع في كتابة بالاردت. أقدم يشكري لاستاذي العلامة السيد محمد رشيد
سبعة صديقه لي وقبوله تقدي واحترامه رأيي (مع أنني تلميذه) ولولم يكن
هذا الانتقاد الا بيان فضل الاجتاذ السيد محمد استاذنا في سنة سنة أمانه الله
لا يحبون الحق ويخافون أن تظهر عيوبهم أو تنتقم شيوخهم — لو لم يكن
الا ذلك لكفاه غمراً ولا سيما أن المنتقد تلميذه وقد افسح له صدرنا
للانتقاد عليه وعلى شيخنا ابن القيم العلامة رحمه الله ، فليحي النار وصباح
رافعاً راية الحق مرشداً الناس إليه بالقول والعمل والبالام.

وقال استاذي صاحب المنار بعد تفسير الآية على الوجه الاكمل وقد استو
ذلك بالاسهاب المتعق ابن القيم في كتابه هادي الارواح فقال (فصل) وأما بد
النار الخ وساق اقوالاً سبعة وكأنه لم يرض الا القول السابق وهو فساد
وقال — قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأ
هريرة وأبي سعيد وغيرهم وساق رواية عبد بن حميد في تفسيره. وطلق يقول
السند بما يشيد من ذكر بعض الشيوخ ويقول وحسبك بهذا الاستاذ ج
ونحن نقول له حسبك أن الحسن لم يسمع من عمر وإن اعتذر عن ذلك بقوله
وإن لم يسمع من عمر الخ وجزم الحسن بصحة الخبر عن عمر ، بل صحت عن
نفسه لو صح لم يجز التعلق به في مسألة سمعية اعتقادية غيبية ، زد على ذلك
عمر ليس رسولاً ولو كان رسولاً وروي عنه يمثل هذا الاسناد المملول لما
لنا الاخذ به والتعميل عليه فابالك وعمر رضي الله عنه ليس رسولاً
السند اليه صحيحاً وكيف يقول عمر هذا القول ويروي عنه وهو الذي عر
شدته في الدين وهو الذي ضرب اباً هريرة في صدره بين ثديه ضربة ألقاه
استه وفي يده فلما رسول الله (ص) اذ بعثه بخبر « من لقي الله يشهد ألا
الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة » فذهب ابو هريرة مجهشاً الى النبي (ص)
شاكيه من عمر لما عمر في خلف ابى هريرة فقال (من) ما حملك على ما فعلت

يارسول الله باني أنت وأمي أبعت أبا هريرة الخ فقال (س) نعم قال فلا تفعل فاني أخشى أن يتكلم الناس عليها فقاموا فقال رسول الله (س) فقام. هذا معنى ما رواه مسلم في صحيحه : فهل مر بعد هذا يقول ما رواه عنه ابن حميد والحسن وأبي الاسنادين أصح وأيهما أحق أن نأخذ به عن عمر : على أن شدة عمر في الدين لا تنفخ على أحد ممن شتم رائحة الاسلام

وقد روى عنه أنه كان يقول باليت أم عمر لم تلد عمر وكان يقول ليتني شجرة تعضد ونحو هذا كثير في السير ثم كيف يقول هذا القول أبو هريرة وهو صاحب القصة ويتكلم في فناء النار وهو وغيره من الصحابة كانوا أحرص الناس على قول رسول الله (س) وارغبهم عن الخوض فيما ليس لهم به علم وقد كانت يكون عند بعضهم الظن عن رسول الله (س) بكتبته خشية افتتان الناس به فلا نفسه الا عند موته تأمناً؟ يعلم هذا كل من قرأ الصحيحين وغيرهما من كتب التفسير. ولست اظن ابن القيم لم يرد ذلك وهو الامام الحافظ المطلق على ما لعلنا لم نطلع عليه ولم زه الآن ولكن لم يكن معصوما من الخطأ والنسيان . ومن لم يكن عنده علم بالصملايح المحدثين وتحريم صحة السند وقولهم في الرجال وقبولهم الحديث الصحيح وردهم ما لم يصح ولو كان في سنده أقل غلة — من لم يكن عالماً بذلك فحسبه مقدمة صحيح مسلم ليعلم ماثيره وهو دون البخاري وهذا كله دائر حول حديث الرسول (س) لا عمر ولا غيره

فلهذا يرى مرید الحق أن هذه الروايات غير صحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم وهي أشبه بقول اليهود الذين غرهم في دينهم ما كانوا يفترون وأرادوا تنفير المسلمين وخذعهم : وقوله قال النبي (س) من ١٨ من الجزء الاول منار (أما أهل النار الذين هم أهلها الخ فلم ندر حاله ولم يسنده ولم يميزه ... ثم قال ولا يناقض هذا قوله تعالى خالدين فيها وقوله (وما هم منها بمخرجين) هكذا قلت والصحيح وما هم بمخرجين منها ولم أدر بمن الخطأ في الآية. لأن (وما هم منها بمخرجين) قيلت في أهل الجنة من سورة الحجر فليعلم يقول رحمه الله لا تناقض بين أخباره تعالى عن أهل النار بأنهم خالدون فيها وما هم بمخرجين منها ولهم عذاب مقيم (بعد التصحيح) وبين فنائها : أي أن خلودهم فيها يكون مادامت — وبالله المعج ومن أين له عدم دوامها وقد دلت الآيات والاحاديث على بقائها بالزوم وان كانت لم تصرح ببقائها لانها

ليست مقصورة بالذات ولانها لم تخاق الا لاهلها فاما فيها فهي دائمة فهم
المعوز الذي يدور عليه الجزاء بقاءه وفساء لا النار التي لم تكن لولاها ولم توجد
الا لهم فكيف عكس الامر رحمه الله وجعل الاخبار دائرة حول النار ولها فان
قبل انهم خلقوا لها كما قال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس الخ)
فلنا هذا يدل على بقائها أيضاً وكان خلقهم أدل على بقائها اذ قال الله تعالى
(وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) وقد أخبر الله تعالى عن بقاء النار
وأهلها بكل لفظ أخبر به عن بقاء الجنة وأهلها يدلم هذا من قرأ القرآن وتدبره
فكما قال تعالى في الجنة خالدين فيها ابداً كذلك قال في النار فلا يستطيع أحد
بعد هذا ان يبرجد فرقاً بين الخبرين والامض واحد ولئن قال في الجنة (عطاء غير
مجدوذ) فقد قال في النار (عذاب مقيم) بل قال في الجنة بهذا اللفظ (نعيم مقيم)
ولا ريب ان النعيم المقيم هو وغير المجدوذ شيء واحد في الدلالة زد على ذلك
أن الله تعالى أخبر أن أهل النار لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل في سم الخياط
وهذا نحو قوله لا يدخلونها أبداً وليس بعد هذا قاطع لا ملحق بالاميين في الجنة
المارين من النار فقد عبر لهم بأعظم محال وهو دخول جسم عظيم في خرق
صغير ، ومتى يبلغ الجبل في سم الخياط ويسوغ في القفل دخوله فيه حتى يسوغ
دخول الجنة لمن ليس من أهلها ولم يخلق لها ايكذب الله نفسه أم تكون عبثاً
حكته . يقول (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) ثم يعيدهم الى الجنة
هذا محال وقد ذكرنا ما قلوه في الاستثناء (بالا ماشاء الله) ورد أقوالهم كلها
ولم يختر الا الوجه الذي يدل على مخالفة الا لما قبها وذكر المشيئة هنا وفي هود
دال على ثبوت هذه الصفة لله تعالى لا غير وانه لا مكره له فيما يفعل وقد أكد
هذا المعنى في سورة هود بقوله تعالى (ان ربك فعال لما يريد) وكثيراً ما تذكر
المشيئة في القرآن لهذا الغرض كقوله تعالى (وما تشاءون الا ان يشاء الله) ومن
أهل العربية من قال في استثناء سورة سبلح (سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله)
- وهو كالذي هنا - لم يشأ الله أن تنسى شيئاً وذكر ابن جرير هذا القول وقال
وهو كقوله (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) ولا يشاء
قال وانت قائل في الكلام لاعليتك كل ماسألت الا ماشئت والا ان شاء ان
أمنحك والنية ألا تمنعه ولا تشاء شيئاً قال وعنى ههنا بخاري الايمان يستثنى فيها
ونية الحالف التمام اه

وترى المحدثين يقولون في السند صحيح ان شاء الله ويذكرونها غير مقصود بها تعليق شيء عليها بل يذكرونها فيها وقع تبركا واستذكارا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهو سبحانه لا يشاء الا ما وافق الحكمة

فأنت أيديك الله ترى أن الاخبار عن الصحابة غير ثابتة ولو ثبتت لما كان فيها دليل على الفناء بل تقول على الخارجين منها وترى الآيات القرآنية مصرحة بخلود وأبدية أهل النار فيها وان الجنة محرومة عليهم ودخولها محال عليهم كدخول الجبل في سم الخياط ولئن لم تبدل هذه الآيات على كثرتها وذكر ألفاظ بقاء أهلها فيها وتنوعها من الخلود للآفة للأبدية الى غير ذلك — لئن لم تبدل على بقاء النار وعدم فنائها بالمتابعة فلمع الله لقد دلت عليه بالآزوم والاضطرار كدلالة وجود السقف على الجدار : فاداءه خالدين فيها أبداً فهي خالدة أبداً الا ان ادعى مدع أن خالدين وأبداً ومقبها وما شاكها لا تبدل دائماً على البقاء وعدم التحول فيكون لنا اذن أن رد هذه الدعوى بالكتاب والسنة أيضاً واللغة التي بها نزل كتاب الله . وسنة تقض ما عده ابن القيم رحمه الله من الواجه في فناء النار وما أورده من الشبه ان اتسع المنار لذلك وما قصدنا الا ازالة شبه الذين يفترون بقوله والبقية تأتي ان شاء الله

عبد الظاهر محمد ابو السمح

معلم برمل الاسكندرية

(المنار) نشرنا هذه الرسالة بنفسها وفيها تكرار وتلويل بالاستطراد ليس من الموضوع كالكلام في شدة عمر في الدين وضرره لابي هريرة على تبليغ الصحابة حديثنا صحيحاً حدث به بعد ذلك ونقله أئمة الحديث وغيرهم حتى الكاتب لمن يخشى عليهم من الفرو والافتكالم لم يكن يخشى على اصحاب الرسول (ص) ورضي عنهم، وكان جمهور الصحابة يتكرون على عمر هذه الشدة ولا حاجة الى هذه الخطايات مع انكاره صحة الرواية عن عمر وعدم الاحتجاج بقوله فان دفع هذه الخطايات سهل بأن يقال اذا كان عمر قد قال ذلك فما قاله وحاله ما ذكر الكاتب الا لثبوت عنده واعتقاده انه لا فتنة في ذكره وكذا أبو هريرة فلعله في بقية الرد يجنب التكرار والاستطراد وحكاية أقوال ابن القيم على الطريقة التي جرى عليها في هذه أسبذة فان القراء لا يرجعونها ليفهموا المراد وخير منها ان يقسم الكلام الى مسائل يبين ما يراه الحق فيها

الرحلة السورية - الثانية

٥

حال مهجري بيروت الاجتماعية

٢٠ - قد أصاب مهجري بيروت في سني الحرب ما أصاب سائر البلديات في جميع البلاد من تأثير مفسدها التي أضرنا إليها في الفصول السابقة ولكن خسأت حالهم الاقتصادية فسبقوا غيرهم بمراحل وهم وإن كانوا مع أكثرهم في الوطن فربما في رعان في البراعة بالتجارة قد امتازوا على النصارى واليهود في من الحرب إذ يكون ثروتهم في صناديقهم ونجل نفوذ أولئك في المصارف الأوربية التي انقطعت المعاملة بينهم وبين البلديات اللبنانية وبكروهم أجراً على المجازفة فأنقذهم منها ثم أعظم وزيجهم واشترؤوا أملاكاً عظيمة في بيروت ولبنان ولبنان يعلو مقامه نبي من أملاك هذا القمل وإنما عقداه للامام بخالهم العلمية والاجتماعية مرة ما يستلزمه

٢١ - كانت بيروت في السنين الخالية دون دمشق وطرابلس في العناية بالعلوم الشرعية من ناحية وأدبية وإنما كان يمتاز فيها إلى الخليل أو الأحياء الواحد بعد الواحد كالشيخ محمد الحوت الكبير الذي فاق علماء سنورية المتأخرين بالنسبة في علم الحديث والشيخ أحمد البربر في اللغة والأدب وانتهت الشهرة في الجبل الماضي إلى ثلاثة من قضاها وأدبهم للشيخ عبد الباسط الفخوري المفتي والشيخ يوسف الأميز والشيخ إبراهيم الأحدث وهذا طرابلسي المولد والنشأة واختار الإقامة في بيروت بعد أن تخرج في طرابلس بالشيخ عبد النبي الزافني الشهير بوليتس بيروت الآن بأقل من طرابلس في عدد طلبة العلوم الشرعية والعربية ولا في أضعفهم فيها ولكن دمشق تفصلها في ذلك بما حشته كره بعد ذلك منه وأما الحال الاجتماعية فقد تجد فيها للمسلمين ثلاثة أمور ذات شأن كبير (أحدها) في ترقى النساء المدني (والثاني) الاشتداد للاتفاق مع النصارى والاتحاد الوطني معهم (والثالث) الميل إلى عبادة من حولهم في التعليم والترقية العلمية وانتقل يقول في كل منها كلمة

مسلمات بيروت

كانت المسلمات في بيروت أشد محفلة على التقاليد القومية من أمثالهن في سائر المدن السورية فلم تؤثر فيهن عوامل التفرج الذي قلب على لسان

النصارى لا ينافهم الصالح منها ولا البصير المسد ولا سوا من التترك الذي سرى
الى مسلمات دمشق ، فكان أشد مهلمات بسورية حمودا وكان رجالهن راضين
بدلائهن ، ثم رغبوا في تعلم البنات فأنشأوا لهن مدارس ابتدائية وأنشأت
الحكومة العثمانية مدرسة للنساء في بيروت كان جميع تلميذاتها من
المسلمات لأن النصارى لا يرغبون الا في مدارس الافرنج . ثم وجد في
بعض مشايخ المسلمين الذين تعلموا في المدارس الاوربية والامريكية
وأفريهم التفرج ميل فرحة النساء كان الرأي الاسلامي امام يقاومهم فيه وما زال
صديقها الاستاذ الشيخ مصطفى نجاف مفتي بيروت رعيهم هؤلاء المقاومين على
عنايته بتعليم البنات واشرافه عليه في عدة مدارس حتى انه شديد الانكار
على تلميذ من العزف بالة (البيانو) التي لا يكاد يخفى منها بيت من بيوت الطبقات
الوسطى في مبردع الطبقات العليا في الثروة . ولما عني الاتحاديون من التترك
بافساد آداب مسلمات سورية حريا على خطتهم التي جعلوا من أوائل قولعدها أن
الامة لا يمكن تحولها من حال الى حال الا بدم عقائد عا وأخلاقها وادابها وتقليدها .
وجهوا كثيرا من هذه العناية الى مسلمات بيروت وحاولوا تعويدهن السكوة
والتهتك مع مخالفة الرجال في مكان الرأي العام وتشدد الفتى وانصاره مضعفا
لتأثير هذه العاصفة الى كان يخشى أن تدمر الدين والآداب تدمير لا يتوهم
للامة بهذه قائمة الأباصلاح جيل جديد اذا تيسرت وسائل الاصلاح

لا نيك في أن عادتنا وتقاليدنا القومية في النساء والرجال منها ما هو حسن
وهو بقايا آداب الشرع واصلاح الدين ومنها ما هو قبيح ضار يجب تغييره بالتدريج .
ولم أن ما يراد من التغيير والتجديد في الامة منه ما هو حسن نافع لا يمكن
للامة الاسلامية ان تجاري ساثر الامم في سعة العيش والحرية والاستقلال بدونه ،
وهو ما هو قبيح ضار يفسد لامري الدين والدنيا جميعا ، ومن سنن الاجتماع
المطردة في البشر ان الافراط في الامور المتقابلة تظهر به مزية الوسط المعتدل
بينهما وان اشتداد الجمهور الاعظم هو الذي يرجع أحد الطرفين المذمومين
أو الوسط المحمود في العمل ، والذي رأيته أن حفظ بيروت في المسألة النسائية
كان أقرب في هذا الشور الى الاعتدال

في كل طبقة من المحافظين والمتفرجين والمتوسلين فرب وسريع
واعتدال ففلاة الاتحاديين أنزهم فرط اذا كانوا يرون التمجيل بابطال جميع

المقائد والمبادئ والمبادئ وتكوين الامة تكويناً جديداً في كل د
وزعيمهم الدكتور ناظم وطلعت باشا . وكان من المعتدلين منهم أنور ؛
اذ كان يرى احترام الشعائر الدينية والاستفادة من الرابطة الاسلامية بدلا
قطر روابطها ويمتد بعض ماري أمره أنه صار بمقامه في بركة صحيح المتقي
محافظاً على الصلوات ايماناً واحتساباً لاسياسة ورياء وبذلك اتسعت مسافة الخلا
بينه وبين أولئك الغلاة وزعيمهم . ومن رجالهم المعتدلين عزمي بك الذي
كان والياً على بيروت في زمن الحرب وقد رأيت الناس فيها معجبين بما كا
عليه من الخزم والعزم والعدل والدقة في النظام ويرون انه لو كان عند الدو
كثير من أمثاله لفاقت بها دول أوربة

وجه عزمي بك عنايته في بيروت الى ترقية المسلمين في الحضارة المصر
بالتدريج الذي تؤمن معه الفوضى الادبية وتمويدهن حضور مجامع الرجا
العلمية والادبية وسماح ما يلقون فيها من الخطب الفسدة والشعر المصر؛
واسماهم مانجود به قرائح المتعلمات منهن ، ومشاركتهن لهم في الامو
الاجتماعية — ولولا أن وجد في بيروت احمد مختار بك بينهم يساعده على ذلك
لضاع عزمه وغاب سميح على ما أوتي من قوة ارادة وسلطة كادت تكون مطلقة
كان لاحد مختار بك بينهم جماعة من المزايا لم تجتمع في وطنه لغيره في عصره
كان على كرامة بيته ومكانة عشيرته ذكي الفؤاد طلق اللسان جريء الجنان
صادق الوطنية والغيرة القومية عالي المهمة كبير المروءة حسن المعاشرة عارفاً
بزمانه وفيما لاصدقائه ، فكان بذلك من زعماء مسلمي بيروت الذين يرجع
اليهم في المهام كما كان محترماً عند سائر الطوائف بأدابه وحسن معاشرته
فكان الناس يحبونه ويحترمونه ويحسنون الظن باخلاصه حتى فيما ينكرونه من
شدوذ في بعض اعماله وميله الى التفرنج ، فلم يكونوا يتهمونه بأنه يقصد بهذا
اضعاف مقومات امته ومخمساتها المالية ولا تقوية النفوذ الاجنبي فيها فهذه
المكانة التي كان يعرفها لنفسه في قومه جرأته على موافاة عزمي بك ومساعدته
على ما قصد اليه بل استعان كل منهما بنفوذ الآخر على عمل رايانه نافعاً للمسلمين
بل لا بد لهم منه في حياتهم المدنية المصرية ، بل كانا يرايان ان نساء المسلمين لا بد
أن يتركن الحجاب ويجارين غيرهن من نساء الملل في الحضارة المصرية وان الظهير
لنا أن نبني ذلك على أساس متين ، أي جامع بين مصلحة الدنيا وصالح الدين ،

والأفضل التيار المعصري فعلة فينا بذير اختيار . منا فكان الله اكبر . من نعمه
أنشأ الزعيان نادياً للنساء في سنة ١٣٣٥ (١٩١٧ م) وألقاه جمعية من
كرايم المتعلقات منهن باسم (جمعية الامور الخيرية لتفتيات المسلمات) ثم أسس
هؤلاء الكرايم مدرسة لتعليم البنات ، وكان النادي يعقد اجتماعات نسائية
يحضرها النساء والمستحسنون لهذا العمل من الادباء والاطباء ويلقون فيها الخطب
والدروس التي اصطلح كتاب المعصر على تسميتها بالمحاضرات ، ويسمعون من اعضاء
النادي الكرايم ما يلقينه فيه ويتحدثون معهم في المسائل الادبية والاقتصادية
والصحية وتدير المنزل والتربية ، وانما يكن مع الرجال سادلات على وجوههن
النقاب الاسلامي الاسود لاسافرات ، ويجلسن في جانب والرجال في جانب .
فهن قد سبقن في بدايتهن لساء معصر الى هذه الخافق والجماع التي كان يتمنعها
قادم أمين واخوانه من زهاء ربع قرن مع مبانئهن في الحجاب وكثافة النقاب ،
حتى ان بعض الاوانس من اعضائه حضرن حفلة ذكرى مرور قرن على المعلم بطرس
البستاني في الجامعة الامريكانية ببيروت وأتت فيها غيرة سلام وعادلة بينهم فيها
ما جادت به قرائنهن في الموضوع على الجهم الفقير من الرجال والنساء
دعاني احمد مختار بك رحمه الله (١) الى زيارة هذا النادي والقاء التناجج
والحكم فيه تمضيذاً له وارشاداً للسيدات المسلمات فانهن يتمينن الاستنادة مني
كالرجال . وقد جرت العادة بأن التي في بعض مساجد بيروت ومجامعها خطباً
ودروساً في كل زيارة من زياراتي لها فاجبته الى ذلك ،

زرت النادي أولاً ثم أجبته دعوته الى القاء نصيحة عامة فيه وكان هذا في
يوم مشهود حضره بالدعوة كثير من النساء والرجال ومنهم من لم يكن يلزمه ولا
يسمع لاحد من اهل بيته بالامام به والقيت فيه خطاباً مطولاً ذكرت فيه خلاصة
وجيزة عن حال النساء في مصروفاتهن شهتهن وغوائلها ، وما ينبغي للمسلمات
السوريات في بيروت وغيرها من الاعتبار بها ، وبينت فيه حالة المعصر الاجتماعية
وما ينبغي للمرأة المسلمة فيه من الجمع بين فضائل دينها وآدابها ومعرفة ما يجب عليها
لبيتها ووطنها وامتها ، وما يجب من تقديم الاخ لا لغيره وهو تدبير المنزل وتربية
الاولاد وما يتوقفان عليه من العلوم الكثيرة . فنال هذا الخطاب استحسان جميع

١٥ نونى في العام الماضي فكان لوفاته وقع كبير في بيروت وشركائه فيه سائر
البلاد السورية وقد اجتمع مجنازه بما لم يسبق له مثل في ذلك القطر

الاحزاب المختلفة في هذا الموضوع . واثني انشر هنا ما ألفت رئيسة (جمعية الامور الخيرية للفتيات المسلمات) التي تدير المدرسة والنادي السابق ذكرهما ترحيباً بي ، وسأنشر في فرصة اخرى بعض ما ألقى في حفلاته السابقة ليقف قراء المنار على افكارهن ودرجة تقدمهن

ترحيب الرئيسة الفاضلة

سيدات النبلاء والفاضلات

ان جمعية الامور الخيرية للفتيات المسلمات ترحب اليوم بضييفها الكرام العالم الفاضل صاحب السيادة الاستاذ رشيد رضا فهو الخطيب البليغ الذي طالما لمحت الالسن بذكر مناره الذي أضاء العالم الاسلامي بابحاثه العلمية المفيدة . وقد رأيناه عند اجتماعنا به للمرة الاولى في مدرستنا خير نصير للمرأة اذا فاض علينا من بعض حكمه ما يجعلنا نزداد نشاطاً بل أن نعيد مجد السلف الصالح فنستفيد منه تلك القوة الادبية والمعارف السامية التي طالما نالت النفوس اليها . ولغفم الى ذلك ما يلائم حالتنا وتقاليدنا من الرقي المصري ، غلباً بالاستفادة من يتابع علمه وفضله فقد قامت هيئة جمعيتنا بدعوة حضرته ليأتي على مسامعنا بمحاضرة علمية تكوّن خير ذكرى يحفظها نادينا لسيادته .

فبإسم جمعيتنا أقدم الشكر لسماحته ولكل من يعاضد صروح العلم والادب ونحس منهم بالشكر حضرة الوطني الفيور الوجه الفاضل السيد عارف النباني الذي تبرع بمبلغ مائتي ليرة لمدرستنا لتصرف في سبيل تعليم الفتيات اللواتي اللواتي يدعين الى الله بأن يديه عضداً للاحسان . فسلام على كل روح أوقفت لاعلاء الوطن وأهله . بيروت ١٢ ربيع ١ سنة ١٣٣٨ خديجة برير

خطبة النابغة الفاضلة الانبة عنبرة سلام

سيداتي الكرميات وساداتي الافاضل

خلق الانسان للجهاد في هذه الحياة، فهو لا يزال يكافح الخطوب وينازل المعثرات ، فتارة يروح تحتها، وتارة تكون له الثلبة عليها . وهو دائماً في نزاع مستمر مع القوى المحيطة به . ولكنه اما ان يجاهد في كسب معاشه وموارده وزقه فيبدل على أنه انسان حي في جسم المجتمع البشري، واما ان يقوم بالنصرة العامة على طرق مختلفة، وأشد هذه الطرق صعوبة ما كان يقصده منها تغيير معتقدات فاسدة كنت في تمس الناس أجيالا طريفة حتى يقبض الله نابغة يعالجه

هذه المعتقدات ويكافحها بأحسن منها فهو العالم الحكيم والمجاهد العظيم .
لقد مضى على الامة الاسلامية حين من الدهر كانت تكتنفها به الجهالات
وتعمل في أعضائها ايدي الفساد فقد ابتلاها الله بمن أضاعوا رشدها وأضلوا
سواء السبيل . أولئك قوم نصبوا أنفسهم لهدي الامة ففضيقوا عليها المسالك
وأفهموها الدين بصورة لا تنطبق على الدين الخفيف بشيء ، فغدروا أعصابها ،
وأضعفوا بنيانها ، حتى جاد الله عليها بحكماء يفتنون أعصاب العامة ويهدون
روح العقلاء ، فأنجبت الافئدة للامة ركناً وسنداً . وتعتتها مصر الكريمة عضداً
ومرشداً ، ولم تكن سوريا بأقل منهما حظاً ، بل هي تفخر بأن كان من أبنائها من
غدا للامة هادياً ، ولضعفها مداوياً ، تنجحه نحوه آمال المسلمين في أقطار المعمور
فيجدون به مضي سبيلهم والآخذ بأيديهم الى محجة السواب . ان الامة
الاسلامية بحاجة الى من يفهمها الدين المبين بأسهل الطرق وأقربها تناولاً . انا
بحاجة شديدة الى علماء يوفقون بين الدينيات ومبادئ العمران التي وضعت
عليها اساسات الدين فلا يجهلون الدين بعزل عن كل ما من شأنه ان يدعو الى الحضارة
والتقدم حتى يخال للناظر البعيد (كاللورد كرومر مثلاً ذلك الرجل العظيم الذي
لم يكلف نفسه مؤنة البحث بل اكتفى أن يحكم على الاسلام بالمسلمين) انه
ينافي روح العصر والمدنية وهو الدين الكريم الذي ملا الارجاء نوراً وتغ
في العالم روح حياة مدنت الامصار

ولن تنسى الامة الاسلامية ما أحدثتها في نفسها تعاليم المرحوم السيد جمال
الدين الافغاني الذي نسميه بحق المصلح الكبير وفياسوف القرن الاخير . والذي
جدد للاسلام روحه وبهائه . وقد لاقى في حياته الاسلحية من المرات
ما يقني عزم الضعيف ويشجذه العظيم . فر عليها جيماً معلياً شأن الدين
ومتبناً فلسفته الدينية على أمتن الاركان حتى شهد له فلاسفة العالم الاوربي
بمقدرته الفائقة ولوكبه في مباحثه الدقيقة فأحلوه من الاكرام المقام الاسمى
وكان من التواضع الذين لا تجود بهم الطبيعة في كل حين .

ثم داوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ذلك الجهاد بتعاليم تروق للنفوس
فتغذيها بأبدع الاساليب ففسر آيات الكتاب الجيد بصورة سهلة رائنة وعبارات
بسيطة واضحة لم يسبق لها مثيل اهتزلها العالم الاسلامي اجلالاً واعجاباً وان من
فتاويه الكثيرة لما يأخذ بالالباب . ولست بالمحدثه الشهيرة فأحدثكم عن تعاليمه

ومباديه، وأوروي فاسية، وفتاويه، بل يروق لي أن أذكر هنا قصة صغيرة تدل على الالب البسطة التي سار عليها الاستاذ الامام ودي في سبيلها الآن سماحة خلفه استاذنا الكبير: «أسلم أحدهم مرة لجاء الاستاذ الامام يطلب اليه فقيها يعلمه أصول الدين فحضر عليه عدة أيام وهو يماه الشروح عن الماء الطاهر منه وغير الطاهر أو المطهر. لجاء بعدها يشكو أمر هذه الشروح العويلة الى الاستاذ رحمه الله فأجابته «اذهب يا بني ظالم الذي تشرب منه توشأ به». على هذه الطريقة السهلة الفنية ثبتت في أذهان القوم الدين القويم، وبسارهم الى الاصلاح على صراط مستقيم. وقد جاهد رحمه الله في اصلاح شأن الامة في عدة سنين ما أفسده عليها غيره في قرون، فقال عنه السيد الأفغاني «انه لمصر أعز من جيش وأقوى من أسطول» وكان للامة بأجمعها مبرز جيوش عمراتها وفائد أساطيل تجدد بنيانها. ولم تحرم الامة بعدها يداً قوية على الاصلاح ولا عدت حمة عالية تلم شعثها وتقوم موجهاً فكان من فضيلة الاستاذ الكريم الذي تشرف بالاحتفال به اليوم ومن مناره الاغراءات رابطة بين المسلمين في أنحاء الارض المترامية الامراف. يؤثر في قوسهم بجهاد متواصل عرفه له الخامس والمام: فقام أهل المند يحتفلون به ذلك الاحتفال الكبير يظهرون به مشاعرهم نحو الجهاد العظيم. وقامت البلاد الاسلامية تردد صدى آرائه السامية وتقدم لجهاده ألوية شكرها وتسابيحها. وأقر له بالفضل كثيرون، وشهد بجهاده العظيم الطبيعيون، فذكر الدكتور شميل في كتابه فلسفة الفسوف والارتقاء ما يعاينه استاذنا الكريم في سبيل افهام جهلة المسلمين وعامتهم واصلاح أحوال دينهم ودينام. وانا جريماً نعتد على اصلاحاته آمالنا لما له في القلوب من المقام الرفيع ولان لعلماء الدين من المقدرة على السير بالامة الى أحسن سبيل والاخذ بها في معارج الرقي ما ليس بقدرة غيرهم القيام به. فعلى علماء الامة تعلق الامة الرجاء، يتقدمهم نبراسها المضيء بمناره الواضاح.

وان لي اخيراً رجاء أقدمه لسماحة صاحب الفضيلة والفضل وهو توجيه عامة المسلمين الى حالة المرأة وحنهم على الاهتمام العظيم بأمر رفقها واصلاح شأنها لانها أم الامة ويدها تفرس شجيرات الخير والدلاح فليأخذوا بها في سبيل الفلاح بطريقة مثلى وليمدوها للسير الى ما تتطلبه طبيعة الايام مع المحافظة التامة على اخلاقنا الاساسية فيكون لها في رقي الامة شأن وتكون في اصلاحها.

العون والمساعد . واني أرجو الله أن يبقى لهذه الامة عالمها الكبير يحمل لواء جهاده العظيم في رأسه قبس تستضيء به الامة جماء في مشارق الارض ومنازلها
٤ ديسمبر سنة ١٩١٩
عبد السلام

المسألة المصرية في طورها الاخير

بين ١٠ - ١١ - ١٢
ملتر وما كان من أمرها مع الوفد ولجنة الوفد التي جاءت من باريس لمرض المشروع على الامة وخلاصة رأي الامة فيه

نم ان تقرير لجنة ملتر صدر رسميا بنصه في ١٢ جنادى الآخرة هذه السنة (٢٠ فبراير سنة ١٩٢١) وفيه فوائد وعبر كثيرة ربما نلم بشيء منها في فرصة أخرى ، وتلا صدوره بلاغ رسمي من الحكومة البريطانية هذا نص ترجمته القاهرة في ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١

الى حضرة صاحب العظمة السلطان إسراي عابدين

يا صاحب العظمة

لم أتأخر عن ابلاغ حكومة جلالته الرأي الذي أبدىتموه عظمتكم مرارا عن ضرورة وصول الحكومة الى قرار في موضوع اقتراحات الملورد ملتر يتفق مع أمانتي مصر والشعب المصري تلك الاماني التي اشتد عطف عظمتكم عليها ويسرني أن ابلاغ عظمتكم قرار حكومتي واني متأكد ان هذا القرار يطابق رأي عظمتكم وهي تعين وقد رسمي لاجل الشروع في تبادل الآراء مع حكومة جلالته في ما يختص بالاتفاق المنوي عقده

واني أود بسمة خاصة أن أوجه نظر عظمتكم الى روح حسن النية الذي أظهرته حكومتي بقبولها التساؤل في أمر إلغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية وستقدرون عظمتكم أن هذا التساؤل الكبير دليل صريح على الالهمية التي تعلقها حكومتي على إقامة علاقاتها مع الشعب المصري على أساس ودي دائم وهذا نص قرار حكومتي الذي تكلفت ابلاغه الى عظمتكم

« ان حكومة جلالته الملك محمد درس الاقتراحات التي قدمها الملورد ملتر استنتجت ان نظام الحماية لا يكون علاقة مرشحة لنفي فيما هو موضوع برقية العظمى . ومع ان حكومة جلالته لم تتوصل بعد الى قرارات نهائية فيما يختص

٣٩٨ قرار حكومة بريطانية في شأن الاتفاق مع مصر المنار : ج ٢٥

بأقترحات اللورد ملتر فانها ترغب في الشروع في تبادل الآراء في هذه الاقتراحات مع وفديعنه عظمة السلطان للوصول اذا أمكن الى ابدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح المعروضة التي لبريطانية العظمى وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الاجنبية وتطابق الاماني المشروعة لمصر والشعب المصري ، واني اغتنم هذه الفرصة فأكرر لعظمتكم تأكيد احترامي الفائق لكم (الانهي) وبناء على هذا البلاغ والاتفاق غير الرسمي في لندره على ان يكون عدلي باشا يكن هو رئيس الوزارة التي تتولى تأليف الوفد الرسمي الذي يمتدد الاتفاق بين انكلترة ومصر لمستقالت وزارة محمد توفيق باشا نسيم وألف عدلي باشا الوزارة بالامر السلطاني كما ترى :

الامر السلطاني لعدلي باشا يكن بتأليف الوزارة

عزيزي عدلي يكن باشا

لقد كان من أقوى بواعث السرور لدينا ابلاغ أمثنا المحبوبة قرار الحكومة البريطانية الذي تبلغ الينا بواسطة حضرة صاحب المقام الجليل مندوبها السامي فيما يتعلق بالنهاء الحماية وتعيين وفد رسمي من جانبنا للمفاوضة في وضع اتفاق بين البلدين وانا لنبتجع لهذا القرار الذي فتح الطريق لتحقيق الاماني القومية وبما لنا في ذاتكم من الثقة الكاملة قديما وما نعمده فيكم من الروية الصائبة التي تستدعيها مهام الامور قد اقتضت ارادتنا السلطانية توجيه مسند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الراسة الجليلة لهده لياقتكم . . وأصدرنا أمرا هذا لدولتكم للأخذ بتأليف هيئة وزارة جديدة تقوم باخذ الوسائل السياسية التي تقتضيها الظروف الحاضرة وعرض مشروعه لجانبنا لصدور مرسومنا المالي به واني أضرع الى الله عز وجل بأن يحمل التوفيق رائدنا فيما يمود على بلادنا ورمائنا بالخير والسعادة بحوله تعالى وقوته

٦ رجب سنة ١٣٣٩ (١٦ مارس سنة ١٩٢١) (فؤاد)

(جواب حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا)

يا صاحب العظمة : أتقدم لعظمتكم بمجزيل الشكر على ما أوليتوني من الثقة العالية اذ تفصلتم بتكليفني بتأليف الوزارة في الظروف الحاضرة وشرفتموني بتقليد رتبة الراسة . . لقد كان لي من جليل عواطف عظمتكم اكبر مشجع على قبول المهمة ووضع اخلاصي كله في خدمتكم وفي خدمة البلاد

لذلك أتشرف بأن أعرض على عظامتكم أسماء الوزراء الذين تتألف منهم الوزارة وقد قبلوا مشاركتي في العمل حتى اذا صادف ذلك الاستحسان العالمي يصدر الامر الكريم بالتعديق عليه

حسين رشدي باشا نائب مجلس الوزراء عبد الخالق ثروت باشا وزير الداخلية اسماعيل صدقي باشا وزير المالية أحمد زيور باشا وزير المواصلات جعفر والي باشا وزير المعارف العمومية أحمد مدحت يكن باشا وزير الاوقاف محمد شفيق باشا وزير الاشغال العمومية والبحرية

نجيب بطرس غالي باشا وزير الزراعة عبد الفتاح يحيى باشا وزير الحقانية ان الوزارة ستجمل نصب عينها في المهمة السياسية التي ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر الوصول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك في استقلال مصر وستجري في هذه المهمة متشعبة بما تتوق اليه البلاد ومسترشدة بما رسمته ارادة الامة وستدعو الوفد المصري الذي يرأسه سعد زغلول باشا الى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا الغرض

وبما يوجب الارتياح أن تصریح الحكومة البريطانية بأن المفاوضات ستجري على اساس الغاء الحماية من شأنه ان يسهل مهمة الوزارة من هذه الوجهة فان ذلك التصريح الذي يدل على حسن استعداد بريطانيا العظمى مما يدهو الى الامل بأن المفاوضات التي ستحصل بهذه الروح ستفضي الى اتفاق يحقق للاماني الوطنية وتكون فاتحة عصر جديد بين البلدين شماره المودة وتبادل الثقة وسيكون للامة على لسان الممثلين لها في الجمعية الوطنية القول الفصل في هذا الاتفاق

وبما أن هذه الجمعية ستكون أيضاً بمثابة جمعية تأسيسية فان الوزارة ستأخذ على عاتقها تحضير مشروع دستور موافق للباديء الحديثة للانظمة الدستورية وستحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التي تكفل تمام حريتها وتنظيم بكيفية تحقّق تمثيل رأي الامة تمثيلاً صحيحاً

وفي هذا المقام تحرب الوزارة عن اعتقادها بأن الظروف الحاضرة تبرر الاسراع في الرجوع الى النظام العادي وبأنها ستتمكن بفضل تفوذ عظمتكم من دفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة في القريب الماجل . وانا نتمند على حكمة الامة في تسهيل هذا العمل الذي يحقّق نجاحه امر أمانى الوزارة وانا لنندرك حق الادراك ما نحتاج اليه البلاد من الاصلاحات الكبرى

يبدأ أننا لنسكننا باشتراك الامة في وضعها نمتنع عن كل تغيير جوهري قبل تنفيذ النظام النيابي الجديد . على أننا بتأييد عظمتكم لنا سنسنى بأدارة أمور البلاد وننشط في خير الطرق واصلحها للمحافظة على مراقبها وتوسيع نطاق رقيها وستكون المسألة الاقتصادية الحاضرة موضوع اهتمامنا العظيم . هذا وان الوزارة على يقين من أن هذا المنهج يوافق المقاصد التي مازالت عظمتكم تصبو اليها لخير رعاياها وهي مع ما نشعر به من عبء المسئولية الملقاة على عاتقها تأمل الوصول بمهمتها الى النجاح المنشود معتزة بمطف وتمضيده عظمتكم وممتدة على ثقة البلاد

واني لفنظتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الامين

القاهرة في ٧ رجب سنة ١٩٣٣ (١٧ مارس ١٩٢١) عدلي يكن

وقد قابل الشعب هذا البيان بالسرور والابتهاج لتصريحه بالسمي الى الاستقلال الذي لاشك فيه بالاتفاق مع الوفد الذي يرأسه سعد باشا زغلول ونفقا لرغائب الامة بل تنفيذا لطلبها والنهاء الاحكام العرفية التي كان قد اشتد ختامها بمحاكمة الوطنيين الذين اتهموا بالارهاب والانتقام من المخالفين لهم في اثر مظاهرات سني ١٩١٩ و ١٩٢٠ وحكم بالاعدام على أفراد منهم في مقدمتهم عبد الرحمن بك فهمي سكرتير الوفد المصري ذو المكافة العالية في وطنيته ولكن بدل بحكم الاعدام الحكم عليه بالاشغال الشاقة خمس عشر سنة . وقد سميت هذه الوزارة وزارة الثقة وقام الشعب لها وفي مقدمته طلبة المدارس الذين هم دمه الحبي وعصبه الحساس بمظاهرات عظيمة . وقد بلغت رئيس الوفد المصري سعد باشا زغلول بيانها الوزارة ودعته لتأييدها في عملها - وكان في باريس - فعاد بمن بقي معه من أعضاء الوفد ليتولى العمل في الوطن بعد ان يقف على حال الشعب وآرائه بعد ان غاب عنه زهاء عامين قتلته البلاد بضروب الحفاوة والاحتمال ما لم يسبق لها نظير فيها وربما عز نظيره في غيرها أيضا فكان ذلك أكل مظاهر الوحدة واجماعا من السواد الاعظم على زعيم واحد ولكن جرائم التفرق والاختلاف التي لقيح بها الوفد في أوربة فجعلته فريتين احدهما يظاھر عدلي باشا والآخر يظاھر رئيسه لم تلبث ان فعلت فعملها قبل ان تتم الاحتفالات بالرئيس وسنتين ذلك عما يزيل كل تليس ضللت الصحف به الجمهور



— قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام مدى « ومارا » كمدار الطريق —

٢٩ رمضان ١٣٣٩ - ١٥ الجوزاء (٣) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٦ يونيو سنة ١٩٢١

سؤال

فتحت هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذا ذيع الناس مدة. وشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء. واما تذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه. وربما أجنبنا غير مشترك لئلا هذا، ولأن مضى على سؤاله شران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لما عذر صحيح لاشغاله

أسئلة مغربية، من عاصمة البلاد الاسبانية

(س ١٢ - ١٤)

الحمد لله

فضيلة العلامة الاستاذ الشريف السيد محمد رشيد رضا الحسيني حياكم الله
توجد جماعة من المسلمين بأسبانيا دعيت دواعي اقتصادية وسياسية ان
يكون لباسها اللباس الافرنجي بسائر أنواعه من البرنيطة وغيرها.
ولقد اطلمت على فتوى العلامة المقدس الاستاذ الامام مفتي الديار الاسلامية
بمصر برد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه. الا ان الجماعة المذكورة على
مذهب الامام مالك رضي الله عنه وعمدة كتب المالكية الفقهية هو مختصر
أبي الفياء خليل وما كتب عليه، والشيخ المذكور يقول في كتاب الردة
«وشد زان» كتب عليه الزرقاني ما نفسه: ونحوه مما يحتمس بالكافر كلبس

برنيطة نصراني ومراور يهودي ان سمي بذلك للكنيسة . قال بناني عنيه المراد ملبوس الكفار الخاص بهم ، وكلام المصنف ان فعل ذلك محبة في ذلك الذي وميلا لاهله واما ان فعله هزلا ولما فهو محرم اه

نحن نريد زيادة ايضاح في المسألة سواء كان ذلك داخل المذهب المالكي أو خارجه من بقية المذاهب الفرعية وذلك فيما يتعلق باللباس لامن جهة الحب فيه والميل لاهله بل من جهة الاعتماد والتسهيل ليس الا

كذلك نريد بيان الحكم في مسألة السيام والافطار على حساب النتائج المصرية والتونسية لتعذر رؤية الهلال علينا هنا في حينه ، والشيخ خليل يقول « لا ينجم » فهل يجزي الصيام والافطار بمقتضى تلك النتائج أم لا بد من الرؤية أم ماذا

وكذا نريد الحكم في حلق اللحى هل يحل شرنا أم لا ، واذا كان يحل فهل الحديث الوارد في الموطأ الذي من ضمنه « اغنوا اللحى وقصوا الشوارب » صحيح أم لا واذا كان صحيحا فما حجة من يحتجها من المسلمين بما فيهم من حلة الشريعة الاسلامية في جل الافطار :

وحيث شاء الله تعالى انفرادكم في هذا العصر بالوسعة في العلوم الدينية وغيرها وتمكنكم من زمام الفتاوى أملنا من فضيلتكم الكريمة اثارة ظلمتنا على صفحات مجلة الممار - اقتونا مأجورين ولكم الفضل سلفا ، والله المسؤول ان يديمكم مصباحا يستضاء به (في) الاسلام بجاه النبي عليه الصلاة والسلام

مدريد - في ٢٢ فبراير سنة ١٩٢١ غلص الود لكم

محمد البليغي العلوي الحسي

عميد للجوبة عن هذه الاسئلة

تشديد العقاب وعاقبة تقليد

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه وجملنا من المعتصمين بهداية كتابه وسنة رسوله (ص) وسيرة السلف الصالح من هذه الامة الوسط - أن فقهاء المذاهب كلها قد توسعوا في فروع الشريعة بأقيستهم واختلاف افهامهم وتأثير الازمنة والامكنة التي كانوا فيها لجعلوا الحنيفية السمحة التي رفع الله منها الحرج وبناها على أساس اليسردون العسر من أعر الشرائع فهما وأنفلا على البشر حملا حتى هجر حل أهلها دراستها وترك أكثرهم العمل بأكثر أحكامها. وما جاء هذا

ار: ج ٢٦ م ٢٢ تحريم لائحة لتقليدهم ومعنى اتباع مذهبهم بحث ٢٢١

به الا من توسع هؤلاء المصنفين في تلك الكتب المنولة في الفتحة التي يقل
ها ذكر القرآن والأحاديث النبوية ويكثر فيها قال فلان وصح فلان ورجح
إن . ومن معجزات هذا الدين أن كل ما صح في كتاب الله تعالى وما بينه من
نة رسوله (ص) في منتهى اليسر والسباحة ، كما صح في وصف هذه
سريعة ، وكل ما أشرنا اليه من السر انما هو اجتهاد من أولئك المصنفين في
بقه بعد عصر السلف الصالحين وأتوهم غير مجتهدين ، ولا على سيرة من
عوا اتباعهم من المجتهدين ، فن تقيد بتقليد هؤلاء يتعذر أو يتعسر عليه
د يكون مسلماً قائماً بأمر دينه كما يجب ، ولقد كان الاعرابي في عصر السعادة
سم بين يدي الرسول ويتعلم دينه في مجلس واحد ويتقن أنه لا يزيد على ما علم
رجوبه عليه ولا ينقص منه فيقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه « أفلح ان
صدق . أو - دخل الجنة ان صدق » كما ورد في الصحيحين وغيرها

وأنت تعلم أن الائمة المجتهدين من علماء الامصار المتبينين لم يجزوا لا تقسم
ن يكون شارعين وان يكون كلامهم ديناً يتبع لان من اتحل هذا فقد جعل
له شريكاً رب العالمين كما بيناه في التفسير من هذا الجزء والذي قبله . وانما
يستنبطوا ما استنبطوا لاجل فتح أبواب الفهم في النصوص مع ارشاد الناس
لأنه لا يجوز لاحد ان يقلد في فهمه ، وانما يعمل من ظهر له مع النظر في الكتاب
السنة انه هو الحق الذي شرعه الله ، وقد بين ذلك المزي في صاحب الامام
لشافعي في أول مختصره الفقهي بقوله بعد البسملة « اختصرت هذا الكتاب من
بن علم محمد بن ادریس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لاقربه على من أراده
مع اعلاميه نبيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه
بإالله التوفيق »

وكان جميع الائمة على هذا ولو لم يكونوا عليه لما صح ان يكونوا ائمة مجتهدين
مجتهدين وقد دخل القمني على الامام مالك وهو في مرض موته فرأه يبكي
فسأله عن سبب بكائه فأخبره أنه ما بلغه من ان الناس يعملون بأقواله مع أنه
قد يقول القول ثم يظهر له خلؤه فيرجع عنه ، فقد خشي ان يفضل الناس به
عن شرعهم ونصوص كتاب الله وسنة رسوله (ص)

واذكرك مع علم بهذا ان مذهب المجتهد عبارة عن الطريق الذي سلكه
في فهم الشريعة من الدلائل وأصول الاستنباط المعروفة في الاسول . فهذا

ما يصح للفقهاء على مذهبه أن يجري عليه إذا كان مقتنعا بصحته وليس معناه أن يأخذ فروعه المستنبطة فيجعلها أصولا للدين يستنبط منها أحكاما ويقبس عليها أخرى بحسب فهمه ويسمى هذا شرع الله في الإيمان والكفر وعبادة الله والحلال والحرام، مع ما علم من أمر التشريع وجعل اتحاله واتباع منتحلة من الشرك والافتراء على الله. وبهذا تعلم أن هؤلاء المقلدين المؤلفين في الفقه ليسوا متبعين في كل ما قالوه في كتبهم لمذاهب الأئمة الذين يدعون أن هذا الفقه فقههم

مثال ذلك أن مذهب الإمام مالك اتبع أصحاب نصوص الكتاب والسنة في المباديات والوقوف مع ظواهر النصوص وفهم أهل السدر الأول لها ومصلهم بها - ولا سيما أهل المدينة في زمنه - دون الدوران فيها مع الظل والحكم وما يسمونه المعنى المناسب. ومذهبه في أحكام المعاملات والعادات مراعاة مقاصد الشرع والمصالح العامة المعروفة من أصوله لا مجرد ظواهر اللفاظ كما بينه العلامة الشاطبي في الاعتصام (١) وغيره وهو معروف مشهور عنه - وترى بعض الفقهاء خرجوا عن أصل مذهبه المذكور في مسائل كثيرة من المباديات بحجة اتباعه والعمل به وأكثرت بشاهد من الشواهد على ذلك :

رأيت رجلا مالكيًا معهما لا أحرفه يذكر لغيره مالكيًا أحرفه ما ذكره هؤلاء من الشروط في ماسح الخلف وفي الخلف الذي يجوز المسح عليه ككونه من الجلد وكونه مخروزا وأنه إذا كان ملصقا لا يجوز المسح عليه الخ فقلت له ما الدليل على هذه الشروط في المذهب ؟ قال قاعدة الإمام مالك

في الاتباع في المباديات والقرام ما ثبت في الكتاب السنة وهكذا كانت الخلفاء في عصر النبي (ص) قلت أن هذا مخالف لمذهب الإمام مالك كل مخالفة فإنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة أن الخلف الذي يجوز المسح عليه يجب أن يكون جلدًا وأن يكون مخروزا، ولا دليل على أن الخلف كلها كانت كذلك، وإذا ثبت كونها كذلك بالفعل فذلك لا يدل على الشرطية لا عند أهل الاتباع المحض ولا عند أهل الرأي في التمسك. مثال ذلك المطابق له المسح على الهامة قد ثبت في السنة فهل يشترط في مسحنا الهامة أن تكون كهامة الرسول (ص) في صفات نسيجها ككونه من القطن أو الصوف وكونه من نسيج الخمين أو غيرها وكون ملولها كذا ذراعا ؟

ان من الاصول التي لا يتارى فيها عاقلان ان أمثال هذه الصفات والاحوال التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه في لباسهم وأكلهم وشربهم وهيئاتهم حتى في وقت أداء العبادة لا تعد من فرائض الدين ولا من شروط صحة العبادة ولا من المتدوبات الشرعية لمجرد كونهم عليها وانما يتحقق كون الشيء واجبا أو شرطا أو مندوبا بنص شرعي يدل عليه دلالة صحيحة والجمهور لا يعدون فعله (ص) دالا على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل

وجملة القول ان جماهير المصنفين من خلف هذه الامة قد خالفوا سلفها وعسروا يسر شريعتها حتى أدخلوا الامة في جحر الضب الذي حذرهم منه الرسول (ص) في الحديث المتفق عليه « ولتبتعن سن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وقد صبر المسلمون قرونا على الحبس في جحر الضب ثم ضافوا به ذراعا حتى خرج بعضهم منه من غير الباب الذي دخلوا منه فرقوا من الاسلام وحسبوا انه هو جحر الضب لاسواء وانه لا قبل لهم به — ودعاة الاصلاح يريدون أن يخرجوهم الى حقيقة الاسلام وهو الباب الذي دخلوا منه اذ أوهمهم المصرون انه هو الاسلام . وما الاسلام الا القرآن وسنة الرسول في بيانه على الوجه الذي كان عليه جماعة السلف الذين أمر الرسول بلزوم جماعتهم فكان اجماعهم حجة فيما اتفقوا على انه دين

وفي هذا المقام احتج على المقلدين بعلم امام من الائمة المجتهدين واجعله شاهدا ثانيا على ما ذكرته من معنى مذاهبيهم ومخالفة من يدعون اتباعهم لها .

قال الامام الشافعي رحمه الله في أول باب الاجماع من رسالته بعد تفصيل الكلام في الكتاب والسنة « وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحمل المسلم علم كتابا ولا سنة ان يقول بخلاف واحد منهما » فقال لا يحمل المسلم ولم يقل لمجتهد وهو منكرة متنية تقيد العموم ثم بين في هذا الباب لمن سأله عن الحجة على العمل بالاجماع ان الجماعة التي أمر الرسول (ص) بلزومها هي جماعة الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم الذين لا تمزب سني رسول الله (ص) عن عامتهم (أي جملتهم وسوادهم الاعظم) وقد تمزب عن بعضهم . وقال في آخر الفصل « فلم يكن لزوم جماعتهم معنى الاماعليه جماعتهم من التحليل والتحرير والطاعة فيها » وهذا ظاهر كالشمس وهو غير الاجماع الاصولي الذي لا تقوم عليه حجة

اذتعمد هذا فهناك أجوبة الاسئلة :

(الجواب عن مسألة الزي)

ان ما قاله الفقهاء في النار ونحوه لا يتطابق على ما كان في لبس ثياب الافرنج لانها ليست من الزي الديني ولا تلبسونها بالقصد الذي قالوه ونوضح المسألة بيمض ما سبق لنا تفصيله في المجلد الاول والسادس وغيرهما فنقول

ان الاسلام لم يقيد المسلمين بزي خاص فقد كان النبي (ص) يلبس زي قومه الذي كانوا عليه في الجاهلية في عامة أيام رسالته وقد عرض له لبس أزياء غيرهم من الامم فلبسه بيانا للجواز كالجبة الرومية . من لباس النصراني كما ثبت في الصحيحين وجبة الطليالة الكسروانية . من ملابس الجوس كما ثبت في صحيح مسلم . فالاصل في الازياء الاباحة كما ثابها من العبادات وقد تعتبرها الاحكام الحقة بما يمرض عليها من دفع ضرر يقيني أو ظني أو وقوعه أو تحصيل نفع كذلك . ومما سبق لنا بيانه غير مرة ان بعض كبار المتكلمين من المسلمين قد تسبوا ونسبوا لما في مسألة الزي من التأثير السياسي والاجتماعي فكروا ان يقلدوا غيرهم من الامم في أزيائهم في أثناء الفتوحات العربية وغيرها لئلا يندغموا في الامم التي فتحوا بلادها بسبب قتلهم فيها ولأنهم جاؤا ليكونوا أئمة هادين متبوعين لاتباعين مقلدين ، وقد اتبهم الاوربيون في هذا المعنى

وأول من تنبه لذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روى مسلم انه كتب الى جيشه وهم في أذربيجان مخاطبا قائده : يا عتبة بن فرقان انه ليس من كد أهلك ولا من كد أمك فاشيع المسلمين في رحالهم بما تشيع منه في رحلك وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك الخ قال النووي في شرح مسلم : وقد جاء في هذا الحديث زيادة في مسند أبي عوانة الاسفراييني باسناد صحيح قال : أما بعد فأترزوا وارزدوا . وألقوا الخفاف والسرابلات وعليكم بلباس أبيكم اسماعيل ، وإياكم والتنعم وزي الاعاجم ، وعليكم بالشمس فانها حمام العرب وتمددوا واخشوشنوا واقلموا الركب (١) وبرزوا وارموا الاغراض اراء وقوله تممدوا ومعناه تسبوا بمجدكم معد بن عدنان في أسباب القوة والصلابة ، وهذا نحو مما يعرف في تاريخ اليونان عن الاسبرطيين والتشبه بهم في مصارعة الشدائد . ثم ان المسلمين لبسوا كل زي في بلاد اهل وفي بلادهم وقد لبسوا في زمن المنصور بأمره قلائس كقلائس الكفار ولم ينكر ذلك أحد من العلماء كما أنكروا

على السلطان محمود الثاني استبدال زي الافرنج زي قومه المعروف ثم زال
الاكتفاء ، وللمسلمين في الاقطار المختلفة أزياء كثيرة طابت دورها حديثا في
مدينة كبيرة واحدة ادارات الجرائد الاسكندرية وفيها يرى السائر ما يرى من
المشابهة بينها وبين أزياء الملل الاخرى

وما قاله الفقهاء في حكم من لبس ملابس الكفار فهو مبني على مدرك
نظري معروف وهوان من يلبس ملابس أهل مله مما هو خاص بدينهم تقضيل
لذلك الملة على ملته كان مرتدا وهذا اللبس بشروطه دليل على الردة عنها
والانضمام الى غيرها ولكنه غير مطرد واذ اصح للفقيه ان يذكره للتنبيه والتذكير
والتنفير فلا يسع للمفتي ولا للفاشي أن يأشبهه عند الفتوى والحكم في النوازل
والدعوى المعينة على علانته ولا يسع بالاولى أن يحمله على نفسه من يلبس
لبس أهل مله لسبب من الاسباب التي لا تنافي الدين ولا تحمل بالايعان
كالاسباب الصحية ومنها انقاء الحر والبرد أو الاقتصادية أو السياسية
كالميون والجزائيس أو العسكرية أو الاجتماعية كمن وجد مع قوم وهو يعلم
انه اذا ظهر زي مخالف لزيهم يتأذى باحتقارهم اياه أو تشهيرهم به أو كثرة
التسلع اليه والاستغراب لزيه وقد ورد في السنن النعمي عن لبس الشهرة
والوعيد عليه في حديث أبي ذر عند ابن ماجه والضياء وحديث ابن عمر
عند أبي داود وابن ماجه وحسنوها ، وأكثر من يغير زييه من المسلمين الذين
يذهبون الى أوروبا فانما يغيرونها للسبب الاخير ولا سيما التغير بلبس القبة
المروقة بالبرنيطة فانه لم يبق فارق بين كثير منهم وبين الاوربيين الا فيما يوضع
على الرأس ، والبرنيطة عنده ليست شعارا دينيا للافرنج ولا هي خاصة بهم وقد
نفث ان بعض غرب الجن صنعوها للاقاية من الشمس ويسمونها المظلة ولا يخطر
ببال أحد من يلبسها من المسلمين أنه فضل على دينه دين القوم فلا وجه اذا جعلها
امارة على الردة ولا للقول بتحريمها بل هذا التحريم شر من لبسها وأشد خطرا
على دين القائل به لان معناه ان الله تعالى أنزل وحيه بخطاب يقتضي ترك لبسها
اقتضاء لازما ويحجب بأن جزاء من لبسها العقاب في الآخرة . وهذه جرأة على
لاقترافه على الله تعالى والقول عليه بغير علم وهذا كثر يتعمد شره الى حمل
الس على العمل به فهو أغاظ من الشرك القاصر ضرره على صاحبه كما قاله
بعض العلماء في تفسير آية (٧ : ٣١) قل انما حرم ربي الدواخس ما ظهر منها وما

بطن والاثم والبني بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا
على الله ما لاتعلمون) اذ قال ان غلظ هذه المحرمات جاء فيها على طريق الترمي
وانما كان الاخير أغلظ عما قبله لانه شرك متعمد وما قبله شرك قاصر - وهو
اتباع قائله به بغير علم من نبي الوحي فقد اتخذ ربا وشريكا لله كما علم بالتفصيل
من تفسير هذا الجزء من المنار والجزء الذي قبله . وقد حققنا مسألة الردة
بعض الفتاوى من أجزاء هذا المجلد وفي مجلدات أخرى من المنار

(الجواب عن مسألة الصيام والفطر)

بقول أهل الحساب أصحاب النتائج)

هذا السؤال غريب من مثل سائله الفاضل فهو يعلم ان حكم الشرع في
صيام رمضان والافطار منه منوط برؤية الهلال اذا تيسر والا فبالكمال عند
شعبان في الصيام وعند رمضان في الافطار ثلاثين يوما ، وحكمة ذلك جعل
المادة ابتداء وانتهاء مما يتيسر ان علم بمواقيته لكل جماعة ولكل فرد من الامة
وحكمة عدم نوط هذا التوقيت بالحاسبين من علماء الفلك هو ان لا يكون أمر
البادة متوقفا على أصحاب الفنون الذين لا يوجدون في كل مكان وان لا يكون
لامثال هؤلاء الافراد حكم فيها ولا رياسة أو شبه رياسة دينية بسببها . ولعله
لا يعلم ان اهل مصر وتونس أنفسهم لا يعملون بهذه النتائج في الصيام والافطار
بل بآليات رؤية الهلال أو اكمال العدة ولكن قد يستعينون بها على الاستهلال
فيرصدون الهلال في الليلة الذي تنص على انه يرى فيها وفي المكان الذي يرى
فيه بالنسبة الى مغرب الشمس

وقد استغربنا بناءه السؤال على تمذر رؤية الهلال عليهم في أسبانية وهو
لم يبين سببه وقد كانت هذه البلاد (الاندلس) في حكم الاسلام وكانوا يرون
الهلال فيها ولعل السائل ومن معه يقيمون في فندق أو دار لا يمكنهم الصمود
الى سطحها أو لا يرى مكان الهلال من الافق للواقف على سطحها ويتمذر عليهم
رؤيته من سطح آخر أو من ضواحي البلد ، فاذا تمذر عليهم ذلك بالفعل فلا
يبيد ان يقال انهم يعملون بحسابهم أو حساب من يتفقون بعلمه اذا قال ان
الهلال في ذلك البلد أو في افقه يولد في وقت كذا ويمكن رؤيته بالابصار في
ليلة كذا - فالليلة التي يمكن ان يرى فيها الهلال بالفعل هي اول الشهر الشرعي .

واختلاف المطالع ثابت قطعاً فلا يصح اعتماد من في أسبانية على نتائج مصر أو تونس بجمل أول الشهر فيها هو أول الشهر في مدريد

(الجواب عن مسألة خلق الله)

هذه المسألة وامثالها مما سيأتي ليست دينية مما يعبد الله به فعلاً أو تركاً وإنما هي من الأمور المادية المتعلقة بالزينة والتجمل والنظافة وقد سميت في الأحاديث الواردة فيها سنن الفطرة أي المادات المتعلقة بحسن الخلقة ففي حديث أبي هريرة عند الجماعة (أحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة) قال رسول الله (ص) «خمس من الفطرة الاستحذاء (أي حلق العانة) والختان وقص الشارب وتنف الأبط وتقليم الأظفار» وفي حديث عائشة مرفوعاً عند أحمد ومسلم والترمذي والنسائي «عشر من الفطرة: قص الشارب واغناء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الأبط وحلق العانة واتقاص الماء» أي الاستنجاء قال مصعب بن شيبة راويه: ونسيت العائنة إلا أن تكون المضمضة

وورد في الحية والشارب أخبار معللة بملة أخرى وهي مخالفة المشركين والمجوس ففي حديث ابن عمر في الصحيحين ومسنده أحمد مرفوعاً «خالفوا المشركين: وفروا الله واحفوا الشوارب» زاد البخاري وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فافضل أخذه. أي قصه. وفي حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم «جزوا الشوارب وارخوا الله خالفوا المجوس» وقد كان النبي (ص) في أول الإسلام يحب مخالفة المشركين وموافقة أهل الكتاب ثم صار بعد الهجرة يأمر بمخالفة أهل الكتاب حتى في الأمور الاجتماعية والعادية لأن المسلمين كانوا في أول الإسلام مع المشركين في مكة فكان يجب أن يمتازوا عنهم وكانوا بعد الهجرة مخالطين لأهل الكتاب فكان يجب أن يمتازوا عنهم. مثال ذلك أمره بصنع الشيب ففي حديث ابن عباس في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي «أن اليهود والنصارى لا يعصبون مخالفتهم» وفي لفظ عنه للترمذي «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود»

والأمر في مثل هذه الأمور المادية ليس بالواجب الديني والنهي عنها ليس بتحريم كما قال الامام الطبري والظاهر أن الأمر فيها للإرشاد الذي يتعلق

بمنافع الدنيا ومصلحتها الحديث «كأول الریت وادهوا به» رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة بسند صحيح وتسمته «فانه طيب مبارك» وعنه وعن غيره بأسانيد ضعيفة وتسمه أخرى . هذا ما يوافق أصولهم والمشهور عند أكثر الفقهاء ان هذه الحلال كلها مستحبة الا لاختلاف فقد قالوا بوجوبه للذكر وقالت المالكية بوجوب اغفاء اللحية وقال الجمهور باستحباب ارسال شعر الرأس وفرقه واستحباب صنع الشيب وخضابه لمخالفة الكفار كما ورد . فأما ما وصف بأنه من سنن الفطرة فالفرض منه أن تكون الامور الفطرية أي أمور الملتقة على أحسن حال في حسن المنظر والنشافة والصحة . وأما ما ذكر لمخالفة أهل الملل فلاجل ان يكون لمسلمين مشخصات وعادات حسنة خاصة بهم من حيث هم أمة جديدة جعلها دينها اماما وقدوة لسائر أهل الملل في اصلاح امور الدين والدنيا وقد كان التمسك بالدين والاجتماعي عام في جميع الامم بأجماع المؤرخين اما قص الشارب واقل ما قال الفقهاء فيه ان تظهر الشفتان واكثره استنشاله ولو بملقه فذلك منه ظاهر الفهم وجماله ومراعاة الصحة والنشافة فان شعر الشاربين يملق به الفبار ودمس اللعاب وما فيه من جرائم الامراض فاذا شرب صاحبه من اناء دخل شعره فيه فيؤثر في الشرب كما يؤثر الشراب فيه وقد يتعذر الاسراع بتنظيفه كما يؤثر في الملاعق اذا اكل بها ثم لا يزال اكثر الناس يضطرون الى الشرب من اناء واحد والاكل من صحفة واحدة كاهل العصور القديمة ولا يخفى ما يترتب على ذلك . وأما كون اغفاء اللحية من سنن الفطرة فعنه انه زينة خص بها الرجل الذي هو اكمل من المرأة خلقتا فامتاز به عليها كامتياز أكثر ذكور الحيوان على انثاهما ، ولم ترد مبالغة في اغفائها كما ورد في احفاء الشارب بل قال ابن السیدجل بعضهم قوله «اغفوا الاحی» على الاخذ منها باصلاح ما شذ منها طولا وعرضا واستشهد بقول زهير على آثار من ذهب العفاء وهو شاذ وظاهر الرواية ان المراد به ترك حلقها كما كانت تفعل الاعاجم أو قصها قصا يقرب من الحلق بحيث تزول هذه الزينة وما فيها من المهابة . قال الحافظ في شرح ما ذكرنا من زيادة البخاري في حديث ابن عمر المذكور آنفا : الذي يظهر أن ابن عمر كان لا يخلص هذا التخصيص بالنسك بل كان يحمل الامر بالاغفاء على غير الحالة التي تنشوء فيها الصورة بأفراط طول شعر اللحية أو عرضه فقد قال الطبري : ذهب قوم الى ظاهر الحديث ففكر هو تناول شيء من الاحية من

سرها ومن عرضها وقال قوم اذارك على الفينة يؤخذ الزائد - وذكر عنه الاستدلال بحديث ابن عمر وغيره ثم قال - ثم حكى الطبري اختلافاً يؤخذ من الاحية هل له حد أم لا فأسند عن جماعة الاعتصار على أخذ الذي يزيد منها على قدر الكف وعن الحسن البصري أنه يؤخذ من طولها وعرضها ما لم ينحش وعن عطاء نحوه قال وحمل هؤلاء الذهي على منع ما كانت الاساجي تقفنه من قصها وتخفيفها قال وكذا آخرون التعرض لها الا في حج أو عمرة وأسند عن جماعة واختار قول عطاء وقال ان الرجل لو ترك لحيته لا يتعرض لها حتى غش طولها وعرضها لعرض نفسه لمن يسخر به واستدل بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن حده أن النبي (ص) كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها ، وهذا أخرجه الترمذي ونقل عن البخاري أنه قال في راويه عمرو بن هارون لا اعلم له حديثاً منكراً الا هذا وقد ضعف عمرو بن هارون مطلقاً جماعة . وقال عياض كثره حلق الاحية وقصها وتخفيفها وأما الاخذ من طولها وعرضها اذا غشمت فحسن بل تكره الشهرة في تعظيمها كما تكره في تقصيرها ، وتعقبه الثوري بأنه خلاف ظاهر الخبر في ترفيعه اذ المراد منه

وجملة القول أن حديث مالك في المسألة مؤيد بأخبار السحيجين والسق
فهو صحيح واكثر انماء على كراعة حلق النبي وفيها ترك الشارب الى
ستر الشفتين والمسألة عادية دينوية لادينية تتركى بها النفس لتكون أهلاً لآوار
له ونوابه في الآخرة كإفلقنا. وإن كان فعلها بنية الاتباع وتقوية رابطة الامة
ما يثاب عليه كآثار الامادات والمباحات التي تحسن فيها النية، ولكون هذه المسائل
غير دينية لم يعن المسلمون بالخضاب وصنع الشعر كما عنيوا بارسال الله مع
سعة الاحاديث بالامر به وكونه زينة ومخالفة لآهل الكتاب بل كرهه بعضهم
وحرمه آخرون بالسواد، وقد صرح أن ابا بكر كان يخضب بالحناء والكتم وفي
حديث أبي ذر عند أحمد وأصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي «ان احسن
ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم» (بوزن الجبل) نبات يمتلي
سبعة اسود ضارب الى الحمرة نعم صرح كثيرون باستحباب صبغ الشعر
بخضابه مطلقاً وبهضمهم بما عدا السواد لحديث امره (ص) بتغيير شيب ابني
بحافة مع قوته وجنبوه السواد» ولا حديث اخرى لا يصح منه شيء
يرفوع وقد سبق لنا تحقيق ذلك في المنار وحديث «جنبوه السواد» لا يبدل

على تحريم السواد ولكنه لم يستحسنه (ص) لشيخ بلغ من الكبر عتياً كإبي قحافة وكان شعر رأسه ولحيته كالثلثامة في بياضه كما قال بعضهم فألعة ذوقية واضحة كما يأتي عن ابن شهاب قريباً. وذكر الحافظ في الفتح أن الذين أجازوا الصبغ بالسواد تمسكوا بالأسر المطلق بتغييره مخالفة للأعاجم (ثم قال) وقد رخص فيه بطائفة من السلف منهم سعد بن أبي وقاص وعقبة ابن عامر والحسن والحسين وجبرير وغير واحد (أي من الصحابة) واختاره ابن أبي عاصم في كتاب الخضاب له وأجاب عن حديث ابن عباس عند أبي داود «يكون قوم في آخر الزمان ينجسون بالسواد كخواصل الحمام لا يرمون رائحة الجنة» بأنه إخبار عن قوم هذه صفتهم وذكر عن ابن شهاب أنه قال : كننا نخضب بالسواد إذا كان الوجه جديداً فلما نفى الوجه والاسنان تركناه .

وجملة القول أن أكثر العلماء كرهوا الخضاب بالسواد وجعل النووي الكراهة للتحريم وهو كثير التشديد وقد حقق ابن الأثير وغيره أن الخضاب بالحناء والكتم مما يكون أسود وقد صح استحسان النبي (ص) له قولاً وفعلًا إذ رأى من خضب به وإن أبابكر كان ينجس بهما مما أو منفردين ، وهل يعقل إذا صح أن- واد خضابه يضرب إلى الحمرة أن يكون السواد الحالك سبباً للحرمان من رائحة الجنة ؟ أو ليس الموافق لأصول الشريعة أن صح هذا أن نقول أنه علامة لقوم من المبتدعة المجرمين في آخر الزمان يجرمون الجنة بأجرامهم لا بخصابهم كما جعل خلق الشعر علامة للخوارج - والا كان سعد بن أبي وقاص واحداً عشرة وسيدا أهل الجنة أول من يتناولهم هذا الوعيد الشديد ؟ أو ليس من علامة وضع الحديث ترتيب الثواب العظيم أو العقاب الشديد فيه على التافه من العمل ؟ وقد قال ابن الجوزي بأن هذا الحديث موضوع وخطأه من صححوه وحسنوه من حيث السند على أن فيه عبد الكريم غير منسوب قيل أن كان الجزري فقد روى عنه الشيخان نقول ومنع ابن حبان الاحتجاج بما يتفرد به كهذا الحديث وإن كان ابن أبي الخارق فضيف . وقد اضطروا إلى تأويل الوعيد فيه بالتكلف

وأما قول السائل إذا كان الحديث صحيحاً فما حجة من يخلق لحيته من المسلمين بما فيهم من جملة الشريعة - تجاوبه أن المسلمين قد ترك الكثيرون منهم ما هو أعظم شأنًا من قص الشارب وإغفاء اللحية من السنن والآداب

الاسلامية من دينوية اجتماعية ودينية وكثيرا من الفرائض أيضا. وقتا يحتاجون
 لشيء من ذلك الا اذا قال أو عمل به بعض شيروخهم في التقه أو التصوف
 وقد يقولون ان جمهور علمهم يقولون باستحبابه لا وجوبه، فلا والدواب ان كل
 قوم يعملون بما ألفوا واعتادوا من هذه السنن حتى ان بعض السلف تهاونوا
 في بعضها ولاجل هذا توسعنا في المسألة بذكر سنة الحجاب التي لم يتمودها
 الا القليل منهم منذ عصر السلف فقد روي ان الامام أحمد رأى رجلا قد خضب
 لحيته فقال اني لأرى رجلا قد أحيا ميتا من السنن وفرح به. وروي عنه في ذلك
 أقوال أخرى. ونسرب له مثلا من المتدبلة أعظم من هذا لانه في مسألة عملية
 تتعلق بمقيدة التوحيد وهو. وورد من حضراته وروايتهم والامير بسبها وحضر
 أشرف القبور ولا يهاب قبور الصالحين واتخذها مأجندا ووضع السرج عليهم والامر
 بتسوية القبور المشرفة المرتفعة عن الارض بالتراب. ثم ذلك صبح في الاحاديث
 وعلمته انها من أعمال الشرك والوثنية التي سرت الى أشعث السكتاب من الوثنيين -
 ولكن المسلمين تركوا العناية بالتصوير والدور والتزيل حتى ما لا دخل له
 في الوثنية وأمور الدين بوجه من الوجود وان كان من أهم منافع الدنيا
 ومصالحها كاللغة والعلم والحرب - وغنوا بتمتار الصالحين حتى اتخذوها مساجد
 وشرفوها ورفعوا بنيانها وحبسوا الارواح عن ان يوضع السرج والمصابيح
 عليها وصاروا يشدون الرجال اليها ويلبسون بها تدينا فوقعوا في مل محرم
 الشرع بناءها وتعظيمها لاجله والفقهاء يقرؤونهم على ذلك والفتاة يحكون
 بصحة أو قافهم وهم يقرؤون الاحاديث الصحيحة في لمن من فعل ذلك
 أكبر أسباب تهاون المسلمين بأمر دينهم وآدابهم ومشخصاتهم المالية في
 أكثر البلاد أوران (احدهما) ترك العلماء فريضة الدعوة الى الخير والامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر (وثانيهما) عدم وجود حكومة اسلامية تحافظ على الشرائع
 الدينية، ومقومات الامة ومشخصاتها المالية، ولذلك لا ترى مثل هذا التهاون
 في بلاد نجد وبلاد الافغان وكذا بلاد اليمن التي لم يتولى الترك الحكم فيها كجبال
 الزيدية ولكن بعض هؤلاء المتدينين قد غلوا في دينهم حتى وقعوا في مثل
 ما انكروا وفيما هو شر منه كتحريم ما لم يحرم الله ورسوله افتراء على الله وقولا
 عليه بغير علم وتكفير المسلمين بما ليس كفر ولا محرما
 وقد قتل أهل البلاد النمانية والمدنية بتقليد الافرنج واليهود بهم كما هو
 (المنازع: ج ٢٢) (٥٦) (لجنة الفقهاء والعلماء)

معروف ومن الجربان كثيراً من الذين يتركون أزياءهم من المسلمين ويلبسون الزي الأفرنجي يتمأون بأمور الدين ويتجزؤون على العقق والنجور وان اختلاف الزي كان من اسباب ضعف الرابطة الملية والقومية ، وقاعدة سد ذرائع الفساد ثابتة في شرعنا ، ومن غير زيه لاجل التوسل به الى المعاصي كان تغييره معصية ومن حاف على نفسه ذلك فليس له أن يقدم عليه ، والذين لا يبالون بهذا اذا كان لعدم اذعان انفسهم للامر والنهي فليـ واعلى شيء من الدين - ولعل هذا ما كان يحذره بعض الفقهاء المشددين حتى في العادات ولكن الجرأة على التحريم والتكفير للاشخاص المعينين خطر على صاحبه أعظم من الخطر الذي يحذره وينكره النلاة فالافراط في الدين كالتفريط فيه كلاهما ينتهيان الى الجنابة عليه والاضاعة له فنسأل الله الحفظ والسداد

الحقائق الجلية في المسألة العربية

مقالة للعبرة والتاريخ

تمهيد ومقدمة

كتبنا في سنة ١٣٣٤ (١٩١٦) مقالا عنوانه (المسألة العربية - مقالة للتاريخ) لم يتيسر لنا نشره الا بعد زهاء سنة كاملة من وقت كتابته فنشر في الجزء الاول من المجلد العشرين بعد أن أشرنا اليه في تقرير جريدة القبلة من جزء المنار الذي صدر في آخر الحرم سنة ١٣٣٥ (من المجلد التاسع عشر) ولكن بعد أن حذفت منه المراقبة الانكليزية ما حذفت ، وأكرهتنا على تبديل ما كرهت ، ولا أعني بالمراقبة الانكليزية مراقبة قلم المطبوعات في وزارة الداخلية المصرية التي كان يرأسها انكليزي أمر بالتشديد في مراقبة المنار بما لا يشدد في مراقبة سائر الصحف لانه في اعتقادهم أشد تأثيراً في أنفس المسلمين بما له من النفوذ الديني (١) وانما أعني مراقبة السائلة الانكليزية التي كانت تحول اليها مراقبة المطبوعات في الداخلية ما يكتب في مسائل ممية من أهمها المسألة العربية والحجاز . على (١) من أغرب هذا التشديد اننا قد كنا ننقل بمض ما ينشر في الجرائد اليومية فنمنع من نشره بالمنار ألبتة أو يحذف بعضه حتى حذف بعض تقرير مشيخة الأزهر الرسمي في انقاد مشروع التعليم الاول عند نشرنا اياه قلنا هن الجرائد

أنا راعينا في تلك المقالة مقتضى الحال وأحكام الرمان. فكتبتنا عن بعض الحقائق وبيننا معناها بالتصريح، واضطررنا في البعض الآخر الى الايمان والتفويض، واتنا نذكر في هذا المقال الذي نكتبه بعد الفناء المراقبة على الصحف في مصر بعض الحقائق ونرجي، بعضها الى فرصة أخرى، قاصدين مع بيان حقائق التاريخ الموعظة والذكرى، فنقول

اتنا كننا تتوقع وقوع الحرب الاوربية الكبرى قبل وقوعها بزمان بعيد ولا سيما بعد حرب البلقان خلافا لجاهل المكارين الذين كانوا يستبعدونه أو يجبلونه ظنا منهم أن الدول العظمى وصات المدرجة التكامل في العقل والتفنية ومراعاة المصالح الانسانية العامة بحيث يحلون جميع المشكلات بالاساليب انيسائية دون الحرب ولم يصدق هؤلاء بامكان وقوع هذه الحرب الا بعد اشتعال نلرها بالفعل

وكنا نعتقد أن الدول الاوربية الاستعمارية تريد الاستعجال بحل المسألة الشرقية اغتناما لفرصة تهور الاتحاديين وتغييرهم للعناصر العثمانية بفلولهم في المسيية التركية، وقد شرحنا هذا الاعتقاد في المقالات العشر التي كتبناها بعنوان (المسألة الشرقية) بمناسبة استيلاء ايطالية على سواحل برقة وطرابلس الغرب ونشرناها في المؤيد ثم في المنار، وكاف نشرها في المؤيد مثيرا لبعض وكلاء الدول الاوربية وحاملا لهم على مراجعة العميد البريطاني بمصر وايعاز العميد الى رئيس الوزارة المصرية بايذان صاحب المؤيد بالامر ووجوب مطالبته اياي بتخفيف الحملة عن الدول بمجملاتها وحقير الكلام في ايطالية ومساءلة طرابلس وقد حملنا في المنار على الحكومة الاتحادية بما كانت وضعت من أساس الاتفاق مع الدولة البريطانية على جعل العراق منطقة نفوذ اقتصادي لها وشروع الاتفاق مع فرنسا على مثل ذلك في سورية كما حملنا عليها في اتفاقها السري مع ايطالية واعتقدنا أن الاتحاديين يريدون تنفيذ وعيدهم في الحرب بعد أن أخذوا غير واحد من زعمائهم بأنهم يبيعوننا ويرقون شعبيهم بشمتنا، ولأجل هذا اندفع العرب العثمانيون الى طاب الاستقلال الاداري من الدولة لولاياتهم على طريقة اللامركزية

ولما أعلنت المانية الحرب على روسية جزمتنا بأن قد وقعت الحرب العامة المنتظرة وأن دولتنا ستصل ناراها مع المانية لما كننا نعلم من الروابط بين زعماء

٤٤٤ وعد الانكليز بعدم أخذ شيء من بلاد العرب المنار: ج ٦ م ٢٢

الاتحاديين وبينها وتوفعنا أن نكون الحارب سبباً لحل حكومة الاتحاديين على تنفيذ ما كانوا يمتنون به العرب من الإصلاح واعطاء الحقوق عقب المؤتمر العربي الاول ببائيس ، لآل الشدائد هي التي تذهب الاحقاد، وتبعث على الاخلاص في الاتحاد ، وخفنا أن يكون ما احدثوه من المصيبة الجنسية سبباً للتنازع الموجب للفشل ، ولأجل هذا كتبنا تلك المقالة التي نشرناها في الاهرام ثم في المنار برومية الشعب العربي بأن يسكت في اثناء الحرب عن مطالبة الدولة بالإصلاح ويكون مع الترك بدأ واحدة وكلمة واحدة فيما تقتضيه حالة الحرب من حصر كل القوى في الاستعداد للقتل ... وكان لها ما كان من القبول والتأثير الحسن

وعد الانكليز باستقلال العرب ومساعدتهم

في هذه الاثناء بلغنا بعض رجال الدولة البريطانية هنا بأن حكومتهم عزم على العطف على العرب ومساعدتهم بنفوذهم الادبي عند الدولة العثمانية على ما يطلبون من الإصلاح اذا بقيت الدولة على الحياد الذي تتظاهر به واما اذا انضمت الى المانية في الحرب فانها تساعد على الاستقلال وتكون دولة عربية ولما اصلت الدولة بنار الحرب وقع الرعب في قلوبنا وكان أخوف ما نخاف عليه بلادنا العربية لاننا حالية من المحضون والمعاقل الحربية وبميدة عن مركز القوة والسلاح في الدولة، ولم نأبث أن استدعانا بعض رجال الدولة البريطانية هنا وبلغونا ثانية أن دولتهم قررت باتفاق لاجزاب مساعدة العرب على الاستقلال في جميع بلادهم وانما لا ينبغي أخذ شيء منها وإذا اضرت الى محاربة الترك فيها فانها تترك لهم كل ما تدخله منها بعد اخراج الترك منه - وأنهم يحبون أن يعرف العرب هذا ويكونوا مسلمين آمنين على أنفسهم من جانب البريطانيين فلا يتخلفونهم أعداء، وقد جاءنا نبأ من مصدر عال في السودان يمثل ما بلغنا بعصر عن بلاغ من لندن. ثم أطلعونا على منشور يريدون نشره في البلاد العربية بهذا المعنى فلم نر عبارته مفيدة ما وعدونا به بل هي ايهام محض فاقترحنا عليهم أن يصرحوا فيهم بالمراد تصريحاً لا يخلط بالتأويل ككونهم يتمهدون باستقلال هذه البلاد إذا طرأ في الحرب وبمعنى حشدتهم على ذلك وبعدم أخذ شيء من البلاد العربية لأبسم التمتع والامتلاك ، ولا الحمية ولا الاحتلال ، ولا بأي اسم من امثال هذه الاسماء ، وبأنهم يخرجون من البلاد التي دخلوها كالغزو

البصرة والتي سيدخلونها من بعد بلا شرط ولا قيد . وبعد التشاور بينهم ومراجعة حكومتهم العليا بلندن في ذلك حذفوا هذه القيود . وكانوا يرجون منا مساعدة بناء على تلك الوعود فكتبنا لهم مذكرة بعد مذكرة في الاحتجاج على ما نهرلنا منهم وبيان خوف العرب على بلادهم من انكثرة دون سواها واعتقادهم أنها هي الخضم لهم وتحذيرهم من الغرور بما كتبت جرائدهم وبعض الجرائد المدعنة لهم من وصفهم بأنهم أصدقاء العرب وان العرب اصدقاءهم - وبيان مكان الدولة العثمانية من الاسلام والمسلمين وما به من غداوة العالم الاسلامي لهم وفي مقدمته مسلموا الهند وجعلهم ابنا واحداً عليهم اذا هم استولوا على بلاد العراق وسورية ومنها البلاد المقدسة وما يترب على ذلك من سيورة الحجاز تحت رحمة تصرفهم مع محاربتهم للدولة التي يترف لها السواد الاعظم من المسلمين بانها دولة الخلافة اذ يعتقدون حينئذ حقبة ما لهم به دولتهم من عزها عن ازالة الحكم الاسلامي من الارض - وان السلطة الاسلامية في نفس المسلمين اهم المعتم وثانية عتيدة التوحيد لانها سياجها وحفاها وان غداوة السب في تعلق مسلمي الارض بالدولة العثمانية وحبا . وبيننا لهم في أول تلك المذكرات ان الاستيلاء على البلاد العربية وحفظ السلطة الاجنبية فيها ليس بالامر السهل ولا بالمركب المذل بل يحتاج الى قوة برية كبيرة جدا لمنع الثورات الخ

كان غرضنا من هذه المذكرات افئاع الدولة البريطانية بأنه لا يمكن لها ان تقع العالم الاسلامي بأن قتالها للدولة العثمانية ليس عدواناً على الاسلام وسلطانه لاجل تقليص ظله من الارض بل لتحيزها الى أعدائهم الالمان عليهم وعلى احلافهم الا اذا أعطت العهد والميثاق بالاعتراف باستقلال البلاد العربية التي هي مهد الاسلام وفيها معاهده المقدسة الحرمان الشريفان والمسجد الاقصى في القدس ومعاهد العلم ومشاهد الائمة للشيمة في النجف وكر بلاه وهي مظهر حضارة الاسلام العربية، وموطن الخلافتين الاموية والعباسية ، مع بيان ما في ذلك من القوائد السياسية والاقتصادية والادبية التي شرعناها لهم بالصدق الخالي من شوائب الايهام ، وستنشر هذه المذكرات في يوم من الايام ، مم مكتوبات أخرى في المسألة عظيمة الشأن

خاب سعيانا الى ما سعيانا اليه من عهد أو وعد رسمي بذلك ولم نقترب بالاهامات التي كانت تصدر أحياناً من برقيات روتر وأقوال بعض الجرائد

الانكليزية بوعد بريطانية المظلي بالمكلف على العرب وما ينتظر من سعادة البلاد العربية اذا تحررت من سيطرة الترك واعادتها بعبدهارون الرشيد والمأمون. وعفنا مما دار بيننا وبين رجالهم الذين بمصر ومن مذاكرتنا مع السيرمارك سايكس الذي أرسفته السلطة العليا من لندن الى مصر والمراقلة من المسألة العربية سنة ١٩١٥ أن القوم ثابتون على شملهم في بلادنا وهو ما كنا نعلمه قبل الحرب بسنين كثيرة ونوهنا به في المارمراراً وكان لهم شئ في مساعدتنا باهم على أفصاح العرب بما أشرنا اليه آنفاً ولو بكسنة شيء ما في جريدة الكوكب التي أنشئت لاجل هذا الخداع غاب أملهم فينا كما خاب أملنا فيهم

ما كان بين الانكليز وأمراء العرب

ولى الانكليز وجوهم شطراً أمراء العرب ورعائهم في الجزيرة والمراق وسورية للاستعانة بهم على مناوأة الدولة العثمانية بالخروج عليها أو خذلانها فأعرض عنهم امام الدين ووالى الدولة في الحرب كما عاهدوا في السلم، واثام أمير نجد وسيد حيدر على الزورف على الحياض. والاثام شريف مكة باعلان استقلال الحجاز وقيامه سلطة الاتحاد والترقي النافذة الباغية اولاً ثم بمناوأة الدولة ومحاربتها ومساعدة الجيش الانكليزي على فتح بيت المقدس والشام، وقد اتخذ أهل سورية والمراق بريد الموالاة والمخالفة وسدقوا التفرير الذي كان يوجه اليهم في المنشورات والجرائد ولا سيما جريدة الكوكب — ووافق ذلك شدة طغيان الاتحاديين وتنكيلهم بسرب سورية والمراق تقتيلاً وتسليةً وتغريباً وتعذيباً فرجد المضطهدون منهم مهرباً ولجأوا الى المذاب فغفروا اليه بأمال كبيرة اذ غفلوا أن حوادث الزمان قد مهدت السبيل بهذه الحرب واشتغال الدول الأوروبية الطامعة بعضها ببعض لاستقلال البلاد العربية واعادة حضارة العرب الزاهية العالية التي يفنخ بها التاريخ، ولعمري ان الفرصة قد كانت سانحة لو وجد في البلاد العربية زعماء أكفاء يفتنمونهم من غير أن يجنوا على الجامعة الاسلامية باسقاط الدولة العثمانية

نورة الحجاز والاتفاق مع ريلمانية

كانت حركة الشريف الأولى في الحجاز من النتائج التي تفضيها الممردات التي سبقتها بحسب سنة لاجتماع وكان يمكن أن يكون أقل مائة ليل فيها ما قلناه من حدودهم

اما أن تنفع وأما ألا تنفع - واكبر ما يرجى منها ان تتخذ وسيلة لجمع كلمة العرب في الجزيرة وتظيم القوة لحفظ البلاد العربية من السقوط تحت سيطرة دولة أجنبية اذا غلبت الدولة بالنجح لانكار حليفتيها الكبيرتين المانية والبنية . وكان هذا ما يجب القيام به على من استطاع اليه سبيلا من كل عربي وكل مسلم أيضا ولو كان من الترك الذين يسمونهم شأن الاسلام . ولما ذهبت الى الحجاز عقب زورته لاداء فريضة الحج صرحت لامير (وملكه اليوم) برأيي وما أعجبني من جعل خروجه وعدائه خاصا بالانحاديين الذي فرقوا الكلمة ونكسوا بالعرب الدورين وغيرهم في الوقت الذي هم اخرج فيه الى التآليف والاتحاد وما يجب من اتقاء عداوة الترك واضعاف الدولة وحصر السعي في جمع كلمة العرب واتحاد قوة جديدة لهم من السلاح وغيره استعدادا لحفظ حياتهم والى موضوع بأمر استقلالهم اذا انكسرت الدولة وحفظ حقوهم مما اذا هي انتصرت كما يتشئ كل مسلم . وقد ظهر لي منه الموافقة على هذا الرأي وخطبتي التي ألقيتها أمامه في احتفال العيد العام بمي وتصديقه ايدي في كل مقاسدها برمان رسمي على ذلك مطبوع في جريدة القبلة وبجلة المنار ^(١)

على انني لما عرضت عليه الشروع في مخطبة أئمة الجزيرة حوله الى الوحدة وجمع الكلمة قال انه يرى تأخير ذلك الى أن يستولي على المدينة المنورة للتلايقن جبرانه انه يخطب ودعم خوفهم منهم لارجاء وسعيًا للمصاحبة العامة - ولم يرضني هذا الجواب فقلت له يمكن أن يكون السعي من قبل بعض وجهاء العرب لا باسمكم بشرط موافقتكم اذا هم واقفوا فاني الا ارجاء ذلك : وبعد أن عدت الى مصر اخبرني واخبر غيري ببعض من كان في خدمته انه قال : من هؤلاء الكلاب حتى اتفق معهم اليوم يوجد في الدين الامير فلان والامام فلان وغدا لا يوجد لا هذا ولا ذلك - وذكر أسماءهم - ولكن هذا الناقل بمن بلونا عليهم الكذب وقد كذب لنا وهابنا وله عليه . وقد يصدق الكذب وكان ما قاله هو الواقع بل كان من الواقع ان تقايل مع ابن سعود بدلا من ان يتحدا ثم إن الشريف بعد ان بايعه أهل الحجاز باسم ملك العرب واعترف له جلفاؤه

من الانكليز والفرنسيين هناك الحجاز فقط - جاهر بمدارة الدولة العثمانية والترك وبذل الجهد في قتالهم فخاب املا في وقوف ثورته عند الحد الأدنى مما رجوا منه. بعد ان رفض السعي الى الحد الإلهي أو السماح به وقد اشترطنا الى ذلك بقولنا في بيان الحلة السياسية في الحجاز من الرحلة الحجازية (ص ٢٨١ من المجلد العشرين) عند الكلام على ما كان يراد من مباينة الشريف بالخلافة وسمينا الى مقاومة ذلك: « بت لياي أفكر في هذه المسألة ... وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قبل لي في هذه الليلة عن رأي الامير دون من حوله وقد أكرمه لذلك وكان أعجبي من منشوره الاولين جعل عدوانه غنة لاتحاديين المتغلبة للاثمب التركي كامواللدولة العثمانية أيضا - وكذلك كانت الثورة في أول عهدها - »

فهو من هذه الجملة لاختيرة ان الثورة الحجازية تحورت عند كتابة هذه البذرة من الرحلة عما كانت عليه من ذلك في أول عهدها ومنه الوقت الذي كنت فيه بمكة، وهذا كل ما كان يمكن التنبيح اليه تحت عين المراقبة (وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٣٦ - فبراير سنة ١٩١٨) ولحقته قبله في (ص ٢٨٠) الى الحديث الذي دار بيني وبين الشريف الامير في شكل حكومة الحجاز الجديدة بتولي اني ذكرت له رأيي موصلا تفصيلا، وأقول لأن ان ذلك تميل كان في بيان محاورات أتحدث له لمصعب الخلافة وما يرتب عليه من الفساد مع كونه هو مبايعا لالاطان محمد رشاد - وحديث « اذا بويغ الخليفة بن فقتلوا الآخر منهما » (رواه مسلم في صحيحه) - وكون بيعة أهل الحجاز له لانصح لانهم ليسوا أهل المال والعقد في الامة الاسلامية وهم خاضعون لسلطته وحكمه غير أحرار في اختيارهم - وكراهة العالم الاسلامي كله لثورة الحجاز وقبر هذا بما لم يكن التصريح به ممكنا في عهد المراقبة . وقد كان الشريف يؤمل أن أذن من أنصار الثورة وأعمال الحجاز وكان هذا ما يجب على لوجرت الاعمال على ما أعتقد صلاحه كما صرحت له عند وداعه ولم أقبل أظهرت حكومته لي الدماء وأمرت بمنع الناس من دخول الحجاز بحجة اني طمعت في رجالها بما يرفع الثقة منها ونشر ذلك في جريدة القبلة ونه الحد - فماعدت به كان أول ماخطر على قلمي قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) فانه يدفع هني اتهم كثير من الناس اياي

بشاشة هذه الثورة مطلقا وادرت نشر بلاغ المم في لما رة مني المراقبة لا سكرية
 على أنه كان شرقي جزيرة (وادي النيل) في الاسكندرية وسمى بعض رجال المكتب
 العربي في الصباح بحلي على تأويل لما كتبت افرحوه فلم قبل وكنتي نشرت على
 سبب ما كتبتة وفرضي الصحيح منه بما لا يرضى الشريف على أن غضبه كان سبب آخر
 والسبب الذي جراً أمر مكة بالامس وملك الحجاز اليوم على ما فعل وجهه
 لا ينال بإتراك ولا بأمراء جزيرة العرب هو لاتفاق الذي عقده مع بريطانيا العظمى
 قبل الثورة فانه كان يظن أن يحكم به جزيرة العرب وسورية وتفرق قوة برية بحرية
 العظمى التي لاتملوها قوة في العالم وقد أشرنا في ذلك في بيان صفته من رحلة
 الحجازية بقولنا (ص ٣٥٧ م ٢٠) «ومنها ان ثقتة بالدولة البريطانية وتقريره لدونها
 وعظمتها لا حد لها ولا سلطان اشيع عليها» فهذا لم يكن يمكن لأحد اقتضائه بغير مصادقة
 وجرى عليه لا يبرهن العقل ولا بحجج النقل ، وله في جزيرة القبله أقول في ذلك
 حرية قلنا بعضها وفيما لم نقله ما هو أغرب منه حتى ما نشر بعد خذلانها له ولولده
 فيصل غير مرة - وهذا الايمان واتسليم لها في حالي الرضا والنضب هو الذي
 عطفها عليه وعلى أولاده أخيرا كما أتي بيانه . على انه كان يكتم نص هذا لاتفاق
 حتى عن أولاده حافظ اباه مع المكتوبات الرسمية الأخرى في الكيس الأزرق
 الذي لاتنله غير يده . وقد كان بعض البريطانيين اعلمني على نص هذا لاتفاق
 بالمرية قبل الثورة وسألني عن رأيي فيه فقلت واجابته قائلا : هذا اتفاق لا يرضى به إلا
 عدو للعرب أو حمار لا ينهم منه . فاسحر وجهه ووقعت بيني وبينه مذقشة حادة فيه لا
 أتني ثالث في نفسي لجران كلمة حمار على لساني وما رأيته قريب مما ياله الشريف
 فيصل في دمشق لجزيرة المديد ونشر فيها ونشرناه في الجزء الثالث من هذا المجلد لا
 أن فيه تصريحاً بأن غربي سورية ليس عربيا وانه لا يدخل في الاتفق لما تدعيه فرنسا
 من الحقوق فيه وان أعداء من البلاد العربية التي لا يذاع انكثارة أحد في نفوذها فيه هو
 الذي أعترف باستقلاله يستولي عليه الشريف منه بشروط منها استئذ ولاية البصرة
 الخاصة لا انكثروا كون جميع ما يحتاج اليه هذه البلاد التي تستقل باستقلال الشريف
 (المناجح ج ٦) (٥٧) (المجلد الثاني والمشررون)

عليها من الموظفين وغير الموظفين مما يحتاج اليه لادارة البلاد فاعماله من انكسرة -
واعترافه بجميع ما بينها وبين امراء العرب وزعمائهم من الاتفاقات والمكاتبات
(وان لم يسلم على شيء منها) فالشرط خسة هذا مضرونها ولا أدري هل عدل
شيء منها أم لا ، وقد قيل ان لديه ماهدات ومكاتبات أخرى وأما البرة
بالمعل ، فهو الذي لا يخاري أحد فيه ، وسيأتي ذكر ما انتهي الى شوطه وشوط
أولاده فيه ، على انه قد ظهرت قوادمه وخوافيه

ما ائتمر به السوريون بمصر

اجتمع فريق من أشهر مفكري السوريين المقيمين بمصر في أوائل عهد الحرب
لاجل التشار في مستقبل سورية ودعوا كاتب هذا المقال لحضور اجتماعهم فكان
رأي جمهورهم ان الحلفاء سيكونون هم المنتصرين وسيستولون على بلادنا فينبغي ان
نخاطبهم فيها نحب ان نكون عليه حكومة البلاد في ظاهم احتياطا اذ يرجى ان يتساهلوا
الآن فيما لا يتساهلون بمثله بعد النصر — فعارضت في ذلك جازما بأنه لا يجوز لنا
ان نخاطب أحدا في شأن بلادنا ونفرض انه سيكون مستوليا علينا. — وقد تكرر
هذا الاجتماع في عدة محالس من دورهم تمحصت فيها الآراء وكان الرأي الذي
انفرد كاتب هذا المقال بمرضه عليهم والاحتجاج على صرخته والنضال عنه هو
وجوب السعي الى الاستقلال التام وتكوين دولة عربية اذا انكسر الترك وحلفاؤهم
وأما آراء سائر السوريين من النصارى فكانت تنحصر في رأيين ثم عدل بعضهم
رأيي فصارت ثلاثة (الاول) انضمام سورية الى بعض الدول الاوربية وتجنسها
بجنسيتها وتعملها جزءا منها (الثاني) ان تكون مستقلة في ادارتها تحت حماية دولة
أوربية (الثالث) - وهو رأي المدلل - ان تكون مستقلة اذا أمكن تحت رهاية الدول
العظمى وبشرط ان يكون لها مستشارون ومراقبون من بعض تلك الدول. وأنا لم
أوافق على هذا التمدل لان الاستقلال فيه ضروري لاحتمالي ، ولم أقبل في وقت
من الاوقات ان يكون لاجنبي في بلادنا أدنى سلطان ، ثم وجدنا من غير هذه
الجهة أفرادا واتونا على طلب الاستقلال التام المطلق كما سند كر بعد

وفد وضع هؤلاء المؤتمرون مواد أساسية لتسليح حكومة البلاد على نمط استقلالها التام ومواد أخرى للاستقلال الإداري تحت الحماية برعده وفوقها وكتبوا العشر وعين معاً مقدماً وورعت نسخاً ما كانت في المؤتمر وبعد ذلك دارت المناقشة فيه أو عدل بمصر موادها. ولما دلت على الاستقلال الدم وتكون دولة عربية في نسخي كتبت في حاشيتها ما يأتي للاطلاع به ذكرها ما يرجع به طلاب الانصاف إلى الدولة الأجنبية وطلاب الاستقلال الإداري في من دولة أجنبية وهذا نصه :

« وبمحتج أصحاب الرأي بأن من ومن نفسه حتى أن يكون تماً لغيره لا يرجى له الاوتقاء والوصول إلى الكمال الاجتماعي كمال الاستقلال والحرية الذي تبذل الأمم دماءها وأموالها في سبيله . وإن عبد الله - برعده - مؤتمرين الجنسيات ماذا كانت الأمم العزيزة البالغة أعلى درجات الحضارة لا ترضى خيماً من الاجناس أن يساوي بها باختيارها سواء كانت من عناصر دولتها أو باستقلالها . وسواء كان مثلاً أو فوقها أو دونها في العلم والمدنية - قبل يعقل أن ترضى أمة من الأمم أن ترفع شعباً ضعيفاً لتسولي عليه بالقوة حتى تساويه بأبناء جنسها . هذا محال لا مضمع فيه فالواجب على السوريين وهم أرق الأمة العربية - والحضارة لا يسخروا أنفسهم وأمتهم ما سخرهم الله وانماها من الاستعداد ، ولا يردوا أن يكونوا دون أمتهم الجليل الاسود والبلغار واليوغان . بل يجب أن يقدروا ذلك قدره ويوجهوا أنفسهم إلى أغنى ما قبلهم الامم من السكك ، ويبدلوا كل ما في وسعهم لنيل الاستقلال . فان نالوا بالسعي إلى فقد تم القصد ، وإن صدهم المقدار كان لهم عذر » اه وهذه النسخة مخفوفة كذيرها عندي وثم نسخة عليها تعليق مهم بقائي عند باشا من باشوات أولئك المؤتمرين . وقد كان ذلك كل ما نمره اجتماعهم في أواخر سنة ١٩١٤ وأوائل سنة ١٩١٥ وقد سمينا إلى الاتفاق مع غير هؤلاء من كبار السوريين على طلب الاستقلال لبلادنا وتكون أمة عربية فلم نقنع الا نفراً قليلاً من النصارى في مقدمتهم اسكندر بك عمون الخالد الذكر باستقلال فكره وكرم أخلاقه ، وكان هذا قبل تأليف الحزب السوري الذي يمثل الوطنية الحق بمعد جهاد في تأليفه دام عدة اشهر حتى انتصر طلاب الاستقلال من مؤسسيه على طلاب الاحتلال

وضع هذا الاتفاق كل من السير مارك سايكس المستشرق أحد أعضاء مجلس النواب البريطاني وموسيو جورج بيكو الذي كان متصل بفرنسة الجزائر في بيروت الى عهد اعلان الحلفاء الحرب على الدولة العثمانية وبعد أن أقتنا دولتيهما به التا وفدا وحضرا الى مدر ثم سافرا الى حدة لاجل التمهيد لقبوله عند الدورين وملك الحجار . وقد العا في أوائل رجب سنة ١٣٣٥ وأواخر ابريل سنة ١٩١٦ جمعية من السوريين فيها ثلاثة أو أربعة من المسلمين وواحد من وجهاء الدروز وباقي أعضائها من المسيحيين لاجل الاتفاق بين أبناء ملل البلاد غنى ما سيكون عليه في ظل هذا الاتفاق قبل اعلانه . (وفي هذه المرة لم يطلب السرمارك سايكس مقابلتي لانه يتش من استخدامي لمقاصده بمادار بيني وبينه المامة الأولى بمصر سنة ١٩١٥) وشاع في تلك الاثناء أنه قد ألفت جمعية سورية بمصر لاجل السعي لاجتلال فرنسا سواحل سورية وجمعية اخرى لانشاء حكومة مسيحية في سورية تحت اشراف فرنسة ورعايتها او حمايتها

والذي مذكرات بعض ما سمعته في تلك الايام من بعض أعضاء جمعية السرمارك سايكس ونبرهاس جماعة من الرجال من ائم المشتغلين بالسياسة منهم في (٢٨ يونيو) انه فهم من السرمارك سايكس انه قد أعطاه سواحل سورية كلها لفرنسة لانها البلاد التي كانت لها من قدام احتلالها في اثناء حروب الصليبية المشهورة . وقاله في انهم لم يصدقوا ما كان يروي له من انهم قد أعطوا سواحل سورية لفرنسة . وادرك هذا الرجل ان بعد انهم اجمعهم انه هو الذي اقتنع . ولحق ان الملك لم يمرض فيه نجاح الى اقناع) ثم بعد بضعة ايام اخبرني بذلك رجلان آخران من كانوا ينفون سايكس أو من أعضاء اللعة التي القاهم بعد سماعنا هذا بأسبوع أو أسبوعين جاء القاهرة أحد القواد الذين كانوا مع الامير فيصل فالتيناه معتقدا ان الملك وافق الانكليزية والفرنسية على ما قررا في شأن سورية والعراق ، ثم سمعت هذا الخبر بعينه بعد شهر من مسلم آخر كان مشتغلا بهذا العمل مع اللجان . ثم اخبرنا بعض من كانوا مع الامير فيصل انه رأوا كتابا من والده له يذكر فيه ذلك

وبمائه بأن فرصة تحفظ له - واحل سورية من التمدي عليها الى ان يصير للدولة العربية اسطول يحميها به على انها تدفع مبلغا معيناً للدولة العربية في كل عام مادامت شتلة في تلك السواحل

وجملة القول انه قد تألفت بمصر في سنة ١٩١٧ جمعيات ولجن بايعار الانكسار والدرئيس بعضها لوضع أساس الاتفاق بين الدولتين الخليليتين انقعت عليه وم جعل البلاد بعد تنفيذ ماعم بالاجمال أن الدولتين الخليليتين انقعت عليه وم جعل فلسطين وساقوميا لليهود وبمعضها لوضع أساس الاتفاق بين العرب واليهود ومن هذه الجماعات جمعية فندق تاسيونال ولم يكن فيها الا مسلم واحد - وقد كتبت كل - جمعت من أحد خبراً من الاخبار في هذا الشأن الجاد انه بالتي هي أحسن الا أن يكون مسلماً فأنني انشره سوء عاقبة السعي مع التسعين في هذه السبيل وما يقبى من لعة الملايين له الى يوم الدين

وفي أول سنة ٩١٨ ظهر الاتفاق بين الدولتين بمظهره الرسمي وقد وصل الى مصر في منتصف شهر فبراير منها ريد أورية شارحاً ذلك فأمرت المراقبة عنهم الخوض فيه في الجرائد الى أن تمهد له السياسة ما رجو أن يكون به مقبولا عند جماهير السوريين المختلي الاحزاب والآراء - وكانت وصلت الي في هذا التبريد جريدة المستقبل العربية التي تصدره في باريس جمعية موسيو وشكري غام السورية بنفقة الحكومة الفرنسية مفصلة لاعلان هذا الاتفاق في لندرة ثم في باريس كما ذكرنا بعد ذلك في الجزء الاول من جلد المنار الحادي وعشرين (قليراجمه من شاء عند مطالعة هذه المقالة في ص ٣٤)

وعلى اثر ذلك جاءني من أحد وجهاء السوريين المستغنيين بالسياسة مع الانكسار كتاب يدعوني فيه الى شرب الشاي في داره « مع أخلص المحبين » في مساء ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨ فأجبت الدعوة وانا متوقع أن تكون لتأييد الاتفاق الانكليزي الفرنسي على قسمة البلاد العربية بين الدولتين وعازم على مقاومة ذلك موطناً تسمي على الذي من مدرسه هذه المقاومة مستمداً للثمن وقدر أيت في المكان ما قوي حدسي - رأيت أشهر رجال الحزب الانكليزي والحزب الفرنسي والحزب الحجازي وحزب الاتحاد اللبناني وأفراداً من المستقلين طلاب الاستقلال - وبعض العراقيين من الشباط وغيرهم وفي مقدمتهم طالب بك النقيب والاستاذ الكاشي وزيك السعيد وبعد شرب الشاي وما يتبعه من الحلوى والتاكة اقترح على شاعر

العرب الكافلي أن يسمع الحاضرين ما تجود به فريحتته من الشعر الاجتماعي
فاعتذر بانحراف صحته ثم ارتجل أياتاً صفق لها القوم تصفيق الاعجاب مراراً
لا نذكر منها الآن الا قوله

قد منعتنا الحق الصراح وأعطي غيرنا حقنا بلا استحقاق
ثم اقترح على الدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقعد (١) ان يلقي خطاباً في
موضوع الحال الحاضرة فأجاب

خطاب الدكتور نمر في شأن اتفاق سنة ١٩١٦

قال الخطيب في فاتحة خطابه انه مضطر الى مخاطبة الحاضرين في بيان الحال
التي اتت اليها مسألة وطنهم بصراحة فوق المعتاد ثم أشار الى ما دار بين الدولتين
في مسألة البلاد العربية وقال ان رجالهم المعظم صرحوا بأنهم لا يمكنهم ان
ينفردوا سورية حول البساط الاخضر في مؤتمر الصلح الا اذا كان زعماءها متفقين
على أمر مستقبلهم فهم يهيموننا بعدم الاتفاق وان الفرصة الآن سانحة لنا اذا أردنا
انقاذ بلادنا من حكم الترك واذا فانت هذه الفرصة فلا يمكن ان تعود لنا ولا
لابنائنا واحفادنا (قال) وأنا أقول اننا لسنا مختلفين بقدر ما يظنون أو يقولون
ولاجمال للخلاف في هذا الامر الجوهري للبلاد وهو انقاذها من ملأه الترك
وأما الخلاف فيما عدا ذلك من مستقبل البلاد فأمر سهل متى تم لنا انقاذ البلاد -
(وقال) اني قرأت تقرير جمعية الاتحاد اللبناني قرأت ان الخلاف بينها وبيننا
بسيط يمكن تلافيه بتعديل خفيف فهي تريد استقلال لبنان ونحن نبغي استقلال
لبنان وسورية والعراق أي البلاد العربية (وهنا صفق له الكثيرون) ثم
نوه بأننا كلنا عرب ومصاحبتنا واحدة

(وبعد هذا التمهيد بالاسباب حاول ان يأخذ قراراً من الحاضرين بالامرين
الذين زعم المر مارك سايكس بمخاطبه في الجمعية السورية بباريس انه يمكن
للسوريين الاحرار في المهاجر الاتفاق عليهما وهما قلب الحكم التركي وازالته -
واعتماد السورييين على مساعدة فرنسا في السير بأنفسهم في طريق الحياة - أي
كالاعتماد العراقيين على انكلترا في ذلك ! (راجع ص ٣٥ م ٢١) فقال:

وهنا صرحت هنا باسم الخطيب مع التزامي كإمام الافراد في هذا المقام
ولا سيما كنت منتقداً رأيهم وزعمهم في مسألةنا في كل ما كتبت لأن هذه الخطبة
قد ذكرت اخيراً في خذل كثير من خطب فيه الخطيب ورددت عليه كما يأتي

ألسنا كلنا متفقين على انقاذ بلادنا وتحريرها من ظلم أعدائنا الأتراك واخراجهم منها ؟ - وصار يلتفت الى الحاضرين من كل جانب فقال له بعضهم نعم وسكت الا كثرون - فقال - ليس بعد هذا أمر يقتضي الاتفاق عليه من الآن الا اظهار رغبتنا ورجائنا في حلقاتنا الكرام ولا سيما انكثرة وفرسة ان يساعدونا على اتمام مقاصدنا وان نحسن الظن بهم ونقوم بما تقتضيه السياسة من اظهار الثقة بهم وان ظهر لنا من أقوالهم وأعمالهم ما لا ينطبق على أفكار البعض منا - فن العقل الآن ان نترك البحث في ذلك ومتى صار السوري في سورية واللبناني في لبنان والعراقي في العراق فعند ذلك يكون المجال امامنا واسعا في البحث عن مستقبل البلاد

ثم قال انه سمع من بعض الحاضرين كلمات تدل على سوء الظن والتشاؤم ومنه قول الكاظمي

قد منمنا الحق الصراح وأعطني غيرنا حقنا بلا استحقاق
وقال ان هذا في غير محله وان حقنا لما لم يأخذه أحد بغير استحقاق الخ
خطاب الكاتب صاحب المنابر

ولما اتم خطابه ظهر لي ان شئني في هذا الاجتماع المدير عين اليقين وان المراد منه ان يؤخذ من جمهور زعماء السوريين - وكذا العراقيون على قلتهم هنا - اقرار بما قرره الدولتان كما أخذ من جمعية مود - بونافم بياريس وهو انهم يطلبون من الحلفاء اخراج الترك من بلادهم ويفوضون أمرها الى انكثرة وفرنسة - فنهضت في أثره متصديا للرد عليه فصق الا كثرون - وألّيت خطابا حماسيا تدفق من قلب يقطر دما افتتحت به بقولي انني اضطرت الآن الى مراجعة صديق بالرد عليه في وجهه لمصلحة الوطن كما اضطرت من قبل الى مراجعة صديق آخر بالرد عليه في وجهه لمصاحبة الوطن وهو سليمان افندي البستاني ، وان كثيرا من الحاضرين هنا قد كانوا من شهود الاحتمال الذي أقيم للبستاني في فندق الكونتنتال عقب زيارته لسورية ومصر وأرادة العودة الى الآستانة (وذكرت ملخص موضوع خطابه وردي عليه في ذلك الاحتمال) ثم قلت ان صديقتنا الخليلية المفوه قال انه قد اضطر الى مخاطبتكم بعراحة غير معتادة وانا أقول انني مضطر الى مخاطبتكم بما هو أصرح بما خاطبكم لانه لا ينبغي أن يكتم عنكم شيء من أمر وطنكم الذي تمدون أرق اهل علمنا واختبارا كما قلت

في تمثيل ردي على صديقي البستاني في ذلك الاحتمال المشهور
قال الخليل ان الدولتين الخليفتين قد صرحتا باسان مندوبين رسميين
لها بأنهما لانهما لم يمانعا في مؤتمر الصلح اذا بقي العدو في بلادنا الا
اذا اتفق زعمائنا في أوربة ومصر وأمريكا على الامرين اللذين ذكرهما تبعاً لمر
مارك ساكن أحد ذينك المندوبين وهذا ما كتبه الخليل عنكم
أما أنا فاقول لكم ان الدولتين الخليفتين قد اتفقتا على قسمة بلادكم بينهما
لاستعبادكم باستعمارها فقد جاءني جريدة المستقبل الباريسية منذ ثلاث فاطمات
فيها على تفصيل هذا الاتفاق (وطلسته لهم كما نشرته بعد في الجزء الاول من
الجلد الحادي والعشرين) فقامتني الدكتور نمر قائل انهم صرحوا بأنهم لا يمانعوا
بالضبط والتوسع الاستعماري ووافقهم الدكتور شهبندر فقات للدكتور نمر
لاتفاقني فاني ما تأملتك - قال أريد تفسير العبارة وإيضاحها كما قلت . قلت
آخر ماريد ان تقوله الى أن أتم كلامي - قال سحبت كلامي . فضيت في كلامي
وهذا ما أخذه

ان الترك ضعفاء وجاهلون مثلنا فلا يستطيعون أن يستعبدونا فاذنا نحن تقهنا
لحقوقنا وأما انكثرة وفرسة فما أقوى منا في كل شيء فلا نستطيع أن نتفدى
من عقدها اذا ما استولت علينا - هم أقوى منا في العلم هم أقوى منا في المال
هم أقوى منا في السياسة هم أقوى منا في الحرب - وذكرت الجيوش والسلاح
والاساطيل البحرية والجوية - فاني لنا أن نتفدى من سلطانهم القاهرة ؟
نعم قد قالوا أنهم لا يريدون أن يثقلوا علينا بالسيطرة الاستعمارية وان
فرسة تقود السوريين الى الحياة والاستقلال كما تفعل بريطانيا في العراق
ولعل مرادهم أنهم يجهلون لنا اميراً منا وكثيراً من المتخمين، وهذا تعريض
بأنهم يريدون استعمار بلادنا والسيادة علينا واعمالهم ونون علينا الخليل بأنه
استعمارهم اين لا فاس شديد . ونحن نريد أن نكون احراراً مستقلين، لا عبيداً
مسودين، سواء علينا أكان السيد رحماً بمبيده أم لا . على أن هذه الطريقة اللينة
في الاستعمار هي امثل الطرق التي اهدوا اليها بالتجربة ولكنها امثل وخير لهم
لا للشعوب التي يسودونها ، فانها تخدر اعصاب الجماعية وتخضع عامة الامة بأن
حكما منها ليكونوا خاضعين لها راضين بأحكامها، وبذلك يتعذر على الزعماء
العارفين الدافع عنها والمطالبين بحقوقها، لانهم اقلتهم تسهل مراقبتهم وازال

غاب عنهم ، اذا لم تكن وراءهم امة تؤيدهم . قال القوس اسكيروس في
 اابه اميل القرن التاسع عشر : ان شر الحكومات الحكومة المستبدة الابدية
 ملل ذلك بنحو مما اشرنا من تخديرها لاعصاب الامة حتى لا يبقى لها مجال
 تكر في الخروج مما هي فيه . واشواهد على هذا في مستعمراتهم في الشرق
 اقرب ظاهرة جليلة كتركس والجزائر والولايات المستقلة وغير المستقلة في الهند .
 بي رأيت اهل الولايات الهندية التي يسمونها مستقلة أبعد من غيرها عن فهم
 معنى الاستقلال والتفكير فيه دع الاستعداد له والسعي اليه ، وعلت ان رؤساء
 لكوامتها الطوع للانكاي من ظلمهم واشد قبولاً لكل ما يقترح عليهم . واما
 ليات التي يدير امرها الانكاي بأنفسهم فهي التي تنازل وتنتقد وترجو
 استقلال وتستمد له وتمتد ان ستاله في يوم من الايام

ومن عجائب السخرية ان هؤلاء الناس يدعون تحرير الامم والشعوب وأنهم
 يدون بأنفسهم بلادنا قودنا الى الحرية والاستقلال والمستقبل الزاهر الجليل !
 سون الحقائق باسماء الاضداد ، وما دري بأي مقود اؤرس بر يدون ان : ودونا
 الاستقلال الذي لانصل اليه بقيادتهم الا بعد الموت والورود على السار : ومضى
 انت الشعوب تقاد الى الاستقلال كاتقاد الدواب حاملة الاثقال : يأخذون منا
 ناله ويجودون علينا بالانفاظ والاسماء التي تخفف وقمها على قلوب الجاهلين ،
 كالحماية والرعاية والاستشارة والمساعدة والانتداب وغيرها)

(وقلت) انني اعتقد اعتقاداً يقيناً انه اذا كان في بلادنا رجل واحد من
 هؤلاء الناس اعطي حق المراقبة على حكومتها وسمي عبد السورين او عبد
 مرب فانه يكون هو السيد المالك بالفعل وتكون جميع الامة مستبدة له .
 حرية والاستقلال معنى واحد يقابله العبودية وهي حقيقة واحدة لا يتغير
 معناها بتغيير اسمائها . ولو انهم اتفقوا على ان تكون بلادنا مستقلة استقلالاً
 مافي سياستها سائر شؤونها وقالوا لنا اتفقوا على صفة حكمها وادارتها التساعدكم عليه
 متجهين بأنفسكم لكان لهذا الطلب معنى ، ولكنهم اتفقوا على اغتيالها وامرونا
 لا نتفق على طلب هذا منهم لتكون حجة على انفسنا باننا نجعل انفسنا بأيدينا
 سمي المرب : حياة والاستعداد استقلالاً . اما الامر كذلك فالائق بكرامتنا
 الواجب على كل مسان يقبع في كسريته (أى في زمن الحرب والحكومة
 المنار : ج ٦) (٥٨) (المجلد الثاني والعشرون)

العرفية) وينتظر الفرج من الله تعالى
وانني أحتج خطايي بفكاهة تناسب المقام عسى أن يكون أسلوبها الفكاهي
غفقا لمارة ما سمعتم من تهديد الخطر الاكبر لوسكنم : حكي أن رجلا مسلما
تمصر في جبل لبس وذعب الى (دير قرحا) الشوير واسلمهم في ملك رهبانه، واتفق
أن كان الرجل مترقا وان وجوده في الدير كان في أيام الصوم الكبير فكان لا يمد
من الطعام الا العسل المسلوق ونحوه من التمرج الخالي من الدسم فاشد به القرم (شهوة
اللحم) فسرق في ليلة دجاجة من دجاج الدير وذبحها وشرع في سلقها بعد أن نام
الرهبان فاتفق أن مر بعضهم وشم الرائحة من حجرته فلقوا به وكلمه فلم يجبه ففكاه
الى الرئيس بانه الرئيس بنفسه وسأله عما في القدر فقال سمكة يا أبونا قال من اين
جاء السمك في جحش التليل من البحر انبميد الى هذا الجبل . قال أما قال سيدنا
يسوع بالايان يكون لكم كل شيء ؟ قال الرئيس بلى واننا نحب أن نرى هذه
السمكة التي جاءت ببركة الايمان بسيدنا يسوع نزداد ايمانا بمشاهدة هذه
العجيبة - وكشف القرم رأى السمكة ، قال هذه دجاجة يا أخ حنالا سمكة ،
قال قل سمكة يا سيدينا . قال كيف ؟ قول سمكة وأنا أراها دجاجة وهل يغير
الحقائق تغيير الاسماء ؟ قال اتقول ان تغيير الاسماء لا تأثير له يا أبنا ؟ قال نعم لا يغير
حقيقة المسمى ، قل اذا ماذا كان اسمي انا ؟ قال محمد . قال وما اسمي الان ؟
قال حنا . قال اذا كانت الاسماء لا تغير الحقائق فانا مسلم اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول واكل الدجاجة واسلم من الدير صباحا - فاذا كانت الدجاجة
انقلب سمكة فاستعباد المقتسين لبلادكم ينقلب استقلالاً والسلام

فضحك الحاضرون وصفقوا تصفيقا شديدا وانصرفت وقال لي بعض من
شيعني الى باب الدار من أعضاء حزب الاتحاد اللبناني انك قد أرحتنا بكشف
الحبا وكانوا قد طلبوا مني الخطابة فأبيت والمسألة مرتبة

محاوراة مع ضابط بريطاني

امد مرور سبورج في هذا الموعين ان الكثيرين من حاضريه يتوقعون
اعتقالني فيه انما . بعد ان سافوا في هذه الساعة العسكرية العراقية لاجل مقالة
لنصار راقب في العربي مع وزير بيبي وبين ضابط بريطاني في سبورج
الكتاب محاوراة كان من السائل فيها انما الخيب الخصب سوري
(قال) هل سمعت عن مادار بناريس بشأن سرورية وخفية السر ماوية

سايكس ؟ قلت نعم (قال) مارأيك فيها ؟ (قلت) انها تسوء السوريين جداً ولا سيما المسلمين وعلقت له ذلك بما هو معلوم بالضرورة . قال كان انفرض من تلك الخلعاب والتعصبيات ارضاء السوريين فهل جاءت بهذا المراد منها ؟ قلت انها جاءت بالآثر الطبيعي الذي يجب أن يترتب عليها وان كان المراد خسده — قال : ان السر مارك سايكس صرح في خطابه بان الحجاز قد استقل فلا يمثل ان يرفض استقلال سورية التام والحجاز مستقل . قلت هذه مسألة نظرية ذكرت مع كلام ينقضها وهو أن انكثرة وفرنسة اتفقنا على اقتسام بلادنا قال انهم صرحوا بترك العزم على السيطرة الاستعمارية . قلت لأمضى لهذا وقد اقتسمت البلاد الانكم تريدون الرفق والاحسان في ادارتها ونحن نريد الحرية والاستقلال الصحيح ، لا الاستعمار الابن الطليف . وذكرت له اجتماع السوريين وما قلته فيه بشأن الدولتين وقسمتهما للبلاد وهذا التصريح (وعونه عليم) فأجاب جواباً ذكر فيه القسمة ثم عاد الى حصر الكلام في سورية وفرنسة :

قال ان قسمة البلاد بيننا وبين فرنسة يراد بها مناطق النفوذ المالي بمعنى أن أحدنا لا يعارض الآخر في مناطقه بالأعمال المالية وقد صرح وزراء فرنسة رسمياً بأن حكومتهم لا تنوي فتح أي من البلاد ولا قبر شعب على الخضوع لها فهي تريد مساعدة السوريين مساعدة صداقة لا قهر وتغلب . قلت ان هذا الكلام يقوله وزراء كل دولة من دول الفريقين المتقاتلين لأقامة الحجة على الفريق الآخر ولا تنفع الاحرار والاشتراكيين حتى من امهم بما لا يرضون الاستمرار على الحرب بدونه — ولأجل هذا تطالبون منا بتوضيح أمرنا اليكم لتقولوا ان هذه الامة أو الشعب يقاب منا مساعدته على تحريره ومساعدته على استقلاله فلا مندوحة عن اجابة طلبه حيا في الانسانية

قال ماذا كان ينبغي ان يقال في هذه المسألة ليرضيك ؟ قلت لو كانت الدولتان تريدان استقلال بلادنا لعرفتا كيف رضينا ، ذلك بأن تقولوا اننا قررنا أن تكون البلاد العربية دولة مستقلة كبلجيكا واننا لانعقد السلع الا اذا كان هذا الشرط مما يقرره مؤتمره — قال ان فرنسة لم يمكنها ان تصرح بأكثر مما صرحت به ولكن دعنا من الاقوال الى الافعال . ماذا تريد ان تفعل لتثبت لكم حسن قصدنا في بلادكم ؟ ان جيشنا الآن في فلسطين ويجوز أن يتمكن من الزحف على دمشق وأخذ سورية ومن المعلوم ان سورية في حالة سيئة من

العمر والضعف وان كثيراً من رجالها الاحياء منفيون ومهاجرون قبل تأمن اذ تركناها وشأنها بعد اخراج الترك منها أن تقع في القوضى والاختلال وزيادة الحاجة والفتن؟ - قلت ان الكلام فيما ينبغي فعله في سورية ما جاء وقته لانكم لم تفتحوها ولو فتحتوها وسألتوني لطلبت رؤية البلاد ومن فيها وحينئذ ما ان اقول اتركوها فقبها من الرجال من يقوم بأمرها وأما ان اطلب مساعدة مائة موقنة ولكننا نرى ان ماتخافون وقوعه من الفتن في سورية ان تركت وشأنها وقع بالفعل في روسية فهي في فوضى لأمن فيها على نفس ولا مال ولا مصرف (بنك) ولا معبد ولا مصلحة ثم انهم لا يقبلون من المانية دعوى ابقاء جنودها فيها بحجة من أمثال هذه الحجج كحفظ الامن واعادة النظام مع أن البلاد الروسية متاخة للبلاد الجبرمانية ويخشى أن تنتقل العدوى منها اليها - فسكت وانتهت المناظرة بذلك

ملخص حال السوريين بمصر في زمن الحرب

وجلة القول ان السوريين المقيمين بمصر واللاجئين اليها كانوا زمن الحرب في امر مريح وقد عبرت الاجانب باكثر الذين يترسون بالسياسة منهم فكانوا يخدمونهم بكل ما يريدون وقد خائنا اكثر الذين كانوا هذونا وأقسموا أغلظ الايمان على السعي لاستقلال البلاد العربية وعدم الرضا باحتلال الاجانب لشيء مما منها فارتد افراد من اشهر الاستقاليين وآمن افراد من الاحتلالين وتذبذب آخرون ممن كان يظن فيهم الثبات ومنهم من كان نصف استقالي يرى أنه ينبغي مشايعة الاجبي على أخذ بعض البلاد العربية في مقابلة مساعدته ايانا على استقلال البعض الآخر غافلا عن استحالة ذلك فلم توجد جماعة تسمى للاستقلال التام التاجز بصدق وثبات على كثرة ما تالف من اللجان والجمعيات الاحمية الاتحاد اللبناني. بل سميت بعض الجماعات الاحتلالية حمية الاستقلال. وكان مما سمعته باذني من اثنين من مؤسسيها في (٢٠ و ٢١ ربيع الاخر سنة ١٣٣٥ و ١٢ و ١٣ فبراير سنة ١٩١٧) انها امرام آخرين بالذهاب الى سورية من طريق العريش لتأليب العرب وحملهم على الثورة والخروج على الترك فكتبت الجمعية تقريرا بينت فيه انه يجب العمل في سورية باسم الشريف سواء كان بدعوة البدو الى القتال أو بغير ذلك فان لم يفعل الانكليز ذلك وقموا في مثل الغلط الذي ارتكبه في العراق فادى الى قتال العرب لهم وتأخير فتحه وان العرب في سورية سيفعلون ذلك اذا لم يكن حملهم باسم الشريف. وكان

المتكلم من صنف الضباط قال وانا اقنعناهم بذلك بالتقرير المشترك وبالكلام - وصدقه رفيقه وهو ممن جاهد بالخطابة والكتابة في هذه السبيل وارسل الى بلاد الدروز مرتين لاستمالتهم الى الانكليز وكنا قبل ذلك غششناه واعطيناه اعتمادا فكان من الخائنين واراد ان يتوسل بالاعتماد للإيقاع بنا

المذكرة الاستقلالية للرئيس ولسن

قد كان أول سمي مشترك مع جماعة للاستقلال البام بعد ما بيناه من الجهاد السابق مذكرة كتابية لرئيس جمهورية الولايات المتحدة في اثر ظهوره في ميدان العمل وندائه بحرية الامم وقمها كاتب هذا والشيخ كامل القصاب واسكندر بك عمون والدكتور مشافه والدكتور شهنندر وغالد بك الحكيم بينا فيها ان البلاد السورية وسائر البلاد العربية لا ترغب الا في الاستقلال التام ولا تقبل غيره باختيارها وانها اذا استفتيت في ذلك وكانت حرة في الجواب فان سوادها الاعظم يصدق ما نقوله عنها اذ نحن من أعلم أهل البلاد بحال أمتهم . وقد جاء استفتاء اللجنة الاميريكية بعد ذلك مصدقا لهذه المذكرة ولعلنا ننشرها بعد

عهد السبعة

ولا أترك في هذه الخلاصة التاريخية ما نشر في بعض الجرائد السورية وسمي بعهد السبعة وحقيقته ان الالمان أرسلوا بعد كسر الروس وعقد الصلح معهم جيشا ألمانيا الى البلاد العثمانية عن طريق سيواسبول تخافت انكثرة ان تكون وجهته العراق فكان من أعمالهم الاحتياطية بذلك ان أقنع بعض المشتغلين بالسياسية منهم بمصر سبعة من الذين كانوا يجتمعون بهم بأن يسعوا الى مساعدتهم على تكوين قوة حربية للدفاع عن البلاد العربية على ان تتعهد بربطانية العظمى بالاعتراف لهم بكل ما يأخذونه من بلادهم بالسيف فيكونون مستقلين فيه . ولما لم توجه تلك القوة الالمانية الى العراق سكنت الانكليز عن هذا العمل وأعرضوا عنه

فعمل ثان في المسألة العربية بعد انتصار الحلفاء

كل ما سبق بيانه بالايجاز من أعمال الحلفاء وتمهيدهم السبل لاستعمار البلاد العربية كان في أثنائه الحرب التي كانت كفتهم فيها مرجوحة وكان الخوف عليهم أقوى من الرجاء لهم ولذلك كانوا يحاولون اقترار أهل البلاد اياهم ومساعدتهم

لهم على استمبارهم مع الشكر لهم على ذلك لأنهم سموا تحريراً للبلاد من ظلم الترك وما كان الترك مستعبدين للناس ولا سائبين لشيء من أملاكهم ولا حريتهم الدينية والشخصية ولا أولى جنف في الضرائب بل هم في كل ذلك أوسع حرية ورحمة من جميع الحلفاء في مستعمراتهم. ولولا فظائع بغاة الاتحاديين الأخيرة واستغلال الحكام من الترك والعرب لوسوسة عبد الحميد على نفسه قبلهم لسكان ذنوب الترك كلها سلبية أي اسم ليسوا معدين ولا مهقين اشعوب دولتهم في العنوم والفنون والأعمال ولا يحسنين لمهارة الأرض واستغلالها

وقد سبق لنا قول في انتهاء الحرب وكيف كانت لمصلحة الحلفاء وتكرر ذلك في المنار (١) ومقالة في (المسألة السورية والاحزاب) بعد الحرب (٢) وفيها بيان استفتاء اللجنة الأمريكية لأهل البلاد السورية في مستقبلهم وما يسمى الانتداب، ومقالة في (استقلال سورية والعراق) (٣) وأقوال أخرى في شؤون سورية بعد الاحتلال المغتلف فيها ووثائق تاريخية تراجع في مجلدي المنار ٢٠ و ٢١. وقد نذرت الجرائد العربية في سورية ومصر وأمريكا الشمالية والجنوبية الشيء الكثير مما كان من أمر المحتلين قبل الشروع في تنفيذ اتفاق سنة ١٩١٦ وبمعه ولا سيما الثورات والقتال في كل من سورية الشمالية والجنوبية (فلسطين) — ولا تزال في اريداد — وعلان المؤتمرين السوري والعراقي لاستقلال القطرين وجعل فيصل ملكاً على سورية واختيار أخيه عبد الله ملكاً للعراق وما كان من رحف الجنرال غورو على دمشق وإخراجه لفصل منها ثم جعله البلاد السورية عدة دول تحت سلطته، كما نقلت عن رقيات أوربية وجرائدها بعض أخبار الثورة الكبرى في العراق التي كانت تقاقل أكثر من مئة ألف جندي من العساكر البريطانية واضطراب انكسار ذلك إلى العدول عن جعل العراق تابعة للهند الانكليزية وعلانها الزم على تأسيس دولة عربية بريطانية في بغداد وتأييد حكومة وطنية مؤقتة فيه والاستعداد لانتخاب جمعية وطنية تؤلف الحكومة الثابتة وتختار الأمير أو الملك لها وترشيحهم الشريف فيصل لعراق وبيت الدعوة له، وتأييد حكومة جديدة في شرق الاردن تابعة للحكومة القدس الصهيونية الانكليزية

(١) راجع ص ٦ من فاتحة المجلد ٨١ ومقالة عاقبة الحرب فيه (مر ٣٣٧)

(٢) ص ١٩٧ منه (٣) (ص ٤٣٤) منه

وجعل الامير عبد الله أميرا عليها بعد ان جاءها من الحجاز بقصد الاستعداد لاجراج فرسة من سورية وبث الدعوة لذلك وجدد المبايعة لاجه «الملك فيصل» كل ذلك معروف بالتفصيل لقراء المنار في مصر وسورية وأمريكة وستريده هنايبانا وتحقيقالنسب الى مثله فيما نعلم كما ينتظره الكثيرون منا ونحمد الله انه كسابقه حجة بينة على اننا كنا على الحق والصواب فيما كنا نعرض به في مصر في أثناء الحرب وبعدها وفي سورية مدة السنة التي أقفناها فيها من اتفاق الحلفاء الانكايڤ والفرنسيس بمساعدة الشريفيين على استعمار بلادنا السورية والعراقية على ما بينهم من التنازع والخلاف السري والعلني في ذلك. وقد اتفردنا بالسبق الى معرفة ذلك وانجاهرة به والتمرض بذلك للخطر وعدم انخداعنا لاحدي ذلك ولا خداعنا لاحد بل كنا نقول الحق وننصح باتباعه لقومنا ولخصومنا. وهذه منة من أكبر من الله تعالى علينا ما كنا لولا فضلته وتوفيقه أهلا لها في تلك المواقف التي زلت فيها اقدام الافراد والشعوب والدول

نصحننا للانكايڤ والفرنسيس ومذكرتنا للويد جورج

نصحننا للانكايڤ قولاً وكتابة فيما نعتقد ان فيه الخير لنا ولهم وللانسانية وكان آخر تلك النصائح مذكرة ارسلناها الى مستر لويدي جورج رئيس الوزارة البريطانية منذ سنتين كالماتين بينا له فيها ان ما كنا نصحننا به لاجلهم بمصر قد ظهر صدقه وان ماجروا عليه مع حكومتهم في المسألة العربية مخالفا له كان هو الخطأ - بما وقع في العراق وسورية ومصر والهند - وان انكثرة ستكون هي المفبوبة بقسمة تراث العالم الاسلامي بين الحلفاء بعداوة الشرق وحسد الغرب لها وان عداوة أكثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين احتقاراً لهم بضمهم ليس من العقل والحكمة لانهم لا يكونون أضعف من ميكروبات الأمراض والابوثة - وانهم سيكونون به اتحادا اسلاميا يساعدهم فيه الروس والالمان ويكون خصما لهم في زمن هم مستهدفون فيه لعداوة أكثر شعوب أوربة. وان الخير لانهم في تأسيس الصداقة بينها وبين العالم الاسلامي باستقلال الشعوب العربية (وفي مقدمتها الشعب المصري) والتركية والفارسية جميعا... ونصحننا لرجال فرسة في بيروت بمثل ذلك بعد ان ذكرنا لهم ملخصه وما نطلب منهم الاستقلال سورية ورمح صداقة الامة العربية كلها بذلك واتقاء به يقع عليهم من النبن بعداوتها ومنه ان سورية لا تسلم لهم في المستقبل وقب

قال لناموسيور وبيردوكيه سكرتير الجنرال غورو ان هذا الرأي جيد وهو من الممكنات دون الخيالات ولكنه يحتاج الى تحميم وتفصيل بين عقلاء الفريقين بكثرة البحث ولا سيما في طريقة تنفيذه في الحال الحاضرة

الشريف فيصل في عهده الاخير بسورية (١)

ونصحننا للشريف الاكبر - كما تقدم - ثم لنجمله الامير فيصل - فأما الاول فله خلق مطبوع معروف فسهل على مخاطبه ان يعلم ما يقبله ويمجري عليه وما لا يمكن ان يقبله وأما الثاني فقلما يعرف له رأي مستقرا أو يثق بمختبره بأنه أقنعه بشيء وان كان غير المختبر له يظن أنه أقنعه بكل شيء للين عريكته ولطف معاشرته وكثرا سواباته وقلة معارضته وكراهته مواجهة أحد بما يكره الا اذا غلبه الغضب هو سريع الفيتة بمد الغضب وقد عاشته زهاء نصف سنة كشت ألقاه في أكثر أيامها ولم أقف له على عقيدة واحدة واسعة في السياسة الا استحالة اخراج فرنسا وانكسارها من البلاد العربية الآن ووجوب العمل مع احدهما وخدمة البلاد ساعدتها في ظل وصايتها، والاستمانة بموادتها على تخفيف وطأتها على انه لا صرح بهذا تصريحاً جليلاً وهذه نظرية كل من وانوا الا جانب في هذا الطور الذي نحن فيه كتحكي بك العظم وداود بك عمون فلا ارى فرقا بينهما وبين الامير صل والامير عبد الله وان كان أتباع الاميرين يعدون هذين من الخائنين منهم ووطنهم والاميرين من المحررين لها ولعلنا نكتب مقالا في ترجمة الشريف صل وسيرته في سورية يحمل حقيقته ماثلة لكل قارئ

جاء الامير فيصل سورية من فرنسا (في ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٣٨) بناير (١٤ سنة ١٩٢٠) وهو يعتقد انه بانفاقه مع كايانصو على قبول الوصاية ندية مع تخفيف شروطها قد خدم سورية أجل خدمة ولكنه لم يستطع ان يفتح به الخصاص بذلك وهو الذي عمل له كل شيء وحاول أن ياف حزباً من المحافظين بين به هلى ذلك وكان ذلك حزب عبدالرحمن بك اليوسف الفرنسي الزعزعة الذي بالحزب الوطني ولكنه لم يستطع مساعدته ولا لاستمانة به بعد أن تعرف اليه

لما لقبناه هنا بالشريف لانه اللقب المشهور الثابت له وقد صار أميراً مؤثقتاً من سورية من قبل الحلفاء ثم ملكا عليها بنصب المؤتمر السوري العام وموافقة الشام ثم مهاجراً سياسياً في أوردية ثم مرشحاً من بريطانيا العظمى لدولة العراق

وتترك لحزبه، وظل سلطان الحزب الاول عليه أقوى من سلطانته على الحزب على ما أرقم فيه من الشقاق والحزب هو الذي منعه من العودة الى أوربة وحمله على قبول اعلان استقلال سورية وجعله ملكا عليها وارضاها بحمل ملكها ارثني ذريته وبجعل الراية الحجازية راية لسورية مع زيادة نجم ابيض في الزاوية الحمراء التي هي رمز علم شرفة مكة فيها وجعل القواعد التي بنى عليها المؤتمر السوري اعلان الاستقلال قائمة على اساس الاعتراف بأنه قد حارب الترك من قبل والده مع جيوش الخلفاء لاجل تحرير البلاد العربية وتحقيق استقلالها الذي كان ينفذه احرارها وارادوا ان يكون هذا حجة على الخلفاء ولذلك عززوه بتصريحات وزراء الخلفاء التي كانوا يفوهون بها في أيام الحرب كما تقدم بيانه من قبل. وقد كان الواضح من قرار المؤتمر من أعضاء حزب الاستقلال السوري قد عرفوا الحقائق في هذه الشؤون اذ زالت تلك الظلم والنقض التي كانت تحجبها عن ابصارهم ثم عرفوا كل احد بعد رفض الخلفاء التصديق على الاستقلال وما كان من أعمالهم العسكرية والادارية في سورية الجنوبية والشمالية. بدل على ذلك ما كان يلقي في المؤتمر السوري العام بدمشق من الخطاب في انكار تلك الاعمال والاعمال فيها وما كان بين المؤتمر وبين الملك فيصل ووزارته بما ظم به بعد

ولقد علم الذين قاموا بدعوة اعلان الاستقلال ونهضة أسبابها او مقدماتها بمد ممارسة الحوادث ان فصلا قاندا للخلفاء موكل اليه حفظ الامن في المنطقة الشرقية الى أن يفرغوا من ابرام ما يريدون من أمر مستقبل البلاد - وأنه قوة رسمية ومالية فن الانكليز كانوا يدفعون له راتبا وكانوا يعطونه حصّة المنطقة الشرقية من جبرك حيفا وصور والفرنيس يعطونه مثل ذلك من جبرك بيروت وبند المودة، وقطموه عند الحادة - وأنه ياتس من الاستقلال التام التاجز وان كان أولى من غيره بحبه - وأنه لين سلس كان في أول العهد - وير في البلاد كايشاء البريطانيون ثم جاءها أخيرا من فرنسا يدعو الى الاتفاق مع الفرنسيين - فاردادوا ان يستفيدوا بما أوتي من قوة ومضيف بما ارادوا من اغتنام فرصة الحرية التي نالها المنطقة الشرقية باسمه ونحت قيادته باعلان الاستقلال التام السورية المتحدة بجميع مناطقها ايجعلوا الخلفاء تجاه أمر واقع بسعة مسئلة لهم معروفة بقبضهم والملكفة تقدم من قوادحلفهم (المنار: ج ٦) (٥٩) (الجلد الثاني والمثرون)

فان ساعد القدر على قبولهم ذلك فهو المراد والا فان حال البلاد مهم بعده لا يخفى ان يكون شرا مما كان قبله . وذلك انهم حينئذ ينفذون الاستثمار الذي سموه انتدابا بالقوة العسكرية فيكون وجودهم فيها مخالفا للحقوق الطبيعية والاساسية ولماعدة الصلح الكبرى وما فيها من عهد عصبة الامم المصروح فيه بأن البلاد المشروط في استقلالها قبول الانتداب يجب ان يكون لاهلها الحق الاول في اختيار الدولة المنتدبة وشكل الحكومة التي ترزاه . وبهذا يكونون غاصبين ويكون البلاد التي الذي لا يرد في معارضتهم عند كل فرصة ممكنة . واما اذا قبل الشعب الانتداب باختياره فانه يكون قد قتل نفسه بيده

بجمل ما كان بعد اعلان الاستقلال

أعلن الاستقلال بصيغة قاصرة المثال وبلغ امر اعلانه لدول الحلفاء محلا لا ينظر وكان جواب انكسارته لفصيل انها تعترف له بصفت حاكم على رأس حكومة مستقلة لكن يجب ان تقرر الصفة الرسمية في مؤتمر رسمي ودعته الى حضور مؤتمر (سان ريمو) فتردد أولا لان الرأي العام لم يرنح الى سفره وفي مقدمته المؤتمر السوي الذي كان يلح عليه بوجوب الاستعداد للدفاع عن البلاد وتأييده جميع الاحزاب . ثم اقتنع الا كزوني باستحسان السفر بعد إلحاح انكسارته به وقد طالب من الجنرال غورو في ٨ يوليو (تموز) تعيين سفينة تقله الى أوزية فاجابه بأنه يجب عليه قبل سفره أن يجيبه الى مطالب طالبا منه من أهمها اباحة استعمال الحط الحديدي من ريباق الى حلب لنقل الجنود الفرنسية والذخائر الحربية وانذره انه اذا سافر قبل تنفيذه هذا المطالب من طريق آخر فإن فرصة تكون حرة في أعمالها ، ولم يقبل تقويض النظر فيها الى لجنة مختلطة من العرب والفرنسيين والانكليز حسب الاتفاق مع الرئيس كايانصو

انذار الجنرال غورو للملك فيصل

ثم أرسل اليه الجنرال غورو في ١٤ يوليو انذاره المعروف الذي صرح فيه بمطالبه الخمس وهي الاعتراف بالوصاية الفرنسية على سورية بلا شرط ولا قيد وتسليم الحط الحديدي المذكور آنفا لسلطة العسكرية الفرنسية - والنا انظمة العسكرية الاجبارية فجعل عدد الجيش المتطوع كما كان في العام الماضي وتسريح سائر الجنود - وتعاقبة

المجرمين المؤتمرين بالمعاصيات والمحرضين على فريسة - وقبول رزق الباك السوري الذي سبته فريسة بجعله نقدا وطنيا رسميا. وبجعل آخر موعد لاجابة هذه المطالب نصف الليل الذي ينتهي به اليوم ١٨ من الشهر

لم يكن في وسع الملث فيصل المبادرة الى اجابة هذه المطالب لان المؤتمر السوري العام والاحزاب السياسية كلها كانت لمير راضية منه ولا من حكومته لعدم قيامها معها بما يجب من الاستعداد لحفظ الاستقلال والدفع عنه ولذا اضطرره الى اسقاط وزارة علي رضا باشا الركابي ثم راوا ان وزارة هاشم بك الانباري التي خلفتها لم تكن قوى منها فحاولوا اسقاطها ، ولما شعروا بهذا الانذار الذي أعقبه الضعف والاهول وسرو الادارة اشتد هياجهم وسخطهم وسرى الهياج الى سرطانات الاهالي الذين اندفعوا الى الاستعداد للدفاع عن البلد وصاروا يطعنون في الملث فيصل جهرا ويتحدثون بالايديع به حتى انه وضع من كان لديه من الجند المجازي حول داره لحمايتها - وسعى الى الجيران غورو ملتصقا منه تعديل مطالبه فأبى -

وفي فترة ذي القعدة - ١٧ يوليو كتب الي رئيس الوزارة بأن الملث يرغب أن ألقاه مع جميع أعضاء المؤتمر في داره مساء فاجبنا الطلب وقبلنا معهم وزرته فشرح لنا المخرج الذي وصات اليه حال البلاد ونهيج الدوام بذرع غل وخذلان انكسرة . حتى لا يبرجو منها أقل مساعدة كما أبقى اليه محمد بك رسمه من لندن وان الحكومة حجج على الجنرال غورو ولا تستطيع الادلاء بها في اوروبا وله عليها حجج مضاعفة حق وبعضها باطل ينشرها حيث شاء . ثم طلب من الاعضاء أن يكتب اليه كل منهم برأيه على حدثه في كتب مخنومة وعامدهم على انه يعمل بها ولا يطلع احدا عليها ، فانصرفوا وهو يحسب أن سيكتبون ولكنهم لم يكتبوا اليه وعدوا اقتراحه خداعا يريد ان يمتنع به على قبوله للمطالب الفرنسية ويحمل التبعة على المؤتمر...

ثم ان المؤتمر عقد في (٣ ذي القعدة ١٩ يوليو - ٢٠) اجتمعا سرا بغير رسمي تبارى فيه الخطباء في العائن في الحكومة لاعة دعمهم فتررت التسليم بمطالب الجنرال غورو ثم عقدوا جلسة رسمية اكتظ مكان المستمعين بحضورهم من الوجوه وذو المناصب الاحزاب وأعضائها وقرروا فيها بالاجماع ان قرار المؤتمر التاريخي المتضمن لاستقلال

سورية ووجدتها ورفض الهجرة الصهيونية وملكية فيصل قرار واحد اذا رفض بعض تقض كله وان كل حكومة تقبل الوصاية لا تكون حكومة شرعية وأنه لا يتد بمأخذ لا يقبلها المؤتمر - وقد طبع هذا القرار ونشر في العاصمة

وفي اليوم التالي (٤ ذي القعدة ١٣٠٥ يوليو) أصدر أمره بأجل عقد المؤتمر شهرين لا المأسأنيائية تقفل في مثل هذه الحال الحربية - وقد قرأ وزير الحربية: لا رهلى: المؤتمر وكان معه رئيس الوزارة وانصر فواجين بمنعدين، وكان بعض الاعضاء يريد عد امثال هذا الامر فأقنعهم بأن هذا خير لا مؤتمر وأني سررت به ولولا لا تفرح على الاعضاء ان يقرروا ذلك من تلقاء انفسهم، ذلك بأن دشق كانت في أشد الميا والخطط على ملكها ووزارته سواء في ذلك الاحزاب والجماعات والافراد وكان يرجون من المؤتمر مالا قبل له به - وما نم الا إلزام الملك والوزارة برجرانده الجبرال فورو والدفاع عن البلد أن هو جمعت بنيا وعدوانا او اقاطهم واقامة خا عسكري مفوض (دكتاتور) يدافع عن البلاد بكل الوسائل الممكنة، ولا يرجد البلد من هو أهل لنوط ذلك به والثورة الداخلية فمر مأمونة وكل ما يترب على ذلا من النوائل يكون حينئذ في عنق المؤتمر الذي لم يأت انما ولا آخر في الخدمة وسه. وقد أصبحت الامة كلها اراضية لذه بعد ان كادت الدرائس تغيرها عليه، وانني علم أن التجديد الاجباري الذي قرنته الحكومة بضغط المؤتمر والحاحه قد كان ع سوريا وانها لم تقصد به الا إيهام الامة مايرضيا وإيهام فرنسا ما يحملها الى انهاء فيما نطلبه ويطلب منها

انقض المؤتمر وكانت المراسلة بين الملك فيصل والجبرال فورو على قبول موا اذاره متصلة فلما أصر على قبولها كلها أمر الملك قبل كل شىء بسر بيع الجيش السوري من ثكناته وواقته الحربية واهما مضيق بجبل عنجر الحصين في طر جيش الجبرال فورو الزاحف على الشام فمصرح الجيش بخبر نظام فترتب على ذلك أن نهب الاسلحة والذخائر وحدث ثورة في شوارع دمشق وهج الشعب هاجا شدي وكثر التصريح في الشوارع بالهتاف لا مؤتمر وبسبب الملك فيصل وأبيه والتهمة بخيانة وجوب قتله وقد اضطرت الحكومة بمن بقي عندها من الجنود لحفظ الامن ان تقا

اشورة بالسلاح حتى انها استعملت لدرافع الرشاش في ذلك وقتل كثيرون - قيل ٥٠ وقيل ٧٠ - وجرح كثيرون - قيل ١٥٠

قبات المحكومة برئاسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنهم قبول الوصاية بلا شرط ولا قيد فاصبحت بذلك ساقطة مع ملكها غير شرعية بقراره وتقرر المذكور آنفا. ثم انها علمت في اليوم التالي تسريحها احبش (وهو ٢١ يوليو) ان جنود الجنرال غورو زاحفة على دمشق وعلمت بعد المراجعة بين الملك وبينه ان حجة على الزحف ان جواب القبول تأخر عن موعده وهو الـ ١٤ اثنى عشرة من نصف الليل وكان قد أصدر أمره لاجيش بالزحف ولا يمكنه اية فة بعد وقد احتل المواقع الحصينة كمجدل عنجز - وهي تقول انما كان الذي تأخر وصوله اليه هو ما طلبه من التفصيل لامر التسليم بعد ان وصل اليه البلاغ الرسمي بقبول الشروط في عاليه ، وان سبب تأخر برقية التفصيل انقطاع السلك البرقي باستعمال الجيش الفرنسي له

عظم الخطب على فيصل ووزرائه لما رأوا انهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك الشروط الخزية ليدفعوا الاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمتعين في ظل الوصاية وخدمتها كما كانوا عليه بعد ان قالوا في عدم امكان قبولها منقولوا من المخابرات وبذلك فصل من قبلها بأقبح الانقلاب - وعلموا انهم خسروا كل شيء - فظهر لهم ان "مقل واليكامة في التسليم ان يكون آخر ما ينفذ من الشروط تسريح الجنود - فصدر الامر بالقبول الجيش بالتوقف عن الانحاب فوق غربي (خان ميلون) ووقف الجيش الفرنسي الراحف وراءه على بعد مرمى القنابل منه وجعلت هذه فرصة لاستئذف المناوضة في ايقاف الزحف على دمشق وتولى ذلك ساطع بك لخصري (وزير المعارف) فاسفر الى الجنرال غورو فلم يلق نجاحا

وفي يوم الخميس (٢٢ اذى القعدة - ٢٢ يوليو) زار فيصل وزارة الحربية وكلم جموع المتطوعة وحسنهم على الجهاد وكان جمع الرعما ورؤساء الاحزاب وبلغهم انه أعلن الحرب رسميا ونشر ذلك في الجرائد ولى الجمعة في يومها في الجامع الاموي وصعد المنبر بعد الصلاة وحث الناس على الجهاد معه لحماية الدين والوطن - فقل كثير من الناس انه يريد بهذا استعادة مكانه وكان الناس في هيج عظيم وانبال على التطوع

وبذل اكل ما يلزم للدفاع من طعام وذخيرة - ولكن الوقت لم يمدد فتم العمل مفيد
ثم ذهب فيصل مساء الجمعة الى (الهامة) وجعلها مركز قيادته وبلغنا انه ارسل
أمنته الخاصة وذخائره الى (درعا) وان الحكومة أرسلت أودقها ودقاترها اليها أيضا.
ثم انه ذهب في مساء السبت الى محطة الكوة بمن معه من وزرائه ونواصه ومنهم
بعض الشبان وأرسل اليه طعام المشاء من دار عبد الرحمن بك اليوسف وذلك بعد انتهاء
ممر كوخان سيولون التي قتل فيها وزير حريته يوسف بك الفطلة وفرقت الطيارات
شمل من كان معه من العسكر العثماني ويقال انهم كانوا زعماء خنثائية جنزدي .
وعاد في المساء جبل بك الالشي حاجبه الاول وكان ذهب مع موسيو، كوس (الذي
كان شابط الارتباط الفرنسي في دمشق وصار بعد الاحتلال رئيس البعثة الفرنسية
للاتداب مدة من الزمن) الى الجنرال غورو للاتفاق معه بابهم الملك على صفة دخول
دمشق وقد هاد معه في سيارته ميهجا مسرورا

وفي صباح يوم الاحد (٩ ذى القعدة ٢٥ يوليو) رأيت نوري باشا السيد
فأخبرني ان الجيش الفرنسي يدخل الشام بين الساعة ٩ والدقيقة ١٠ وبمسكر في
(الازنة) من ضواحي البلد وان الملك يدخل الساعة ١٠ ونصف ولكنه لم يدخلها الا في منتصف
ليلة الاثنين وألف وزارة جديدة من الموالين أو المياليين الى فرقة رئيسها علاء الدين
بك الدروبي ، وقد كانت عودته الى دمشق من الغرائب . ورأيت نوري باشا في صباح
الاثنين أيضا فأخبرني بأن القائد الفرنسي قبل الوزارة الجديدة وانهم لا يعرفون
بالملاك . فقلت له وكيف عديم به الى الهامة ؟ .. قل لم يكن هذا برأيي وانما هو
رأى جماعة الذين درطوه وفي مقدمتهم الدكتور فلان - وفي يوم الثلاثاء بانته السلطة
الحتملة وجوب الخروج من الشام قبل نصف الليل . باغني ذلك بعد المشاء
فذهبت الى داره لوداعه الى ما كان وقع من الجفاء بيننا من قبل الانذار الفرنسي
الذي لا علاقة له بالعودة الشخصية فوجدت في الدار أفراداً من الشرطة باغني انهم
حرس على اثاث الدار لئلا يؤخذ شيء منهم الا وكانت مع نصف ساعة أعجبني فيها
صبره وأمنه . وكان ذلك في الساعة الحادية عشرة ليلا وقد خرج بعد وداعي له بنصف
ساعة وحمله قطار خامس بمن معه الى درعا

يوسف بك العظمة

ولا بد لي من كتابة كلمة في هذه الخلاصة التاريخية بشأن يوسف بك العظمة الذي كنت معجباً بما أوتي من الذكاء والتنظيم والهمة والنشاط والوطنية وحسن السلوك منذ عرفته متعبداً للحكومة العربية في بيروت إلى أن عين وزيراً للحربية بأقتراحي ورسمي مم بعض الأسيان: استبد يوسف بالعمل في وزارة الحربية وكان يكتم أعماله حتى عن رئيس الوزارة بل يسمي الأمر الأعلى الملك فيما أظن ولما اشتدت لازمة — أنه هل هو مستعد للدفع؟ قل نعم إذا وافق الملك وإذا خالفه تخشى أن يلجأ إلى الأجانب.. ولما عين ياسين باشا الهاشمي قائد لموقع العاصمة عتب الانذار وأظهر للوزارة ما فيها من النقص أى على خلاف ما كان يقول ثم إن وافق الوزارة على قرار التسليم طاب غورو — بعد هذا كما رأيته في بيت الملك مع الوزراء فكلمته ووجدته كلاماً شديداً وذكراً بيمض كلامه فقال روجه يمتنع كوجه الميت اتني مذنب وأتعمل تبة علي وكنت البارحة انتحر من انهم فلا تزد علي . ولما خرج إلى الدفوع عن بقي معه من قايما جيشه تزيين ولبس ملابس الرسمية ووطن نفسه على الموت — فكان شرفه الذي امتاز به أنه لم يقبل أن يعيش ذليلاً بل أراد أن يكفر بدمه عن ذنب التصير المبني على الثقة والغرور كان فشل هذه المدافعة بخن يسعون أمراً جليلاً لا يحمله مثله ولا مثلي عن لا يعلم من الحرب شيئاً ولذلك رغب إلى الكشرون أن اخطب في المنطوعين وفي بعض المساجد في الحث على الدفوع فتمت — كما أبيت مراراً أن اخطب في لاحتلات السياسة — وقالت لبعض الخواص اتني لا أغش أحداً ولا أستطيع أن أقول في هذا المقام ما أعتقد لانه يضر الآن ولا ينفع وقد نصحت للعاملين في كل شيء في وقته فلم يند — هل ان ما أقدفت اليه الامة من أمر الدفوع شريفة ولا بد منه

خلاصة آراء فيصل والامة وغورو

وخلاصة الخلاصة أن فيدلاً كان يعتقد ان الوصاية على البلاد أمر مقضي وانه لا يمكن إيجاد قوة وطنية تعقل لا استقلال فكان لذلك يجتهد في ارضاء كل ذي مكانة وتأثير إلى أن يضع الحلة التمرار الأخير الذي كان يرى انه قد در على السبي إلى حمل وطاعة الوصاية فيه حذيفة . ولذلك لم يهتم بأمر الاستعداد للدفاع بتظيم قوى المش ترو ولا بالجيش

النظامي ولم يكن يقتضيه بهاجم هذه الحاجة فله وجب لم يجد بدا من الخضوع - فهو لم يستعمل للقتل ولو دفاعا وما اضطر اليه من ايجاد جيش دفاعي جيش منظم بادر الى تسريحه عند الحاجة اليه ، وقد أعلن الحرب في الوقت الذي كان يفترض في أمر التسليم وهو لا يزال يرى أن رأيه كان هو الصواب وأن كل ما خالفه خطأ وأنه أخطأ لعدم الاستعداد بتنفيذ ما كان يراه بالقوة . وقد صرح بخطائه وعمله مرارا في أدربة وبلغنا أنه يريد ان ينشر فيه كتابا رسميا

وأما زعمهم لامة الذين خالفوه فقد بينا أنهم علموا بعد طول الاختيار ان اندولتين شرهنا في تنفيذ ما انتقل عليه من استثمار بلادهم فلا ولي أن تقارنهم بالجمعة والدفاع عن نفوسهم اذ ما جوهوا بالقوة ليكون مركزهم في امر كذا فنتسب بقول الانتداب يجعله شرعا وأما الجزرال قوررو فكانت سياسته اخراج الشريف فيصل من سورية مهما تكن حاله لانه ناصبهم وأغرى المصائب والعثر بهم وصار له نفوذ في البلاد يمكن أن يكون خطرا عليهم في كل وقت ولا سيما اذا اشتد الخلاف بينهم وبين انكسار التي يعدونه من صنائعها المحاصرين لها - فهو قد حارب الامير فيصل القائد الحجازي الذي بعده أجنبيا عن سورية لانقاذ سورية من نفوذ دولة الحجاز ولو باسم الانتداب والوصاية الفرنسية ، وقد ما أخذ من السلاح والذخائر الحربية غنيمة حربية ، وكل ذلك بين ظاهر في الاقوال والمكتوبات الرسمية

الطور الاخير للمسألة العربية

ان ما تناقش على الدولة البريطانية من مضلات المشكلات المالية والسياسية والاستعمارية والاجتماعية واعيانها دون حل عقدها أو عقده منها قد اضطرها الى ترك جزيرة العرب لاروائهم اصنافا من أمكن اصطناعه منهم والتמיד للتدخل الاقتصادي والفني بالتدريج ثم الامانة بأولائها ملك الحجاز واولاده في سورية وفلسطين والعراق ، والاهرام عنهم وعدم المبالاة بمصراخهم بكرة الذب بكملة بالاستعانة طاف والاستعانة والذكير « بالله » ود الوعود والجماعة والحسبات البريطانية ، وعدا عنها الملك الخروج عن مرضاتها مساريا للردة والخروج عن رحمة الله تعالى وعمله في نذلها بقول الشاعر

• فان كنت مأكولا فكيف انت آكلي •

والفرض الأول من هذه السياسة والادارة المؤقتة تخفيف النفقات عن كامل دافئ الضرائب في بريطانيا العظمى الى أن تنحل عقد المشكلات وتؤسس وسائل القوة في داخلية البلاد العربية بأقل ما يمكن من النفقة ، والثاني دفع إغارة العرب من وراء الاردن على فلسطين ومساعدتهم لاهلها على اليرود الصهيونيين ، والثالث إخضاع العراق والاستعانة بحكومته الجديدة على مقاومة الترك وحلفائهم من مسلمي الشرق وبولشفيك الروس اذا اصرروا على تنفيذ فكرة الجامعة الاسلامية ومقاومة الاستعمار الانكليزي في البلاد العربية والعجمية . وبلغنا انهم أعادوا الراتب الشهري ملك الحجاز بعد دعوة ولده فيصل الأخيرة الى لندن فخلوه ١٨ ألف جنيه أو ٢٠

عمل وزير المستعمرات بمصر وفلسطين

جاء منتر آشرف وزير المستعمرات البريطانية مصر في شهر مارس الماضي ونظر في مسألة حفاظ الطياران فيها وقابل فيها الوفد العراقي الانكليزي الذي استعصر لاجل الاتفاق معه على أمور العراق المالية والعسكرية ثم سافر الى فلسطين فأذن أهلها بدوام السلطة الانكليزية على البلاد وتنفيذها لوعده بلفور بحفظها وطنا قويا لليهود ، وقابل الشريف عبد الله بن الحسين ملك الحجاز وجعله حاكما لشرق الاردن باتتبع لحكومة فلسطين واستعداد السلطة من معتدها السامي واعطاء من القوة العسكرية والعبارات ما يمكنه من إخضاع كل من يشذ من عرب تلك البلاد عما يراد بها وتأمين ما تنشئه السلطة البريطانية فيها من أسباب المواصلات ووسائل القوة وأولها محطة التلغراف اللاسلكي وحظيرة الطيارات ، وبلي ذلك مد السكة الحديدية العسكرية من فلسطين الى العراق وقد قرروا اعطائه حصه جبرك حيفا للداخلية وهي ١٢٠ ألف جنيه في السنة

تكرم وجه عراقي لجنفر باشا العسكري

كان في اعضاء الوفد العراقي جنفر باشا العسكري الذي كان احد قواد الشريف فيصل في حرب فلسطين وسورية وهد اليه الانكليز في العراق بتأسيس الجيش الوطني بعد أن ذهب الى بغداد لاجل بث الدعوة لجعل الشريف فيصل ملكا للعراق وكان قد نجاء مصر منذ اشهر شاب من وجهاء البصرة المشايخين للانكليز وهو (المنار: ج ٦) (٦٠) (المجلد الثاني والمشرفه

(عبد القادر بك آل باش أعيان) وقد دعا هذا الوجه طائفة من وجهاء مصر وسورية والعراق الى مؤتة شامي في فندق شبرد تكميما للجهز باشا في ١٨ مارس ولما جاء تتر رقعة الدعوة خطرت لي انه ربما كان لها معنى سياسي ولما جشنا الفندق دعينا الى حديقة لاجل تصويرنا مع المختل به بمجموعة من افراد آخرين. وبعد شرب الشاي استنشد شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي قزنجي قصيدة تهاب المقيم ، وانثى عليه سعداندي دغ الشاعر السوري المصري بأبيات منموجة في المجلس ثم دعي الدكتور فارس افندي عمر أحد أصحاب المنظم الى الخطابة فأجاب

خطاب الدكتور عمر في المسألة العربية

بدأ الخطاب بالثناء على الدولة البريطانية والتم اذقها بالرغبة في ترقية الشعوب وتحريرها والاخلال للعرب فيها وضوء من يدسة الاستبداد قل ولكنني على هذا الاعتماد فيهم قد انتدت عليهم تقسيم سورية وانتنت منه ورأيت ضارا بالدور بين مفرقا لهم ولم اكتم ذلك عنهم بل غابت عليه واضمح اساسه البحر مارك سايكس الحب المختل للعرب وكلته بذلك في هذا الفندق الذي نحن فيه فاجابني قائلا اننا فلنا هذا المصلحة العرب أيضا لانهم اذا ظلمهم احد الفريقين وشدد عليهم الوطأة احتجوا عليه باين الفريق الاخر وحسن ادارته وعدله !!

ثم ذكر مسألة مصر والاراق وعزم الانكبابز على منحهما الاستقلال وما يجب من نبد كل خلاف في هذه السبل والاجماع على تأييد الحكومتين اللتين نوستان في القطرين لانهما نجربة اذا فشلت قضى على الامة العربية والشرق كله بأنه غير أهل للاستقلال بنفسه . ثم ختم الخطاب بقوله انه يعتقد أن جميع الحاضرين على رأيه - فصدق له بعض الحاضرين ، وتبعته بالرد عليه :

خاتمة الكتاب في المسألة

افتتحت خطابي بقولي انني متطفل بالخطابة لم ادع اليها ثم قلت : انه كان الظاهر من هذه الدعوة انها شخصية يريدونها المحتفل تكريم صديق له لاسياسية كما ظهر من خطاب الدكتور عمر . ولون الخطيب بين رأيه في الموضوع الذي تكلم فيه ولم يحاول حمل الحاضرين على اقراره عنيه وسلب الموافقة عليه بالاجماع لكننا في سعة من السكوت ولكنه قال انه يظن ان الجميع على رأيه وقد صنف

له أفراد وسكت الباقون فيمكن ان يقال ان السكوت رضى واقرار، والاجماع السكوتي مختلف فيه عند علماء الاصول بعضهم يقول ان حجة بشرطه والآخرين يقولون انه ليس بحجة

وقد سبق لحضرة الدكتور خطاب في اجتماع مثل هذا طلب فيه الموافقة على ما قاله في اتفاق سنة ١٩١٦ على اعلان الخفاء له وهو مطالبتهم بترك من بلادنا وتوقيع امرها اليهم وتحسين الفن بهم فانضطرت الى معارضته وقتئذ كما اضطرت الآن وحال ذلك دون موافقة ذلك الحفل على ما اقترحه. ويظهر الآن انه لا زال على رأيه الاول بعد ان مزق الخفاء شمل سورية وجعلوها بضعة ممالك أو دول دينية فاقصد ذلك فيها نيران الثورات والفتن بحيث لم يفعلوا بشيء من بلاد أعدائهم مثل هذا التزيق والتشكيل في بلاد أعدائهم.

وأغرب ما جاء في خطابه الآن مأثله عن المرمارك سايكس الذي شهد له بالاخلاص في حب العرب مع العلم بأنه هو واضع معاهدة اتفاق سنة ١٩١٦ على اقتسام بلادهم واستعبادها، وهو ان هذه القصة التي قال الخطيب انه كان قد استاء منها لم يبعثهم عليها الا شدة حب العرب ومراساة مصالحهم بما تكون قبضة بلادهم بين سيدين مالكيين وسيلة الى احتجاجهم على من اساء منهم وظلم. بفعل من أجن ورحم، ولكن ماذا يعملون اذا اتفق الفريقان على الاسائة والظلم؟ وهانحن اولاء نرى وطأة بريطانيا العظمى في القسم الشرقي من سورية اشد من وطأة فرنسا في القسم الشمالي منها خلافا للهم ورد المشهور في الاستعمار الذي يشهد فيلسوف فرنسا الاجتماعي غوستاف لوبون بتفضيل المنهج البريطاني فيه على المنهج الفرنسي كما بينه في كتابه روح السياسة او فلسفة السياسة - ذلك بان بريطانيا زادت على ما شاركت فيه فرنسا من الاستئثار بإدارة البلاد أن جعلتها وطنيا قوميا لغرباء اليهود الصهيونيين وقررت تملكهم وقبة ارض البلاد باعلاهم الاراضي الاميرية فيها التي هي ملك بيت مال المسلمين وأمالك السلطان عبد الحميد التي اغتصبها من الاعمالى وتريد أن تجعلهم أكثر اهل البلاد بالتدريج حتى تخرج عن كونها عربية. وقد بحث اصوات اهل البلاد من اقامة الحجج والبراهين فلم تكن عنهم شيئا وقد سبق لي في سنة ١٩١٥ جدال عنيف مع المرمارك سايكس في هذا الفندق عدت منه ميسرون ببلادنا وأما مشروعه تأسيس حكومة وطنية في العراق تابعة لوزارة الخارجية

الانكليزية فهو لا يفر أحداً من العرب لانهم يطلبون الاستقلال لا الاستثمار الاجنبي ، وغرض الدولة البريطانية منه معروف صرح به ناظر المستعمرات وهو استثمار البلاد بأقل ما يمكن من النفقة لاسكات دافعي الضرائب عن المعارضة للحكومة فيه .

قرن الخليل مشروع حكومة العراق بمشروع استقلال مصر الذي يطبقه الوفد المصري وأين هو منه ان المصريين يطلبون أن تكون بلادهم دولة مستقلة في داخليتها وخارجيتها ذات مجلس نيابي منتخب وحكومة مسؤولة لديه وسفراء وقناصل في الممالك الاجنبية وأن يعقد بينها وبين انكلترا اتفاق أو تحالف تحفظ هذه مصالحها وتكون بمثابة غيرها من الدول فاذا كانت انكلترا تسمح بمثل هذا في العراق يكون اقتراحه وجيهاً جذرياً بأن يقبل بالتخلف الواجب

(تم بينت ان الامة العربية قد عرفت الحقائق فلا تنخدع بخلاصة الانفاطولا يعوزها الاجمع الكلمة واتحاد كاتحاد الشعب المصري بين ابنة الملل والمذاهب والا ضاعت تسها)

قلت : واني أذكر في هذا المقام حديثاً لي مع مدير المخابرات البريطانية بدمشق اذ كان تفضل بدعوتي الى شرب الشاي عنده لحقته مع بديع افندي الحوراني — ولعله ممتناه — ودار الحديث بيننا على المائدة في المسألة المصرية ثم في المسألة السورية قال : أترى ان سورية تستغني عن مساعدة أجنبية ؟ قلت لعلكم تظنون ان مثلي يستحي أن يدعي ان بلاده وصلت في الارتقاء وال عمران الى الدرجة التي تحررته على القول بأنها تستغني عن مساعدة فلا مندوحة له عن الاعتراف بم حاجتها الى ذلك فتقوم عليه حجتكم بوجوب الوصاية عليها . أنا أقول ان الامم والشعوب كالأفراد لا يستغني بعضها عن مساعدة بعض — فهذه بريطانيا العظمى التي وصلت الى ما يعلم كل الناس من الحضارة وسعة الملك وحسن الادارة والنظام قد اعترفت ملكها السابق السياسي العظيم (ادورد) بأنها محتاجة الى مساعدة رجال من الالمان على تدبيرها — روت ذلك مجلة بريطانية عن أميرة انكليزية (هي الكونتس ورك) اذ كانت شرب الشاي عندها قبل وفاته بثلاثة أشهر فذكرت له في محاورها معه بضمه لابن أخته (غليوم) عاهل الالمان فاني ذلك وذكر لها اعجابه بما وصلت اليه الادارة الالمانية من الارتقاء والنظام ونحو

لو أن معه رجالاً منهم يتولون إدارة بلاده فربما يمكنهم أنجازوا الأعمال وقد
توجت هذه المقالة بالعربية - و - زر في مجلة المنطقة المغربية (١) فإذا كان
يقول بأنكم محتاجون إلى مساعدة أمة أخرى فهل أقول أنا أننا نحتاج إلى مساعدة
غيرنا فمن تعرف بأنهم أعلم منا وأرى في ذلك لا فائدة لنا أن المسألة مسألة مدح
للمساعدة ، انكم تطمعون في استعمار بلادنا والزيادة عليها وتسمون ذلك
مساعدة لافاة الحجة وتبرون الخطب عليها . ان المساعدة بمنهاها اللغوي المبرور
من أعمال الخير والبر التي لا مشاحة فيها ولا تنازع ولا خصام فإذا ساعدت فقيراً
على مدينته بأعطائه جنينها فلا آثام ولا إحصاء من يعطيه جنينها أو بشر
جنينها . فما بالكم تحتصمون وتندفعون في قسمة البلاد التي تدعون الرغبة
في مساعدتها ؟ ثم ان الاقتاع بقبول المساعدة الحقيقية لا يكون بقوة السلاح
فما بالكم تحتلون البلاد بالجيوش المسلحة بجميع أنواع الأسلحة وتقتكون من
لا يخضع لكم من شعوبها ؟

ثم سألت بشرفه واستقلانه السكسوني أي المنطقتين خيري في حفظ الأمن
العام والحرية الشخصية وعدم التعصب الدينية والمذهبية ؟ المنطقة الشرقية
التي يتولى ادارتها العرب الذين بعد عهدهم بالادارة أم المنطقة الغربية التي يتولاها
الفرنسيون ؟ فأعترف بتفصيل المنطقة الشرقية في ذلك : فقلت اذا يكون
المراد من المساعدة الى مساعدتهم فصحك وشحكنا

فأجابني قائلاً : اني قد اقول في هذا الخطاب بما أشرت اليه من - - -
الاحتياج الى تعاون بين دولتنا وفرنسا في اتحاد الشعب المصري الذي صر بقتله
مثلاً - - - للشعب السوري وبما يتفقنا من وحدة الزعامة ولكن خشيت من
الحاضرين الذين فوجئوا من السياسة بخالم يكن ينتظروا أكثرهم ، ورأيت ان
أترك وقتاً لغيري فاكثفت بالإشارة

وقد قام - - - سيدي افندي كامل الخليلي الكاتب المدري المشهور فألقى خطاباً
بليغاً فيها ما كتبت سابقاً للغة مما كتبت أحب السلام فيه من وجوب التعاون
ولولا ان شعب المغرب المتنازع لم يحد منه الكثرة فوالله ان شعوب العربية

(١) رجب - - - مارس سنة ١٩١٦ من المجلد ١٠٠ من المنار . وليس
عبارة الملك بترجمة - - - واجباً لو حكما الأمن لمدة السكوتية لاصلاح ادارتنا .
ولكن المصيبة انهم اذا اتوا ليحكمونا تعذر علينا الخلاص منهم »

وتوسع أيضا في السياسة الانكليزية وما لها من المصلحة والمنفعة في اجابة الشعب المصري والامة العربية الى الاعتراف لها بحقها في الاستقلال التام - فكان لحظاته تأثير حسن عام . وتلاه جندي بك ابراهيم صاحب الوزار تشكلم في المسألة الاولى وأجاد

وبعد أن ختم صاحب الدعوة الاحتفال بالشكر المعتاد وشرع الحفل الجميع في الانصراف وقف الدكتور عبد الرحمن شاهيندر على كرسي واستوقف الناس لسبع كلمة منه فوقفوا وبدأ كلمته بأن السيد رشيد رضا يقبل عليه التشاؤم وهو يجب ترجيح التفاؤل، ثم اتى على المصريين ومصر، لاجأ الأحرار بما يرجح الهزيب والولاء بينهم وبين اخوانهم السوريين فأجاد

وانني اعترف بسدق كلمة صديقي الدكتور شاهيندر وان كنت انكرت في نفسي ذكرها في ذلك الموقف وأقول انني كنت منذ اشتغلت بالسياسة غيدارا في السياسة الاوربية والمنازع الاستعمارية (الغيدار هو الذي يسمى الطن فيصيب) يقبل على التشاؤم من مساعيهم ولم أرفها عبالا لتفاؤل وحسن الظن كما شرحت في هذا المقال ، وانني لم اختلف مع صديقي الدكتور شاهيندر في مسألة من المسائل انني كنت فيها متشائما وكان متفائلا الا ونهر اني كنت الغيب فليتكذرك أول الخلاف في اثر قدومه من العراق الى مصر وأوسعه وآخره في دعوته اياي مع آخرين الى امضاء تقريره للمعهد، وفي مؤناتي في هذا الاختلاف

ختم المقال بالتفاؤل بالمال

واختم هذا المقال بقولي انني مؤمن يرى اليأس من روح الله والتفريط من رحمة كفر، وانني لا يعمني التشاؤم وسوء الظن في الطامعين من عمل ولا سمي فانما لأرأل أرجو انتاع الدولتين المتقسمتين لبلادنا الماضمتين لحقوقنا بأن الخير لها وللمدنية والانسانية ان يتركونا احرارا في بلادنا حاكين في شعوبنا وان يساعدونا على ما نريد من عمران بلادنا بما نطلب المساعدة عليه ويكتفوا منا بالمنافع الاقتصادية والادبية. ومن سوء الحظ ان كان سمي السابق مع غلاة المستعمرين منهم ، وأرجو ان أوفق للسمي مع احرار المصنفين منهم وهم وش الحمد كثيرين وأود لو يعلم هؤلاء الاحرار حقيقة أمور الشرق من احرار أهلا ولا يكتفوا ببلانات السياسة الاستعمارية وما يختزله أهلها من أقوال مديري الخبايا لهم

أود لو يعلم أحرار فرقة الكرام أن مثل الحجاز وأولاده لا يتصور
الامة العربية بل السواد الاعظم من العرب ومن مسلمي الاعاجم غير راضين
عنهم وانهم ليس من مصالحة فرقة معاداة هذه الامة في هذا البيت منها وانه
بجعلها خصما للترك ، وانه لا يمكن أن تنال دوائهم عطف العالم الاسلامي مع
مقاومتها للعرب

وأود لو يعلم أحرار انكسرة ومنصفوها المستقلون ذلك فلا يفتروا باستخدام
مستعمرهم لاهل هذا البيت ويظنوا انهم هم الذين يخضعون لهم هذه الامة
وبرضاها باستعمار بريطانيا لبلادهم على أن الايام ستعلمهم ما لم يكونوا يعلمون
وأود لو تعلم الشعوب العربية أن الانتداب الذي فهموا معناه لم يصر
أمراً مقضياً ، وأن عصبة الامم لن تكون العوبة بيد المستعمرين ، وأن الرجاء
في استقلالهم واستقلال أمثالهم وبناء قواعد الصلة بين الشرق والغرب على
أساس العدل وتبادل المنافع من غير سيطرة ولا سيادة للمستعمرين على
المستضعفين رجاء قوي يزيد العلم به والسمي اليه قوة ولا بقاء للعرمان
بدونه - (فاما الزيد فيذهب جفاء واما ما ينقم الناس فيمكنك في الارض ،
كذلك يضرب الله الامثال)

وأود لو يعلم سادة الامة العربية وكبرائها انهم لو جمعوا كلمتهم في هذه
الفرصة لاسسوا لانفسهم وحدة حلقية يحفظ بها استقلال كل منهم ويمود به
بجد الامة العربية وتحيا حضارتها الشريفة التي فاقت حضارة جميع الامم بجمعها
بين الرقعة المقصودة من الحضارة وبين الفضيلة ولكنهم أجابوا داعي شيطان
نفسه التفرق وتفردهم بالمال والمال (يعدم ويمنيهم وما يعدم الشيطان الا غرورا)
ولم يجيبوا داعي الوحدة وهو داعي الله تعالى الذي يدعوهم باسم الله تعالى لما
يحييهم ، فهذا وقت الوحدة الداخلية ، امام الدواهي الخارجية ، لا وقت فض
مشكلات حدود البلاد ولا تحكيم العصبية الدينية والمذهبية ، وليعتبروا بانها انهم
الترك ، الذين قضت عليهم معاهدات الحرب بالزوال والحق ، كيف تحولت حالهم بجمع
الكلمة والدفاع عن البيعة الى ان صار الحلفاء القاهرة لهم ولا خلافهم الذين
كانوا أقوى وأغز منهم يعدمونهم خطرا عليهم ، ويتساقطون الى الاندلس وهم أو
التزلف اليهم ، ولكن الترك قد وجد فيهم الزعيم الذي جدد لهم الفجار ولم يوجد
في العرب الا الزعيم الذي سجل عليهم الخزي والعار ، (فاعتبروا يا أولي الابصار)

١٠ قرار لعصبة الأمم في الاستداب

قررت لجنة عصبة الأمم المختصة بالنظر في الوصايات العليا المفروضة على الاقطار المنفصلة من الدولة العثمانية في ٨ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٠ التحفظات الآتية لتقدمها للهيئة العامة وهي

- (١) لايسمح للدولة المنتدبة باستخدام وسيلة لزيادة قواتها العسكرية
- (٢) يجب على الدولة المنتدبة أن لا تستخدم القوة التي يمنحها اياها الاستداب لتثبت هي أو أصدقاؤها بموارد البلاد الطبيعية وتستثمرها لحسابها الخاص أو لحسابهم
- (٣) يوضع نظام أساسي لجميع الاقطار ذات الوصايات العليا وتنتظر فيه عصبة الأمم (الهيئة العمومية) قبل تنفيذه
- (٤) يجب أن تشر جميع مكوك الوصاية قبل أن ينظر المجلس فيها

(١٠ مصاديق ولدنا لهم)

لجئنا في البتلة اربعة عشرة من شهر شوال بوفاة ولدنا الصغير (اهام) بمرض طويل بل امراض متوالية اولها وعكة برد ورطوبة تلاها سعال عاظمي انقلب سعالا ديكيا حرمة المدام والظلماء عدة اسابيع اذ كان يقضي مايا كله غالبا فضعف جسمه وقل احتمالها واسابته في هذه الحال الحصبة وانتهت بانثاثير المهدود لها في الامعاء وكل ذلك من موانع قبول الغذاء، وبقي اياما كثيرة لا يطلب الا الماء فقه ماأخذ وشه ماأعطى، ان العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول الا مايرضي ربنا، واما بفرارك يا (اهام) لخرونون «انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجبرني في معيبي واخلف لي خيرا منها» اللهم اجمله فرطاً لنا وذخراً، واجعل مصائبنا به أجراً ورحمة، ولا تجعله فتنة واجعلنا من الصابرين المهتدين

(تاريخ هذا الجزء من المنار وما بعده)

بدأنا بتحرير هذا الجزء وطبعه في أوائل رمضان ثم عرض لنا في أواخر رمضان وأوائل شوال من انحراف الصحة ومرض جميع الاولاد وسهرنا على تمريرهم ثم وفاة صغيرهم الهام ما اقتضى تأخير صدره الى آخر شهر شوال. وقد بقي من المجلد أربعة أجزاء صدر ان شاء الله تعالى و أواخر الاشهر الآتية ذي القعدة وذو الحجة والموهم ويتر فيكون أول جزء من المجلد الثالث والعشرين في ربيع الاول كما صدر أول جزء من هذا المجلد فيه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتسمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

الحمد لله

۱۳۱۵

يقول في الحكمة من بناء ومن يقرأ الحكمة
فقد أرفى خيرا كثيرا وما به
سلا أولوا الأئمة

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوي « ومنارا » كنار الطريق —

٢٩ ذي القعدة ١٣٣٩ - ١١ الاسد (ص ٢) سنة ١٢٩٩ هـ ٢ أغسطس سنة ١٩٢١

الخيال في الشعر العربي

7.

الفرض من التخيل

مادة النفس الازليح للامم بشاهده في زي غير الذي نعمده ، والتخييل
ياتيها من هذا الطريق فيعرض عليها المعاني في لباس جديد ويجليها في منظر
خير مألوف

فلتخييل فائدة عامة لاتتخلى عنه وهي تحريك نفس السامع لتلقي المعنى بأزدياد له واقبال عليه ولو كان من قبيل الحديث المألوف والمعلوم بالبداهة .
وانظر ان رمت الثقة بهذا الى قول الشاعر

أخذنا بطراف الأحداث بينما وسالت باعناق المني الإباسح
فالمنى الذي صبغ البيت لتأذيتنا أخذنا تتناوب الحديشة والإبل السبح
(المنازل: ٧٤) (٦٢) (المجلد الثاني)

مسرعة في الاطلاع . وهذا كما رأيته بمعنى مبذول وحديث لا يختص به مابر
سبيل دون آخر ولولا ان الشاعر اوردته في هذه الصورة التي خيلت اليك بطاها
تندفق بسيل من اعناق المطايا لم ينل عندك هذا الموقع من الحظوة والاستحسان
قد يكون للمعنى في ذاته وجه يدعو نفس السامع الى التفور عنه ، وصناعة
التخيل تبقى له أثرا لذيذا في النفس فتأثبها الذة من ناحية غير الناحية التي
يجي منها التفور ، فلو سمع اشياخ ابن بنية قول عمارة اليمني شامتاً به وهو مصلوب
ونكسر رأسه لمتاب قلب دعاه الى الفوابة والضلال

لوجدوا لهذا البيت في أنفسهم ألما بليفا يدخل عليها من جهة القدرح في
كرامة رجل امتلأت صدورهم باجلاله ، وهذا الالم لا يمنع من ان يبقى البيت
في قوسهم أثر لذة تسرى اليها من جهة التخيل وان كانوا لها كارهين . وما
قلت في بعض الخطرات : قد يهذب السياسي حاشية ظلمه فيكون كالبيت البليغ
يؤثر في نفس من يهجي به لذة ولما

قد يبدو لك ان هذه الفائدة العامة انما تتحقق فيها اذا كان المعنى معروفا
للسامع من قبل التخيل كوصف حال القدر والكواكب والبرق والسحاب
والرياض والانهار ، والمقلة والثرو والقلم والدواة ، احوال الرجل من كرم وشجاعة
وعلم وغيرها من الخصال اذ يصح ان يقال ان التخيل قد مرض على السامع
هذه المعاني في صور حديثة . واما الوقائع والاحوال المجهولة فلم يعرفوا لها
صورة من قبل حتى تعد الصورة الخيالية جديدة وتحدث في النفس لذة زائدة
من لذة العلم بأصل المعنى

والجواب ان المعنى الذي تتلقاه من الشاعر دون ان تسبق لك معرفة به
قد يلقيه اليك بوجه صريح ثم يدخل به في الخيال كما هي الطريقة الشائعة في
التشبيه والمقابلة ، وعد التخيل في هذا صورة جديدة بالنسبة الى الصورة التي
تقبلها التصريح أولا مما لا تمترى فيه شبهة

وقد يلقيه لأول الخطاب في صورة خيالية وهذا مما يصح عده في الصور
لمستجدة اذ للمعاني صور اصلية وهي التي ترسم في النفس لأول ما تدرك
لمعنى بمشاهدة او وجدان فالنفس تشر حال تلقيها للصورة الخيالية ان للمعنى
لذي تحمله اليها صورة أخرى هي الصورة البسيطة التي يمر بها القول الصريح
وليك قول بعبء هذا ان صور المعاني تختلف ما اختلفت العبارات

سواء كانت تصريحيه او تخيلية فالصورة التي يعطيها قولك : زيد يكتب غير الصورة التي ينصح بها قولك زيد بخط القلم على القرطاس ، وكل منهما صريح لامتدخلك فيه للخيال واذا كان التخييل يلزم للنفس من جهة انه يكسر المعنى لباساً جديداً فيمكن لنا ان نصوغ للمعنى عبارة صريحة غير التي يعرفها المخاطب فيأخذ بها صورة جديدة ، ولا يفوز التخييل بهذه الفائدة ويختص بهادون التصريح والجواب ان الصور التي تنشأ من العبارات الصريحة وان تفاوتت في مواقع البلاغة واختلفت بالايجاز والاطناب لاتعد كما تعد الصورة الخيالية غريبة عن المعنى المراد ، الا ترى انك تعرض المعنى الواحد في صور خيالية متعددة والشعر واحد فيجد السامع عند كل صورة داعية لذة ، ولو اقيمت المعنى في عبارة صريحة ثم بدا لك ان تخرجه في عبارة أخرى تشاكلها في المراحة والمخاطب وأحد لقيت في نفس المخاطب سامة لانك لم توافقها بصورة غريبة تخيل بها تلك تعبر عن معنى غير ما ألقيته عليها أولاً

فلا انكر ان الصور في العبارات الصريحة تتفاوت بحسب اختلاف العبارات في كيفية تأليفها ومقدار ما تشتمل عليه من المعاني الزائدة عن اصل المراد وان هذا الاختلاف هو الذي يجعلها متفاضلة في مقامات البلاغة وانما اذهب الى ان تلك الصور وان احكت فسقتها واضفت اليها من المعاني ما يرتفع به شأنها لاتهيئ في نفس السامع هزة الطرب التي تنيرها العبارات الخيالية فالعبارات الخيالية تشارك العبارات الصريحة في جودة نسجها واشتغالها على المعاني التي ترتقي بها في مدارج البلاغة وتزيد عليها بآراء تلك المعنى في صورة بدلية تتمسكها النفس وتهتز لوقعها طرباً

ثم ان التخييل لا يخلو في أكثر احواله من صوغ المعنى في صورة ما تكون معرفة المخاطب له أقوى وفهمه اليه أسرع ، وهذا مما يجعله يأنس بالنفس أو فر ، وارتياعها له أكل

ولا احسبك تنعم من هذا الوجه في شبهة او تقف في حيرة حين ترى الوجه السابق يقتضي ان لذة التخييل جاءت من غرابة الصورة وهذا يقتضي ان انبساط النفس لها جاء من جهة ألها وكثرة التردد عليها فان غرابتها بالنظر الى المعنى المراد لاتنافي ان تكون معرفتها بهياتها او عناصرها اجل لدى انبساط في ذاتها . فالشاعر الذي يقول

كان شمع الشمس في كل غدوة على ورق الاشجار اول طالع .
 دنابر في كهف الاشل يضربها لقبض قهوي بن فروج الاصابع .
 قد خيل اليك حال تدفق الاشعة وقت النداء وتجليها على الاوراق في صيغتها
 الصغراء في صورة دنابر يضم عليها الاشيل يده ليقبض عليها فتساب من بين
 أصابعه متساقطة الى الارض . وهذه الصورة بالنظر الى مسلك الحديث وهو
 حال الاشعة غريبة ولكنها في نفسها جليلة اذ السامع للبيتين وان لم يشاهد من
 قبله دنابر تفتنار من يد الاشيل فان لمواد المثلثة منها اليهودية كاله انير ويد
 الرنكش من اوضح معلوماته .

والتخييل بعد هذا اغراض خاصة رعى اليها الادباء ويتفاوتون في التمكن
 منها ولا يسم هذا المقال سوى ان نذكر بمهارتها فنقول
 قد يقصد الشاعر من التخييل تقوية الداعية الى الاحياء التي حيث يصوره
 بصورة مالا يستغنى عنه كما قال بشار

فلا تحمل الفوري عليك غصانة . فان الطوافي قوة القوادم .
 ضرب المثل للشورى في تثبيت الرأي واتامته على وجه السداد بالطوافي
 من الجواخ حيث تساعد القوادم على الطيران ، وهذا التخييل يلقي في نفس
 السامع انه محتاج الى الشورى حاجة القوادم الى الطوافي ويؤكد داعيته الى
 العمل على سنتها او الحث على الثبات والصبر على الامر حيث يخرج في مثال
 مالا يمكن بطبيعة هذه الحياة الخلاص منه كما قال بشار أيضاً

اذا كنت في كل الامور معاتباً . صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه .
 فمش واحدا او صل أخاك فانه . مقارف ذنب مرة ومجانبه .
 اذا انت لم تشرب من اراعى القذى . ظلمت وأي الناس تصفو مشارب .
 فالايات مبسوطة الى الارشاد الى تحمل ما يصدر عن الاخوان من جفاء او
 هفوة فغضب لم المثل بالاقارب حيث لا مندوحة للانسان من ورودها وهي
 لاتصفر له سائر حياته بل يصادفها في بعض الاحيان كاشفة له عن وجه كالح
 وماء كدر ، يلجئه النداء الى الشرب منها ، واغضياء الجفن عن اقتنائها ، فهذا
 التخييل يريك انك لاتستطيع ان تعيش مستقلاً عن الاخوان وان ليس في طبيعتهم
 ان يسروا في مرضاتك بحيث لاتلاقي منهم طول حياتك الا ما يلائم طبيعتك
 ويوافق بفتك ، ومقتضى هذا ان تعد يدك بعرق صحتهم وتقصي عما يمرض

لم في بعض الأوقات من جفاء أو يزلون فيه من عثرات
أو التحذير بما يرغب فيه كما قال أبو نواس

إذا امتحن الدنيا ليبي تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
لودهب إلى ذم الدنيا صراحة وهي حلوة خضرة لم يأخذه السامع بما أخذ النسيم
وأكران يكون في لذيق المذاق جميل المنظر ما يجب الحذر منه فعدل إلى الخراج
الذم في مثال ربه كيف يترى الشرير الطير ويظهر المؤذي في بهجة ما يمد قافعا،
أو تخفيف الرغبة فيه وتقليل الاهتمام به كما قال الممرى

وإن كان في لبس الفتى شرف له فإل سيف الاعمدة والجمائل
فن تثلث له الملابس بمنزلة الفمد والجمائل من السيف لم يطمح بنظره إلى
تنميقها أو يجهده سميح في اتخاذها من النسيج الفاخر وإنما يصرف همه إلى
ماتسوه به النفس من علم وفضيلة كما أن البطل لا يمتد بالفمد والجمائل وإنما يقبل
على السيف فينفق وسعه في اعادة صنعه وأرغاف حده

أو التسلية كقول صاحبنا الأمير شبيب يسلو البارودي وهو في المنفى
إن يحجبوك فما ضر للنجوم دجى ولا زرى السيف يوما طلي اعتماد
لأبأس إن طال نحر السد موعده فاعذب الماء شربا في قم العادي
أراد أن ينفق في نفس مرسله كلمة تمل منها عقده الضجر وتطرد عنها
غم الوحشة فذكره بأن ما جرى عليه من التفرج والاختفاء من أعين من القوم
وألفهم قد ابتليت بمتله الكواكب فلم يحسها بنقيصة ومنيت به السيوف فلم
يضع من قيمتها فتلا ورام بمد هذا تخفيف ما عساه أن يساور قلبه من لوعة
الحنين إلى الوطن، والهلم بما طال عليه من الامل، فقام له مثلا من حل الماء
حيث يكون مذاقه في قم من بمد عهده به - وهو الظمان - الدواشي
ومما صنعت في غرض التسلية

بثت شمع علك في قوس تسوق اليك ما استطاعت حنوطا
كذا الاثارتكم لارض نورا ولولا الارض ما لقيت خوطا
او ازالة ما يحاط النفس من النور عن الامر او عده عيبا كما قال النردوق
تفارق شيب في شباب نواع وما حسن ليل ليس فيه نجوم
ضرب المثل لشعر الاسود تتخلله شمات من الشيب بحال ليل داج تألق
في سائه للكواكب ليخيل ان الشيب مما يحدث في الخلفه حسنا ويريد هاججة

حتى يضع الانس به مكان التجافي عنه . ومن هذا القبيل قول قابوس
يا ذا الذي بصروف الدهر خيرا هل عاند الدهر الا من له خطر
أيا ترى البحر تطفو فوقه جيف وتستقر بأقصى قمره الدرر
وفي السماء نجوم لا أعداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمر
او الدلالة على ان الذي تحكى عنه صفة قد بلغ فيها غاية قصوى للتسدي
له في نفس المخاطب اجلالا واشفاقا او تحقيرا له او جفاء عنه ، ويرجم الى هذا
الغرض كثير من التخيلات الواردة على طريق المبالغة في المدح والمغز والاعتذار
والهجاء والوشاية وامثلتها كثيرة الدوران في كتب الادب والبيان
وقد يكون المعنى مما لم تتداوله الافكار وليس من البعيد ان يلاقه
المخاطب بالتعجب الذي هو مطية الانكار ، فيجئ التخيل عقب هذا لازالة
التعجب منه ويبان ان وقوعه داخل في حوزة الامكان وهذا كما يقول أبو
تمام الاندلسي

لا يفخر السيف والاقلام في يده قد صار قطع سيوف المهند للقص
فان يكن أسلها لم يقو قوتها فان في الحجر معنى ليس في العنب
ادعى في البيت الاول ان القطع الذي عهدت به السيوف قد انتقل الى
الاقلام التي تهزها يد ممدوحه فلم يبق للسيوف خصلة تفاخر بها ، وليست هذه
العمري من الجلاء بحيث تفتح لها النفوس باب القبول بسرعة واول ما يطمئن
فيها ان الافلام مشتقة من القصب وهي او من من المصايد السيف ومضاه
فاحتاج الى تأييدها بما يدغم الشبهة ويحشرها في زمرة الاقوال المسئلة فنضرب
لها المثل في البيت الثاني بالحجر التي هي عصارة العنب وقد امتازت عن بقية
المصير بامضاء نور العقل واطلاق اللسان يخبط في فلاة المذخر بخطط عشواء فصارت
بهذه الخاصية حقيقة قائمة بنفسها ومالكة لقوة لم تكن في جنسها
وقد يكون المعنى مما تألقه النقول ولا يتثبت به في سياقه ما يمر السامع
الى ارباب او يحمله على انكار وانما يقصد الشاعر الى ايراده في مثال او موضح حتى
يقم من نفوس السامعين في قرار مكين ومثال هذا قول سيف الدين بن المشد
ان رقى الى المصالي اولو الفذل وساخت تحت الثرى البنهاء
فجباب المدام يملو على الكا س محلا وترسب الاقضاء
فان يقع القنبلاء الى المراتب العالية وهبوط اهل البه الى ما تحت الثرى

ليس في منه بأسر يتعجب منه او يتلقى بانسكار لما كانت بارتفاع الحباب على
وجه الكاس وزول الاقذاء الى اسفله انما كانت مؤكدة له ومنصحة عن
مناسبتة الحكمة وانطباقه على سنة الله الجارية بارتفاع العناصر النقية ورسوب
الاجرام المتفنة . ومما صفت على هذا النمط

لا يأنف المرشح لمج في وسن من الغلاعة لا مسمى ولا أملا

كلار يزهو على صدر الفتاة وان دب الناس الى اجفائها اعتزلا

ومن الدواحي الى التخيل تخميص بعض السامعين او القارئين بفهم المعنى
اما لفضل المصيبة او لان في يده من القرائن المساعدة له على التنبه ما ليس في
يد غيره فلر حاورك انسان في أمة من الناس اقاموا على فريق من أموالهم رقباء
فأردت ان تذكره ان أولئك الرقباء لم يحرسوها بعين الامانة حتى تناولوا
قوم ملأوا منها حقائبهم وتروها في سبيل شهواتهم فكنتبت اليه على مثال
ما كنت قلت

يارايضا خلفها الحراس اذ غرقت احداقهم في وسن

سرفت ربح الصبا منك شذى طاب وانساب به في الدمن

لم يستطع فهم ما أردت من الكلام الامن دارت بينك وبينه تلك الحائرة .
وقد ذهب الشاعر الى التخيل لقصد التهم كما قال المرعي ينهم عن يحكي ان

أول من شاب ابراهيم عليه السلام

ما افيح المين قلتم لم يشب أحد حتى أتى الشيب ابراهيم عن أم

كذبتم ونجوم الليل شاهدة ان المشيب قد بما حل في الائم

فكانه يقول هذه الرواية الملتفة ليست اهلا لان تنايل بفنر هذا الرز

القائم على الخيال . ويقرب من تخيل نجوم الليل بالليل قول احمد بن دراج
التسلي بعف المبرة

وقد خيلت طرق المبرة انها على مفرق الليل البهيم قثير

وربما لا يبعد الشاعر داعيا الى مسلك التخيل بعد بسط النفس سوى التنبيه

على ما بين المعاني من المناسبات الخفية او مجازاة البلغاء واقامة الشاهد على

الحقد في هذه الصناعة . وما يرمي الى أحدهذين الفرسين ما ينملن به الاء بما في

وصف بعض المناظر الفطرية كالكوأكب والحدائق والصنافية كالشمعة والسيفينة

محمد الحضر

الطور الجديد للمسألة المصرية

بدأنا مرة بعد أخرى بكتابة مقال مفصل في المسألة المصرية ثم كنا نترك نشره لسبق الجرائد اليومية أيا بنا إلى نشر مقالات كثيرة في معنى ما كتبنا ما غادرت متردما، بل جاؤا بالذرة، وأذن الجريدة - كما قيل في المثل - فإن كان أكثر ما كتب لم يخل من تحريف ليدل أو تحيز إلى فئة فذلك أخرى باستقصاء أصول المسألة وفروعها - فيكتفي إذا باستخلاص الزبد من الخفيض واستنباط النتيجة من المقدمات، بكلمات وجيزة تحز في المفصل، وتعطي قارئها من الموعظة والاعتبار والجزم ما لعله لا يجد كله في غيرها

مقدمة وتوبيخ

(١) قد سبق الذكاء الفرنسي الدهاء الانكليزي إلى معرفة مكانة مصر وارتباط الشرق بالغرب وما فيها من ينابيع الثروة فد إليها حمله نابليون الأول ناهضة مصر في الذكاء والاقدام، ولكن الدهاء الانكليزي قطع ذلك الساعد الذي مد الحسام، ثم اعانت العلوم والفنون الفرنسية محمد علي الكبير على تكوين دولة جديدة عربية، فمارضتها انكسرت بنفوذ الدولة التركية، حتى وقفت مداهمة وأرجعتها إلى ما وراء حدها، ثم تعاون الدولتان على ارهاق مصر في زمن اسماعيل، ثم سبقت اداهما إلى احتلالها في عهد توفيق . . .

(٢) كانت نهضة مصر في عهد محمد علي مادية - محضه الحانكم - الاصل لها شارع ومنفذ ومالك متصرف في البلاد وأهلها تصرف البنيه المالك بماله وعبيده، وما كان يرجى ان تتكون في ظل هذا الحكم هذا العصرية، ولا ان تمتز دولة، بل يهدم مستبد مفسد، ما بناه مستبد مصلح، كما هدم اسماعيل المبذر، ما أسسه محمد علي المعمر. حدثني المرحوم حسن عبد الرازق باشا ان قيمة اطيان القطر المصري كلها ما كانت تزيد في آخر مدة اسماعيل عما كان عليه وعلى البلاد من الدين للاجانب

(٣) ان غايات الاضداد تتصل بمبادئها ففي عهد اسماعيل الذي انتمى إليه الاستبداد في حق ثروة البلاد وفساد الاخلاق - ررع وبنت غرس الاصلاح الاجتماعي والسياسي والادبي بأرشاد حكيم الشرق وموقفه السيد جمال الدين

الاتفاق في مؤسس الحرب الوطني الأول في مصر ومعلم الكتابة والخطابة والسياسة والفلسفة ، ولكن بريطانيا المظلمى كانت بالمرصاد لهذا الإصلاح المنعوي ، فنأوا أنه كما نأوت ذلك الإصلاح المادي ، فأشترت توفيق باشا بنفي السيد جمال الدين من البلاد بعد ان كان قد عاهده - وهو ولي العهد - على العمل بما اقترحه من الإصلاح ، ومنه جعل حكومة البلاد نيابية وتعميم التعليم وغير ذلك ، ولكنه قال عند خروجه من مصر انه ترك فيها من يتم ما بدأ وهو مرهيد الذي احاط بمبادئه ومقاصده الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

(٤) تجدد في البلاد عهد الإصلاح المادي والمنعوي معا في اول اماره توفيق اذ تولى الوزارة مصطفى رياض باشا ذو الفطرة اللامعة والوطنية الصادقة التي لم تر مصر في تاريخها الحديث وزيرا يدانيه في مجموع اخلاقه وقضائيه واستقلاله وعقله واصلاحه الاداري وان وجد فيها من الوزراء وغيرهم ألوف فأقوه في العلوم القانونية بأنواعها مع المشاركة في بعض الشؤون التي لم يكن يعرفها - فقام هو بإصلاح المالية والادارة خير قيام . وولى الشيخ محمد عبده ادارة المطبوعات ورئاسة تحرير الجريدة الرسمية فتوسل الشيخ بهذا الى اصلاح لجنة الصحف والدواوين ثم الى اصلاح التعليم الرسمي وغير الرسمي كما فصلناه في ترجمته وترجة رياض باشا ولكن كان من سوء حظ مصر ان وقف سير هذا الإصلاح بالثورة الثورية الممثلة بالثورة بالاحتلال الاجمعي قتل الامم ومفسد الشعوب ومذل البشر

(٥) توسل الانكليز الى الاحتلال بطلب أمير البلاد توفيق واستدراج السلطان صاحب السيادة عليها واستخدام اسمه وتقوذه ، وخداع اوروبية باهمها أنهم يقصدون حماية رعاياها وحفظ أموالها ومصالحها ، ولما نأوا هؤلاء وأولئك بأن الاحتلال موقت لا تقصد بريطانيا المظلمى فيه لنفسها بما ولا لتتري سيادة ولا أثرة ، وانما تتوي خدمة مصر واوروبية والانسانية . وبما سألوا خدعوا البشر بمثل هذا الايهام . ولم تعرف عامة أمم الارض رياءهم وخداعهم إلا في هذه الايام ، ثم ضمقوا يتكئون تقوذهم بالتدريج ، وسيطرون على الادارة والقضاء والتعليم ، ويسدون اخلاق العامة بالاباحة التي يسوونها الحرية - سيه . واخلاق الخاصة بخدمة الحكومة ذات الرواتب المعطية ، ويرون على الشعب بأنهم المقدون له من ظلم الترك واعوانهم ، والمدون له للاسفلال الذي

وزرائه واستقلاله، على ما كان من شأنه من ارائته بهم، واستلامه

الحياة البريطانية والوزار الشدية

(٧) أعلنت بريطانيا العظمى الحماية على مصر بالاتفاق والمواظاة مع وزارة رشدي باشا التي كان عدلي باشا أحد أركانها. وهذه الوزارة هي التي مكنت للانكليز في البلاد، ومكنتهم من استخدام كل ما تملك الحكومة والامة من الاعيان والمنافع والاناسي والدواب والانعام. ولولاها لما استطاع الانكليز ان يستخدموا زهاء ألف شاب مصري وينتفعوا بما يقدر بألوف الألوف الكثيرة من الجنهات، وقد قل عليها أنها لم تفعل ذلك الا عن وعدة وعدوها باها وهي منح البلاد الاستقلال الاداري بعد انتهاء الحرب، وما كان رجالها اول من خدعته الوعود البريطانية فتقول أنهم لا يفقهون السياسة وأغاديبها — ولما انتهت الحرب وزال الخطر عن بريطانيا العظمى واحلافها، وشمرت بأن أزمة سياسة العالم صارت في قبضة يديها، قلبت لمصر ظهر الجن وشمرت بمد السبيل لضمها الى املاكها، والاجهاز على لغتها العربية التي طالت عمارتهم لها واستبدال اللغة الانكليزية بها، وجعل السلطان الغالب في هيئتي حكومتها التشريعية والتنفيذية للانكليز وغيرهم من الاوروبيين، والقبض على ناحية الثروة والمواصلات التي هي شرايين الحياة الادارية والمالية في الامة — وقد ظهرت مبادئ هذه المقاصد في عمل اللجنة التي أنفت لوضع نظام لاناء الامتيازات الاجنبية وحصر النفوذ الاجنبي في البريطانيين وقد كان عدلي باشا عضوا فيها. فلما رأته ذلك وزارة رشدي ظهر لها ان هالك مصر بالاستعباد للانكليز واقع على يديها، فكب عليها الامر، وسدت في وجهها منافذ الخيل. حتى ظهرت مبادئ النهضة الوطنية الجديدة على يد سعد باشا زغلول ورجاله

تأليف سيمد الوفد ومساعدة رشدي وعدلي

(٨) ان خبر تأليف سعد باشا للجنة وطنية تسمى لاستقلال مصر باسم الوفد المصري معروف، ومشايمة وزارة رشدي باشا لغير مجهولة، وقد كانت قيمة مساعدتها حتى السابعة ثمانية، رأس بالامانية. ثم مقاومته عند اخذ وثائق التوكيل من ممثلي الامة لاوفد بطلب الاستقلال التام. وقد حاول مستشار الداخلية الانكليزي منع هذه الوثائق فلما لم يستطع استخدام الوزارة فيه كان عمله أبتر ناقصا فكان هذا من اظهر الشواهد على عجز الانكساة عنه

التصرف في الامة بأنفسهم، فهم لم يعدوا شيئاً ضاراً ولا نافعاً الا بأيدي المصريين . ولم تكن مساعدة الوزارة لسعد باشا عن توافقه وتعاهد على السعي معه الى الاستقلال التام الذي "لزمه اذ لم تكن ترجوهذا واما رأيت ان قيامه بهذا الامر يكون وسيلة لها الى أحد الامرين اما الحصول على استقلال اداري واسع مع الارتباط بالامبراطورية بالحماية أو السيادة على ما كانت وعدت به عند اعلان الحماية . واما اثبات وطنية افرادها لتعلم الامة أن وافقها للدولة البريطانية على اعلان الحماية ومساعدتها اياها على استخدام قوى الحكومة والامة في الحرب كان عن اجتهاد في خدمة البلاد يفر لها خطأها فيه حسن النية والتكفير عنه بمساعدة الامة على طلب الاستقلال

الاستعداد للاستقلال وأسبابه

(٩) ان استعداد الامم للانقلابات الاجتماعية التي يظهر بها انتقالها من طور الى طور انما يتم بأعمال شتى في أزمنة مختلفة تكون كالمقدمات للنتيجة فلا يعلم عند النظر في كل منها منفردا ما سيفضي اليه او ما سيعترب عليه عند اتصاله بغيره على وجه مخصوص ، وان رجال الاستعمار من الافرنج وراقبون الشعوب التي يسودونها ليحولوا بينها وبين الاعمال التي يجتمع بها كمنها فتكون أمة مستقلة بالاستعداد بالقوة، الذي لا بد ان يتبعه الاستقلال بالفعل فيصرفونها عن هذه الاعمال ويشغلونها بغيرها بقدر علمهم واجتهادهم ، وقد يخونهم العلم فيعملون بأنفسهم لاعداد الامة للاستقلال ما لا تستطيع عمله او مالا يأتي منها وهم لا يشعرون ، فلم يكن لورد كرومر (وقد كان اوسع انكسار مصر علما وخبرا وحرما) يعلم بأن ابحاثه للمصريين حرية الانتقاد على حكومتهم وأعظم رجالها سيكون سببا من اسباب جمع كلمتها اذ كانت الحكومات هي السالبة لاستعداد الشعب بمصر والحائلة دون جملة أمة . وانما كان منتهى اجتهاده في ذلك ان سقوط هيئة الحكومة الوطنية وزوال سلطانها يجعل المصريين خاصمين للانكليز خاصمين لميئتهم وحدهم ، وهم الذين لا يطلع أحد في اضماف سلطاهم - ولم تكن السلطة العسكرية البريطانية تعلم ان ذلك التصرف في أموال الفلاحين وسائر الطبقات الواسعة وفي أنفسهم يولد عندهم من العلم بصسر السلطة الاجنبية والشعور بكرهاتها وعداوتها ما تشارك به أعلى الطبقات علما وأشد هم شعورا فتجعل الامة كتلة واحدة وكلمة واحدة - بل أقول ان الحكومة البريطانية

العليا في لندن كانت تجهل مآلدها الدعوة (البوربندة) التي نشرتها في العالم كله طول سني الحرب لافتناع الامم كلها بأنها مع حلفائها يقاثلون لتحرير الامم والشعوب وازالة ما يريد الالمان وحلفاؤهم من جمل السلطان للقوة دون الحق - وهو توجه أفسس الشعوب المستعمرة او المستعبدة بالإسباء المختلفة الى الحرية والاستقلال وبنقض المستعبد واحتقاره والخروج عليه معها تكن النسبة بعيدة بين قوته وضعفها - كما كانت تجهل بالاولى ان تقي صمد باعها زغلول ورفاقه من مصر عند اظهارهم الاستعداد لطلب الاستقلال يولده في مهرنورة اجتماعية عامة . كيف وقد سمعت هذه الحكومة بمن كانت تعده أعلم رجالها بحال المصريين - وهو مستشار الداخلية السابق - قوله : اذا اشتعلت نار نورة في مصر فهو يطفئها ببيضة من فة !

الوحدة المصرية وما حدث من صدها

(١٠) ظهرت مبادئ استمداد الوحدة المصرية للاستقلال ونبذ السبللة الانكليزية بمد وقوع اسبابه التي أشرفا الى بعضها في زهاء ثلث قرن فكانت كلما قاومها الانكليز ترداد قوة لانها حقيقية لاصورية مدبرة كما ظنوا بادي ذي بدء ، ولوعلموا انها حقيقية لما لجوها بالبين والخدعة ، بالالسة والصراحة ، ولكن هذه الوحدة لم تمش أكثر من عامين حتى فت في عضدها التفرق والانقسام ، ومن العجيب أن أعظم مظاهر الاعتماد والوحدة ، قد كان هو نفسه أعظم مظاهر الانقسام والتفرقة ، الا وهو الوفد المصري الذي اجتمعت الامة على الثقة به وجعلت في تصرفه مئآت الالوف من الجنهات ، لقد جنى الوفد على نفسه بما جنى على الامة فخابت فيه الآمال ، وغلب ياس الجمهور على الرجاء ، وآخرون متحIRON يقولون ما عدا عما بدا ، وهل لمصر من موسى يأتيها بخبر او يجيد على هذه النار هدى ؟ وقد يجبون لقول مثلي بمد هذا التفرق الذي اشرب المداء ، ولم يسلم من المجر والبناء ، على أكابر الزعماء والرؤساء : ان الوحدة المصرية حقيقية ، ولم تكن خدعة صورية ، نعم انني قلت ما قلت على علم ، وانني اثبت رأيي بالدليل : لا تتحصى الحقائق الا بدخولها في جميع الاطوار التي من شأنها التطور بها فظهر من التفرق والانقسام في الوحدة المصرية التي اكبرها العالم مدة سنتين يقبه ما كان من اكبار العالم للاقتلاب العثماني الذي هتفت له الشعوب العثمانية على اختلاف مللها ونحلها ، ولغاتنا وزبنتها ، وكما تبت وقاومت

لاجل تنفيذ قانونه ، ثم لم تلبث جمعية الاتحاد والترقي التي احدثته ان هدمته بيدها ، وكذلك هدم الوفد المصري ما حدث على يديه من الوحدة المصرية واجتماع الكلمة عند تمي رئيسه وثلاثة من أعضائه المؤسسين الى مالملة - ثم عند اطلاقهم من اعتقالهم - ثم في مقاطعة لجنة لورد ملزوا واجماع الامة على ردها الى الوفد المصري - ثم في استقبال لجنة الوفد التي جاءت لاستشارة الامة في تقرير لورد ملز - ثم في استقبال الرئيس سعد باشا زغلول بمقفاوة عامة اشترك فيها القطر المصري من أدناه الى أقصاه باحتفالات وزينات وخطب وقصائد ومآدب لم يسبق لها نظير : ولم يبق أحد يجادل ان اتحاد الامة هو أعظم قوة لها تنبها شائر القوى اذا ثبتت ، وينتكت قتل كل ما يوجد منها اذا نكثت ، فاسبب هذا التفرق بعد ظهور ثورة الاجتماع بمجنوح بريطانية العقل الى استمالة مصر وارضائها برفع الحماية عنها والاعتراف بالاستقلال لها ، مقيدا ذلك بقيود تحفظ بها مصالحها ؟

موضوع الاتفاق وسبب الافتراق

(١١) ان ما كان من الوحدة والاتفاق كان على أمر يجعل توجه اليه استمداد جميع طبقات الشعب وهذا التفرق لم يزد الا قوة ولكن الشعب (لما اتفق على طلب الاستقلال التام كان أهل الرأي منه يملكون أن السكال يقصد في أول السعي وقدا ينال الا في آخره . وان المسافة بين الاول والاخر في اعمال الامة قد تكون قريبة تحسب بالسنين وقد تكون بطيئة تعد بالاحقاب ، ومنهم من كان يرى مع هذا أن كل ما يؤخذ من الغاصب فهو ربح ، ومن يرى ان أخذ بعض المفسوب قد يتضمن الاعتراف للغاصب ببعض الاخر فالواجب الانتظار لاخذ الحق كله ولو بعد حين - فكان هذا خلافا يداخل الاتفاق وان لم يذكر في الوقت الذي لم يظهر من الغاصب فيه جنوح ما الى الاعتراف بشيء من الحق لصاحبه ، دع الوعد ببذله كله او بعضه ، فلما اثمر سمي الوفد بقوة وحدة الامة التي تؤيده جنح الانكليز لارضاء المصريين بالاعتراف لهم بحقوقهم في ادارة بلادهم واستقلالهم فيها (بشرط اعترافهم هم لبريطانية العقلية بجزء من الامتياز بالاحتلال المطرول الذي خدمت البلاد فيه ورقت موارد الثروة فيها وغير ذلك مما تدعيه سواء كان خيالا أم لا) ودعي الوفد المصري من باريس

المنازع ٣٢ رأي سعد وعدلي في مشروع ملنر والتشاق بينهما ٥٠٢

الى لندن لاجل المفاوضة في التقرير الذي وضعه لورد ملنر وزير المستعمرات
للبريطانية لحل اشكال القضية المصرية - لما كان ذلك - ظهر في المسرح عدلي
باشا يكن أجد أركان الوزارة الرشيدة التي استقالت في سبيل تأييد الوفد
فكان وسيطا بين الوفد ولجنة ملنر التي فوضت الحكومة البريطانية البهاضر
المفاوضة وسرغور الوفد - وظهرت بتلك الوساطة مبادئ الخلاف الكامنة الذي
أشرنا اليه ، وانتهى بالتفريق والتشاق الذي تفكك منه ، فاقم شي مجديدا ، الاولة
أصل تليد ، كان يتخلل بذور الاستقلال المطلق بذور الاستقلال المقيّد بقيد
الامبراطورية فثبت ذلك اولا في مصر ونبت هذه بعمده في أوربة ثم في مصر ،
فكان كاثرتان بين التمع

لقد فتح الجمهور المصري تبعا لوفده بمشروع ملنر وبعد طول البحث فيه
والتمحصول استقر رأي سعد باشا على أنه «حماية مقننة» العرض منه جعل مركز
النائب الممثل شرعيا بقبول الامة المصرية هذه الحماية المقننة - ورأي عدلي
باشا أنه مشروع جدير بأن يبنى عليه الاتفاق بين انكثرة ومصر وأنه يمكن
تعديل بعض ما يشتد سعد باشا في انكاره منه - وكان سعد باشا يرى عدم
المفاوضة في هذا المشروع - ثم رأى بعد مفاوضة لجنة ملنر التي استدراج اليها أنه
لا يجوز جعله أصلا للاتفاق بين مصر وانكثرة ولا أساسا للمفاوضات الرسمية
الا اذا ألغيت الحماية وقبلت التحفظات التي وضعها الوفد بعد مشاوره الامة
والاطلاع على رأيها . واشتد النزاع بينه وبين ملنر مرارا حتى هم بقطع
المفاوضات وكان عدلي باشا يبعد المياه الى مجاريها بلفظه وكياسته فأرضى بذلك
الانكيز وعلقوا آمالهم به وأغضب سعد باشا ، وسعد شديد الشكينة حديد
المزاج اذا غضب جرح قادمي ، وعدلي باشا رفيق الطبع من أبعد الناس عن النشاز
والغصام ، ولكن مال اليه بعض اعضاء الوفد وآثروه على رئيسهم في شخصه وفي
طريقته ، فاجتهدوا أولا في التآليف بينهما ، ولولا ذلك لظهر ما نجم من التشاق
بينهما في أوربة . على ان سعد باشا انبأ لجنة الوفد بمصر بريقة من باريس
بأن عدلي باشا مشاق للوفد فلم تنتشر ذلك اللجنة وتدارك ذلك الاعضاء
هناك فاصلحوا بينهما أصلا التزم فيه عدلي بالأ يعمل مملا الا بالاتفاق
مع الوفد ، وحمل سدا على كتابة بريقة تنسخ البريقة الاولى فنشرت هذه
دون تلك . ويقال انهم أقنعوا سدا بأن يؤلف عدلي وزارة تتولى المفاوضات

مع انكسرة ويكون الوفد بالمرصاد لما يقرره الفريقان فان كان مرضيا أيده والا استأنف جهاده وشميه

ثم ظهر الخلاف بين سعد والشارعين لعدي من أعضاء وفده ففادته خمسة منهم وادوا الى مصر فسبقهم اليها نبا منه بمخالفتهم له فاستقبلهم جند الوطنية من الشبان اسوأ استقبال منذ بلغوا مرفأ الاسكندرية الى أن آووا الى بيوتهم واسمعوهم اذى كثيرا مشوبا بالوعيد والنذر، وأخذوا منهم كتابا بأنهم على رأي الرئيس ومعه، ولكن لم يمتنعهم ذلك من بث الدعوة لعدي باشا والطن في سعد باشا والتنفير والصد عنه وكان منهم الغالي والمعتدل في ذلك

الوزارة المدنية

(١٢) من القضايا التي صارت مروفة للجمهور ومسلمة بين الخصوص أمهلا كان الوفد المصري وعدي باشا في لندن تقرر لدى الحكومة البريطانية ان يؤلف عدي باشا بعد عودته الى مصر وزارة تتولى المفاوضة الرسمية وعقد الاتفاق بين بريطانية العظمى ومصر على أساس تقرير ملنر بشرط إلغاء الحماية فقط، والشائع ان أعضاء الوفد الذين تحولوا ثمة عن سعد الى مشايمة عدي قد تواطؤا معه هناك على تأييد الوفد له اما بمجذب سعد اليهم واما بنبذه بأكثر الآراء، ولولا هذا التواطؤ لم يقبل عدي باشا ان يدخل في هذه المصعة وينقض عهده فانه رجل شديد الاحتياط في حفظ كرامته وشرفه واثقاء القيل والقال، دمع الاستهداف للطن والنضال، وانهم حاولوا هذا فلما لم يستطيعوا اليه سيلا تحيزوا الى عدي جهارا، واتنا تلخص خبر الوزارة بموجب من القول سبق ان ذكرنا في المنار الصفة الرسمية لتأليف الوزارة وانها كانت بسبب البلاغ البريطاني لمظنة السلطان في شأن المفاوضة باستبدال علاقة أخرى بالحماية البريطانية على مصر تربطها بالامبراطورية وقد اشتهر ان السلطان كان يرغب ان تتولى وزارة محمد توفيق باشا نسيم ذلك لانها كانت احتل الوزارات عنده ولما استقالت لاجل هذا العمل عهد الى محمد مظلوم باشا بتأليف الوزارة المطلوبة فلم يمكن، ويقال انه ذكر غيره ثم علم أنه لا يمكن ان يقوم بهذا الامر الا عدي باشا

ولما ألق عدي باشا الوزارة ذكر في جوابه عن الامر السلطاني بتأليفها خطتها السياسية الناطقة انها « ستجعل نصب عينيها في المهمة السياسية التي

سقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر والرسول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك في استقلال مصر . وستحري في هذه المهمة متشعبة بما تنوق اليه البلاد ومسترشدة بما رسمته ارادة الامة وستدعو الوفد المصري الذي يرأسه سعد باشا زغلول الى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا المرض . وقع هذا القول على ابهام عبارته واضلرباها (١) أحسن موقع من الامة فان آمالها كانت محصورة في الوفد الذي ينطق باسمها فرأت أنه قد وجدت في البلاد حكومة تؤيد الوفد وتعمل معه فأصبحت الامة والحكومة كلمة واحدة ويذا واحدة بعد ان كانت الحكومة خصما للامة منذ تمكن الاحتلال الانكليزي وأنشأ برائته فيها الى هذا العهد، لاجل هذا صفت الامة لهذه الوزارة وقابلتها بظواهر الثقة بها والاهتمام لها مع المهاتف للوفد ولرئيسه سعد باشا .

التفرق والشقاق بين المصريين

(١٣) ثم ان الوزارة أذنت سعد باشا - وهو في باريس - بتأليفها وخطتها وطلبت منه المحضور الى مصر للتعاون معها على العمل فبادر فقابلته الامة من أعلى طبقاتها الى أدناها في جميع البلاد من أدناها الى أقصاها ، بمشاهير من المناوأة والتكريم ، لم يسبق لها شبه ولا نظير ، فكانت الامة كالجمعة على ما قامت به جميع هيئاتها النظامية المنتخبة وسائر ممثليها من تكريمه وعلان الثقة به في المحافل العامة والمآدب الخاصة ، ولكن هذا الاجماع لم يكن تاما غاما سالما من الشذوذ الغثي بل كان بعض أعضاء الوفد الذين خرجوا من أوربة مناضيين وبعض الحاسدين الذين زادهم مارأوا حسدا ينجفون في أنفسهم مالا يبدون للناس فذا انمذر التوفيق بين الوفد والوزارة أو بين رئيسيها ظهر ما كان خفيا وصار أعضاء الوفد المغاضبون لرئيسهم يتسللون من (بيت الامة) (٤) لواءا ، وينفضون الى الوزارة ثبات وافرادا ، ثم استمالوا هم والوزارة اليهم آخرين منهم ، وحمي (١) ان نفي إيجاد عمل للشك في الاستقلال في الاتفاق لا يقتضي ان يكون اتفاقا على الاستقلال التام المطلوب فانه نفي بينه وبين استقلال مبهم ثلاث مراتب - الجمل والمحل والشك - فاذا كان الاتفاق على ان تكون مصر كعضو امارات الهند أو الجزائر التي تسمى مستعمرات مستقلة فانه يصدق عليه ما ذكره والاسترشاد بما رسمته ارادة الامة لا يقتضي اتباع ادارتها وعدم تجاوزها

(٢) بيت الامة لقب وضع لدار سعد باشا زغلول .

وطيس الخلاف والجدل ؛ وصرح رئيس الوفد بعدم الثقة بتولي الوزارة للمفاوضة مع الحكومة الانكليزية والاتفاق معها على مستقبل مصر، فأرضته الوزارة وقاومت بكل مالمدى الحكومة من حول وقوة ؛ وتظاهرها في ذلك بالسلطة المحتلة، ومن ورائها الامة البريطانية بحكومتها وجراند هاج، وبالمها من قوى هائلة تستغيث من هولما الامم ، وتخشى صولتها كبرى الدول ، فظهر بذلك صدق ما قيل من انه قد تقرر في انكلترة ان يتولي عدلي باشا الوزارة ويؤيده الوفد ثم يكون هو الذي يمتد الاتفاق بين بريطانية العظمى ومصر على قواعد تقرير ملز بشرط الناء الحماية واستبدال علاقة بريطانية اخرى بها فوقع بذلك الشقاق في الامة ؛ وانشقت عما تلك الوحدة التي ليس لمصر من دونها حول ولا قوة ؛ فكان هذا أول ملامح الظفر البريطاني الذي يقابل جميع المطلوب بالصبر والجلد ، مع الدأب في العمل

وقل من جد في أمر بمحاوله واستعمل الصبر الا فاز بالظفر
فقيم كان هذا الشقاق الذي شوه تلك السمعة الشريفة التي نالها مصر في العالم كله بوحدها واتفاق كلمتها مائة عامين ؟ هل هو شقاق في المنهج السياسي ام تنازع على الزعامة والرياسة بين الافراد وانتصار كل فريق زعيم لتفصيله اياه في الزعامة للصلعة العامة او المنفعة الخاصة ؟ ومن المذهب المسؤول ؟ وأي الحزبين هو الظاهر وأيهم المغبون ؟

موضوع الشقاق وزعيما

(١٤) من القضايا التي صارت مبروفة لكل أحد ان وحدة الامة المصرية التي كان يمثلها سعد باشا زغلول رئيس الوفد المصري قد انصدعت فصارت الامة في طريق السبي الى استقلالها فريقتين - وأن زعيم الفريق الاكبر او الاكثر هو سعد باشا ويمر عن افراد حزبه بالسعديين ، وأن زعيم الفريق الاصغر او الاقل هو عدلي باشا ويمر عن افراد حزبه بالعديليين ، وأن كل قوة سعد مستمدة من الامة ، وأن جل قوة عدلي مستمدة من الحكومة المصرية التي هو رئيسها والسلطة البريطانية الموجودة لهذه الحكومة - وأن هذا الصدع قد كان من قبل الزعماء الذين أسسوا بناء الوحدة بما كان من استعداد الامة له وهم زعماء هذه الوزارة وزعماء الوفد الذي تأسس بمساعدتها بما وقم من الخلاف بينهم فهم المسؤولون - وأن التنازع على رئاسة الوفد الرسمي ، الذي يتولى عقد الاتفاق

بين بريطانيا العظمى ومصر اذا أمكن قد كان من أسباب هذا الخلاف هذه فضايلا امراء فيها والمدليون يهتمون سعدا بأنه لا عذره في الامتناع من تأييد الوزارة الاحب الرئاسة وقد اذاع كتابهم في جرائدهم وغيرها أن البشارة شخصية، وهذا جار كبير على الامة بأسرها . وسعد باشا يحتج بأنه يجب أن يكون هو الرئيس للوفد الرسمي لانه هو الممثل للامة التي وعدت الحكومة باتباع ارادتها في قضيتها السياسية والوزارة الحاضرة ليست الا وزارة الحماية الانكليزية فهي تظهر السلطة البريطانية فاذا كانت هي التي تتولى ادارة المناقشة ثم الاتفاق مع بريطانيا فكان ملك الانكليز هو الذي يتفق مع نفسه، وأن ما تقتدر به الوزارة أو تحتج به على ما تمح من عليه من جعل رئاسة الوفد الرسمي رئيسها — وهوان التقاليد المتبعة في جميع الدول أن رئيس الحكومة هو الذي يرأس كل جماعة رسمية يكون فيها وهو الذي يمتد المحادثات والاتفاقات مع الحكومات الاخرى — عذر باطل وحجة داحضة فان ما ذكره من تقاليد الحكومات المستقلة النيابية التي يمثل رئيسها الحكومة والامة جميعا اذ لا يكون رئيسا لها الا بتأييد مجلس نوابها الممثل للامة ، وهذا مبين لحال الوزارة المصرية

ويقول المدليون أن الوزارة أجابت سعد باشا الى جميع ما اشترطه لتأييد الوفد بما لا مسألة الرئاسة فهما يكن له من حجة على طلب هذه الرئاسة لنفسه، فليس له أن يوقع الشقاق في الامة لاجله، وانما يك يقول كون أكثر أعضاء الوفد الرسمي من أعضاء وفد الامة الذين يختارهم رئيسه وكون التفة بشخص عدلي باشا لا نزاع فيها — وسعد باشا وحزبه يردون هذا القول بكلام لم ينشروه كله في الجرائد فيتمكرون اجابة ما عدا شرط الرئاسة من شروط الوفد فقد كان أهم الشروط اصدار المرسوم السلطاني ناطقا بتحديد الاساس الذي تجري فيه المناقشة على ما يتفق مع مطلب الامة ومبادئ الوفد كالنص على إلغاء الحماية البريطانية على مصر حتى امام الدول الاجنبية وعلى الاستقلال الدولي التام المطلق في الداخل والخارج ، وبإلزام شرط إلغاء الحكومة العرفية والمراقبة على الصحف لتكون الامة وصحفا حرة في أنوالها وافعالها لا مظهر عليها في ابداء رأيها الا القانون، فلم ينفذ شي من ذلك —

ويقولون أيضاً ان الرئيس لم تبق له ثقة باقندار عدلي باشا على تحقيق مقصد الامة المصرية بعد ان تمحست قضيتهم لانه برضى بدون ما ترشاه، ولا ثقة له بأعضاء الوفد للتحيزين اليه فهذا كله مما كتب. وهو يفيد أنه لم بعدا شروط كون أكثرية الوفد الرسمي من أعضاء الوفد غير الرسمي مفيدا، فاذا ألف عدلي الوفد الرسمي لجعل ثلثهم من رجال الحكومة الذين على رأيه والثلثين من أعضاء الوفد غير الرسمي وكان نصفهم من المتحيزين اليه تكون يده الاكثرية الساحقة، واذا كان مع هذا هو الرئيس القوي يتولى ادارة المناوضة فلا يبقى لرأي سعد باشا معه تأثير — فلمذا اشترط ان يكون هو الرئيس للوفد الرسمي لا للمجرد حب الرياسة فانه ليس فوق ما خولته اياه الامة من الزعامة فيها والرياسة لها غاية تطلب

واظهر حجة لبعض المدلين، رضىها بعض المتدلين، هي ان الوفد الرسمي الذي رضى بريطانيا العظمى أن تتفق معه لا بد أن يكون من قبل عظمة السلطان فاذا جازان يرسم السلطان لغير رئيس حكومته بتأليفه فلا يجوز ان يجعل سعد باشا هو الرئيس له اذ لاصلة بينه وبينه يعرف بها رأيه وفكره ودرجة اخلاصه له وهؤلاء ينكرون على سعد باشا عدم زيارته للسلطان عقب هودته، وهو يعلم أيضا ان الحكومة البريطانية لا ترضى برئاسة سعد باشا — فاذا كان الامر كذلك فلا ينبغي لسعد باشا ان يوجه كل نفوذه في الامة الى منع ما اتفقت عليه الحكومتان بمحاولة اسقاط عدلي باشا والجائه الى استئصال نفوذ حزبه ونفوذ الحكومة الى جزائه على عمله بمثله الذي ادى الى شق عصا الوحدة وخسارته بل خسارة البلاد ما كان من اجماع الامة على زعيم واحد وهو هو (سعد باشا) وكان يكنيه الايويد. ولا يشاركه في المناوضة ويقت له ولوفده الرسمي بالمرصاد فان جاء بالاستقلال التام الذي يرضاه هو والامة لم يكن عليه أدنى غشاضة في قبول ذلك وتوجيه نفوذ زعامته الى النهوض باعباء هذا الاستقلال الذي يشهد الجميع بأنه كان حجر الزاوية له، وان وقع الاتفاق الرسمي باسم من كان هونا له لاختصا. وان جاء بمجاية مقننة او استقلال صوري مفيد بقبول الامبراطورية البريطانية ومغال باخلها فلا يجعل عليه بحمل الامة على رد هذا الاتفاق وعدم التصديق عليه، فاذا لم ينفذ الاتفاق حينئذ

نكون باقين في موقفنا بل أقوى مما كنا بعد اعتراف انكارة لنا بما اعترفت به ،
واذا نفذ نكون قد ربحنا ما تركته لنا من حقوقنا من حيث لم تنقذ الامة بالاعتراف
لها بشيء . باثباتنا حينئذ ان الوفد الرسمي المناوئ لا يمثل الامة أولم تقره الامة
على ما عقده

والسعديون يردون على هؤلاء بأنهم موقنون بأن عدلي لا يأتي بالالحماية المقننة ،
وبأن السكوت أو ترك المعارضة يفغى الى نجاح الوزارة في اغتصاب الثقة بها من الامة
بنفوذ الحكومة المرز بالرجال والمال ثم الى التصديق على ما تتعاقد عليه مع الحكومة
البريطانية فاذا اجتمعت القوتان على ادعاء هذا التصديق والاقرار له وكونه مبنيًا على
تلك الثقة والتفويض فاذا فعل الامة الضعيفة بعد ذلك — فهذه صفة حمج الفريقين
في جوهر الموضوع وموضع النزاع وما نحن لما هذا ذلك من المراء والجدل بناظرين
الموازنة بين الرئيسين

(١٥) عدلي باشا يكن — رجل عزيز النفس كريم التحيزة مهذب الاخلاق
ربيق الطبع أبي منرفع في غير كبرياء ، مبالغ في حفظ كرامة نفسه ، مع المراعاة
لكرامة مباشره وجليسه ، واسع الحلم ، نزيه النفس واللسان ، قليل الكلام ، وهو
كبير بيت يكن الذي هو أكبر بيوتات السلائل التركية في مصر بل هو البيت
الاول بعد بيت الامارة ممن تولوا الاحكام والمناصب العالية — وهو كبير في نفسه
كما أنه كبير في بيته ، حريص على حفظ شرفه — فهو بهذه الصفات جدير بمنصب
السفارة والوزارة وپرئاسة الوزراء ، وقد أوتي من العلم العمري ما يحتاج اليه المنصب
وقلما يوجد بمصر من يقدر كبراء الافرنج حتى الانكليز منهم على احترامه مثله ، بل
هو قوي الشبه بكبراء الانكليز في ترفعه وآدابه وشيائله

ولكنه لم يؤت من طلاقة اللسان في الخطابة ، ومن بلاغة القول في الكتابة ،
ومن الاقدام أعلى مكافئة الخطوب ومصارعة الاخطار ما يؤهله لزعمة الامة أو
التأثير فيها والسبر بها في سبل الارتقاء الاجتماعي ، ولا لقبادتها في ميادين الجهاد
السياسي ، بل هو غير مستعد للتصدي لاحداث أدنى تأثير في الامة بنفسه ، ولعله
لولا المناصب العالية التي تولاها — كادارة الارقاف العامة وحفاظة العاصمة

والوزارة — لما كان يعرفه الاقليل من طبقات الامة الوسطى دع الدنيا ، وهو لا يعرفهم بالأولى

سعد باشا زغلول — هو رجل من بيت وسط من مديرية الغربية عربي السلالة — كما أخبرني صديقي المرحوم عبد الرحمن زغلول ابن أخي سعد باشا — طالب في حداثته العلم في الأزهر وكان من حسن الحظ ان اتصل في أثناء ذلك بالاستاذ الامام وتلقى عنه وعاش معه زمنا ونخرج به فهو استاذ الاول ومربيه على ما خلق مستمدا له من الاستقلال في الرأي والفهم وقوة الارادة والشجاعة وصناعة الحجبة وحب الحق ، وادرك أيام موقت الشرق ومصلح مصر السيد جمال الدين الافغاني وحضر بعض أنديته وسماحه ، ولما تولى الاستاذ الامام ادارة المطبوعات ورياسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) جعله محررا في القسم الادبي الاصلاحى القدي زاده فيها فدون على الكتابة في المسائل الاجتماعية والسياسية والادبية والاقتصادية والطلم على جميع شؤون الحكومة ، فان ادارة المطبوعات كانت في ذلك العهد مسيطرة على الجرائد وسائر المطبوعات ومراقبة على الحكومة تنفذ جميع اعمالها في جميع فروعها — ، وفي أثناء ذلك حدثت الثورة العرابية — فهو قد نشأ وترعرع وشب في حبر الدلم والسياسة والانتقال الفكرى والاجتماعى والسياسى ثم اشتغل بالمحاماة والتزم فيها جانب الحق فكان لا يقبل الوكالة في دعوى يرى ان صاحبها مبطل ، فبرع في الخطابة واقامة الحججة والاطلاع على القوانين والخبرة بشؤون الناس وأخلاقهم ومعايشهم وحياتها ثم صار قاضيا في أعلى مناصب القضاء الاهلى فاشتهر بديقته في التحقيق واستقلاله في الرأي وعدله في الاحكام حتى شهد له مستشارو الاستئناف من الاجانب والوطنيين كتابة بأنه رق المحاماة وشرف القضاء ببدله واستقلاله. وهي شهادة لم ينالها فيما نعلم أحد من صفته ، ثم صار وزيرا للمعارف ثم وذبورا للحقانية ثم وكيلًا متعبًا للجمعية التشريعية .

وكان في كل منصب من هذه المناصب الكفو الكريم والممتازين أهله فيه ، ولا نعرف أحدا في وطنه يشاركه في هذه المجموعة من المزايا بل قل ان يوجد له نديضارعه في فرد من أفرادها — فهو بها أجدر افراد هذه الامة بزعامتها الاجتماعية والسياسية

الا أنه بقصة من صفات الزعماء السياسيين — كما يقولون — ما يسمونه المرونة السياسية وهي تشل سمة الصدر والحلم والمداورة والتويه والحداد وان شئت قلت والبراعة في الافك والكذب الذي يحتل التأولات الكثيرة والتعلق والبراعة في الاصطالة والزلزلة عند الحاجة. وهو لتلبة، ملكة القضاء على كل ملكاته لا يستطيع كل ذلك ولو تكافأ فهو لا يبالى بمن خالفه فيما يستند ولا يحفل بمدونه له، ما يكن عظيمه وقد كان الاستاذ الامام يقول ان سعدا خلق ليكون قاضيا، ووصف سيرته في القضاء واستقصاه فيه للدلائل ودقته في الاستنباط وحرصه على العدل، وخصومه يسمون هذه الملكة غلظة وكبرا أو يطلقون أمثال هذه الثعوت على بعض لوازمها . وقد زادوا في هذه الايام في نته انه مستبد لا يخضع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الاكثرين . وهذا خلاف ما عرف فيه ونهده منه ، فاذا أردنا انصاف الثنائين بهذا يحمل كلامهم على الصدق ولا سيما فيما يتفرونه من الوقائع المعينة فلا زى جامعا يجمع بينه وبين ما هو معروف عنه من انصاف والاستقلال ومعرفة قيمة النظام ومراعاة التوازن الا ما حدث في الوفد من الشقاق واختلاف النيات والافان مثل سعد لا يخفى عليه أن شعبه الذي يقتصر بحق برقائه وأهليته لتولي أمور نفسه بنفسه في حكم دستوري لا يمكن أن يقبل في عمل من أعماله رئيسا مستبدا لا يخبري على نظام الشورى ولا متكبرا لا يحترم آراء من معه وان هذان الخلقان لا يخفيان على أحد

على اننا قد سمعنا بأدنا وسمع الجماهير مثلاً خطبه في المحافل والمجامع المغلقة وقرأها أكثر من سمعها فهم يشهدون بأنه كان يمزو فيا كل عمل الى أعضاء الوفد ويذكرهم بتمتتى الادب والاحترام ويقدمهم احيانا على نفسه ، وعلمنا انه زار من لم يزوره ممن عادوا من أوربة قبله مغاضبين له مع العلم بأنه كان أشدهم زراية عليه وصدا عنه ، وفضله على نفسه في احدى خطب المجامع الخافضة ، ولم يكن هذا بمجاذب لذلك العضو الى الوقت بل لم يزده الاحقاد وضغنا ، واعراضا وطعنا

الحكم في الشقاق بين أعضاء الوفد ورئيسه

(١٦) انني أعرف بعض أعضاء الوفد المصري معرفة بحجة ومراودة ، وأعرف بعضهم

معرفة مواجهة ومحاربة، وأجهل حال غير المشهورين منهم جهالة تامة، فأنا احكم بصدق الوطنية ليعضهم على علم وخبر، واحكم به الآخرى على قاعدتي أصل البراءة وحن الظن، وقد صدقت ما قاله المختارون على رؤسهم سعد باشا وقرأت ما كتبوا - فرأيت أنهم قد اخطأوا في اجتهادهم، حتى على نسائهم جميع أقوالهم، فكيف اذا كان القول الوسط المقبول في هذا الاختلاف هو القول في كل اختلاف بين فريقين في أمر من الأمور العامة والمصالح السياسية والمسائل الاجتهادية التي تختلف فيها الآراء والانظار. وهو ان يكون كل فريق مخطئا في بعض ما اختلفوا فيه وصبيا في بعض، فان جاز عقلا ان يكون أحدهما مصيبا في كل ما خالف فيه الآخر - فأى الفريقين هنا أجدر بأن يحكم له بالصواب؟ الفريق الذي يخطئه السواد الاعظم من الامة بعد معرفة كل ما أدلى به من الحجج وما أدلى به خصمه؟ ولا يؤيده الاقر قليل جدا أكثرهم من أصحاب افراده او من اتباع أصحاب المصيبة منهم؟ أم الفريق الذي يؤيده السواد الاعظم ويرمي مخالفه بأشنع التهم وينزههم بأفظم الاتقاب؟

أقول ان المؤيدين لأعضاء الوفد الذين شاقوا الرئيس ففر قليل جدا في مجموع الامة مع العلم بأن الذين أيدوا الوزارة العدلية كثيرون جدا، فان الذين أيدوا الوزارة لا يؤيد جميعهم ولا أكثرهم أعضاء الوفد المشاقين لها، بل أكثرهم يرى ان سعد باشا هو زعيم الامة بحق وانه هو المرجع الذي يعول عليه عند تحكيم الامة فيما يأتي به وفد الحكومة الرسمي من الاتفاق مع الحكومة البريطانية، ولئن كان المشاقون لسعد أول من أيد عدلي ويستند أهل الرأي انه لولاهم لما كان ما كان - فان المؤيدين له بعد ان أمر على السير في القضية بدون اتفاق مع سعد والوفد انما أيدوه أكثرهم بنفوذ الحكومة لا بنفوذ هؤلاء الاعضاء - فهم قد نزلوا بشاقتهم لسعد عن مقام الزعامة العامة في الامة الى أدنى ما كانوا عليه قبلها فان كانوا تركوا سعدا لحفظ كرامتهم الشخصية التي تقلو عنه أنه لم يكن يعطيها حقها. ولأننا نريد المصلحة العامة التي قالوا أنهم رأوها باستبداده فبر أهل لها - فقد كانت خسارتهم الشخصية بهذا الترك أعظم، وصاروا عن القيام بخدمة المصلحة العامة أهجن - فهذا هو وجه تخطئي لاجتهادهم حتى على تقدير تسليم جميع أقوالهم، وانما اكتب هذا لاجل التذكير وبيان وجه العبارة لمن يعتبر من

فقلنا: أمنا بما كان من اغلاط الزعماء والماء بالمصلحة العامة فيما نستقبله من حياتنا
السياسة التي لا تزال فيها اطفالا بالثقة الى الامم التي طال عيودهم بالتمرس بأعمالها
والجهاد في مبادئها.
يخولون ان العمل معه صار متعذرا، فان لم تقل ان المتبادر انه صلب خصله لا يجد
المشاقة اذ كان يديرها قبلنا: قلنا ان الاخلاص في العمل الامة والحوص على وحدتها
لا يمكن ان يكون بغير جهل شاق وصبر واحتمال وايقار، وقد قيل في المثل: ان يصح
ملك الهوى ارشدت للحيل، فلي هذا لم يكن من المنفذ ان يضع بعضهم
بعضا بانامصر والتظاهر على الرئيس - وهم معه - فيما يرونه منه خلا بكرة
بعضهم أو الاستعداد بالامر دونهم، كما تظاهروا عليه في الانتفاذ الصريح في الجرائد
والخروج من الوفاء، فان كانوا توهموا انه كان الممكن اسقاطه ولتبدل فيه به
قبل مجيئه من أوربة وما قالته به جميع طبقات الامة من أدنى البلاد الى أعلاها
من الحفاوة والتلو قدي كاد يكون من العبادة، فوقع هذا التوم بعد ذلك كله
من أغرب الخطأ ولاسيما من هؤلاء الاذكاء الماء بأخلاق الامم وسن الاجتماع
لقد كان زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذين شبهناهم بهم في أول القتل أهدى
سبيلا منهم في المحافظة على زعامتهم ونفوذ جماعتهم في الدولة والامة، فقد كان ينكر
بعضهم على بعض فيما ظنوا في الانكار، ولكن لم يكن ذلك ليمسدى اندبتهم سولا
ليفرق جماعتهم، وبذلك كان لهم الفوز على جميع الاحزاب المناوئة لهم على قوتها،
والوقد المصري لم يكن له في الامة خصوم يتدبهم ويخشى عليه منهم، حتى كلوا
هم الذين شقوا عصام بأيديهم، وسنجد ألوقا من الماذلين لنا على هذه الطريقة -
ولا تناسى الى منصب القضاء فتقول هذه الرأفة - الرأفة في الحكم عليهم، أولئك
الذين يتوهمون بأنهم قد صدروا بذلك لخدمة أنفسهم، وما نحن لهذه التهمة بشاكرين،
لانا نكتب لوعظ والارشاد، لا لنحيز الى الزعماء والتصرف للاحزاب.

مكاة الزعامة في الامة ومكان سمد منها

(١٦) ان اجتماع كلمة السواد الاعظم من الامة على زعيم يمثلها ليس من المهنات
المهينة، ولا من القامد التي تال بسعي الافراد او الجماعات، الا بمساعدة الزمن

بوقائمه وأحداؤه وإشعاره الامة بمعى الزعامة والحاجة اليها ، واهداده لرحيم الكهنة
 والقهوض بها ، وتبيل وحدتها فيها استمدت له وتوجهت اليه ، فاذا وفقت الامة لافقة
 بزعم كفو الزعامة وجب على جميع أهل الرأي والمكانة فيها أن يؤيدوه بالعمل ،
 ويقولوا عنه اذا أمر ، ويقوه وأحوجه اذا زاغ وانحرف ، وأن لا يشترطوا في المحافظة
 على زعابته المصصة ، فإن الكمال المطابق لله وحده ، فبذلك يرجى نفعه ، ويؤمن
 بخبره خطاه وضعفه ، ولا يحل لهم أن يؤاخذوه على ما يتقون منه بخذله ولا بالظلم
 في كفايته لما يعقب ذلك من تنكث قوى الوحدة ، وصنع بناء الزعامة ، ورب
 تنكث يتنذر إبراهيم ، ورب صدع لا يرجى انتقامه ،
 وقد سبق القول بأن زعامة سعد كانت بالكثرة الساحقة من السواد الأعظم ،
 ولم تكن لجهلها سالما من الشذوذ كما كان ينوهم ، لأن إجماع الامة التام هل رجل
 واحد في الظاهر والباطن محال في سنن الاجتماع وأخلاق البشر ، وقد رأينا أن مظاهرات
 الخفاوة بقدم سعد كانت توجب عن الإبهار ما على بعض الوجوه من وجوه اكتئاب ،
 وأن صيحات المنافاة كانت تشغل الأذان عما يتفات من الاسنة من هيئة إنكار ،
 بل كان يتخلل تلك المظاهرات ما يشير الى ما سيكون بعدها من الحملات ، وقد سمعت
 في بعض المظاهرات اعتراضات فلسفية عليها ، وشهدت احتفالا أقامه إمبراطور
 أنغور القديمة صريح في أكبرهما ما أختصره وإن كان من لباب الموضوع .
 وذهبت الى الخطابة في هذا الاحتفال فأبقت لزهدي في الظهور على مثل هذه
 المناظر التي يتزاحم عليها طلاب الشهرة ، ورفقتي عن الكلام في السياسة في محافل
 أكثر شهرة من العامة ، وعجزني عن الاطراء ، الذي يألنه الجمهور في هذا
 الملقام . وكان من الخطباء فيه القمص مرسجيوس خليب قسوس القبط المشهور
 ، فبالله جميع الخطباء والشمراء الذين أخلصوا المدح والاطراء للرئيس سعد باشا بما
 جاء به من للزيج وأشاح القول المتضمن لتوقع الخلاف بين سعد وعدلي ووصف
 سعد بالمداد والصلابة والاشارة الى علاج ما يتوقع فإن رأى أن تقتضي فيه الامة المصرية
 تنجيعة (البغانيكان) عند انتخاب البابا وهي أن الكردنالات الذين لهم حق
 في الانتخاب يهبسون في حجرة يوضع لهم فيها قوت قليل ولا يسمح لهم بالخروج منها

لا بعد الاتفاق على انتخاب أحد المرشحين

ولا سمعت خطابه آذنت الذين كانوا براجموني في اقتراح الفاشي في الحفلة .
 بأنني قبلت فدميت فصعدت المنبر وأقبت خطابا يثبت فيه تحقق تكوين الزمان
 للامة المصرية بالمصنية القومية ، وإن انحاز الكثرة ، إنما يحصل إذا مثلها جهة واحدة .
 وهي ما يسمونه الزعامة والرياسة ، متى تكونت الامة وشعرت بنفسها ، وهذا
 هذا الشعور إلى الزعيم الذي يمثلها ، كما ثبتت الرأس في الجنيذ عند تمام تكوين أعضائه
 وهم ينشأ في الامة من رجال جديرين بالزعامة ولا تعرف الامة قيمتهم ولا بها
 ليست أمة إلا بالصورة الظاهرة كما تسمى صورة الاسد في الورق أو الجدار أسدا .
 وقد كان الاستاذ الامام يقول يا ويح الرجل الذي ليس له أمة ولا يقل أن تؤيد
 أمة راشدة لا يوجد فيها رجل بل رجال حقيقيون بالزعامة فيها . وقد كان الاستاذ
 الامام من الرجال الذين يقل في الامم الراقية أمثالهم ، بل قال فيه الاستاذ الدكتور
 براون من أكبر علماء الانكليز المدرسين في إحدى جامعاتهم الكبير (كبرديج) :
 انني لم أرى الشرقي ولا في الغرب مثله . ولم تكن الامة قد تكونت في عهده فكنا نعرف
 به - كنه قيمته ، وتعمل بلوشاده وزعامته ، وهذا تليذه الزعيم الكبير الذي تحفل به
 اليوم قد كان أهلا لهذه الزعامة منذ سنين كثيرة ولم تكن الامة تعرف فيه ذلك على
 شهرته ، لأننا لم تكن تعرف نفسها تعرف زعيمها . ثم ذكرت من صفات سعدا اقتضاء
 المقام ، وهو في معنى ما تقدم في موضعه من هذا المقال ،

وهنا تطلقت في الإشارة إلى الرد على ما وماه به القمص سرجيوس من السناد
 والتمصب لرأيه ، وقلت ان الذي نهده منه بالاختيار الاستقلال في الرأي واحترام
 الحقيقة والاعتراف بها اذا ظهرت له ، وطالما شهدنا له في دلوه محاولات في مساعي عليه
 واجتهاده كان ينصف فيها مناظريه ومحاوريه بكل ارتياح ، ويمتدح بصحة وأهم
 اذا ظهر له انه الصواب ، وربما كنا منهم أو معهم في بعض الاحيان

واستطردت في الخطاب إلى الرد على من ينكرون فائدة هذه الاستقلالات
 والمظاهرات بأنها هي الذريعة الوحيدة إلى جعل عقيدة الاستقلال شعورا عاما شاعرا
 لقلوب جميع أفراد الامة من جميع طبقاتها في زمن قصير ، وإلى تربية أبنائها

ونابتها عليها ، فان هناك الالوف الكثيرة من الرجال والنساء والاطفال في المهام والتمارين واليوت للاستقلال التام وأمر الحرية وإزعمها المطالب باستقلالها وحريتها والوفد الساهل معه قد علم جميع الاميين من الطبقات الدنيا وأشرهم بما لم يكن يعلمه ويشعر به إلا أهل التعليم العالي والتربية الاجتماعية السياسية .

انما وانتقلت من هذا الى بحث قلت انه أشبه بالدرس منه بالخطابة وهو ما يجب على الأمة من العمل للمحافظة على دهر وحدتها وتكاملها في سبيل المطالبة باستقلالها وما يجب لحفظ الاستقلال والنهوض بأعبائه اذا ناله وأهم ذلك وأعلام ما يسمى بالسياسة الاقتصادية وحفظ ثروة الأمة ، وليس هذا من موضوع مقالنا هذا فنلخص فيه ما قلناه في ذلك الخطاب وطالما كررناه في المنابر وفي بعض المقالات التي نشرناها في المؤيد وللمبرية ومن أشهر هذه المقالات ما عنوانه (الى أي شيء أتت يا مصر أحوج)

وجملة القول إن مكانة الزعيم الذي يمثل وحدة الأمة في أول العهد بتكوينها السياسي ودخولها في ميدان الجهاد القومي للحرية والاستقلال لها شأن عظيم في جوامعها فيجب ان يحرص على تقويتها لئلا ينهدع بناء الوحدة في أشد أوقاب الحاجة اليه ولا يخفى على أهل البصيرة ان تقويم هوج في الزعيم المؤثر به من السواد الاعظم ايسر من استقامه واستبدال غيره به ، وان تأييد الوحدة به على ضعف وهوج فيه ، خير من شق عصاها بخذله والتفرق عنه .

فان استطاع خصوم سعد استقامته من مكانته ، باقناع الإذاعة بخدم كفاية تور فن ذال الذي يستطعم اقباحها بكفاية زعيم آخر من بعده ، اذا فرضنا انه يوجد فيها كثير من مثله * ومثل كثير في الانام قليل * دون ذا الذي يستطيع في كل وقت ان يحدث ما احداثا كلاحداث التي مهدت السبيل لزهامة سعد ؟ كفلة رقاء الشعوب وحراسها ، ورعاة الامم وسواسها ، وقطاع طرق الاستقلال والحرية عليها ، تلك الغفلة التي اوقعت انكسارها فيها سكرة الحرب أولا ونشوة الظفر آخرها فركلنا من أثر السكرتين في رجالها ، مصر ما وقعوا فيه من الاغلاط الاجتماعية والسياسية التي جمعت كلمة الشعب مع حكومته أول مرة في تاريخ الاحتلال . وقد أشرنا في هذا المقال الى ما كان من فائدة ذلك في تكوين الوحدة المصرية وجمع الكلمة على مصدق

موزانة شمسي، وقد تم ذلك وكل في وزارة عدلي التي هي وزارة رشدي حينها في وقت آخر وتزعم آخره، إذ لا هذه الوزارة لما يمكن للشعب أن يحتفل بهودة سعد إلى البلاد تلك الاحتفالات العامة التي لم يسبق لها نظير - ولكن وأما بقائه قد صدق في هذا المقام قول الشاعر الخاتم في: بيا قصه - على أهدرنا التمام وما تلاء من النقص انما، كما في طور واحد من أطوار حياة هذا الشعب الاجتماعية وفي فصل من فصوله تاريخه ونفسه بأن ينده به مرة ثانية إن بلدغ من حجر سمرين، وخبره فتميل بالفرق من قلبه قوسين

جهاد سعد الأخير

والأخير، علم سعد بأنها بما كل من التجربة الأخيرة والاختيار أن الأمة التي اجتمعت كلها على طلب الحرية والاستقلال وحملت لسانها الناطق، وقاسها الظن ولم يمكنها إعلان رأها وإظهار شعورها، إلا بموافقة الحكومة الوطنية لواءها وتأييدها للحكام في أنفسهم هذا الشعب وما ورثه من عله من الخبز لم يند التاريخ بتقديم لا يزال كله قد أبل نهضة قوية جديدة، وإن وافق أصول شرعها الإلهي (وأمرم شوري بينهم) وأصول الحقوق العمرية التي يسمونها الديمقراطية الحديثة، والله لم يقدر هذا يقدر، كما ينبغي الإيجاد الجواهر الأخيرة، إذ لم يكن يحظر يال أحد أن يحد عنه نفوذ الوزارة الأولى الكثيرة، حتى من أولئك الذين أقاموا لكبر الحافل، وانتهى، لا أدب، وأن يشاءهم على ذلك أكبر الجرائد، فلماذا وجه كل عنايته إلى تقوية روح شخصية الأمة والفكرة الديمقراطية فيها بمحلاته الشديدة على الوزارة البديلة في خبله البليغة، وبلاغاته واحتجاجاته المختلفة على سلوكها فيما شاء، اقتضاب الثقة من الأمة.

فجور يمثل للأمة جزارة عدلي باشا منقطة مع الدولة البريطانية على جعل سلطانها (أي حكمها وسلطانها) على مصر شرعيا بتقديم مصادرة على أصول مشروع ملتر الذي رفضه هو الية يلقى فيها لفظ إيجابية ويقرر منها بصفة شرعية، بعد أن كان هدوانا تبطله الحقوق الإسلامية والقوانين الدولية، وتوشى فيها البلاد بضرب من الاستقلال في الإدارة بتعذر تنفيذه لما وضع في سبيله من الوثائق والعقوبات البكاداء، على

أنه عرضة للانكسار ، أو الاسترداد ، مادامت قوة الاخلال العسكرية راسخة لاقدام في البلاد ، وأفاهك بما أنشأوا فيهم من ميادين الطيران الحربية والتجارية ، لجعلها ملتقى جميع قوى الامبراطورية البريطانية

وأقول إن من أقرى حججه له على ان الانكسار يريدون خداع مصر وارضاءها باستقلال صوري ، حطاً منه دون حفظ سائر مستعمراتها المستقلة تمطبيهم لشأن حادثة الاسكندرية التي يمكن حدوث مثلها في كل بلد من البلاد يوجد فيه اجناس مختلفون او احدائه يذل قليل من المال ، فقد هيجوا جاليات الاجانب والدول الأوروبية بها على المصريين وخوفهم منهم على ارواحهم وأموالهم ، اذ لم تكن الجيوش البريطانية بمدافعها وطياراتها حامية لهم ، وانفذتها بوقائهم وجرائدكم ايها حجة بالغة على ان المصريين غير أهل للاستقلال بالادارة والحكم

حادثة الاسكندرية ، وما ادراك ما حادثة الاسكندرية ، هي الحادثة النافذة التي عظم شأنها خلافة الاستعمار بكيدهم وهبهم بالام والدول ، ولهم بها كتاب الصبيان بالكرة ، حتى جعلوها من أعظم حوادث الكون التي يقضي الملل بأن تكون القاضية على حرية الأمة المصرية بأسرها — وهي ان بعض السوق والموازم مرورا في مظاهرة وطنية بعض بيوت الروم (اليونانيين) وكانوا يهتفون لمصطفى باشا كمال بساطنة الوجدان الديني الذي لا يدع هددا من جريدة اسلامية في تونس خاليا من الاشارة بذكره ، والتعظيم لأمراءه ، فأطلق عليهم الرصاص بعض اليونانيين فأصاب بعضهم وجرح ذلك الى تشاجر بين الوطنيين واليونانيين ومن يشبه بهم من الثوريين قتل به أفراد من الثوريين وجرح آخرون والمصابون من الوطنيين أكثر ، وقد استنكر ذلك واطهر الاسف لوقوعه جميع المصريين من جميع البلاد في جميع الجرائد ، واصدر الزعيم الاكبر سعد باشا زغلول وصية للامة بأن تبالغ في محاملة الاجانب وحسن معاملتهم ولا تمتد ي عليهم وأن هم اعتدوا عليها

لكن السياسة التي تستعمل كل منكر في سبيل مظالمها جعلت هذه الحادثة برحانا قاطعا على بعض جميع المصريين الذين استنكروها وقبحوها لجميع الاجانب وتصبرهم عليهم وتر بصومهم الدوائر لم تكنوا هم ، ولو كان المصريون متصينين

الاجانب وواقين لهم ، اظهر اثر ذلك في كل بلد فيه اجانب ليس لهم من القوة
 حشر ما للاجانب في الاسكندرية التي تكاد تكون بلدا اجنبية ولا سيما في اثناء
 ثورة سنة ١٩١٩. هل الانكباب افسدهم ، والمجور على رشاشهم ومدافعهم ، وقد
 كانت السلطة في سكر من البلاد امانة الامة في تلك الاثناء لا للحكومة الوطنية ولا
 للمحتلين — ولو كان المصريون كذلك لما نال اليونان في بلادهم هذه العروة الواسعة
 التي ليس لهم مثيلها في بلادهم وقد كانوا قبل الاحتلال مع سائر الاجانب اعظم
 كسبا واقرى نفوذا ، ولو كان المصريون كما ذكر لامكنهم ان يملأوا من النكابة
 باليونان بمقاطعة تجارتهم وزراعتهم مالا يملئه الاعتداء على اشخاصهم.

٢. تحقق لكل مصري ان بعد سلوك الانكباب في تكبير هذه الحادثة دليلا على
 نيتهم فيهم ، وهم يعلمون انه اذا كانت الاستقلال يتوقف في وجوده أو بقائه على
 استعانة وتوقع مثل هذه الحادثة فلامطمع لان هذا مما يمكن حدوثه واحداثه في كل آن.
 ومن غرائب ما أتت هؤلاء البارعين في تصوير الحوادث بغير صورها والاستفادة
 منها في كل زمن بحسبه ان حادثة الاسكندرية كانت في الزمن الذي تروي لينا
 بزيقات انكسرة وجرائدها أنباء الارلنديين (السين فين) اخدان المصريين في
 رفض العبودية البريطانية في تدبيرهم للمباني التجارية وغيرها وفتحها لهم لمن استطاعوا
 اغتباله من السالين لحريةهم ، ولم نسمع ان أحدا منهم احتج بهذه الافاعيل الضعيفة بمثل
 ما احتجوا على المصريين في حادثة تمد بالنسبة الباهظة له ويكثر وقوع مثلها في كل امة ،
 ولكن هل من هذا التحويل في الحادثة تشير من عقلاء اليونان وغيرهم من فضلاء لاوردوين
 وشهدوا حقاً بقبول المصريين واكرامهم للاجانب وحسن معاشرتهم لهم ، ولو سكت
 هؤلاء أو جروا في أباطيل تيار السياسة الكاذبة لفرسوا في قلوب المصريين وسائر
 الشرقيين من بعض الاوروبيين وسوء الاعتقاد فيهم مالا يمكن ان يتلاقى مستقبله
 الاحتلال العسكري لبلاد بل لايزيده الا اشتعلاء وهل يوجد بشر يحب الانسانية
 يوف هذا ويرضاه .

وجهة القول ان جهاد سعد باشا موجه لآل نفوية الامة واحداها الراد ما يتوقع
 من تقيد وفرة الحكومة البلاد به بضمها الى الامبراطورية البريطانية بأي اسم من

الامانة وأي شكل من أشكال الحكم الذاتي بحيث يكون الاتفاق الجديد بين
الحكومتين إن نفذت ظاهرا من مظاهر القوة لاشية فيه من الحق وتستمر الامة على
شبهادته حتى تنال حريتها تامة كاملة باذن الله وقوتنا التي لا تموتها قوة ورحمة التي
لا تضيق حقبا الا على من فرط في حقه وترك الجهاد في سبيله فكان هو المضمين له
فتمخالتة لسنن الله في العمران.

لهذا الذي شرعناه كنا نقجب جدا العجب من طلب سعد رئاسة الوفد الرسمي
وقول المناوضة لاننا نعتقد أنه لا يخفى عليه ان الدولة البريطانية يستعمل ان تسمع
بحرية مصر واستقلالها التام مجرد المناوضة السياسية وتقول في نفسنا لم يريد ان يمرض
نفسه لا فشل واذا كان لا يرضى بحمل الحاية شرعية باسم آخر ؟ أم يظن ان الاتفاق
على جولية أمر المناوضة كان في جمل ذلك الحال السياسي يمكننا او اقاما ولا اعترض بعض
الكتاب تأييد بك الرافعي هل دخوله في المناوضة الرسمية كنا محبطين لرأي اذ كان
عين رأينا الى ان صادرة قال زعيم الامة لان الزعامة الماثلة لا وحدة فوق كل شيء في
هذا المقام . ولم نجد مخرجا من هذا العجب والحيرة الا بما جاءتنا به الجرائد
الا انكليزية من التصريح برضى سعد لمشروع ما تربرمته وعدم الرجاء بعقد اتفاق
معه تبرضى بريطانيا العظمى به فظاهر لنا من ذلك انه كان يخفي في نفسه شيئا وسم
رائحة وه دائرة الجدل ومجل الشقاق لان اظهارة يفسد البطلة التي كان يرى انه
لا بد منها وهي في أي الخطاة — اما حمل الحكومة بقوة وحدة الامة على تقويمه
نفسها بالمرسوم السلطاني الذي طلبه حتى تكون الحكومة والامة كامة واحدة لا يخشى
من يفرق الدماء الانكليزي لينا لمراده من جمل مركزه في مصر شرعا — واما جمل
الحكومة عاجزة عن عقد اتفاق مع الدولة البريطانية لارضاء الامة ويكون حجة عليها
ولو تحقق الشق الاول من خطته لكانت الامة المصرية وحكومتها وسلطانها كلفة واحدة
كامة واحدة ، واذ لم يتم فأييد الوفد الرسمي والوزارة بحبط الشق الثاني — فتمت
معارضتها . ولم يكن التصريح بذلك لاهضاء الوفد المتقين مع هدلي باشي من قبل
محكما كالم سبق من التفصيل ، بل لم يكن من الممكن أيضا ان يصرخ بجدل الامة
مقرب من ذلك ان الدولة البريطانية تريد منا كذا وكذا وترى انها لن نجهد اليه سبيلا

الاجرة حكومة وطنية تصدع بناء الوحدة التي هي قوتنا في اظهار حقنا امام قواها الكثيرة التي تعتمد عليها في سلب هذا الحق منا لان هذا التصريح ينافي الحطة التي استنبطناها على كونه غير معقول — فان مناه دعوة الحكومة جبرا من أهلها الى أدناها الى مقاومة الدولة البريطانية ، وهو تصريح لا يأتي من عاقل

النتيجة

(١٨) هذا ما ظهر لنا من سياسة سعد باشا وخطته بعد التزوي والتجميع ، ولعل هذا قد خفي على الافوف من الناس بضرور الجدول والمطاحن ، واكثر من أيد وفد الوزارة الرسمي انما أيدوه في طلب الاستقلال التام المطلق لمصر والسودان القوي هو جزء من المملكة المصرية لا يشيل الانفصال وكثير منهم يعتقدون أن مطلب سعد وعدلي واحد وان هدلي اذا لم يوفق الى هذا المطلب فانه يقطع المناقضة ويعود بالوفد الرسمي أدراجه خلافا لما يعتقد السعديون كافة . فلاحتمالات في نتيجة سمي الوفد الرسمي ثلاثة أو أربعة لكل منها عاقبة

الاحتمال الاول — هند الاتفاق مع الحكومة البريطانية على اعترافها باستقلال مصر مع السودان استقلالا دوليا تاما . مطلقا من كل قيد ينافيه مع محاذية بين الدولتين أساسها مبادلة المنافع كآثر المحادثات الدولية ، فان وفق الوفد لهذا فان الامة تتقاه بالقبول والثناء وتكرمه يمثل ما كومت به سعد باشا بل أعظم ويكون ذلك اجماها صحيحا من الامة — وان فرض أن شذ سعد باشا عنها في ذلك وغلى صارضا لهدلي باشا فانها تنبذ مظهرها ونحكم عليه بأنه يعمل لنفسه لا لها

في ادارها بالحيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
الاحتمال الثاني — أن يأس هدلي باشا من الاستقلال التام للميين في الاحمال الاول او ما يقرب منه فيقطع المناقضة ويعود بالوفد أدراجه — وعاقبة هذا انه يعود وحدة الامة الى خبر مما كانت عليه وتتناف الجهاد السياسي في سبيل حريتها ، ويتفق سعد وهدلي ورشدي ثانية في ذلك ويكون الرجاء في النجاح ضلعا ، فان يد الله على الجماعة كما صح في الحديث ويد الله لاتنل . وقد رأيت من المحسنين لظن في هؤلاء الكبراء كلهم من كان يعتقد ان الخلاف بينهم صوري وتواطوا

عليه لأجل المساعدة ، ويتوقع كثير من العارفين بأسلاك عدلي باشا وطنيته ان
يقطع الله ردة بل يرجعون ذلك على نجاحه فيها
الاحتمال الثالث - ان يصح رأي سعد ويعقد الوفد الرسمي الاتفاق الذي
يقيد مصر وينقلها في ذلك الامبراطورية البريطانية باسم من الامراء المعروفة
والمتبرعة . وعاقبة هذا ان تتحول قلوب أكثر الذين كانوا يحسنون الظن بعدلي
أورشدي عشقاً وبكبر حزب سعد بل تكون الامة كلها معه الا من لا ذكر من طلاب
الوظائف والرفع من الحكومة ولكن لا يعلم أحد الا الله ما يترتب على اصطدام
قوة الامة وقوة الحكومة المؤبدة بقوة الاحتلال اذا حاولت الوزارة تأييد الاتفاق
بالقوة ، ولا يظن أحد يعرف قيمة عدلي ورشدي بأنهما يفعلان ذلك ولكن قد
يتملأ في حال الاحتمال الرابع المذهب بين هذا وبين الاول وهو : -
بعضهم (الاحتمال الرابع) ان يعقد الاتفاق على اعتراف انكلترا باستقلال سياسي
ذولي تام لمصر في داخليتها وخارجيتها وحقوق في السودان لاتتبع مصر في الادارة
وارتباط بالامبراطورية عمادة لا يعرض مصر للخطر في سلم ولا حرب . وأعظم
المخاطر ان مصر بأن تجعل قواها ومواصلاتها تحت تصرف الجيش البريطاني وهو ما
سبق المعلن جميع الجرائد الى يانه . ففي مثل هذه الحالة نجد الوزارة من الانصار ما تقام
به السواد الاعظم الذي يقوده سعد باشا ونسأل الله حسن العاقبة واتخاذ هذه البلاد
من كل مخافة انه منبع حجب ؟

السياسة ورجال الدين في مصر

يعلم رجال الاستثمار ما لا يعلم رجال الدين في البلاد المستعمرة بالفعل ، او بالقوة
من سلطان الدين على الارواح ، وأثيره في الارادة الباطنة على الاعمال ، فهم
يشعرون أدنى العناية في كل شعب يظله سلطانهم بازهاق روح دين الشعب الذي
على خير دينهم ، أو نحو ذلك من مذهبهم اذا كان مخالفاً لمذهبهم ويشعرون فيه دعاة
مذهبهم الديني ويؤيدونهم بما لديهم من حول وقوة ، ومن مناهضتهم لدين الشعب
واعتاد رجاله عن افعال الحكومة ومناصبها ونحوه يجل أصحاب الوانف الشريعة

الشرع وينفرا عن الدين، وأما رجل زكي، يميل للإصلاح، يشغلونه بتوطيد ورائعها ورجاء الترقى فيها عن عمل حر لا يهل مراقبته فيه رسده عنه - ولا يقبلون مثل هذا إذا كان لهم مندوحة عنه - وأما رجل مشهور بصلاح أو علم، وليكنه فقير جبان، حريص على رزقه، فيستفيدون من شهرته عند الحاجة .

كذلك يحولون بين المستمسكين بعروة الدين والنفرة عليه وبين الترقى في مناصب الحكومة إذا انتظموا في سلوكها بمقتضى نظام البلاد من حيث يكون أمر مناهضة التحليم الديني ومراقبة المتدينين من عمال الحكومة ولا سيما عمال وزارة المعارف إلى أهل الدين المتحصين له منهم . ولا يثقون إلا بمن يظهر لهم عدم المبالاة بدينه وديارهم فيما يعلم من مقاصدهم ونياتهم في ذلك .

ومن الشواهد على ذلك أن مشر دنلوب الذي جعلوه مسيطرا على وزارة المعارف في معزلة عهد الاحتلال هو قسيس من رجال المذهب البروتستانتي، ويحلى بطعم عالم من الأزهر بأن يكون وزيرا بجانبه ورئيس إدارة أو قلم تحت سيطرته، وإلا ومن الشواهد الجلية أيضا من مجلة المنار من السودان ومصادرة نسخها التي أرسلت مجلة وأحرقها بالنار وذلك قبل الحرب التي أوجدت في زمانها المراقبة على الضعيف في كل مكان، وقد علمنا من الثقات الذين كانوا في السودان أن المنع كان اجابة لرغبة بعض المبشرين، وقد شكونا الأمر إلى السرة ونجحت بأشأنا إذ كان الحاكم العام للسودان فاشكنا وهو المددود من أوسع الانكباب صدرا وأبلغهم هويكة واكثرهم مداراة واستمالة للناس .

واكبر الشواهد عندنا على ذلك ما نقلت من قلم لورد كرومر في كتابه (عاشق الثاني) وهو هو الواسع الصدر الذي ضمن الحرية الشخصية في طول مدته خمائنا تماما كان من أكبر أسباب شدة الانكباب المستنة في الشرق كله، نقلت من قلبه في هذا الكتاب ما شاف عما كان منملوا عليه من التعصب الديني الذي كان يفضيه بالرياء الغربي الذي يوصف به البريطانيون واظهر للناس ان من أسول سياستهم ظلم كل مسلم تربيته اسلامية وتخلق باخلاق الاسلام بابعاده عن مناصب الحكم في بلاده وحجبه هذه التعصب في التفرجين بالقرية الأوروبية الذين راعاهم اللورد

فلس في كتابه (مصر الحديثة) بأفصح التعوت ونبرم بشر الاقارب. وهالك نصبره
منه في ذلك

كل القرد في أواخر الفصل الرابع من كتابه هذا بمثابة الكلام على استقالة
وزارة رياض باشا الأخيرة ما ترجمته : « ان فشل تجربة رياض باشا تقني درسا هو
ان لا قاعدة من محاولة قيادة الرأي العام الاسلامي في مصر بواسطة رجل مثل رياض
باشا . هل ان التجربة كانت في غير محلها فلو انها نجحت لكانت الحالة السياسية
تغيرت تغيرا حسنا لانا لود الحظ فشلت فشلا تاما

فولوا عبرت مرة ثانية تكون نتيجتها فشلا ثانيا فان من الواضح ان المسلم غير
المتخلق بأخلاق الادويين لا يقوى على حكم مصر في هذه الايام لذلك سيكون
المستقبل الوزاري للمصريين المترين تربية اوردية . فهذا قوله في رياض باشا الذي
لم يول الوزارة في هذا العصر رجل مثله في عدله وحسن ادارته واخلاصه وقد اتى
عليه لورد كرومر في خطبته الشهيرة (بالاديرة الخديوية) وفي احوال أخرى بما لم
يشن على غيره ؛ ولكن ذنبه هذه انه كان يراعي الشعور الاسلامي ويحافظ على لم
كرامة الاسلام

وقد اعتذرت مجلة المتعاف من تصريح اللورد في كتابه هذا بمثل هذا الكلام
— ولم تذكره — بأنه كتب كتابه هذا قومه ولم يخطر بباله عند كتابته انه سينشر
في مصر وغيرها من بلاد الشرق

وهذه السياسة قد لقتها الميطرون البريطانيون للدولتين المصريتين بالمصل
فصار يعرفها كل أحد ، وكان من تأثير ذلك مالا محل لشرحه هنا ، وانما فرضنا
ان تثبت ان المسلمين حقيقة وهم المؤمنون بقائد الاسلام المتخلقون بأخلاقه المحافظون
على شعائره وعباداته الحريصون على مجده وكرامته لم يكن لهم حظ كبير من حكومة
بلادهم ولا سجا اذا تروا في المهاد الدينية كالازهر والتزموا زعي علماء المسلمين
وخرضي من بيان هذه الحقيقة ان اذكر الناقل منها بأنها اقوى أسباب بد
علم الازهر في عهد الاحتلال عن الاشتغال بالمصالح العامة وسياسة البلاد ، وكان
الانكليز يظنون انهم امنوا هذا من القيام بعمرة قوية للمطالبة بحقوقهم من الحكم في

بلا دم بدلا من الاجانب الذين افتاتوا عليهم فيها وحلوا محلهم في كل فروع اعمال حكومة بلا دم ومصالحها . وان من أكبر أسباب كراهة الانكليز لسعد باشا زغلول كونه جاور في الازهر في حداثته عدة سنين ولكنهم لم يظفروا بطائل من نيزه بقلب التعصب الديني على حسب عادتهم « رمسي بداشا وانسلت » لانه قد اشتهر بالقاسل الديني بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذي ادخل نطم الدين المسيحي في مدارس الحكومة في عهد وزارته للمعارف فجاء بمعدل لانظير له في حكومة من حكومات أوربة نفسها دع غيرها ، والتبط يرفعون ظاهره وباطنه ويستفدون انه اذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق به في حكومتها المستقلة فان حظهم منها حينئذ لم يبالوا في عهد الاحتلال

وقد كان الإنكليز آمنين من انقلاب سياسي في البلاد بسمي الذين يتربون على الطريقة الافرنجية ولا سيما الانكليزية لاعتقادهم ان هؤلاء لا يهتمون غير امواتهم وشهواتهم الشخصية فبدا لهم مالم يكونوا يحسبون وجاءت النهضة الحديثة من قبل الشبان الذين نشؤوا في المدارس الاوروية الترية سواء كانت بمصر او اوروية وانتقلت من هؤلاء الى الازهرين وغيرهم من شبان المعاهد الدينية ، فكان هؤلاء الشبان وقليل من الشيوخ تأثير يذكروني نهضة سنة ١٩١٩ ولما سكنت الحركة وكان من الضغط على كثير من رجالها وشبانها في عهد وزارة توفيق باشا نسيم ما كان وضع للازهرين وصائر طلاب المعاهد الدينية نظام خاص حظر على أهلها ان يشتغلوا بالسياسة وفرض هل المشتغل بها منهم عقاب ليس هذا محل بيانه

ولما تنفس الزمان لمصر في هذا العام وصمحت السياسة بما سمحت به من المظاهرات لوزارة المدلية ثم لسعد باشا زغلول هل أمل اتفاهمها في الدمل كان علماء الازهر ظهور لم يكن لهم من قبل

قد ظهر في ميدان الوطنية السياسية الشيخ محمد نجيت الذي كان بن أقوى أنصار الاحتلال في عهد إعلان الحماية الانكليزية على البلاد وقد ولي منصب ائمة الديار المصرية فخدم السلطة المحتلة به أي خدمة فبرأيه ورأي شيخ الازهر في ذلك المهد جذفوا اسم السلطان الثاني من خطبة الجمعة مع اعتراف البلاد له بمنصب

الخلافة ولم نجد بريطانيا في أميراطوريتها الهندية من رجال الدين كذبن الشيعين
تستعين بهما على حذف اسم الخليفة من الخطبة — وهما اللذان أكرها عليا الأزمري
على إعانة الصليب الأحمر

واشرف المفتي الشيخ نجيب بامدار تلك الفتوى الطويلة البريضة في تقييد
البشفة والتنكير منها حسب اقتراف السلطة المحتلة، وقد صبت جريرة التيمس
الإنكليزية الى خبايا العالم بالفتوى البخيفة وعروضها قبل صدورها عدة طويلة.
ولذلك قامت عليه قيادة الجرائد الوطنية ورد عليها الأزمريون وغيرهم
ولا اشترك الأزمريون بالحركة الوطنية عند قيام الوفد بها كان الشيخ نجيب
حربا لهم حتى قبل انهم هدروه واستطوه في مظاهراتهم وطعنوا فيه بخطبهم وإسهموه
ما يكره في نفس الأزمري في أثناء تشييع جنازة الأستاذ الشيخ إبراهيم القباياني
رحمه الله تعالى

وأما في هذه السكرة فقد اتفق مع الشيخ عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق
الصوفية على الاحتفال بسعد باشا في دار الثاني الواسعة وانضم اليها كثير من
الشيخ المدرسين في الأزهر فكانوا من أرفع أنصار سعد باشا صوتا
ولما اشتد الخلاف بين سعد ووفده والوزارة المدلية مال الشيخ نجيب بأعوانه
من الشيوخ الى تأييد الوزارة مع حفظ خط الرجعة مع سعد أو الصلح به وسعد يرى
تأييد الوزارة متعيا القطيعة له وللوفد بل للامة فن أيدها لا يمتي له حبل ولا خيط
يصله به ، فن تم عد الشيخ خصما وهدم ما بناه في هذه المدية القصيرة من المنزلة
الوطنية وكثر طعن السديين فيه من حيث صار المدليون يكرهون مقامه ويلقبونه
مع أنصاره من الشيوخ بأئمة الدين الذين يجب تقليدهم في السياسة كما يقلدون في الدين.
ولكن زعيم هؤلاء الأئمة أو إمامهم لم يلبث ان جرى على نفسه جناية أدوية
تؤثر في صيت مثله ومقامه ما لا تؤثر الجنايات القانونية، ذلك بأن الشيخ نجيب
افترض تألم الامة المصرية على اختلاف أحزابها من نهب بعض الأقربح لها بلقب
التعصب الديني من جراء ماسمي حادثة الاسكندرية اذ زعموا ان بعض المصريين
للإجانب بسبب مخالفتهم لهم في دينهم هو الذي حملهم على الاعتداء عليهم —

أقرض ذلك بأشهر مائة بلغة في فلسفة التعصب اعتقد ان سيكون لها أكبر وقع في قلوب جميع أحزاب الامة وطبقاتها لما فيها من المعتقدات المتجلية في أبهى مرض من البلاغة والوضوح بجمعها بين الجزالة وعلو الأسلوب والسهولة التي تتناولها افهام العامة . فهي تشرح معنى التعصب وتبين كنهه وأسبابه ودواعيه وكونه من سنن الاجتماع والعمران — ولو كان مناطه الجنس والنسب أو الامة أو الوطن أو الدين ، وأنه كثيره من التوائز والملاكات الانسانية له حد اعتدال يكون نافعا للامم والشعوب بالتزامه والوقوف عند حده ، وطرفا أفرط وتفرط يمرض الضرر للامة بتجاوز حد الاعتدال الى أي منها ، فلا اعتدال في التعصب أن يكون تعاون الجماعة أو الامة الذين فهمهم رابطة على ما يحفظون به حقوقهم ومصالحهم ويرفقون به شأنهم في العلم والأعمال التي يرتقي بها البشر وتتنافس فيها الامم — من غير تقصير فيما ينبغي لذلك بحول دون الناية وهو التفرط ولا إسراف يحمل على ظلم الخارج من هذه الرابطة والاعتداء عليه لانه يخالف وهو الافراط

وكل من تجلت له هذه الحقيقة من رآة الشعب المصري يحزم بأنه لا يزال أقرب الى التفرط فيما ينبغي له من حفظ جامسته القومية والوطنية واعلاء شأنها بمساماة الشعوب العزيزة منه الى الافراط الحامل على الدون على المحتفين وهضم حقوقهم كما يفعل جميع المستعمرين من الافرنج — فنشر المقالة في هذا الوقت كان عملا نافعا من وضع الشيء في محله في الوقت المناسب له

ولكن المقالة ليست من انشاء الشيخ محمد نجيت الناصر لما في الاهرام ولا هو بالذي يقدر على كتابة مثلهما في أسلوبهما ولا تجرير الحقيقة التي شرحت فيها ، بل هي من مقالات الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الشهيرة التي نشرت في جريدة (العمرة الوقفية) التي أنشأها هو واستاذة . وقطع الشرق وحكم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني (قدس الله روحهما) في باريس عقب الاحتلال الانكليزي لمصر لمقاومة الاحتلال ودعوة المسلمين الى الاتحاد ، وكان السيد هو المدير الياسي والاستاذ هو المحرر الاول لها . وقد نشرنا هذه المقالة في المار من زمان عشرين سنة معزوة الى الاستاذ الامام ثم نشرتها جريدة الموحيد قلا من المار . ثم نشرناها في الجزء الثاني

من تاريخ الاستاذ الامام الحاروي لاشهر منشأته من مقالات ومكتوبات . ثم طبعت
أعد اد العروة الوثقى برمتها في بيروت ونسخها تباع في مصر ، وبلغنا ان بعض الشبان
بمخطوطاتها من ظهر قلب ، ولا غرو فالمقالات الاجنبية في العروة الوثقى من
المحفوظات التي يستعان بها على طبع ملكات الانشاء العالي في النفس ، كما انها من
أفضل ما يوقظ الافكار ، ويثبت فيها روح العظة والاعتبار ، وينبهها لما يساور
هذه الامة من النوائيل والاعطال ، مع بيان عللها وأسبابها ، وطرق معالجتها والتفصي
منها ، وقد كان تحمل الشيخ بحجة لهذه المقالة منها على ما ذكرنا من شهرتها أجرب
ما ينتقد عليه ، ويسدد سهام الاوم والتثريب اليه

نشرت المقالة في الاهرام ، فلم تلبث ان كانت الشغل الشاغل للالسة والاقلام ،
وانبرت الجرائد اليومية لمواخذة الشيخ على هذه السرقة المفضوعة ، وطلعت الجرائد
المزلية تخرع البكت للضحكة المبكية في هجته والزياة عليه . وقد كان مما قرن به
هذا الاتحال من الخذلان ان الشيخ بحجتنا حرف في المقالة بعض الجمل وغيب وقدم
وأخر ، وكان محمد بك ابو شادي الحامي الشهير أشد من انتقده اذ كتب في
جريدة وادي النيل الشهيرة مقالا تهكيا في جمل مواقة مانشره اليوم لما نشر بقلم
الاستاذ الامام منذ أربعين سنة ومن باب توارد الخواطر وقد اودعه القلعة بحروفها ،
مع التنيب الى ما حرف الشيخ بحجتنا منها ، بهمل الحرف مقابلا للاصل في جدولين
متوازيين ، ونشر محروس افندي عبده أخو الاستاذ الامام لايه المقالة في جريدة
الامة متروكة بما يقتضيه المقام من الاستغراب والتقد . وقد حدثنا بعض العلماء الثقات
أن بعض الناس في دمنهور طفق يقرأ المقالة هندوصولها اليه في اليوم الذي نشرتها
فيه جريدة الاهرام فقال له أحد السامعين : على رسلك وأنتي السمع الي لا تتم لك
قراءة ما شرعت فيه فاني أحفظه وأتم قراءة المقالة من حفظه فلم يكن بينه وبين ما في
الاهرام الا تلك الجمل القليلة التي شوه حسناتها التحريف

ولو ان الشيخ بحجتنا نشر هذه المقالة مع مقدمة بين فيها ما أشرفنا اليه آفنا من
كونها أفضل ما يرد به على اتهام المصريين بالتعصب الديني الضار بمجمله على ايذاء
الخصاف في الدين لانه مخالف وعزاها الى صاحبها أو الى العروة الوثقى اذا كان

يقتل على طبعه، يتوبه بفضل الاستاذ الامام باسمه - لسكر خيرا له ولله صلاحه العامة - أما الاول فظاهر وأما الثاني فهو ان لم الناس بصاحب المقالة ذي المكانة العالية المروعة التي يتدافع ارتفاعها في الانفس علما بعد علم يزدهر رغبة في قرائتها وأملها والانتفاع بها ، ولاتك في ان قراءة الناس للمقالة قد زاد بعد ان نشر في الجرائد ما نشر من انكار انتحالها على الشيخ نجيب وعزوها الى الاستاذ الامام . وقد قلت لاستاذ شهير من أهل العلم والادب زارني في اليوم التالي اليوم الذي نشرت فيه المقالة : هل قرأت المقالة التي نشرتها جريدة الاهرام أس للشيخ نجيب ؟ قال رأيتها وقرأت اسطر من اولها ولم أتمها ، ولم اضيع وقتي في قراءة ما يكتب الشيوخ نجيب في التعصب والبحث في تعريفه مثل ما يبحثون في الازهر بتعريفات الفنون . وقد كان مما حفر من المقالة بيان معنى التعصب لغة وعرفا فقدمه الشيخ عن موضعه فجعله في أول المقالة محرقا ، قلت ان هذه المقالة هي مقالة العروة الوثقى الشهيرة التي تعريها - وذكرت له تصرف الشيخ فيها قل اذا أعود فاقراها -

ألا ان فعله الشيخ نجيب هذه من القراءة يمكن وان كان أكثر ما يكتب أمثاله ليس الا تقلا لما كتب من قباهم ، واغرب ما حدثنا به غير واحد من انقات عنه انه قل ان المقالة له ، وانه كان هو والمرحوم الشيخ احمد أبو خنطوه يكتبان المقالات ويرسلانها الى الشيخ محمد عبده في باريس فينشرها والعروة الوثقى غير معزوة اليهما ١١ وهذا نخلص عرض له في المجلس لم ير له مخرجا سواه ، وقد كرم نفسه ان ينشره في الجرائد ولو نشره لسمع من تنقيده وما يحتمل بهذا التنقيد فوق ما منه توقعه من نشره

وان تعجب أيها القارئ لهذا الجواب ، فاسمع ما هو أجدر منه باسم المعجب العجيب ، وهو ان الشيخ نجيبا قل في "الام" من "النا" ان فواء في الباشفية قد كانت وسيلة الى أمر عظيم وهو تطبيق قواعد الشريعة وقوانينها على الشرع الاسلامي ، ذلك ان انور باننا نسمع على زعيم الباشفية (لينين) الشهير ان يساعد على نشر الباشفية بسبب هذه الفتوى وتوى أخرى لشيخ الاسلام في الاستانة مختصرة في معانها فاضطر (لينين) الى تنوير قواعدها واجملها ، وافقة للشريعة

هل هذا وكان الشيخ نجيب هو والشيخ احمد ابو خطوه هما المحررين لتلك المقالات
الاصلاحية التي نشرت في بضعة عشر عددا من العروة الوثقى فهنزلها العالم الاسلامي
وكادت تحدث فيه انقلابا عظيما على منع بريطانيا العظمى اياها من دخول مصر والمند
وفيهما من الاقطار الاسلامية وفرضتها غرامة تذكر على من توجد يده. سمعت شيخنا
الشيخ حسين الجمر يقول: ما كنا نشك في ان العروة الوثقى ستحدث ثورة كبرى
في العالم الاسلامي اذا طال امرها الخ. وحدثنا الثقة ان الزعيم الكبير السيد سلمان
البيكلائي تقب الاشراف ينفذ في ذلك المهد كان يقول كلما قرأ عددا من العروة
الوثقى لعله لا يجي. العدد التالي له الا والانقلاب المنتظر قد وقع - او ما هذا معناه -
هذا الروح القوي المؤثر المتجلي في تلك البلاغة العالية كائن العالم يزعم ان مصدره
انصال كبر بائية السيد جمال الدين الافغاني بكر بائية الشيخ محمد عبده نابقي الشرق
والاسلام في هذا العصر، ذلك أول اتصال الذي تأتى برقه فأضاء طريق الجادة
للشرق وكاد يكون صاعقة محرقة لمستعبديه - ولكن الشيخ نجيب يقول اليوم لافراد
من الناس ان هذا الروح روحه كان ينفخ فيه وهو في شرح الشباب بما كان له
ذلك التأثير في العروة الوثقى. ولكن ما باله قد زعم مدة أربعين سنة فلم يظهر له
أثر في خطبة مؤثرة، ولا في صحيفة من الصحف المنشرة؟ وما باله اليوم وقد طفق
بعيد ما بدا، لم يحدث من التأثير الا التهكم والاذى؟ وما بال مقالة الشيخ الثانية،
ليس فيها أدنى نسبة من ذلك الروح، ولا أقل مسحة من جمال ذلك الاسلوب؟
نشر الشيخ مقالة ثانية في التمهيد انتقم بها من الذين صوبوا اليه سهام الازراء
والغيبزة، ومن الامة المصرية أو لاسلامية بجملتها أن سكنت لهم ولم يناضلهم عنه
أحد منها، انتحها بقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
والكم الويل مما تصفون) وجاء بعد ذلك بحملة طويلة من كتاب تهذيب الاخلاق
لابن مسكويه وكتاب رياضة النفس من احياء القربى في صفات النفس وما في
نفسنا من الفضائل، وما في الخروج عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتعريط من
"ردائل"، وجمع ذلك مقدمة لتبني الاعتدال وجميع مذابحه من الغضائل عن المسلمين
و ثبات ضدها لهم، ما كرره. قوله. لو أن المسلمين كذا لما فعلوا كذا وكذا. من

المعاصي والردائل ولا سيما الباطن والتمسك وكل ما يسبح ان يوصف به من خاضوا فيه بما خاصوا به لا يتسم المقال لنقله ولا لنقله ، لا ان نقول انه ليس فيه من موضوع التعصب الا اثبات افراط المسلمين فيه كذيرة من الاخلاق والصفات وهذا تصديق الاجانب الذين رموا المهرين بالافراط والتعصب وزيادة لوفعوا لجللوا الشيخ حجة أوفى على عدم استفحالهم للاستقلال ، وهو يقض أو يناقض الفرض السامي الذي تراهي لنا انه نشر مقالة العروة الوثقى لاجله كما تقدم ١١١

هذا ما كان من أمر الشيخ بحيث في تصديده وتصد - عامة السياسة مع رجال الدين وكنا نود لو يوفق في هذا العمل لما يرفع من سر علماء الازهر وثبت لمن راجت عليهم دسائس الاجانب في استحقاق عزل رجال الدين عن السياسة وسائر المصالح المدنية أنهم أهل لكل ما ينفع الامة بأفكارهم واقتلامهم وأعمالهم لأن هذا ما نراه لهم وسبق لنا القول فيه مرارا ، فلا غرو اذا ساء ما جمل الشيخ مضنة في الافواه ، وان كان هو عقيب في سبيل الإصلاح الديني المدني الذي نسعى اليه حتى مقاومة البدع كما يعلم من ردنا على ما كتبه في تأييد بدع يوم الجمعة وغير ذلك فالشيخ بحيث لا يصلح للسياسة

وأما قرينه في هذه الحركة الشيخ عبد الحميد البكري فهو يعد من رجال الدين بالوراة ومشيجة الطرق التي هي وظيفة رسمية لتقاليد معروفة ، وانما كانت تربيته وتعلمه مدينين لا دينيين ازهريين وهو يحافظ على فرائض الدين وآدابه وأخلاقه فلما يوجد مثله في الجمل بين العيشة المدنية كالمتمرنين مع هذه المحافظة على الدين باداء الفرائض واجتناب المعاصي والردائل ، وهو كما نعلم غير راض عن بدع أهل الطرق وان رضي ان يكون شيخا تقليديا لهم ، ويتبنى لو يستلبي الى اصلاح حالهم سيلا ، ثم انه يحب الإصلاح الديني المدني الذي ندعو اليه وهو ممتدل الفكر في ذلك على كثرة قراءته للكتب الفرنسية في الاجتماع والادب والسياسة ، ولما تذاكرنا معه في مسألة الاوكتا على اتفاق او اثنينا الى اتفاق ، فهو في مكانة بيته وفي استقامته وآدابه واعتدال أفكاره أهل للزعامة الا أنه يتقصر من شروطها ما قلنا انه يتقصر عدلي باشا فهو يشبه في المبالغة في حفظ كرامته الشخصية والبيئية وفي الاحجام عن كل مام شانه ان ينير خصاما أو يعقب ملاما ، وفي عدم تمرد الخطابة والكتابة والجدل

والهاجة ، وقد عجبنا من دحروءه في هذه الممعة - بخلاف ما يعرف من طباعه على انه تصدى أولا لامر متفق عليه وهو الاحتفال بوكيل الامة ورئيسها قبل ظهور الخلاف فجعل احتفال العلماء به في ذره الواسعة بل قصره التخم ، ثم جرى الشيخ بختيا على تأييد الوزارة مع حفظ الصلة او خط الرجعة مع سعد باشا ووفده ، ثم جرى الامير عزيز حسن ورضي ان يعقد في باحة قصره اجتماع عام يرأسه الامير للاحتجاج على تصريح وزير المستعمرات البريطانية المستر تشرشل ولكنه لما علم ان سعد باشا سيخطف في هذا الاجتماع بعد ان صارت خطبه كلها تتضمن الرد على الوزارة وتدعوة الى عدم الثقة بها - ترك الدار للدعويين من جميع طبقات الامة الممثلين لها وسافر الى الاسكندرية ولم يحضر اجتماعهم . فاذا لم يكن هذا اعتزال منه للسياسة ومشاغباتها بل نزل عازما على الاشتغال بها مع رجال الدين او غيرهم فالذي أراه انه لا يمكن أن يفتي في ذلك ويثبت الا أن يكون رئيسا لجماعة من المتعلمين المعتدلين المعارفين بحال العصر بشرط ان يسيروا بنظام مدون بحيث لا يعملون عملا الا بقرار مدون ، وأنا ممن رشحونه لهذه الرياسة ان هو أقدم ، وأرجح انه لا يفعل

تبعج البختيين وغروهم بلقب أئمة الدين

إذا أراد رجال الدين الاشتغال بسياسة أممهم ومصالحها العامة فأحوج ما يحتاجون اليه من الاستعداد لذلك التوسع في تاريخ المثل والامم المعاصرة وما وقع فيها من الانقلابات الدينية والمدنية وما دعا الشعوب الاوروبية الى الفصل بين الدين والسياسة وازالة سلطان البابوات وتأثير ذلك في البلاد الاسلامية كبلادهم وبلاد الدولة العثمانية التي كانوا تحت سيادتها على نجلي سلطانها بلقب خليفة المسلمين ، ويجب ان تكون أولى الفوائد والحقائق المأخوذة من هذا التاريخ ان يعلموا أن شعبهم المصري ، نفسه وسواده الاعظم من المسلمين لا يقبل أن يخضع لقيوخ يزعمون انه يجب اتباعهم - والخضوع لهم في أقوالهم وآرائهم في السياسة والمصالح المدنية لانهم من رجال الدين ، وان اتحلوا لا معهم ألقاب الأئمة أو جاد عليهم بها في وقت من الاوقات من ينفعهم في مظاهرتة على خصمه

أقول هذا لاني أراه اول شرط من شروط نجاحهم الذي اودوه وأثمناه وقد

على سكرتير الوفد المصري فيما عراه الى حزب من خطأ لا أرى ما اوعاه من
المائدة في نقد هذا المقال يتوقف على بيان الخلاف بين هؤلاء الشيوخ وبين
الوفد، وهذه المائدة بيان خطأ الكاتب فيما كتب كما خطأ في الباعث على هذه
الكتابة وهو ما علم من التمهيد آتيا

نشر هذا المقال في جريدة الاخبار بامضاء (عبد ربه مفتاح من علماء
الازهر) وقد وصف فيه الشيوخ الذين خطأهم ناموس الوفد (سكرتيره)
ورماهم بما ينافي الوطنية (كما يفهم من كلام الكاتب) بقوله انهم « أشرف
وأرق طائفة في الامة بل في العالم الاسلامي ولهم قادة الامة وامسؤوا على
وحي الله تعالى الذي به السعادة الابدية او شقاؤها السرمدية » (كذا)

ثم قال بعد هذا الوصف: أيها القوم ان لكل مقام مقالا، وان مقام
التكلم مع رجال الدين وفيهم مثل فضيلة الشيخ بخيت وسماحة السيد البكري
شيخ مشايخ الصوفية وابن أبي بكر الصديق امين هذه الامة (؟) يجب الا
يكون كما تكتبون. رجال الدين في كل زمان ومكان هم أمناء الله على ديه
فصية كبيرة وفتنة عظيى اذا رميناهم بالمروق من الوطنية من أجل انهم
خالفوا في الرأي شخصا معينا »

ثم قال « هبوا العلماء اخطأوا في هذا أليس النبي صلى الله عليه وسلم يقول
« اتقوا زلة العالم » ويقول شلحوم العلماء مسومة » فلما ذا استمرأتموها
فأكلتم منها حتى التخمة ؟ اهـ

أقول يا للعجب من هذا العجب والغرور والدعوى الرقيقة والجرأة على
رواية الحديث والاستدلال بكل ماجرى على الاسنة منه وان كان شديدا
من أين علم الاستاذ الكاتب ان هؤلاء الشيوخ الذين وقفوا مع الشيخ
بخيت على ما ارتآه في المسألة المصرية هم أشرف وأرق طائفة في الامة بل العالم
الاسلامي وهذا شيء لا يمكن ان يماهه الا الله تعالى وان أريد به ظاهر ما عليه
الناس من العلوم النافعة والاعمال الصالحة، دون السرائر التي عليها المعول في
الواقع، فهل طاف الاستاذ الكاتب العالم الاسلامي كله واختبر جميع علمائه
وصالحائه واحاط علما بدرجات علومهم وكنه أعمالهم وشرفهم في بلادهم ووسع
شيوخه الذين برأسهم الشيخ بخيت في نقمة ميزان وسائر أولئك العلماء واندماج

كلمة في كلمة شدة نقمة شلحوم كلمة أو كلمة

ثم ما معنى التنويه هنا بنسبة السيد البكري الى الصديق رضي الله تعالى عنه ؟ أي يحمل هذا كشيخة الطارق مما يفضل به جميع العالم الاسلامي وهو يعلم كما يعلم كل من يعرف الناس ان في المنسوبين الى الصديق والى بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرهما من الصحابة البر والفاجر ، وان مشيخة الطريق هي ما يمد على الشيخ عبد الحميد البكري ولا يمد له لانها مشيخة بدع وخرافات أنزل الله بها من سلطان ؟

ايه ! ايها الاستاذ أربع على ظلمك ، وقف عند حدك ، وراقب ربك في هذه الالقاب والنعوت التي تكيلها جزافا ، واعلم ان أمانة الله على وحيه رتبة عالية لاتنال بفهادة تؤخذ من الازهر وامثاله ، ولا بكسوة تشريف من الامراء والسلاطين ، أين آثار شيوذك في قيادة الامة التي تحملهم اليها من لدعوة الى كتاب الله وسنة رسوله ومحاربة البدع والخرافات والاحاد والشبهات بها ؟ راجع ما كتبه حجة الاسلام الغزالي في التفرق بين علماء السوء وعلماء الآخرة لتعلم انه ليس كل من علم شيئا من هذه العلوم الشرعية وآلاتها المربية كما وصفت ، وراجع مراجعة خاصة ما كتبه هو وما كتبه الشرابي في الميزان بحديث « العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلاطان » الخ

ايه ! ايها الاستاذ من أين علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسنده ليه ؟ هل رويت هذا بالسند عن الشيخ بخيت وأمثاله الذين فبناتهم على جميع لامة والعالم الاسلامي فأديت الامانة التي تلقيتها عنهم ؟ أم تلقيت هذا من فواء الذين يتجرءون على الرسول بغير علم فيسندون اليه كل ما يسمعونه من أو يقرأونه في كتاب ؟ أليس هذا مما صرح الفقهاء والمحدثون بحضاره وتعمير تركبه ومنعه ، كما بينه ابن حجر في الفتاوى الحديثة ؟

أما حديث « اتقوا زلة العالم » فقد رواه العسكري في الامثال والدليلي ن حديث عمرو بن عوف بزيادة « واتقوا زلة فيثته » وأورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : اتقوا زلة العالم واتقوا زلة فيثته ، وأورده في السنن وابن أبي الكمال ورواه الذي انفرد به هو كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زبير المري عن أبيه عن جده (١) قال الحافظ الذهبي : قال ابن مثير ليس (١) الحديث أورده الشيخ الحوت في كتبه رسالة في بيان الضعيف من ما دبت الجامع الصغير :

شيء . وقال الشافعي وأبو داود : ركن من أركان الكذب . وهل يملف بن عبد الله المدني رأيت وكان كثير المصومة لم يكن احد من أصحابنا يأخذ عنه . وقال له ابن عمران القاضي : يا كثير ! انت رجل بطال الخ . وقال ابن حبان : له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة . وقال ابن عدي : عامة ما روي لا يتابع عليه . وهو معنى حديث رواه البيهقي من حديث مجاهد عن ابن عمر وفيه « ان أشد ما تخوف علي أنمي ثلاث زلة عالم وجدل منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فاتهموها على أنفسكم » اهن تميز الطيب من الخبيث وهو في مناه حجة على الاستاذ الكاتب وان كان لا يحتاج به كما هو ظاهر .

وأما جملة « لحوم العلماء مسمومة » فلا أعلم ان أحدا رواها حديثا بل وجدت في كلام لابن عساكر فأما ان يأتيها الاستاذ عبد ربه بنقل في روايتها حديثا وأما ان يكون هو الواضح لهذا الحديث وهو موضوع بلا شك . ونسأل الله تعالى ان يصاح هذه الامة ويلهمها رشدًا ويقبها شر النورر القاتل انه على ذلك قدير .

وكتب هذا في الباخرة كايوبارة بالقرب من سواحل ايطالية

المعتصم بالله آل رضا

قد وهب الله تعالى اصاحب هذه المجلة غلاما سويا سماه المعتصم بالله . وكانت ولادته عند مطلع الفجر من يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام الماضي الشمس في ٢٥ من رجب السرطان (ص ١) سنة ١٢٩٩ هجرية شمسية (الموافق ١٨ يوليو (تموز) سنة ١٩٢١ ميلادية) فساله تعالى أن يحية حياة طويلة طيبة ويثبتة نباتا حسنا صالحا ويجعل له من اسمه أوفر نصيب فيكون قرة عين لوالديه وآله وأمه ، وان يستجيب دعائنا عند مصابنا أخيه الممام قبل ولاته بأربعة أسابيع فيكون خلفا صالحا لذلك الفرط اقدم (الذي ظهر عليه في طفولته من امارات الذكاء والنجاة والفصاحة ما يند . ظهوره من ثله) فيكون خيرا . في ذلك كما وعد الصابرين المهتسين ، وان يجملنا على ذلك من الشاكرين آمين

خواطر

الاستاذ الشيخ محمد المفهر

١ - ان كبر ذلك فاصبح يملك ما لم تعلم ، واتسع خيالك فبات يلقي عليك من العصور البديعة ما يلذه ذوقك ، فانت ما بين آفة ذميمة نصيحتها ، ونديم لأعمال صالحة ،

٢ - يدهط الشجر ظله المقل ، ويقف بقناديل الكهر ، على سواء السبيل السبيل ، أفزع برانت من البؤس وهو أحر من الالهضاء ، وتوقد سراج حكمة يهدي بعد موتك الى المحبة البيضاء .

٣ - حسب العلم ضلالا فزادت الى الجهل ، وآخر يزعم التقوى بلها فكان داعية الفجور ، ولولا ما تلقيناه في سبيلنا من هذه الارجاس ، لكنا خبر آفة أخرجت للناس

٤ - هذه الدنيا كالمعدة الزجاجة في لآلة المصورة ، تضم الرأس ، وطحى القدم ، ترفع القدم الى مكان الرأس ، فزنا الرجل بآثره ، ولا يدرككم من مظاهره

٥ - بصنع الصانع الخلي ، وتصنع ما تجعل به النفوس في محفك العلى ، فان ظلت تنهات على صانع الخلق والسلاسل ، فاعلم انها ما برحت لاهية عن هذه المحافل

٦ - سميت الاستخفاف بالشرع حرية ، فقلت برع في فن المجاز فتهكم بمن أصبح عبدا للهوى ، وسميت التفات كياسة فقلت خان الفضيلة في اسمها أرواحه النظري فوهما

٧ - كان لسان الدين ابن الحماني جنة أدب تجري نحتها انهار الماروف فآتت أكلها ضمغين ، ولكن نفست عليه السياسة بخار سام فخرته ، وشبت نار الحد

في اقلوب انماية فاحرقته

٨ - سرت والدور املك فانطلق ظلك هل أنرك ، ثم وابته ففك فكان النال بسمى وأنت على نثره ، وهكذا العقل يستقبل الحقيقة فينبه الخيال ، فاذا أدبر عنها انقلاب الخيال الى امام ، وقاده في شعاب الباطل يهبط

الوثائق التاريخية في المسألة العنصرية

٥

مذكرة الامبر فيصل في مؤتمر الصلح

جاء في عدد جريدة الطان الذي صدر في ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩١٩ تحت عنوان (نشرة اليوم) ما ترجمته (مطامع الحجاز)

من الأسف أن نضطر الى العودة الى البحث عن الحجاز . ان سكرتير الوفد الحجازي قد رد على النشرة التي نشرتها الطان مساء يوم الخميس (أي ٦ الشهر) بكتاب طلب ائينا نشره فلا يسمننا والحالة هذه الا تلبية طلبه كتب الينا عوفي عبد الهادي يقول ان جريدة الطان نسبت الى ملك الحجاز مرامي توسع لم تدر في خلده البتة . ويرد سكرتير الوفد تكذيبه هذا بالتاكيدات القطعية بقوله « ان الملك حينئذ لم يفكر قط بجعل مكة عاصمة جميع البلاد العربية التي تملكت أخيرا من النير التركي فهو يفهم أحسن من أي شخص آخر الاسباب التي لا يمكن للحجاز بسببها أن تتعرض للامور السياسية الخاسرة بهذه البلاد . فالتناقض والابهام اذن والحالة هذه ليست في الميل والرغبة في ضم البلاد التي أظهرها ملك الحجاز بل هي بالاحرى في الشدة التي استعملتها بعض الصحف ونسبت بها الى هذا الملك أفكارا ودعاوي لم تحظر على باله

« ان ملك الحجاز لم يملن الحرب على تركيا الا لتخليص اخوانه في الجنسية الذين كانوا يقاسون ظلم الترك من النير الخفيف الذي كان يشغل كاهلهم كما يتضح من المنشورات التي أذاعها فيما بعد ، فهي لا يظهر منها انه بافضائه الى الحلفاء ضد تركيا التي ارتمت في أحضان ألمانيا وحلفائها يرمي الى سياسة التوسيع ، بل صرح مرارا عديدة بأنه لا يرغب في ضم شبر أرض من البلاد العربية الى مملكته سواء كان من سورية أو العراق . بل الفكر الذي يرمي اليه هو أن يرى كل هذه البلاد التي مسها الضرر الشديد من جراء فظاعة الترك حرة مستقلة ، وهو غير مرتبط بأية وثيقة كانت خصوصية او عمومية مع أية دولة كبرى ، ويرغب في أن تترك الشعوب العربية حرة لتقرر مصيرها طبق لمبادئ الدكتور ولسون »

(*) تابع لما في الجزء الثالث

هذا ما قاله السكرتير حسين (عوني) عبد الهادي على أن فرنسا وحدها تشتر بالغبة في تأمين الحرية للشعوب العربية خصوصاً منهم سكان سورية التي كانت تحبهم سابقاً في الوقت الذي لم تكن حقوق الامم رائجة فيه بعد. وجريدة الطان نفسها بتوجيهها الانظار الى الحجاز الذي يحاول أن يوسع سلطته على سورية انما أرادت أن تدافع عن حرية العرب السوريين، ثم ان سكرتير الوفد الحجازي يؤكد أن الحجاز لا يروم أن يضم اليه شبرا أرض من البلاد العربية لامن سورية ولا من العراق !
وجوابنا على هذا

أن واجبات اللياقة والضيافة لا تبسح لنا أن نجيب على هذه التصريحات بالاهمية التي وضعت فيها ومن حسن الحظ ان مندوبي الحجاز أنفسهم أخذوا على أنفسهم الرد عليها فلنترك لهم الكلام بتحليل مستند حرره أنفسهم ان هذا المستند الذي قد يمكننا طبعا نشره على علانية اذا أرادوا قد نشر بعنوان (مذكرة من الأمير فيصل) الذي هو ابن ملك الحجاز ورئيس المندوبين الحجازيين الموجودين الآن في باريس وقد جعل تاريخها اول يناير سنة ١٩١٩ وقدها الى الدول العظمى بمناسبة المؤتمر وهي بيان للمطالب الحجازية أفرغت في قالب من الوسوح والبلاغة يعودان بالمدح والثناء على الذي حررها، واننا نسيره والحق يقال أن نشره للجمهور بيانا واضحا يدرجه هذا البيان وسيطلع كل شخص ذي ذمة عليه بكل سهولة دون أن يحوجنا الى تفسير كل دقائقه

مذكرة فيصل لمؤتمر الصلح الأول

استقبل الأمير فيصل مذكرته ببيان الأقسام المختلفة التي يدعوها آسبا العربية فقسمها الى ستة أقسام ورتبها التي تليها الآتي (سورية والعراق والجزيرة والحجاز ونجد واليمن) وقال انها تختلف اختلافا كثيرا بعضها عن بعض ويشتر دمجها في دائرة حكومية واحدة ولذلك حاول أن يبين المصير الذي ينبغي أن يكون لكل واحدة منها

ابتداً أولاً بسورية فقال ما يأتي (نشأ لتتقد أن سورية هذه المقاطعة الصناعية الزراعية التي يقطن فيها عدد كبير من السكان من ضمت ثابتة هي بلاد متقدمة تقدم تأمينا من لوجه السياسية يمكنها منه أن تقوم بأعباء أمورها الداخلية، أما من الاستشارة والمشاركة الا انها ستكون بمثابة

بمينا حدا لنمونا القومي ونحن مستعدون لسرف ما يلزم من التقود في مقابل هذه المعاودة ولايسنا أن نسحي في مقابلها أي جزء كان من الحرية التي أحرزناها قبلأ بأنفسنا وبقوة سلاطنا اه

وعلى ذلك فإن سورية بناء على مذكرة الامير فيصل ستمنح استقلالاً ذاتياً بما يتعلق بأمورها الداخلية ويدمج في خدمتها اخصائيون من الاجانب بدون أن يسمح لاية دولة أجنبية أن يكون لها أقل نفوذ في البلاد، فن ياترى يقوم باعباء علائق سورية الخارجية؛ الجواب على ذلك أن الظواهر تدل بأن ملك الحجاز يقوم بهذه المهمة وناهيك بما جاء في المذكرة من عبارة (نمونا القومي) وعبرة (الحرية التي أحرزناها بأنفسنا) كأن الحجاز وسورية لا تكونان في نظر العالم سوى دولة وحكومة واحدة.

ثم انتقلت المذكرة من سورية الى العراق والجزيرة يعني الى جزئي مقاطعة بين النهرين وهنا أقرت النيابة الحجازية برنامجاً مخالفاً تمام المخالفة للاول، ثم انها قد طلبت أن تكون الحكومة عربية (بالمبدأ والروح) الا أنها لم ترفض تدخل دولة أجنبية فقد جاء في المذكرة (ان العالم يرغب في سرعة استثمار ما بين النهرين ولذلك نرى أن شكل الحكومة في هذه البلاد لا بد أن يكون مستندا الى الرجال والموارد المادية التي تقدمها دولة أجنبية عطلى) اه. ان في هذا تنازلاً لبريطانيا العظمى التي حفظت لنفسها السهر على ما بين النهرين في الوقت الذي كانت لتعرف فيه لفرنسا بحق السهر على سورية

ثم جاء بعد ذلك ذكر المقاطعات الثلاث الواقعة في نفس شبه جزيرة العرب وهي الحجاز واليمن الواقعتين على ساحل البحر الاحمر ونجد التي هي المنطقة الداخلية فلم يسلم الامير فيصل بمذكرته فتح باب المناقشة في مصير هذه البلاد، وبين بعد ذلك أن الحجاز ستبقى محكومة طبق الطرق العرفية وقال (اننا نقدر هذه الطرق تقديراً يفوق تقدير أوروبا لها، ولذلك نطلب المحافظة على استقلالنا التام، وأما اليمن ونجد فالارجح انهما لا تعرضان مسئلتهما على مؤتمر الصلح وهما سيتناقشان في مسائلهما بعضها مع بعض ويقومان بترتيب علائقهما مع الحجاز وغيره)

ان هذه الهمجة ترجعنا سنة الى الوراء اذ ينجيل لسامها انه يسمع المر كولن يشكلم عن مصير كورلنده الروسية

بقيت مقاومة فلسطين فقد قالت عنها المذكرة الحجازية ان الاكثرية المعطى من أهالي هذه البلاد عربية وان العرب متمقون مبدئيا اتفاقا تاما مع اليهود « غير أن العرب لا يسعهم أن يخطرأ وأن يأخذوا على أنفسهم مسؤولية الاحتفاظ بالتوازن في خليط العناصر والاديان الذي كان على الدوام في هذه المقاطعة الوحيدة يدفع العالم للمسا كل ، ان العرب يشنون أن يعطى مركز ممتاز في هذه المقاطعة لموكل عظيم في الوقت الذي تمنح البلاد فيه حكومة محلية نيابية تقوم بانماء عمران البلاد من الوجهة المحلية) اه

البرنامج الحجازي يقضي بتعرض دولة عظمى في كل من فلسطين ومابين النهرين وليس هناك حاجة لبيان أن في هذا تنازلا للمصالح الانكليزية . ان هذه المطابقة لاتبرهن — كما كان قد صرح كاتب أستراليا مندوبي الحجاز — على أن ملك الحجاز غير مرتبط بأي نوع من الوثائق المخصوصية مع أية دولة وقد اختتم الامير فيصل مذكرته بقوله (اني بتشديد الاشارة الى التروق الموجودة في حالة بلادنا الاجتماعية لا أود ان أقول بأن هناك اختلافا حقيقيا في المرامي والمصالح المادية والمعتقدات أو الاخلاق على وجه يحمل ارتباطنا متنفرا ، ان أم عقبة يجب علينا تذليلها هو الجهل المحلي الذي تقع معظم مسؤوليته على عاتق الحكومة التركية) اه فالمقصود اذا تشكيل حكومة واحدة ينسب اعداد أساسها بجميع شمل كل البلاد العربية التابعة للسلطنة العثمانية القديمة تحت زعامة ملك الحجاز الموجود في مكة ، ان الانسان اذا أمن النظر في هذه الطلبات الرسمية تمكن من تقدير تكذيب ما أرسله الينا كاتم أسرار مندوبي الحجاز حق قدره عند ما كتب الينا (انه لم يدر في خلد ملك الحجاز البتة أن يجعل مكة عاصمة للبلاد العربية التي تملست من النير التركي)

وعلى هذا فقد برح الخفاء وظهرت سياسة الحجاز التي كانت مفرغة في قوالب المبادئ الويلسية كما كانت سياسة الحدود الالمانية في مقاطعة كراانيا وبلاد البلطيق كأنها مشروع لضم البلاد أو من قبيل وضع أمبراطورية بدوية مكان امبراطورية تركية

ان مذهب الوحدة العربية يخدم مطامع فئة قليلة من التفعين العرب والاوروبيين كما كان مذهب الوحدة الالمانية يخدم مطامع السلطة الروسية العسكرية فاذا كان هناك رغبة في نشر السلام في الشرق فينبغي اجتناب الوقوع

في هذه المبائل . ان الوحدة الرؤية اذا كانت ممكنة التحقيق فانها لا تكون بالفتح والسيطرة ، ولا بالجميات السرية أو المساعدات المالية المستنكرة . بل لا يمكن تأسيسها الا أن نجتمع فيها بعد الحكومات التي قد تكون ندمت فيما بعد كيفية الحكم الذاتي وتكون أقبلت وأدركت بكل حرية منافعها المشتركة . ان كل سياسة أخرى تكون جائزة وحماية من شأنها ان تنير في العالم الاسلامي حركات تقضي مصلحة خلقنا البريطانيين العظمى ان يجتنبوها « اه كلام الطان التي توغلت في الاستنباط لما لقومها من الطعم في استثمار سورية ، واندمت هي وغيرها من الجرائد الفرنسية تحذر الانكليز من تأسيس جامعة عربية تمتد الى أفريقية وتعيد سلطان الاسلام الذي تتبجح هذه الجرائد بأن الحلفاء تركوه كانهظير المقصود الجناح من مملكة مراكش الى مملكة الاستانة !! وكانت في غنى عن تحذير الانكليز فهم أحذر من الفرنسيين وأدهى وانما يريدون السيطرة على جميع بلاد العرب ليحولوا دون تأسيس الجامعة العربية والفرنسيين يخافون عاقبة ذلك أكثر مما يخافون من ارتقاء عرب آسية ومصر ان يسري الى سائر غرب افريقية . فن حافة هذه الجرائد انها تنفر العرب من أممتها من غير فائدة تمنحها من ذلك فالانكليز يسخرون من نصائحها ويعملون ولا يقولون

(٦)

﴿ استسلام الحجاز لبريطانية العظمى ﴾

جاء في آخر مقالة افتتاحية من عدد ٢٤٠ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٧ ما نصه
 « وما مقطعلنا الاغمر ينقل لنا في عدد ٩٠٣٨ الصادر بتاريخ ٢٦ صفر ١٣٣٧ من تصريحات أم صحف العالم ولسان حال الشعب البريطاني الذي أثبت فضله على العالم ومنته على مجتمعه ولا حرج بمواقفه وثباته واقتداره السياسي والحربي والمالي امام أهوال سنيننا هذه الاربع من حسن نواياها وآمالها وما تريد ثقة واعتمادا على معاشر العرب بقولها من بحث : سياستنا القديمة التي كانت ترمي الى تسيد تركية وشد أزرها على اعدائها وأخذنا نحاول البحث عن بديل حريجول عمل السائنة العنانية البالية الفاسدة ، ومن هؤلاء الابدال الذين يحملون محل تركيا العرب أما سوام قفلمطين الجديدة وأرمينية الجديدة)

« نرحب ونؤهل ونسبل بمن أنزلنا محل نقتنه، وتوسمنا بالاهلية لمصادفته ، ولا ريب فان على مثل هذا يتنافس المتنافسون ، ولئله فليعمل الماملون الف الف أهلا وترحيبة وأضعافها شكرا للمحسن الظن ، وانا لانحيه بما قال أحد أشياخ جاهليتنا: أهملني صغير وحماني كبيرا ، ولكن تقول اذ العرب اليوم هم كالاشبال أو أفرار الشباهير والبازي المحتاجة لصيانة آبائهم .

« ومع هذا فستجدم أيها الداعي المحسن الظن ان شاء الله تعالى من حيث تريد ، وتراهم بمنيته بيت القصيد . فاليكم بني يعرب ما أوتيتوه من طموح الإنظار اليكم ، وآمال أجل شغوب العالم فيكم ، فانظروا ماذا تأمرؤن بهد ما وصفكم ذلك الشعب بما وصفه ، فأجيبوا داعي المكرمات ، وحققوا في نجاتكم التصورات ، وكوّنوا خير أمة أحييت منذرس معالم سؤدد أسلافها للناس ، ولا تهم أرفع واستر من أن تذكره نكبات التخاذل وموارد الانداس ، أو يسيثوا بقولنا الظن وعكس القصد . وأيم الله انه الحق ، ونكره ما أشرنا اليه في أعدادنا السابقة بانامعاشر الحجازيين ولا شيء من الرياسة أو السيادة ان كانت في سوري أو في بني أو في حجازي ونجد ، ولا يهمننا وذب الكمية الا تولى لكم لبلادكم كقول الشاعر المحررة لبلادها . وان داء الشامي هوداء الجاني وان في شقاء الآخر شقاء للأول . وان ما يصيب أحدهما يصيب الآخر من خير أو عكسه . ومنى تقطنهم في ان أبسط دليل على هذا قيام الحجازيين ونهضتهم وهم ولا شيء مما اصاب اخوتهم من الضيم الذي سارت بأنواعه الركبان علمت أنهم ادر كوا تلك الغاية الجليلة واغتنموا تلك الفرصة لنجليهم بجلائلها ، وان يمنهم بدعة العيش التي هم بها من مسمم من أنين المضطهدين من اخوانهم عار عظيم لا يفصله الا دمائهم وكان بفضل ما كان فلا تمقمو النتيجة ولا تهندروا تلك الدماء الزكية والنفوس الالية » اه كلام القبله بنصه السقم

(٧)

﴿ كلام التيمس في اتفاق سنتي ١٩١٦ و ١٩١٧ ومذكرة فيصل ﴾
 جاء في عدد التيمس الاسبوعية الصادر في ١٤ فبراير سنة ١٩١٩ من ضمن مقالة عنوانها (الوفود والصحافة — تحفظ شديد) ما ترجمته

اتفاقية سنة ١٩١٧

وهنا تظهر أيضا الاتفاقية السرية التي عقدت في أواخر فبراير سنة ١٩١٧ معينة مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية وروسية في آسيا التركية . ان هذه الاتفاقية

اعترفت باحداث دولة عربية مستقلة أو تخلف من دول عربية وبعد تعيين منطقة نفوذ روسية اعترف بأن تأخذ فرنسا الساحل السوري وولاية اطنه والافليم الذي حده من الجنوب خط هنتاب — ماردين حتى الحدود الروسية المستقبلية، ومن الشمال خط يمتد من الأداغ الى قيصرية — اق داغ الى يلديز داغ فزاره فاجين فخر بوط ، وأن يكون لبريطانية الجزء الجنوبي من العراق مع بغداد وفي سورية تنرا حيفا وعكا

«ومحسب الاتفاق بين فرنسا وبريطانية العظمى تكون بين المقاطعة التي بين الافليمين الفرنسي والبريطاني دولة عربية مستقلة تعين فيها مناطق نفوذ وتكون الاسكندرية ميناء حرة

أما الفرنسيون فيذهبون الى أن حقوقهم على سورية لا تستوفي ما لم تعتبر سورية كتلة واحدة وان هذه الحقوق ليست — كما أشير اليها بمزاج — مبنية على شهرة البعثة السورية التي بقي صداها يرن في الأذان الفرنسية بأعلى النعمة العظمى « مسافر الى سورية » ليست مبنية على هذا فقط بل للفرنسي أساس أمتن من ذلك ناشئ عن الموقف العظم الذي انتحلته فرنسا الجمهورية عدوة الاكليروس بقولها انها حامية للمصالح الكاثوليكية في الشرق . وقد كانت فرنسا دائماً تحمد نفسها على موقفها في سورية ، وكانت على حملتها على الاكليروس تسمى لحفظ النفوذ الادبي الذي لها في تلك الاصقاع بما احدثته من الملاجي الدينية والخيرية والتهذيبية ، وهناك عدد من الاسباب الاقتصادية الثابتة أيضاً تهتم به فرنسا بالطبع ، وعامة التجارة السورية تكاد تكون في الايدي الفرنسية . وان رأس المال الفرنسي هو الذي بدأ بتجهيز تلك البلاد بالسكك الحديدية والطرق — فسورية بالنسبة الى ليون ومرسيلية هي اشبه شي بنسبة إفريقيا الغربية الى لينبرول

مطالب الامير فيصل في المؤتمر

«وفي الحقيقة ليس في مطالب فيصل ما يعارض مطامع الفرنسيين في سورية مباشرة — ففصل يرغب في الاستقلال التام للحجاز وحده فقط ، وأما سائر الشعوب العربية فانه يرغب لها في الاستقلال عن تركيا — وهو لاجل الحصول على هذه الغاية سل سيفه من غير ان يحصل على اي وعد من الملئاء فانه لم تعط له وعود الا بعد ان أخذ في النحاح

« وقد اشار بأن تقسم البلاد العربية الى سلسلة حكومات صغيرة مجتمعة بحسب المصالح الاقتصادية والمشرية (نسبة الى الميثاق) وان تدبر هذه الحكومات دولة من الدول المنظمة ، وكل دولة من هذه الدول الصغيرة تختار بحريتها الدولة المنظمة التي تقتضي حالتها ان تكون لها الوصاية على تلك البلاد »
 « ويرغب فيصل بأن تطلب كل البلاد العربية دولة واحدة للوصاية عليها ، وكذلك يرغب اشد الرغبة بأن لا يوغم أي جماعة من العرب على وصاية لا يرضون بها »
 « ولنفرض ان هذه الخطة طبقت فمن الطبيعي ان تستثنى فلسطين ولبنان بالنظر الى المصالح القومية الخاصة ، وان نجح هذه الفكرة وتطبيقها يتوقعان ولا شك على كيفية تحديد الدول العربية المتنوعة » اه كلام التيمس التي تبجميع جريدة القبلة بالطراهما

(٨)

الفرض من مجي المستر تشرشل الى مصر وفلسطين

ومقابلته لوفد العراق

كان لاصحاب الازمام سبب طويل في الفرض من هذه الرحلة لوزير المستعمرات البريطانية حتى جاء البيان لذلك فيما نشره القلم في العدد الذي صدر منه في ١٩ مارس سنة ١٩٢١ تحت عنوان (مهمة المستر تشرشل) وهذا نصه :

رد المستر لويدي جورج على سؤال وجه اليه في مجلس النواب عن مهمة المستر تشرشل في مصر فقال « ان المستر تشرشل سافر الى مصر ومعه ستة اوسمة من ميوقلفي مصلحة الشرق الاوسط ومن القسم المالي في وزارة الخارجية ومن وزارة الطيران . وانه لا ينتظر ان يجتمع بأحد من زعماء العرب ويتوقع ان يقضي نحو عشرة أيام في مصر وبضعة أيام في فلسطين ثم يعود الى لندن فيعرض اقتراحاته على الوزارة . وقد تباهت الحكومة متعرض على المجلس

وارسل المستر تشرشل كتاباً الى السير جورج رنشي رئيس جمعية الاحرار في دندي قال فيه انه لا يمتنع ان تستمر في اتفاق الاموال الطائفة على الدراق العربي بل يجب انقاص النام من القوات هناك اتقارماً كبيراً جداً في الحال ومع ذلك

تتغنى فترات مختلف من عشرة ملايين الى احد عشر مليون جنيه في العام وهو أكثر كثيراً مما يحق لنا اتفاقه في تلك الجهة ولا سيما اذا ذكرنا عظم خصب املاكنا في غرب افريقية وشرقها والفرض السامحة لنا فيها لترقيتها لخير الامبراطورية بالنسبة الى الشرق الاوسط فاذا لم نوفق الى ايجاد مشروع أحسن وأرخص كثيراً من المشروعات التي امامنا الآن اضطررنا الى الجلاء عن العراق العربي ولكن الفرر والخزي اللذين يلحطان بنا من جراء هذا العمل يجب ان لا يقل شأنهما ولا يصغر أمرهما . فقد قبلنا الوصاية على تلك البلاد وتعهدنا ان ندخل فيها انظمة من الحكم تفوق الانظمة التي قوضنا أركانها ونفضاها كثيراً فاذا نكسنا بعد هذا على اعقابنا وارندنا بالمر الى الساحل كان ذلك حادث لا يتفق مع نبالة القصد وحسن السمعة اللتين هرفنا عن بريطانيا العظمى . واني أؤمل انه اذا انشأنا حكومة بحرية تؤيدها قوة عسكرية متوسطة يمكننا من القيام بما يجب علينا من غير ان نوقر هائق الخزيه البريطانية بتفقات لا مسوغ لها . على ان اقدامنا على انشاء حكومة عربية في بغداد ففتح علينا باباً لم نر مناصاً بئري ولو به وهو معالجة المسألة العربية كما هم من حيث علاقتها بالمصالح البريطانية . فاذا لم تدبر الشؤون العربية بطريقة تضمن استتباب السلام والسكينة بين قبائل العرب في هذمه الوهلة حال ذلك دون سحب عدد كبير من جنودنا من العراق العربي واقاص فترات وعاقبها كثيراً

١ - وتشرت التيمس تفرافاً لمكانها من مرسيليا قال فيه ان المستر تشرشل قبل ان يخرج منها قال : « من أكبر اغراض رحلتي ايجاد التفاهم بين انكلترا وفرنسا في الشرق وهو تفاهم عظيم الاهمية لافريقين وسأدرس الحالة في العراق وآسيا الصغرى فانه يتعين علينا ان نعيد السلام والنظام الى نصابها في تلك الجهات مهما بلغت كلفتها ونفص المصروفات الطائلة التي تنفقها بريطانيا وفرنسا فيها ولا يتال هذا الفرض الزدوج الا اذا نظمت الدولتان ماعيهما ونفقتاهما واني ذاهب الى مصر ومصر على اجدالك هذا الفرض — انتهى

٢ - [المنازع] ان لنا الوزير بهراجته التي يقل مثاها في رجال قومه أن اضطرارهم الى ادارة أمور العراق بألة حكومة وطنية لتخفيف الثغبات أن يستعملوا بوض

الارهاق البريطانية في اثناء نائير البلاد العربية في الجزيرة المقدسة ، ولهذا عادوا بالهبط على اولياهم من شرفاء مكة ويقال ان من اغراضهم التي يسمى لها الملك حسين والامير أوائلك فيصل أن يعقد اتفاق بين أمراء البن ونجد يجعل فيها بذلك المحجاز ممثلاً لهم في السيادة الخارجية ليكون كل ما تنفق عليه من انكثرة نفذا عليهم . على أن الانكليز يريدون أولئك الامراء باتفاقات معهم خاصة تضمن لكل منهم استقلاله الاداري الداخلي في بلاده وتساعد عليها باعانة مالية سنوية بشروط أهمها أن لا يعقد أي اتفاق مع دولة أخرى وأن تكون انكثرة صاحبة الحق الاول في جميع المنافع الاقتصادية في بلاده ١١

(٩)

آراء الامير فيصل في المسألة العربية والانتداب البريطاني

تلغراف خصوصي للمقطع

لندن في ١١ فبراير الساعة ١٠ : ٧ ليلا

اتيج لي ان احادث الامير فيصلا بلندن في المسألة العربية وارسلت اليكم هذا التلغراف خلاصة اقواله لي وهي : —

« انني متفق تمام الاتفاق مع الممثلة البريطانية الآخذة في الازدياد والقائلة بأنه حان لبريطانيا ان تكف عن بذل ارواح جنودها ويدر أموالها في العراق ، أما غرضي من رحلتي الى أوروبا فهو اقناع الحلفاء بأن الزمان آن لتنفيذ الشروط التي خصنا الحرب عليها . وليس هنالك أقل رغبة عندنا في الاضرار بالمصالح البريطانية ولا التمسك مما قضى به الاتفاق علينا فانا على عكس ذلك نعتقد ان محالفتنا مع بريطانيا المنطوق دائمه ونرجو ان نظل كذلك وعندنا ان بقاء هاهو في مصلحة الفريقين »

« أما البلاد التي يشملها الاتفاق فقد حددت تخومها تحديداً صريحاً جلياً فليس نمت مجال للخطأ والالتباس ونحن مستعدون لتأليف حكومة تستطيع ان تدبر شؤون تلك البلاد على قواعد مرضي جميع الذين لهم شأن او مصلحة فيها »

« لقد أرسل الرئيس ولسن لجنة الى سورية للوقوف على آراء أهلها ورغبتهم في شكل الحكم الذي يرومونه ولكن تقرير هذه اللجنة لم ينشر قط لماذا انعم نشره »

« ان البطء في انشاء حكومة تتوفر فيها أسباب الكفاءة آل طبيعياً هياج
العوالم ولكن انتفاض العرب الاخير لا يدل على رغبتهم في قطع علاقاتهم
بريطانيا وانما وقع لان بريطانيا سارت عامين على غير هدى فوقع الالتباس
ونفاً الخلاف وسوء التفاهم وخاف العرب ان تستمر حكومة الهند بلا دم »
« ان الذي يرومه العرب هو حكومة عربية تستمد النصائح والمساعدة
البريطانية ومع اننا نعارض في ان نكون مسودين فلا نصير على الجلاء التام
ولكننا نقول ان مصاريف كل حامية او ادارة ملكية من جانب بريطانيا
يجب ان تدفع من أموالنا . ولم يختلف اثنان على هذا . أما الحكومة العربية
التي ينوي انفاؤها فتضمن جميع المصالح السياسية والاقتصادية التي هي
لبريطانيا العظمى . وكل فرض نحتاج اليه الحكومة العربية يكون مكفولاً
بمرافق البلاد الطبيعية الفنية . نعم ان البلاد اليوم اشبه شيء بالفقر ولكن
لطبراء الزراعيين يجمعون على انها اخصب تربة في العالم اذا عني بفلاحتها وربها
وزرعها . وهذا علاوة على ما فيها من الكنوز المدنية فانها عظيمة جداً وفيها
بجبال عتق للارتقاء والنمو ولا سيما منابع الزيت الكثيرة في انحاءها »
« ان البلاد تقتدر الى الاموال التي تنشلها من وهددة الفوضى والدمار التي
ألقاها فيها سوء حكم النزاة الترك ولكن هذه الاموال لاتضيق سدى بل تشغل
وتستثمر بربح كبير »
« واذا فتح مجال العمل امام الحكومة العربية بالانصاف والمطف فانه
توفر على الحلفاء بذل الرجال والمال في المستقبل علاوة على الذي بذلوه من
الاثنتين حتى الآن »

(١٠)

حكومة شرقي الاردن بين السر هوبرت صوثيل والامير عبدالله

عمان في ١٨ ابريل - وصل المندوب السامي الى عمان أمس مصحوباً
بالكولونل لورنس والمستر ديدز والورد ادوارد هاي جفري لاسر هوبرت صوثيل
استقبلهم ودي واحتفى به الامير عبدالله الذي كان مصحوباً بالمستر ابرمسون الممثل
الاكبر لبريطانيا العظمى في جهة وادي الاردن وقد عين فيها جديداً وقد قدمت
اربعة طائرات من فلسطين ونزلت بجوار المعسكر في ميدان الطيران الالمانى السابق.

واجتمع إليهم صباحاً عدد كبير من قرّان البدو والدروز والمزاولّة قرّموا ببعض الاماب على ظهورهم وروّثوا روتر

محان في ١٨ ابريل - ألقى السرهريوت صموئيل امام سرادق الامير عبدالله الخطاب التالي على ألوف من رجال قبائل العرب وهو :-

١- اسعدني الحظ بأن قابلت في دارالحكومة بالقديس صاحب السمو الامير عبدالله لما زار فلسطين هو والمستر تشرشل احد أعضاء الوزارة البريطانية والحكومة البريطانية تسريضة التعاون مع الامير عبدالله في البقاء (ماوراء نهر الاردن) وتثق بصداقته وجسن نيته كل الثقة وتقدير الصداقة وحسن الثقة التين امتعننا في هذه الحرب الضروس الطويلة حق قدرهما وتذكر الخدمات التي قامت بها الجيوش العربية في ذلك النضال وتقديرها حقها وتوغب في ان التحالف الذي نشأ في اثناء الحرب توثق عمرة في أيام السلم

٢- كان الموظفون البريطانيون يساعدون في ادارة البلقاء (ماوراء الاردن) منذ شهر أغسطس الماضي وسيظلون يعملون كمشائرين للامير وموظفيه من قبلي في انحاء البلاد المختلفة . وسيجديسموه في المستر ابرامسون كبير المندوبين البريطانيين موطناً ذا مقدرة وخبرة عظيمة وهو وجميع الموظفين المشتركين يبعه في طول هذه البقعة وعرضها رجال يملفون على الشعب ويميلون الى آداب اللغة العربية وسيتكفون من المساعدة على زيادة رقية البلاد . وسيفرغ قيساري الجهد لتدبير كل ما نحتاجون اليه من العروض وفتح اسواق فلسطين ولحاصلات بلادكم وتسهيل نقلها اليها . وسينظر بعين العناية في حاجة أهل البلاد التي نحن فيها على اختلاف طبقاتهم سواء كانوا من سكان المدين أو الفلاحين أو قبائل العرب جبا في زيادة هنائهم وبحسب حاجاتهم المتعددة ولادراك ذلك يجب ان تكون المحافظة على النظام والامن العام في المقام الاول من الاهمية . ويؤمل ان يحتفظ بقوة احتياطية تكون أكثر كفاءة وأشد حولا مما كانت الحال قبلا وتستخدم مع الجندومة في توطيد سلطة الامير عبدالله والحكومة المحلية ويسرنا ان نلبي رغبات الامير عبدالله فنقدم عند الضرورة طيارات وسواها من المونة الفنية لاغراض محلية وستؤول هذه التدابير الى استتباب النكينة في المقاطعات وتمكن أيضاً من اتخاذ التدابير لكبح جماح كل من يكره فهو الامن في الاراضي المجاورة غرباً وشمالاً

والحكومة البريطانية مصممة على ان لاتعتبر البلقاء (ما وراء الاردن) مركزاً للعداء سواء كان لفلسطين او لسورية ونحن نعلم اننا في اخراجنا هذا للتصميم الى جيز العمل لستطيع الاعتماد على معونة الامير عبدالله . ومن بواعث الارتياح الشديد للحكومة جلالة الملك ان نجد نفسها متحالفة محالفة متعينة مع ممثلي الشعب العربي في جميع البلدان العربية . ومن البراهين الاخرى على ضمان هذا التحالف ودوام مودته سياستنا في البلقاء (ما وراء الاردن) ووجودي بينكم اليوم مثلاً لجلالة الملك لويد جورج . واني ارجو ان يتخذ من التدابير منذ الآن ما يرفع هذه البلاد الى مستوى من اليسر والرخاء لا يقل منه في البلدان المجاورة او مما كان عليه في الازمان الغابرة

لها فاجاب الامير عبدالله بما يأتي : - اشكر سعادتك على خطايك الرقيق فأقول بالامانة نحن نقضي وبالنيابة عن الحاضرين انني واثق بأن الامة العربية ستبرهن على انها خليقة بتحقيق كل ما وضع فيها من الآمال بمساعدة حليفتنا العظيمة : واني اطلب من الله ان يحفظ الملك جورج والملك حسين ويبليل سعادتهما . وقد قبل الخطا بان بالحاسة ثم عرض المندوب السامي الحرس من الفرسان الهنود وقدم اليه مشايخ القبائل وشاهد الامير عبدالله والسرهربرت صموئيل في المسائل ضرورياً من فروسية الجركس واقتلاع الفرسان الهنود للواتاد - روتر

انكلترة والعراق

جاء في تلغراف خصوصي للمقطم من لندن في ٢٨ فبراير : ان الحكومة البريطانية ابلغت انه اذا عرضت رئاسة الحكومة في ولايات المراق الثلاث على الامير فيصل فانه يرتاح الى المساعدة والمشورة المنصوص عليهما بيباب الانتداب في عهد جميع الامم وليس ذلك فقط بل يرى نفسه انه لا يستطيع القيام بمهام هذا المنصب من غير معونة وهذه المعونة تكون عبارة عن خدمة عدد معين من الضباط العسكريين والضباط السياسيين وبعض الخبراء الفنيين للمعاونة في تنظيم قوات العسكرية المحلية وانشاء دوائر الحكومة الملكية وترقية الصناعات والاعمال

خلاصة من - لجنة المستقرات التي انشأها من أمور الشرق الادنى في مجلس النواب - ١٤٠٠ يونيو عند عرضة ميزانية الشرق الادنى عن مدى النظم المؤرخ ١٧ و٢٣ يونيو - ١٩٢١

قال الوزير : ان المؤتمر الذي عقده في القاهرة مع خبيرين من العراق وفلسطين

قرر وجوب التمتع في انقاص الجنود في العراق من ٢٣ أروطة الى ٢٣ على ان يصير الانقاص ١٢ أروطة في اكتوبر فوفروا بذلك نحو ٥ ملايين جنيه، وان ميزانية الجيش في العراق وفلسطين لهذا العام ٢٧ مليون جنيه. واذا نجحت ندابير الحكومة فانها لا تتجاوز في السنة القادمة ١٠ ملايين.

وقال ان ميل الحكومة البريطانية الى حل مسائل الشرق بواسطة كل الشريف في العراق وشرق الاردن يجب ان يرقب تأثيره في سواهم. وتكلم عن ابن سمود وقومه ووصفهم لسامية، ثم قال ان الحكومة البريطانية قررت ان تواصل دفع الاعانة لابن سمود (وهي تبلغ ٨٠ الف جنيه) وان الملك حينئذ اعرب عن استعداده لمفاوضة الامين ابن سمود.

ثم أعلن عزم الحكومة على انشاء دولة عربية في العراق يختار ملكها، وقال ان الامير فيصل اذ غادر مكة الى بغداد فاذا وقع الاختيار عليه فانكلترة تؤيده وتقدازه وتسمى للتوفيق بين العرب والاسرائيليين في فلسطين وتسهر على منع رجال الاحزاب الذين هاجروا الى شرقي الاردن من دخول سورية وقال الوزير: وليس في تعاوننا مع آل الشريف معارضة لمصالح فرنسية وأنى على الامير عبد الله ثناء طيباً وقال انهم عهدوا اليه باعادة النظام وتمهيد بمنح الاعتداء على الفرنسيين ثم قال: اننا لا نريد اكرام العراق على قبول ما لا يمتناره أهد، وعسى العراقيون ان يحسنوا الاختيار بحرية وحكمة بارشاد السربيس كوكس — قال — وهناك سياستان في معاملة الجنس العربي احدهما ابقاء العرب منقسمين وانشاء ادارة من اعيانهم تعتمد على الفيرة والتنافر والثانية انشاء دولة عربية حول بغداد الخ. قال وهذه هي السياسة التي تصلح دون سواها.

وتكلم عن جعفر باشا العسكري في حرب طرابلس والدرينيل وانه أنتم عليه بوسام القديسين ميخائيل وجورج وقال ان نفقات الجيش العربي تسدد من ايرادات العراق قال: واذا نجح تدبيرنا فالدولة العربية وحاكها العربي تكون قائمة في بغداد قبل انقضاء السنة المالية.

بلاغ المندوب السامي البريطاني في بغداد

س حريه دجلة عدد ١١ المؤرخ ٣٠ شوال سنة ١٣٢٩ (٦) - روزنة ١٩٢١

لا شك في انه غير خاف على العموم انه في يوم ١٦ يونيو (الموافق ٩ شوال)

اتبع الى بغداد بيان خطاب ألقاه جناب المندوب السامي في مجلس المجمع يوم السبت ١٤ يوليو الموافق (٧ شوال) وقد شرح فيه وزير الدولة لسماعه الحالة السياسية في بلدان الشرق الأدنى ثم أعطى بياناً شافياً عن سياسة حكومة جلالة الملك فيما يتعلق بهذه البلدان . ان ما ورد في ذلك الخطاب بشأن العراق قد صار نشره في المال باذن مني بصفة كوني المندوب السامي في المرائد الانكليزية والبرية في بغداد والبصرة وقد ظهر ان ما نشر قد آتى ببيان واضح عن سياسة الحكومة البريطانية . على انه بعد نشر ذلك البلاغ قد عرض علي تكراراً بأن المجمع يرغب جداً بتصريح مني بصفة كوني المندوب السامي ورئيس الحكومة العراقية المؤقتة أشرح فيه النقطة المهمة كما وردت في الخطاب المذكور فبناءً على ذلك رأيت ان من الواجب علي أن أقوم بذلك فأقول : (١) بما يذكر انه بعد بداية الحرب العظمى قطعت اليهود مراراً لا هالي العراق وجلالة الملك الحجاز بأنه لن يسمح بوجه من الوجوه أن تعود العراق أو أي مقاطعة من المقاطعات المحررة الى السطة التي كانت تابعة لها عند نشوب الحرب وان الحكومة البريطانية تعهد المحافظة على هذه اليهود بحزم وثبات وتشعر انها تكون مقصرة في القيام بواجباتها بموجب هذه العهد فيما لو أهملت تقديم المساعدة للعراق في هذا الدور الابتدائي من حياته وانها تتركه باهمال كذا فريسة للاضطراب وهدم النظام . وفي ذات الوقت ان بريطانيا العظمى غير مستعدة للاستمرار على حمل العبء المالي الثقيل والتبعة (المسؤولية) السياسية بمراقبة الادارة (ادارة العراق) لحد الذي كان ضرورياً ربما تعاد الامور الى احوال السلم

ان الحكومة البريطانية كانت دائماً ولا تزال ترى ان افضل طريقة للقيام بمهمتها وواجباتها هي مساعدة أهالي العراق على اقامة حكومة وطنية منهم بمساعدتنا فنشأ بذلك دولة عربية مصادقة تكون بغداد عاصمة لها . أما حكومة جلالة الملك فنحن نرى ان افضل أنواع الادارات للعراق هو حكومة دستورية برئاسة وزير (حاكم) مقبول لدى أهالي البلاد . على ان حكومة جلالة الملك ترغب في ان تبين بوضوح كما سبق فينت تكراراً بأن ليس لها من قصد أو رغبة ما في اكراه الشعب على قبول فإزعاج ما يمكن بل الامر بالعكس فانهم انزعجوا في وجود الحرية التامة في الاختيار وبداء الرأي

ويعلم ذلك ان الحكومة البريطانية بصفتها الدولة التي تحمى صايف طائفة في العراق في أثناء السبع السنوات الاخيرة لا يمكن ان تقف موقف المديم الاكثر امام هذه المسألة فلها الثقة بأن الشعب العراقي سيستعمل المحكمة والحرية معاً في اختياره لاوراق وهنا أود أن أشير بإيجاز الى قدوم صاحب السمو الامير فيصل الى العراق فأقول ان موقف حكومة جلالة الملك في هذا الصدد هو كما يأتي :

ان عائلة الشريف هي العائلة التي نشرت الاواء العربي في صف الخلفاء أثناء الحرب التي لعبت دوراً ذا شأن في ربحها . وان القضية التي من أجلها دخلت في صانوف المحاربين كانت قضية حرية العرب يعني عين القضية التي قد تعهدت بريطانيا العظمى بمظاهرتها ونجاحها في العراق . فبناء على ذلك هند ما سأل أنصار عائلة الشريف في العراق عن موقف الحكومة البريطانية إزاء دعوهم للامير فيصل يأتي العراق أجيبوا على ذلك بأن حكومة جلالة الملك لن تضم عشرة في سبيل ترشيح سمو الامير لعرش العراق واذا وقع عليه انتخاب الشعب شيلق تأييد بريطانيا له ، فبناء على ذلك بينما وزير الدولة (المستر تشرشل) يردد رغبته في ان يستعمل أهالي العراق الحرية في الاختيار يرى ان ليس هناك من سبب الامتناع من ان يبين بوضوح بأن حكومة جلالة الملك تعتبر ان الامير فيصل هو مرشح موافق لابل حقاً أوفق مرشح في الميدان وترجو ان يثال معاضدة أكثرية الشعب العراقي

واذا تم انتخاب الامير فيصل تعقد حكومة جلالة الملك انه يكون قد فوصل بذلك الى حل ينطوي على أكبر الآمال في مستقبل سعيد مقبل البلاد

ان حكومة جلالة الملك تعلم أن قد بحث في حلول أخرى ممكنة منها (أولاً) تأسيس جمهورية و (ثانياً) عرض أمير تركي . أما في ما يخص الاول فن رأي حكومة جلالة الملك ان درجة العراق من الرقي فبر موافقة قطعية لتأسيس جمهورية . وأما فيما يخص عرض أمير تركي فهذا حل ليست الحكومة مستعدة لانفساح المجال له

ومن المأمول ان العبارات التي أوردت أعلاه تفسر بوضوح سياسة حكومة جلالة الملك وهي سياسة قد استحسنتها بالاجمال الجمهور البريطاني والصحافة البريطانية حسب ما بينت في خطاب المستر ونستون تشرشل والتي أوافق عليها كل الموافقة

باب المراسلة والمناظرة

فناء النار والرد على ابن القيم

٢

قسمنا الموضوع في الكلام على فنائها ثلاثة أقسام الأولى في الآثار التي استشهد بها العلامة ابن القيم على فنائها الثاني على الآيات الثلاثة الثالث على مقتضى الصفات وبجمال العقل فيها أما الأول فقد نكأنا عليه في النبعة الأولى وبيننا أن الآثار لا تصح عن عمر ولا عن روى عنه من الصحابة (رض) وقلا حتى لوصح لما كان حجة في هذه المسألة الكبرى الاحتجادية. وأما الكلام على الآيات الثلاث فداره على تحقيق معنى الخلود المستقنى منه أولاً والمشيئة ثانياً والمقصود من الاستثناء ثالثاً وهل هذه الآيات من الحكم أو من التشابه أما الخلود المذكور في هذه الآية (آية الانعام) وآية هود وجميع آيات القرآن فهو لا يعرف إلا من كذب الامة وقد رأينا لسان العرب الذي هو أكبر قاموس وأعظم معجم عربي يقول : (الخاد) دوام البقاء في دار لا يخرج منها خلد يخلد خلدًا وخلودا بقي واقم ودار الخلد الآخرة لبقاء أهلها فيها اهـ . وما يدل على انهم يستعملون الخاد مجازاً فيما لا يبقى المول مدته قول صاحب المسان : والمخلد من الرجال الذي اسن ولم يشب كانه مخلد لذلك وخلد يخلد خاداً وخوداً أبطاً عنه الشيب كأنما خلق ليخلد قال والحوالد الآثافي في مواضعها والحوالد الحجارة والجبال والصخور اطول بقائها بعد دروس الاطلال اهـ . فانظر الى قوله فينب ابطاً عنه الشيب (كأنما خلق ليخلد) وقوله (المول بقائها) للآثافي والحجارة والجبال قاتم شبهوها بما يبقى ولا يزول وتصوروا فيها المول البقاء ما يصح ان يطلق عليه لفظ الخلود الذي لم يوضع الا للدوام البقاء كما ذكر معناه الأول أول المادة ومنه تعلم أن الفناء مناقض له كل التناقض لانه قلمع البقاء الذي اخبر الله به وهذا ووهيدا في سبعمائة آية من كتابه في الجنة والنار ففرق قومه بين الاخبار بدون دليل يصار اليه ويقوم حجة على خصمهم تقول لم ياتهم هذا في كل من الجنة والنار قال الله وخالفين فيها أبداً « وخالفين فيها » دون أبداء فبأي شيء فرقتهم بين المولدين والابدين فلا تجد إلا

نذيلات واهية وكلاما طويلا ضرره اكثر من نفعه بأنهم لم يجدوا غير الخلاف صناعة ولا سوى الكلام بضاعة حتى اضطر ان يجزيهم من لم يكن منهم ابن قيم الجوزية وحسبنا الله ونعم الوكيل

واما الابد فقال في اللسان في مادة ابد: والابد الدائم والتأييد التخليد وأبد بالمكان يأبد بالكسر أبودا أقام به ولم يبرحه اه . فعلى هذا لا يستدل بما اصطلح عليه الناس (كالمصريين) في التأيد اذ جعلوا له مدة محدودة ولم ينزل القرآن بانفسهم ولا حجة باصطلاح ولا حرف يخالف اصل الامة التي نزل بها كلام الحكيم الخبير: فاستمع لقوله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أثنى من فهم الخلدون . كل نفس ذائقة الموت) فانظر كيف قابل الخلد بالموت الذي هو القناء وتأمل معناه تجمده كما قال صاحب اللسان انه دوام البقاء فكأنه يقول لرسوله وما جعلنا لبشر من قبلك دوام البقاء أثنى من فهم الباقون . كل نفس ذائقة الموت الخ وهذه الجملة الثانية مؤكدة بمعنى ما قبلها فغفر الله لنا ولهم وهدانا واياهم سواء السبيل واذا قدر عرفنا^(١) معنى الخلود الوارد في الآية وانه هو الذي به علمنا دوام بقا المؤمنين في الجنة كما علمنا به دوام الكافرين في النار وانه هو الاول في الانفاظ الدالة على معنى البقاء والابد ببدء في الترتيب ولا يعرف في الامة لفظ أدل على البقاء منها في المخلوقات على ما أعلن وأما ما ذكر في الاساس من مثل قولهم : رزقك الله عمر اطويل الآب اديم الاعداد : فهو مبني على التوسع وتصوير ما لا يكون في حيز الكائن على حد قول الشاعر : وتخافك النطف التي لم تخلق^(٢) ومثل هذا كثير في قولهم^(٣) ولكننا نسألهم في أصل وضم الخلود والابد وقد عرفت معانيهما عن اللسان فيما تقدم^(٤) على ان الله تعالى اخبر بكل لفظ مفيد

(١) المنار : ليس في بقية الكلام جواب لقوله واذا قد عرفنا

(٢) المصراع من بيت للمثنوي وهو

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

واستناد الخوف الى النطف فيه من الجواز العقلي (٣) جعل عبارة الاساس من الجواز

وهي فيه من الحقيقة ومزية الاساس على سائر كتب اللغة التفرقة بين الحقيقة والجواز

(٤) المنار : ما نقله عن اللسان في تفسيرها لا يدل على معنى البقاء الذي

الدوام والبقاء عن كائنات الدارين : كلا لفريقين فقال لهم فيها دار الخلد وقل هذان مقبم اذا عرفنا ما تقدم أمكننا أن نظل في الاستثناء المذكور في آية الانعام جاعلين نصب أعيننا ما ورد في آيات الله تعالى من وعده للمؤمنين ووعيده للكافرين وكذلك الاحاديث الصحيحة المصروفة بخروج عصاة المؤمنين من النار. أما الآيات المصروفة بدخول الكافرين النار فهي كثيرة وعلى كثرتها محكمة لا تفسخ فيها ولا مفسوخ ولا متشابه (١) ولا يصح أن نؤول كل هذه الآيات ونركب كل صعب وذلول حتى نجعلها كلها من باب الرعد الذي ليس وراءه شيء لتنظيمها في سلك آية وجد فيها ذوو الشبه ما يوافق أهوائهم ويشيطون به هم غيرهم ويشغلون به الأفهام وكفى مني الاسلام بهم ونفذت فينا سهامهم حتى اختلفنا في كتابنا كما اختلفوا في كتابهم وكان ذلك قدرا مقدورا قل تعالى (ويوم يحشرهم جميعا يومئذ الحين قد استكبرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لآفئنا النار ثم اقم خالدون فيها الا ما شاء الله ان يريك حكيم عليم) فلعن خالدون فيها يا أهل النار (٢) (وهم من مر ذكرهم) الا ما شاء الله من هذا الخلود (٣) أن يخرجهم من داره (٤) لانه حكيم لا يتخذ الا الكافر الذي اخبره في كثير من آياته ، عليهم عن يخرج من أهل الايمان الموحدين . فلا آية قد جمعت وهذا ووعيدا وكثيرا ما يذكر الله في آياته أحدهما بعد الآخر على حد قوله تعالى (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين * والذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ا) وكقوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . الا من

= لانهاية له فان المقيم في دار لا يخرج منها كالملك لداره ليس يباقي هذا البقاء لاهو ولا داره بل كانوا يلقون هذا على من شأنه المكث وعدم التحول كما يتحول البدوي والذي يقيم في دور المستأجرة . وانما البقاء الذي لانهاية له اصطلاح شرعي لا لغوي فله يكن هذا المعنى ممرورا عند عرب الجاهلية (١) لا معنى لنفي النسخ لانه حاس بالاحكام

قَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأَرْسَلْنَاكَ بِدَعْوَتِكَ الْخَلْقَ وَلَا يَنْظُرُونَ شَيْئًا) لما ينجبر سبحانه
 بوعده وانذار ألا ويمتد بوعده وبشارته (النجري الذين أراؤا بما عملوا ويجري
 الذين أحسنوا بالحق) فلما أنذروهم في هذه الآية بالخلود في النار على
 استناعت بعضهم ببعض وموالاته بعضهم بعضا وكان بعض المؤمنين الذين آمنوا
 ببعض القنوب ولحقهم من الوصف شيء يحزنهم ذلك حتى يؤدبهم إلى اليأس
 لاجرم استغنى الله تبشيرا لهم وإخبارا بحكمته وعلمه وهداه في آية واحدة ولا يبعد
 هذا بهم فقد ورد أن بعض الصحابة لما سمع قوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا
 أيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) قالوا وأينا لم يظلم نفسه؟ قال صلى الله
 عليه وسلم ذلك الشرك وقرأ (أن الشرك لظلم عظيم) فلولا أن فسرهما لهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بالآية الاخرى ليشروا وقنطوا ومثل ذلك ما جرى عند نزول
 قوله تعالى (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الخ ثم أنزل الله لهم
 (لا يكلف الله قسا إلا وسهوا) الخ

إذا قرر هذا وعلم أن الانذار في آية الانعام بالخلود شديد وأن السكوت عليه
 قصور لو كان في كلام الناس لعد معينا فكيف بأبلغ الكلام الذي أنزل رحمة
 للعالمين. فهل بعد هذا يستنكر ذو فهم وتأمل في كلام الله أن يجمع بين وعده وعبد
 ونذارة وبشارة في آية واحدة، على أن النذارة بالخلود لمن يستحقونه كما أشار بذلك
 الحكيم الحكماء الذين يفهمون وأن البشارة لمن يستحقون (٢) ممن عرفنا خبرهم في
 القرآن والاحاديث والله أعلم بهم وبما أقرقروا وجزاء ما كانوا يقرقرون : هذا ما
 أنه في الآية مع استحضاري الآيات الاخرى والاحاديث ولم يشغ غلبي ما رأيته
 من وقف المتوقف وتأويل المتأول، وهذا هو وجه الاستثناء لا ما قلوا من أنه يأتي على
 ما في القرآن حاشي أنه أن يكون خبر واحد يهدم بناء أخبارا أدمت على العلم والحكمة
 حتى لو كان مجردا عما أشرنا اليه من وجوه البلاغة والاعجاز ولأن تؤوله ليوافقها
 لكن أسهل من أن تؤولا كلها

ومن العبر أنه قد حضر هندي أخ في الله من أهل العلم ونحوارنا في الموضوع
 فكان هو ذاتا وأنا بقائبا فما زال يؤول كل آية جئت بها دالة على البقاء بمحدثي

وبراعة « على طريقة الازهر بين » حتى جئت له بآية الاعراف (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتي يبلج الجمل في سم الخياط) الآية فوجم فقلت ماذا أجب فقال انظر ، ثم بعد هنيهة قلبت اليه ما قال : نعم هو كما قال الله تعالى مادامت النار لا يدخلون الجنة ولكنها ستفنى . فقلت ثم ما ذا بعد ما فنى أيدخلون الجنة وتزول الاستحالة بفناء النساء ؟ فضحك من تأويله فلي نظر الناصح لنفسه البصير بكلام ربه واجمل الرحمة في عملها كما اخبر الله بها عن نفسه وينظر الى المشيئة بين الحكمة ولا ينظر الى صفة دون صفة بدين عشواء . واذا قد ألمنا الى ذكر شيء من وجوه الاستثناء فلتنكم هل الى المشيئة المستثناة وإن كانت هي أحق بالكلام قبل الاستثناء لذكرها أول الفصل ثمانية

اخبرنا الله تعالى في آيات كثيرة أن مشيئته موافقة لحكمته وأنه لا يشاء عبثاً ولا ظلاماً قال تعالى (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً)^(١) فهذه الآية نعل

(١) فسر بعضهم الرحمة هنا بالجنة وبعضهم بالتوفيق لما تستحق به والمعنى أنه يدخل المؤمنين المتقين في جنته وأعد للظالمين لا تقسم بالكفر وكبائر المعاصي عذاباً أليماً اذا ماتوا على ذلك الظلم ولم يتوبوا منه . وليس فيها ما ذكر من معنى الحصر في ان رحمته لا يدخل فيها الا الذين لم يتصرفوا بالظلم المقابل للعدل - وانما معناها أن ما أعد للظالمين من حيث هم ظالمون هو العذاب الاليم ان ماتوا على ظلمهم ولم ينلهم العفو وما كل ما أعد لقوم ينالهم كلهم والعوید باعداد العذاب دون الوعيد بوقوعه كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وقد روي تخصيص تعدي الحدود هنا بمخالفة أحكام الموارث المذكورة قبله وأهل السنة يجمعون على جواز العفو عن المعاصي بذلك وبغيره والظالم بغير الشرك بالله وهم يؤلون هذه الآية الجارمة بخلود المعاصي في النار والعذاب المهين كما يؤل القائلون بانتها عذاب الكفار الآيات الواردة فيهم . وغرضنا هنا بيان أن الحصر الذي قال الكتاب انه لا مجال للشك فيه غير صحيح وقد ذكر الله تعالى أن من أورشهم الكتاب من المصطفين من عباده من هو ظالم لنفسه ظالم كالفسق والاجرام يطلق في القرآن على الكفر تارة وعلى المعاصي أخرى . وآية الفتح التي جعلها الكتاب مثل هذه الآية وردت في تليد

دلالة صريحة لأجل ذلك فيها على أنه لا يدخل في رحمة إلا غير الظالمين وإنما الذي عرفنا أنه لا يشاء إلاهم قوله والظالمين أعد لهم عذابا باليا فالناس قد بان ظالم وعادل والدار داران الجنة ونار فلما ذكر الظالمين وما أعد لهم عرفنا أن القسم الذي شاء ادخاله في رحمته ضدهم وهم المؤمنون أو المقسطون أو كما تسميهم أفلا يصح أن نزل المشيئة المذكورة في آية الإنعام وهو على هذا التقسيم الظاهر وأن الله لا يشاء فناء النار الذي يهدم كل زجر روعيد في القرآن ويطعم كل ذي كفر وهتان وجبار عنيد وشيطان ومثل هذه الآية قوله تعالى (لدخل الله في رحمة من يشاء) فهل بظن عاقل أن معنى هذا يدخل الله كافرا الجنة أو مؤمنا بنار (؟) أم أنه لا يفعل إلا ما اقتضت حكمته التامة ، وأن مشيئته في هذه الآية وفي أمثالها مقيدة بمثل آية (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) وغيرها مما سنذكره قال تعالى (ومن بين الله فانه من مكرم أن الله يفعل ما يشاء) فالنظر الى قوله تعالى عقب الآية أفليس قوله هنا (ان الله يفعل ما يشاء) كقوله عقب آية هود (ان ربك فعال لما يريد) التي كاد يشبهها علينا ابن القيم رحمه الله بقوله « ولم نعلم ما يريد بهم » أي الذين شقوا قال وأما الذين سعدوا فقال فيهم « عطاء غير مجذوذ » فبأنه ألا فتأملوا أيها المنصفون فوافقه قد أخطأ ابن القيم أن كان يستند أن قوله تعالى (ان ربك فعال لما يريد) فيها المانع أو إشارة الى فناء النار ومن يفهم هذا الفهم أو يجوزه بعد أن سمع ما أوردناه وما سنورده قال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد) ماذا يقول الثنايون في هذه الآية أيضا يقولون لاندري ما ذا يريد الله بأهل الجنة كما قالوا في آية هود والافا الفرق بين الحبرين فليخبرونا ولهم الثواب^(١) فقد علم كل من له أدنى تأمل في القرآن أن كلف أيدي المؤمنين من القتال يوم فتح مكة وفسرت الرحمة فيها بالاسلام.

(١) ان الفرق عديم جلي وان كان لايدل على فناء النار — وابن القيم لا يقول به — وهو أن الحبر الاول جاء عقب الحبر بادخال المؤمنين السالحين الجنة بغير استثناء والثاني جاء في كون الذين شقوا في جهنم خالدين فيها الا ما شاء الرب تعالى وهذا الاستثناء مبهم فقالوا لا نعلم ما يريد به وبهم ، ومنهم من كان لهم في القرآن أعلى التأمل لأدناه وان جاز عليهم الخطأ كما يجوز على غيرهم

ارادة الله تعالى ومشيئته قد علمت في أهل الجنة وأهل النار وأن كلا قد قسمي عليه بالخلود في داره التي خلق لها وسعى لها سعيها وظهرت تلك المشيئة في الفريقين بأجل مظاهرها . فترى أهل النار لا يبتدون ، صم بكم عمي فهم لا يسمعون ، وأهل الجنة موقنون مهديون (وتمت كلمة ربك لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) قال تعالى (يشهد الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء) ألم يبين الله لنا مشيئته هنا أيضا بالمؤمنين والظالمين ؟ ألم يكن ختامها هنا كختمها في سورة هود ؟ هل يفهم منها هذا إلا كما يفهم من تلك ؟ وأن المعنى لا اعتراض على فضل الله لأنه هو الحكمة التامة والدل الأعلى وأنه لا مكره له ولا راد لما قضاه أم يقال ما قرره المؤمنون الذين نظروا لآية واحدة وتركوا سائر الآيات فقالوا : أما الذين سطوا فأخبرنا الله أن عطاهم غير مجذوذ وأما الذين شقوا فلم يبين لنا ماذا يريد بهم . والحق أنه بين وبين كما سمعت وعلمت :

وأما الكلام في آية التبا فلا دليل فيها لهم وآخرها يرد عليهم اذ يقول الله تعالى (فذوقوا فان تزيدكم الا عذابا) ولن تغني الا استقبال حتى احتج بها الزمخشري على نفي الرؤية (رؤية الله في الجنة) في قوله تعالى اوصى (لن تراني) ودفق بين الخبرين فان هذا نفي الرؤية في الدنيا وأما الثاني فذني في الآخرة وقوله تعالى آخر السورة (ويقول الكافر بالشيئ كنت ترابا) دليل على ان الكافر كان يود لو كان ترابا ولا يذب خالدا . ولا يقال تمنيه ذلك كاف لرؤيته العذاب فحسب دون الخلود لانه لو كان يعلم ان النار تنق من الآن كما يقولون لظل على أمه ورجائه في رحمة الله (١) كما فهم ابن القيم من حديث لوي يعلم الكافر بسمه رحمة الله ما يشي ولو يعلم المؤمن بأليم عذاب الله أو نحو ذلك لتندفعه الله تعالى (لا يبين فيها أحقابا) لا يدل على انقطاعها كما قدمنا فانما المقصود انه يوبل وان الاحقاب قد تأتي متتابعة ولا تتناهى . أرأيت لو كنت هنا في الدنيا خالدين أما كنت تقول مضت علينا أحقاب ونشد الزمن وهو يبق كما يمكن أن نندشبه لا ينحصر بالآلاف والملايين ونحصى نسل من

(١) يرد على الكتاب ما نقه هو عن عمر من تمنيه لو كان شجرة نخل

.....

الغساب كالديشليون وكما فرغت الفصول أعدناها من الاول عدا ولم يفرغ المدوا
فن يستنكر ذلك؛ وهل هذا الا من بلب قوله تعالى في أهل النار (خالدين فيه
ما دامت السموات والارض) والفرض الخلود الذي لانهاية له لان مخاطبين بمجهلون
به: الارض والسموات والمجهول اوله وآخره كالذي لا أول له ولا نهاية فذلك والله
أعلم صور لنا الخلود لنعلم عظمه بالنسبة لبقاء الدنيا وعمرنا القصير فيها فأما المؤمن
فيفرح بنصيبه الخالد في الجنة وأما المنافق فيحزن حزنا شديدا ويتنصص عليه حياته
إذا نزع هذا الوحيد الشديد. فالاول تعلم حتمه ويتحتم الشدائد بقلب ماؤه الصبر
والأمل والسرور. وذلك يجاهد ليدب عنه هذه الزواجر ويفر منها فرار الحر
الاستغفرة وهي في أثره حتى يثقل في حمة العذاب السحيق وبئس المعبر

وبعد فاما أن تكون هذه الآيات متشابهة أو محكمة. فان كانت متشابهة فقد
كلن على الفئائين أن يقولوا آمنا بقوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا
به كل من عند ربنا) وما كان لهم أن يكثروا الكلام ويطيلوا الخصام ويقفوا
ما ليس لهم به علم من صفات الله واسماؤه ويتكذوا في حكمته ومشيبته بملهم القاصر^(١)
وأن الله اسما وصفات لا يسلها للآن أحد كما ورد في حديث (واسألك بكل اسم
هو لك سميت به نفسك أو أنزلك في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت
به في علم الغيب عندك الخ. وحديث الشفاعة اذ يعلم الله تعالى رسوله محمد بحمده
بها. ولا ريب أن الحمد تكون على اسماء تنضيتها وتستحقها والله اعلم أفا كان الاولى
بهم أن يسكتوا بعد أن يقولوا آمنا به الخ. وان كانت محكمة فالامر ظاهر ولا داعي
للخلاف والجدال والقول على الله بلاهمل ولنا اسوة بالصحابه الذين كانوا يسألون عما ينهيم
فيقولون يا رسول الله ما أفضل الاعمال. وداني على عمل اذا علمته دخلت الجنة الى غير ذلك
ولعل في هذا الآن كفاية وله بقية

عبد الظاهر محمد

(١) يرد على هذا أن ابن القيم قال بالتفويض والوقوف عند قوله تعالى ان ربك
حكيم عليم) وجمله نهاية الاقدام في السير في هذا المقام وهو ذو العلم الواسع
بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سري « ومنارا » كنار الطريق —

٢٩ ذي الحجة ١٣٣٩ — ١٩ السبلة (٣) سنة ١٢٩٩ هـ ٢ سبتمبر سنة ١٩٢١

القياس في العربية

(للاسناد العلامة الشيخ محمد الحفص)

الحمد لله الذي جعل العربية أشرف لسان ، وأزول كتابه الحكم في أساليبها الجسان ، والصلاة والسلام على من بهر البلفاء بلهجته الباردة ، وعلى آله وصحبه العاملين على متوال حكته الرائعة ، أما بعد فقد كنت أيام دراستي لعلم العربية امر على احكام تختلف فيها آراء علمائه فيقصرها أحدهم على السماع وبأذن الآخر في القياس عليها دون ان يذكروا الاساس الذي قام عليه الخلاف ، فأرى التحسك يمثل هذه الاقوال من التقليد الذي لا ترناح اليه النفس ولا سيما حين اذكر ان كثيراً من أصحاب هذه الاقوال قد تلقوا العربية من كتب يمكننا الاستقاء منها ، فأخذت ألقت نظري الى الاصول العالية التي راعونها في احكام السماع والقياس حتى ظفرت بقواعد وفقت على تقارب منها في صريح كلامهم وابتدعت شذورا أخرى من موارد احكام جزئية تقصيت آثارها في ابواب شتى ولما شرعت في مدينة دمشق بمطالعة بعض الكتب العربية كفتي اللبيب بحضر طائفة من أذكياه الطلبة كنت أذهب في تقرير مسائل السماع والقياس على تلك الاصول التي لم تدخل بدني سلك التأليف ، وعند هذا اقترح علي أولوا الجلد منهم جمعها وتحريرها ليكونوا على بينة منها خلال المطالعة فطاولتهم على ما افترحوا حتى تكاملت في مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصل شروطه وتحرر مواضعه واحكامه

تمهيد

لا يكون الكلام عربياً فصيحاً الا اذا صحت مفرداته واستقام تأليفها ، أما صحة مفرداته ففي النطق بحروفه على مقتضى الوضع من غير ان تغير بنقش أو زيادة أو ابدال أو قلب في هيئة ترتيبها أو حال حركتها وسكونها ، وأما استقامة تأليفها فبانطباقها على أسلوب نسجت عليه العرب في مخاطباتها . ولا تتحقق هذه المطابقة الا برعاية احكام التقديم والتأخير والاتصال والانفصال والحذف والذكر

وهل تتوقف على إطلاق الكلم وتأليفها على معرفة وضما الخالص ونظمها

الوارد بحيث لا نستعملها حتى يثبت لدينا من طريق الرواية كيف نطق بها العرب ؛ أو أبى واضع اللغة طريق القياس مفتوحا فيسوغ لنا ان نلحق الحكم بأشياءها في حياة مبانيها ونسوق تركيبها ونسوي بينهما في الأحكام اذا أعوزنا السماع ؛ هذا موضع تشعبت فيه انظار الباحثين في العربية ، فبعد اتفاقهم على العمل بالقياس وتضافر عباراتهم على انه من مأخذ اللغة غلا بعضهم في التعلق به واتسم في جماله الى ما يخرج بالكلام عن صبغته العربية ، وضيق آخرون النفاة الى حد يقرب من موقف الجامد على الرواية في اوضاع الكلام وتصرفاتها وقد انتبه المحققون بين هذين الطرفين مسلكا يقي على اللغة شمارها وينسط في نطقها بمقدار ما يتسوغه ذوق آكل الشيع والقيصوم ولا تعجب طالما مفردا او أهل بلد اطرودوا في هذه المادة ولم يحيدوا عنها في قضية فكانت جميع أقوالهم في محل الاعتدال . بل ترى القول الحق والقياس الوسط يدور بين مذاهبهم فيصيبه هذا تارة ويجرؤه غلغاله تارة أخرى ، وذلك شأن للعلوم التي يستند في تقرير قوانينها الى اجتهادات العقول

الحاجة الى القياس

وضعت اللغات ليعبر بها الإنسان عما يبدو له من المآرب ويتردد في سميده من المعاني ، ومن البين جليا ان المعاني تبلغ في الكثرة الى ان تسبق عما دائرة الحصر ، وتنتهي دونها ارقام الحاسبين ، فلم يكن من حكمة الواضع نسوي اثم وضع لبعض المعاني الفاظا عينها كالسماء والمطر والنبات ، ولوح الى البقية بمقاييس تصاغ بالكلم في قوالها فتدخل في زسرة ما هو عربي فصيح ولولا هذه المقاييس لكأنت اللغة اضيق على المتكلم بها من مفحص قضة ليقع في تقيصة المي والنهاة ، ويكثر من الاشارات التي تخرج به عن حسن السمات والرساة ، ويرتكب التشايه محاولا بها تقرب المرام من فهم المخاطب لا كما يستعملها اليوم حلية للنطق ومظهرا من مظاهر البلاغة ولو فرضنا صحة ان يوضع لكل معنى لفظ يختص به كأن نخرج الى ان منشيء اللغة هو مبدع الخليفة لكان المخرج الذي تقع فيه اللغة ان تضيق المجلدات الضخمة عن تدوينها ، وتعجز النفوس السائمة عن حفظ ما به كفايتها فالقياس طريق يقرب به تناول اللغة ووسيلة تمكن الانسان من النطق

بآلاف من الكلم والبراء. دون ان يقرن اسمه أو محتاج في معرفتها الى مطالعة القاموس أو اللسان

وربما يلوح لك ان الالفاظ المرادفة تنفي عن القياس في الكلم المفردة لو صرفها الواضع الى المعاني التي لم يمين لها اسماء. فنقول ان المترادفات مجالا فسيحا وأثرا بليغا في الفصاحة والبلاغة، فلا يصح ان تكون العربية عارية منها. ثم انها على كثرتها لا تبلغ ان تسد مسد القياس في مثل المصادر والافعال والادوات المشتقة وجموع التكسير فضلا عن كون الكثير من هذه المترادفات انما نشأت من لغات متعددة

ما القياس ؟

يسند القياس أحيانا الى العرب أنفسهم فيكون من قبيل التنبيه على علة الحكم الثابت عنهم بالنقل الصحيح، كما قال النحاة اعرب الفعل المضارع قياسا على الاسم وعمل اسم الفاعل قياسا على الفعل، ودخلت الفاء خبر الموصول في مثل قولهم « من يأتيني فله درهم » قياسا للموصول على الشرط

ويضاف تارة الى الباحثين عن أحوال اللفظ العربي فيراد منه أحد معاني التهمة (أحدها) ان نعود الى اسم ورد استعماله في معنى يشتمل على وصف يناسب التسمية كالحرف تمديه الى معنى آخر تحقق فيه ذلك الوصف وتجمعه من مدلولاته كالسبب قدومه فيما يشاؤله اسم المخرج حيث كان يخمر العقل ويستقره، وهذا النوع من القياس هو الذي يعنيه المحققون من الأصوليين بقولهم لا تثبت اللفظ بالقياس (ثانيها) الحاق اللفظ بأمثاله في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامة كهيئة التصغير والنسب والجمع ورفع الفاعل وبناء العلم والنداء

(ثالثها) إعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها مما هو مخالف لها في نوعها كما اجاز الجمهور ترخيم المركب المرحي قياسا على الاسماء المنتهية ببناء التأنيث، وازاد ابن مالك حذف الداء المحرور في الصلة اذا تعين حرف الجر قياسا على حذفه في الجملة الخبرية، والمغنيان الاخيران هما موقع النظر ومجال البحث في هذه المقالات وأتت للفرق بينهما التمييز عن الاول بالقياس الاصلي وعن الثاني بقياس التمثيل

وللكلم أحوال في نفسها ، وأحوال من جهة ما يقرن بها ، فيتوجه النظر في القياس الى الاحوال المارسة لها من حيث مبادئها الثمودة كاشتقاقها وورودها ثم الى الاحوال الجارية عليها من جهة نظم بعضها في سلك بعض ، وترجع احوال النظم الى الاتصال والانعزال والتقديم والتأخير والحذف والذكر والمعل والاعراب والبناء والاستعمال . فكان المقصد من هذا التحرير يدور على البحث في القياس الاصلى والقياس التثلي ومباحث مشتركة بينهما

المقالة الاولى في القياس الاصلى

ما يقاس عليه

يجمع اللسان العربي تحت اسمه لغات شتى ، ولكنها تختلف فيما بينها اختلافا يبرأ مثل اختلافها في بعض أحوال الكلم من حركة وسكون او عراب وبناء أو اعمال واحمال أو ترتيب حروفها أو ابدال بعضها من بعض أو زيادة والحذف

تفاوت هذه اللغات بالمجودة وفصاحة اللمجة ، وجميعها مما يصح القياس عليه ، قال ابن جني في المعاني : اللغات على اختلافها كلها حجة واللسان على قياس لغة من لغات العرب معيب غير غثلى . وقال أبو حيان في شرح الفصحى : كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه . وقال البديوي في شرح الفصحى : مشهور في كلام العرب ماء ملح ولكن قول العامة ملح لا يند خطاً وانما هو لغة قليلة . ومن اعتمد على هذا الاصل كان الصحيح عندهم جواز القياس في تقديم عامل كم المجرى عليها لانه لغة حكاهما الاخضر عن بعض العرب

ويستند في تقرير الاحكام المنطوية على أقوال الجاهلية كإسرى القيس زهير ، والمضمر من كحان وليد ، والاسلاميين كالتردد وجرودي الرمة . أما المحدثون ويدخل في زميرهم يشار بن برد وأبو راس وأبو تمام فلا يبول في الاستشهاد على اوضاع الكلم واحوالها التركيبية على شيء من منشأهم أو نظوماتهم ، ولهذا رأى النحوي يسوء . وقال الفخري والتلحين حيث رقصوا فيما يخالف القواعد الملهة ، وإذا كان الحكم الذي لم يتطابقه علومهم من مواقع الخلاف أقام لهم المنذر بأنهم قد يسوء كلامهم على المنهج الضيق

ثم اذا عثر على مثل صنيعهم الصادر من الجاهليين أو الاسلاميين لا يسمه الا ان يقضي فيه بالشذوذ أو يقتحم في تصحيحه طريقة التأويل
وقال الزعشمري في كشفه بعد ان استشهد بشعر لابي تمام « وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجمل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » وتلقى هذه المقالة الشهاب بسماع المقلد فقال في شرح الدرة « اجمل ما يقوله المتنبي بمنزلة ما يرويه » وقد كشفنا فيما كتبناه في حياة اللغة العربية عن وجه الخطأ في هذه المقالة ، وكيف يحتاج بأقوال هؤلاء وقد عثروا في اغلاط كثيرة لا يستطيع أحد السبيل الى تخرجها على محل صحيح ، فهذا أبو نواس يقول : —

واذا نزع عن الفوايه فليكر ش داك الترع لا للناس
والصواب في مصدر نزع عن الشيء انما هو التزوع
وهذا أبو تمام يقول : —

لعدله في دمتين تقادما بمحوتين لزينب وسعاد
والصواب تقادمتا

وهذا المتنبي يقول : —

فان يك بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول
والصواب في جمع بوق بوق كصرد او ابواق

ومن لا يعتمد في تقرير احكام اللفظي على استعمال المحدثين يرى ان استناد بعض المتأخرين في تصحيح بعض الكلم الى استعمال أحد أهل العلم غير شديد ، يرد بعضهم على صاحب القاموس في قوله « ان النموذج لحن » بأن الزعشمري سمى كتابه بالنموذج ، والنووي عبر به في المهاج عند قوله « انموذج المتائل » وهو رد غير مبني على أصول العربية اذ لا حاجة الا في كلام من ينطق بالعربية عن سليقة ، وهذا الشرط لا يتحقق في أبناء المائة الخامسة كالزعشمري أو المائة السابعة كالامام النووي رضي الله عنه ، وكمن امام في العربية ينطق أو يؤلف بمباراة تخالف مذهب الصريح ، أفلم يشترط لابن هشام في كتاب المعنى لدخول هاء التنبيه على الضمير كون خبره اسم إشارة ولم يحتفظ بهذا الشرط فقال في خطبة الكتاب نفسه « وهأنا بائع » ووقم صاحب القاموس في هذه المفردة بعينها فشرط لاتصال حرف التنبيه بالضمير

ماشرطه ابن هشام من الاخبار عنه باسم اشارة ولم يقم على ماشرط فقال في خطبة كتاب القاموس « وها أنا أقول »

ويؤكد لك عدم صحة الاحتجاج بما يستعمله علماء العربية ان صاحب القاموس صرح بأن كلمة بعض لا تدخلها اللام وهو يعلم كما نقل عقب هذا الحكم ان سيويه والاخفش قد استعملها في كتابيهما

ونحتج بالكتاب الحكيم ونمثل بالقياس على ظواهره ما عاينت مقتضى البلاغة ، ولا تتبع سبيل الدين يحميدون به الى جانب التأويل اقتصاراً لما سبق الى ظنونهم وتقرر في مذاهبيهم من أحكام فقهية أو عربية ، قال الفخر الرازي في تفسيره : اذا جوزنا اثبات اللغة بشر مجهول لجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى . وكثيراً ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في القرآن فاذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد التمتع منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحته فلا ن يجوزوا ورود القرآن دليلاً على صحته كان أولى ، وقال ابن حزم في كتاب الفصل : ولا عجب أعجب ممن ان وجد لامرى القيس أو زهير أو الجربز أو الحطيئة أو الطرماع أو لاعرابي اسدى أو سلى أو تميمي أو من سائر أبناء العرب لفظاً في شعر او نثر جعله في اللغة وقطعه به ولم يعترض فيه ثم اذا وجد الله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت اليه ولا جعله حجة وجعل يعرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في احالته عما أوقفه الله عليه

ومن أمثلة ما اشار اليه ابن حزم انه ورد الفصل بين المصدر المضاف وقاعله المضاف اليه بالمفعول به في قوله تعالى (قتل أولادهم شركائهم) كما قرأ ابن عامر بنصيب أولادهم وخفض شركائهم ففضى عليها الرغشري بالخطأ وقال الذي حمل ابن عامر على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء ، وذهب السكاكي في مفتاحه الى تلقي القراءة بالتسليم وفاقاً لمن يقول ان الترات السبب متواترة ولكنه تأول الآية على تقدير مضاف اليه يتصل بقوله « قتل » ومناف عند قوله « شركائهم » والمقدر في الموضعين من نوع المنطوق به فيكون سبب الآية بعد التصريح بالمقدر « قتل شركائهم أولادهم قتل شركائهم » ثم قال وهذا وان كان فيه نوع من البعد فتخطئة النقات والفسحاء ابعد

والذي نمتد به في مثل هذا ان نتلقى القراءة المتواترة بالقبول ولا نحمل

الآية مالا نطبقه بلاغتها من اعباء هذه التقادير ونعسفها كما صنع السكاكي بل نبقها على ظاهرها ولا نعلم ان الفصل في مثل هذا مخالف للفصاحة ولا سيما بعد ان اورد له ابن جني في الخصائص شواهد متعددة

ولا اخال أحدا يمول في مثل هذا على ذوقه فيقول ان الذوق ينفر من صورة المعنى الذي يفعله فيه بين المضاف والمضاف اليه بأحد محمولات المضاف، فان مثل هذا لا يرجع فيه الى ملامة الطبع بل مداره على ما يجري به الاستعمال ويثبت في الرواية فما نجد له واردا في الكلام الفصيح فلم انه لا يكدر من مشرب الفصاحة العربية ولا ينظم من سور البلاغة فتبلا

ومما يقرب لك ان حكم الفصل بين الكلم لا يرجع فيه الى الذوق وانه حائد الى ما يسمع من كلام المشهود له بالفصاحة في تلك اللغة ان اللغات تختلف فيه اختلافا كثيرا، ففي اللسان الالماني مثلاً يفصلون بين اداة التعريف والمعرف بجمل كثيرة، وربما كان الفعل مركبا من قطعتين فيضعون القطعة الاولى في صدر الكلام ويلقون الاخرى في نهايته فيشتق ان يكون بين القطعتين كلمات فوق العشرة، وتراهم يفصلون بين علامة الاستقبال والفعل بجمل متعددة، ولا شبهة ان ارتباط اداة التعريف بالمعرف أو بعض اجزاء الكلمة ببعض أو علامة الاستقبال بأصل الفعل أشد من ارتباط المضاف بالمضاف اليه. فلأخرج على اللغة ان تبيح الفصل بين المضاف والمضاف اليه ولا سيما حيث تكون علاقة الفاصل بالاسم المضاف ليست من علاقة المضاف اليه بعمدة كالمفعول به.

وأما الحديث النبوي فقد جرى الجمهور على عدم الاحتجاج به لكثرة ما وقع فيه من الرواية بالمعنى واعتد به ابن مالك وأخذ بالقياس عليه في أحكام شتى معتمدا على ان روايته باللفظ هي الاصل فنعمل بموجبها الى أن يثبت انه نقل بالمعنى، ومن أمثلة ما احتج عليه ابن مالك بالحديث انه ورد في آيات متعددة فعل الشرط مضارعا والجزاء ماضيا فاجاز الفراء وابن مالك العمل على هذا الاسلوب، ومنعه الاكثر بدعوى ان ما وقع في تلك الشواهد من قبيل ما دفعت اليه الضرورة، فاستدل ابن مالك على جوازه في حال العمة بما روى الابام البخاري من قوله عليه السلاة والسلام « من يقيم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »

وقال ابن حزم عقب الكلام الذي نقلناه عنه في الاحتجاج بالقرآن واذا

وجد - يعني الباحث في العربية - لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعل به مثل ذلك - يعني الصرف عن وجهه والتحريف عن موضعه - والله لقد كان محمد بن عبد الله قبل ان يكرمه الله بالنبوة وأيام كونه عكة اعلم سمه قومه واقصع فيها فكيف بعد ان اختصه الله للنبوة واستباه الوسامة بينه وبين خلقه ؟ اه وكللام ابن حزم هذا لم يصادف المفصل في رد مذهب الجمهور اذ لم يمتنعوا من الاستشهاد بالحديث لقلة فصاحته وانما لم يأخذوا به في العربية لما عرفت من احتمال روايته بالمعنى

والحق ان الاحاديث التي تعددت أساسيدها ولم يختلف لفظها يبعد فيها احتمال الرواية بالمعنى فيصح الاحتجاج بها من غير شبهة

القياس على الشاذ

الحكم الذي ورد به السماع النادر أربعة أنواع (أحدها) ما لا يمارسه قياس ولا سماع آخر ، وهذا يكتفون في امراده بالشاهد الواحد ولا يشترطون له السماع القاسي ، ومن هذا قولهم شئني في النسب الى شئونة فقد اكنى بها سيبويه وغيره وجعلوا القياس في النسب الى فعولة على الاطلاق فظني ، ولم تقع اليهم من شواهد غير هذه الكلمة المفردة

(ثانيها) ما يخالف القياس والسماع ، وهذا لا يفتي فيه المثال النادر قطعا ، وقد حاد الاختصاص عن قصد هذا السبيل حين سيع قولهم . هداوي في جمع هدية فجعله مقيسا في كل ما كان لامة ياء ، والحال انه لم ينقل منه الا هذه الكلمة الفاذة عن السماع والقياس اذ المسموع والموافق للقياس في مثل هذا بقاء الياء بحالها فيقال هدايا وهطايا ومزايا وبلايا وسرايا ودنايا

(ثالثها) ما يخالف القياس ولا يكون السماع معادما له كما ورد تصغير فعل التعجب في قولهم : ما اميلحه وما احيسنه ففقدوا وزدوا على خلاف القياس اذ التصغير من مخصصات الاسماء ولم تضرب فيه الافعال بهم ، وصيغة التعجب من قبيل الافعال الماضية ، وانما كان تصغير الفعل غير مصادم للسماع لان العرب لم يدلو على معنى التصغير فيه بصيغة أخرى حتى يقال هذه الصيغة أغني اميلحه واحيسه غلظة للمسموع

(رابعها) ما يطابق القياس ويخالف السماع كما ورد خبر سمي سما سرخمي مونة (المناج : ٨ ج) (٧٧) (المجلد الثاني والمختصر)

« عسى النور ابرضا » وقوله « انى عسيت صائما »

وهذا مطابق للقياس لان الاصل في الخبر الافراد ، وخالف السماع اذ المعروف في خبر عسى يحثه مضارعا مقرونا بان أو مجردا منها .
وهذان القسمان أعني ماخالف القياس فقط أو السماع دون القياس مما جعل الخلاف بين علماء المزية الكوفيون يمتدون بما ورد من ذلك على سبيل الندرة ويعملون بالقياس عليه . قال صاحب الافصاح : عادة الكوفيين اذا سمعوا نقطا في شعر أو نادر كلام جملة بابا أو فصلا ، والبصريون يمتنعون من القياس على الشاذ ويذهبون في مثله الى ان قائله نحاه به خلاف ما يظهر منه ويردونه الى الاصل المعروف عندهم على طريق من التأويل ، وبعض النحاة . كان مالك لا يكف نفسه تأويله ولا يقبله في موضع المطرد بل يصفيه بالشذوذ أو انه خرج مخرج الضرورة ، وإلى هذه الطريقة أوما ابن السراج في الاصول بقوله : ليس البيت الشاذ أو الكلام المحفوظ يادى اسناد حجة على الاصل المجمع عليه وتأويل هذا كتأويل شعبة الحديث واتباع القياس في الفقه . ومن ثلاثة هذا المهم ذكرها في شروط افضل التفصيل ان لا يكون اصل الوصف على وزن افعول نحو ابيض واسود ولما جاء قول الشاعر

جارية في درعها القضاض ابيض من اخت بنو ابيض
انزله الكوفيون منزلة المقياس عليه ، وتأوله البصريون على انه من « باض فلانة » اذا غلبه وقاه في البياض ، وابقاه ابن مالك على ظاهره والقاء الى قسم المسومات الشاذة

والاصوب في كثير من الشواهد طريقة من يقضي عليها بالشذوذ ولا يذهب فيها مذهب التأويل فان من التأويلات التي يرتكبها بعض البصريين ما يكاد الناظر - لتسفياتها وبعدها من نظم اللفظ - يقطع بانها لم تقع في قصد الشاعر ولا حامت حول قريحته

ومن الاقوال الشاذة ما لا نجد للتأويل فيه دخلا ، ومن شواهد ان البصريين يمتنعون ان تجمع الصفة التي لا تقبل تاء التأنيث جمع مذكر سالم نحو اسود واحمر ، واجازه الكوفيون تمسكا بقول الشاعر

فما وجدت نساء بني عيم جلائل اسودين واحمرينا
ولا يخلص البصريون من هذا الشاهد الا بطرحه الى النادر الذي لا يقوم عليه القياس

والتأويل إنما يقتضيه البصريون اذا كان الحرف المخالف المعروف في اللسان وارداً عن فرد أو فردين ممن يتكلم باللغة المألوفة ، وأما اذا ثبت انه لغة قبيلة فلا وجه لتأويله والخروج به عن ظاهره ، ولهذا أبطل ابن هشام تأويلات أبي علي التماري وإبي فزارق ولم « ليس الطبيب الا مالك » برفع المالك لأن أبا حمزة بن الدلاء أثبت ان رفع خبر ليس الواقع بعده « الا » لغة فميم . والتحقق او الشاذل قسمين

أحدهما بان يكون كلام العرب سائراً على سنة معروفة ووضع عام فنقسم الكلمة أو الكلمتان ممن لا يعرف بالفصحى وهي تخالف المعروف في الأصليب فهذا لا تقيس عليه قطباً ، بل الكلمة ونحوها لا تقتضى بها القاعدة التي يجري عليها الفصحى في عامة مخاطبتهم ولو نقلت عن فصيح اذ يجوز ان تكون صيغته منه على وجه القاطع أو التعبد الى تحريف اللغة ، فان السنة الفصحى قد تقع في جهة الخطأ بطوع لم يمتنعوا الى تنفير الكلمة عن وضعها المألوف لمزل ونحوه بما فيها من غريب . ما يرد في الكلام الفصحى وتتحقق انه لم يصدر عن خطأ أو تلاعب في أوضاع اللغة مثل آيات الكتاب الحكيم والاحاديث التي تمددت استنادها ، فهذا يصح لنا ان نقضه بمكان القياس ونسج على مثاله وان أباه البصريون والكوفيون ، فلا نبالي ان تؤكد بلفظ « اجمعين » منفردة عن لفظ « كل » وان منه اكثرهم لوروده في قوله تعالى (لاغوينهم اجمعين — وان جهم لموعدهم اجمعين — لا ملان جهم من الجنة والناس اجمعين)

القياس فيما يقتضى الى التأويل

قد يستعمل نوع من الكلام على وجه شائع ولا يستقيم المعنى الا بتأويله ، ومقتضى مذهب الجمهور المنع من القياس عليه ولو كان وجه تأويله مما يسمه القياس ، وهذا كما قالوا في المصدر الذي كثر مجيئه لفتاً وحالاً انه مقصور عن السماع ، مع انهم يؤولون ما ورد منه على تقدير مضايق أو تحريجه على مجاز . وقالوا ان اسم الزمان لا يخبر به عن القات ، وأولوا نحو قولهم (الليلة الملبلة) على تقدير لفظ طلوع مضاعف الى اللال . والحق ان المنع من القياس في مثل هذا مشروط بما اذا لم يقصد التشكك الى تأويل قريب ووجه مقيس وهو مذهب ابن مالك ، اما اذا نوى اسم معنى يضيقه الى ما بعده واستقام به المراد فانه

يلتحق بسائر الجمل التي يحذف فيها المضاف لقرينة تشير اليه
ومن هذا القبيل انكار الحريري لقولهم « هو قرأني » وليس بمنكر من
القول متى علم المتكلم بان القرابة مصدر ومعد الى اطلاقه على ضرب من المجاز
أو التقدير ، ويدخل في هذا الصدد حكم صاحب المصباح على قولهم « اذن المصير »
بالخطأ مع ان اسناد الفعل الى زمانه على وجه المجاز ليس بعزيز ، وانما يحكم عليه
بالخطأ اذا لم يصدر من بليغ ينحو بالكلام نحو خلاف الظاهر . ويلحق كل هذا
قول ابن قتيبة في أدب الكاتب « الملة يذهب الناس الى انها الخبزة » فيقولون :
اطعنا ملة . وذلك غلط انما الملة موضع الخبزة قال ابن السيد في شرحه « وليس
يمتنع عندي ان تسمى الخبزة ملة لانها تطبخ في الملة كما يسمى الشيء باسم الشيء
اذا كان منه بسبب أو يخرج على حذف المضاف أي خبز ملة » والصحيح ما عرفته
من ان التخطئة في مثل هذا أو التصويب مما يرجح فيه الى حال المخاطب اذ الذي
يطلق الملة على قص الرغيف ويظهر لك من قرينة حاله أو صريح مقاله انه اطلقها
عن اعتقاد انها موضوعه له بوضع حقيقي لا يخلص من سهام التخطئة ولو
احتملت عبارته وجوها في التأويل ممتدة

وحكم ابن قتيبة على قول العامة « نجوع الحرة ولا تأكل نديها » بانه خطأ ،
وقال : الصواب بنديها . فقال ابن السيد أما ما يذهب اليه العامة من ان المعنى
لا تأكل لحم نديها فهو خطأ ، ولكن يجوز على التأويل بحذف المضاف أي
اجر أو نمن نديها أو على المبالغة بحمل أكلها لاجر نديها بمكان أكل الشديين
انفسهما . والتفصيل الذي سبق من النظر في مثل هذا الى حال المتكلم يجري
هنا لولا ان العبارة مثل ، فن قصد بها ضرب المثل على ماورد فقد اخطأ من
جهة تحريف المثل وان كان التركيب في نفسه صحيحا

وجه اختلافهم في القياس

من الجلي ان العرب لم يصرحوا بعمل القياس في شيء من أوضاع كلامهم
وانما علماء اللسان يتنبهون موارده ويتعرفون احواله فأذا وقعوا على حال في
مفردات الانفاظ أو مركباتها قد عمل العرب بها على وجه منضبط ركبوا منها
قاعدة ليقاس على تلك الموضوعات المسموعة مالم ينقل من نظائرها
فن اسباب اختلافهم في القياس ان يتوفر لدى العالم من استقراء الآحاد

ما يكفي لتكوين القاعدة فيجوز القياس ، ولا يبلغ الآخر بتنبه مقدار ما يؤخذ منه حكم كلي فيمنع أن يكون مقياساً
وقد يتساوى الفريقان فيما عرفوه من الشواهد ويكتفي به أحدهما في فتح باب القياس عليه ، ويستقله الآخر فلا يتخطى به موضع السماع . وهذا كاختلافهم في فعل المعتل العين فيظهر من كلام سيبويه أن جمعه على أفعال مطرد، وذهب ابن مالك في التسهيل إلى أنه غير مقيس ، ويرجع خلافهما إلى أن ماورد من نحو مال وأموال وغال وأحوال وحال وأحوال وناب وأنياب وباب وأبواب هل بلغ مقداراً يكفي لأن يجعله مطرداً أم لا ؟ ومن هذا القبيل اختلافهم في جمع الجمع ، فقد ورد منه نحو العشرين كلمة ، وسبب اختلافهم في جمعه مقياساً إنما هو تفاوت أنظارهم في أن ماسم - : هل هو من الكثرة بحيث يقاس عليه أو أنه لا ينهض به حتى يجعله مطرداً ؟

وقد يختلفون في القياس نظراً إلى مايقف لهم من الأحوال التي تعارض السماع ، فالكوفيون الذين يكتفون في بعض الأقيسة بالشاهد الواحد قالوا : أن صيغة المبالغة فعال ومفعول لا تعمل عمل اسم الفاعل . واخذوا يؤولون الشواهد التي سردها البصريون واعتذروا عن عدم قبولها والاختلاف نظارها بأن اسم الفاعل إنما عمل لشبهه بالفعل المضارع في وزنه والصيغ المذكورة لم تحرز الوزن الذي قرب اسم الفاعل من أصله الذي هو المضارع ، والحقها البصريون بمنزلة اسم الفاعل حسب ما شهدت به الرواية وهدموا ما اعتذر به الكوفيون إذ قالوا في جوابهم : أن المبالغة التي قوي بها المعنى في تلك الأبنية جبرت ما قصصها من الشبه في اللفظ ، فنقابل بمشابهة اسم الفاعل للمضارع في اللفظ بزيادة المعنى الذي اختصت به أبنية المبالغة فتحصل الموازنة والتساوي في طلب العمل من غير تفاوت .

تعارض السماع والقياس

إذا تتبعنا جملة من أقوال العرب حتى قامت لنا من استقراءها قاعدة ، ثم وفمت إليها أمثلة نطقوا فيها على خلاف ما تقتضيه هذه القاعدة ، فهل نأخذ في هذه الأمثلة بالقياس أو نقف فيها عند حد السماع ؟
هذا النوع تعددت صوره وتشتت مقالات العلماء في حكمه ، وسنلقي

عليك ما زاره صفوة آرائهم وخلاصة بمنهم
للامثلة الواردة على خلاف ما تقرر في الاسول أربعة أقسام (أحدها)
كلمة أو كلمات قليلة تدور في مخاطبتهم كثيرا ولم ينطقوا فيها على وفق القاعدة
ولو مرة مثل استعوز واستصوب اللذان وردا على خلاف القاعدة القاضية
بقلب واوهما ألفا نحو استقام واستماذ . وهذا القسم يجب استماله على ماسمع
من العرب ولا تنتقض به القاعدة ولا يقاس عليه غيره

(ثانيها) ما يبيح مخالفا للقاعدة في أكثر مخاطبتهم وورد على وفق القاعدة
في أمثلة قليلة كإبراد اسم الفاعل من أبقل على وزن فاعل فقالوا «مكان باقل»
وقياسه «مبقل» وقد تكلموا في بعض الاوقات ، ومن هذا قولهم في أفعل
التفضيل من الخير والشر «خير وشر» وقياسه «أخير وأشر» وقد نطقوا به
في بعض الاحيان ، وهذا يجوز لك العمل فيه على الوجهين بيد ان الوجه
الاكثر في السماع أرجح لانك تتكلم بلهجة قوم رجحوه ولانه مألوف عند
المخاطبين أكثر من الوجه الذي قل في السماع

وما رد في القراءة الصحيحة مخالفا للقاعدة والمسموع من كلام العرب
فما يظهر كقراءة «مأش» بالهمزة نعطيه حكم هذا القسم فنستعمل بما يش
مهيوزة وغير مهيوزة ولا تقيس على المهيوزة غيرها مما كان على وزن مفعلة
(ثالثها) ما لم يدر في كلامهم كثيرا وانما هي الكلمة أو الكلمات ترد في شعر
أو نثر نادر مخالفة للقاعدة مثل ما حكى من قولهم «فرس مقوود ورجل معوود
من مرضه» فهذا لا يؤخذ به في استعمال الكلمة نفسها فضلا عن ان يتخذ قياسا .
(رابعها) أمثلة كثيرة تنجي على خلاف ما وضموه قاعدة وهذا يحتل ثلاثة
انظار (أحدها) طرح هذه القاعدة وعدم العمل عليها لانها ركبت على استقرار
نقص جدا (ثانيها) الاعتداد بها واجراؤها بما لم يسم فقط ثم الاقتصار فيما خالفها
على ما ورد به السماع (ثالثها) التمسك بها والعمل عليها فيما سمع مخالفا لها ايضا
بحيث يكون اللفظ ذا وجهين ، وما الوجه المسموع والوجه الذي تقتضيه القاعدة
ومن مواقع هذه الافكار مصادر الفعل الثلاثي ، قال أحد النحاة : انما
يتمتع فيها على السماع ولا يصح القياس على ضوابطها ولو عدم السماع لانها
كثيرة الانتقاض . وذبح سبويه الى القياس عليها فيما اذا ورد فعل ولم نسم
كيف تكلموا بمصدره ولا يصح ان تقيس مع وجود السماع . وأجاز الفراء

القياس عليها ولو فيها ورد السماع على خلافها
ومقتضى مذهب القراء حيث أجاز القياس في قواعد كثيرة الاعتقالات
وهي مصادر الثلاثي ولو فيها ورد السمع بخلافها أن يميز القياس فيما ورد به السمع
بخلافاً للقواعد الثابتة كقاعدة التصغير واسم الفاعل بأخرى ، فيصح على هذا
أخذ اسم الفاعل من شاب في صيغة فاعل وإن كان المسموع أشيب ، وتصغير
ليلة على ليلة كما قال المتنبي « ليلتنا المنوطة بالتنادي »

وإن كان الوارد في تصغيرها ليلية . ويستفاد من عبارة صاحب التلخيص أن
هذه الطريقة أعني طريقة القراء تجري في مصادر ما فوق الثلاثي أيضاً حيث قال
تجدد قول صاحب القاموس « التبيان ويفتح مصدر شاذ » والفتح غير معروف
إلا على رأي من يميز القياس مع السماع وهو مرجوح

القياس في الاشتقاق

لا يجب على الناظر في المشتقات من اسم فاعل ومفعول وأفعل تفضيل واسم
مكان وزمان وآلة عند ما يريد إنشاء قواعد ما أن يستقر في جميع أحوالها فإنه يتمدد
عليه الوصول إلى هذه الغاية نظراً إلى سعة اللغة وانتشارها إلى ما لا يمكن
الإحاطة به ، وإنما يتبع من جزئياتها إلى أن يأتي على مقدار يفيد ثلثاً قوياً وثمة
بأن اللغة جارية في مثله على اعتبار قاعدة ، والذي لا يبلغه استقراؤه يكون
قاصداً لأجرائه في الكلام على ما يطابق هذه القاعدة ، فيصح لنا أن نعمل على
شاكلتها في كل لفظ يتفق دون أن نتوقف على سماع

وهاهنا إشكال لا يزال يتردد على السنة طلاب العربية ، وهو أن واضح
القباعدة إذا لم يلزمه استقراء جميع جزئياتها وبكيفية أن ينقص جملة منها فإنه
يصرح في بعض الأفعال والمصادر - مثل ويح وويل ونم وبش وعش وليس
ويذر - بأنها لا تتصرف ولا يصح أن يشتق منها اسم فاعل أو اسم مفعول أو
أفعل تفضيل ، وأي فرق بينها وبين ما لم يبلغه استقراؤه من المصادر والأفعال
فيسوغ لنا أن نأخذ منها أوصافاً ولا يجوز لنا أن نأخذ مثل ذلك من ويل
ونم وما شاكلهما من المصادر والأفعال التي يصنفونها بالجمود ؟

وجواب هذا أن الأفعال والمصادر التي لم يسمع لها فروع في الاشتقاق
جاءت على ضربين (أحدهما) ما يكثر استعماله في موارد كلام العرب من غير أن

يتصرفوا فيه مثل ويل ووج ونم وبش وما يماثلها ، وعدم تصنيفهم لها مع كثرة ترددنا في محاوراتهم ومخاطباتهم دليل على قصدهم لابقائها على هيأتها فمن تصرف فيها فقد أتى بها على وجه قصد العرب الى تركه ، والناتق بما يقصون الى امله ناسج على غير متوالج وناتق بنير لهجتهم (ثانيها) ما لا يكثر في مخاطباتهم ولا يدور على السنتهم حتى يستفاد من وروده بهيأة واحدة انهم قصدوا الى ترك تصنيفه ، وهذا هو الذي نعمل به على طبق القاعدة وان لم يبلغنا او يبلغ الواضمين للقواعد ان العرب تلفظوا فيه بصورة موافقة لها ، فيصح لواضع القاعدة او مقلده متى اطلم على فعل او مصدر من هذا النوع ان يشتق منه وصفاً بمقتضى القاعدة وان لم يره مستعملاً في العربية النصحي . قال ابو عمان المازني : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب الا ترى انك لم تسمع انت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وانما سمعت بمفعها فقت عليها غيره . وقال ابن جني بعد ان سرد امثلة من اسم المكان والمصدر الوارد ان على وزن اسم المفعول - : هذا كله من كلام العرب ولم يسم منهم ولكنك سمعت ما هو مثله وقياسه .

فاذا اشتق العرب صيغة للدلالة على معنى واستعملوها في أمثلة كثيرة فانا نأخذ فيها بمذهب القياس ، ولهذا ترى سيويه يصرح بأطراد ما كان على وزن فعال من أسماء الافعال كززال ودراك ، وخالفه المبرد فقال هو مسموع فلا يقال قوام وقماد اذ ليس لاحد ان يبتدع صيغة لم تقلها العرب ، وقد عرفت ان الذي يفرغ الكلمة في قالب أبرزت فيه العرب أمثلة كثيرة على وجه منتظم لا يقال عليه انه ابتدع صيغة لم يقلها العرب ، وليس للمبرد سوى ان ينازع في المقدار الذي سم من صيغة فعال فيرد القياس بأن المقدار المسموع فيها لا يكفي في الدلالة على قصدهم لأطرادها

وجرى الشيخان في صيغة فعال الواردة في النسبة نحو بزاز وعطار على مكرس هذه المسألة فذهب سيويه الى انها غير مقيسة مع اعترافه بكثرة موارد ، ورأى المبرد ان المقدار الوارد من أمثلة هذه الصيغة يكفي لجلها قياساً فيقال عنده لصاحب الدقيق دقاق ولصاحب النكاكة فكاه ولصاحب الشعير شمار : وقرول صاحب القاموس ويقال لصاحب الخبر خبري لاخبار مطابق لمذهب سيويه (يقيم)

الرحلة السورية الثانية

٦

ذكرنا في النبذة الخامسة التي نشرت في الجزء الخامس ان مسلمي بيروت قد تمجدد لهم ثلاث حالات اجتماعية وتكلمنا على الاولى منهن وهي المتعاقبة بالنساء فبقي ان نقول كلمة في كل من الحالتين الاخرتين وفاء بالوعد

(اتفاق المسلمين والنصارى)

الحالة الثانية الميل الى الاتفاق مع النصارى وهذه ليست جديدة بل هي المتبادر من الكلمة وهو انها حدثت بالتطور الذي أحدثته الحرب الاحدية وما تولد منها، بل كانت من تأثير تطور سابق عليها نبه العرب كغيرهم الى المحافظة على جنسيتهم وكان السوريون أسبق العرب الى التنبيه والبحث في ذلك من حيث ان لهم وطنًا خاصًا له حدود ومصالح خاصة فلم تشاركهم فيها الاقتدار العربية الاخرى وأهلهم مؤلفون من أصحاب ملل ومذاهب يرجع أكثرها الى فريقين محمديين ومسيحيين، بحيث يتوقف عمران البلاد وارتقاؤها على تعاون الفريقين وان كان أكثر مجموع أهالي - البلاد في غير لبنان - من الاولين كما ان أكثر رقة الارض لهم

فالحق ان للشعور بالحاجة الى الاتفاق بين المسلمين والنصارى عدة محركات الحرب، وثلاثة قبلها وواحد بعدها، والاخير الذي سبق الى ذهننا عند كتابة النبذة الخامسة من الرحلة. أما المحرك الاول فهو الدستور الذي عاق لآمال بوطنية جديدة عثمانية تقضي على دسائس التفرق في المصالح الوطنية بين المثل والنحل، ولكن لم تلبث هذه الآمال ان خابت فكانت خيبتها بمحرك أقوى وهو اضطهاد الاتحاديين للعرب واجتهادهم في صرف قوى الدولة الى تقوية الجامعة التركية فوالطو زانية وأكرام سائر الشعوب العثمانية على الاندغام فيها بمحو لغتهم وجميع مميزاتهم القومية والوطنية ولا سيما السوريين والعراقيين من العرب، ونلا هذا المحرك الثالث وهو حرب البنان التي انكسرت فيها الدولة انكسارًا حركًا المطلع الاوربية المستمدة لثوب في البلاد العربية لاستمرارها وعلى اثر ذلك تألف حزب اللامركزية في مصر وسورية والاسلامية في بيروت من المسلمين والنصارى، وباتفاق الحزبين مع بعض شبان السوريين المستغنيين (النار : ج ٨) (٧٨) (الجلد الثاني والعشرون)

بتلقي العلم في أوربة تكون المؤتمر السوري وجعلت رئاسة ادارته لحزب
اللامركزية لانه أقوى الاحزاب وأماهرها وأعماها

واما الحرب فقد كانت بويلاتها ومصائبها محركا لسانيا وطنيا للتعاطف
والتراحم كما وصفنا في هذه الرحلة ووصف غيرنا من الكتاب في الجريئ
السورية في جميع الاقطار

واما المحرك الاخير وهو الاحتلال فقد كان يجب ان يكون - بمد تلك
الحركات الممهدة او المؤسدة - هو المتمم للبناء ولكنه كان هادما للاساس
والقواعد وراجعا هؤلاء السوريين المسلمين الى شر مما كانوا عليه قبل تلك
التطورات أو الحركات الدافعات لكل فريق الى السعي للاتفاق مع الآخر
وتكوين جامعة وطنية، وقد كان كل فريق مؤاخذا في هذا اليوم الذي كان
مظهرا لفقد الترية الوطنية والقومية وتغليب التعصب الديني على كل مأسواه
حتى كانه - او لانه - قد صار غريزة او ملكة راسخة لا يزول الا بمجهود طويل
يشتر فيه جيل ويتجدد جيل

ذلك بان الاحتلال المختلط الذي تلا جلاء الترك عن سورية كان مذبذبا
فقد سبق الامير فيصل بمجنوده ورجاله الى احتلال البلاد باسم الحكومة العربية
ورفع على معاهد الحكومة في مدنها علمه العربي الحجازي وكان الاهالي قد
سبقوا الى تأليف حكومة وطنية مؤقتة وتلاه الاحتلال المختلط المثلث تحت قيادة
الانكليز فالتقسمة المثلثة فالتقسمة الثنائية، ولما جاء رجال فيصل اولا خضع لهم
الجميع ورفعت الحكومة اللبنانية علمه على دار الحكومة في (بعبدا) وكانت
المبشرات بالثورة العربية والحكومة العربية الجديدة التي ستقذف البلاد من
اترك (١) قد تفلتت في البلاد بسعي الدولة البريطانية فكان مجيء رجال فيصل
واستيلاؤهم على مصالح الحكومة منتظرا وعده الاهالي أمرا متفقاً عليه بين
الحلفاء - ومنهم ملك العرب - فتلقاه النصارى كالمسلمين بالرضاء والتسليم .

وهنا ظهر تعبير المسلمين وجهانهم بالسياسة وطوائم الاجتماع اذ شكوا
الحكومة السورية المؤقتة اولا والحكومة العربية ثانيا من انفسهم ولم يطلبوا
كبراء النصارى في الجاه والعلم الى التشاور والاشتراك في تأليفها، وقد بحثت
في هذه المسألة في بيروت وغيرها فاعترف لي بعض من ذا ثروت فيها من المسلمين
بالتقصير وانه لم يكن سوء نية اذ لم يكن من تشاور بين المسلمين أنفسهم حتى

أعمال في ذلك فردية فمثل من يلزم في وظيفة يسر إليها. وإنما كان جن سمي إلى ذلك من أفراد المسلمين لما سبق لهم من الدسدي لخدمة الحكومة انعلم في المدارس العثمانية الرسمية لأجل ذلك ،وقال كان النصارى يتسدون لك ويستعدون له أو بدخول مدارس الدولة التي هي الوسيلة إليه . ولو كان سلمين حزب سياسي منظم لما فاته أن يفتتح هذه الفرصة لانعام مائتات في التطورات العربية من اسباب الاتفاق ودواعيه. نعم انه كان في البلاد مية سياسية صربية لها علاقة وارتباط بالامير فيصل ولكن اكثر اعداءها الشبان الذين لم ترتق بهم السياسة الى مثل هذا المنكر

لم تكو تلتزم الحكومة العربية البعثية بالاحتلال العربي حتى تبينها احتلال المختلط من الانكليز والفرنسيين الذي قسم سورية الشمالية الى اقليمين: غربية ساحلية احتلتها الجنود الفرنسية وجعلت لها السيطرة عليها برباسة القيادة الانكليزية المحتلة معها ، وشرقية داخلية احتلتها الجند برني باسم حكومة الحجاز وان كان الجند نفسه مختلطاً والمنظم منه مؤلفاً من يورين والعراقيين وقد جعل له السيطرة في هذه المنطقة تحت رياسة قيادة بريطانية أيضاً . وكان هذا التقسيم مقدمة لتنفيذ اتفاق سني ١٩١٦ . ١٩١٦ وقد اعتمدت السلطة الفرنسية في ادارة المنطقة النورية على صنائهم انصارى ولا سيما الموارنة منهم ما كثرت من الموظفين من هؤلاء فكانت كثرهم رجة لمثل عددهم من المسلمين لان اكثر اعمال الحكومة كانت بأيديهم من الترك ورأى النصارى ان الدولة قد دالت لهم فسرأ بذلك وسرؤا به ولم كن للمسلمين يد عندهم في تلك الايام القليلة التي صار أمر الحكومة اليهم افعأعرضوا عن المسلمين بل صاروا يؤذونهم بالقرل والقمل واعتزوا عليهم نواعتوا كبراء المسلمين شيناً منه في دولتهم التي تعد بالايام لا بالشهور بالسنين ، ونسوا كل ماكان قبل ذلك من حرص المسلمين على الاتفاق معهم الحرب العامة حتى رضوا ان يكون لهم نصف الاعضاء في مصالح الحكومة خبة وغير المشخبة وذلك فوق ما تقتضيه النسبة العددية الماذلة التي تجري جميع الدول الراقية وما كان من علمهم عام ١٩١٦ وانهم ٢٠٠٠٠ في زمن ب . وقد اشتهر ما وضوه من الاناشيد في ذم المسلمين واهانتهم واستدنا الشوارع والاسواق في بيروت في يوم عيد الفصح . ولولا ان اعتصم

المسلمون بالصبر والحلم لوقعت يومئذ مفلة فاشحة تعد سبة لسورية ما بقي الدهر على ان المسلمين لم يكونوا قد ينشوا من سعي فيعدل الى استقلال جيم سورية وجعل حكمها عصرية بل كان رجاؤهم في ذلك عظيما وقد شهد لهم بعض كهراء الضباط الانكباب على الميحيين ولا نحب ان نشرح ذلك ونطيل فيه لكلا يمد انتصارا منا لاهل ملتنا ونحن انما نكتب لاجل التأليف والاتفاق لا لتقوية الشقاق. وغرضنا ان نقول ان مسلمي بيروت شعروا في هذه الحالة بشدة حاجة البلاد في هذه المنطقة الى الاتفاق بينهم وبين النصارى على الوحدة الوطنية ولكن لم يجدوا منفذا للسعي . ويقابل ذلك في المنطقة الشرقية - حيث يقل المسيحيون - ان المسلمين كانوا والحكومة في ايديهم بمجتهدون في استمالة النصارى واشرا كهم في كل عمل ويدون اعطاءهم فوق ما يريدون بحسب النسبة المدددة وقد جرت الاحزاب السياسية على ازالة الصبغة الاسلامية من الحكومة ارضاء لهم وظهر اثر ذلك في المؤتمر السوري والقانون الذي وضعه للحكومة السورية العامة المتحدة فانا اذكر هذا وذلك لا لتسجيل الذنب الاكبر على النصارى وتصغير ذنب المسلمين أو تبرئهم بل لاثبت به اخلاصهم في الميل الى الاتفاق وقد كتبت وأنا في بيروت عدة مقالات في جريدة الحقيقة بامضاء (السيد) دعوت فيها الى الاتفاق بالحجج الناهضة والاساليب الجاذبة ، واجتنب كل ما ينفر من الغاية المقصودة فظهر لها تاثير في زيادة ميل المسلمين الى الاتفاق ولم يظهر لها في النصارى الا أثر ضعيف في بعض شبان المدرسة الامريكانية الجامعة وقيل لي ان آخرين من الاحرار المستقلين قد سروا بها ولكن لم يستجب الدعوة منهم احد ، ولو لا ان كانت تلك المقالات فائضة من روح الاخلاص والانصاف والتلطف في الدعوة لوجد فيها المتعصبون من القوم والذين يخدمون سياسة التفرقة ماخذ للرد عليها ولكنهم لم يجدوا الى ذلك سبيلا ، وقد تقللنا ان الاستعداد للاتفاق يقوى بعمل الزمان عاما بعد عام . حقق الله الامال

التربية المالية مع التعليم المصري

لقد نام المسلمون نومة اجتماعية أطول من نوم اهل الكهف واثقل ، المواقفات التي تصخ الاسماع تنوال من حولهم كالصواعق وقد ضرب على آذانهم فهم لا يسمعون ، ولما بعثوا وجدوا ما يعرفون من سير البشر قد تبدل فصار على غير ما يمهدون ، وأوا التربين قد سادوا العالم وتولوا ادارة شؤونه في

بلادهم وبلاد غيرهم من حيث يشعرون أولئك الاغيار ومن حيث لا يشعرون ،
 حاروا في اسرهم لا يدرون ما يصنعون
 ماذا يعملون ؟ ولماذا لا يدرون ؟ وكيف ينفذون بهذا الجهل المسلمون ؟ القرآن
 صريح بهم من فوقهم ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وشواهد
 هذه القاعدة الاجتماعية القطعية بين أيديهم وعن إيمانهم وشماثلهم
 صفات الانفس التي يتوقف تغيير أحوال الامم بتغييرها هي ما يبعث على
 الاعمال ، من علوم وأخلاق ، وهما يكتسبان بالتعليم والتربية كما ورد في
 حديث « العلم بالتعلم والحلم بالتعلم » فأما العلوم النظرية والفنون العملية ،
 أنصناعات آتية ، ترتقي بارتقاء العمران ، وليس لها دين ولا وطن ، بل يتبع فيها
 سير العمران واختلاف الزمن ، وأما الاخلاق والملكات النفسية ، التي تتجدد
 وبها حياة الامم الاجتماعية ، فهي تختلف باختلاف الامم في المقومات والمشغصات
 المالية والقومية ، وتراعى فيها النوازل القومية والوراثة الجينية ، فالتناسع
 كمادون الذهب والفضة « هم كذلك في أفرادهم ، وفي جماعاتهم وأقوامهم ،
 فالقوم يمرض لهم القوة والضعف ، والمز والذل ، كما يمرض للممدن العقل
 والصدأ ، والتربية والتعليم للأفراد والاقوام كالمقال للممدن الذي يظهر روحه
 الفطري ويزينه ويعظم الانتفاع به ، ولا يقصد به تبديل جنسه ونوعه بتحويله
 الى نوع آخر - فلماذا لم يجار المسلمون الغربيين في أساليب التربية المالية والتعليم
 المدني ومدارسهم بين أيديهم في ديارهم ولا سيما بيروت منها ؟ فأعظم المدارس
 التي أسسها الافرنج فيها المدرسة الانجيلية الامريكانية والكلية اليسوعية ،
 فلماذا لم يقتدوا بهم بتأسيس مدرسة قرآنية أو مدرسة محمدية ؟ على ان سائر
 المدارس التي أسسها الافرنج وتلاميذهم من النصارى الوطنيين دينية التربية
 ومنسوبة الى البطارقة والقديسين من رجال دينهم ، وبالنسبة للتربية الدينية فيها
 كانت مسيحية بخالصة من شوائب الاهواء السياسية - كلاً ! ان كل شعباً من
 شعوب الافرنج قد بث في مدارسها التي أنشأها في الشرق دعوة سياسية تنفع
 فيها من روح الدين والمذهب فكان ذلك أكبر أسباب الشقاق الديني في سورية .
 وقد كان هذا خفياً عن الدولة العثمانية الجاهلة المتساهلة وعن أكثر الناس
 ولكن صار معروفاً للعوام كالخلاس ، اذ ظهر تأثيره بما تجدد من الشقاق
 والشقاق ، بعد تلك المسائل التي مهدت للاتفاق . وهي ما أشرنا اليه في الفصل

الاول من هذه النبذة

علم مسلو بيروت من ضرر مدارس الافوج في هذه الايام فهو ما كانوا يعلمون واهميك بها وقد حلها زوال الحكم العثماني من لبنان على التشدد في اجسادهم من يتعلم فيها من اولاد المسلمين على انهم كانوا لا يسمعون الا لغة النصرانية وحضور وعظها وصلاتها - فاقترست ذلك بالقاء جمعة خطيب دعوت فيها الى تأسيس مدرسة كية اسلامية ، ثم رغبت الى عميرك الداعوق الذي كان رئيس البلدية ان يدعو كبرى الاجتماعات في رضى منهم فاجابوا على امره لا يسمعون دعوتهم الى الاكتتاب لهذا العمل فلبى بالارتياح ، ولما انظم مقدمهم اقيست فيهم خطابا بما يقتضيه المقام من الكلم الذي يرجى ان يقع موقعه في القناع من القول ، والتأثير من القلوب ، وفتح عقب الفراغ منه باب الاكتتاب فدخله الاكثرون وأرجأ الاقلون ، ولكن كل ما كتبوه من المبالغ غير لائق بهما المشروع العظيم ولا يثبت على الرجاء في النجاح فآلمني ذلك وحزني الى القاء خطابي آخر كان شديدا بقدر خلة تألمي وتهمج شعوري حتى قال لي صديقي احمد غنار بهم بعد ايام انه لا يوجد احد قبل منه هذه الهجة الشديدة سرورا ولكن كالي من تأنيب الاخلاص فيه ان ضاعف كثير من المكثفين ما كانوا كتبوه من التبرع ثم ائنا لجنة من كبار الوجهاء اهل الفيزة كانت تطوف على من لم يحضر ذلك الاجتماع في مكاتبتهم وخطارت تجارتهم لاثام الاكتتاب ، وافرأها عمر بك الداعوق وابو علي سليم علي سلام افندي واحمد غنار بك بهم ومحمد افندي الناخوري وورشيد افندي اللاذقي وورشيد رضا كاتب هذا - وقد بلغ الاكتتاب بالمبالغ القهينة بضعه الاغصان الجنيئات مع اكتاب سنوي ، آخر وقد صافرت الى الشام قبل اتمام الاكتتاب فمرفف سيرة ولكن الفسق لم يفت ففقدنا بتاعوا ارضا ولسعة بموار الحرش باسم هذه المدرسة سبتي فيها ان شاء الله تعالى هذا ما تيسر اليه لسميهم الاستعداد لهذا المشروع وهو ليس مما تبيض به الوجوه ، الا اذا نظر اليه من حيث انه بدء جاذ اجتماع في مصلحة يرجى ان تنمي وتزداد بالمنل وقد كنا معشر الساعين اليه غير متروكين بلهفتنا وحبنا استمدايا وذلك اتقنا على انه لا يرجى نجاحه ونباه الا اذا عهد به الى جمعية لتقاسم الخيرة الاسلامية التي ستكون ان شاء الله تعالى من أغنى الجمعيات الوطنية قريبا نوط للعمل بالجمعية ، وسعيانا الى تجديد نظامها وتنظيم جلساتها

التي كانت معقدة فتم ذلك في أقرب وقت بمساعدة رئيسها صاحب الفضيلة مفتي بيروت أدام الله النفع به

ولما شعر المسيحيون بهذا السعي استكبره على المسلمين المستكبرون ، وكرهه لهم ومنهم الكارهون ، وكتبوا في جرائدنا أننا نريد لوطننا السوري مدارس وطنية ، لا مدارس دينية ، فالذين هو الذي فرق كلمتنا ، وأخرى العداوة والبغضاء بيننا ، فرددت عليهم في جريدة الحقيقة بأن المدارس الدينية التي فرقت وفعلت ما فعلت هي مدارس مسيحية لا إسلامية ولا وطنية فإذا رضيتم بتركها واستبدال مدارس وطنية بها فأتنا نضع أيدينا في أيديكم وأموالنا مع أموالكم وأولادنا مع أولادكم ، ولكنا نقول أن الدين لم يكن هو المهرق والمفرق بالعداوة بأمواله وتعاليمه بل بسوء استعمال السياسة الأجنبية له وأتانا بالتربية الوطنية يمكننا أن نجعله من أكبر أسباب الاتفاق والتعاون ، وفي نفوس القرآن والأنجيل ، ما يهدي إلى سلوك هذه السبيل ، وهي التي سلكها فقيد الوطن البستاني الذي اتفق المسلمون مع المسيحيين على احترامه والاحتفال في هذا العام بذكرى مرور مئة سنة من تاريخه

فهلما ننشئ مدرسة وطنية جامعة ونجعل في جانب منها مسجدا وفي جانب آخر كنيسة ، فإن التربية لا تكمل بغير فضيلة والفضيلة لا تكمل بغير دين ، وفي كل من الدينين الإسلامي والمسيحي فضائل كافية ، وهي في الأكثر متفقة أو متقاربة . فليرب كل فريق منا أولاده على عبادات دينه وفضائله ، ومحبة وطنه والتعاون على تربيته ، على قاعدة المنار الذهبية (تتعاون على ما نشترك فيه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه) فنحن مشتركون في أرض هذا الوطن وفي جميع معالجه الاقتصادية والسياسية ومشاركون في القوة فنتعاون على تربية ذلك بجميع قروعه ولبناتنا مختلفين إلا في الدين ومذاهبه فيعظم كل منا الآخر فيه وليعلم الأفراد المارقون من الدين من الترفيع انه ليس في استطاعتهم هدم الدين وهذه البلاد وما يحاورها هي مهددة وسنبت الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام - أولئك المقام الذين يقدس ذكرهم من قبل الملأين في الشرق والغرب ولا يمدون أحدا من الفلاسفة ولا من الملوك والفاطمين مسلويا ولا مدانيا لاحد منهم بل ولا أصحابهم وتلاميذهم لا أولادهم ولا أولادهم المخلصين . بهذا قامت الحجة لنا عليهم والخاص في الدعوة الى المسلحة العامة لا تدخل له حجة لأن الله تعالى هو المؤيد له (قل لله الحجة البالغة فلو شاء لمداكم اجمعين)

سورية عربية بيتاً^(١)

أولاً وآخر

للمالك الكاتب السياسي الكبير الامير شكيب ارسلان
« في البيان »

قبل ان انجلي الاتراك عن سورية كان جميع اهلها عرباً ولم تكن تسم فيهم
سرياناً وعبراني ولا من قبيل الماديّات (الآثار المتبقية) . وكثيراً ممن برزوا لنا
الآن بالحلة السريانية كانوا من صميم القحطانيين يومئذ ، وذلك لان مقصد
مثل هؤلاء كان اخراج الترك حتى يحمل عليهم احدى الدول الاجنبية . فلما خرج
الترك وجاءت عليهم دولة عربية تريد تحرير البلاد باسم العرب وتبني كل من
يريد ان ينقش البلاد من غير العرب جدت عند بعض هذه القلة القليلة من اهل
سورية لفئة لم تكن مهمودة من قبل وهي اننا نحن سرياناً غير عرب وان
لفتنا هي السريانية وانما غلب علينا الانسان العربي منذ قرون ولكن بقيت لنا
فيه لهجة خاصة تسمى بكوننا سرياناً ويا ليتهم قصروا دعواهم على هذا
القول فكنا نوافقهم على كون هذه القلة القليلة هي سريان ولكن طمعوا الى
دعوى اعرض من ذلك وهي ان سورية كلها سريانية وانما بدخول العرب
الفاحين تعلم اهلها الانسان العربي وهذا غاية ما في الامر

تكررت اقاويلهم هذه سواء في جرائد عربية اللغة او اجنبية اللغة والعرب
فلما يحفلون بها لخروجها من التاريخ وامعانها في التحكم وكونها غلطاً او مغالطة
فاوهم ذلك بعض اخواننا من ابناء البلاد انهم على حق فيما يدعون فيه

ومن هذا القبيل رسالة طالعناها آخراً تحت عنوان « الحقيقة ضالتنا
المشفودة » حاول فيها الكاتب ان يثبت كون سورية سريانية لا عربية وانه
لا ينبغي ان ينقل هذا القول على العرب اذ ليس فيه مساس بكرامتهم وكما لا
يفض العرب ان يقول : ان الرئيس ليسوا عرباً . الانكاز ليسوا عرباً . الايطاليون
ليسوا عرباً . فكذلك قولنا ان السوريين ليسوا عرباً وانما هم سريان . توفرت
على ذلك الادلة التاريخية والاركيولوجية والانثولوجية الخ والاعتراف بالحق
أولى . الى غير هذا من الاقاويل التي كنا نحب ان نطوي عنها كصحاً كما طوى

(١) نقل عن عدي جريدة الافكار البرازيلية المؤرخين ٦ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢١

هو عن مناظر حدث عنها . الا انه لما كان بناء من باب التاريخ والحقائق العديدة وكان من الفضلاء المستقرين بالخبر والاثرة المرمين بالدير والنظر . كما يظهر من كتاباته - أحييتنا ان نخوض معه عباب هذا البحث متوخين فيه لوجهة العلمية للصرفة معتمدين على التاريخ - لكن التاريخ الحق الحق الماحص لا الخيل ولا الخن - لان الحقائق لا تكون بالظنون بل بالأدلة وبهذا ذلك ترك نقارئ المذهب ناشد الغلاة التي أشار اليها الكاتب في رأس رسالته الحكم على سب الاكثرية من أهل سورية أمور عربي أم سرياني .

قول : أولاً - ان العرب والسريان (والعبرانيين) هم جميعا من الشعوب السامية لانه قد اتفق المؤرخون الانبات على كون الساميين قسمين (أحدهما) الساميون الشرقيون وهم البابليون والاشوريون ، وبعد ذلك . فالساميون الكنعانيون وهم الذين كانوا في فلسطين قبل اليهود والكنعانيون يكان - واحل سورية أي القينقيون واليهود والاراميون والسريانيون وآراميو فلسطين الذين خلق باقتهم السيد المسيح عليه السلام والتدمريون والنبط

ثانياً - الساميون الجنوبيون وهم العرب وهؤلاء قسما الساليون وهم عدنان ، والجنوبيون وهم قحطان والعرب البائدة وعرب المهر واحل جزيرة سوقطرة وينضاف اليهم السامون والافريقيون وهم الحبشة وهؤلاء ثلاثة اقسام وهم اليتري والتارينة والامارينة ، وكذلك من الساميين أقباط مصر وهم والصوماليون والجبرت من جنس واحد

فالسريانيون اذا هم والعرب من فروع شجرة واحدة متدانية الاغصان يدل على ذلك تقارب ما بين لغتي التريتين حتى لقد يفهم العربي بعض السرياني بدون تعلم بل بمجرد السماع لشدة ما بين اللغتين من القرية ولقد اعترف بذلك الكاتب صاحب تلك المقالة ولكنه تجنب في الموضوع ذكر سبب هذه المشابهة وهو اتخاذ الاصل ووشيجة الرحم بين العرب والسريان . ففسدة السريان الى العرب ليست أبداً من قبيل نسبة التريين ولا الانكاف ولا نسب من الشعوب الاوربية الى العرب ، بل هي نسبة أبناء عموم السلالة بحيث ان الفرق بينهم هو كالفرق بين الفرنسي والاطالي أو الاسبانيولي من تجمعهم اللاتينية أو هو أقل من ذلك

ثالثاً - ان أكثر المستشرقين الاوروبيين لا يرون في أكثر الانام السامية (المنار : ج ٨) (٧٩) (المجلد الثاني والعشرون)

الابلونا من العرب . وان السريانيين هم في الحقيقة الاراميون وان الاراميين كان فيهم عرب كثير لانه ليس المقصود بالاراميين شعبا ذا عرق واحد بل معنى كلمة الاراميين سكان البلاد العالية كما ان معنى كلمة الكنعانيين سكان السهول . كما انه في اواسط آسيا يوجد الارانيون والطورانيون وقديتوهمهم شعبين منفصلين نسباً والحال ان معنى الارانيين سكان الحواضر ومعنى الطورانيين سكان البوادي . ولقد ثبت كون العرب حكوا سورية من على عنق الدهر راحلين اليها من الجنوب فدخل منهم من سكان السهول في الكنعانيين واندمج من سكان الجبال في الاراميين وهؤلاء الاراميون لم يتسموا سريانا الا فيما بعد سبهم بذلك اليونان وادعاه الكاتب ان السريانيين السوريين هم السريان اهل بابل واشور - ولهذا هو يفتخر بمدنيته - هذا فيه ما فيه فان المؤرخين لا يخلطون بين السريان والاشوريين كما خلط حضرة جهلا أو تجاهلا لنرض في النفس

رابعا - ذهب الاستاذ « سبرنفر » الالماني في كتابه « حياة وتعاليم محمد » صلعم وكتابه الآخر الشهير « جغرافية بلاد العرب القديمة » الى ان جزيرة العرب هي مهد جميع الساميين . ومن ذهب الى ذلك من غول العلماء الاستاذ سايس الانكليزي في كتابه « أجرومية اللغة الاشورية » ومثله الاستاذ شرودر الالماني أعلن هذا الرأي في مجلة الشرق الالمانية . ومثله الاستاذ رايت في كتابه « أجرومية اللسان السامية » وهو المدرس بكلية كبرديج . ثم الملامة ماكس مولر قال هذا القول نفسه وغير هؤلاء من العلماء المحققين ذهبوا الى ان جزيرة العرب هي مهد الامم السامية بأسرها فيكون السوريون بحكم الضرورة عرباً في الاصل كما لا يخفى . وذهب آخرون الى ان اصل الاقوام السامية هو من افرقية هاجروا الى جزيرة العرب وفيها نشأوا ونما وتقرمت بميزاتهم ومنها خرجوا الى سائر الاقطار . ومن اصحاب هذا القول روبرت سميت الانكليزي وبارتون الامريكاني وغيرهما وعلى كلا المذهبين يكون مرجع السوريين الى العربية

خامساً - في عهد العائلة المصرية السادسة أُنشد قائد فرسان من مصر لارتياح اراضي سورية فلم يجد هناك سوى الكنعانيين ولم يقف يومئذ على أثر للفلسطينيين ولا للعبانيين هذا في كتاب الملامة المولندي تيل وان كثير

من المؤرخين البعثيين لا يرون في الكنعانيين الا بطنا من العرب . ثم اسر
المصريين الاقدمين حاربوا جيلا اسهم الشاسو في جهات سيناء وخنوب سوريا
وهذا الجبل كان مرييا

سادسا - الفينيقيون هم في سورية قبل السريان وقبل الاراميين وقد ذكر
هيرودوتس ان قسما من الفينيقيين ساءوا الى جهة خليج فارس كما ان العلامة
الانكليزي بينت اجري حفريات كثيرة في جزيرة البحرين استنتج منها
كون الفينيقيين هم من هناك . والى جهة الخليج الفينيقيين جايدا من سواحل
البحر الاحمر ، وعلى كلا الجانبين فهم عرب من نفس جزيرة العرب . وبعد ان
يثبت كون الفينيقيين عربا لا يبقى محل النزاع في مربية القسم الاعظم من
أهل سورية ولا في الدرجة العليا التي يحملها العرب في تاريخ المدينة قبل
الاسلام فضلا عما بعده

سابعا - الانباط هم عرب يمانيون وقد كانت لهم في سورية دولة ومدينة
ومدنية ضخمة تدل عليها آثارهم وانحطابهم وكانت لهم جردود مسجدة في
وادي موسى (بقر) واذ لم يكن من بينهم سوى وادي موسى (بجسور
من الجبال بيوتا فارحين) السكنى فكيف وهناك جرش وما فيها ووطم التي
كانت مروس المشرق ، ومن الانباط المحوريون الذين يقاتل لهم الى نفق الامم
جنوبي نهر الاردن

ثامنا - عند مجيء ابراهيم الخليل الى سورية كان في هذه البلاد عنيوان
أحدهما المحتب في الشمال والثاني العرب الكنعانيون والمموريون الكنعانيون
في الجنوب وقد وجد ابراهيم ملك صادق الملك للرحمة الذي كان في ابراهيم
يسد السبل الاعلى وأدى اليه ابراهيم لكسر وان العلامة جبرائيل في كتاب
المحرمات الآرية في القرن التاسع عشر . يذهب الى ان ملك صادق كان
مرييا . فليظن الانسان في أي دور كان اليهود موكرا ودولته في دورهم
تأصلها من المؤرخون على صكونه أساسا للديانة القديمة هو الهية
والشعارة . وكل الآثار التي عن الملك كثر مراسم الديانة في سورية آتية من
جنوبي جزيرة العرب . وأهم مراسم اليهودية مأخوذة من ديانة مدين وحي
يمانية بمحة والفينيقيون سكان سيناء كانوا عربا من اليمن ايضا
هنا ومن اطلع على كتب ولهاوزن الالماني ودوربرت سميت الانكليزي

المؤرخين البعثيين في الامور الدينية بر ان أكثر هذه المسماة بالطقوس آتية من جزيرة العرب كما ان المؤرخ الامي كافي هارون يورتون ذهب الى ان كل الاديان السامية هي من العرب . أما التجارة فمن المقرر ان أكثرها كان مع اليمن وانها كانت سبب سعادة سورية حتى ان ثروة سليمان بن داود الشهيرة كان معظمها من الاتجار مع اليمن ولا يخفى انه باستمرار القوافل بين اليمن وسورية كثر طراه العرب على الديار السورية وأوطنها وتمكنوا وتشبعوا فيها.

عاشرا - وجد الضجاجة من عرب اليمن في حوران وجنوبي سورية قبل الاسلام باحقاب متطاولة . وفي زمن النبي ايليا أي قبل المسيح بنحو ستمائة سنة جاء القائد نعمان العربي من الشام يستشفى من البرص عند اليشع تلميذ ايليا . ثم كان بنو سليج وكانوا يحكمون حتى أبواب مدينة دمشق أما الفسائنة وم من الازد من عرب اليمن أيضا فقد كانوا في فلسطين والشام وتدمر وكانت لهم القوة والصولة وبقيت عنهم الآثار الباهرة واستمر ملكهم نحو ستمائة سنة - فيما أتذكر - الى ان ظهر الاسلام . فأنت ترى تماقب الدول العربية على سورية من ايام الكنعانيين وملكيعادق الى الانباط والمالقة والفينيقيين الى الضجاجة الى الفسائنة وكل من هذه الامم انبسطت وامتدت وتركزت ملايين من الداراي في ارض سورية .

حادي عشر - كان الغالب على سورية المنصر الوارد اليها من الجزيرة العربية قبل الاسلام فكيف من بعده . وقد جاء العرب المسلمون وفتحوا البلاد واندفق سيل المهاجرة من كل حذب واستمر ثلاثة عشر قرنا الى اليوم . ومما قرره علماء التاريخ ان الحواضر السورية تكسب كثيرا من البوادي حتى ان بعضها قد ينقرض لولا طراه البادية . وليس ورود العرب على سورية واطنائهم سورية مما من قبيل الحدس والتخمين وان ذلك عقلا لابد ان يكون هكذا بل مئات الوف من أهل سورية الآن يحفظون أنسابهم ويعرفون أنفسهم انهم عرب ومنهم من عنده كتابات خطية تثبت دعواه ومنهم من يعتمد على التوار ومنهم من اتقلمت به أسباب العلم عن معرفة أصله ولكنك تعرفه عربيا من سحنته ثاني عشر - اما كون أهل سورية أسدوا لدن الفتح العربي فغيره عليه دليلا واحداً زيد تاريخاً أو نساء مبينا او قرينة قاضية لا يكفي في ذلك مجرد الغن لان الظن لا يغني عن الحق شيئا . نعم اننا لا نستبعد ان يكون كثير من

الافراد عند الفتح وبعد الفتح على توالي القرون دخلوا في الاسلام ولكن لا يؤدي دخول هؤلاء الى كون السواد الاعظم من أهل سورية كانوا يوم الفتح الاسلامي نصارى أو يهوداً وأسلموا . كما ان وجود العرب نحو مائة سنة في جنوب فرنسا وتنصر من بقي منهم هناك بعد جلاء الحكومة العربية عن تلك البقاع ، لا يفيد كون معظم أهل جنوبي فرنسا أصلهم من المسلمين بل يقال ان كثيراً من المائلات في هاتيك الديار ترجع الى العرب . كذلك تنصر عشرات الوف من عرب الاندلس وربما مئات الوف عند ما حلهم فرد بنانيد وايزابلام ديوان التفتيش للشهير بعد ما تم فليب الثاني على اعتناق النصرانية بالسيف والنار وربما خيروهم بين التنصر والجلاء فالذي عز عليه دينه جلا والذي عز عليه ملكه ووطنه تنصر ورغم هذا فلا يستلزم مؤرخ ان يقول ان اكثر سكان ايبانيا أصلهم عرب . فهذه الرواية التي معناها ان أكثر أهل سورية أسلموا عند الفتح العربي لإبصرة لها ، والصحيح ان الامة الفاتحة غلبت ونمت كما هو شأن جميع الامم الغالبة . وان الامم المغلوبة ضعفت وتناقصت كما هو شأن جميع الامم المغلوبة على اسرها ودخل في سورية اقوام كثيرة من المسلمين غير العرب فاستمروا وصاروا عرباً منهم الاتراك ومنهم من المنيول ومنهم من الاكراد ومنهم من الشركس ومنهم مغاربة دخلوا في أيام الفاطميين وغير ذلك ففاق عدد المسلمين في سورية كثيراً على عدد سائر الملل بهذه الاسباب العديدة ثالث عشر - ينبغي لمثل هؤلاء الذين يرمون الكلام على عواهنه ويقولون ان السوريين هم سريان ان يراجعوا التواريخ العربية ما كان منها على مدار الاعراب ودخولهم في الحواضر كالقطنشندي والمترزي وعلى تواريخ الحروب العلية التي حررها مؤلفو العرب وعلى كتب التراجم وأنداب بعض المائلات والمصادر وعلى أخبار القيسية واليمينية وعلى الجغرافيات العربية القديمة بحيث يتكون عندهم التصور اللازم لمعرفة الحقيقة . بل لا يكفي هذا وحده حتى يقرن بالتنقيب بين سكان البلاد وسؤال قبيلة وقبيلة قرية مما يظنون من اصولهم وبعد ذلك يظهر انه ليس الجبل الذي نشأ والملم الذي طمس ما للذان جملاً أهل سورية يقولون « نحن عرب » بل الجهول بتاريخ العرب وبأصلهم والاعتصار على رواية واحدة ما للذان أدب الى القول الجديد « ان السوريين سريان » : ان العرب هي الامة الوحيدة التي يستوي سامها وخاصيها

في معرفة نسبه ولم يبلغ انحطاط العلم في سورية ولا مرة ان جهل العرب فيها أصولهم وما حل المرتاب الا ان يجول بنفسه في البلاد ويستقصي من أهلها من أصلهم ليس الحقيقة لمساً

وابع حفر - ان كثيرا من نصارى سورية هم من أصل عربي غسانة وغيرهم. منهم من بقي بحوران ومنهم من جلا الى دمشق وحاصبيا وبعلبك وزحلة وجبل لبنان . ولا يلزم مني الآن أن اعرض لاسماء هذه البلدان التي تعرف أنفسهم. ولعلنا نذكر ذلك مرة أخرى . وان طائفة الدروز هم من قبائل غم وجذام ويطون أخرى جاءت أبائهم أيام الفتح الى معرة النعمان ثم أسكنهم الخلفاء المباسيون جنوبي لبنان وان أكثر طائفة الشيعة هم من طائفة من عرب اليمن جاءوا الى الشام وزلوا بجبل سمي بهم وهو جبل طائفة أو بلاد بقرارة ولست ادعي اني على شيء من الاحاطة بالنسب عرب سورية فان ذلك بحر زاهر لاساحل له لكن المعروف منه عندنا هو بما نصيق عنه هذه الجملة. وبالاختصار فالسواد الاعظم من مسلمي سورية وطوائف سورية المنتسبة من الاسلام هم عرب ثم مستعربون من أم غير سامية . وان قسما عظيمًا من نصارى سورية هم عرب صراح لا جدال فيهم وان يزل الطائفة المارونية ذاتها التي تنتسب الى السريانية بطونًا كثيرة عربية جلت الى لبنان من حوران باعتراف المؤرخين اللبنانيين من أهل التحقيق ، وسواء اراد بعض السريان أن يفصلوا أنفسهم عن العرب بعد أن استعربوا منذ دهور أو لم يريدوا فان الاكثرية الطائفة في سورية هي للعرب الحقيقيين . انتهى

شكيب ارسلان

حاشية للمصحح: هل كان التغليون الذين حاربوا مع عبد الملك ضد خلافة

سبد الله بن الزبير مسلمين ! هل كانت جيوش العرب المنتصرة التي حاربت مع لعرب في العراق ضد المعجم مسلمة ؟ هل ينكر ان بني الحارث وبني حبيش آل شهاب وآل ابي الاعم من نصارى لبنان — وهم من عليّة طوائف لبنان — ير نصارى ، ولا عبرة بان هذه الطوائف ارتدت ولكن : هل هي عربية أم بجمية ؟ وكتبه صالح مخلص رضا

ترجمة فقيده العلم والاصلاح

أحمد فوزي عمران

بقلم شقيقه محمد بسيوني عمران في (جاوه)

حضرة العلامة المفضل ، ذي الفضل والكمال ، سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاخر متمني الله والمسلمين بوجوده الشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاني أكتب اليكم اليوم ويدي مضطربة وقلبي مملوء حزنا وأسى والمهوم مسدلة على القلوب لما رزقنا بل رزقت به سبب كلها من فقد شقيقنا العزيز أحمد فوزي عمران ليلة الخميس الواقعة في ٢٧ شعبان المعظم سنة ١٣٣٩ الموافقة ٥ مايو سنة ١٩٢١

ألا ان مصيبتنا في فقيدنا المرحوم كبيرة كما كان رجاؤنا فيه لاصلاح الامة كبيرا . لما رزقه الله تعالى من الاخلاق القويمة والصفات الكريمة ، فكان رحمه الله مخلصا قوي الايمان ، قائما بالواجبات ، منزها عن الفواحش والمنكرات صادقا في الجدل والمزل ، عالي الهمة ، قوي الارادة ، ساعيا في مصلحة الامة ، محبا للعمل ، متواضعا ناصحا آمينا ، صابرا حلما ، عزيز النفس ، مكرما محبوا من أقاربه وأصحابه وقومه وجميع من عاشره من مختلفي الاجناس ولكن الله سبحانه وتعالى لم يحقق رجائي ورجاء الامة فيه فقه ما أعطى وفه ما أخذ ، انا لله وانا اليه راجعون ، ألا الى الله نصير الامور

ولد رحمه الله تعالى يوم السبت غرة شعبان المعظم سنة ١٣٠٦ ولما بلغ ست سنوات من عمره علمه والدنا الشيخ محمد عمران مهراب خاتم القاضي سبطي قراءة القرآن الشريف ثم أدخله في مدرسة الحكومة الهولندية لينظم فيها الكتابة الملاوية ومبادئ الحساب وأنا يومئذ في تلك المدرسة أطلب العلم فيها ففان رحمه الله في المدرسة أقرانه وتقدم عليهم ، ولما أنهى دروسه فيها لم يستطع أن يلبثه الحكومة مملا في هذه المدرسة . وفي سنة ١٣٢٨ فوت رغبته في تعلم اللغة العربية والعلوم الدينية وكنت أنا منذ سنتين ونصف جئت من سفري من مكة المكرمة فقلت له : ان أدركت أن تتعلم اللغة العربية والعلم

والعلوم الدينية والدينية (تمصرية) فارتعب الى مصر وأنا اذهب معك فانق رأينا وطلبنا من الوالد رحمه الله الاذن بالسفر الى مصر رأسا لاجل طلب العلم فيها فلم يستطع مخالفتنا في ذلك ، وأخبر الوالد رحمه الله مولانا السلطان محمد صفي الدين بمرادنا ففسره ذلك الخبر وقال له : انا نرجو ان يكون ولدك نبيا لبلدنا . وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٨ سافرت أنا والفقيه رحمه الله وأحمد سعود وسعد علي ، من أهل بلدنا الى مصر القاهرة ذاكرين اسم الله وناوين طلب العلم فيها وفي يوم ١٣ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٨ وصلنا الى مصر القاهرة وزلنا في بيت مصلح الامة العالم العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فالتنا لم نكن نعرف غيره من الناس في مصر ولا محل لرجائنا في تحقيق أملنا وأملنا لتحصيل ما سافرنا وهاجرنا اليه غير هذا المصلح العظيم ، وما كنت أعرفه ولا أخرج فيه مارجونه الا بعد قراءتي المنار فاني اشتريت فيه منذ سنتين قبل سفرنا الى مصر ، وقد قابلنا في محلة مصر شقيقه الفاضل السيد صالح رضا وكان السيد صاحب المنار ينتظرننا في منزله الشريف ولما دخلنا وسلمنا عليه قابلنا بحفاوة واکرام على عظم قدره وعلو مقامه ، وأكرم مثوانا وضيافتنا ولم ينتقل من بيته الا بعد أيام — جزاء الله عنا خير الجزاء — وكان أول ما سألتني عن أحوال مسلمي جاوه وملايو فأخبرته بما علمت وظهر لي انه متأسف من انحطاطنا في الامور الدينية والدينية وانه مهتم بأمورنا الدينية بل والدينية . ولم يكن أحد منا يعرف اللغة العربية سوى كاتب هذه الاسطر .

وكنا نود لو نقرأ على السيد وتعلم منه العلوم العربية والدينية وغيرها من العلوم المصرية ولكن لم يجد وقتا لذلك لكثرة أشغاله واشتغاله بما هو أكبر من أفرائنا وتعليمنا من الاصلاح الديني والديني الصام ومع ذلك لم تقتنا ارشاداته وافاداته وذلك قبل تأسيس مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وأما بعد تأسيسها وفتحها فقد كنت أنا والفقيه رحمه الله نحضر دروس التفسير والتوحيد التي ألقاها السيد في المدرسة ولم نجرم والله الحمد ما كنا نوده وتتمناه وكنت أنا والفقيه رحمه الله نتعلم في الازهر الشريف ويأخذ كل منا معناه خصوصا بأجرة وبغير أجرة .

وكان رحمه الله يقرأ النحو والصرف والفقه ويشغل بحفظ اللغة العربية ، ولم يمكث سنة واحدة بمصر الا وهو يعرف النحو والصرف وينتقش باللغة

المرية ثم أسست مدرسة دار الدعوة والارشاد بالروسة بحجة مصر القديمة وكان ناظرها ومديرها العلامة صاحب المنار ودخلت أنا والفقيد رحمه الله تعالى في هذه المدرسة المباركة بعد امتحاننا فيها واشترطته في طلابها من العلوم التي تعلموها . وكان الفقيد رحمه الله تعالى يجاري طلبه المدرسة المصريين الذين طلبوا العلم في الأزهر نحو ثمانين سنين في العلوم التي تعلم فيها غير أنه رحمه الله لم ينطلق لسانه بالتكلم باللغة العربية انطلاق السنة المصريين . وفي سنة ١٣٣١ سافرت الى وطننا سميس والفقيد لم يزل يطلب العلم في المدرسة ، ويقتثل بالمطالعات والمذاكرات والمكاتبات ، ثم خرج من المدرسة واتخذ معلمين خصوصيين لم يفارقهما حتى سافر الى سميس أول سنة ١٣٣٥ ، وكان قصده التوجه أولا الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ثم الى وطنه ولكن لم يحصل على إذن الحكومة المصرية في السفر الى الحجاز (كانت الايام أيام الحرب الاوربية الهائلة التي كانت الانكياز تخاف فيها السياسة) وكان رحمه الله متبهما بالاشتغال بالسياسة . ولما وجدته الحكومة المصرية من بعض كتبه الي الذي فيه ذكر أخبار الحرب ، وكان لا يكتب الي الا باللغة العربية .

ولما وصل الفقيد رحمه الله تعالى الى سميس أحبه مولانا السلطان وازداد رغبة في الفاء مدرسة تعلم فيها اللغة العربية وعلومها والعلوم الدينية والدينية كالجغرافية والحساب ، وأمر الفقيد بتأليف نظام للمدرسة المرغوب وجودها في سميس فألف رحمه الله نظاما بموجب الامر السلطاني مقتبسا من نظام مدرسة دار الدعوة والارشاد

وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٦ تأسست في سميس والحمد لله بمدرسة عربية دينية تسمى « المدرسة السلطانية » وكان ناظرها ومديرها وأستاذها أساتذتها فقيدها المرحوم المأسوف عليه فكان الاقبال على هذه المدرسة أنثال الله ممرها عظيم من أهل البلد فأدخلوا فيها أبناءهم وبناتهم حتى خرج كثير من طلبه مدرستي الحكومة وانتظموا في سلك تلاميذها ، ومن يوم تأسست المدرسة وفتحت كان وما زال رحمه الله يشتغل بالتعليم فيها الى ١٠ رجب الفرد سنة ١٣٣٨ الموافق ١ مارس سنة ١٩٢٠ فانه رحمه الله استأذن مولانا السلطان في السفر الى الحجاز لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة .

وفي ٢٣ رجب سنة ١٣٣٨ الموافق ١٣ ابريل سنة ١٩٢٠ سافر رحمه الله الى سنغافوره فالى مكة المكرمة ، وقبل أداء فريضة الحج حصل له فيها زيف شديد من فقه فذهب مسرعا الى طيبب الحكومة المجازية . ونقصه ثم غصه وعالجه طيبب جاوي أرسلته الحكومة الهولاندية الى مكة وقال له : ان هذا الداء هو الملل وانك لا بد ان تسافر سريعا الى جاوه . وبعد أن أدى رحمه الله فريضة الحج سافر الى سببس ولم يمكنه السفر الى المدينة المنورة طبعاً وفي يوم الاثنين الواقع في ٥ صفر ١٣٣٩ وصل رحمه الله الى يوكا وهو لم يزل سريضا نحيفا وبعد اسبوع ذهب الى سنكاوغ (احدى قرى سببس) لاجل التداوي عند طيبب الحكومة الهولاندية فقال له الطيبب الهولاندي انك لا بد ان تسال في بتاوي فاني لا يمكنني ان اعالجك هنا . وفي ٣ صفر ١٣٣٩ سافر الى بتاوي ودخل الى أحد المستشفيات هناك ثم نقل الى مستشفى في يوكا وكان لا ينقل الى هذا المستشفى الا من تقدمت صحته ، وفي ٨ رجب ١٣٣٩ وصل رحمه الله تعالى راجعا من بتاوي الى سببس فمرونا عبروا عطيا لانا فلما انه قد شفي شفا تاما اذ لم نرفيه الا سماعا قليلا ، وفي يوم ١٦ شعبان سنة ١٣٣٩ ماوده زيف الدم وازداد مرضا ، وفي ليلة الخميس عند الساعة الثانية ونصف عربية الواقعة في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٩ خرجت روحه الطاهرة بعد ان تلقى بالشهادتين غصلت بالفضة والجزع والحزن من أقارب خاصة ومن الناس عامة فلا حول ولا قوة الا بالله العظيم

كان رحمه الله تعالى أدبيا ، وخطيبا وسطا ، وشاعرا قليلا ، وكان له في العلوم العربية نصيب وهكذا في العلوم الرياضية والمعربة والدينية ، وتدل على ذلك مقالاته التي كتبها باللغة العربية والملاوية ، وكان محررا بمجريدة الاتحاد الملاوية التي كانت تصدر بمصر القاهرة ، وكان رحمه الله يقرأ المنار من يوم عرف العريية وكان آخر قراءته له الجزء الثاني من المجلد الثاني والشرين وله مقالة نشرها المنار أيام كان بمصر . ومن أثر اجتهاده وحسن طريقته في التعلم أن تعلم وفهم في مدة سنتين عدة أشخاص من تلامذته اللغة العربية والنحو والصرف فهما مكنهم من قراءة وفهم الكتب العربية السهلة العبارة ومن الكتابة باللغة العربية على انهم لم يكونوا يعرفون شيئا من اللغة العربية قبل دخولهم المدرسة — ولذلك لما وصل التقيد رحمه الله من سفره نعى بكل

من تلاميذ المدرسة ذكورا وأنا ان يعود اليها معلما ولكن : ماكل مايتنى
المرة يدركه ، وان ارادة الله فوق كل ارادة وقدرته تعالى نافذة وليس لنا الا
الرضا والتسليم لحكمه وقضائه .

وقد قال كثير من الناس بعد وفاة المرحوم : ان المدرسة تموت قريبا فانه
ليس فيها معلمون أكفاء ، والسبب الاول في موتها عدم الاموال التي تحيا
بها والمسلمون بخلاء ضعفاء في الاحوال المالية .

هذا وانني ذكرت ما ذكرت من الاطراء والثناء على شقيقي رحمه الله وهو
حق ان شاء الله تعالى ، ولا فائدة لي وله في ذلك ما لم يستحقه . وشهد له بذلك
جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها كما
تشهد له به آثاره التي لا موضع لذكرها هنا .

سيسب برئيس التربية عمر برا في ٩ شوال سنة ١٣٣٩ الموافق ١٦ يوني ١٩٢١
كتبه

محمد بسيوني مهران

تقریظ المطبوعات^(١)

(كتاب تنویر البصائر ، بسيرة الشيخ طاهر)

صفحات هذا الكتاب ١٥٩ بقطع رسالة التوحيد ومواضيعه ٥٣ وقد
طبع بدمشق الشام بمطبعة الحكومة التركية السورية (السابقة) سنة ١٣٣٩
على ورق جيد . ويطلب من مؤلفه الشيخ محمد سعيد الباني بدمشق الشام
(شيء من مواضيع الكتاب)

المقدمة من المؤلفين والكتاب من يقتصر لما يريد اذاعته فرصة سانحة
فيبدأ فيها بعض ما يريد نشره ومؤلف هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد منهم
لانك اذا قرأت الكتاب وأردت أن تأخذ منه سيرة الفقيه مجردة — كما يحب
المؤلف — لا تكاد تثبت منه الربع وأما الثلاثة الارباع الباقية فهي مواضيع
(١) كتب تقرظ هذا الكتاب وترجمه الشيخ طاهر شقفا السيد صالح مخلص رضا

وآراء في الإصلاح والتراجم والنقد ، فهذه المقدمة وهي من ص ٥ - ١٤ ليس فيها شيء من سيرة المترجم له بل هي مقالة في الدين ولزومه والبدع والمبتدعة الخ أعماله وآثاره . ذكر في هذا الموضوع ما كان من أعمال الفقيه من الاجتهاد في اصلاح الكتابات والمدارس الرشدية وبعض مؤلفاته وما عدا ذلك فهو في استناد العلم وكتبه الخ

استشارته دأب في اللغة العربية . هذا الموضوع في أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيه يزيد على نصف صفحة على انه لم يذكر فيه شيئاً من تلك الدقائق ولا ما استشاره منها وبفته من مرقده ، فهل كان كتاب المختص من جملة ما أحياه ؟ عنايته بأحياء التاريخ . هذه النبذة استغرقت من الكتاب ما يقرب من أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيه سوى ما ملخصه « غني فقيدنا بأحياء التاريخ وارشاد المسترشدين وغيرهم الى مزاوته ودرساته وانام النظر به وبفلسفته والدلالة على كتبه المفيدة والسعي وراء نشرها وطبعها » وما عدا ذلك فكل كلام في علم التاريخ وفوائده ولم يذكر ما أحياه من التاريخ ولا ما نشره منه

سعيه وراء التوفيق بين الدين والعلم والعمران . هذا الموضوع استغرق ما يزيد على ١٦ صفحة ليس فيها عن الفقيه سوى ما يقل عن صفحتين نسب فيه للفقيه ما لم يعرف عنه وما لم يدعه هو لنفسه (انظر ص ٤٩) والا فليقل لنا المؤلف أين مناظرات الفقيه أو كتاباته في الاجتماع والعمران وحاجته المحافظين على القديم وارشاد الطالبين وتعليم المجاهدين

وكيف كان داعية اصلاح والمؤلف نفسه يقول ما ملخصه « ولما رأى جذب الزمان من حكماء الاخلاق وساسة الارشاد ، وان معالم الاخلاق طمست ودراسها قد درست ، وان وظيفته وهي الدعاية الى اصلاح العام (٢) لم تمكنه من التفرغ لارشاد السالكين وعظة الغافلين وترتية الاحداث الخ » انظر ص ٢٩ دعوته الى الاخلاق والتربية . هذا الموضوع أخذ ١١ صفحة كان في الفقيه

نها ٣ صفحات نسب فيها للمؤلف ما ليس فيه وذكر صحبته وجهه للمستشرقين بحبهم اياه والمزاورة بينه وبينهم وسرد أسماءهم

فأنت ترى ان الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات جمل في كل واحدة منها كلمات في المترجم له رحمه الله تعالى وهذه براعة من المؤلف أشكره على التفضل لما

ولكنني آخذ عليه - عملاً بقوله قبيل الخاتمة ص ١٤٢ - « ومن وجد غلطاً في بعض ما عزوته للفقيد فليتنفصل علي بتصحيح غلطني » الخ وبمسد الإطلاع على « المدخل » و « المقدمة » - ما يأتي فأقول : -

أولاً - إن الكتاب بمجموعه لا يصدق عليه اسمه ويصعب جداً أخذ تاريخ حياة الشيخ طاهر منه ، وأن أخذ ما أورده المؤلف من هذه الترجمة لتشتتها بين أطوائه وفي ثبائه على أنها لا تكون صورة صحيحة للفقيد

ثانياً - نسب المؤلف للشيخ تلاميذ ومرتدين ولم يدلنا على أحد منهم والظاهر لنا أنه رحمه الله لم يكن ذا قدرة على التعليم فأننا فلم أنه أقام ضهوراً عدة زبلا عند بعض السوريين في السويس وأراد أن يعلم أحد أولادهم النحو وقد رأينا وشارعنا هذا التلميذ وهو لا يعرف الفاعل من المفعول . فأين م تلاميذ الشيخ طاهر رحمه الله وأين أمكنة دراسته وتدرسه ؟

ثالثاً - لم يذكر المؤلف ما كان له من الآثار في الآثار (الماديات) غير أنه « تعلم كثيرا من الخطوط الكوفي والمشرقي والمبراني وغيرهم (١) » ليتسنى له دراسة الآثار الدارسة ونسبها من عالم الدور الى عالم الظهور

رابعاً - لم يذكر ما كان من عمل الفقيد في التوفيق بين العلم والدين الخ غير أنه كان من علماء كذا وكذا وما لم يدع الشيخ طاهر لنفسه شيئاً منه في حياته وأنه تبادل الآراء مع المستشرقين وأنه كان بينه وبينهم صداقة الخ انظر ص ٤٩ و ٥٠ وكذلك قل عن بقية المباحث . ولو أردنا تتبع الكتاب من أوله الى آخره ما زدنا القراء فائدة ولا المؤلف بصيرة وفيما أوردها كفاية

واليك ترجمة الشيخ طاهر رحمه الله مختصرة مفيدة صحيحة كما وصفها أحد أفاضل علماء الشام ممن له معرفة تامة بالفقيد بعد أن قرأناها عليه إذ قال لي : إنها صورة حقيقية مختصرة للشيخ طاهر فأقول : -

الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي

حياته ومونه ونشأته العلمية

هو الشيخ طاهر بن الشيخ محمد صالح أحد مهاجرة الجزائريين ومنه في المالكية بدمشق الشام ، ولد في دمشق سنة ١٢٦٨ ونشأ في حجر والده وتلقى مبادئ العلم عنه في بيته ، ثم اتصل بالشيخ عبد الغني الميداني فحضر عليه علوم العربية

والفقه الخ وهو استاذ الوحيد . وكان له شغف بالمطالعة والمراجعة حتى صار له مفارقة حسنة في جميع العلوم الشرعية وعنى بقراءة الخطوط العربية وخاصة السكوني منا وتلقى شيئاً من اصطلاحات الهندسة والفلسفة من بعض ضباط الجند اللبناني حتى لم يمدغريباً عن الهندسة النظرية ، وكان ذا حافظه جيدة وذاكرة حسنة لا يئيب عن ذهنه ما قرأه في بعض الكتب من نكتة غريبة أو فائدة ومع هذا لم يكن يستبد على ذكره بل كان يضع في كل موضع فيه مسألة يجيب الرجوع اليها من الكتب علامة من قطع الورق حتى انه اذا قرأ كتاباً ترى خلف الورق بارزة منه ، وكثيراً ما كان يكتب رقم الصفحة واسم الكتاب على قطع من ورق تكون في جيبه الذي هو سقفه (محفظته) وجرايه وكان خريصاً على تلك النكت حتى انه كان يستطرد لوضعها في مؤلفاته ولو في غير موضعها وتوفي في دمشق يوم ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٣٨ ودفن فيها رحمه الله تعالى .

حياته وزيه وعيشته وأخلاقه

كان رحمه الله قمي اللون واسع العينين غائرهما نحيف الجسم أبيض الوجهية يث البزة غير ممتن بنظافة ثيابه وكان لباسه ماتسيه أعراب الشام شعر ويسني له مصر قعطاناً وفي الشام قنبازاً أو غنبازاً فوقه جبة أو جبتان ويتمتع بعامة من الأغنياء وكان كثيراً ما يلبس الثوب مرة واحدة فلا يخلعه حتى يبلى ولا دع الشفوية (المظلة) سيفاً ولا شتاء ويضم على عينيه مناظر لتقريب البعيد فإذا راد القراءة في كتاب رقمها ، وكانت له جيوب في جيبته كالخروج

وكان حديد المزاج ضيق العطن ضعيف المنة تغلب عليه الوحشة ولعله كان سراً من نفسه بذلك اذ كان يحاول أن يستمر الاستياء بمزاج مع جلسائه ومباينة . كان كثير الحديث عن علماء دمشق وأعيانها والاسهاب فيما كان عليه معاصروه بها من الحب والخلل والدهان وما كان يدسه هو من الدسائس ليخلص أو لمن شخصاً أو ليرج مشروماً خيراً من شره ، ولولا انه كان يجاهر بذلك أكثر مجاله ويفخر به ويمر عنه بالدسائس الطاهرية لما استحسن اذ كره وقد

سنا علم اليقين ان من دسائسه ما كان للايقاع لا للاقاذ
وكانت عيشته عيفة الزهاد مع الحرص على الوقت وكانت يقضي عامة ليله المطالعة على ضوء مصباح من البترول ثم رأى ان ينتم بتوره وحرارته معاً كان يأتي بقدر صغيرة فيضع فيها شيئاً يبد طبعه بحكم وضما فوق المصباح

معلقة ويقتدر لنضجه ساعات يتعاهده عند انتهائها ، وكان أحيانا يطبخ القهوة في القدر ويشرب منها عدة أيام وربما تمنع وجهها من طول المكث وكان لا ينام في الليل بل يأتي بينه بعد العشاء ويطالع في الكتب أو يكتب عامة ليله وينام بعد صلاة الصبح الى العصر وكان ولو له بالهيطان والشاي والقهوة جيما مفرطا في كل منها ولم يكن حريصا على المال

كان خلقه التصف والكرم مع الحاجة لا يعيل الى الطعم ولا الدناءة وقد اشتدت به الحاجة في آخر أيامه في مصر فباع معظم كتبه من احمد باشا قيسون وكان ثمنه من ثمنها ، وكان يتصدق في كل يوم بملايين (أعمار القرش) يمددها لك ، وفلا يصدر عن مجلسه وارد بنائدة علمية لانه لم يكن يذكر بين الناس شيئا من وسائل العلم لا مفيدا ولا مناعرا ولا مذكرا ولا سائلا ولا يحيا إذا سأله مستفيد عن شيء أحاله على المراجعة وربما دله على المظان ان كان يرى انه يستحق ذلك ، وكان يرمي الى مقاصده من طرف خفي يدهاه

وربما أوعز الى بعض جلسائه ليوسط بالامر يريده وكان اذا استرسل بالمباشرة أفرط فيكثر من الحركات ويغرب بالضحك حتى يخرج عن وقار الشيخ وكان متعلبا في رأيه لا يرجع عنه ولو الى الصواب ، حكى لي شيخ عالم فاضل أطال عشرة الشيخ طاهر أنهم اختلفوا في كلمة لنوية فكان الشيخ طاهر على رأي تبيين بعد المراجعة انه كان مخطئا فيه ولم يرجع الى الصواب مؤلفاته

ارشاد الالباء ، مدخل الطلاب الى فن الحساب ، قصص الانبياء ، القوائد الجسم في معرفة خواص الاجسام ، مد الراحة الى علم المجاعة ، الجوهر الكلامية في العقيدة الاسلامية ، الجوهر الواسلي ، رسالة في المروض ، وقد أراد ان يجعل هذه الكتب مدرسية وكلها طبعت في سورية ومنها ما أعيد طبعه مرات وله مؤلفات أخرى وهي كتاب التبيان لبعض المساجد المتعلقة بالقرآن على طريقة الاتقان ، طبعه بمطبعة المنار ووثقت على طبعه وحنيت بتوضيحه بأذنه ، وكتاب توجيه النظر في اصول طبعه لها الحاشي بمصر وكتاب الترتيب الى اصول الترتيب ، طبع بمطبعة النهضة بمصر وشرح خط ابن نباتة وامية الالمى ، وكتاب في التعليم الابتدائي وتفسير القرآن الحكيم ، ولعل هذه الاربعة الاخيرة لم تطبع اذ لم ترها وكان هو

الحر والمجلة السلفية التي صدرت في آخر أيام حياته بمصر ، وكان يودعها نبذاً من مقتطفاته العلمية ومن كُتُبِهِ (مفكراته) وكانت تلك المجلة تنوه بكتافته وقد وعدت بطبعها فيما أتذكر ، وله كتاب « تقوم المجلة السلفية » وإن لم يصدر بالمشء

علمه وعمله

لم يشتهر التفتيش وأعرفه لعلم من العلوم ولا تصدى لتدريس شيء منها فلم يعلم له تلميذ عالم أخذ عنه العلم فأية ماهر فيه أنه كان ذا اطلاع على أسماء كثير من الكتب حتى قال بعضهم أنه نسخة من كتاب كشف الظنون أو التهرست وأنموذج لم يحصى بأحصى كتاب من هذين ولكنه كان يعرف مواضع كثير من الكتب وقيل كثير مما يجب نشره ويجب طبعة ولكنه كان ييغل على الوراقين بأرغامهم التي يرى أنهم لا يستحقون ما يتألون من الربح بطبعها . وكانت له مبرة فنية في صرفها على السكوف في أرشده إليها مقابلة أي القرآن المكتوبة على بعض المساجد والأضرحة في دمشق ومصر وكتاب مرض الخطوط للآباء اليسوعيين وله نظم يلحز وقد ألهمه به وهو ما نشر من مؤلفاته ما يدل على صحة اطلاع فانه لا يدل تخريبه وإبداءه ولا على ما يتقنه في العلم أو تمكن منه

وأما عمله فانه كان قد تولى التعليم في المدرسة الظاهرية ثم عين مفتشاً للمدارس الابتدائية الثمانية في سورية فكان فيها مثالا لنشاط والدأء والنصيحة ومن عمله انه سعى لدى مدحت باشا الوزير الثماني الإداري الشهير عند ما كان واليا على سورية بإصدار امره بجميع الكتب العلمية المخطوطة المبعثرة في الدار من الخفية والمساجد بفتحها فكانت مكتبة مفيدة وجمع من البيوت ما أمكن جمعه وجعل في قبة ضريح الملك الظاهر وجعل لها قوام وخدمة ونظام مختص به ، وفي أيام عبد الرؤف باشا والي سورية استحصل على طائفة من الكتب كانت في دور أناس من أعيان دمشق أو جمعها لدى المكتبة الظاهرية . ثم جعل مقتضا على دور الكتب في سورية وفلسطين فقام بذلك أحسن قيام

ومن مساعيه تأسيس المكتبة الخالدية في القدس الشريف ، وقد عين في آخر أيامه عضواً في الجمع العلمي الذي يرأسه محمد كرد علي في دمشق وناظر المكتبة الظاهرية . وكانت الحكومة عازت على درس قبر الإمام إبراهيم لوفروعه في حديقة خارج مدينة دمشق فأجاج الرأي العام ضد ذلك وبقي قبر الإمام محفوظاً سمعه وعناية وأطرا . إذ هذه الحادثة وقعت في أيام مدحت باشا

فَيَسْمُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُدُوا
إِلَهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ

فَيَسْمُونَ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

الْمُتَحَمِّلِينَ

١٣١٥

يُؤْتِي الْمُلْكَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْمُلْكَ
قَدَّ أُوْنِي بِجَاهٍ كَثِيرًا وَمَا يَنْذُرُ
الْأُولَى إِلَّا بِأَمْرٍ إِكْرَامٍ

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام روى « وبناراً » كبرار الطريق —

٣٠ في المحرم ١٣٤٠ - ١٠ الميزان (خ ١) سنة ١٣٠٠ هـ ٢ أكتوبر سنة ١٩٢١

الاسلام وسياسة الحلفاء

قلنا في العدد ١٠٩٠ من المجلد الاول من مجلة المنار اننا نرى

في اوائل العام الماضي ظهر في عالم المطبوعات كتاب تحت العنوان اعلاه للدكتور انسابلو المستشار السياسي بوزارة خارجية ايطالية نقلته الى اللغة الفرنسية الكتابية البليغة الآتية « ما قالى بدنام » فأحبينا تلخيص ما حواه هذا الكتاب المهم لقرائه القليلين لكونوا على خبرة مما نخطه اليوم أعلام المفكرين الاجتماعيين في القارة الاوربية في المباحث الهامة الخاصة باحوال الممالك الاسلامية. قال الدكتور انسابلو : « لا يخفى ان السياسة الاستعمارية لا يمكن ان تكون واحدة في كل الجهات والاقليم وانها تختلف طبقا باختلاف الممالك وتباين عادات واخلاق سكانها مع مراعاة مصلحة كل مستمر بانفرادها وعقائد اهلها وانماهم المذهبي بخلاف السياسة العامة فانها واحدة في جميع الانحاء لانها مرتكزة على معرفة احوال الاسلام الاساسية التي لم تتغير قط اذ بالرغم من المحجبات الخارجية والاقسامات الداخلية فان الاسلام من حيث جوهره لم يتبدل للمدنية التي تولدت منه من الصبغة العالية. ذلك لان الاسلام كان احسن طريقة للواقع والتأخي بين الامم التي اعتنقته على اختلاف عنصرياتها وتباين اجناسها وأمم سبيل للتمارف الروحي، وهذا هو سر قوته وسرعة انتشاره الى اليوم انتشارا حارقا فطاحل العلماء — ومن هنا ندرك أهمية الثمرة التي يجنيها السياسي الحاذق الذي يعرف كيف يستخدم تلك الآلة الدقيقة بنباهة وفطنة. ولا شك ان درس حقائق الدين الاسلامي على هذه الصورة سيعين على ازالة جميع الخرافات التي يروجونها ضد الاسلام وأخص منها بالذكر ما يسونه باليهودية (التعصب الاسلامي) الذي يصورون به الاسلام في شكل هيئة غريبة ترمض اللبس للقضاء على الكفار: بيد أن الاسلام يظهر لمن عرف أسرارها في زي مخالف لتلك على خط مستقيم حيث انه المدنية الوحيدة التي اكتسفت في صلبها كل العقول على تباين مشاربها، وأفسحت مجالا واسعا لكل المساعي الصادقة ولو اختلفت طرائقها، كيف لا والاسلام دين التسامح والكرم الانساني وما صفته ما وجدنا في قوم أو مدينة الا ونهنا بها الى ارقى وأحسن الدرجات الاجتماعية ولا ينقص الامم الاسلامية اليوم بلوغ تلك المرتبة العالية الاسلامية

أمة اوروية لا تخفى تحت كلمات الرقي والتهديب والحرية والأخوة التي تنشرها على الوثنية (الاسترقاق السياسي والاقتصادي) الذي تنفر منه كل نفس أبية اذن فلا خوف مما يسمونه بالانسلام الذي ليس هو الا آلة مرعبة اتخذها أولئك الاتتفاعيون الذين يدعون معرفة الاسلام وهم عنه بعيدون ، وما الحوادث المنسوبة للانسلام الا حركات فكرية عادية لا خوف منها بل ربما أفادت المدنية بكيفية مهولة لو استخدمت لهذه الغاية الشريفة ، ولذا لم يمد هناك موجب للسياسي الاوروبي ان يعني بغير مركز العالم الاسلامي الاقتصادي ، ذلك لان الاسلام من حيث هو قوة عاملة في الحياة الاقتصادية يقدر ان يفي أو يفقر الممالك التي لها علاقة به

ثم نظر الدكتور انبساطو نظرة اجمالية في الاساليب الاستعمارية التي تسلكها الدول الاوروبية بمستمعواتها فأبدى رأيه في كل منها وعما قاله في هذا الشأن « ان سياسة فرنسا بالممالك التابعة لها وان نالت الارجحية نظرا لما امتازت به عن غيرها من حرية الادارة والتسامح الفكري الا انها تقتصر الى فكرة ادارية واسعة بدونها لا يمكن الحصول على الثمرة المطالبة من الاعمال المنظمة التي قامت بها هناك ، ثم قال « انه يجب ان تركز سياسة البلاد الاسلامية على معرفة نظمات الاسلام معرفة دقيقة » ومن هنا انتقل المؤلف الى درس السلطة في الاسلام والقواعد التي تستند اليها فاقى في هذا البحث المويص بأفكار دلت على تضلعه من الفقه الاسلامي وتاريخ المسلمين فقال « ان القرآن الشريف وأعمال الخلفاء الراشدين هي الاصول التي قامت عليها الديانة الاسلامية وحياة الامم الخاضعة لاحكامها ، وان من اراد ان يفهم شئونها وحملهم على المشاركة السياسية يجب عليه ان يقبل مبدئيا كافة قواعد دينهم لانه لا سبيل الى التفاهم مع المسلمين الا اذا عرفوا كما هم لا كما يراد ان يكونوا . والصعوبة الوحيدة التي تعترض السياسي في هذا الطريق انما هي التمييز بين ما لا يتبدل في الاسلام وبين ما هو قابل للتغيير والتطور والانتداب على الحالات الحياتية الجديدة ، لان هذا الدين له خاصية أساسية يجب ان لا نفعل عنها ابدا وهي ملاءمته لكل الظروف بدون خروج عن حدوده الاصلية ومباوحيته لكل الاجيال والاقليم والاخلاق - ومن الغلط ان نعتقد ان المذاهب الاربعة المضبوطة من حيث شكلها هي قواعد مبدئية تعضي

ولا يصعب التوفيق بينها وبين المدينة الحديثة - ذلك لان سنة النبي تمثل تلك الصفة المالية التي اختص بها الاسلام ألا وهي ملامته لجميع الشعوب والأجناس معها اختلفت منازلها والوانها، الا انه يجب على الباحث الاوربي ان يتجنب الآراء الضالة والاغلاط النفسانية الناشئة عن عدم فهم السنة على حقيقتها ولذلك نعلم على حكومة الخلافة اليوم الغاء كل ما قيل أو قرر في الاسلام بعد عهد الخلفاء الراشدين، ولا أقصد بذلك انه يجب اعدام أو احوال أو مس هيكल العلم الاسلامي النبي وهب العالم أكثر القوانين دواما وأدقها من عدة وجوه ولكن حيث ان حكومة الخلافة سنية بكل معنى الكلمة فانها تستفيد من آثار كل المشرعين الذين منهم الائمة الاربعة وتسلخ منها ما تراه موصلا لتلوهوس الامم الاسلامية وسما ترقى به للحياة والمدينة المصرية .

ومن هنا انتقل المؤلف الى درس مسألة الجهاد على اختلاف أنطوارها وشروطها فقال: « ان الحرب مستحيلة قانونا بين الافراد والامم التي لها اتفاقات مع المسلمين وان عقد معاهدات معهم طبق اصول الشريعة المطهرة تضمن لنا السلم المطلق مع كافة اشياع النبي الكريم (صلم) المنتشرين في العالم أجمع الخاضعين لتعاليم الكتاب والسنة الحميدة » ثم بسط القول على اركان الاسلام التي يجب على الدول الغربية احترامها وبالاخص الحج الى البيت الحرام، وختم كتابه البليغ بشرح مسألة الخلافة ودار الاسلام فقال « لا يمكن ان تحل مسألة الخلافة حلا اوروبيا لانها مسألة دينية بحتة وليس لغير المسلمين حق في فصلها وانها ولا يجوز لاروبة المسيحية حملهم على تسويتها أو اكرامهم على ذلك بوجه من الوجوه، وعلى كل حال فالخليفة يجب ان يكون حرا بدار الاسلام الامر الذي يستلزم استقلال المدن الثلاث وهي مكة والمدينة والقدس وكذا الاستانة المالية عن كل سلطة مسيحية - وليست المشاكل التي ظهرت في الشرق بعد معاهدة سيفر الا نتيجة تعامي انجلترا عن التصديق بهذا المبدأ المسلم » ومن هنا تخلف الدكتور انسابالو الى ابداء رأيه في السياسة التي ينبغي سلوكها مع المسلمين فحقيق أن سياسة التآخي وتبادل المصلحة ممكنة بينهم وبين النصارى لان الدروق الدينية الفاصلة بينهم لا توجب التباغض والمعاد لان التباين في تصور الحياة ومظاهرها لا يمنع الثقة والمودة بين الامم - كما أكد وجوب الاعتراف ببقية عظمة المسلمين وبأحقية نظامهم المالية والادارية والاحكام غالبلا - ان اتباعهم أمر طبيعي

وفي مقدرتهم ومن واجبهم الاشتراك بمعاني سبيل المدينة العامة وإن يبذلوا لهذه الغاية من الكد والاجتهاد ما بذلوه في صفوفنا مدة الحرب من الشجاعة والافقدام ، ويرى الكاتب ان تحقيق هذه الاماني لا يتم الا بواسطة الطبقة المنورة من المسلمين تلك الطبقة العديدة الافراد المنتشرة في كافة البلاد الشرقية التي تقاسي من العذاب ألوانا بسبب الظروف الاجتماعية الممرجة المحاطة بها الى الآن فاذا أنجبدنا هؤلاء المفكرين وأيدنا رفائهم فانتاجهم منهم أئمن مساعدة سياسية ويمتقد الدكتور انباطو انه يجب للحصول على ذلك أن نساعد على درس مؤلفاتهم بطريقه عصريه وان نفتتح لهم أبواب المدينة الفريه لانهم سيكونون دعائم السياسة الاسلاميه واكبر الماملين لانهاض المجتمع الاسلامي لقائدهم ولقائده الامم الاروبيه المشرفه عليهم لاضدها - ولكن هذا يتوقف على ان تدرك اروبه المسيحيه ان واجبها يقضي عليها باضاه العالم الاسلامي بشور المدينة والرفان اذ لا سبيل لان نجد بين المسلمين اشياها متفانين في مصلحتنا بالوسائط التي استعملتها اروبه الى الآن كالتجنيد الجبري وبث الدعوة بالصور والشرائط واستخدام أعوان لا هم لهم الا لاكتساب المال أو امتلاك الدنم بوسائل الارشاء على اختلاف أنواعها لان الامم الاسلاميه لا يمكن لها ولا ترضى ان تقبل بالتضحية لغاية مغايره للغاية التي ترمي اليها ، وهنا اضع القاعدة الاساسيه لاتفاقنا مع الاسلام راجيا ان نسم نصيحتي وان تكون كقانون ثابت لا يتبدل وهي ان تسمح اروبه للمسلمين بان يعملوا لصالحهم ولصالح الاسلام . وبومئذ يصبح الاسلام ليس المساعد المهم في اعمالنا التمدنيه فقط بل الصديق والحليف الذي يقلب يقيقه المكين العوالم وبحرك الجبال » اه

(المنازل) لم نر لاحد من كتاب الافرنج كلاما مثل الدكتور انباطو هم بين الحق والمصلحة المشتركة التي لا يمكن التوفيق بين الشرق والغرب بدونها فهذا الكلام مبني على علم صحيح بالاسلام والمسلمين ونصيحة حكيمة للافرنج المستعمرين ، ولكن أهل الشرق والهم من هؤلاء المستعمرين قلما ينظرون في كلام أمثال هؤلاء العلماء الناصحين ، والواجب على العقلاء منا أن يتعاونوا مع أمثالهم في سبيل خدمة الانسانية بهذه الطريقة السلميه فان لم يقبلهم المنهومون الا هم فسيبندمون غدا

عن القضاء والقدر في نظر الغربيين

مقالة منقولة عن المنار الجزء الخامس بحمد مجلة الدجر الاول

هي نخبة من علماء الافرنج بالبحث في اسباب وقعي الاسلام وعلل انحطاطه ودونوا لذلك الكتب الضخمة واستنصرغوا المجهودات الجمة وانفقوا الاوقات الغامضة، فكانت نتيجة مباحثهم مسفرة على ان دقي المسلمين واعتلاء كلمتهم في الاعصر المتقدمة وسرعة انتشار الدين الحنيف في اطراف المعمورة انما الفضل فيه لبساطة تعاليم الدين ووضوحها وموافقها للقطرة التي فطر الله عليها الانسانية، فبساطة تعاليم الدين ونزاهة غرضه وسو مبادئه قد جلبت اليه اقواماً دخلوا فيه اقواجا وهرعوا الى اعتناقه زرافات ووحدانا، فاصبحوا بنبعته اخوانا، وعلى تأييد اغوائه وحماية يبعثه انصارا وأخذانا

اهتدو بهديه وأشرقت على قلوبهم شمس رشده التي أضاءت لهم سبل السداد وأثارت لهم طرق الحق والارشاد فانتشروا في أطراف المعمورة يسعون في تشريك الأمم في هذا النور العظيم ويسلمون على ابقاظ الشعوب الذين كانوا يتامون في ليل من الجهل بهم وشهد التاريخ ودبت الانباء وأجهت كلمة المؤرخين المنصفين على انهم كانوا في تلك الانثناء رائد دم الصدق والاخلاص، وغائدم العدل والاحسان؛ ودليلهم في اعمالهم البر والتسامح والرفق بيني الانسان، اما الصفات التي ساد بها لغدت ماشئت من ثبات وجلد وبقيت في النجاح وسبر على السراء والضراء، وشكر في حالي الشدة والرخاء، وسواء لديهم أطاب عيشهم أم حل بهم ألم اللأواء. هذا الميعزم بقدر الجبال، واتحاد في السر والاعلان، وتقفا على المصالح واعتصام بمجبل الله في جميع الاحوال. هذه الصفات العالية اذ انطبعت في نفوس وهمم عربية زكية عرفنا بها سر تقدم المسلمين وأدركنا منها اسباب انتشار نفوذهم وسيطرتهم بسرعة البرق على أمم ارجاء العالم في ذلك التاريخ على ازاو لكك العلماء الذين أشرنا اليهم في طالع هذا الفصل قد نظروا أيضا نظرة نقد واعتبار في الاسباب التي قضت على المسلمين بالتقهقر في بعض الجهات وما هي العوامل التي أفغنت الى تقلس ظل نفوذهم من كثير من الاقاليم واوتوايات (هذا ومرادهم هنا النفوذ الاسلامي فقط لا الدين والقومية الذان لم يتغير من جوهرهما شيء كما كنا بيناه في مقال قبل هذا) فأطلبوا على ان ذلك نتيجة

لازمة تؤول إليها كل أمة أخذت إلى الترف ومالت إلى الراحة وجبرت في أعقاب الشهوات وأهملت الأخذ بأسباب الحزم وتقاعست عن مجاراة الأمم الراقية في حليات العمل، ففهم من يمزو الفشل الذي حل بالمسلمين لتعاليم دينهم التي يتوهمون أنها تأمر بالراضى بالمقدور والاستسلام للأمر المقضي، وهو وهم شائم عند كثير من الأفرنج . وقد اعتنى بدحض ذلك أكابر علمائهم . وإلى القارئ الكريم مقتطفات من كلامهم تقوم انموذجا على ما وصلوا إليه من بعد الفور في المباحث العلمية ، ودقة النظر في الأحوال الاجتماعية

قال بارتلي سانت ايلير المؤرخ الفرنسي الشهير الذي ولي وزارة الخارجية حوالي سنة ١٨٨١ في القضاء والقدر :

« ومنهم من يتوهم أن الدين الإسلامي يأمر أشياعه بالكسل والفتور وارسال الحبال على الفوارب والاستسلام للمقدور . وهو وهم أدى إليه قلة الثبوت وإهمال الروية في فهم اسرار هذا الدين

« رأينا فيما تقدم (في فصل سيرة النبي عليه السلام) حركته المستمرة وثقته بنفسه واعتماده عليها وما كان توكله على الله بأقل صدقا ، لكن كان يكتنفه حدود محقولة ولم يتمد قط إلى ذلك التماهي المذموم الذي يفرضه العجز والبصر لا القضاء والقدر، القرأت يأمر المسلمين بالاذعان التام والاستسلام لمشئته الله الأمر الذي أوجب عليهم التحلي بالاسم الذي يحملونه وبه يفتخرون . لكننا لم نمر في تعاليم هذا الدين ولا في سنة النبي على ما يشعر بخلق أشرف المدارك النفسانية (الإرادة) وتمطليها عن العمل

« وليست الاحالة على المقادير الاثلة من ضلالات النفوس الضعيفة تغلب عليها الكسل وفاته بحمل واجباتها فاستنامت للأقدار، وحكتها في نفسها تقطع ماتشاه وتختار . عندي أن هذا الفتور الذي عم المسلمين انما كان ناشئا عن هوان الترف والاخلاد للراحة والنميمة فهو عجز عن العمل لاعتقيدة وعلى كل حال فليس القرآن هو الذي يدعو إليه . اللهم الا اذا ارادوا تفسير بعض الآيات على غير ما اشتملت عليه حقيقة . الاسلام شعور يدرك به الانسان ضعفه وعجزه واقتضاه لخالقه ووجوب الخضوع له لاركون اعليائه ولكن ليس ثم ما يبنى بهبذ أهمل قوة وأشرف . وهبة اختصنا بها الباري سبحانه وهي الإرادة .

« وقد تكلم في هذا الموضوع قبلنا « فيل » و « سبرنجر » فلنجمع صوتي

الى اصواتها ونقول : ان هذا ادين لدين عمل لا فضل رغم معتقد الجمهور »
وقال غستاف لويون الفيلسوف الشهير صاحب كتاب « سر تطور المادة »
في كتابه « حضارة العرب » ما يأتي :-

« القرآن لم يأمر الناس بترك السمعي والعمل أو الانسلاخ عن خوض غمرات التنافس
الحيو في فهو في هذا الموضوع لم يأت بأكثر مما في الكتب السالفة التوراة » مثلاً
يمترف نخبة من الفلاسفة ان يجري الامور لا يباحه تبديل، ونظام الخليفة
يبد مبدعة لا يمتريه تغيير، فقد قال لوتر : « تنقح الديانة المسيحية تنفق » معظم
آيات الكتاب في صعيد واحد على مناصبة « الحكم الحر Lidre arditre » وهذه
الايات لا أحصي لها عددا بل هي الكتاب بأجمعه. وهذه عقيدة القضاء والقدر
مفعمة بها الكتب الدينية لاسلك الامم وقد اعتنى بها الاقدمون واعتبروها قوة
ذونها قوى الرجال والآلهة والحوادث التي سطرتها لا يفتكون في وقوعها فهذا
« أوديب » حين أخبره الكاهن ان سيقتل أباه ويتزوج بامه حاول أعينا ايقاف
هذا الامر فطلق يقدم النذور وانويح القربان للآلهة بدون جدوى الى ان
ضربت الايام بضرباتها فاذا هو متزوج بامه قاتل اباه كما هو مشهور. فالتنبى الربى
(صلى الله عليه وسلم) لم يأت بشئ، عجاب فانه لم يخالف طريقة متقدميه ولا طريقة
من يمدد أي علماء العصر الحاضر فانهم يقولون كما قاله « لابلاس » و « بنتر » :
ان علما (الله) يكتشفه في طرفة عين القوى والاسرار التي في الطبيعة على
اتساعها وتباعد اطرافها ومحيط خبرا باحوال الكائنات التي وضعت فيها كبيرها
وصغيرها دقيقها وجليلها من شأنه ان لا يفوته شيء وان يكون علم المستقبل لديه
كعلمه للماضي .

ثم ان عقيدة القضاء والقدر الشائعة في فلسفة الشرقيين وديدن بمض فلاسفة
المصر هي نوع من الصبر والجلد على تلقي مكاره هذه الحياة ودفع حصينة
لمكافحة التوائب والمضائات. وقد كان العرب عاملين بهذه العقيدة في جاهليتهم
ثم استمر عليها المسلمون ولم تدخل في شيء من ارتقايتهم ولا من انحطاطهم اه
(المنار) ان ما شرحناه من حقيقة معنى القدر في القرآن ينقض بناء عقيدة
الجبر التي اتبعنا بها سبق من قبلنا وقتن بها كثير من المتكلمين والصوفية مكان
لها ذلك التأثير حسب كثير من علماء الغرب من الاسلام وما هو منه بل سري
الى اهله عن قبلهم كما فطن لذلك بعض المحققين منهم

٣	خطأ	صواب	٤	خطأ	صواب
٨٤٨٣	بأسنا	بأسه تعالى	٥٢٨	١٠	المفضضة
٥٤٨٥	ولوشاء	ولو شاءت	٥٢٩	١٦	والعروة في العروة
٢٤٨٧	حج	حجة	٥٣٠	١	وكان كان
٧٥	بن	ابن	»	٤	وفرضها وفرضها
٢٥٠٣	هذه	هذا	»	١١	أول اتصال الاتصال
٨	هذه	هذه	»	١٢	بختها بختها
٢٨٥٠٤	انها	بأنها	»	١٣	فيه منه
٢٧٥٠٥	ادارتها وعد	ادارتها وعد	٥٣١	٤	والتمسبب التمسبب
٥٥٠٧	نجاوزه	نجاوزها	٥٣١	٤	فطنوا فطنوا لها
١٧٥١١	الى	الى	»	٥	الشيخ
»	مدار الحان	مدار الحان	٥٣٢	١٠	اعتزال الاعتزال
٢١٥١٢	بجاذب	بجاذب	»	٢٠	تجلى تجلى
٢١٥١٢	نقلوا	نقلوا	»	٢٢	جزهم من
٢٠٥١٣	تنسamy	تنسamy	٥٣٣	١	جزهم من غملا
»	الرافعة الرافعة	الرافعة الرافعة	»	٣	كأخطأ
١٣٥١٧	وافق	وافقت	»	١٧	اتقوا اتقوا
٤٥١٨	له	لهما	٥٣٤	١٢	فيهما فيهما
١٥١٩	وماقتين	وماقتين	٥٣٥	١٨	والفمس
»	مطعم	مطعم فيه	٥٣٦	٦	السبيل السبيل
٩٥٢٠	واذا	اذا	»	٧	الامضاء
»	اذا	اذا	٥٣٨	٢٢	اختلافا
١١٥٢٣	ذكي	ذكي	٥٣٩	١	عينا عينا
٢١٥٢٤	لم يكن	لم يكن	٥٤٢	٤	صغير صغير
»	من القيام	من القيام	٥٤٤	٩	حادثا
٦٥٢٦	خيار	خيار	»	٢٥	أن يستمر
١٥٢٨	خيار	خيار	٥٤٦	١	الارهاق
»	خيار	خيار	»	٣	اتفاقات

بحث لغوي^(١)

في براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الاعجمية

لا يزال اصل اللغة العربية مجهولا أي ليس في كتبها ما يدل على المرجع الذي ترجم اليه الفاظها . وقد وفقني الله الى تبيد السبيل المؤدي الى ذلك أي الى ارجاع كل كلمة الى اصلها والى تدوين قاموس اللغة تدويناً مؤسساً على اصول ثابتة تظهر اللغة بمظاهرها الحقيقية ، والذي حلمي على ذلك ما ظهر من نقوش قديمة محفورة على جدران معبد الدر البحري في طيبة النورية وازاء لقعر من الغرب تدل على ان المصريين القدماء ارادوا تخليد ذكر اصلهم فاثبتوه بالحفر على آثارهم قائلين ان اجدادهم يدعون الاعناء (جمع عنو) أي انهم اقوام من قبائل شتى اجتمعوا في وادي النيل واسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بالمصرية العين (الجنوبية) ومنها العين الجنوبية وهي ارمنت ومنها عين التي سميت فيما بعد دندره . ولما نموا و كثروا تفرقوا في الجهات الجاورة ل وادي النيل ففريق منهم وهو المعروف باسم أعناء الحنو او اللوين توجهوا الى بلاد القير وان وتونس والجزائر وسكنوا فيها ، وفريق آخر يسمى اعناء المنتو هاجر الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر ممتدا الى فلسطين . وفريق ثالث يسمى اعناء السيتو سكنوا القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل . وفريق رابع يقال له اعناء الكنوز وهم اهل النوبة . وهكذا تفرق الاعناء وتوطنوا في الجهات التي ذكرناها وبشوا فيها لغتهم مدة من الدهر فكانت لغة البلاد التي تتكلم الى الآن بالعربية . فاللغة المعربة أي لغة قبائل الاعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بلا سواه بنس النقوش المذكورة آنفا وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصاً صريحاً في آيات كثيرة

قال المفسرون ان في القرآن الشريف كلمات غير عربية لسكنها لانخرجه من العربية كما ان الكلمة العربية اذا وردت في التعميدة الفارسية لانخرجها من كونها فارسية . وانا أخالف هذا القول بخالفة كلية لما سأذكره بعد

(١) للعالم الاتري المحقق احمد بك كمال نقلا عن المختطف (ج ٣ م ٥٩)

هذا وقد جمع المرحوم الشيخ حمزه فتح الله جميع الكلمات الواردة في القرآن الشريف ويقال انها اعجمية وطمعها بامر نظارة المعارف العمومية سنة ١٩٠٢ ميلادية وها اناذ اخالقه في ذلك مبينا انها عربية لورودها في اللغة المصرية القديمة التي هي اصل العربية كما ترى فيما يلي

(١) اكواب وابريق - من سورة الواقعة (٥٦ : ٨) قال الشيخ رحمه الله : الاولى نبطية والثانية فارسية . ومن المعلوم ان اللغة النبطية قريبة من القبطية التي ترجع الى لغة الاعناء واكواب جمع كوب ووردت في اللغة المصرية بلفظ قب وقوب وقبو وبالعبدية كب وبالقبطية كاب وكابي وكبيبي وهي مشتقة من مادة قاب الواردة في اللغة المصرية القديمة وفي العربية أيضا بمعنى شرب فيقال قاب الماء شربه أو شرب كل ماء الاناء ويقال اناء قواب وقوابي : كثير الاخذلماء . ورجل مقاب : كثير الشرب . كما يقال كاب يكوب كابا شرب بالكوب .

فالكلمة مصرية عربية كما يتضح من موادها المذكورة في القواميس العربية أما ابريق فهي جمع ابريق وليست بفارسية بل هي مصرية وجدت مكتوبة في حجر نقش باسم احد ملوك الحبشة وعثر عليه في دقلة فبقيت في العربية بهذا اللفظ وقد جاء القرآن الشريف بها قال تعالى (اكواب وابريق وكأس من معين) أي من ماء طاهر . والكأس ووردت أيضا في المصرية والعبرية بهذا اللفظ وورد أيضا في المصرية كاز وفي القبطية كاجي بمعنى الكوز ومن ثم تعلم ان ابريق وكأس وكوز كلمات مصرية وعربية ليست من الاعجمية في شيء

(٢) اب - ووردت هذه الكلمة في تقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة أبو كما ورت في قرطاس ابرس . وفي القاموس المحيط الاب الكلا أو المرعى أو ما أنبتت الارض والخضر فهي اذن عربية لا أعجمية

(٣) سري - قال الشيخ رحمه الله : انه نهر بالسريانية او القبطية او اليونانية وفاته كما فات غيره من المفسرين انه مشتق من سري يسري وسري به فاشتق منه سري أي النهر لمسيره وجريانه وقد وردت سري في المصرية بهذا المعنى في لوحة الاحصاء وجاء في العربية أيضا نظري يظري : جرى الماء وبطنه لم يتالك لنا . منطها لنة في سري بقلب الفاء سينا لقرب المخرج فهي قرية منها في المعنى لقرينة الجرياذ . وعلى كل حال فادة الكلمة عربية ومصرية وليست بأعجمية كما قال المنسرون

(٤) - هيت قال الشيخ رحمه الله : معناها هلم بالقبطية او السريانية او

المورانية أو المبرانية والحقيقة انها من هيت ه صاح به ودعاه وهيت لك وقد يكسر أوله أي هلم. ووردت هيت بمعنى اقبل ود كرت في العربية والمصرية ايضا بقير التاء فيقال في العربية هيا أي اسرع واقبل عو كدا. وعليه فهي عربية محضة خلافا لما قاله المنسرون

(٥) رس - قال الشيخ رحمه الله الرس البئر أعجمية . مع انها وردت في القاموس المحيط وغيره من معاجم اللغة انها البئر المطلوبة بالحجارة وبها كانت لبقية من عمود كذبوا نبينهم ورسوه في بئر أي دفنوه، اذ من معاني رس الحفر والدفن الميت. وقد ذكرت كثيرا في النصوص المصرية القديمة وكثيرا ما تلحقها تاء التأنيث ومعناها البئر المعدة لدفن الموتى اذ كان من عادة المصريين القدماء ان يدفنوا موتاهم في أباريقها في الجبال والسريرك فهي عربية ومصرية بحتة (٦) قط - قال تعالى في سورة ص (٣٨: ١٦) وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال الشيخ رحمه الله: اي كتابنا بالقبطية . وجاء في القاموس للفيروز ابادي قط بالكسر الصك وكتاب المحاسبة جمه قطوط . والقطاط اي الخراط وهو من مادة قط اي قطع عامة وعرضا او قطع شيئا صلبا كالحقنة . وفي المصرية قط وجمه قطوط أي كاتب والقطاط الخراط او الخطاط (راجع مفردات دارمان الصحيفة ١٣٥) وهي في المصرية من مادة قط أي قطع النقوش في الاحجار أي حفرها بقلم الخمر لان قط وخط معناه في المصرية واحد وهي الكتابة بالخمر أي رسم الشيء بانقطع او الخراط . فالمصرية آثار حقيقة المعنى في الكلمتين . وكان من عادة المصريين في كتابة نقوشهم ان يرسم الكتاب النصوص بالمداد الاحمر على الجدران في المابد او المقابر او نحوها ومنى أنهم اتي القطاط فيعلمها بقلم الخمر شيئا فشيئا حتى يتم حفرها كما يفعل الآن في النقش على الاحجار، وهذا هو المعنى الاصلي لقط وخط فالقطاط لغة في الخطاط أي النقار والنحت أو النقاش وقد يطلق عليه الان في عرف العامة ويقرب من هذا المعنى القديدي والجمع وسيدون نماع المسكر من الصناعات كالمشايح والبيطار (قاموس المحيط) وكانحات لانه اسم مشتق من مادة قد أي قطع مثل قط فالكلمة اذن عربية لاحظ لها من المعجمة

(٧) بم - في قوله تعالى (وما من هم ماعشهم شه ٣٠ ٧٨) قال الشيخ رحمه الله معناها البحر السرياني او العبرانية او القبطية - وهي كلمة

مصرية وردت بهذا المعنى في اللغة المصرية القديمة تطلق على النيل وعلى البحر ويقال لها في القبطية أيام وايوم وايوم بامالة عين الكلمة في اللفظ الثالث وذكر في القاموس المحيط اليم : البحر ويم بالضم فهو ميموم طرح فيه فهي عربية بل مريقة فيها لوجودها مذكورة بلفظها ومعناها في المصرية ثم في القبطية

(٨) — يحور في قوله تعالى (انه ظن ان لن يحور : الانشقاق ٨٤ : ١٤)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : يرجع انها بالحشية . والحال انه فعل متصرف من جار بمعنى رجع وقص وحاوره يحاوره : تراجع في الكلام . وحار يحار حيرة أي نظر الى الشيء ولم يهتد فهي مادة عربية محضة وذكرت في المصرية بلفظها ومعانيها في قرطاس سليل وقرطاس النسطاسي وقرطاس هرس وفي الدنكيكل وفي مدحة النيل للمسبرو

(٩) سينين — في قوله تعالى من سورة التين (٩٥ : ٢ وطور سينين) وهو جبل بالشام ويقال له ايضا (طور سيناء) في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠) في قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء) . قال الشيخ ان الاولى والثانية معناهما بالحشية الحسن . والحقيقة ان اصلهما في المصرية والعربية من مادة ان كذا وانان واين ومأنان ثم ألحق بها السين فصارت سيناء وسينين أي حسن هذا ماأيدته اللغة المصرية القديمة ووجد مطابقاً للعربية وقد جاء في القاموس المحيط سنن النطق أي حسنه ورجل مسنون الوجه مملسه وهي مؤنث سنى من مادة سنيت فهذا يؤيد ان سينين وسيناء لفظان عريان بلا نزاع

(١٠) قيوم — في قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم : البقرة ٢ : ٢٥٥) قال الشيخ رحمه الله معناه الذي لا ينام بالسريرية . وفي المحيط القيوم والقيام الذي لا ند له من اسمائه عر وجل وهو مشتق من مادة قام قوماً وقياماً . وقد ورد هذا اللفظ في المصرية وذكره ارمان في مفرداته (الصحيحة ١٣٦) فقال قيوم صفة واله أوجد نفسه بنفسه سماه اليونان (كاسيفيس) والكلمة مركبة في المصرية من لفظين معناهما قيم الام أي زوج الام أي زوج وام في آن واحد أوجد نفسه بنفسه ثم ركب تر كيبا سرجيا فصار صفة يراد بها الموجود لنفسه فهو ليس من مادة قام العربية والمصرية بل هو كلمة قائمة بذاتها عربية الاصل في كلتا اللغتين

الخيال في الشعر العربي

٧

أطوار الخيال

كان العرب زمن الجاهلية يعيشون في مواطن لا يشهدون فيها غير مناظر
قطرية كالسكواكب ونبض النبات والحيوان أو تتوافق حيوية ووسائل حربية
كالرحى والخفنة والرمح والحسام ، ولغناء قرائعهم وسلامة أذواقهم أضافوا
الى هذه الحقائق ما يخطر على ضائرم ويدركونه بحاسة وجدانهم من المعاني التي
لا تتألفها الحواس الظاهرة كالحب والبغض والرضا والغضب ونسجوا منها على
مثال التخيل صور بديعة

وان رأى المدني اليوم ان معظم تلك الصور من التخيلات القرية فعذرهم
في ذلك انهم لم يدخلوا في مسالك الفلسفة ولا عودوا أنفسهم التنقيب عن
المعاني الغامضة وانما كانوا ينطقون بالشعر على البدهة ، فن وقفت له على معنى
رائع كقول النابغة

وانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع
فقد لفظته قريحته عفوا وانساق اليها بدون اجهاد نظر ، ومن ثم كانت
أمثال هذا التخيل البديع نادرة في أشعارهم ، ولو كانوا ممن يذهب في صوغ
المعاني الى ازواج الفكر وحته على استخراجها من مفاصلها العميق كما يفعل
المولدون لظفروا لهم بنظائر لا تحصى ، ثم ان التخيل كسائر المملكات والصفات
انما تترقى شيئا فشيئا وتتكامل يوما فيوما ، فتطلع زهير بن أبي سلمى مثلا على
تخيلات لا تنظر بها في أشعار من تقدموه بأمد بعيد ، فالعهد الذي يميز فيه
هذا الشاعر عن معنى ان من لم يحب إلى الأمل الصغير يقع تحت وطأة الأمر
الخطير بقوله

ومن يعم أطراف الزجاج فانه بطبع العوالي ركبت كل لهنم
لا يصح ان يكون من أوائل المعور التي ظهر فيها التخيل الشعري فان
هذه الغاية من حسن البيان لا يدركها الناس بفطرتهم الا بعد ان يتقربوا في
سبيلها أطوارا ويقضون في السير اليها أحقابا ، كما ان ابن سفيان الأندلسي لو نشأ
في البشة والمصر الذين نشأ فهما زهير لم يسئل عليه ان يصنف نهر اشملته الله .

يعتمد فيه المد مسافة بعيدة ثم يحصر بقوله

شق النسيم عليه جيب قبصه فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحت ورق الحمام بدوحها هزوا فضم من الحياء ازاره
ثم بزغت شمس الاسلام وكان من أساليب القرآن في الدعوة ان ضرب
الامثال الرائعة وصاغ التشابيه الرائقة والاستعارات الفاتنة والكنايات
اللطيفة ، ويضاف الى هذا ما كان ينطق به الرسول عليه الصلاة والسلام من
الاقوال الطاغية بالامثال والاستعارات والكنايات التي لم تخطر على قلب عربي
قبله ، فكان مطلع الاسلام مما زاد البلغاء خبرة بتصريف المعاني وترقى بهم
الى رتبة سامية في صناعة الخيال

أخذ الخيال يتقدم بخطوات أوسع مما كان يسير به في الجاهلية ولكن
الادباء الى أواخر عهد الدولة الاموية لم يحيدوا عن طرقه المعهودة وبقيروا
أساليبه تغييرا محس به كل أحد ، فلو قال قائل ان عبد الله بن الدمينه أو عمر
ابن أبي ربيعة أو جيلالا أو كثيرا شاعرا جاهلي لم يكن لك ان تدخل الى مغالبتة
وابطال دعواه باقامة الحجة من مناهج تخيلاتهم كان تجلب له من أشعارهم أمثلة
يتكشف بها جليا انهم ساروا في التخيل على نمط لم تنسج عليه الجاهلية ،
ولكنك اذا نظرت في مجموعة الشعر الجاهلي ثم وازنته بمجموعة الشعر الاسلامي
تفنت ان الخيال قد بعد شأوه واتسع نطاقه لانك تقف على تصرفات كثيرة
من تشابه مبتكرة واستعارات لم يحم عليها شعراء الجاهلية وان كانت مفرغة
في قولهم مرسومة على خطهم

ثم ظهر في أوائل عهد الدولة العباسية مثل بشار بن برد وأبو المتاهية
وأبو نواس وعبد السلام الملقب بديك الجن فأصبحت مسافة الفرق بين الشعر
الجاهلي والشعر الاسلامي واضحة لكل من له أدنى تمقل ، فلو ادعى مدح
ان عبد السلام الملقب بديك الجن شاعر جاهلي لكفالك ان تتلو عليه نبذة من
شعره الذي أوغل فيه الى حد يبدو عليه أثر التصنع كالبيت الذي أعجب به
أبو نواس وقال له عند ما اجتاز به وهو يحمم انك قد فتنت به أهل العراق
أعني قوله يصف الحمر

موردة من كف ظمي كأنما تناولها من خده فأدارها
وتجاه بعد هؤلاء ابن المعتز وابن الرومي ومسلم بن الوليد وأبو تمام وقد

استحكمت مرى المدينة ونجحت لهم الحصار في أجل مظاهرها فكأنوا أكثر
من تقدمهم تقنيا في صناعة التشبيه والاستمارة وما يلحق بهما من تصرفات
الخيال كالنورية والمقابلة وحسن التخلص من غرض الى آخر، وهذا لا يمنعك
من أن تقضي لسابقين بأنهم أقوى عارضة وأدري بصناعة الشعر من ناحية
سبك الالفاظ ومثانة بنائها

وبعد ان غمي الناس بالنظر في شؤون الكون وسلوكوا في البحث عن
أسراره طريقا فلسفيا أخذ الخيال الشعري يعمل في الحقائق الفلسفية ويمجري
وراء الفكر كالمسقف له في تصوير تلك المعاني الغامضة كما تراه في مثل قصيدة
ابن سينا في النفس المفتحة بقوله

هبطت إليك من المحل الاوفى ورقاء ذات تمرز وتمسم
وقصيدة المرعي المفتحة بقوله

غير مجد لي ملتي وأغتنادي نوح باك ولا زعم شاد
وقول أبي بكر بن الطويل يصف حال الروح والجسد

نور تردد في ملين الى أجل فانحاز علوا وخلي الطين للكفن
ياشد ما افتراق من بعد ما اجتماعا أظنها هدة كانت على دخن
ان لم يكن في رضا الله اجتماعهما فيالها صفقة تمت على غبن
وفي هذه الصبغة خرج كثير من أشعار الصوفية كما تراه فيما ينسب الى
الشيخ عبي الدين بن عربي وابن الفارض

وقام بأزاء هذا المنزع الفلسفي ان الشعراء عند ما اتسعت دائرة العلوم
الاسلامية ونقلت العلوم النظرية الى العربية مد بعضهم يده الى قضايا هذه
العلوم واصطلاحاتها وخلط بها تصرفاته الخيالية كقول ابي تمام
تخرقاء يلعب بالمقول حبايها كتلاعب الافعال بالاسماء
قول حميد بن يونس

لا نعم من عظم قدر وان كنت المشار اليه بالتنظيم
ولم الحمر بالمقول رمى الخمر بتنجيها وبالتهريم
وقول ابن الخطيب

ونقطة قلب اصبحت منشأ الهوى وعن نقطة موهومة ينشأ الخط
وكذلك كانوا يقتبسون من سائر العلوم والمثائم حتى راق لكتبة

المؤخرين أن يجعلوا قصائدهم كنموذج يلوح به الى علوم شتى
ومما حدث من ممارسة هذه العلوم ايراد التشبيه في أساليب منطقية كقول بعضهم
للم يكن اقحوانا ثمر ميسمها ما كان يزاد طيبا ساعة السحر
ومن قصص أثر الشعر العربي ولا حظ الاطوار التي تدرج فيها الخيال أخذ
في نفسه قوة تساعد على الفصل في بعض الآيات أو القصائد التي يتنازع الرواة
في نسبتها الى قائلها ، فالتقصيدة التي جاء في أثنائها
قالت لطيف خيال زارني ومضي بالله صفة ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ وقلت قف عن زلال الماء لم يرد
يعزوها بعضهم الى الوليد بن يزيد ومن لاحظ أن القصيدة جمعت فنونا
من الخيال لا يفحص عنها ويجمعها في نظم واحد الا شاعر نفا أيام دخل التصنع
في الشعر وهو عهد الدولة العباسية أعرض عن هذه الرواية وذهب الى أن
تكون كما قيل لابي القاسم بن طباطبا المتوفى سنة ٣٤٥ أو ذي القرنين بن حمدان
المتوفى سنة ٤٢٨

ترق التخييل يوم دخل الشعر في طور التصنع ولكن التصنع هو الذي
جر الى استمارات مكروهة وتشاويه سمجة ايضا فقد اقتحم ابو تمام والمنهجي
ومن بعدهم في هذا النرض مساوي لم يرتكبها الجاهلية ، فالعربي العظيم —
وان كان معظم تخيلاته ساذجة — لا يعالج قريحته ليستنبط لك منها مثل
قول ابي نواس

يح صوت المال مما منك يشكو ويصيح
أبو قوله

ما رجل المال أضحت تشتكي منك الكلالا
وتبادى الشعر ما بين تخيل فطري وتخيل فلسفي وتخيل علمي الى هذه الاعصر
وان كان النوع الاول هو الغالب في النظم والمألوف في التخاطب لان التخييل
الفلسفي والعلمي ، انما يليقان بكلام يوجه به الى الخاصة من الناس واما التخييل
الفطري فيصلح لخطاب الخاصة والجمهور
والضرب الفلسفي لا يعد في الحقيقة تطورا في نفس التخييل وانما هو
تطور لحقه من جهة دخوله في منزع جديد أعني الخوض في حقائق وبتن
كونية من طريقة النظر العميق

القياس في الاشتقاق

تابع ما نعرض له الجزء الثامن من ٦٦٦

ومن الاصول التي يراعى فيها في القياس وعدم الاخذ بالامثلة القليلة في تقرير أحكام هذا الباب قاعدة تجنب ما يوقف في لبس واشتباه ، ولهذا لم يميز الجمهور صوغ فعل التعجب واسم التفضيل من الافعال المزيدة لان الصيغة لانسع الا الحروف الاصلية واذا سقطت الحروف الزائدة حميت على السامع معانيها الخاصة كالمطاوعة والتكثير والمشاركة والطلب فيضيق بعض المعاني وتخلو العبارة عن الفائدة المطلوبة ، فما ذهب اليه الاخفش والمبرد من راحة اشتقاق أفعل التفضيل من جيم المزيد غير مستقيم وانما أجاز سيبويه اشتقاقه مما جاء على وزن افعل خاصة اعتماداً على ان ماروى من شواهد قد بلغ من الكثرة مبلغاً يجعل مأخذ القياس عليه سائفاً . ودخل ابن عصفور الى هذه المسألة من باب النظر فأجاز القياس في أفعل خاصة كما يقول سيبويه ولكنه شرط ان تكون همزة لغير النقل نحو أعظم القيل وأقمر المكان لان أفعل الذي يكون همزة لغير النقل (يعني التعدية) لا يزيد على معنى الثلاثي وهو الدلالة على مجرد الحدوث فلا يدخل زنة التعجب أو التفضيل خلل في المعنى وهذا التفضيل وان كان أقرب الى الاصول لم يقبله الشاطبي بدعوى ان الاجماع قد انمقد على ثلاثة مذاهب . والاجماع لا يفرق ولو في الاحكام الامنية :

” ومما يجري على قاعدة تجنب اللبس منهم من صوغ التفضيل والتعجب من المبني للمجهول لان صوغهما منه يؤدي الى التباس وصف الفاعل بما يقصد به المفعول ، وقد حقق النظر من أجاز صوغهما من الافعال اللازمة لصيغة المجهول نحو غني وزهي وهزل وارعد وأنمي ونم واهل ونحي اذ لا يبرض عند ابرادها في احدى الصيغتين التباس

ويدخل في هذا العدد اشتقاق فمیل بمعنى مفعول نحو قتل وجريح وصريع فقد وقف فيه بعضهم عند حد السماع واغلقوا دونه باب القياس وفصل آخرون فمنعوا القياس فيما ورد منه فعيل بمعنى فاعل نحو علم وسمع حيث ورد اسم فاعله على فعيل فقالوا عليم وسميع . وأما قوله فيها عدا ذلك ، فقد نخلصوا بهذا التفصيل من المحذور الذي نحاشاه الذاهبون الى منع القياس باطلاق وهو التباس وصف المفعول بوصف الفاعل

فأصل الاحتراز عن الابس والاسهام في اللغة مكين . بيد انه لا يخلو كذاثر القواعد الوضعية من جزئيات تأتي على خلافه كالاسماء المعتلة المين نحو مختار ومنقاد والعمل المضاعف نحو يضار ويشاد . فان هذه الصيغ تطلق في وصف الفاعل والمفعول ويعول في فهم ما يراد منها على قرينة حال أو مقال . ومثل هذا مما دار على السنة الفصحاء وشاع حتى لم يبق ريب في صحة اطرادهم نفع له بحال القياس ويبقى غيره مما فيه ابهام المراد على أصل المنع حتى ينقض دليل السمع بمجوازه . فاذا وقم النزاع على اشتقاق يحصل منه احتمال بخلاف المراد فالأصل بيد المانح حتى يقيم المميز الشواهد الكافية للقياس .
 'ومما يوردونه عذرا في الحكم - ترد به أمثلة كثيرة ويأبون جملة قياسا مطردا - الاستغناء عنه بصيغة أو صيغ أخرى . كما قال الرضي نافلا عن سيويه ان باب « فعلته » الذي تضم فيه العين للمغالبة مسموع بكثرة ولا يصح القياس عليه للاستغناء عنه بنحو « غلبته » . وربما تعلقوا به لما الوجه في استغناء بعض الفاظ تشامها قاعدة فيحرحون بالمنع من اجرائها على القاعدة . استغناء عنها بصيغة أو جملة تعد مسد الحاجة اليها . كما قال سيويه في الكتاب لا تقول (العرب) في « قال يقليل » « ما أقيله » استغناء عنه بنحو « ما أكثر قائلته » كما قالوا تركت ولم يقولوا ودعت

والذي نرى ان ابطال القياس في مثل المسألة الاولى - أعني باب المغالبة - بطله انه مستغنى عنه بصيغة أخرى غير سديد وإنما المدار على قلة ما ورد منه وكثرته . فاذا كانت الشواهد المروية منه بحيث بلغت ما يكفي للاعتداد به في وضع القواعد صح جملة قياسا مطردا . وليس غنى اللغة بما تملكه من صيغة أو صيغ تقييد معنى خاصا بمنافع من ان يضم اليها طريق آخر يزيد لها سعة على سعتها . فتترادف المفردات والصيغ على غرض واحد في اللغة ليس بعزيز وأما المسألة الثانية أعني الاستغناء عن قولك « ما أقيله » بمثل ما « أكثر قائلته » فهي راجعة الى الكشف عن وجه اهل العرب للصيغة الاولى ، وقد تعرضنا فيما سلف الى حكم اللفظ الذي تتناوله قاعدة ولم نسم في كلام العرب ما يدل على انهم نطقوا به على وقعها ، وذكرنا الفرق بين ما يدور في محاوراتهم بكثرة فنكتفي فيه أثرهم ولا نخرج في تصريحه عن الوجه المنقول عنهم وبين ما لا يكون كثيرا شائعا فيهم - ونغ لنا ان نعرفه وننطق به على ما تقتضيه القواعد

دون توقف على سماع . وكأن الامثلة التي ذكر سيبويه في الكتاب وابن جني في الخصائص ان العرب استغنت عن تصنيفها بمصنغ أخرى ، وجعلوا التلفظ بها على طبق القاعدة خطأ ، كانت في نفاها من القسم الاول وهو بالآ تجاوز فيه حد الرواية ، والوقوف في الالفاظ الدائرة في الخطابات بكثرة حنيد وجهها المسووع وعدم اجرائها في سبيل القاعدة لا يعد في غرائب اللغة العربية . فان في غيرها من اللغات الأخرى كاللغات الألمانية بمبادر بتصريف على وجوه تخالف القواعد المعروفة ، ويصرح علماءهم بوجود التلفظ بها على تلك الوجوه الشاذة ويمدون المتكلم بها على نمط القاعدة قد تعدى حد اللغة واركتب خطأ فاحشا ، بل ترى من أسماء التفضيل المتداولة في ذلك اللسان ما شذ عن القاعدة الى ان ركبه من حروف غير حروف الوصف الاصلي ، على نسبي ما يقول علماء لغتنا ان الخلل - وهو الفار الاعمى - يجمع على مناجد أو مناجيد وتصرف العرب في بعض أسماء الاجناس فاشتقوا منها افعالا وأوصافا فقالوا تميم وتيمورب وتيمجر واستنسر البنات واستنوق الجمل . وقالوا أحنك الشاتين أو البعيرين وفلان آبل الناس أي أشدم تأقفا في رمي الابل . وقد رأى علماء العربية ان الامثلة الواردة في هذا الغرض لا تكفي لفتح باب القياس فوققوا فيه عند حد السماع . وكثيرا ما ينكرون على من ينتزع فعلا من غير مصدر كما اعترضوا على القطب الرازي في قوله « والشيخ في الشفاء ثلث القسمة » بدعوى ان لفظ « ثلث » محدث لم ينطق به العرب . ولم يلتفتوا الى قياسه على ما صح لغة من قولهم خمس وسبع وأمثالها ، حتى استشهد له السيلكوتي بحديث « شر الناس المثلث » يعني الساعي بأخيه ، يهلك نفسه وأخاه وامامه . ولم أر من حام على القول بجمل مثل هذا مقيسا الا عبد اللطيف البغدادي فإنه اعترف في كتاب التكملة بأن لفظ التجنيس والمجانسة مولد وأجازه على وجه القياس وقال هو من لفظ الجنس كالتنوع المأخوذ من لفظ النوع .

واطلاق التصرف بمثل هذا للافراد فيصنع كل على انفراد من أسماء الاجناس وأشباهاها ما يبدو له من أفعال وأوصاف ينفي الى القاء الجمل مركبة من الفاظ لا يألها المخاطبون أو يتعاصى عليهم فهم ما يقصد منها . والمخات الأجنبية يجرى فيها الاشتقاق من أسماء الاجناس أحيانا ولكن الذي يقوم بذلك جمعيات علمية تصوغ الكلمة تضمها في ديوانها اللغوي وتنتشرها بين الناس

القياس في وضع اسماء الاجناس

يقول ابن فارس في طالعته تاليفه المسمى بالعاجي ان اللغة قد قرر قرارها فلا نعلم لغة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم حدثت ، فان تعمل اليوم لذلك متعمل وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم وقد كان للصعابة من النظر في العلوم الشريفة مالا يخفاء به وما علمناهم اصطلاحوا على اختراع لغة أو احداث لفظة لم تتقدمهم . وقال في مبحث آخر من ذلك الكتاب ليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول غير ما قالوه ولا ان نقيس قياسا لم يقيسوه لان في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها . اغلق ابن فارس الباب في وجه من يريد احداث كلمة وادخالها في سلك اللغة ولكنه يبيح لاصحاب العلوم والفنون الاصطلاح على كلمات ينقلونها من معانيها اللغوية ويضمونها بازاء معان خاصة ، بيد انه يفرق بين الوضع الغربي والوضع العلمي فيسمى الاول اسما لغويا والثاني اسما صناعيا . والحق ان اللغة في حاجة الى ان يبقى الطريق الى وضع اسماء الاجناس مفتوحا مثلما بقي طريق وضع الاعلام الشخصية يسلكه الناس فيما يزداد لم من الولد أو يحددونه من الضيعات والقرى . فان العصر ما برحت تكشف لنا من معان لم تظهر ايام كانت اللغة تنسع وتنمي بالالفاظ التي تجري على السنة الناطقين بها عن سليقة المتلقين لها من افواه المرضعات ورعاء الشياه . وليس من الممكن ان نصرف السنتنا عن التعبير عن هذه المعاني بعد ان اندجعت في متاع البيت والتصقت بما يتخذها الناس من الملابس ويمتطون من المراكب ويرتفقون به من وسائل الحياة

ومما يشوه وجه المقالة أو القصيدة ان نضع في نسقها اسماء هذه المعاني الموضوعية في قالب لغة اجنبية وتتلفظ بها على علائها من غير تهذيب وسبك يؤلف بينها وبين ماهر عربي اصيل

فالعربية توسم صدرها لافتراض الاسم من لسان آخر ولكن بعد تنقيحه وصبه في قالب يطابق موضوعاتها الاصلية ، وهي مم ذلك في سمة وغنى بما ملكته من المواد الفزيرة والتصاريف التي تساعد على ان نستمد منها اسماء لاي معنى خرج الى حيز الوجود

وانما يستقيم هذا العمل اذا تربعت له جماعة ذات اطلاع واسع واذواق سليمة فيتحيزون أو يشفقون المذاني الحديثة اسماء مقبولة فيبقون على هذا اللسان حياته وبخفة ثوبه من ان يتسم فرق فاقته فتتسرب اليه قطع من لغة اخرى

انتباه الشرق^(١)

الغرب وبلن سم المستعمرين - سورية وفلسطين - اليمن وعمان - الاناضول ومساعدة - يبر - ازديجان والافغان - شمال افريقية

لاجرم ان الشرق قد بدأ ينتبه من غفلته ويثيب من رقده ، وبمب من نباته العميق ويستفيق من كابوسه الثقيل ، وان ذلك قد لاحت نباشيره منذ وضعت الحرب أوزارها ، وظهرت غيايله في كل صقع من أصقاع الشرق بصورة لا تقبل المغالطة ، ولا تحمل المرأ ، بحيث شمرت أوروبا شعورا تاما بأن الشرق اليوم هو غير شرق الامس ، وان الحرب العامة قد تمحضت بمحولات لم تكن في حسابنا ، وربما تلك انقلابات كان يجوز ان يستأ كل فصالحا القرون والاحقاب فعمجات الحرب في توليدها يوضع سنين فكان الظاهر الذي ظن الغالبون انه سيلقى اليهم بمقاليد الارض بخذا فيرها ويؤمنهم على ترأثها بدون معارض ولا منازع ، هو مبدأ انحلال سلطاتهم الملتفة من قوى الامم الاخرى وفتحها انتشار اسلامهم المنظومة بمجاهيد المستضعفين في الارض ، ومصدق قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) ولا بد أن يأتي يوم يقول فيه الشرقيون — طالما أحزننا نهاية الحرب العامة بما انتهت به وخلو الجو للدولة المستعمرة تاتي بحجراتها على من نشاء ونهضم حق من نشاء وتظن الاجراء قد أصبحوا لها خولا وعبيدا ، ولكن صدق علينا وعليهم قوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تفلحون)

فقد ظن المستعمرون قبل كل شيء انهم يخدعون الامة العربية بمواعيد الاستقلال حتى تنفصل عن الامة التركية ويقع بأس احدهما بالآخرى مما يوفر على المستعمرين الاموال والرجال ، حتى اذا انفصل الغرب عن الترك بعد ذلك وجدوا أنفسهم بين برائن أولئك الخلايين الخداعين وأطبق هؤلاء عليهم قوائم

طبقا بعد طبق يقتسمون بلادهم فيما بينهم تقاسم لا يسار للجزور وينقضي الامر وينتهي النزاع ، واذا تنجز العرب ما تقدم لهم من المواعيد لم يع من صنمته الخلافة ومهنته الكذب والرياء ان يجابوا أولا بالالفاظ التي قد جابوا بها من قبيل : استقلال وتحرير ، وترقية ، وتنمية ، وسيطرة وقتية ، ووصاية أبوية ، وارشاذ الى وقت بلوغ الاشبد . وغير ذلك من الخزعبلات التي لا يحجل أمثالهم من ان يجعلوها شباكا للصيد وخطاطيف للقبض فان لم تنفع هذه الالفاظ ولم تنجح هذه العناوين النخمة في اخفاء المرام وتهوين المصاب فيكون الجواب صرحه برمحه بالسيف والمدفع والطيارة والدبابة وغير ذلك من الآلات المهلكة والنيران المخرقة ويقال ان ذلك انما هو موت لاجل الحياة وقطع للاعضاء الفاسدة لسلامة الجسد وتخريب من أجل المدينة وهمجية لاجل الإنسانية (!!!) ولكن ساء في هذه النوبة فالهم وكذب عالم ورأوا من العرب ما لم يكن يحظر لهم على بال اذ وجدوا هذه الامة بعد اتصافها عن الامة التركية أشد تمورا من حكومة الاجنبي مما كانت من قبل ، وما وضعت الحرب العامة أوزارها من جهة وطن الحلفاء الغالبون ان البلاد قد بردت لهم عفوا صفوا حتى لقت الحروب في الشرق الأدنى والوسط من الجهة الاخرى وقام العرب ينادون بالثارات بمن نكثوا بالوعود وخفروا المهود وتورطت انكلترا في العراق في حرب زبون لم يمد لها نهاية فبقيت سنتين ونصف سنة توالي البعث على البعث وتلف الزخوف على الزخوف وتكور الطيارات على الدبابات والدبابات على الطيارات وتحرق القرى وتنسف المنازل وتهلك الحرث والنسل وبلغ عدد جنودها في العراق ١٢٠ ألف مقاتل وبلغت نفقاتها السنوية هناك ٥٠ مليون ليرة انكليزية وهي لا تفوز بطائل ولا تصل الى غاية تذكر ولا تزداد من اهل تلك البلاد الا بغضا وعدوانا . وسخينة وشناكا الى ان يئست من تدويع العراق بالسيف وبعد ان كانت لا تعير مطالب اهل العراق ادنى بال وكانوا يشكون اليها فيشكون الى غير مصمت (١) عادت هي تستمرخ الملك فيعمل وذوبه الى حمل العراق على قبول حكومة وطنية يكون لهم فيها الاستقلال الداخلي ويكون لانكلترا النيابة الخارجية وعادوا هم لا يرضون بهذه الدرجة من الاستقلال ويريدونه تاما ويلتجزونه باناء مطلقا ولا يرضخون للانكليز الا من بعض مسائل

اقتصادية لا غير مع ان العراق قبل الحرب المدوم لم يكن بحسب احدا انه يطوي على مثل هذه القوة ولا أنه يقتضي لتدوينه اكثر من تواريخ معدودات ، وليكن الحرب العامة أضاعت كل حساب وأنت من ظهر الغيب بما كان يظن من الاحلام : ومثل ذلك سورية التي كانت تظن فرنسا انها تقبض عليها بمجرد خفوق العلم الفرنسي على ثكنة بيروت قد كلفت فرنسا الى الآن ازيد من ١٠٠ مليون ليرة وعشرات الوف من الماكروم تكسب من وراء ذلك سوى زيادة الاحقاد والاعن والقاح المداوات والفتن وكوؤ من كان يناوئها قبل الاجتلال قد ازداد برأيه يقيناً وبغذبه استنصاراً ومن كان يميل اليها قبل ان خبرها من قرب وقارها تحت العمل قد تحول عنها تحولات فيه اعداءها الإميلين واتفتت كلمة الجميع على طلب الاستقلال التام ولو كان كل يسمي به الى ناحية وعليه قاله ياني بنادي باستقلال لبنان والسوري ينادي باستقلال سورية ، وللبلطيني ينادي باستقلال فلسطين ، وليس من كل هؤلاء من رضى بسيطرة فعلية لفرنسا ولا بكثير أو لغيرها بل غاية ما هناك عدة مأمورين من باعة الدم وتجار الضباط وعدة سحف من قبيل الربايات المرفوعة عند البدأ وزمورا لاهراس يرف عليها المازفة لمن شاء ولمن يرض البخت على رأي اصحاب هذه الآلات ، فهؤلاء لا يزالون يتشدقون بلفظة « انتداب » ويتمنقون بكلمة « ارشاد » وعبارات موهجة وهمل مزخرفة من قبيل « الاخذ باليد في معترك الحياة » ومن طائفة « تسديد الخطوات الى السير في طريق التقدم » وما اشبه ذلك من الكلمات الفارغة المخالفة للواقع وتشدهم يدوم مادامت يد فرنسا في حلقهم وما دام سيفها منصوباً أمام أعينهم فأما ولا بد لفرنسا وقد بلغ دينها ٣٨٨ ملياراً أي أربعين على مجموع ثروتها العمومية بكثير (لان مجموع ماتملكه فرنسا لا يزيد على ٢٨٠ ملياراً) من ان تعجز عن متابعة بذل المبالغ الطائلة على جيش احتلال سورية كما عجزت عن متابعة غزو كليكية فبمجرد تقلص الظل العسكري من هناك تحس فرنسا بخيانة هؤلاء الذين اذا كانوا اخوة لا وطنهم فهم اولى بأن يخونوها هي وان لا يصدقوها القول ولا ينخلوها النصيحة وان يقلبوا لما ظهر الجبن عند اول غرة لاثثة ، وسواء كان مثل هؤلاء معها أو عليها فلن يقدروا ان يؤثروا شيئاً في تحويل مجرى الاحوال العامة اذ لا بد لاهل سورية من نيل استقلالهم التام الناجز الحق بالفعل اليالي عن المماثلة المرتقم عن المناطلة ولا

بدلنا من الرجوع في امر سورية لا الى رأي (الوسيباليت) فقط بل الى رأي كثير من الحزب المعتدل بل الى رأي المسير بوانكاره نفسه وهو القيام في سورية بهمة استشارية محضة بل كيف تقلبت الامور فالعرب لن يتروا سورية لفرنسة ولا بد من ان يأتي اليوم الذي ترجع فيه فرنسة الى طريقة انكلترة في العراق بل الى اقل منها على حين يكون ما تركته من الحق في قلوب العرب مثلا دون كل امتزاج مائلا من كل هواة بين الفريقين .

وأما فلسطين وما أدراك ما فلسطين فان انكلترة قد ظنت مجرد اعلان معاهدة الصلح ووصايات عصبة الأمم والامر الملكي الصادر لاهل فلسطين بتقرير هذه البلاد وطناً قومياً لليهود وفقا لتصريحات بلفور في أواخر أيام الحرب ظنت كل هذا كافيا للفت في اعضاء الفلسطينيين والتل من غروب هوائهم بحيث يستنبذون الى الطاعة ويخلدون الى السكون على قلة عددهم وتقصص شرائط انتفاضهم فرأت من هذه الجهة أيضا لها باصراً وحملت من حماية اليهود أمراً اداً وسوف تعلم هي ويعلم اليهود انهم يحاولون قلع الجبال ولا يحصلون على أدنى طائل ، وان الفلسطينيين كالسوريين والراقيين والمصريين من قبل لن يفتأوا ناصيين للانكلتير العداوة حتى يقلعوا عن سياسة الانحياز بالأمم ويضموا وأخطر اللب باليهود والموائيق ويرفوا ان الامة العربية هي كلها من وزراء الفلسطينيين لا تدع بلادهم مجالاً للاطلاع ولسان حالها يقول : « ودون عدواني كلا جداع »

انظر الى اليمانيين الذين خالت انكلترا ان الاحاطة يجرهم وقطع الاتصال بينهم وبين الدولة العثمانية مدة سنين يكون كفيلاً بزولهم على حكم الانكلتير وصرم حبال آمالهم في الدولة والخلافة فكان الامر على عكس ما ظننت . وبعد ان كان اليمانيون محتاج الدولة الى بسط سيادتها عليهم الى اربعين أو خمسين طابوراً بصورة دائمة اقبلوا بأبصرهم عثمانيين بدون عساكر بين أظهرهم وقاموا هم مقام المساكين وشدوا روابط قابضتهم للدولة والخليفة من ذي قبل ورفضوا ان يسموا بشيء من جميع هذه المعاهدات التي تصعد في باريس ولندرة ولم يكتفوا بالمراعاة في منطقة عدن ومنع الانكلتير من الخطو الى الامام قدماً واحداً حتى حصروهم في مرسى الحديدة الذي كانوا احتلوه بل اضطروهم الى الجلاء من الحديدة بما اجهضهم طول هذه الاشهر بالقتال غدوا وزواحا

وكانت انكثرة رابست حضرة الامام يحيى مرارا وعرضت عليه والاستقلال .
الذي أعلقت بأحاييل وعده كثيراً من أمراء العرب فلم يقتر كغيره ، وأجابها
بانه لا يبرح عمانيا هو وقومه وجميع أهل اليمن من تهامتها الى نجودها ومن
حضر موتها الى عسرها . ولن يقبل ان يطا الانكليز شبراً واحداً من أرض
اليمن ولا ان يتدخلوا بين أهل اليمن وبين الخليفة العثماني الذي لا يعرفون سواء ،
ولما كان قد عجم الانكليز عود الامام يحيى ورأوا من صلابته حذرُوا
من التصريح بشيء في أمر اليمن في معاهدة سفرس خشية سرعة التكذيب
وازدیاد الخطب ، ولكن حضرة الامام خايط السلطان محمد وحيد الدين الى
الامانة وأكد له استمساكه بمرور خلافته وبقاء جميع اليانين من شافعية
وزيدية في حوزة طاعته وقربيا نطلع القراء على صورة كتاب حديث المهدي
قد ساعدنا الحظ بالاطلاع عليه صادر عن الامام المتوكل على الله يحيى حميد
الدين وكتاب آخر من محمود نديم بك الوالي العثماني الذي كان في اليمن ولا
يزال والياً فيها باسم الدولة العثمانية صادراً هذا الكتاب عن محلته في مناخة
منبشا زحفه على باجل والحديدة بناء على طلب سادات واشراف تهامة (١)
بما جاءت فيما بعد تفرغات الجرائد الانكليزية مؤيدة له بل رواية عن حوادث
تلك النواحي . مازاد على ما جاء في الكتاب المذكور

وانظروا الى العثمانيين الذين ظن الانكليز انهم يحملون أمير مسقط على
تجريدكم من سلاحهم فكان منهم انهم خلعوا ذلك الامير وحسروه في مسقط
وما زالوا في الثورة حتى أفلتت انكثرة عن مزاعمها هذه وتركوا لهم سلاحهم
وعاشوا طول أيام الحرب أحراراً لم تقدر انكثرة ان تعرض لهم بأذي سوء
ولا يزالون على استقلالهم التام بحماية ضيوفهم

اما مصر فانتا ستفرد لثورتها ونهضتها مقالا مخصصاً ، ولكن نقول
هنا بالجملة انها نالت ثمانين في المائة من مطالبها . هذا من جهة العرب وامامن
جهة الترك فكانت فرنسا تظن انها تبتزهم ولاية اطنة الحسنة وانهم يتنازع
جروبهم ومنهم لاسيا هذه السنوات الاخيرات يكونون قد بدفوا حد الاشقاء
ولم يبق عندهم رمق يقوم بهم الى الدفاع فكانت نتيجة احتلال فرنسا
لكيليكية خسارتها ائمة مليون ليرة ونحو عشرين الف جندي والخروج منها

(١) تهامة ساحل اليمن .

ببعض شروط اقتصادية كانت تقدر على نيلها بدون سفك دم ولا هتك ستر ،
واكتنفا اسلعت قوماً ظننهم صاروا ألين من حمل النعام فاذا بهم لم يزالوا
افذ من ريش القنفذ وعلمت انهم لن ينفكوا عن القتال عن ديارهم مهما درجت
الايام وكرت الليالي فعدلت معهم عن المخاشنة الى المحاسنة وأخذ الجنرال غورو
ينوه بمحامد الترك وحسن عهدهم وحفاظتهم على أصول الحرب وانه لولا هم
لكان الان من النابرين لانه لما جرح وطاحت يده في احدى وقائع الدردنيل
نقل الى سفينة استشفائية رافعة علم (الصليب الاحمر) لم كورن الالمان لم
يتوقعوا في الحرب عن ضرب مستشفيات كهذه (اظن اكثر المتحاربين لم
يراعوا قواعد الانسانية في هذه الحرب لا الالمان وحدهم) امسك الاتراك عن
ضرب تلك السفينة التي كان فيها غورو مع قدرتهم على اغرقها .
نعم صرح الجنرال غورو بهذه الشهادة في مجلس الشيوخ في اخريات هذه
الايام عند ما تقرر اخلاء كليكية ولكنه نسبها طول تلك المدة التي كان يذبح
فيها اترك اطنه ومرعى وعينتاب في بحبوحة اوطانهم املا بالاستيلاء على تلك
الولاية . فاما قصة الامساك عن ضرب البارجة التي نقل اليها عند نجره في
الدردنيل فقد سألت عنها منذ ايام قلائل وهيب باشا الذي كان قائد الجيش
العثماني في شطر الاناضول من (شناق قلعة) والذي كان هجوم الفرنسيين من
جبهته فقال لي هكذا : ان الجنرال غورو لم ينقل الى بارجة من بوارج المستشفيات
كلا : بل نقل الى بارجة رفعت علم الصليب الاحمر زورا وهذا مخالف لقوانين
الحرب وعلى ذلك كان صدر الامر من الجنرال ليجان فون سندرس باشا قائد القو
العثمانية في الدردنيل بالضرب على هذه البارجة الحربية التي تحولت بفتة الى
مستشفى فابت انا فاذ هذا الامر قائلا : يكني انهم التجأوا الى الصليب الاحمر فنحرم
نكف عنهم حرمة له . آثرنا استقصاء هذه القصة لما فيها من الدلالة على مكار
اخلاق الشرقيين وعلى كون الغربيين قد يقرون بها عند ما تقضي عليهم بذلك
السياسة ويفعلونها عند ما يرون انفسهم في غنى عنها
نعم ان الانكليز رتبوا على تركية معاهدة سيفر ولم يدر في خلد ام ان
هناك امة تنهض من المدم الى الوجود في وجه الدول الغالبة في ابان عز
وعنجهية ظفرها وتقول لهم بلسان حالها انكم حيث نسيتم مواعيدكم باستقلا
الشعوب كل في دائرة سواده الاعظم وظهرتم قبل الظفر بمظهر وبعد الفة

بمظهر آخر واحترقتم بهذا القلب انفسكم فاسمعوا لنا نحن ايضا بان نحترقكم
وبان لا نخضع لقرارات مؤتمركم وبان نعامل مركزكم المادي الناهض كما نعامل
مركزكم الادبي الساقط وان كنتم معتمدين على ضعفنا وتجريدنا من سلاحنا
واحتلال عاصمتنا وحصر سواحلنا ووضع اليد على تجارتنا فاعلموا ان لضعفنا
حداً وان لعجزنا امدا وان لنا سلاحا من عزائنا وبرديقينا وجلاء حقوقنا
ومنعة مواقفنا وسعة اراضينا ووعورة مسالكنا وقلة احتياجاتنا ومن صبرنا
على البلاء وبياتنا على اللأواء وان لنا من جيم الشعوب الشرقية عضداً ومن
العالم الاسلامي رداً ومن طبقات العملة والاشترائيين في جميع الدنيا حامياً
ونصيراً ومن اثنين وحزبه مؤنساً وسيراً بهذا كانت تتجاذب ضائرت الاثراك
وتتراسل جزائش صدورهم بعد ان علموا سوء نية الحلفاء وعملهم على الفدر
بهم فقيض الله لهم من مصطفى كمال من جسم هذه الافكار افعالا وألبس
هاتيك الخواج من العمل رداء فاشعروا الا وفي الاناسول شعب يقول
لبريطانيا العظمى قفي فلن تكون ارادتك هي الاقدار الالهية ولن تبلي السماء
طولاً واتنا لقوم زبديان نعيش كما يعيش غيرنا وان هذا الصلح الذي نعملونه
عليه هو محو لوجودنا ولسنا له بمقرنين وليس الحرب بأشد خطراً علينا منه
ولا الموت الذي تهددوننا به أضر في افواهنا من الصلح الذي تمددنا به لافرق
بين الموت الاحمر والابيض فكان جواب لويد جورج بما مضاه ان معاهدة
سيفر هذه آيات منزلات من السماء لن تقبل تحويلاً ولا تعديلاً ومنع الوفد
التركي من الكلام وسد على لهواتهم في الخصاص اولاً وثانياً ورماهم بالجيش
اليوناني تعطده الجنود الانكليزية ودوارع بريطانيا العظمى وفتح لليونان
خزائن انكلترا لميرة جيوشهم وأعتادها وأباحهم من ولايتي ازمير في آسيا
وولاية ادرنه في اوربة ماشاءوا بشرط ان يثبتوا له الاثراك ويأخذونهم اخذ
عزيز مقتدر وبحت اصوات المنود الجورس فضلاً عن المسلمين في مطالبة انكلترا
بأنصاف تركية وتناجعت ثوراتهم فكانوا كأنما يزيدون نار انكلترا على التراك
اجيباً وكل هذا لاسترسال لويد جورج الى كلام فتريلرس بأنه يستحق قوة
مصطفى كمال في ١٥ يرماء فضت سنة وشهر واليونان يهاجمون والاثراك
يدافعون وقوة حكومة انقره هي الى الامام لا الى الوراء وجيش مصطفى
كمال وان أعوزة كثير مما توفر عند غيره فقد عز بعد ذلة وعمم بعد قلة وجاءته

اعتاد من هنا ومن هناك واثبت انه قوة لا يستهان بها وان الترك يحاربون في الاناضول سنين طوالا تفتتح اثنتاها على انكلترة فتن مسقطاة الاكبال ومحزن زلزل الجبال فساد لويد جورج الى النظر في معاهدة سيفر وجوز التنقيح منها بعد ان كانت عنده آية لا تنسخ ومقدماً لا يفسخ ولما رأت فرنسا وايطالية مارأنا من ثبات الاتراك وصعوبة مراسيم وكأنا تعلمان ان تبسط اليونان في الاناضول لا ينفعهما في شيء وانما اليونان اصبحوا شرطة وجلاوزة (١) للانكلتيز على ابواب الدردنيل

وكانت ايطالية خاصة وقفت منذ نهاية الحرب وقعة المذمف المعتدل البصير بالمواقف في جانب العالم الاسلامي كله فصحتا انكلترة بالمدول عن هذا العناد والرجوع الى مبادئ تحيير الامم في تعيين مصيرها فرضي لويد جورج بقبول مندوبي انقرة في جنب مندوبي الاستانة مم انه كان ينتمهم من قبل بالمعصاة ويعلم بان يستحيل بان يجلس في مؤتمر الى عصاة اشتباه فأجلسه مصلي كمال بسيفه الى جانب « اشتيايه » واضطره الى تعديل كثير من شروطه ولكنه لما وصل الى مسألة تركية عاد لويد جورج الى عناده وابتى بقاعدة تصويت الاهالي وقال هذه معاهدة تعتبر جوهرها فردا فاما ان تقبل بزرها وعروتها واما ان ترفض بزرها وعروتها ولم يلبث ان رأى الخلف مم اليونان فيما كان اسلف من المهادنات نجاحا للكبرياء البريطاني فساد يسر غور قسطنطين سرا عما اذا كان يقدر على استئناف الهجوم ليكون السيف هو الحاسم فيما بقي تحت النزاع فاجابه قسطنطين بان الامة اليونانية ناهضة الى الحرب نهوضا نجحيا كافلة اخماد حمرة الاناضول بشرط ان تمدها انكلترة بالاموال اللازمة وهكذا قرر بينهما القرار وزحفت جيوش اليونان بقضها وقضيضها وجاءت بالشوك والشجر واحتلت افون قره حصار وتباشرت ببلوغ الاوطار وتسحب الاتراك الى الورا لا يريدون ان يصلوهم القتال الا على مقربة من قواعد حركاتهم فظن الاروام ذلك خورا وعجزا ودلفوا الى الترك طامعين في الغلبة واحتلال اسكي شهر فكانت هناك الواقعة الكبرى التي اسفرت بعد حرب استمرت اسبوعا عن هزيمة اليونان الشنباء ووقوع فرقة تامة منهم في الاسر وامتلاء البطاح باشلاء قتلاهم وشالات جرحا ومسقط اخو الملك قسطنطين (٢) وبعض القواد الكبار (١) الجلاوز الشرطي والجم جلاوزة (٢) لم يتحقق سقوط اخو الملك

في جملة القتلى وعاد اليونان يستمرخون دول الحلفاء ويستمدونهم على الترك وليس في دول الحلفاء الآن من تقدر على اصراخ اليونان فايطاليا فخرج بفشل اليونان فرح الترك أنفسهم وفرنا لو كانت قادرة على الامداد لما اخذت كليكيا وهي اليوم في شغل آخر من جهة المغرب وانكثرة لولم يمسها الاعياء لما طابت نفسها باخلاء العراق ولا تركت القوقاز ولا تخفرت لاخللاء فارس فكيف تقدر ان تبقي خزايتها مفتوحة للحكومة أثينا ودوارعها مرصدة لحياة الاروام

ولو نظرنا الى جمهوريات اذربيجان وكرجستان والطاغستان وقازان وطاشقند والباشكرد وامارني بخارى وخيوة وكيف هبت كل من هذه الحكومات الى ترتيب أمورها وتأجيل استقلالها بمدان كان الروس أودوا بقوميتها واحنوا على عصبيتها لرأت الشرق قد ركب جناحي نعامه في طلب استقلاله واستئناف مجده وتفض غبار الذل عن أفواهها وهي فارس التي كان الروس والانكليز قد تقاسموا خطتين وتشطروها منطقتين ولم تجسر ان تطف في وجه واحدة من هاتين الامتين هبت اليوم تستنجز انكثرة الرحيل التام عن أرضها وأعلنت الفناء المعاهدة التي كانت قيدتها بولائها كما انها نجحت بمفاوضاتها مع الروسية السوفيتية بانها نالت منها الاعتراف التام باستقلال ايران وزول الروس عن كل ما كان لهم هناك من مرافق ومنافع ودبوت ومصارف الى الحكومة الفارسية

واما مملكة افغانستان التي هابت التهور في الحرب العامة مع جميع ضلعها الى تركية فلم تقدر ان تحجب داعيتها الى الحرب وشن الفارة على الهند لم تحمد نيران الحرب العامة حتى جدت بها نهضة لم تكن من قبل فمبت جيوشها واخرقت نفور الهند ونهضت معها قبائل شمالي الهند المشهورة ببأسها ونجديتها كالوزيري والمسمودي وغيرهما فحشدت انكثرة لمصادمة هذه نحو ٣٠٠ الف مقاتل وهي منذ سنتين ونصف سنة لا تقدر ان تخلي شمالي الهند من الجيوش الجرارة المرابطة ولكن القبائل لا يعملونها شهرا حتى يناوشوها شهرا فاما أمير الافغان فقد رضي بهدنة الانكليز على شروط منها الاعتراف للافغان بالاستقلال التام ليس في الامور الداخلية التي هو منذ الاول مستقل بها بل في الامور الخارجية ايضا فاجابته انكثرة الى ما اراد وصارت له سفارة في

موسكو وعقد مع الروس في هذه الايام الاخيرة معاهدة على قاعدة الولاء المتبادل وامداد السوفيت له بالسلاح والمدة واعادت روسيا له مقاطعة على حدود تركستان كان يدعيها من القديم وهو اليوم ينظم جيشه على ايدي ضباط ثمانيين والمان ومن جملة من عنده احمد جمال باشا الذي اتصل بمحدمته وانشاء تحريري هذه الاسطر حضر وفد افغاني الى برلين مؤلف من ثمانية اشخاص يظن ان مقصد بعثته تأسيس علاقات سياسية مع المانيا وتعيين سفير لافغانستان لديها والاستئضاء بمعارف الالمان والارتفاق بعنائهم كما ان عند امير الافغان معملا للسلاح أسسه منذ ستين جده المرحوم عبد الرحمن خان والامير الحالي امان الله خان ينوي تأسيس عدة معامل في بلاده وترقية المعارف والصناعات بين امته : وقد بلغنا ايضا ان في كل من أمارتي بخارى وخيوه عددا من ضباط الاتراك الثمانيين يرتبون لهم امورهم ويدربون جنودهم .

واذا عطقت نظرك الى شمالي افريقية الذي وان كان معدودا في الجغرافية من المغرب فهو في العلة والعرف والدين والغرض معدود من المشرق نجد ان أهالي طرابلس الغرب فازوا باستقلالهم الداخلي وأوجدوا لانفسهم حكومة ذات شخصية مستقلة وان أهالي تونس همضوا بطلب حكومة تمثيلية معها ما طلت قرنة فلن تقدر على منم ايجادها وان عند الجزائريين حركة وطنية لم توجد في وقت من الاوقات كما هي بعد الحرب فاما المغرب الافعى الذي ظن الفرنسي ان بعد الحرب العامة يستسلم الى بأس فرنسا الظافرة فقد تاز ثورة لم يقيم بها اثناء الحرب وايام اشتغال فرنسا بدفع الالمان عن بلادها وعدا المائة الف جندي التي لفرنسا هناك جاء المرشال ليوني بطلب تقوية الجيوش بتجريد ٨٠ الف جندي آخرين للفراغ من امر المغرب والله غالب على امره وكل من يتأمل في هذه الحوادث وفيما يجري اليوم في بلاد الهند الواسعة وفيما نالته مصر يعلم ان الامم الشرقية قد نهضت من عشارها وهبت الى الاخذ بثارها وان أمام الشرق مستقبلا عظيما سيزعج الغرب من منامه وينزله عن سهوة غروره فانه ماتم شيء الا بدا نقصه وما طار طير الا وقم وما انبسط جناح الا انقبض ولا يدوم بؤس كما لا يدوم سعد وما زال الدهر يمود كما بدا ويكري كما أرمي (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا)

(مرئي صميم)

الحر

فتحر الحر . مؤاخذه الطلاء . انحرار الحر الجارية . انحرارها العتيل . انحرارها الاجتماعية . انحرارها الاقتصادية . انحرارها الادبية

يكفي المسلمون الحرمة « أم الخبايا » وما أجدرها بهذه الكنية ، ومن أسألتها عند العرب « الائم » قال الشاعر :

شربت الائم حتى ضل عقلي كذاك الائم تعمل بالمقول

وقد حرما بعض العرب على نفسه قبل الاسلام لغوائلها ومضارها . ومنهم هبان بن مظعون (رضي الله عنه) قال : لا أشرب شيئا يذهب بعقلي ، ويضحك علي من هو أدنى مني .

ثم جاء الإسلام فتدرج في التنفير منها الى تحريمها وفرض الحد على شاربيها وقد سألوا النبي (ص) عند تحريمها فإذا تعمل بالحر ؟ فقال « امريقوها » فكانت شوارع المدينة كجاري السبل مما أريق فيها من الحرمة

وما زال العقلاء والفضلاء في بلاد الغرب يشكون من فشوها وانتشار الامراض وقتل الوقت وإضاعة المال بسببها حتى سنت الولايات المتحدة الأميركية قانونا في اول سنة ١٩٢٠ يحرم صنعها والاتجار بها ودفعت بما كان مخزونا لديها الى خارج بلادها حتى خشيت كندة - وهي أقرب البلاد اليها - من فشو هذه السموم في بلادها فحرمت استيراد الخمر من الخارج الا الى حد محدود فاندلق سيل هذه الطامة الجارف الى اليابان وفشا فيها فشوا فظيما . وكانت حكومة روسية قبل ذلك منعت شرب نوع من الخمر يسمى « أبست » فحرمه غير واحدة من دول الغرب لشدة ضرره

وربما حرمت الخمر فيما بعد في جميع الامم الغربية وناهيك بمجمعات مقاومة السكرات فيها ، ولكن البلاد التي تعرف بأنها اسلامية مثل مصر والشام وتونس والجزائر لم يبد منها أية حركة ولم تنزعج أي ازواج لهذا الخطب الجلل

قال قلت ان هذه البلاد اسلامية ولكنها ليست بدار اسلام أي ان حكوماتها غير اسلامية بل هي ذات شرائع غير شرعية الاسلام يتدارسها قضاتهم ومحاموهم ويحكمون بها وليس فيها تحريم الخمر فليس لاهلها شيء من الامر . فأقول : (ان صمم منك الهوى ارشدت لاحل) لو ان الله تعالى الدن

الاسلامي بقي منها بقية عند من يسمون أنفسهم علماء الدين لتوسلوا الى منع هذه الموبقات بكل وسيلة وسلوكو اليه كل طريق
هل سمعت بان أحد الشيوخ طلب تعديل لائحة أو قانون لتقويم الاخلاق؟
ألم يبلغ العلامة فلان أن ابنه الأستاذ فلان سكير؟ ألم يعلم علم الاعلام بان ربيبه من أفسد الناس أخلاقاً؟ ألم يشاهدوا من أمامهم وعن إيمانهم وعن ثماتهم من مفككات روابط الاخوة ومفسدات الاخلاق بسبب الحر وغيرها من الموبقات ما لو ألقى على جبل رأيت خائفاً متصدعاً من خشية الله وسوء المنقلب كيف تنسى لرجال الدين في بلدة (اورنورغ) - فيما أتذكر - ان طلبوا من الوالي الروسي بان يصدر أمراً ادارياً يحتم افعال الخانات في نهار رمضان - أيام الحكومة القيصرية - فأصدر بذلك امره بعد الاستئذان من العاصمة (بطرسبرج) وان يلتقي القبض على من يرى من المسلمين مفطراً في رمضان ويؤثر به الى الامام فان انتهى بوعظه وارشاده والا سجن يوماً أو يومين . كذلك صدر الامر بافعال الخانات أيام عيد رمضان وقتئذ بطلب علماء الدين . وهذا الشرطي الفرنسي يلتقي القبض على المسلم المفطر في رمضان في دمشق ويرسله الى المحكمة لتقتص منه فهل طلب مشايخنا منفردين أو مجتمعين أيعاد حانة أو ماخور مما في جوار المساجد والمعابد تنفيذاً للقانون المصري الذي يحظر ذلك - دع عن مطالبهم الحكومة بسن قوانين جديدة لحفظ الآداب ؟ قد كان يرجى ذلك أو بعضه لو كانوا يعلمون ان مكاتبتهم الدينية توجب عليهم ذلك من طريق الدين والادب والاقتصاد

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه مالا يرى
لاخبر مضار في الافراد والجماعات من صحية وعقلية واقتصادية وأدبية الخ
وقد ذمها كل مقل حتى من كان ولوعاً بها وهانحن اولاء نذكر أم اضرارها: -
اضرار الحررة الجسدية

(١) منها الخمول والمهبط الالذان يحدث منهما زيادة التنبه في الاعصاب ويهبان بالسكر فيتناول شيئاً من الحر فينهض به من خموله ويرفع من مهبط الجسدي والعصبي ولسان حاله يشهد قول أبي نواس (داودني بالتي كانت هم الهاء) ولكنه لا يلبث ان يمود فيتولاه الخمول والانحطاط ثانية بحكم رد العمل بحكم ان بعض المدمنين من الفرنسيين قال من نفسه ان أول كأس فرس

انما كانت ليذيل بها مما عراه وكل ماثريه بعدها كان ليذيل به ما اسارته الكاس الاولى من المغموم قال المتنبي :

اذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أهلك ما شفاكا

وقد سبقه الى ذلك المدمن العربي القاتل

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

(٢) ومنها فساد المزاج واعتلال الصحة لانها تحدث أمراضا مهلكة وادواء ممضلة (منها) السل الرئوي الذي قيل : ان سبع الوفيات في العالم بسببه وان متين في المشقة من أموات أبناء المشركين من المسلمين ، وكأما مرض الكبد والرثين والكلبتين . وقد قال أحد الأطباء : ان تسعة اعشار المصابين بهذا المرض من السكرى والسكر هو السبب في مرضهم (ومنها) أمراض النخاع الشوكي والمغضلات الدوية مما يتسبب منه الرثية (الروماتيزم) وتصلب الشرايين (ومنها) فقر الدم (ومنها) تلبك المعدة لان السكر يكثر أكله ويضعف هضمه (ومنها) تعدد الملهة واسترخاؤها

اضرار الخمر للعقلية

(١) من اضرار الخمر العقلية الخمار (بوزن غراب) الذي يدعو الشارب الى المعادة فالادمان .

(٢) ومنها فساد الاخلاق لاختلال اعتدال القوى النفسية

(٣) ومنها اختلال نظام العقل فالاغفالات من كل قديم من قيود الوفاق والحكمة .

وما أحسن ما أجاب به مجنون دعاه سلطان الذي شرب الخمر ليشر بها معه فقال : « انت شربت بها لتكون مثلي فأنا أشربها لاكون مثل من »

بلوهمي جنون . قال ابن الوردي :

واهجر الخمرة ان كنت فتى كيف يسمى في جنون من عقل

(٤) ومنها الذهول العصبي والنوبات المستيرية

اضرار الخمر الاجتماعية

(١) من اضرار الخمر الاجتماعية ضعف النسل فانقراضه لان مدمني الخمر كثيرا ما يصابون بالعم ومن يلد منهم فانما يلد نسلا ضعيفا دميما أو أبلا ممتورها

وقد تقدمت النساء في شدة الضرر ١٢٠ ١١٠ ١٠٠ ٩٠ ٨٠ ٧٠ ٦٠ ٥٠ ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠

ان اقراض الامم المتوحشة سيكون بفنك الاثرية الروحية بهم
(٢) ومنها فساد التربية المبرية لان الكير لا يلتفت الى تربية اولاده واذا
وكل امر تربية الاولاد الى المربين ذهبت مقومات الامة وتقاليدها خصوصاً
في بلاد كهده البلاد التي يقصد بتربية فاشتها الى تربية خاصة تمسخ الامة مسخاً
وتجملها بينين فلاحى باهلة ولاهى متعلمة وتجملها اوراراً من زينة الاوريين
وازيائهم تكون هي الذاهبة بمحسنتهم ومقوماتهم
(٣) ومنها سد باب النبوغ والاخراع في الصناعات والزراعة اذ ان السكارى
لا يشغلهم شاغل عن مواصلة الشرب فان كان الكير من ارباب المصانع فسد نظام
مصنعه وان كان من أصحاب الارض اختل نظام زراعتها فالتأثر كثيراً من
أهل الثراء الذين لا يعرف الكير منهم موسم أرمه ولا ماذا أصليح فيها الزراع
أو أقصدوا، ومنهم من لا يعلم من احوال ملكه شيئاً او بكل ذلك الى مدير
العمل والكتاب والجاني، وكثيراً ما ترى أمثال هؤلاء من غفلة أولئك الذين
اصبحوا فقراء لم ينالوا من ثروهم الا ما تمودوه من السكر الذي يلجئهم
الى التسول ومنهم كثير في مصر تعرفهم بسيماهم ترى أمثال هؤلاء وهم على
ما وصفنا

(٤) ومنها ابتعاد العدواة والبغضاء بين اعضاء الاسرة الواحدة وافراد الامة
مما يفك روابطها ويفت في عضدها ويجعل بأسها بينها شديداً فكم تقاطع
الاخوان وتفرق الزوجان وانقطع عقد الاخوان وعق الوالدان والعمل امر
الولدان بسبب بنت الحان ؟؟

اضرار الحجر الاقتصادي

حقاً ان داء مصر في المسكرات لدوي اذ ان معدل ما يشربه المصري يزيد
على ضعف ما يشربه الفرنسي وبلاد الفرنسي تنتج له من الحجر ما يشربه ويتجربه
في الخارج ولكن مصر لا تصدر خراً خارج حدودها ولا تنتج ما يشربه اهلهما
مصر الحجر الاقتصادي فيها اكثر منه في كل بلد في المعمور لذلك يترى الحمار
في مصر بسرعة، من اضرارها الاقتصادية

(١) اسراف المدمنين فيها اسرافاً كثيراً ما ذهب بكل ما يملكون وتغرب
اموال الامة الى البلاد الاجنبية سبب ذلك ولم يقتصر ذلك على الريم والانتاج
فحسب ولكنه تعدى الى رقعة الارض فكم من المزارع - والتفليس -

والضياع - والمزب - والاباعد نحوالت الى الخمرين والقوادين من امة يونان ،
(٢) ان المقدر ان تحريم الخمر في الولايات المتحدة يوفر لاهاليها اربع مئة مليون
جنيه في السنة مما كان ينفق في الخمر ووسائنها ، اذاً ماذا يقدر ان يوفر
تحريم السكرات لاهل مصر؟ انه لا يقل عن ٦١ مليون جنيه في السنة اذا قدر
ان المصري لا ينفق في سبيل الخمر اكثر من اربع جنيهات في السنة وان
أرجح انه ينفق ثمان جنيهات في هذه السبيل واذا فرض صحة هذا الترجيح
فان تحريم الخمر في هذه البلاد يوفر أيضاً لاهلها ١٢٢ مليون جنيه في السنة .
تضاف الي رأس مال الامة

(٢) اتقاص رأس المال ، والتماذي في استهلاك رأس المال هو الاتجار
الاقتصادي السياسي . وهذه حالة مفزعة ظهر أثرها في مصر ظهوراً بيئياً . نعم
اذا بحثت في أسباب ذهاب الثروة وانتقال الاموال الثابتة الى الاجانب فلا ترى
الاسباب واحداً هو الخمر وهي رسول الميسر وداعيته - اذ قد اترى سكيراً
غير متقاصر - فظهر مصداق قوله تعالى (فيهما اثم كبير) وأي اثم اكبر من
هذا الاثم الذي هو مجلبة خسران الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين
(٣) ومنها استهلاك معظم الانتاج وبعض رأس المال وتسربه الى الخارج
البلد وأي انحطاط اقتصادي أدنى من هذا الانحطاط

اضرارها الادبية

(١) من اضرارها الادبية : ذهاب الحشمة والوقار فان السكير لا قيمة له
بين أهله وولده وحشمه وجيرانه

(٢) ومنها قتل الوقت في الحانات وتوالي الشراب وذلك مما يذهب
بالاحترام الشخصي ويحل بالملكة الادبية .

(٣) ٤ - ذهاب الحياء والسد عن ذكر الله وعن الصلاة . ولاحياء لمن
لا دين له ولا دين لمن لا صلاة له وذكر الله جلاء القلب ونور الروح ومعصباح المديح ما

لم أرد بهذه المجالة أن أضيف الى المدار بحثاً أمله فقد أنغى المشار على
المهلكات - ومنها الخمر - من أول شأنه وأبعد ما أذكره ما في التجدد ربيع
في ص ٨٨١ - ٨٩٠ وفي ص ٨٩٧ وأفر ٥٠٠ في الجزء الثاني من التفسير

صالح تخلص رضا

شذرات أدبية

١ - آداب المكتابة

أو الدعاة والفاعلة

كان محمد بن حازم الشاعر جار سعيد بن حميد (١) الكاتب الطوسي فهجاه
لامر كان بينهما فبلغ سعيد مجوه فأغضى عنه مع القدرة ثم إن محمداً ساءت حاله
فتحول من جواره فبلغ ابن حميد ذلك فبعت إليه عشرة آلاف درهم ونحوها
نياب وفرسا بأكته ومملوكا وجارية وكتب إليه ذو الادب يحمله ظرفه على نعت
الشيء بغير هيئة، وتبعته قدرته على وصفه بغير حليته، ولم يكن ما شاع من
هجائك في جاريا الا هذا المجرى. وقد باغني من سوء حالك وشدة خلثك ما لا
غضاضة به عليك مع كبر همتك وعظم نفسك، ونحن شركاء فيما ملكنا ومتداون
فيما نحت أيدينا، وقد بعث اليك بما جملته وإن قل، استغناحا لما بعده وإن جل،
فرد ابن حازم جميعه ولم يقبل منه شيئا وكتب إليه

وفعلت بي فعل الملهب إذ غمر الفرزدق بالندى والدر
فبعثت بالاموال ترغبني كلا ورب الشفعم والوتر
لا أقبل النعماء من رجل ألبسته عارا على الدهر

٢ - آداب المماشرة

اني لهجرني الصديق تحمينا فأريه أن لهجره أسبابا
وأخاف ان عاتبه أغريته فأرى له ترك العتاب عتابا
واذا بليت مجاهل متغافل يدعو المحال من الامور صوابا

(٥) جمعها شقيقنا السيد صالح مجلس رضا

(١) سعيد بن حميد ويكنى أبا عثمان وكان، يدعي أنه من أولاد ملوك
الفرس له من الكتب اثنان المعجم من العرب ويعرف بالتسوية؛ ودويان رسائل
ودويان شعر صغير وهو شاعر أدب مترسل عذب الالفاظ مقدم في صناعته
جيد المرفة حتى قال بعض الفضلاء: لو قيل لكلام سعيد وشعره أرجع الى
أهلنا لما فقه منه شيء.

أوليته مني السكوت وربما كان السكوت من الجواب جواباً
الناشئ الأصغر (١)

٣ - التميم العجيب

لمح كوكبا وأبدغمننا والثفت وربما فان عدلك اسماهما لم تمدك السبا
وجه أفر وجيد زانه جيد وقامه نخجل المظلي تقويما
يا من تجمل عن التشبيه صورته أأنت مثلت روح الحسن نجسبا
لوشاهدتك النصارى في مابدها ممثلا ربمت فيك الاقانيا
حبوبي (٢)

٤ - ومنه في وصف مضم

رفا ظليا وغفى عندليبيا ولاح شقائقا ومضى قضيبا
بمض الشعراء في عصر الثمالي (٣)

٥ - ومنه

بدت قرأ ومالت خطوط بان وفاحت عنبراً ورت غزالا
المتنبي (٤)

٦ - ومن الابداع في هذا

ويبيض بالماظ الميون كأنما هزرن سبوناً وأستلان خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى فنادرن قلبي بالتصير قادرا
سفرن بدورا واتقبن أهلة ومن غصونا والتفتن جا ذرا
وأطلمن في الاجياد بالدرأنجما جعلن لحبات القلوب خراثر
الزاهي (٥)

٧ - الانحياز الى البدو عداوة

إذا المرء عادى من يودك صدره وكان لمن عاداك خدفا مصافيا

(١) هو ابو الحسن اعلي بن عبد الله بن وصيف المروفي الناشئ الأصغر الشاعر
المشهور وهو من الشعراء المحسنين له في أهل البيت قصائد كثيرة توفي سنة ٣٦٦
(٢) محمد سعيد حبوبي توفي في القرن الثالث عشر (٣) عبد الملك بن محمد بن
اسماعيل النيسابوري الثمالي صاحب القيمة توفي سنة ٣٢٩ (٤) احمد بن
الحسين المتنبي قتل سنة ٣٥٤ (٥) الزاهي هو علي بن اسحاق بن خلفه
البغدادي المروفي بالزاهي توفي سنة ٣٥٤

فلا نألن عما لديه فانه هو الداء لا يخفى بذلك خافيا
صمصمة بن ناجية

واحد مسمم فقال

٨ - اذا صافى صديق من تمادى فقد عاداك وانقطع الرجاء

٩ - رثاء بردون

كان محمد بن عبد الملك رذون اشهب لم ير مثله فراحه وحسنا فسمى ساع
الى المعتصم ووصف له فراخته فبعت المعتصم اليه فأحده منه فقال ابن عبد
الملك يرثيه

كيف العزاء وقد مضى لسبيله عنا فودعنا الاحم الاشهب
ومنها فالآن اذ كنت ادانك كلها ودعا العيون اليك لون معجب
واختير من سر الحداثد خيرها لك خالصا ومن الحلي الاغرب
وغدوت ملتان الحديد كأنما في كل عضو منك صنح يضرب
وكأن سرجك اذ علاك غمامة وكأنما تحت الغمامة كوكب
ورأى علي بك الصديق جلالة وغدا المدو وصدره يتلهب
ومنها اضمرت منك اليأس حين رأيتني وقوى حبابي من قواك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة لله ما فعل الاحم الاشهب
١٠ - توافق الخطارين ، بين الشاعرين .

خرج جرير والفرزدق مرتدين على ناقة الى هشام بن عبد الملك الاموي
وهو يومئذ بالرصافة ، فنزل جرير لقضاء حاجة فجعلت الناقة تلتفت فضربها
الفرزدق وقال :-

الام تلتني وانت تحتي وخير الناس كلهم أمامي
متى ردي الرصافة تسترشي من التهجير والدبر الدوامي
ثم قال : الآن يأتيني جرير فأنشده هذين البيتين فيقول :

تلتفت انما تحت ابن قين الى الكبيرين والناس الكهام
متى رد الرصافة نخر فيها تكزيك في المواسم كل عام
.. جاء جرير والفرزدق بشحك ؛ فقال : ما يضحكك ياها فراس ؟ فأنشده
البيتين الاولين فأنشده جرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله لقد
قلت هذا . فقال جرير : أما عدت أن شيطاننا واحد ؟ (ينظر)

باب انتقاد المنار

رد جريدة القبلة

على الحقائق الجلية في القضية العربية

نشرنا في الجزء السادس من المنار ذلك المقال المطول في تلخيص حقائق المسألة العربية فكتب احد المتعلقين لامراء مكة في جريدة الأهرام يؤاخذنا على نشر ذلك المقال الذي زعمزعه الثقة بمن اتخذهم هو وأمثاله زعماء الغرب مشايمة للسياسة الانكليزية التي سخرتهم لمساعدتها على تقويض صرح أكبر دولة اسلامية يعتر بها المسلمون في مشارق الارض ومقاربها والتأمر للملك الانكليز قلب الاسد ومن كان معه من الصليبيين من المسلمين، وفتح القدس واستعمار سائر بلاد العرب . ولم يستطع هذا الكاتب ان ينقض قضية أو يكذب كلمة من مقالنا وانما كانت مقالته عبارة عن لوم وتريب وتهكم وأكاذيب، زعم فيها أن صاحب المنار ادعى انه كان في دمشق ثاني الملك فيصل وان المؤتمر السوري كان آله بيده... ولوسع أن المقال كان يتضمن هذه الدعوى وأنها دعوى باطلة لما كان ذلك بدافع شيئاً من انكارنا على امراء مكة ما أنكرناه عليهم باسم الشرع والدين والمصلحة العربية

وقد كان من جنابة ذلك الكاتب على زعمائه الذين أراد الدافع عنهم أنه حملنا وحمل غيرنا على كتابة مقالات في المسألة العربية ونشرها في تلك الجريدة اليومية التي يقرأها الوف من الناس لا يقرأون المنار فعرفوا جنابة أولئك الامراء على الاسلام والعرب وانه لا يملك أحد من أشياعهم أن ينقض من الحقائق التي أثبتتها المنار شيئاً .

ثم اتنااطلنا على العدد ٥١٠ من جريدة القبلة التي تصدرها حكومة الحجاز في مكة المكرمة الذي صدر في ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٩ فرأينا في صدره مقالة في الرد علينا مكتوبة بذلك القلم المعروف لكل المطلعين على تلك الجريدة بألفائه الغريب فرأيناها كما كتب اليها بعض من اطلع عليها قلنا ونحن في مدينة (جنيف) من بلاد سويسرة من أوربية اذ قال : «وجدتها بمكان صحيح من السفانة يكفي في الرد عليها نشرها» فرأينا ان ننشرها ونورد عليها وان كان رأي صاحب هذه العبارة صحيحاً لأن سائر حجة بدة القلة منه وود

مفتون بكل ما يكتبه فينبغي ان نريه قيمة ما كتب بما فيه عبرة وفائدة لقراء المنار « وهذا نعمها :

أعجمي أم صربي ٢١

تحقق لدينا في هذا الابهوع — احتدام غيظ وغضب وعداوة وبنضاء مولانا... ومصباح ظلامنا... وشيد رضا — على سيدنا مولانا المنتقد وأنجمله بما رأيناه في عدد (١٣٥٠٠) من « اهرامنا » الاغرم من كثرته بالنديد المعلوم الشكل والماعية !

وعليه فلا يسعنا أن تأتي بشيء في الموضوع الا بياناً بأن الروابط التي يزمعها حضرته نجملنا نسترحم مواطني مدارك ارشادات كلالته العفو والصنع : .. ولا نظن أن عظم جريمة .. سيدنا المنتقد وأنجمله في نظره — ينسبه : « والكاطمين الغيظ والعافين عن الناس » أنه ان المعظمة والكبرياء والمدارك والاحاطات التي وصف بها ذاته المعظمة وحصرها في شخصه وتميزه دون سواء بتلك الفضائل ... والجلال ... تأتي شهادتها المبادأة بأبسط من ذلك التمريض « الذي هو على طرفي نقيض » حتى بالاجاب فضلا عن تزعم أنك من عنصرهم وهذا لانك أنت من نجابة دستور شعور تلك السجاياء والمزاياء ...

ومع ذا فلا نظن أن نجابة دستور ذلك الشعور تحظر علينا أن نسائل مولانا (الذي أفهمتنا بياناته المذكورة بكل صراحة أنه أصبح اليوم مرشد الأمة الاوحد ... وهاديا الفرد الابعيد ...) أولا : أهو صربي أم أعجمي ؟ . واذا كان الاول فليس اسأل وثاقته الى الفخيدة التي يريد أن ينتمي اليها . وسؤالنا هذا هو ليتضاعف قدره ... وتترادف كبرياء

عظمته . . . لدينا ليس الا

ولا بأس أن نشفع طالبنا هذا بقرئنا : ان نجابة شعور ذلك الدسّور
تقضي علينا أيضاً بأن نكتفي من البحث في الموضوع ، أو رد أحد قرائنا
الافاضل مما ادرجته « القلة » في عددها الذي قبل المدد الماضي المتضمن
الرد على عداء مصباح الظلام ومرشد الانام بقوله :

(يمرض الاستاذ بأرائنا في شؤون المسألة السورية فنقول له :
عسا ان يتأمل مواقفهم وأعمالهم الناتجة باخراجهم « بقدره الباري »
للجنرال ليمان فون سندرس وما ادرالك ما سندرس من سورية ويطبقها
على نتائج مواقف حضرته التي أدت الى تسليم تلك البلاد للجنرال غورو .
ولا يمكن الشيخ رشيد رضا أن يشكر هذا وهو القائل بأنه كان الأمر
الناهي في دمشق يولي من يشاء ويمزل من يشاء من الوزراء ويقرب
من يشاء ويبعد من يشاء الخ) انتهى

فاذا تأمل رشيد بل وكل متأمل — هائين التيجتين اللتين جمعنا
فأوعنا القضية من مبدأها الى منتهاها بعد تطبيقها ومقايستهما على ما ذكر
— تظهر الخلاصة الجوهرية التاريخية التي يريدنا الشيخ رشيد بقوله :
(الحقائق الجلية في تاريخ القضية المربية) : عنوان مقالة تنديده بإسادتنا
فهل وراء اخراج سادتنا وقادتنا على مرأى من حضرته والعالم
لسندرس وألمانيته ، وادخال مولانا الاستاذ وهياته كما ذكر لغورو
وافرنسيته — حقائق تاريخية عن سوريتنا وحوادثها ؟ أو شل يقتضي
بحث أي مؤرخ فيها ؟ ربنا لا فضلنا بمداد هديتنا

لاندري وأبيكم كيف فات على تلك المعظمة وكبرياتها بأن الكمبر حتى

من البسطاء أدرك ما في اظهار تلك العظمة والانانية لهذا العداء والبغضاء ومصارحتها به اثر ما يزعمه المبشرون عن كيفية الاعتداء على صديقتنا غورو وجملهم يحكمون بأن تلك المظاهر بالتحريض والنيل من أشبالنا^(١) وسرانا هو فصل من تلك التفصيل وبقلة من تلك الحقول... فليتأمل!! أما بحمته عن عدائنا للترك فقد أجاب عنه طليعتنا في عدد (١٣٥٠٤) من امرنا بقوله للشيخ رشيد :

(لقد أخطأت في اشارتك على جلاله ملك الحجاز بحسب تعريضك الاخير، وبمداوة، الاتحاديين التي أدت الى عماريتهم وهذه أدت لجماريه الاتراك لكون الامة التركية كانت تأثر بأمر الاتحاديين ولم يكن بالإمكان سوى ذلك فهل لا سيد الاستاذ ان يبرهن عما اذا كانت المداوة لا تؤدي الى الخصومة والخصومة الى القتال سيما اذا كان ذلك بين عنصرين وفي زمن حرج كالزمن الذي سافر فيه الاستاذ الى الحجاز أثناء الحرب العامة؟ وما حمل جلاله ملك الحجاز لمناوئتهم الا ما كان يسببه عن ظلم جمال وقته خيرة أبناء سورية وما كنتم تكتبونه في المنار من التحريض ضد الاتحاديين بعد عودتكم من الاسفانة وما كان يذكره في الجرائد العربية طلاب الاصلاح في سورية. فلما فعل ولكن الظروف الاخيرة عاكسته وتغلى عنه حلقاؤه بعد ان داسوا حقوق الشوب الضميعة ولم يراعوا مردودا وعودا فالقوة القاهرة اليوم لا تمنع امة بأسرها من المطالبة بحقوقها المشروع والدود عنه يوما ما) انتهى

ومع هذا فلا بأس من ان نشفع ذلك بقولنا أيضا: انه يعز علينا أن

(١) ليتأمل القاري، كلمة أشبالنا ومن قالها

أناية تلك العظمة والكبرياء تنقض اليوم ما دلته بالأمس فان منارنا ... ومظهر تخارنا ... كما أنه موجود لدينا - ضروري أنه موجود أيضا لدى كثير من قرائه فانه مشتمل على الفارات الشواء التي شها مولانا على الترك بما هو معلوم

ومع ذلك فلا بد أن بمنالك دواعي ... وأسبابها ... لهذا التخليط والتخبط والتقليط لا تدركها الا أناية تلك العظمة والكبرياء ... غير اننا والحالة هذه نلتبس احاطة مداركها ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه الآن : أم يقتدون بأنقرة أم القسطنطينية ؟ والله يهدي من يشاء الى الصراط المستقيم

ويحسن بنا أن نلفت أنظار المتألمين والمدققين - الى ما نقله البرقيات الاخيرة وكثير من الصحف عن عزم الكمالين على اخلاء انقرة وانتقالهم الى قيصريه - ليطبقوا هذا البناء على استعجال الشيخ رشيد بصر به المثل بهم في مباحته التدينية بسادتنا في كفاءة الزعامة وقيامهم بشؤونها ولا نظن (ان صح تركهم لانقرة) الا انه لا فرق بين ذلك وبين تسليمك يامولانا لدمشق ، اذ كلام جريدة القبلة بنصه السقيم وعساظمتها المعروفة (المنار)

لو أردنا أن نرد على كل ما في هذه المقالة من الخطأ والخلط الشرعي والاغوري والسياسي لشغلنا قراء المنار زمنا طويلا بمسائل يفضلون جميع مباحث المنار عليها فنكتفي اذا بما نراه مفيدا من ذلك

عجز سياسي القبلة أو سائسها أن ينقض شيئا من « الحقائق الجلية » التي أثبتناها في مقالنا التاريخي لحصره الانكار والرد علينا بما أورد في مقاله بتضمن الاعتراف بتلك الحقائق كما سبق لنصيره الذي رد علينا في الاهرام ، فما أورد به ينحصر في مسألتين مبتكرتين ، ومسألتين منقولتين

اما المسألتان اللتان جادت بهما قريحة سائس القبلة وقلما يصدر مثلها الا من ذلك الفكر القريب ، والدماغ الخالف لسائر أدمغة البشر في التركيب ، فأولاهما بالتقديم ما أشار اليه بعنوان المقالة : أعجمي ام عربي !

انكار جريدة القبلة لكون صاحب المنار عربيا

شرح سائس القبلة هذا العنوان بما صرح فيه باخراجنا من الامة العربية والحاق نسبنا بالاعاجم والظاهر انهم فيهم الترك الذين انكرنا عليه عدوانه لم يحاربهم اياهم تولايا لانكناز ولنا في هذه المسألة ابحاث :

- (١) اذا كان يعني ان صاحب المنار تركي الاصل أو غير عربي بدليل ما كان من غيرته على الدولة العثمانية فأكثر مسلمي الارض من عرب وعجم اترك لانهم يشاركون صاحب المنار في رأيه وشعوره في الامة التركية والدولة العثمانية حتى اهل الحجاز وفي مقدمتهم الشرفاء فقد عدلنا بالخبر وخبر الثقات أن أكثرهم قد ساءه الخروج على الترك وسقوط حكمهم وانهم يفضلونها على حكومتهم الحاضرة ولكنهم لا يستطيعون التصريح بذلك الا لمن يتقون بأنه لا يفشي لحاكمهم المطلق (٢) اذا كان من ينتصر لقوم ويدافع عنهم ولو بالحجة والبرهان لا يكون الا من المشاركين لم في نسبهم فا القول فيمن ينتصر لقوم باللسان، والسيف واللسان، ويحارب أهل دينه ويخرج على سلطانة وخليفته ويتولاهم عليه ؟ أليس هو الاول بأن يعد منهم ان لم يكن بالنسب فيقوله تعالى (ومن يتولم منكم فانه منهم) (٣) بعد ان خاطب سائس القبلة صاحب المنار بقوله « تزعم انك من عنصرهم » اي العرب سأله سؤال تعجيز : أهو عربي ام عجمي ؟ (قال) « وان كان الاول فليسلسل وثاقه الى الفخذة التي يريد ان ينتمي اليها » — تأمل قوله يريد ان ينتمي اليها : فيا ليت شعري هل القاعدة عند من يريدون ان يتولوا ملك العرب الا يمتدوا بعريية احد الا اذا جاءهم بوثائق سلسلة الى الفخذ او الفخذة التي ينتمون اليها او يريدون الاتهام اليها ؟ أم ذلك خاص بأهل الحضارة من عرب سورية والعراق وامثالها كعصر والمغرب الادنى والاقصى ؟
- (٤) ان سائس القبلة يعلم اننا ننتمي الى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويريد ان يطعن في نسبنا طعنًا بليغًا باخراجنا من الامة العربية بأسرها جهلا منه بدينه وبنفسه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » رواه احمد في مسنده ومسلم في

صحيحه. والمراد ان ذلك من اعمال الكفر والجاهلية. ونحن قد ذكر لنا بعض أهل بيوتات مكة ما هو مشهور فيها ان بعض كبراء أمراءنا... قد ثبت بطلان نسبة في المحكمة الشرعية بشهادة الشهود لدى القاضي الشرعي بأن امه - وهي مملوكة بالطريقة المرووفة اليوم وهي غير شرعية غالباً - دخلت بيت ابيه وهي حامل به ووضعت قبل ان يتم لها في داره اقل مدة الحمل الشرعية وحكم القاضي بذلك. فقلنا لكنه يدعي النسب العلوي وحكم الشرع أن للناس مأمورون على أنسابهم وان الطعن في النسب من عمل الجاهلية ونحن لم نطلع على الحكم الشرعي الذي تذكرونه، فأين هذا إلا دب الشرعي من جرأة سائس القبلة وعدم مبالاة بالشرع والدين؟

(٥) يقول سائس القبلة متهمكاً كما دته انه سأل صاحب المنار عن الوثائق المذكورة ليتضاعف قدره... وتترادف كبرياء عظمته... لديه أي بالقضية الحقيقية التي يريد الانهاء اليها. وجوابه ان صاحب المنار على كونه شريف النسب وعنده وثائق وجميع أهل قريته (القلوب) ماعد الدخلاء - وهم قليلون معروفون - شرفاء ونسبهم متواتر في بلادهم يضرب به المثل فيقال: سيد شريف من القلوب - وذكرهم بعض المصنفين وعلى كونه هو أشهرهم في ذلك حتى اذا اطلق لقب «السيد» عند أهل العلم والادب والوجاعة في طرابلس وبيروت ينصرف اليه - لم يقتصر يوماً من الايام بنسبه لا قولاً ولا كتابة (*) فهو يدع الكبرياء والاعجاب بالنسب لمن حرموا من هداية الشرع وآدابه ومن الفضائل الذاتية فلم يجدوا لهم منفراً يتكبرون به على الناس الا الانهاء الى اولئك الآباء الذين كرمهم الله تعالى بالعلم والهدى لا بمجرد النسب، فأبولب أخو حمزة والعباس رضي الله عنهما. وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (*) قد يرد علينا ما يحفظه بعض الادباء من قولنا في القصيدة الشرقية التي نظمناها كائن شمرنا في الهدانة زمن طلب العلم

معلقات لحول الشعر قاصرة عنها كقصيدة الشهم الديردي
تطوى قصائدهم على السجل اذا ما ساجلت شمر كندي وعيسى
برئت من فصحاء الهاشمية ان تنشر ومن لسن النسل الحسيني
والجواب ان هذا نثر بالفصاحة لم يقصد به التخراب بالنسب بل تم مقصد من
الفخر الا أسلوبه، على اننا نستغفره منه ومن مثله في قصيدة المجاذبية

ان الله اعلمكم عند الله اتقاكم ان الله اعلمكم خبير) وقد روى الترمذي في جامعه وغيره من حديث ابن عمر ان النبي (ص) طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركاذ بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال « الحمد لله الذي اذهب عنكم غيبة الجاهلية وتكبرها بآياتها، النار وتجلان برتقي كريم على الله وفانجر شقي هين على الله والناس، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب، قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا - الى قوله - خبير) والا حديث في هذا الباب كثيرة

لعمري ان صاحب المزار لا يعد شرف النسب سببا للكبرياء كغيره بل يرى ان للكبرياء سببا واحدا وهو شعور المتكبر بهمة يحاول اخفاءها بتكلف اظهار همته كبيرا، على انه لو كان يفاخر بعلم او نسب لما كان يحفل بأن يكون من المعطاء في نظر سائس القبله بعد أن علم من حاله ومن المعطاء في نظره ما علم. الكبير غمط الحق واحتقار الناس كما عرفه سيد العرفاء (ص) وصاحب المزار يحمده الله تعالى ان وفقه للخضوع للحق والاعتراف به ولو على نفسه وقومه وهو يطالب أهل العلم والرأي بمناره في كل سنة ان يبينوا له ما لعله اخطأ فيه الحق ليرحم الية. ولم يجمعه كن لا يتجرا أحد على مراجعته في خطأ ديني ولا سياسي حتى انه تحرف بعض آيات القرآن لفظا ومعنى وكذب على الرسول فباعزاه اليه من المؤتمعات وقد أرشدنا بعض محرري القبله الى تفهيمه فلم يتجرأ بعد ان جربوا النصيح والتنبيه فأهينوا وهو يحتقر العلم والعلماء ومن فوقه من السادة والامراء (٦) لو صدق سائس جريدة القبله ومحاميه الدكتور عليم في زعمهما أن صاحب المزار قد اقتصر بأنه كان في دمشق ثاني الملك بكونه رئيس المؤتمر السوري العام الذي كان يمثل الامة وله صفة ما يسميه علماء السياسة بالجمعية التأسيسية لما كان أبعد عن الضوابط وأحق بالتقدم من جريدة القبله وسائسها بما نشر فيها من القفر والتجبح بقول التيمس ان البريطانيين حاولوا البحث عن بدل للسلطنة العثمانية البالية فوجدوا أبدا لا ذكرت التيمس منهم العرب وفلسطين الجديدة وأرمينية الجديدة. فجعل سائس القبله هذا القول نفرا للعرب الذين اتحل لنفسه حق تمثيلهم بمثل قوله « فان على مثل هذا يتنافس المتنافسون، بل مثله فيعمل العلماء اونه فجعل قول التيمس بالمسكاة التي خضع بها كتاب الله تعالى بقاءه في دار كرامته بصفة الحصر فقال مشيرا الى ما دل عليه ما قبله من الخلود في النعم والقيم والامن الدائم

من العذاب (ان هذا هو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العالمون) يخالف سائس القبلية كتاب الله تعالى وجعل رضا الانكليز المستنبط من اشراكهم للعرب أو للحجاز مع اليهود الصهيونيين والارمن في اراث ملك الدولة العثمانية هو الفوز العظيم الذي يجب أن يعمل له العالمون دون سواء كما يعمل المؤمنون المتقون لنيل رضا الله تعالى والخلود في دار كرامته . ومثل هذا يقال أيضا في تمثله بقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

ويؤيد هذا ما هو أغرب منه في الاخلاص للانكليز وهو ما قاله ملك الحجاز نفسه في كتاب لنائب ملك الانكليز بمصر ونشره صرارا في جريدة القبلة افتخارا وتبجيحا به لحسانه أنه من آيات الله الكبرى وأنه يبرئه مما يرميه به المسلمون وهو أنه بعد أن أدلى باخلاصه واخلاص اولاده « الذين لا تغيرهم الطوارئ والاهواء » لبريطانية العظمى وطالبها بانجاز ما كان طلبه منها لاجل نهوضه بالخروج على دولته وقتالها معها أو تمين بلد يقيمون فيه ليسافروا في اول فرصة اليه — وبعد أن صرح بأنه لا يقبل من مؤتمر الصلح أن يقرر له شيئا من دونها — قال ما نصه « ولو قرر المؤتمر المذكور اضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (كذا) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اه بنصه

ولم نعهد قبل هذا ان احدا من البشر اختار لنفسه ان يذل ويخزي لخلق يحمل المبردية تحت ظل سلطانه خيرا من كل ما يتصور من رضوان الله ونعيمه في الآخرة أو مثله وخيرا من الحرية والاستقلال المطلق في الدنيا فان « المقررات » التي يطالب ملك الحجاز الانكليز بتنفيذها عبارة عن تأليف انكلترة حكومة عربية له تتولى هي صيانتها والحفاظه عليها في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعدد بأي شكل حتى الدسائس الداخلية واعتداء الحاسدين له من امراء العرب كما صرح به في كتابه الذي كتبه الى نائب الملك في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٣ وهو الكتاب الذي يسميه « مقررات النهضة » وهو الآن يقول ان مؤتمر الصلح لو قرر له الاستقلال التام المطلق من قيود تأليف الانكليز لحكومته وحفظها له في داخليتها وحماية حدودها ومن غير ان تكون البصرة « تحت اشغال المنظمة البريطانية » كما اقترح من تلقاء نفسه — وفلسطين لليهود الصهيونيين وسورية للفرنسيين كما

لو قرر له . وقدر السمع على هذا بدون وسامة « المعظمة البريطانية » وقبله يكون مطروداً . ورحمة الله تعالى على أمير المؤمنين ومن المعلوم أن « المعظمة البريطانية » لم تنفذ تلك المقررات التي جعلت تمديدها سبباً وجباً لخروجه مع أولاده من الحجاز أو بلاد العرب الى حيث تختار لهم المعظمة البريطانية ، وهي لا تختار لهم الا الامكنة التي هم فيها فانهم لا ينفعونها في سواها .

شامة سائس الحجاز بالكاليين

والسألة الثانية مما انفرد به سائس جريدة القبلة في الرد علينا هي التماسه من صاحب المنار « ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه الآن : أهم يقتدون بأفكرة أم القسطنطينية ؟ » وقفى على هذا السؤال بالذكر ما نقلته البرقيات من عزم الكاليين على اخلاء أنقرة ليظهر للناس خطأ صاحب المنار بتنبؤهم بهم . وبغضيلهم . على زعماء الحجاز يعني أنهم غلبوا على أمرهم ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً ، وطالما أظهرت جريدة القبلة الشامة بهم . وجوابنا أننا نحمد الله تعالى أننا لم نر هذه الشامة بالترك وسرور سائس جريدة القبلة بانتصار الصليب على الحلال كسرويه من قبل بفتح القدس وبغداد ودمشق الا بعد ان نعر الله الكاليين على اليونان وأقصوهم عن أنقرة مذهومين مدحورين ، ولعلم سائس القبلة أن العالم الاسلامي لا يحتاج الى مرشد يرشده الى من يقتدي به من فريق القسطنطينية وأنقرة ، فعقيدة المسلمين الدينية وشعورهم الاسلامي خير مرشد يرشدهم الى ضد ما تفشهم به جريدة القبلة المخالفة للرأي العام لاهل القبلة ، وهم يعلمون أنه لا خلاف بين أنقرة والاستانة في نفس الامر وانما ابتليت القسطنطينية بالاحتلال الاجنبي فقامت أسود أنقرة بواجب الدفاع عنها مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل ابقاء بلادهم لهم وسلمان خايفتهم من السيطرة الاجنبية التي يتخبر سائس القبلة وحكومتها الحجازية بالخنوع لها طوعاً واختياراً بمثل ما نقلناه عنها أننا نعم ان الاستانة خدعت أولاً بدسائس الاجانب فوجد فيها من عد الكاليين عصاة ولم يكن ذلك تميلاً للعالم الاسلامي الى زعماء الحجاز الذين اختاروا لانفسهم ان يكونوا آلات لا ولت الاجانب ولكن الاستانة لم تائب ان ثابت المرشدها وعرفت للكاليين فضلمهم عليها وعانق مندوبها في لندن مندوب أنقرة . أليس صاحب المنار صادقاً في حكمه بان زعماء أنقرة سجلوا لأمتهم الاسلامية للشعهم التركي وحده المعدن والمخار وزعماء الحجاز سجلوا على انفسهم وأعوانهم ؟ ...

هل اخراج الترك من سورية مخيرة للحجاز

وأما المسألتان السان الأولى منهما فتلقاها جريدة القبلة عن نصير عاروي اذ زعماء الحجاز الذين أخرجوا القائد الألماني الذي كان أحد قواد جيش الدولة العثمانية من سورية الخ وجوابنا عنها على فرض التسليم أننا لندها من أعظم التكبيلات التي أسابت العرب والاسلام بفقرهم بسلامهم هذه البلاد وغيرها من الدولة الاسلامية التي جعلت لأهلها من الحقوق في الدولة مثلاً للترك فيها ليجل محلم فيها الانكليز واليهود والمسيحيون والفرنسيين وحالة أهل البلاد معهم معروفة. ولكن سائس القبلة ودكتورهم من طائفة الدروز ومن أيده كرياض أفندي الصباح من طائفة أهل السنة من المسلمين يقولون أخذ الافرنج للارض المقدسة والارض المباركة (سورية) على سلطان الترك عليها ويخالفهم في ذلك العالم الاسلامي كله والسواد الاعظم من أهل سورية حتى النصارى الكاثوليك كما يعلم ذلك المختبرون لحال البلاد ، ولقد قلت في شهر مارس سنة ١٩٢٠ لموسيو روير دو كيه ناموس الجزائر غورو أخبرني رجل من أشهر أنصاركم وأعلمهم بحال البلاد انه لو خير أهل لبنان حتى الموارنة منهم يبتكم وبين الترك انفضل الترك عليكم ثمانون في المئة من أنصاركم الموارنة فالقول بغيرهم ؟ فقال اننا نعلم شيئاً من هذا ولكن دون هذه النسبة. وقد قرأنا من قبل في جريدة القبلة ، لا يتشاءم فيه سائسها من انتصار الكماليين على اليونان وفيه الانكليز الى ما فيه من الخطر على سورية ويعرض حكومته لتلافي هذا الخطر ، ولما أشيع خبر استيلاء اليونان على مدينة انقره — وكنا في مدينة جنيف بسويسرا — اظهر رياض أفندي الصباح السرور وعلمه بأن انتصار الترك ربما يقضي الى زحفهم على سورية ؟ قلت وهل تفضل الفرنسيين على الترك قال نعم انه يفضل عليهم حتى الفرنسيين واليونان ، وتفضيله للانكليز بالاولى ، ثم انه لا يفضل ذلك على الاستقلال ؛ ولو أن سورية نالت الاستقلال بما يقتضون به مما ذكر لكان لهم أن يفخروا ولما نوزعوا في الفخر ولو باطلا كما ينازعون به بعد هذه العاقبة السوءى لعمامه المبني على الفساد من أول يوم

من سلم دمشق لفرنسة ؟

هذا وان من الجلي البين أن تبجح سائس جريدة القبلة بتلاواقرا وأخراج

العثمانيين من سورية هو نصر صريح بأنهم كانوا هم الذين فتحوها للانكليز والفرنسيين الذين اقتسموا الولايات العربية العثمانية في اثناء الحرب، وقد هنا أم ملك الحجاز بهذا الفتح المبين. ثم أن شبله الملك فيصل بذل جهده لجعل سورية للانكليز وحدهم باسم الانتداب المبتدع فلما أعلموه بالقسمة اتفق مع موسيو كلنصو على إقناع سورية الشمالية بالانتداب الفرنسي فكان صاحب المنار في طليعة المعارضين له قبل عقد المؤتمر السوري العام ثم وانتخابه رئيساً له وبعد ذلك وهو لم يستطع قبول أنذار الجنرال غورو والخضوع للانتداب الذي سيم خسفه إلا بعد تعطيل المؤتمر، وقد صرح في البرقية التي أرسلها إلى الجنرال أنه قبل الانتداب بالرغم من ارادة الامة وعرض نفسه وحكومته للخطر، ومن المعلوم أن المؤتمر كان أكبر ممثلاً للامة لانه هو الذي أعلن الاستقلال ونصب فيصل ملكاً باسم الامة فاذا كان سائس القبلية ينكر هذا أو يعاري فيه فاننا ننشر نصوص البرقيات التي أرسلها الملك فيصل إلى الجنرال غورو وما احتفت بها من الحوادث خصوصاً اتهام فيصل بالتورط بانه قرر خيائته وقتله وما خاطبته به في هذه المسألة وغيرها، اليس من غرائب شؤون البشر ان يقول المالمون بهذه الحقائق ان صاحب المنار هو الذي ادت مواقفه إلى تسليم البلاد إلى الجنرال غورو!! ثم يملون ذلك بزعمهم نهكاً أنه ادعى انه كان هو الأمر الناهي في دمشق يولي من يشاء ويعزل من يشاء، وهل يمكن ان يصل احد إلى سفه نفسه بمثل هذا إلا بخذلان من الله؟

من حمل أمير مكة على الثورة

وأما المسألة الثانية مما نقلته القبلية عن نصيرها وهي زعم الدكتور طليع الذي ارتفعه سائس القبلية - ان صاحب المنار اشار على ملك الحجاز بعداوة الاتحاديين فأفضت العداوة إلى قتال الترك لأن امر الدولة كان بأيدي الاتحاديين - فهي تضليل ظاهر وافك بين فان صاحب المنار انما ذهب إلى الحجاز حاجاً بعد خروج امير مكة عن الدولة وقتاله اياها واستماتته عليها بالدولة البريطانية التي ايدته بأساليبها وبيعض الجود المصرية وبذلك غلبت الحامية العثمانية التي كانت بمجدة ومكة والمذائف وفي تلك الاثناء نصحناله بما اشرنا إلى بعضه في بعض المقالات تحت اشراف المراقبة الثقيلة على الممار ومصرحتنا ببعضه في مقالة الحقائق الجلية واهمه التحذير من عداة الامة التركية وان يكون من أسباب سقوط الدولة العثمانية، وان يمحصر عداوته في خطة الاتحاديين العلوانية، وانكار قسوة جمال الوحشية، حتى

يبقى للصلح بينه وبين الدولة موضع كما صرحت بذلك في خطبتي التاريخية في احتفال العيد بمعنى واظهر لي القبول وكان هذا ممكنا

وبعد العودة الى محضر انكرت في رحلة الحجاز على بعض الشبان الذين ذهبوا الى الحجاز امتهان الدين، وفضلت عليهم من كنا ننكر عليهم من الاتحاديين، فبادرت الحكومة الحجازية الى عقابنا على هذا بمنع مجلة المنار من دخول الحجاز، ثم استرسلت في اعمالها السياسية والحربية بما كنا ننكره عليهم ولا نستطيع مقاومتها بقول صريح، ولقد استغربنا اقرار سائس القبة ما ذكر من سخر نصيره والمحامي هنه ولا سيما زعمه انه «ما حمل جلالة ملك الحجاز لنا وثقتهم» (١) الا كذا وكذا. قهلي كان امير مكة يقرأ مقالات المنار في الانكار على الاتحاديين وكانت عنده من الاسباب التي حملته على موالة انكثرة ومساعدتها على قتال الدولة العثمانية ؟ أم كان ذلك بفعل الدسائس والجنبيات الانكليزية ؟

كلا ان ما كتبناه في الانكار على ما اتاه بعض الاتحاديين المارقين قد كان مشايمة ونصرا للجمعية علماء الاستانة والاحزاب العثمانية المخالفة لهم من حيث هم حزب سياسي لم يقدر المركز الديني للدولة حق قدره وقتن بالمصيبة الطورانية حتى كان جميع المتدينين خصوما له وان لم تظهر لهم حقيقة الغلاة من زعمائه الا بالتدريج، ولم يكن في شيء من ذلك تحريض على الترك ولا على الدولة بل كان اتصافا لها. وقد علت في أوروبا أن السواد الاعظم في الاستانة والانانول صار خصما لا أولئك الغلاة واثثروا بالفتك بهم بعد انتهاء الحرب . ونحمد الله تعالى ان ظهر للجميع خطأ تلك المصيبة الجاهلية التي أنكرناها عليهم واجمعوا على صحة رأينا، وسنبين ذلك في الرحلة الاوربية ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه ﴾ افترى الدكتور طليم علينا ما شايسته عليه جريدة القبة من زعمه اننا كنا نحرض على الترك وان ذلك كان من أسباب خروج أمراء الحجاز عليهم وغرضهم ان ذلك معروف جلي. والا فليأتونا بنس من المنار يؤيد زعمهما . كما افترى علينا الدكتور طليم بأننا كنا مؤيدين لملك الحجاز في عداوته وقتاله للترك الى عهد قريب . والصواب اننا كنا في أول العهد بالثورة غير مطلعين على دخالها وأسبابها فظننا أنه يمكننا أن نوقهها عند حد ما يسميه المنطقة قضية مانعة الخلو وهو اما ان تنفع واما ألا تضر وبذلنا ما استطعنا من النصيح في هذه السبيل ، وقد رابنا كلام الرجل في مكة وان سرح في حفلة منى العامة

جهرًا بأنه لم يمبرأحد عن رأيه من غير توافؤ قبل خلبقتنا في تلك الحفلة. ونحن
نذيل هذا الرد بنفس بلاغ حكومة الحجاز الرسمي تمنع المنار من الحجاز الذي
منعتنا المراقبة من نشره في أيام الحرب . وهذا نصه منقولاً عن عدد ٧٨ من
بريدة القبلة الذي صدر في ٢٣ رجب سنة ١٣٣٥

منع مجلة المنار

من البلاد العربية الهاشمية

جاءنا من وكالة الداخلية البلاغ الآتي :

« ان ماورد في مجلة المنار (عدد ٦ : مجلد ١٩ ، الصادر في محرونية . عبر
في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٥) من التعريض بن قدم البناء ابنه الدوب
والتحامل عليهم لاعتبره الحكومة العربية الهاشمية الا مقصوداً به الخط
والنيل منها ، اذ ان الافاضل النجباء المشبار اليهم اجل وارفع من ان تمسهم
شائبة بما رمتهم به المجلة المذكورة كما هو معلوم ، وانهم لاذنب لهم في حياة
الشيخ المروفة الا انصاهم الى حكومتنا العربية ، ولا جريمة تستلزم غيظه
وغضبه على حكومتنا — وهي لم يعض عليها الوقت الكافي لاحتدام هذا
الغيظ والغضب — الا ما عساه ان يكون مما اشير اليه في الكتاب المرسل
للفاضل الاجل حضرة رفيق بك العظيم الذي توجه الى مراجعته انظار الافاضل
من انصار الحقيقة (١)

وان هذه الحطة نذكرنا بكلمة المرحوم المبرور الشيخ علي يوسف وقد
اختصر واوجز عند ما اريد اسقاط مؤيده في دمشق فقال « انهم لم يرفعوا
المؤيد حتى يسقطوه » (٢)

ولما كان سلك الحكومة العربية الهاشمية يخالف ما كان من هذا النوع

(١) المنار : اننا لم نطلع على ذلك الكتاب الى اليوم ولم نكتب ما كتبنا
يومئذ ولا أمس واليوم الا لما يجب من بيان الحق والنصح لخالق (٢) نقول
بمناسبة هذه العبارة ان منع الحكومة الحجازية للمنار كانت زيادة في رفعة
قدره وحطة قدرها وثقه الحمد وهذا القول الرسمي يكذب دعوى كون
كلامنا كان من اسباب الثورة الحجازية

من المناقشات الناشئة عن الاغراض التنفسانية التي تأبأها شيم قوميتنا وشهامتنا، امتنا، قتلافنا لضرر ما صدر من حضرة الشيخ صاحب المنار في هذا الباب امام الامم والشموب لاسيا في الآونة الحاضرة، ودروءا لما ينطوي تحت التمادي في ذلك من المساوي المغيرة ل شمار عنصرنا الشريف قد تقرر منم دخول تلك المجلة الى الممالك الهاشمية (١). وقد بلغ ذلك لمدير صوم دوائر البرق والبريد ومديري الجمارك في الشفور. وهذا اول وآخر جواب تعده الحكومة لكل ما كتب ويكتب من هذا القبيل اه

تقريظ المطبوعات (*)

القمح مجلة علمية عراقية عراقية بحرية من أفضل الكتب مطبوعاتها ٢٤ بقطع الفجر للثلاث تصدر في الشهر مرة واحدة وتطبع على ورق جيد طبعا نظيفا وادواتها (بنج) انجليزية عدد ٢٠٠ بنونس بوقية الاشتراك بها سنون فرنسكا ويمكن الاشتراك بواسطة مكتبة المنار بدمر

صدر الجزء الاول من المجلد الثاني من هذه المجلة مضمنا بالمقالات النافعة والنبد المقيمة مما يرهن على مضي المجلة في سبيلها القويم وذكر في صدر هذا الجزء ان المجلة فتحت باب الانتقاد والتقريظ وتقدم المؤلفات الحديثة وانها عزمت على ان تكون في

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان اللاه روى « ونبأنا » كتاب الطريق —

٢٩ صفر ١٣٤٠ - ٧ المقرب (خ ٢) سنة ١٣٠٠ هـ من ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢١

فتاوى المنار

فصحت هذا الباب لاجابة أسئلة المتكررين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ولعسقط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمرالى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لعل هذا ، ولعن مضى على -ؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فانم نذكره كان لنا عذر صحيح لا يغفاله

عن أسئلة من جاوه

(س ١٥ - ١٧) من حميس بالامضاء الملبم في ذيله

تتعلق بالربا في القراضيس المالية والقولس النحاسية وصندوق التوفير

حضرة مولاي الاستاذ العلامة الفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر زاده الله فضلاً وكرماً . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد كلفني عدد من العقلاء أن ارفم الى حضرتكم أسئلة آتية ارجو من فضلكم الجواب عنها وهي :

- (١) اعطى رجل رجلاً آخر ديناً قدره عشر رويات هولندية من فصة وشرط عليه أن يدفع له خمس عشرة روية من القراضيس المالية الهولندية، قال عالم من العلماء الجاويين (الملاويين) المدرسين في مكة المكرمة : هذا جائز فان بيع القراضيس المالية بالرويات الفضية مع زيادة احدهما على الآخر جائز وليس في ذلك ربا - بخلاف ما اذا بيع قرطاس من هذه القراضيس بخنسه مع زيادة فانه لا يجوز كبيع الدرهم بالدرهمين ، فهل هذا القول صحيح أم لا ؟
- (٢) عندنا قولس نحاسية هولندية تساوي مئة سنت منها روية واحدة هولندية فهل يجوز لنا أن نبيع روية من هذه الرويات بمئة وعشرين من هذه القولس أم لا ، قال العالم الجاوي : انه يجوز وعليه يقاس بيع القراضيس المالية بالرويات مع زيادة احدهما على الآخر وهل هذا القول صحيح أم لا ؟
- (٣) يوجد عندنا ما يسمى « فوستر بنك » Posts parbank وضمته

الحكومة المولانية لا يدع من البيع من الدس يريد توفير . والتمس تربيت لا يقبل اكثر من الفين وخمسين روية يودع فيه . وكل من اودع ماله فيه نحو سنة زاده عليه زيادة وله أن يسترد منه ما شاء ومتى شاء — فهل يجوز لنا أن نودع ماله فيه وتأخذ الزيادة أم يجوز لنا ايداع ماله فيه فقط ويحرم علينا أخذ الزيادة ؟ وهذه الزيادة ليست بكثيرة وانما هي نحو اثنتين أو ثلاث في المائة هذه هي الاسئلة المرجو من علومكم الجواب عنها جواباً شافياً ولكم منا الشكر والثناء الجليل ، ومن الله الاجر الجزيل . (سائلون)

سبب تحريراً ٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٩

جواب المنار

قد سبق لنا فتاوى في هذه المسائل وأما هنا فتوى في الاوراق المالية المسماة بالانواط أو (بنك فوت) وبحت الزكاة والربا فيها (ص ٥١ م ٥) وفتوى في بيع الدين بالتقدي والاوراق المالية وهل هي تقود أم لا (٥٣٨ م ٩) وفتوى في صندوق التوفير (ص ٧١٧ م ٦ و ٢٨ م ٧) وغير ذلك . ومذهب المنار في أمثال هذه المسائل المدنية أن يراعي فيها أسس الشارع وحكمة التشريع والقواعد العامة ولا سيما القلبي منها كالبيع ودفع المخرج والعنت ونفي الضرر والضرار وجانب المصالح ودفع المفاسد ، فجميع هذه الدلائل تقى في الوقائع المستحدثة التي لم تكن في العصر الاول وتكتفي في الجواب الاجمالي هنا الاحالة على ما تقدم

حكم الانواط في البيع والدين

(المسألة الاولى) استدانة عشر روبيات هولندية من الفضة بخمس عشرة روية من القراطيس المالية المولانية . هذه القراطيس سندات أو حوالات من الحكومة الهولندية بدين عليها لحاملها من الروبيات الفضية . فهي ليست عروض تجارة لها قيمة زينة ولكن لما حكم الممدر الربوي وان لم تكن فضية لان حاملها يأخذها ما قيم فيه من نقد الف . فيمكن الدائن في الواقعة المسؤول عنها قال للدائن حذو لاء العشر الروبيات بشرط أن تعطيني بها حوالة على فلان الذي مالي اوي خمس عشرة . هل يصح أن يقال في مثل هذه العمرة ان الدائن اشترى من المدين ورقة بعشر روبيات من الفضة لبيته وان الورق غير

ربوي فلا يشترط أن يباع • ثلاثاً ولا يبدأ بيد لا اختلاف الجنس ؟ ما أظن أن ذلك المدرس الجاوي يقول بجواز هذا فإذا صدق ظني فهذا لا يفرق بين الصورتين ؟ قد يقول هذه القراطيس المالية الدولية قد تنقص قيمتها بالنقد الفضي والذهبي مما التزم بها من رويات أو قروض أو جنهات فتباع بما دربه كما هو واقع اليوم في القراطيس (الأنواط) النموية والامانية والفرنسية وغيرها فمنها ما يتباع بنصف القيمة وما يباع بمجسها أو سبعها أو أدنى من ذلك أو أكثر فهذا صارت من قبيل عروض التجارة — ونقول ان هذا النقص في قيمة الأنواط لا يكون من الحكومة التي أصدرتها في بلادها وإنما يعرض في التعامل بين الأجانب • وسببه أن الثقة المالية بالدول تقوى وتضعف أحياناً كالثقة بالأفراد بما يرضى لها من العجز عن دفع كل ما عليها من الدين فحينئذ يرضى من بيده سند أو حوالة على مثل هذه الدولة أن يبيعه بما دون القيمة المرقومة في السند أو الحوالة إذا لم يكن يستطيع معاملة هذه الدولة بها أو انتظار عودة الثقة المالية التي تمتكها من الوفاء بما أكرمه من دفع هذه القيمة وتحمل الناس على تداول قراطيسها (أنواطها) بقيمتها كاملة ، ومثل هذه الحالة لا تصدق على مثل الحكومة الهولندية في بلادها ومستعمراتها فان قراطيسها المالية لا تنقص عن القيمة المرقومة فيها من الرويات الفضية ، فإذا أخذ الدائن من الدين في النازلة المسؤول عنها قراطيساً بخمس عشرة روية فانه يمكنه أن يأخذ من الحكومة هذا المبلغ من الفضة أو يدفعه لأي مصلحة من مصالحها بهذه القيمة فإذا كان عليه دين للحكومة فبانه منه خزيفتها وإذا دفعه لمصلحة البريد أو مصلحة الجمارك أو صندوق التوفير فانه لا يفرق بينه وبين الفضة البتة ، وإنما قد يفرق بينهما في البلاد الأجنبية التي لا تتعامل قراطيس هذه الدولة ولا فضتها بحسب الأحوال التي أشرنا إليها آنفاً

• وإذا سلم ان هذه القراطيس من قبيل عروض التجارة امتنع فيها الربا في جميع مذاهب الفقهاء لانها ليست من النقد ولا من اصول الاقوات التي ورد بها النص ولا مما ألحق بها قياساً فتعمد روية عند اهل الحديث وفقهاء ولا من المكيلات ولا من الموزونات فتعمد روية عند اهل الرأي ، فكيف منع زيادة أحد المعوضين فيها بجمعها كبيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة أو البر بالبر فظهر بهذا أن رأي ذلك المدرس على كونه غير مطابق للواقع يؤدي الى

إباحة الربا الذي لا شك فيه حتى في دار الاسلام بين أهله وبذهب بمحكمة الشرع في تحريره وهو تعاملت الناس وزاجهم ولما ونهم في اوقات العسرة كما أنه يتوسل به الى منع الزكاة أيضاً

بيع الفلوس النحاسية بالفضة

وأما المسألة الثانية وهي مسألة الفلوس النحاسية فقول العالم الجاوي فيها هو عين مذهب الشافعية الذي يتقلده مسلمو جاوه فهو مصيب فيه ولكنه عظمى في قياس القرامطيس المالية عليه لأنها سندات أو حوالات بنقد ربوي، ولو كانت هذه الفلوس مبددة في النقد لجعل لها حكم الذهب والفضة بالقياس الجلي أو لغوى النص، وليست كذلك بل جعلت لاجل ضبط كسورها والتعامل بها قليل ومحصور ما تضر به كل دولة منها في بلادها فلو نقل الى بلاد أخرى لا يتعامل به ولا يباع بقيمة النقد ولا بقيمة معدنه لو كان آتية بخلاف تقود النقصان فأنها تباع في كل قطر لا يتعامل أهلها بها بقيمة معدنه. وما قلناه في هذه الفلوس هو المتعين في القوت الغالب اذا لم يكن من الاقوات التي ورد بها النص صناديق التوفير والفرق بين دار الاسلام وغيرها

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة صندوق التوفير فهي عامة في جميع الممالك الاوربية وما على نسقها من البلاد كصر، وقد أجازها جماعة من علماء المذاهب الاثريين وأفتى به مفتي الديار المصرية بعد تطبيق استغلال مصلحة البريد المصرية للاموال الموفرة فيه على بعض احكام الشركات الشرعية كما بيناه في المنار فراجعوا ذلك في المجلدين السادس والسابع

وزيدكم على ذلك أن علماء الاثر نظر في ذلك وأقروا ما أقروه فيه يطلب أمير البلاد بناء على اعتبارهم أنها بحسب حالها الشرعية دار اسلام، وكان ذلك قبل الحرب الاخيرة ووضم مصر تحت الحماية الاجنبية التي لا يعترفون بها ببيعة عشر عاماً، وبلاد جاوه ليست دار اسلام ولا تجري فيها المعاملات المالية على الشريعة الاسلامية فلا يجب على المسلم فيها أن يلتزم في هذه المعاملات مع الحكومة الهولندية أو الشركات الهولندية أو الافراد احكام شريعتهم في الربا وعقد البيع والايارة والقروض وغيرها بل يحل له أن يأخذ من أموالهم ما يتبجح به له شرائهم وقوايتهم وما كان يتراض منه ومنهم دون ما كان بخيانة

ثم ان الربا انما يتحقق في عرف الفقهاء بالمقد الذي يشترط فيه من يعطي المال أن يأخذ عليه ربها مميّناً ، فمن أقرض رجلاً مالا بغير عقد ولا شرط فردّه اليه وزاده من غير اشتراط زيادة كان ذلك حلالاً ، وقد ثبت في الحديث الصحيح استحباب ذلك كما بين في محله من صحيح البخاري وغيره ، وحديث: كل قرض جر منفعة فهو ربا غير صحيح كما بينا ذلك من قبل

فلم بهذا أن للجباويين واهلهم عدة وجوه لوضع شيء من أموالهم في صندوق التوفير الذي وضعته حكومتهم وأخذ الربح منها . ومثله وضع المال في مصارفهم المالية وأخذ الربح منها كما يفعل مسلمو الصين . وما يبعث العجب من حال كثير من المسلمين أنهم قد اختاروا لانفسهم بلبسهم الدين مقولاً بالثروة أن يقترضوا المال من الاوربيين بالربا ولا يقرضوهم ويودعوا أموالهم في مصارفهم (البنوك) ليستغلوها ولا يستريحون لانفسهم ان يشاركوهم في شيء من ربحها . ومعنى هذا أنهم يفهمون من دينهم أنه اباح لهم ان يتلقوا ثروتهم ويمطوها للجانِب حتى القانحين منهم لبلادهم باسم التفتح والاستثمار او باسم آخر وحرم عليهم أن ينتفعوا بشيء منهم ولو كان رضاهم وبعض ثمرة ما أعطوهم من المال . وأعجب من هذا أن منهم من يشكو من شرع دينه ويزعم انه لا ينطبق على مصلحة الامة في هذا العصر وان تركه الى شرائع تلك الامة أقم لهم ! وانما الامر بضد ذلك ففائدة الشرع الاسلامي أنه لا أحرام الا ما كان ضاراً ومنه اضاعه المال ، ولو عرف المسلمون حقيقة شرعهم والتزموا أحكامه لكانوا أغنى الامة وأعزها ولما أضاعوا ملكهم وملكهم ، وانما أضاعوها بجهل وترك العمل به ، والذنب الاكبر في هذا على علمائهم الجامدين ، وحكامهم الجاهلين او المارقين .

هذا وان على المسلمين أن يراعوا في غير دار الاسلام أحكام دينهم وحكمه فيما بينهم حتى في المعاملات فلا يباح للموسر منهم أن يقسو على المحتاج اذا افترض منه فيستغل ضرورته أو حاجته بما يتبع له قوانين البلاد من الربا . والفرق بين هذا وبين ربح صندوق التوفير والمصارف المالية عظيم جداً فان الربا انما حرم في دار الاسلام لضرره كما علله تعالى بقوله (وان تبتم فلا كبر رهوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وليس في أخذ الربح من صندوق التوفير والمصارف ظلم لاحد ولا قسوة على محتاج حتى في دار الاسلام . وقد فصلنا القول في الربا هذا في تفسير آية آل عمران فيه فليراجع

بحث لغوي

في براءة القرآن الشريف عن بعض الالفاظ الاعجمية

تتمة مقالة احمد بك كمال

(١١) ذر الكتاب - افي كتبه وزاد في مفردات الراغب كتابة غليظة والذير الكتاب جمه زبور والزبور الكتاب بمعنى المزبور افي المكتوب جمه ذير (بضمين) وغلب على مزامير داود النبي والملك

والتريرة الخط والكتابة مصدر ذر قال الاصمعي سمعت أمراءياً يقول انا اعرف ذيرتي افي خطي وكتابتي، والمزير القلم، وبما ان مادة ذر وذير وسفر كلها واحدة بمعنى كتب قد تنوع لفظها في العربية وفي النصوص المصرية ايضا فلا حاجة لخراجها من العربية وانتسابها الى المعجمة بدون مسوغ لغوي

(١٢) سفر الكتاب - كتبه والسافر الكتاب جمه سفرة (بفتحين بكسبة) يقال والسفرة السكرام افي الكسبة والسفر الكتاب الكبير وقيل هو جزء من اجزاء التوراة ، تقول (١) خطمي طول ممارسة الاسفار وكثرة بدارسة الاسفار

(١٣) ذر الكتاب ذراً كتبه ونقطه - وقراء قراءة حقيقية وقيل سرية ومنه ما احسن ما يذر الكتاب أي يقرأه ولا يتمكث فيه والشيء علمه وفقه فيه وذير الكتاب تديراً قبل ذره والذير المتقن للعلم والذر الكتاب جمه ذار كقوله « على عرضات كالذبار نواطق » (٢) وثوب مذر منتم يمانية - والكلمة مصرية قديمة دونها ارمان في مفرداته المصرية (الصحيفة ١٤) وتقرأ سبر والسين تقلب ذالا وزايا والباء فاء فيقال ذر وذير وسفر وهذا القلب والابدال له اصول متبعة في اللغتين المصرية والعربية والسبب فيه تعدد القبائل ولهجاتها فاللغة المصرية وهي الاسل للغة العربية (٣) شاملة لالفاظ مختلفة اللهجة باختلاف لهجات القبائل

(١٤) سبط جمعها أسباط - ولد الولد ومن اليهود كالتقبيلة من العرب

(١) هذا من سجمات أساس البلاغة (٢) الصواب « على عرضات كالذبار النواطق » والبيت الذي الرمة وأوله : أقول لنفسي وإيماء عند مشرف (٣) هذا رأي الكاتب والصواب عندنا العكس فالعربية هي الأصل كما بينا ذلك من قبل

وفي القرآن الشريف (وقطعنا من اثني عشرة اسباطاً) (١) اي امة وجماعة وقد يستعمل للقبيلة من العرب . والسبط كلمة مصرية قديمة وجدت مذكورة في نصاب فتح فتح حيث قال ما تعريفة : -

« ان المنذور لله الساكن سأوليس للاسباط فيه يد »

ومعنى ذلك ان الرجل التقى في موطن لا يحمل للاسباط يداً اليه اي سبباً لاذيته كما انها ذكرت في كتاب المولى وعلى جدران مقبرة (أمست) بمعنى ما جاءت به في العربية فهي اذن عربية لوجودها في المصرية ايضاً وقد خصصت في المصرية بأشارات مؤيدة لمعناها اي رسم بعدها رجل وامرأة مصحوران بعلامة الجمع مما يثبت معنى الكلمة فهي اذن عربية لا محالة

(١٥) يصهر - في قوله تعالى: (٢) يصهر به ما في بطونهم (الحج - ٢٢: ٢٠) أي ينضج بلسان اهل المغرب وقد بينا ان اهل المغرب هم (اعناء التحف) وان لغتهم لغة الاعناء وهي اصل اللغة العربية فالكلمة اذن عربية وقد وردت في القاموس المحيط من مادة صهر يقال صهرته الشمس أي صهرته بالحما بمعنى طبخته وصهر الشيء أذابه فانصهر فهو صهر والصهر بالفتح الحار (٢) والاذابة كالاصطهار الخ : وقد وردت هذه المادة في المصرية بهذا المعنى فهي اذن عربية . (١٦) مجوس - في قوله تعالى : (والنصارى والمجوس) كلمة اعجمية فارسية تدل في الاصل على قبيلة من ميديا يظهر انها كانت على دين تلك البلاد ثم التي كانت تعبد النار فاشتهرت هذه الديانة بعدئذ باسم مجوس ثم اطلق اسم المجوس على كهنة الديانة المجوسية واطلقه من بعدهم العرب على الديانة المزدية وكان للمجوس مدن خاصة لهم منها اكنبان وهي مدينة في نهاية حدود القرس هذا وان اصحاب الاسكندر ادركوا المجوس وهم بوظائف كهنوتية - ومن المحتمل أن تكون مجوس من اصل طوراني دخلت في كلدة وعلى كل حال فهي اسم علم لا يتغير ذكر في القرآن الشريف بلفظه فتأمل

(١٧) بيع - بيع مفردا يعة ذكرت في قوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع . الحج - ٢٢ : ٢٠) قال الشيخ رحمه الله البيعة فارسية معربة انه . أما البيعة فهي من بايعه مبايعة اذا شرط معه على شيء . (١) السمر السمر (اسباط امما) فاما بنذر من اسباط (٢) ضبطت في المقتطف:

يصهروا في بطونهم (وهو غلط فاحش

أو انفق منه على امرأ أو سلم له في امر أو اعترف له بالرائسة والولاية فليبعها محل الاعتراف بإداء الثرائض الدينية من عبادة وصلاة فهي كالمسجد أو الجامع من حيث اداء الصلوات فيها . وقد ذكرت في المصرية بيعاً وذلك في ورق ابوت (١٦١) المؤشر عليها بحد ١٠٢٢١ وهي المحفوظة في متحف انكتر وفسرها الاثريون بالجبانة ولكني اصرفتها الى معنى المبدع كما يفهم من سياق الكلام في الورقة المذكورة

احمد كمال

القياس في العربية

المقالة الثانية في قياس التمثيل

ذكرت فيما سلف أنني اريد بقياس التمثيل الحاق نوع من الكلم بنوع آخر في حكم . وهو ما يعنيه بعض النحاة في قولهم : ان اللغة لا تثبت بالقياس يأخذ النحاة بقياس التمثيل لاثبات اصل الحكم ، وكثيراً ما يرجعون اليه في تأييد المذهب بعد بناءه على السماع . وهذا ابو حيان الذي هو أشد النحاة وقوفاً عند حد السماع وأسرعهم الى محاربة من يعمل على هذا الفن من القياس قد ينظر اليه في بعض الاحيان كما قال : ان الناصب لا اذا فعل شرطه قياساً على سائر ادوات الشرط . وقال في سياق الكلام على الجملة المنفية حين تقم حالاً - والمنفية بأن - لا أخفقه من كلام العرب والقياس يقتضي جواباً نحو جاء زيد ان يدري كيف الطريق ، قياساً على وقوعه خبراً في حديث ففعل ان يدري كم صل .

ويدور البحث في هذا المطلب على تحقيق المفتضي للقياس ثم شروط صحت

المفتضي للقياس

يقيس النحاة بعض أنواع الكلم على بعض إذا انعقد بينهما شبه في المعنى أو في اللفظ أو في العمل أو اشتركا في الالة التي يقع في ظنهم أن الحكم قائم عليهم والعلل التي يقول الباحثون في العربية ان العرب راعيتها وبنيت عليها احكام الفاعلها ترجم الى قسمين (احدهما) ما يقرب مأخذه ويتلقاه النظر بقبولها كما وجهوا تحريك بعض الحروف الساكنة بالتخلص من التقاء الساكنين وعللوا حذف احد الحرفين المتماثلين بطلب الخفة

(ثانيهما) ما يكون من قبيل الفرضيات التي لا تستطيع ان ترد على قائلها كما انك لا تضعها بحمل العلم او الظن القريب منه . وهذا كما قالوا في وجه بناء قبل وبعد اذا قطعنا عن الاضافة لفظا « انها شابهت الحرف في احتياجها الى معنى المحذوف فاذا قات ان العلة عند ذكر المضاف اليه ثابتة فلماذا لم يرتبط بها اثرها وهو حكم البناء ؟ قالوا ظهور الاضافة التي هي من خواص الاسماء بعدها عن شبه الحرف فمادت الى اصلها الذي هو الاعراب . فان قلت ما بالهم بنوا «اي» الموصولة فيها اذا اضافوها في اللفظ وحذفوا صدر صلتها ؟ اجابوك بانهم انزلوا المضاف اليه منزلة صدر العلة فعار في حكم المقطوع عن الاضافة . ولا يمسك بعد هذا الا ان تنفض ثوبك من غيار هذه المجادلة وتنفصل عنها وليس في يدك اثارة من علم . وقد ذكر ابو حيان تماثيلهم لاختصاص ضمير المتكلم بالضم وضمير المخاطب بالفتح وضمير المخاطبة بالكسرة ثم قال هذه التماثيل لا يحتاج اليها لانها تمليل وضميات ، والوضميات لا تملل .
والذي ينبغي عليه البحث في هذا الباب ما كان من قبيل القسم الاول اذ هو الذي تستقيم معه الاقيسة الصحيحة

شروط صحة القياس

اذا تتبعنا ما يتشعب به القادحون في مسائل هذا الضرب من القياس رأينا ان يدور على ثلاثة وجوه (أحدها) بيان الفرق بين المقيس والمقيس عليه (ثانيها) الاختلاف في حكم المقيس عليه (ثالثها) مخالفة حكم المقيس عليه للاصول . فالقياس مع الفارق كما أجاز بعضهم تقديم الفعل المنفي بان قائل ان لن اضرب نقي لسا ضرب فكما جاز زيدا سا ضرب جاز زيدا لن اضرب . وما كان من المنكرين لهذا القياس سوى أن تعرضوا للتفريق بين السين ولن بأن حرف الذي يقتضي الصدارة في الجملة التي يدخلها وذلك معنى يمتاز به دون حرف التنفيس والقياس على المختلف فيه كما ألحق الكوفيون فعل التمتع بفعل التفضيل في جواز بناءه من لوني البياض والسواد . وقد رده البصريون بأنه قياس على مختلف فيه اذ لم لا يوافقون على صوغ اسم التفضيل من الالوان وكأنهم نحووا في هذا المبحث منحنى القياس الفقهي ، وقد ذهب فريق من الأصوليين الى صحة القياس على المختلف فيه لانه - وان لم يكن دليلا مسلما عند المخالف -

يصلح أن يكون مستنداً لمن يتقرر عنده حكم الاصل بمجة راجحة والقياس على ماخالف القياس كما قال الكسائي لا يقتصر في الظروف الواردة اسماء افعال نحو عليك واليك على ما ورد في الرواية بل يجوز أن يقاس عليها غيرها مما لم يرد به سماع . وطعن البصريون في هذا المذهب بأن تلك الظروف وقعت موقع الاسماء على خلاف اصلها ، وما جاء على خلاف الاصول لا يصح القياس عليه بحال . وأجاز ابن مالك جم جم بالواو والنون . مع اعترافه بأنه لم يسمع فقال ابو حيان ان اجازته لذلك انما هو بالقياس على أب وينبغي أن يمتنع لان جم اب واراد على وجه الشذوذ فلا يصح القياس عليه والتحقيق ان الاصول التي يجيء الحكم على خلافها تتفاوت في القوة والضعف . فالاصل الذي يمنع من الزيادة — وهو ان الالتفاظ انما وضعت لافادة الممانى — أقوى من الاصل الذي يمنع من تقديم المفعول على العامل ولهذا كانت مخالفة الرب لقانون تقديم العامل أكثر من مخالفتهم لقانون المنع من الزيادة ، فيترجح امتناع زيادة كان في صدر الكلام او آخره قياساً على زيادتها في الوسط ، وليس من البعيد جواز تقديم الخبر في باب زال الناسخة قياساً على تقديم المفعول الثابت على خلاف القياس

المقالة الثالثة في المباحث المشتركة

القياس في الاتصال

خصت العرب بمض الادوات بالدخول على انواع من الكلم لا تتجاوزها مثل الاسماء تختص بحروف الجر والنداء ، والمضارع يختص بنحو لم وي ، وأبقت بعضها دائراً بين نوعين نحو هل و همزة الاستفهام يوصلان بالاسماء والافعال ، وان ولو الشرطيتين يدخلان على الافعال الماضية والمستقبلية . فاذا وردت كلمة من امثال هذه الادوات مقرونة بنوع خاص من الكلم فليس لنا ان نخرج به عن دائرة السماع ، ومثال هذا لما الحينية انما جاءت موصولة بالفعل الماضي فلا يسوغ لنا ان نلصق بها فعلاً مضارعاً كما صنم ابن ابي حجة في قوله والنبت يضبطها بشكل معرب لما يزيد الطير في التلحين واذا دارت الكلمة في كلام العرب بصورة المضارع ولم تأت في الرواية موصولة بال المعرفة قطعاً فليس لنا أن نعلمها عن الاضافة ونصلها بأداة التعريف

مثل لفظ كل وبعض وغير

فان قال قائل أن هذا المحجر يقتضي أن لا تدخل آل على اسم الا اذا سمع اتصالها به في الصحيح من كلام العرب . ومن الممعدن أن يتنبه واضع القاعدة جميع الاسماء العربية ليتحقق هل نطقوا بها مقرونة بال أم لا . فالجواب انما لا ندعي أن هذه الكلمات لم يستثنها النحاة الا بعد أن أتوا على جميع المفردات مفرداً مفرداً ، وانما جاء استثنائها من جهة انها دائرة على السنة الفصحاء بكثرة حتى لا تكاد تمر بقصيدة أو خطبة أو محاوراة دون أن يعترضك شيء منها ، فقدم استعمالها موصولة بأداة التثنية م م ابرادهم لما في جل مخاطبتهم دليل على أنهم التزموا قطعها عن هذه الاداة ، ولا يسوغ لنا الحاق الكلمة بأشباهها متى شهد الاستعمال بعدم اجرائها على القاعدة

وعلى هذا التحرير يجري القول في الاسماء التي قصروها على حالة كالانفاط التي قال صاحب اصلاح المنطق وغيره انها لا تستعمل الا في سياق التثنية وهي احد ومريب وديار واخواتها . وينتظم في هذا الصدد الاسماء المختصة بالاضافة الى المضمرات كوحده ولبي ودوالي وسندي

وصفة المقال ان الكلمة اذا وردت مقرونة بلفظ معين أو نوع خاص فلا بد من النظر في حال استعمالها فان كثرت دورانها في اقوال الفصحاء وغيرهم ولم يعدلوا عن وصلها بذلك اللفظ المعين أو النوع الخاص وقفنا عند استعمالهم ، ولا يسعنا الخروج عن حالتها في الرواية . واذا لم تكن شائعة في فنون المخاطبات فانه يسوغ لنا أن نتصرف فيها فنقرنها بغير ذلك اللفظ ونتمدى بها مكان الرواية حيث لم يقيم الدليل وهو كثرة ثقلها في السنتهم على قصد اختصاصها بهذا الافتزان ومن امثلة هذا انه ورد اتصال هاء التنبيه بالضمير المخبر عنه باسم اشارة فرأى ابن هشام ان الامثلة الواردة بهذا الاسلوب قد بلغت في الكثرة الى أن يؤخذ منها التزامهم في خبر الضمير ان يكون اسم اشارة فوجب في خبر الضمير المتقرون بحرف التنبيه أن يكون اسم اشارة اتباعاً للاستعمال

وبدخل في هذا القبيل قولهم « ليس غير » قال ابن هشام ان غير المبنية على الضم انما تستعمل متصلة بليس وقولهم « لا غير لحن » . ومن عد هذا الاستعمال في جملة الصحيح فقد ظهر في كلام العرب بما يشهد بصحته وهو قول الشاعر

جواباً به تنجو اعتماد فوربنا لمن عمل اسلفت لا غير تسأل
واذا وردت الكلمة متصلة بنوع من الاسماء وروداً لا يجرط به استقضاء
صح أن يكون اتصالها بذلك للنوع مقيساً ، كتاء التأنيث متصل باسم الفاعل
واسم المفعول والعنف المشبهة والمنسوب على وجه القياس ، ولم يبلغ اتصالها
بالاسماء الجامدة هذا المبلغ فوقوا فيها عند حد السماع كطبي وظيفية وامرئ
وامرأة . فلا تقول انشاءً في مؤن انسان الا اذا قل اليك لفظه في شاهد
صحيح ، كما تنعم اللفظ للمؤن من القروء ولا يقال في مذكرها التي حيث لم
يتمروا على نقل يشهد بصحة استعماله

ولهذا الاصل انكر الصنفي قولهم لظبية غزالة مع ورود غزال للمذكر
لانه لم يثبت عنده برواية ، وما خالفه الدماميني في ذلك الا بعد وقوفه على
شواهد من كلام العرب تقتضي صحة استعمالها

القياس في الترتيب

اذا كانت احدى الكلمتين تابعة للآخرى من جهة المعنى فالتناسب الطبيعي
يقتضي ان تذكر عقبها في التلظظ ، ومن ثم قرروا في أصولهم أن التسبوع يتقدم
على التابع ، والمستثنى منه يتقدم على المستثنى ، والمميز يتقدم على التمييز
وماحب الحال يتقدم على فخر الحال

فن أباح تقديم الكلمة التابعة فأما تقبل دعواه متى كانت مصحوبة بدليل ،
فالكوفيون مثلاً أجازوا تقديم المملوف على المملوف عليه والكسائي والمبرد
سوفنا تقديم التمييز على عامله ، والقراء والاختش ذهبوا الى صحة تقديم الحال
على عاملها الطرف أو الجار والمجرور ، وابن رهاو وابن كيسان أباحا تقديم الحال
على صاحبها المجرور بحرف ، وما أجازوا هذه القضايا التي يحكم الاصل بمنعها الا
باستنادهم الى شواهد رأوها كافية في تقرير ما ذهبوا اليه

ومن فروع هذا الاصل أن لا يتقدم الضمير على معاده ويستثنى من ذلك
مواضع ، بعضها عقدوا عليه الاتفاق كضمير الشأن ، ومنها ما اختلفوا فيه
كالضمير المائد على المفعول به ، والاصل في محل الاختلاف بيد من لا يجيز
عوده على المتأخر عنه في نظم العبارة الى أن يقيم الخالف شاهده الصحيح
أجاز الاختش وأبو الفتح عود الضمير المتصل بفاعل مقدم الى مفعول

تأخر وأقاما على ذلك شواهد من قول حسان
ولأن مجدأ أخذ الدهر صاحباً من الناس أبهى عبده الدهر مطما
ومنعه الجمهور في حال السعة وحلوا تلك الشواهد على الشذوذ أو الضرورة
ومترعهم في عدم قبول هذه الشواهد أنها جاءت على خلاف الأصل ، وما يرد
على خلاف الأصل لا يحمل مقيساً الا حيث تكثر شواهد حتى تدل على قصد
العرب لا طراد

ومما يقتضيه الأصل الموماً اليه أن المستثنى أخرج من المستثنى منه ثم
نسب الحكم الى بقية الافراد فكان المستثنى في الظاهر مخرجاً من الحكم أيضاً
ومرتبة المخرج متأخرة عن رتبة المخرج منه فكان موقع المستثنى بعد اللفظ
بالحكم والمستثنى منه ، ولكن كثر في الاستعمال تقدمه على المستثنى منه نحو
جاءني الازيداً القوم . أو علي الحكم فقط نحو القوم الازيداً أخوتك فبقيت
مسألة تقدمه عليها مما على أصل المنع ، وقد جوزها الكوفيون قياساً ،
والحق أن مخالفة الأصل بكل واحد من أمره على أفراد لا تدل على جواز
مخالفته بالامرين كليهما في تركيب واحد

يتفاوت ارتباط بعض الكلم ببعض من جهة المعنى في القوة والضعف ،
وهذا التفاوت له مدخل في باب القياس ، الا ترى ابن جني كيف أجاز تقديم
المفعول معه على صاحبه ومنع تقديم المفعول على المفعول عليه . والامثلة
الشاذة الواردة في تقديم المفعول معه ليست بأكثر من الامثلة الواردة في
تقديم المفعول ولكنه يرى أن تبعية المفعول للمفعول عليه أشد من
تبعية المفعول معه لمصاحبه

القياس في الفصل

الأصل في الاقناط المربوط بعضها ببعض من جهة المعنى أن لا يلقى بينها
بفواصل ، وقد خالفوا هذا الأصل في مواضع شتى حتى عد بعضها في فنون
البلاغة كالفصل بين مفعولي رأيت في مثل قول الشاعر

ويمتحن الدنيا امتحان مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك عانيا

أو بين النعت والمنعوت كما قال تعالى « وانه لاقسم لو تعلمون عظيم »
ويجب النظر في قوة الارتباط وضممه في هذا المقام أيضاً فيمكن من الشواهد

الواردة في الفصل بين ما ضمف ارتباطهما ما لا يكتفي في الفصل بين ما كات
الارتباط بينهما قويا ، ولهذا تلقوا ما سمعوه من الفصل بين التابع والمتبوع
بالقياس واختلفوا فيما ورد من الفصل بين المضاف والمضاف اليه فأجاز بعض
الفصل بينهما بالقسم والظرف والمفعول على وجه القياس ومنعه آخرون بدعوى
أن الفصل الوارد في السماع محمول على الشذوذ أو الضرورة ، ولا منشأ لهذا
الاختلاف وعدم اكتفائهم بما وصل اليهم من الشواهد فيما أحسب الاعتقاد
بأن كل قسمي المضاف والمضاف اليه قد بلغت في شدة ارتباطهما الى أن صار
بمثلة الكلمة الواحدة وربما اختلفوا بمقدار هذه الشواهد في الفصل بين التاب
والمتبوع لان الارتباط بينهما لا ينتهي الى هذه الدرجة وبذلك على رعايتهم
لعقدة الارتباط أنهم أطبقوا على منم الفصل بين الموصول الحرفي وصلته من
كان الموصول عاملا مثل «ان» واختلفوا حيث يكون الموصول غير عامل من
«ما» فأجاز كثير منهم الفصل بينها وبين صلته ، وذلك لان الموصول العام
أشد اتصالا بصلته من غير العامل اذ الاول طالب للعلة من جهة المعنى والعلة
وأما الثاني فطلبه لها من جهة واحدة وهو الموصولية

القياس في الحذف

من الجلي أن حذف أحد أجزاء الجملة يغير أسلوبها ويحدث فيها حياة جديدة
والمحافظة على الأسلوب الربوي تقتضي أن لا يلفظ الانسان بعبارة الا أن
رتجىء مطابقة لهجة العربية . وهذا الأصل هو الذي يتمسك به من لا يجر
حذف لفظة حيث لم يثبت عنده بدليل يعتد به ، كما منم الجمهو وحذف الفاء
والبصريون حذف الموصول ، وابن ملكون حذف أحد مفعولي ظننت
ولو مع قيام القرينة على المحذوف

قد يقال ان العرب أكثر ما حذف ما تقوم عليه القرينة كالضفاف والمضافة
اليه والمبتدأ والخبر والمفعول به والمملوف والمملوف عليه والحال والتميم
وفعل الشرط وجوابه ، وباستقراء هذه المواضع يتقرر أصل يمكن اطراد
وهو صحة الحذف لدليل . والجواب أن ورود السماع بالحذف في باب كالتص
أو المنعوت انما يسرغ القياس في ذلك الباب خاصة اذ قصارى ما تدل عليه
شواهد أن الحذف هنالك لا يخالف الأسلوب ، واجازة الكسائي لحذف

الفاعل ، والكروفيين لحذف الموصول ، والجمهور لحذف أحد مفعولي شئت
أما اعتدوا فيها على شواهد مبسطة في كتب الفروع

- وإذا وضعت الفاظ للدلالة على غرض وانتظمت في منجج وممع في أحدها
حذف بعض متعلقاته فهل يجري الحذف في متعلقات ما يشاركه في المعنى على
طريقة قياس التمثيل ، ومثال هذا أنه ثبت حذف صدر الصلة مع أي الموصولة
في نحو قولك « زارني أيهم أكتب » فوقف أكثر النحاة عند هذا الموضع
واستضعفوا حذفه مع غير أي من الموصولات ، ولم يستضعفه ابن مالك .
فالقائل يمنع القياس ناظر الى أن حذف متعلق الكلمة وهو صدر الصلة جرى
على غير أصل فلا تتجاوز فيه حد السماع حتى نلحق به ما يشارك تلك الكلمة
في مساقها ونحذف متعلقة . والقائل يجوز الإلحاق ناظر الى أن اتحاد الكلمتين
في المعنى يجعلهما في حال الكلمة الواحدة فثبت لأحدهما من الأحكام يصح
اعطاؤه للآخرى حيث أن الأسلوب معهما متماثل

- وإذا ورد السماع بحذف حرف في موضع من التركيب على سبيل الاطراد
فهل يقاس عليه ما يرافقه من الحروف فيسوغ حذفه ولو لم ترده الرواية؟ هذا
من مواقع اختلافهم أيضاً ومن أمثلته أنهم أجازوا حذف (لا) النافية في جواب
القسم كما ورد في قوله تعالى « تالله تقتلن ذكر يوسف » وقول الشاعر
آليت حب الرماق الدهر أطمعه والحب يأكله في القرية السوس

واختلفوا في حذف (ما) النافية في نحو هذا التركيب . ومن أبي حذفها قد
يتسك بأن لا وضعت للدلالة على السلب ، وحذفها يوم إرادة الانبئات الذي
هو ضد مدلولها فكان ذكرها على ما يقتضيه ضمها ضربة لازب ولكنهم حذفوها
في جواب القسم لكثرة استعمالها ، ولا يصح إلحاق لفظ (ما) بها وإن كانت
مرادفة لها في المعنى لأنها لا تشاركها في الوجه الذي اقتضى المدول بها عن
القياس وهو كثرة الاستعمال

ولا ترى طائفة منهم الكافيحي الوقوف في الأساليب على ما ورد عن العرب
فأجازوا لك أن تقول في الدرس علي والمسجد خالد . ونحو كان تالياً الخليفة بكر
والقصيدة محمود . وهذا ما يعبر عنه النحاة بمسألة المطف على مفعولي عاملين
مختلفين ، ثم قال الشيخ الكافيحي عقب هذا ان جرئيات الكلام إذا أغادت
المعنى المقصود منها على وجه الاستقامة لا يحتاج الى النقل والسماع والا لزم

توقف تراكب العلم في تساييمه على ذلك
وهذه العبارة مطابقة المعنى ولا بد من رد صاحبها فنعول ان أراد الكافيحي
بقوله «أدات المعنى على وجه الاستقامة» انها أوصلت المعنى الى ذهن
المخاطب كاملا، فهذا لا يكفي في صحة الكلام عند علماء العربية قطعاً فان من
التراكيب ما يؤدي المعنى وافياً ويكون المتكلم قد خالف فيه بعض القواعد
المجمع عليها. وان قصد بوجه الاستقامة المطابقة لصحة الاسلوب عربية فهذا
هو محل النزاع بينه وبين من لا يجيز أمثال ذينك التركيبين حيث ان المانم
يراهما غير مطابقين للاسلوب الصحيح، فلا يحس للكافيحي وغيره من اقامة
دليل على الصحة اما سمع يوثق به أو قياس تمثيل لا يتطرق اليه قاصح

القياس في موقع الاعراب

اذا وردت الكلمة بمكان من الاعراب لم يسم استعمالها في غيره فأصولهم
تقتضي أنها انما تكرر فيما سمعت ولا يقاس عليه غيره من المواقع، ومن هذا
تخصيصهم فل ولومان ونومان بالنداء، وقط وعوض بالترفية أو الجر بمن
ومن فروع هذا قول ابن الحاجب وسعد الدين التفتازاني أن لفظة كل اذا
اضيفت الى الضمير لم تستعمل في كلامهم الا توكيداً فيمتنع ايرادها منعولاً به
أو فاعلاً. ومن أباز ايرادها منعولاً به كبن هشام اعتمد على ما وقع في يده
من الشواهد التي منها قول الشاعر

« فيصدر عنها كلها وهو ناعل »

ومما يجري على هذا الاصل قولهم ان كافة وقاطبة وطرا لا تخرج عن الحالية
وعن ابن هشام في أوهام الزمخشري يخرج قوله تعالى « وما ارسلناك الا كافة
للناس » على أن كافة نعت لمصدر محذوف، والتقدير رسالة كافة. ومن نازع
في اختصاصها بالحالية يستشهد بمثل قول عمر بن الخطاب « قد جمعت لأك بني
كاهلة على كافة بيت مال المسلمين لكل عام منتهي مثقال ذهباً » وحاول الشهاب
الحنافسي هدم هذا الاصل فقال في شرح لدره أن كافة ورد عن العرب بمعنى
جميع لكنهم استعملوه متكرراً نحو بآ وفي الناس خاصة، ومقتضى الوضوح أنه
لا يزمه ما ذكر فيستعمل كما استعمل جميع ممرفاً ومتكرراً بوجوه الاعراب
وفي الناس وغيره لانا لو اقتصرنا في الالتفات على ما استعملته العرب الماربة

والمستعربة حجرنا الواسع وعسر التعلّم بالعربية على من بعدهم وهذا الرأي لا يؤخذ به على الإطلاق ويستضاء به في كل حال فإنه لا يطابق ما قاله أساتيد العربية من أن معرفة الوضم غير كافية ما لم ينضم اليه العلم بحال الاستعمال . قال ابن خلدون في المقدمة ليس معرفة الوضم الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك ، واكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني نظمته ونثره حذراً من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو شر من اللحن في الاعراب والغش

ولو اقتدينا بالشهاب وسرنا على أثر مقالته التي لم يرسم لها حداً لعمدنا الى مثل قطّ وقبل وعند وأخرجناها عن الظرفية الى الابتداء أو الفاعلية ولا أحسب يرضى للغة هذه الفوضى فيفصم نظامها وهو يريد توسيع نطاقها والتحقيق في هذا المطلب أن ما يصلح أن نجريه على القاعدة في الاعراب نونان (أحدهما) ما يدور على السنة الفصحاء وغيرهم ويجري في خطاباتهم بحالة خاصة من الاعراب مثل عند وقبل وبعد وقاطبة وطرا ، وهذا هو الذي تقف فيه عند السماع فإن كثرة دوراته في مجاري كلامهم نظماً ونثراً وتقلب في أساليبهم بحالة مخصوصة يشعر بقصدهم الى تخصيصه بتلك الحالة الاعرابية وما كان ينبغي لنا في هذا القسم الا ان نتجرى الطريقة المألوفة في استعماله

ثانيهما ما لا يتردد في أغلب خطاباتهم وانما يرد نادراً أو كثيراً ولكن لم يصل الى مبلغ يدل على قصدهم الى قصره على الحالة التي جاءت بها الرواية وهذا هو الذي يسوغ لنا ان نخرج به عن حاله الواردة ونستعمله في المواضع التي يساعدها عليها الوضع ، فلزم نسمع لفظ الضرغام أو اللو دعي أو التبيصل مثلاً الا فاعلاً أو مفعولاً كان لنا ابراده في تراكيب من عندنا مضافاً اليه أو مبتدأً أو خبراً . فيتضح بهذا التفصيل مذ هب الجمهور ووجه مأخذه ويمكنك ان تقضى به على مقالة الشهاب حيث اباح خروج كافة عن الحالية بمجرد النظر الى حال الوضع فإن هذه الكلمة من القسم الاول قطعاً فيجب على القائل بسعة استعمالها فاعلاً أو مفعولاً ملاقاة شاعده على ذلك ولا يكنيه التمسك بانها

من الخرافات الى الحقيقة^٥

- ١ -

مقدمة.

سيدي نابغة المسلمين !
دعاني الى ترجمة الكتاب المسمى (من الخرافات الى الحقيقة) الذي ألتته
من قبل (م . شمس الدين) باللغة التركية ! داعيان مستقلان
(١) قلة الاشغال
(٢) الالم الذي يستولي علي حينما أرى حالة امة محمد (ص) كأنها تدين
بدين غير الاسلام .

أما قلة الاشغال : فانه منذ زالت الحكومة الاسلامية من هذه البلاد
(فلسطين) نزعت الوظائف السياسية والادارية من يدنا معشر الشبية (١) المتعلمين
من المسلمين الى النصارى ثم الى اليهود . وبقينا بغير اعمال، فاشتغل بمضنا بالتجارة
وبمضنا بغيرها واشتغل هذا العاجز بالترجمة والتأليف - هذا هو الداعي الاول .
وأما حالة المسلمين وما تحدثه من الآلام فأنني لا أتصور مسلماً يرى الهوة
السحيقة التي يتدحرج فيها المسلمون ويسمع أنين هذه الكتلة البشرية ويسمع
السكوت على ما يرى ويسمع . بل لابد أن يتفجر في دماغه الذي هو معكس
لصوت ذلك الانين طوفان آلام يدفعه الى عمل شيء ينغم به هذه الامة .
ان المسلمين الذين قضوا وقتاً طويلاً وهم يحكمون في العالم فيطاعون ،
ويسودون الامم ادارة وعلماء واقتصاداً فيتبعون ، هم الآن ذليلون مهانون ،
يثنون تحت ضربات حكامهم الغرباء ولنا ولغة وديننا .
ان العالم الاسلامي الذي كان يطر على المسكوة مهابة وشرفاً قد انحى

(٥) مترجم الكتاب حسني بك عبد الهادي من بيوتات نابلس الشهيرة
وقد خضع به بمجلة المنار فنحن ننشره شاكرين غيرته وحمته مع اصلاح للترجمة
لا يغير المعنى بل يحليه
(١) الشبية بوزن قسبة جم شاب والشبية مصدر شب الغلام اذا صار شاباً

وازوى وفاب عن الابصار ، ان المسلمين الذين كان العالم يهتز طرباً أو اضطراباً من صوتهم أمسوا اليوم مسودين مسوقين اسراء .

ان المدن الاسلامية التي كانت مرايا للرفي والحضارة بات اليوم يمش فيها . والمسلمون الذين كانوا يبارزون القوى الطبيعية أصبحوا اليوم يخافون من ظلمهم . واخذوا يتدحرجون في مهاوي الاوهام . بل أقول ان ديار الاسلام أمتت مقابر ، والمسلمون فيها جناز . ولابد لهذا السقوط العام من مؤثر عام . ان هذا المرض المستولي على مسلمي آسيا وأوربة وأفريقية والاقياوسية يبدى للناس أعراضاً متشابهة وهذا ما جعل القلاء على أن يقولوا ان منشأ المرض شيء واحد ما دامت الامة المسودة التي تشب تحت عوامل السيادة الاجنبية هي امة واحدة — امة محمد صلى الله عليه وسلم

عجيباً ما ذاك العامل الذي رفع امة عيسى وهبط بامة محمد ؟ ما ذلك الدرج الذي صعدت عليه امة عيسى حتى استوت على عرش الحكم ؟ وما ذلك الدرك التي تحدرت فيه امة محمد حتى وصلت الى هذا المكان السحيق مكان المستبعد الخلف ، مكان المسود التائب ، مكان الاسير الخاضع ؟

ان الرابطة التي تربط ثلاثمائة مليون ونيما من المسلمين هي (الدين) وبهذه الرابطة ملك المسلمون — اسراء اليوم سادة الامس — اقاليم مختلفة . ثم غفت سلطنتهم في تلك الاقاليم شيئاً فشيئاً حتى انحصر اليوم في الاناضول . الا يوجد اليوم اقليم غير الاناضول لا يدين ويخضع لهؤلاء الفرنجة بل يسن قوانينه بدون استشارتهم وينفذها بنجوة من سيطرتهم ؟ (١)

لا اسراء في ان الدين الاسلامي قد كان هو السبب لتعالي المسلمين . فهل يمكن أن يكون سبب الرقي والمصعود ، هو بعينه سبب التدهور والسقوط ؟ لا لا (٢) بل الدين الذي كان سبباً لتعالي المسلمين هو غير الدين الذي هبط بهم

(١) المنار ان جزيرة العرب وبلاد الافغان لا تدينان لاجنبي عنهما ولكن يموزما من العلوم والتعاون والصناعات ما تحفظ بها قوتها من اللطامعين فيها ، وينسي ثروتها فتغنيها عن الاجاب . ويموزما زعماء عقلاء يجمعون الكلمة ، وقد بدأ الافغان قتي يبدأ للرب ، الذين فضحوا أنفسهم بين الامم ؟

(٢) المنار قد سبقنا الى مثل هذا السؤال وجوابه في المقصورة الرشيدة ثم في المنار ، وهذه أبيات من المقصورة في ذلك =

اليوم الى العبودية والدل . نعم ان ينهر — على الاشتراك في الاسم — فرقا جلياً وبونا بعيداً :

كان المسلمون يحترمون الحقائق ، وأما نحن فأفسرنا الخرافات .

كان المسلمون اصحاب عقائد مستندة الى العلم والنور وأما عقائدنا اليوم فبنية على البدع والالوهام

ان هذا الكتاب لم يكتب ولم يجمع (ولم يترجم) الا لاراءة الفرق بين أجدادنا وبيننا ولأجل تصوير منشأ الخرافات الحاضرة

لا يسع عقلاً مسلماً يرى العالم الاسلامي يتدحرج في مهاوي الهلاك الا أن يسعى لاقتاذه ، وأول ما يخطر على باله هدم الخرافات واقامة الحقائق محلها . وهذا لا يكون الا باحياء قواعد الدين الحقيقية التي رفعت المسلمين في القرون الاولى الى سماء المجد . لان الخرافات لا تحيي بل تذلل ثم تميت .

المسلمون اليوم أذلاء ، لا جيش ، لا أسطول ، لا طيارات ، لا معامل صناعة ، لا مصارف مالية ، لا سكك حديدية ، لا علم ولا اختراع ، لا سفراء ولا قناصل ، وجملة القول انهم مجردون من كل ما يرفع النفس ويكون مدعاة الافتخار . لماذا ؟ لانهم غارقون في بحر من الخرافات .

ربما كان هذا الكتاب سبباً لغضب الكثيرين الذين يصنادون في الماء العكر . ولكن المسلم الذي يرى الدين في تهلكة والامة على شفير القبر ، لا يقدر أن يسكت ومن سكت فهو أسفط من مسببي هذا السقوط .

فهذا هو السبب الثاني الذي دعاني الى ترجمة الكتاب .

== لكننا أبكي لمجد أمة نلت عروشه وحلت العرى

ووطن ذل معاد حوضه (مبدعنا الاعضاء مهدوم الحبي)

وملة حكيمة رحيمة قد تركت للجهل كالشيء القفا

وقال فيها الاخسرون انها علة هذا الانحطاط والشقا

فكيف كانت علة السعادة الـ تي مضت قبل وذاك الارتفاع

أما سبب الملك والحكمة والـ علم بها فما عدا مما بدا

ألم توحد انما تفرقت واختلقت في الاعتقاد والنبي

فكيف عذمت وانتم اخوة لما تركتم هديها من العدى

وستكون مطالعتنا مؤيدة بآراء شريفة وبأحاديث منيفة ٥٥٥ له من الجامع الصغير
ان من سنن الاجتماع التي لا تقبل ولا تتغير ان الامم التي نزلت
سواء الانبياء الى حفيظ الادبار ترى جميع حركات الامم الحاكمة و...
حسنة معتدلة .

مثال ذلك ان العالم المسيحي اليوم يجلس على عرش السلطة والعالم الاسلامي
يجلس على الارض تحت كرمي ذلك الحاكم . وكل ما يخرج من ملك الملل يدخل
في ملك الصليب ، والمسلمون لاهون يظن الجاهلون قصير النظر منهم ان سبب
سقوطهم هو (الدين) والقصد من تأليف هذا الكتاب اعادة هذا التارخ الباطل .
لان الاسلام من اسباب الرفعة والملاء ، لا السقوط والاستخذاء ، واما سبب
اغلال مسلمي اليوم فهو خلط الاسلام النقي الصافي بمخارقات الاولين
فاذا رجع المسلمون الى (الدين الحق) كما هو فانه ينفخ فيهم روح حياة جديدة
وينجزون من الاحتضار الواقع . وهذا لا يمكن الا بترك المخرافات والتمسك
بالحقائق ، وهو موضوع هذا الكتاب

يتألف هذا الكتاب من ٢٢ فصلا (١)

- (١) المستوى الفكري والاجتماعي في المحيط الذي ظهر الاسلام فيه
- (٢) الطور الاول للاسلام
- (٣) الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها
- (٤) المؤثرات التي زلزلت الوحدة الاسلامية
- (٥) تغلب روح الفرس على روح الاسلام
- (٦) كيف طرأ الفساد على الاسلام ومن أحدث ذلك
- (٧) الفوضى الدينية والاجتماعية والسياسية وحزب القرامطة
- (٨) عبادة الدراويش الفوضويين الحشاشين
- (٩) عبدة الامام علي
- (١٠) مذهب الاسماعيلية

(١) المنار : ان القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والدرو: والتصيرية
والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالبوذية والروافض ومذاهبهما
الى بث دعوتهم فتنقسم الكتاب غير ظاهر لنا الآن

- (١١) الدروز والنصيرية
 - (١٢) الباطنية : الروافض والصوفية والبكتاشية
 - (١٣) اخوة المسلمين تحتاج لرفع النفور المذهبي
 - (١٤) الاحاديث الموضوعة
 - (١٥) كتب المواعظ
 - (١٦) عبادة الاموات
 - (١٧) الاعتقادات الباطلة
 - (١٨) ضرورة رجوع المسلمين الى الطريق الاول
 - (١٩) أساس الاسلام الاول النظر التعملي
 - (٢٠) لا يكفر المسلم بسهولة
 - (٢١) لا يوجد تحكم ديني في الاسلامية
 - (٢٢) النتيجة
- هذه هي فصول الكتاب . وسنبذل الجهد لان يكون كاشفاً لحق
المرض ومحتوياً على العلاج النافع وبالله المستعان
نابلس (حسني عبد الهادي)

الرحلة السورية الثانية

-٧-

الحالة السياسية والاحتلال في السواحل

نكتب في هذا الفصل كلمة حق وما كل ما يعلم يكتب في مثل هذا الزمان الذي يلد التاريخ لا يدونه كما قال بعض حكماء الغرب ولان الـ
في السياسة يراعى فيها مصالح كثيرة يعم التعارض فيها فيرجع كل ناظر
التعارضات باجتهاده

قد اشتركت علينا السلطنة الانكليزية في اعطائنا جواز السفر الى -
شروماً ثقيلاً أشرنا اليها في الفصل الثاني من هذه الرحلة (ص ٢١٨م ٢١٩) خلا
أن نتحاشى احداث تهيج سياسي بالكتابة أو الخطابة فوفينا بالشرط واک
من الافادة والاستفادة أن نعرف حقيقة الحال ونقول ما نرى أنه الحق

ن بلادهم المصحح لناس بتأجيلهم من النعمان والافتقار ، والعلم والافتقار ،
أما أهل البلاد فقد كان الغايرين المسلمين والنصارى منهم في السواحل
بالفأ أشده فالنصارى كانوا يرون أن ملك البلاد سلب من المسلمين وصار لهم
بقوة فرنسية وحمايتها والمسلمون سيكون أسي وحزنا على الدولة العثمانية ويمتلقون
آمالهم بالاير فيصل الذي ضمن لهم استقلال البلاد وجعلها دولة عربية بمساعدة
بريطانية العظمى ، فلهذا كانوا في منتهى النفور من الفرنسيين وكان من هؤلاء
من يتودد اليهم ويحسد في استماله زعمائهم واصحاب المسكاة منهم فلا يزيدهم ذلك
الانفورا منهم ومبالغة في التعلق فيضطرهم ذلك الى حصر تقسيمهم بالنصارى
ومن يتقرب اليهم ويتناق لهم من طلاب المنفعة من المسلمين وان كانوا لا نفوذ
لهم ولا تأثير في أهل ملتهم . وقد فصلنا في الفصل السادس من هذه الرحلة
ما أخطأ فيه كل من المسلمين والنصارى في هذا الامر وما كان يجب على كل
منهم من السعي الى الاتفاق والانحداد على مصلحة الوطن المشتركة وما سمينا
اليه قولا وعملا وكتابة في هذه السبيل وقد كان هذا السعي كله بعد اضطرار
السلطة الفرنسية اياي الى الاقامة في بيروت ولي طرابلس عدة اشهر بعد ان كنت
غازما على أن اقيم فيهما عشرة ايام فقط

ذلك بانني عقب المامي بيروت (في ٤ المحرم سنة ١٣٣٨) قد أصابني زكاة
معموية فتأخرت عن زيارة طرابلس الى ١٦ المحرم ولما أردت العودة منها الى
بيروت عرض لي تعدي السلطة لاحتلالية ما سأذكره بعد ذكر اجتماعي في
بيروت بالمندوب الفرنسي السامي

مقابلة المندوب السامي موسيو جورج بيكو

جاءني في يوم الاثنين (١١ المحرم - ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٩) شرطي يروني
وقال لي اذا كنت تحب أن تقابل القوم سير السامي (موسيو جورج بيكو) فهو مستعد
لقائنا لك بين الساعة التاسعة صباحا والظفر في الدار التي كانت للوالي فوعدت
بالذهاب وذهبت في الساعة العاشرة وقابلته فحككت معه من الساعة الحادية عشرة
الى ما بعد الظاهر فاحتفى بي وتلطف غاية التلطف ودار الحديث بيننا في ثلاث مسائل
(المسألة الاولى) ما يتكره المسلمون من السلطة الفرنسية . سألتني عن عهدي
برؤية البلاد وكيف رأيت حال المسلمين اليوم ؟ فقلت له ان المسلمين على كونهم
لم ينسوا ما انتابهم في آخر زمن الترك من الرزايا والمصائب سيكون عليهم وان

لم تقيف دموعهم من الداء بهم لانهم في هذا الوقت حتى في ديارهم
فاجاب بأنه وقع من رجالهم اغلاط كثيرة كرونها ولكنهم سيتلافونها،
وأنة على ما ينوبه من المساواة بين جميع الطبقات والمثل في الوظائف وغيرها
سيجهد في مراعاة شعور المسلمين الذي يفتت وعتاة تامة، وذكرت له أن أم
بماهم المسلمين (كماهم غيرهم أيضا) جعلت لهم باللغة العربية وجعلها هي الرسمية
وعدم تعرض السلطة للاوقات وللتعليم الذي فوعد بذلك وعدا مؤكدا، وانما
ذكرت له هذا لاسمع منه مايقوله فيه لا اقترح شي عليه

(المسألة الثانية) ما ينزرون عمله في المنطقة الشرقية، سألته هل تظل على حالها؟
فقال لابد من توحيد الادارة في البلاد كلها ومن وجود المستشارين الفرنسيين
في الداخل كالساحل الا أن الاحتلال العسكري يبق في الساحل لحسب. قلت
وهل يكون لسورية كلها حاكم واحد كالامير فيصل أم تجعل قسمين لكل منها
اميرا وحاكم وطني عام؟ قال لابد من قسمين لبلاد الى عدة ولايات او مقاطعات،
ولا يعلم الآن كيف يكون ذلك لانه يتوقف على ما يكون عليه الصلح مع الترك
لان البلاد لا تزال لهم (بلاد المدو المحتلة)

هذا ما قاله وهو اعلم بنرض حكومتنا على انهم قسموا البلاد قبل العلاج
مع الدولة لجمالها بضع دول اكبرها واشهرها ما سموه (لبنان الكبير)
(المسألة الثالثة) المقابلة والتنظيم بين الفرنسيين والانكليز والسياسة الحاضرة

وما ينتظر من التحول والانتقال فيها. قلت أملت ان فيها ما لم تطل فيما قبلها
قال هو ان الفرنسي ارق شيا عاوا المتف مباشرة من الانكليز فهم يحترمون
الشرقيين وغيرهم ويقابلون أهل القتل والملكية بما هم أهل له من الحفاوة
والاكرام وأما الانكليز فتكبرون يزرون بأفكار الناس — أو ما هذا مناه
قلت ان لطف الفرنسي وحسن معاملتهم وقربهم من الشرقيين في ذلك
مشهور كعشرة الانكليز بالجفوة والانكسار العجب بانفسهم واتفاق اختيارنا
في مصر فألفيناهم كما يقال عنهم الا أن أدابهم غاية في معاشرة من يرضون معاشرة
ولقاء من يودون لقاءه، ولكن ما جرت عليه من الترفن والعجب والاثرة،
والطعم ومحاولة الافراد بالسيادة سيئة جدا الى جميع الامم والشعوب وبشرها
عليهم. وذكرت لهم في بلاد العرب العجم والاستانة وما يقصدون من
مبطل سائلتهم (أهملوا دورهم) من خطر الاثري من أفريقية والغربي

من أسية إلى حدود النين وميادته اثر البحار وازالة ملك الاسلام من الشرق وجعل جميع الدول العظمى في أوربة عالة عليهم وتبعاً لهم في سياسة العالم (قلت) حتى انني لا توقع مجيء يوم تكون فيه من مصلحتكم محالفة الالمان على الانكليز - فوافقتني على آرائي في هذه الامور بعد مناقشة في بعضها وقال في توقع الانقلاب في سياسة الخلفاء انه محال أو غير بعيد ولكننا الآن متفقون في كل شيء

وبهذه المناسبة ذكرت له خلاصة من مذكرتي التي أرسلتها إلى مستر لويد جورج في هذا الموضوع ليعلم أنني لم أقل له ما قلت في الانكليز تقرباً اليه كما يفعل أنصارهم في سورية وانما هو شيء قلته بل كنيته لأعظم رجال الانكليز لانني أعتقد وأعتقد أن استمرارهم على تقاليدهم السياسية القديمة شر لهم وأنه سيفضي إلى عداوة الامم لهم واختلاف مع حلفائهم الذي اضطرهم إلى محالفتهم انظر الالمانى المهدد للفريقين السابقين لئلا يناديهم في بطون التاريخ وقد تجددت بينهما عداوة حمداً المهضوم حق في هذه المحالفة بكثرة خسارته للآخر الذي زاد ربحه على خسارته أضعافاً ولم يرو غليل ملامه أعني عداوة الالمانى للانكليز. وقد صرحت بهذا في مذكرتي للوزير البريطاني التي أنوهت بذكرها في مقالة (الحقائق الجلية في المسألة العربية) وكان غرضي منها اقناعه بترك قسمة تراث الاسلام لأنه لم يمت والاعتناء باستقلال العرب والترك والفرس وكذا مصر، ولا تزال الأيام تصدق بأحد ما كتبت في تلك المذكرة كما صدقت ما كتبت لم فيما قبلها، ولكن جورج لاورد كرزون على سياسة الطمع القديمة والنعمع الديني والجنسي الذي يشتهر فيه مستر لويد جورج على مرونته وتقلبه من أكبر أسباب ما تنهك من الكسب من الكوارث السياسية وعجزها عن حل شيء منها

بعد هذا الاستعداد أقول أنني لم أكن أسأل اقتناع مسيو جورج بكون رأيي لاجل عمل يرجى أن يأتي منه. كيف وقد كان هذا الكلام في أيام تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ التي وضعها هو مع سديقه السير مارك سايكس بين العتولين وكانت الجنود البريطانية تخرج بشدها وسلاها من سورية الشامية كلها وقتها كما للبحيش الفرنسي بعد تنازلهم وقهرهم فيها في سبيل تنفيذها ظهر أثرهم في سورية كما ظهر في باريس ولندن حتى قالوا انهم اذابوا السياسة انما تفتت تقصاً ومنهم

موسير كلمنصور رئيس الوزارة الفرنسية لذلك العهد وكانت فرنسا يومئذ تريد أن تتخذ اتفاق الأحزاب السورية على طلب وحدة البلاد وسيلة لجمعها كلها تحت سيطرتها باسم الانتداب، فعارضتها السياسة الانكليزية بحزب سوري تألف في مصر يطلب أن يكون الانتداب للحكومة الولايات المتحدة وبحمل الامير فيصل لحزبه في الشام على طلب جعل الانتداب لانكلترا وحدها فان لم يمكن فلها ثم للحكومة الولايات المتحدة الامر بكيفية اذا هي لم تقبل وقد كان المظهر الأكبر لهذا التنازع بين السياستين في البلاد أيام المام الوفد الامريكي بالاستفتاء اهلها في مستقبلهم وفي اختيار الدولة المنتدبة

وفي السابع عشر من المحرم (١٢ أكتوبر) ذهبت من بيروت الى طرابلس والقلمون في سيارة فأقمت فيهما ستة عشر يوما طلبت في اثنتي عشرة من الحكومة اعادة وقف جامع القلمون الى اذ كنت الامام والمتولي الشرعي له وكانت ادارة الاوقاف تولت امره منذ بضع سنين وحال انقطاع المواصلات بالحرب العامة دون مطالبة اياها باعادته الى كما كان في عهد والدي (رحمه الله تعالى) فوافقت لجنة الاوقاف بطرابلس على اعادته وقررت باتفاق الآراء أنني المتولي الشرعي وكتب مأمور الاوقاف بذلك الى مدير أوقاف الولاية في بيروت فأرسلت الذهاب الى بيروت لان تمام هذا الامر الذي جرى لي فيه من العبر ومعرفة الخلل في الحكومة وأخلاق رجالها وسيرتهم ما يعلم به أن جل ما تشكو منه البلاد فهو من اهلها أو بمساعدتهم ويستحق أن يفرد له فصل خاص وانما كلامنا الآن في الحال السياسية

حادثة تعرض السلطة الفرنسية لنا

في الثالث من صفر (٢٨ أكتوبر) أخذت ورقة للسفر من طرابلس الى بيروت في باخرة فرنسية تسافر من الميناء ليلا وكنت في الميناء فأردت النزول الى الباخرة فقبل لي ان السفر يتوقف على توقيع السلطة الفرنسية على جواز السفر — وهذا لم يكن من قبل — وكان من التمهيل غير المنتظر أن الشرط وقعت على الجواز اذ عرضت عليها من تبرع لذلك من معارفنا ومعارفهم ولا أدري أكان في ذلك دخل متوخي أم لا ولكننا لم نكد نضع متاعنا في الزور، مع متاع كثير من المسافرين الا وفاجأنا الشرطة ففتحو جميع صناديقهم

الاسقاط وتعمية الورق ومحوه باليد... وسبق زيارة وفوضوا على ذلك
مباشرة دقيقا لم يعمل فيه طيات الثياب ولا حروم لهم ففوضوا جيوبى وأحسد
شرطي جميع الاوراق ودعاني الى الذهاب معه الى ادارة المكس (الجرمك) فذهبت
واعيد المتاع الى حيث كان وطعوا هناك يسطرون في الاوراق نظرا دقيقا
وكان جل عنايتهم وأشد دقتهم فيما ظنوا بمجملهم وغباوتهم ان فيه استمرارا سياسية
ينال مكتشفها أسنى الجوائز عند السلطنة العلية وهو فهرس وعخته لاجره
الثامن من تفسير التران راعتهم أرقامه فظنوا فيها الضنون على أنني أخبرت الباحث
فيه بأنه فهرس لكليات في التفسير... فقال يمكن أن يكون كتب في أثناءه
شيء سياسي (!)

ولما طال هذا البحث استأذنت الشرطي في الذهاب الى دار بسبي الشيخ
حسن الصفدي لاجل المشاء وصلاتي المشامين وتغيير الثياب فأتى وقال إن
رئيسه (لبنان بك) أمر أن أبقى ثم الى أن يجيء هو من المدينة الى الميناء
ثم في أثناء الساعة الثالثة بعد الغروب جاء شرطي (أو قوة شير احمد) احسا
على ما أتذكر وقال ان لبنان بك أرسله بالنيابة عنه ليأخذني الى دار الخلدوة في
المدينة لاجل توقيفي فيها (التوقيف في عرف الحكومة التركية هو الحبس المؤقت)
فاستأذنته بما استأذنت به الاول فلم يأذن وذهبت الى المدينة بزوج موصوفتي
في حجرة من حجرة الشرطة نوافذها مكسرة الزجاج وكان فيها مصباح صغير
فيه قليل من زيت البترول قد فاضت ولم نجد من في الحجرة من الشرطة غيره
وكان الماء مقطوعا عن دار الحكومة وليس في المراحيض ورق الاستنجاء
فكان التخلف فيها متعذرا على أمثالنا كما كان اليوم متعذرا لأن هواء الليل في
طرابلس يأتي من ناحية الجبل الذي يحيط به فيكون باردا جدا فيكون
هواء النهار حارا بالنسبة اليه ولا سيما في تلك الايام من فصل الخريف
ثم جاءنا الشرطة بفانوس كانوا يدقونه من حجرة الى حجرة ثم مالوا الاربعة
الحاكم العسكري قد حضر فأخذوا الفانوس وأصموا حتى يوم الى حجرة
وتركوه له فيها وقد باعني بعد ذلك من حجرة الى حجرة ثم مالوا الاربعة
بعض المقرين اليه من الوصفاء صوابا ثم توفقي فبقيت في حجرة من حجرة
اليوم وأندروه اذ ابي هذا الرجل موهوب الى نهار وعمه ناسا فبقيت في حجرة
ان يشوروا ووجدوا في دار الحكومة لاجرا حرة عورة وتكون حرة كبيرة

وقد غل الحاكم ترجمته يشار في لاور في سنة ١٣٠٠ و١٣٠١ م صبي
وبلغني ترجمته عنه مايلي :

« انك جئت الى هنا وكان البوليس السري يتعقبك ولما زلت الى البحر
أخذوا أوراقك فوجد فيها شيء يدل على انك تشغل بالسياسة وفيها ما يدل
أيضا على انك رجل مهم غير مادي (١) فانا لا أريد أن أوقفك عناداً كنت تريد
السفر الى بيروت فتابع سفرك اليها وأنا أرسل أوراقك الى حاكمها الاداري
ليرى رأيه فيها.

قلت أحسنت صنعا فجالكم في بيروت أبعد بعرفتي وانصفي منك وانني
لا أشعر بما تدل عليه الاوراق. قال انك لم تزني لاهرفك .

ثم قال الترجمان الشرطي (أو القومسيه حنا) الذي صعبني خذ هذه
الاوراق (وكانت قد وضعت في طرفين كبيرين ختاً بالشمع الاحمر ولا يزالان
عندي) وهذا المكتوب وأملوها لبوليس يسافر مع الشيخ الى بيروت الى
دار الحكومة فيها ويجب أن تقوموا هذا البوليس ان يكون رفيقا بضية الادب
لا كما كانوا يفهمون من قبل أنهم مسيطرون على من يصحبونه يتحكمون فيه
ويهيئونه . وأعطاه ورقة أخرى من الحاكم الى رئيسهم لبنان

ثم صالحت الحاكم وزرات معه الى خارج دار الحكومة حيث ركبت عربة
وركب معي نسبي الشيخ حسن وأخي السيد ابراهيم آدم وهما لم يفارقا دار
الحكومة منذ جاءا معي وركبنا شرطي يحمل الورق وقصدنا لبنان فأتقينا
لبنان في الطريق فائدنا منها فأعطاه الشرطي رقعة الحاكم له فأرجعنا الى دار
الحكومة ولم يرض أن يسافر في البحر وأمر حنا بأن يستأجر لي عربة من مالي
ويرسلني في البر وكان يتكلم بلغة وخشونة وعظمة الحاكم القاهر المستبد ،
وكل الى حنا تنفيذ الامر وذهب

وفي أثناء الساعة الثالثة الزوالية بعد نصف الليل أحضرت المركبة وأجرتها
٤٥٠ قرشا مصريا صحبا كما زعموا وليس لي أن أسأرض أو أسرضي "نبي يمين
الورق فأوصاه حنا بما يلي :

إذا صادفت في الطريق أحدا يريد أخذ الاوراق منك فأعطه "رأس
(١) كان في تلك الاوراق قوانين وقرارات بعض الجمعيات ومكتوبات من
بعض المشهورين في سورية والشرق حتى لحند والغرب حتى مراكش في امراة

واذا أراد أحد أخذ الشيخ منك فأطلق الرصاص على رجل الشيخ (أو قال رجليه) وعلى من يحاول أخذه

ثم ركب معنا حنا نفسه وجندي مسلح الى أن تجاوزنا بساتين طرابلس لثلا يكون أحد من الاهالي علم بأمرنا وكنوا بين الاشجار ليأخذوني عنوة وهو يجهل أن مثلي لو كان جانبا لترفع عن الحرب فكيف وهو يعلم أنه ليس في أوراقه ما يمكن أن تعاقبه عليه السلطة الفرنسية مهما يكن ضغطها على المسلمين شديدا في ذلك الوقت مقاومة للأفكار العربية والتماق بفيصل ولو عاقبته لما زادة عقابها الا رفعة قدره، على أن الشرطي الذي ارسل معي كان مسلما فلم يكن محتاجا الى التوسية بالتأديب معي بل كان من اولياء بيتنا ويتمنى لو يكون في خدمتي طول عمره وكان ارساله معي مما أثار عجبه وعجبي فكيف وقد اوصي بتلك الوصية الحفاه التي كان يتلذذ بمثلها أولئك المتعصبون من اوشاب اللبنانيين الذين يعتقدون أن فرنسا حكمتهم في أشرف المسلمين وعلمائهم - بل هامتهم - تقربا الى يسوع المسيح والرسول والتديسين فكانوا حاجة على فرنسا بأنها اما ظلمة سيئة الادارة واما متعصبة سيئة النية، وسببا لشدة نفور المسلمين واستيائهم منها وتفضيل الانكليز عليها وشرا على وطنهم بالقاء البغضاء والتفريق بين الفريقين الكبيرين من أهله كما يعلم مما سر في هذه الرحلة ومن بقية هذا الفصل منها، على ان هذا كان مفيدا للمسلمين من حيث انه قوى فيهم نزعة الجنسية العربية وحب الاستقلال ومعرفة قيمته كما قوى فيهم روح الدين وأعاد اليهم بعض ما فقدوا من هدايته . وكان جميع المشتغلين بالسياسة من خصوم الاحتلال الفرنسي يسرون بسوء تصرفها وتصرف أعوانها ولا يحبون أن تحسن الادارة لثلاث عيال اليها الجمهور

ولو كان أمثال لبنان وحنان من اسطفاهم الفرنسيين من بيوتات لبنان المعروفة أو من الافراد الذين تربوا تربية ترفع من خسة المنبت وورثة السوء لما كانوا يعاملون مثلي بهذه المعاملة وان اصروا بها أسرا بل كانوا ينصحون للاجنبي الذي يأمرهم به بمنح ما يسع لما حكم طرابلس المصري من حملته على خروجه من داره لئلا يبتلى بنفسه ما كان امر به . فأما ابناء البيوتات فاهم ورتوا الادب الشرقي في احرام الاسر الشريفة والعشائر المحترمة . وأما أبناء التربية الحسنة فيعرفون قيمة العلم والادب ويحترمونهم بالطبع فيترهون أنفسهم معهم

عن سوء الادب

وأما ما كان من امر هذه الحادثة في بيروت فهو أننا لما وصلنا اليها وكان ذلك بعد المغرب من يوم الاربعاء صادفنا في الطريق الى دار الحكومة بعض الاسداه فاسألهن عن معناها وانهن ينتظرن آخر من ما يعود به من الخبر لينبأوا على ما يقيم لنا ما يجب أن يعمل لتلافيه ان كان شرا . ولما دخلت دار الحكومة لقيت فيها لدى الباب الشيخ عبد الكريم اليافي تقيب أشرف بيروت من أصدقائنا الاولين (١) وهو موال لسلطة الفرنسية فنألتني بعد التحية عما جاء بي الى دار الحكومة في ذلك الوقت فأخبرته فأخبرها بما كان في بيروت أو نائبه بخبري مقرونا بالنساء والتركة والفتن غير الرسمي، فرضي بأن أخرج واكون حرا في بيروت الى أن ينظروا في هذه الاوراق وينصتوني فيها بشرط أن لا أعمل أمملا سياسية مضادا لهم فيها

تقرير لعندوب الفرنسي السامي

كان هذا الحدث وسيلة لي الى كتابة تقرير للمعتمد الفرنسي بدأته بالتذكير بما دار بيني وبينه وشرحت فيه ما كنت أجملته في الحديث معه يوم لقائنا من اضطهاد المسلمين بما لم يكن أعلمه يومئذ لقرب العهد بالوصول الى بيروت ومنها كون النسبة الى العرب من كبار الذنوب للسياسة مع كونه هو وكثير من كبار رجال فرنسا قد سرخوا بانهم يريدون احياء الجنسية العربية ولفتها ومدنيها ... ثم ذكرته فيه بتفضيله الفرنسيين على الانكليز في معرفة أقدار الناس من أفراد أو شعوب ووقيت على ذلك باعلامه بأنني كنت في مصر أتعقد سياسة الانكليز كتابة وخطابة وقولا في المجالس العامة والخاصة وقدمت لهم في أثناء الحرب وبمدها مذكرات في نمطية سياستهم في المسائل العربية والاسلامية (حتى التركية) وآخرها المذكرة التي أرسلتها الى وزيرهم - تر لويدي جورج - وأنذرت فيها بمداوة العالم الاسلامي لهم . وأنه قدمت اليهم تقارير كثيرة في أمثال هذه المسائل (علت

(١) لآل اليافي مودة لآل بيتنا منذ قرن ونصف على عهد أشهرهم الشيخ عمر اليافي رئيس الادب - صاحب الديوان المعروف ففي ديوانه بعض القصائد التي مدح بها سيد والدهي السيد الشيخ محمد الكبير وله فيه قصائد أخرى ومنها تاريخ داره في القادون وقد نقش على رخامة فوق بابها الكبير في أبيات من قصيدته وبات النارج "بل كل من قد حلها" أوشح يراها خير داره سنة ١٢٣٢

هذا من نائب الملك وغيره) وكانوا يعلمون أن لي علاقة ودية بأسراء العرب وزعمائهم وجميعاتهم، بل غثروا على رسالة تمد تحريضا للعرب على الجانب وقيل لم انتهى أنا الذي طبعتها ووزعتها - ومع هذا كله لم يفتشوا لي منزلا ولا مبلعة ولا أهانوني بقول ولا عمل ولم يقابني أحد من كبار رجالهم الا بالاجترام اللائق - فأين هذا مما عاملتني به البسلطة الفرنسية في طرابلس؟

وذكرت له بهذه المناسبة أيضا كلمة عن ذهابي الى الهند سنة ١٩١٢ بدعوة جمعية ندوة العلماء فيها لرياسة المؤتمر الاسلامي وان الانكليز كانوا كارهين لهذه الدعوة وبانني في الهند ان جواسيسهم كانت تتبعني كافتلت وتعمل جواسيس فرنسة بطرابلس ويروت ولكن لم يتعرض أحد لحرستي الشخصية ولا فتحوا جنائدي ولا فتنوا أوراقتي. وختمت هذه المسألة بقولي له «وليس هذا بكثير على حرية الانكليز التي قسروا بها من يختبرهم ويختبر غيرهم على تفصيلهم على جميع الشعوب الاوربية في الحرية ومعرفة أقدار الناس»

قلت بل كان الغرب ما علمني به أجد جمال باشا الاتحادي الشهير في بغداد وكان يومئذ جمال بك - اذ ألمت بها منصرفي من الهند وكنت مجاهدا بالعلم في الاتحاديين والتفتير عنهم وكانت (مجلة العالم الاسلامي) التي يصدرونها في الاستانة تنشر بقلم الشيخ عبد العزيز شاويش انني أقصد العراق لاجل تأليب العرب واثارتهم على الدولة - ولكن جمال باشا لم يأخذ هذا الكلام بقبضية سليمة بل سأل تقيي السادة الاشراف السيد عبد الرحمن المحض الكيلاني (رئيسي وزارة بغداد لهذا العهد) وبعض كبار العلماء عني فبالقوا في الشناء (وكان هو يعرف عني شيئا وكتب الي قبل سفري ذلك) فأكرمني وزارني ودعاني الى طعامه - فأين هذه المعاملة من أقسى الاتحاديين الذي اشتهر بلقب السفاح من معاملة الفرنسيين لي في بلدي وأنا لم أفعل شيئا يخالف القانون ولا يحل بالامن ولم أدخل في غمرة الاحزاب السياسية الخ

وختمت المذكرة بسوء تأثير هذه الحادثة في أنفس المسلمين الذين صاروا يتعجبون لما كانوا يسمعون من حسن سيرة فرسة وسوء سيرة الدولة العثمانية وقد تبين لهم أن ترك أعدل وأرحم وأبعد عن التمسب وأحسن إدارة من الفرنسيين، فصاروا يسألون عن سبب سوء ميت الترك وحسن ميت الدول الاوربية الخ

اعتذار المندوب السامي وغيره

أرسلت المذكرة الى المندوب (القومسيه) السامي فلم ألبث أن دُعيت الى مقره الرسمي (القومسيه) وكان ذلك في ٨ نوفمبر (فقابلني فيها) مسير (رودييكس) معاون مدير الامور السياسية لانه يحسن العربية وكان هو المترجم بيني وبين المندوب عند تلاقينا منذ شهر فرحب بي أجمل الترحيب وبلغني شدة أسف المندوب السامي لوقوع الحادثة وأنه كان يود لو يلقاني ليعتذر لي بنفسه لولا انه أصيب منذ ثمانية أيام بإسهال تحول الى دو سنطارية وأنه كلّفه الاعتذار باسمه وأن يجبرني ان الحاكم العام (موسيو نيجر) سافر أو يسافر الى طرابلس لاجل هذه الحادثة ليحقق الامر فيها ويقاب المبعوثين وأنه سيعزل حاكم طرابلس لأجلي . وكلّفه أن يجبرني أيضا بأن الحكومة الفرنسية مستعدة لتتّام بكل ما أطلبه من التمويضات المالية والادبية — وكرر علي ذلك قائلا : هما تطلب من التمويض يؤد بكل لوتيلح .

قلت انني لا أطلب تمويضا ماليا وانني لم أخسر من المال شيئا يذكر وأما متابعة المبعوثين من الشرطة وغيرهم فهو لمصلحتكم لانه يرفع عنكم همّة تعدد اعادة المسلمين وظلمهم وأنا لم أخسر شيئا من مقامي الادبي بظلمكم ايدي بل ذلك مما يرفع مقامي في نظر أهل وطني وغيرهم ، الا أن حاكم طرابلس أمرك منده اوراق وقتنا فأنا اطلبها لاسمي في إنجاز العمل فيها

قال اذا أنت لم تطلب لنفسك شيئا فأنا أطلب منك باسم الوطن السوري أن تترك مصر وتقيم هنا وتستغل بإصلاح بلادك فهي أولى بك لانها فقيرة من الرجال ونحن في حيرة من هذا التقرر ... نريد انشاء مجمع لغوي وان تكون أنت العضو الاول فيه وفي البلاد مصالح اسلامية خاصة أنت أولى بإصلاحها وأدارتها ونود أن تكون مستشارا للحكومة العليا في البلاد لتكون خدمتنا لما على الوجه المرخي للمسلمين أصحاب الاغلبية في البلاد وان ادارة هذه البلاد من أشق الامور وأصعبها لكثرة الاديان والمذاهب المتمايزة فيها (وذكر أكثرها وأطال في استمالي والثناء علي بلطفه وبشاشته)

فشكرت له هذه العناية والثناء واعتذرت عن الانتقال من مصر الى سوريا

بما لاجاجة الى الاطالة به

وكان اتفق في هذه الاثناء أن دعا الحاكم العام للولاية (موسيو نيجر)

المبار : ج ١٠ ص ٢٢ الحكم علي بالنفي واعتذار حاكم الولاية العسكري ٧٧٩

أكبر وجهاء المسلمين المعارضين لتأليفهم وجماع ١٠ يتكروون على السلطة الفرنسية وما ينقمون منها فكان أشد ما ذكر له مما تقموا وأنكروا حادثتنا هذه، تكلم فيها في ذلك الاجتماع وغيره أكبر العلماء مفتي الولاية الشيخ مصطفى نجبا والشيخ أحمد عباس وأيدما كبار الوجهاء المشهورين بالشجاعة الادبية كالمرحوم أحمد مختار بينهم وأبي علي سلام فأكبروا من شأن صديقهم خادم الاسلام والوطن فعمل ذلك الحاكم على ان يطلني ليدسم تفصيل الحادثة مني فاتفق ان طلبني مدير الامن العام في الوقت الذي حددته لي كتابة

جئت دار الحكومة بعد العصر من ذلك اليوم فقابلت مدير الامن أولا فأعطاني أوراقا وبلغني عن حاكم مدينة بيروت الاداري أنه يجب أن أسافر الى مصر في أول باخرة تسافر من بيروت الى الثغور المصرية . ثم دخلت على الحاكم العام فرحب بي واعتذر عن الحادثة متأسفا لوقوعها وقال إنها بلغتني من مصادر مختلفة فأحب أن يعرف الحقيقة مني قبل سفره الى طرابلس فأخبرتها له ، فأعاد التلطف في الاعتذار ووعد بالتحقيق ومماقة المسيئين فقلت له : ذلك شأنكم ولكن مدير الامن العام بلغني الآن انكم حكتم علي بالنفي من البلاد ولم يبين لي سبب هذا الحكم القاسي فهل هذا ما وعدتم به من العدل ! وأنا لأبني عقاب احد بعزل ولا غيره لاجل ، فان هذه الاساءة رفعت من قدرتي في نظر ابناء وطني ، ولكن حاكم طرابلس أرسل اليكم جميع أوراقها ماعدا الاوراق الرسمية المتعلقة بالوقف — ولخصت له خبرها — فأنا لا اطلب الا استرجاعها لاجل اتمام المعاملة الرسمية في الولاية بها . فظهر الاستياء على وجهه وكتب امرأ بالفاء حكم الذي معتذرا عنه واما اوراق الوقف فوجدت بان يحضرها معه . ثم ذهب الى طرابلس ويحث مع حاكمها العسكري في ذلك وبلغني أن هذا قد احتج لنفسه بان البوليس فعل ما تقتضيه وظيفته الاساءة المعاملة ، واما هو فلما علم بحقيقة الحادثة حولها الى الولاية ولم يسئ في شيء — وقد صدق في هذا — وبلغني انه ويح لبيان ومحاولة حنا وهددما . وهكذا كان شأن السلطة الفرنسية نسو ما اختار الموضحة ، تقع في المشكلات وأبوا خلافها ولا تساهل ، ثم تعود الى طرابلس فوجدت انهم لم يردوا عليه وعلمت على ان اوراقه كانت اس فالتطاب السهل ولا يحل لبيان ذلك هنالكتنا لكانت لبيان ما وراءه من الحيرة والغموض في حكاية تاريخية

تعلق مسلمي الساحل بفيصل وتأثيره

قد كان استغرابي لاغترار المسلمين بالانكيز وفيصل عظيما جدا ولا سيما بعد تنفيذ الانكيز لماهدة سنة ١٩١٦ باقتسام البلاد العربية بينهم وبين فرنسا، وأغرب من ذلك استغرابهم لتخلفتي اياهم في ذلك واعلامهم عالم يكونوا يعلمون من امر ثورة الحجاز وحقيقة حال ملكها والامير فيصل وطعم الانكيز في السيادة على جميع البلاد العربية ما عدا هذه الحصة التي أعطتها لفرنسة من سورية، ولجزري بأنها لن تعود الى منازلها فيها وانتزاعها منها لتعطينا اياها، وانما يجوز بل يرجح أن تأخذها منها في يوم من الايام، اذا استقرت قدمها الاستعمارية فيما جربا من البلاد، وان تستخدمنا في ذلك كدأبها في ضرب الامم بعضها ببعض كنت اقول في كل مجلس يدور فيه البحث في امر البلاد ان مثل انكثرة مع فرنسا في المسألة العربية كمثل جبار غاصب انتزع ضيعة لاسرة غنية من ايديها وأعطى بستانا أو داراً منها لرجل كان مساعداً له فأَي الرجلين أولى بخصام اصحاب النعمة؟ أَلذي اغتصبها أم صاحبه الذي أخذ داراً واحدة أو بستاناً منه ولولا لم يأخذ شيئاً؟ وهل يليق بالاسرة المالكة للضيعة أن تتأذى وتتنازع في تفصيل احبب الفاصلين على الآخر أم الواجب عليهم أن يتفقوا على ما يجب عمله لاسترداد المفقوب؟

نقل على كثير من وجهاء المسلمين قولي هذا من حيث كان مرزلاً أو مزبلاً لما كانوا يمتنون به أنفسهم ويسلون به محوهم وزاد ثقله على تلك الاجتماع ووقبه في تلك القلوب ان كان ممن يوثق بعلمه، ولا يهتم في اخلاصه وحسن قصده، وأنه لا سبيل الى نقضه أو رده، فمنهم من كان يقول وكيف العمل، وإذا لم يعمل لنا فيصل ووالده فن؟ ومنهم من يسألني بادلال المودة والصدقة أن اكتم هذا لئلا يئس الراجون، ويشمت المخالفون،

ذلك بأن أعرض امراضنا الاجتماعية أننا نعودنا التواكل بيننا، والانكال على غيرنا، ولا تزال الاحزاب والجمعيات السياسية في سن الطقولة وقد رسخ خلق التنازع بين أهل الاديان والمذاهب، واذ كان النصارى معتزليين بالترئيس لم ير المسلمون بدا من الاعتراف بالامير فيصل وبأنصاره الانكليز، وكنت أرى هذا التناظر ضاراً في الحال، وسبب العاقبة في المستقبل. وأن الاولى بالقرينين ان يتركوه ويرجعوا الى أنفسهم فيعطوها حقها ولا يمتنعوها ويحجموا

جل اعتمادهم أو كنه على غيرهم ، وأنهم في وثنهم عليهم ، وأنه يستحيل أن يعمر ويعمرأ به ما داموا مناضرين مناضرين بسبب اختلاف الأديان والمذاهب ، والاتكال على الأجانب ، وكنت أرى أن إظهار المسلمين لذلك التعلق بفصل — وإن كان له مالا أنكر من الباعث الطبيعي — قد زاد في كره أبناء وطنهم النصارى له ولهم ، ونفورهم منه ومنهم ، وحمل الفرنسيين على اتخاذ عدواً مبيتاً وتوطين أنفسهم على مقاومة نفوذهم في البلاد السورية وفي أوربة معاً ، وإنما كان يتنازع فيصل على وجه الوطن السوري في السعي السياسي لاستقلاله بكونه قد عد من قواد الحلفاء وأنصارهم فكلامه أجدر بالتبول لدى حكوماتهم ، فكان من المصلحة أن لا يخص بعضهم بالولاء وبمعظم بالعداء ، وأن لا يحمل أنصاره من المسلمين ما كانوا يظنون من التعلق به والاحتفال بقدومه وزواجه اغاظة للنصارى المعتزين بفرنسة ، وكنت أرى الصواب في هذه المسألة أن لا يفتخر المسلمون به ويتكلموا عليه ، وأن لا يخاف النصارى منه ، فصرت في بعض المقالات التي نشرتها في جريدة الحقيقة للتأليف بين الفريقين على المصالح المشتركة بينهم في البلاد بأن فيصل لا ينبغي أن يخيف أحداً من أهل البلاد إذا كانوا متفقين على القيام بشؤون بلادهم لانه ليس من أهل دولة أجنبية قوية يمكنه أن يستعين بها لها وجندها على جعل سورية تابعة لها إذا هو ولي أمارتها بل يكون هو تابعاً لها حتى إذا فرض أن عادت بلاده الأصلية أو حاربتها لا يسعه إلا مجاراتها والاستقالة من أمارتها والخروج منها ، وضربت لذلك مثلاً ملك البلاد الرومانية إذ اضطر إلى قتال أبناء جنسه النسيي وهم اللذان ابتاعوا لارادة أمته السياسية ، وقد كان هذا القول مقنعاً لخصوم فيصل فلم يرد عليه أحد ، بل لم يكن أكثرهم يعلم أن الأمر كذلك ، بل كانوا يقولون أن إمارة فيصل على سورية وترك فرنسة لها يستلزم إلحاقها بالحجاز ، وإن ملك الحجاز رئيس ديني للمسلمين كالبابا عند الكاثوليك ، وقد صرحت في ذلك المقال بخطئهم في هذا الاعتقاد أيضاً

وقد رضي المسلمون بما كتبت في هذا المقال وسرهم سدم اعتماد النصارى له ولو جروا على هذه الخطة قولاً وكتابةً وكثروا عن ذلك المسلك الذي ذكره في شأنه لوقعت المارضة له من الفرنسيين وأعوانهم عند حد ولم تنته إلى ما انتهت إليه ، ولما كان تأثير عاقبة أمره في المسلمين اليوم شديداً كما كان ، ولكن

ذلك البيان لم يكرر ولم يعم فظل السواد الاعظم من النصارى يمتد الى اليوم ان فيصلا كان يريد جعل سورية تابعة للحجاز وانه كان قادرا على ذلك لو نعم له الاستواء عليها ، وكل من الامرين خطأ . ولم أكن أريد بهذه الخطة تأييد فيصل لذاته أو مشايعة لحزبه وأكثرهم من اخواني وأصدقائي وان كنت أعلم أنها أمثل ما يؤيد به ، وانما كنت أقصد أن لا يتعادي أهل وطني بسببه وان أدلم على ما تحفظ به مصلحة الوطن اذا أتاح القدر له ان يكون أمير البلاد أو ملكها بنفوذ حلفائه

وجلة القول انني كنت أتحري في كل ما كنت أقوله واكتبه النصح لجيم أهل وطني مع المحافظة على ما أؤتمنت اياه السلطة البريطانية بمصر وجملته شرطا في الاذن لي بالسفر وان كان ظلما واعتداء على حريتي الشخصية في بلادي التي أنا أولى بالحرية فيها منهم ، ولم اكن أنفيع لسلطة من السلطات التي قسمت البلاد ولا متعاملا على واحدة منهم تحيزاً لخصيبتها ، ولا مهيجاً على السلطة الاحتلالية ، الدين والقوة والمصلحة في سياسة أوربة

واني أرجو أن يكون الزمان قد أثبت لاهل البلاد على اختلاف أديانهم ان جيم ما قلته في فرنسا وانكثرة والحجاز هو الحق وان جيم ما اقترحته هو المصلحة ، وان لم يذكروا أقوالي ، فن لم يكن ظهري له ذلك الى اليوم كله أو بعضه فيظهر له عن قريب فيعلم السوريون وهم شعب غير مسلح انه لا قوة لهم الا بالاتحاد وجم الكلمة ، وأن الشعوب لا تنال من الحرية والاستقلال ولا من الكرامة والارتقاء مع احتلال أجنبي الا بقدر قوتها ، وان دول أوربة وان بنيت سياستها القديمة في الشرق الاذني على دعوى حماية المسيحيين وانصافهم أو انقاذهم من سيطرة المسلمين فهي تتخذ الدين وسيلة الى مصالحها ولا تبالي بما يمارضها وان نصف الدين وأهله في البم نفساً .

والدليل على ذلك أن الدولة الفرنسية حامية المسيحيين الاولى في الشرق لا دين لها وانها قد قوضت الآن ببناء القاعدة الاساسية للسياسة الاوربية في الشرق - أعني قاعدة التنازع بين الهلال والصليب وسبقت حلفاءها الى الاتفاق مع الترك الوطنيين الاقوياء في الاناضول وصرحت بان لهم الحق في الاستقلال التام واستمادة ما أخذته الحلفاء المنتصرون منهم ، ورضيت بأن تنجلي لهم عن جميع كتابكية ، وعن جزء عظيم الشأن من سورية ، والامة الفرنسية ترفع صوتها

حكومتها في سبيل إعادة المردة بينها وبين الاسلام وخليفة المسلمين ،
وإذا رأيت أن هذا من مصلحتها لم يصدها عن تنفيذه حماية المسيحيين في تلك
البلاد ، ولا قاعدة مأخذ الصليب من الحلال لايسود الى الحلال

وان الدولة البريطانية ترجح المصلحة على الدين أيضا وهي ذات الصبغة
المسيحية الرسمية والملك الحامي للايمان وواضحة قاعدة الصليب والحلال التي
ملأت الدنيا عنفا وتتريا على فرنسا لاتفاقها مع مصطفى كمال باشا ناسخة
للقاعدة الاوربية المذكورة آنفا بعد أن كانت متفقاً عليها وتاركة حماية الاقليات
المسيحية في كايكية قائما قد كانت سبقت الى خطبة مودة السكاليين فلم تظفر بها ،
وضخت الارمن الذين دفعتهم الى عداوة دولتهم ، وتركهم يدوقون جزاء
نوراتهم وعصيانهم ، ولم تقبل ان تكون منتدبة لحمايتهم ، بل لتأمين ما اترفت به
من استقلالهم ، ثم إنها تريد أن تמיד سلطان اليهود القومي الى مدينة المسيح
(عليه السلام) ومهد دينه وهي تعلم أن ذلك يسوء كل مؤمن بالمسيح ولا يرضاه
حق من شعبيها نفسه الا يفضل الجنية عليه وعلى انجيله وأهل دينه ، وان كل
ما يفكوه منه أعداء الحجاز من المسيحيين ويسوءهم من تفوذ أمرائه لانه مهد
الاسلام ولحسابهم أن سلطة شريف مكة كسلطة البابا فهو من أعمال بريطانيا
العلوية وانما الحجاز معبد ليس مقر سلطة ولا يصلح أن يكون كذلك ، وليس
فيه قوة جندية ولا مالية يفتح بها سورية أو يحفظها نفسه لو حاربه هي أو غيرها .
ون هذه الدولة مهمة بالصلح مع الترك والاعتراف لهم بحق الاستقلال في
بلادهم واحترام سلطه الخليفة التركي واظهار الرغبة في مساعدته كما فعلت فرنسا اذا
هم عجزت عن إقناعها مع ايطالية ثانية بالاتفاق ما على الاجهاز على هذا الاستقلال
وأما أمراء الحجاز فقد ظهر فيهم ما كنا نقوله لانياء الوطن السوري فيهم
وهو أنهم لا رجاء فيهم للمسلمين ، ولا خوف منهم على المسيحيين ، لانهم لا حول
لهم ولا قوة بأنفسهم وانما هم مخزون لخدمة بريطانيا العظمى ينال كل منهم
من الحظوة عندها بتقدير خدمته لها وتمكين نفوذها في بلاده وسائر البلاد
العربية كدأهم في جيم البلاد التي مدوا اليها أيدي مطامعهم .

فلما كان فيصل أكثر مواناة لهم جعلوه ملكا لمستعمرة الرافق الجديدة
وكم لديهم من السلاطين والأمراء والالقب الاخرى في المستعمرات والاملاك التي
هي أوسع من العراق استقلالا ، وتفوذهم فيها أضعف وان لم يسم انتدابا ،

ولو واتاهم أخوه الأمير عبدالله من قبل لسبقه إلى ملك العراق، ولينه إذ لم يقبل لقب الملك في العراق لأنه بغير ملك، لم يقبل ما دونه في شرق الأردن، وباليث... وباليث، ولت وهل ينفع شيئاً لبت، لبت شبابا بيع طاشقريت...
... فمقتضى أنني بثوب أهل سورية عامة إلى رشدهم من قريث ويفسوا عنهم ما لحقهم من عار التعصب وعدم الوطنية، لا يتجدوا اتحاداً يضطر الانحياز إلى ما احترامهم والرغبة في صداقتهم بدلاً من الاستعبداء، ولا بأي الميول حينئذ أن تكون حكومة لبنان مسيحية مستقلة لا سلطان لغيرها عليها، وإما لضمي ذلك لمن شاء بما يقتضيه ان شاء الله...
... نصيحي للفرنسيس بتغيير سياستهم في سورية...

قلت أنني قد اضطررت بسبب حادثة طرابلس لأطالة المكث في بيروت واشغلت بمسألة الوقف بعد أن كنت وكنت من يقوم بذلك، وفي أثناء هذه المدة جمعتي بعض معارف بموسيو (مترسبه لوي) وهو مخبر عن الحكومة وكان قد زارني بمصر فكانت كما ذكره لي أنه يلغتهم عني غلوة عظيم في الهدنة بالمعارضة والمقاومة لهم ولكنهم لا يأخذون الكلام على علانه بل يترؤفون ويحفظون إلى أن يقفوا على الحقيقة، فقلت له إن عندي قاعدة أخرى تطبق على ههنا هي أن الرجل من لا يقول قولاً يحتاج إلى إنكاره، وأنني أعنيك وعداً مؤكداً بشرفي بأنك لوسالني عن كل ما نقل اليك عني لصدقتك في الاعتراف بالصحيح وإنكار ما عدها لتعلموا مقدار غش الجواسيسكم، والا فأنني أخبرك أجلاً بيزوتي في البلاد، إنني لست قائماً بدعوة إلى مقاومة ولا إلى تأييد بقصصكم ولكنني من رجال الاستقلال ومعارض السلطة الأجنبية ومشهور بهذا رأياً أصرح برأيي ومشرني إذا اقتضت الحال ذلك ولا أنتقمكم بكثر، مما أتقده به الانكيز والشريف حسين والشريف فيصل، وأنني معتقد أن مجاولتكم استثمار سورية ليس خيراً لكم ولا لها ولو فرض أنني اعتقدت أن استثماركم لها خير لها لما كنت لي أن أصرح بهذا الاعتقاد المخالف لما يعلم كل الناس من مشربي وثباتي عليه إذ يكون التصريح مظنة ريبة في كونه اعتقاداً مرضي. قال هذا كلام صحيح

ثم شرحت له رأيي في بيان كون اقتسام سورية والعراق بينهما وبين الإنكليز همراهم لما سيكون من عاقبته في عداوة العالم الإسلامي لها وكون غيبتهم في

هذه القصة أعظم من نحن خلفائهم بفسر حجتهم. وعمر التصرف في أهلها وما يتوقم من انقلاب النصارى عليهم وقد بدت بوادره ، وأن الخير لهم في حصتهم من سورية أن تكون مستقلة استقلالاً سحيحاً وجعلها صديقة لهم . وحينئذ يلتفمون منها باختيار أهلها من غير خسارة فوق ما ينالهم من النفع بسبب السيادة العسكرية فيها ويربحون صداقة الأمة العربية كلها ويؤمنون ضرر عداوتها . وجعلها آلة بأيدي الإنكليز . وذكرت له أنني نصحت للإنكليز بمثل هذه التضيعة (١) فمنهم الغرور والطمع والتعصب الديني من الاصغاء . وخلصت له معنى مذكري لرئيس الوزارة البريطانية وقد سبق ذكرها في المنار غير مرة . فأعجبه كلامي واقترح علي أن يكتب مذكرة للجنرال غورو بذلك وهو يترجمها له ليرسلها إلى باريس فامتنعت عن الكتابة وقالت له بلفه أنت ذلك

بعد هذا ذهبت إلى دمشق لإجابة لطلب الأمير فيصل ثم عدت إلى بيروت في أول مارس سنة ١٩٢٠ لاعتناع وجهاء بيروت المنتخبين للمؤتمر السوري بالذهاب إلى دمشق لحضور جلسة المؤتمر التاريخية التي تعلن استقلال سورية وفي ٤ مارس جاءني كتاب من (موسيو مرسية لوي) يقول فيه بعد رسوم الخياط « إن سمادة الجنرال غورو قد عين لكم ٥ آذار الساعة ٦ أفريقي مساء ميعاد استقبالكم في السراي »... وكان هذا الطلب بسبب محادثتي إياه بموضوع حديثي لا يطلب مني ولا علم لحثي في الموعد فبلغت أن موسيو مرسية الذي سترجم بيني وبين الجنرال قد ذهب إلى قنصل أميركة في عمل رسمي أبطأ فيه فانتظارناه متوقعين مجيئه في كل دقيقة زهاء ساعة ونيف فلما حضر دخلنا حجرة الجنرال فتلقانا أمين سره (السكرتير موسيو روير دو كيه) وبلغنا بعد التحية أن ميعاد الجنرال ذهب ببطء (موسيو مرسية) فهو يعتذر عنه بأسسه ويحمل مجله فيما ظنني لاجله إذا كان لدي سعة في الوقت . قلت ليس لدي مانع من البحث . وإنما ذكرت هذه القصة ولم أخص حديثي معه بدونها للاعلام بأن الجنرال نفسه كان حريصاً على البحث في هذا الموضوع المهم وهو كون استقلال سورية وحريتها خيراً لفردسة من استمارها بأهم الانتداب وقد يتعجب كثيرون من من نتيجة ما أقامه من حديثنا وروون فيه ذليلاً على تفسير السوريين في السمي المقول لدى الرئيس بأنهم : وأن رضاعياً استقلال سورية يمكن (لها بقية)

(١) النصح يقابل العشر والحداد ولا يتضمن استعلاء من الناصح

باب المراسلة والمناظرة

انتشار علم السنة ومدرسة الدعوة والارشاد

محلة مسير (غربية)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله (أحمد بن) أحمد سلامة إلى حضرة صاحب الفضيلة الامام الوارث لعلوم المرسلين ، الباذل جهده في ابلاغ دين الله حميم العالين ولم يدخر وسعا في السعي وراء تحقيق اصلاح حال المسلمين ، السيد محمد رشيد رضا الحسيني بلفه الله ، بما يشاء وتتمناه لهذه الامة المحمدية آمين

السلام عليكم ورحمة الله وعلى كل من والاكم في ذات الله . وبعد فانا محمد الله اليكم الذي ايدكم بروح منه ووفقكم للقيام بتحرير منار الدين ، حتى يبلغ صوت الحق منه اذان القريبين والبعيدين ، فأحيا الله به هنا وهناك قلوب المستعدين ، وأقام به الحجة على المتخلفين والمعارضين ، بمن سموا بالعلماء والمتعلمين ، ولقد فطن كثير من اخواننا في هذه الايام الى أن حال المعاهد الدينية الحاضرة في سدا القطر لا تغني اولادهم من التربية الحق شيئا ، ولا تعجدهم نفعاً ، ان لم تكن ضارة ومفسدة لاستعدادهم ، ومن ثمثة لنور الدعوة المودع في قلوبهم ، فعمدوا من أجل ذلك الى توليهم بانفسهم بحفظ مبادئ الاسلام بعد تمام حفظ القرآن بدلا من مزاولة الفقه التي وضعتها المأخرون حتى بلغ أن بعض التلاميذ من بلدنا الآن يفتنون من آلاف حديث من بلوغ المرام وشروحه وبعضهم يحفظ طائفة من المعاني لا يخرج منها الا الى تبليغ أهلها بهم وتوجيه أذهانهم الى ما اودع الله في كتابه من التوجيه . أقام من الايات البيّنات عليه وأحكام العبادات وأمرها المثبتة له في القلوب وقد تبينا بالبحث ان كثيرا من العلماء في كل مهة قد ولوا جوههم بغير العلم بداركين التقاليد جانباً بعد أن علموا ان حقيقته بالليل وهم يشكرون من الشكوى مما عليه المعاهد غير أن هذا كله وإن كان مناراً مبشراً لا يشفي الناس ولا يروي غيلاً من الإصلاح العام الذي نريه في هذه الدعوة والارشاد من قبل وكاتب أو من هذه الجهة القائمة بالدعوة والارشاد ففهمنا بوجوبها ، طالبين فأجاب دعوتها فبين من الناس ساءة الله في كل دعوة الى الحق ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً . غير

أن هؤلاء الطالبين على قلتهم وقصر مدة شغل المدرسة قد أفادوا الداس فائدة كبرى لا يستهان بها فقد سمع نداهم والحمد لله على اختلاف جهاتهم وتنائي ديارهم جماعاتهم الآن متعارفون متزاورون ولقد وعدتم حفظكم الله تعالى المرة بعد المرة أو فهم من كلامكم في المنار هذا الوعد بإعادة مدرسة الدعوة والارشاد فكان ما فهمناه من هذا الوعد طمأنينة تمسنا على مستقبل أولادنا ولكن طال المهدي على هذا وأيامه من آجالهم وأجالنا فتى يا صاحب الفضيلة يكون يوم تحقيقه؟ ولقد يفتب على ظننا أن أهل هذه البلاد ما عدوا ولا شعروا بفائدة هذه المدرسة إلا بعد وقوف عملها وتعرف اخبار الثلاثة أو الاربعة الذين أخرجتهم هذه المدرسة كالاستاذ الشيخ ابي زيد والشيخ عبد الظاهر وبعد أن عقد الحق صلة بينهم وبين كثير من المستعدين من العلماء والمعلمين ، فان صح رأينا هذا قوي الامل في تنبيه هذا المشروع من فترته ، واقلته من عمرته ، فنتناشدك الله والدين ، والميثاق المأخوذ على المرسلين ، والوارثين ان تقوموا انتم ومن تبعكم باحسان وتؤدثوا في الناس الامراء وغير الامراء ، من أهل الخير والثراء ، بوجوب إحياء هذا المشروع الذي لا غنى للمسلمين في جميع اقطار الارض عنه ، وإن بقي ذلك لنصر الدين الله وقد وعد الله ووعد الله الخ بنصر من ينصره ^{بإيمان} بهذا الجهاد في الله وقد وعد الله الجامعين فيه ان يهديهم السبيل والله يهديهم ، وان هذا لا يفاء بهدته ولقد وعد الله المؤمنين بهدى الانبياء بهدىهم ولنا نعلمك بنيي ، انت تجمله نعوذ بالله . او نذكرك بما غاب عنك نستغفر الله ، وانما هي نفثة المصدور وتروح المزبون لما عليه المسادون ، وان كان لدى قبيلتكم ما ييسر بتحقيق الامل قريباً فنفسلوا به علينا انناكم الله وجزاكم عن المسلمين خير الجزاء ، ويسلم عليكم ونحى من تبعكم باحسان تلميذكم العارف لكم حقه الشاهد بفضلكم شيخنا الاستاذ الشيخ سيد عبد الله بن عبد الله

٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٩ هـ

سيد محمد الخالص كاتبه

1500 1500 1500

(المنار) نحمد الله تعالى على توفيق المهتمين لأحياء علم السنة وحفظ الحديث والتفقه فيه حتى في الغرى الصغيرة ، ونسلم على أعيان الكتاب القيم ، واستاذهم المعطى لإفاضة نور السنة في ذلك الديور
 أما مدرسة لدعوة والإرشاد فهي كما قال أحونا المختار أو على الوسائل نكل

اصلاح اسلامي بحسب ما وصى به الجهاد اور اقتصادي طور پر ارقم ميں عوام
عقلاء المسلمين واهل الرأي فيجب في الافتار المتعلقة حرم و حلال و
بعض كبراء الدولة العثمانية من رجال جميعه الاندلس و اني
معتقن بما كان يرجى للدولة وللإسلام من هذه المدرسة لو احسن
تأسيها في الآستانة و آفغن لعدم الترفيق لذلك

واما إعادة المدرسة فاني عازم عليه ساع له ولو بأن استأجر منا من المني
واعيد فيه تلك الدروس التي كنت القىها واكف بعض الفضلاء من اخواني
ساعدني على ذلك بدروس أخرى ولو ليلا، وان اجمن فيها قسما اسمه دار
الحديث للمساعدة على حفظ السنة والاستماع بها على مدابة القرآن. أنتظر
بذلك الميسرة المرجوة ولست يئأس من إعادة الحكومة المصرية للاعادة المدرسة
من أوقاف المسلمين الخيرية ولا سيما اذا زالت السيطرة الاجنبية عنها او ضعفت
ولعلي لو طلبت ذلك في هذه السنة لأجبت ولكنني رأيت البلاد كلها في شغل شاغل
بغضية البلاد السياسية عن كل شيء ولكل شيء اجل لا يمدوه وسيمرف اهل النيرة
الاسلامية بمد ذلك قدر هذه المدرسة فيساعدونها من كل قطار ولا سيما الهند ونجد
وليس الشيخ عبد الناصر والشيخ محمد ابو زيد الذي كف اصلاح مدارس
جمعية الاصلاح والارشاد في جاوه هما اللذان قد أخرجا من المدرسة وعنيا
بالدعوة الى الاصلاح والارشاد مع اثنين آخرين كما قلتم بل نشر صلاحها الاصلاح
في أقطار مختلفة وقد نشر في الجزء "التاسع من المار ترجمة واحد منهم من اهل
جاوه توفي فيها بقلم أخيه وكلاما من تلاميذها. واني أنشر هنا جملا من مکتوبات
بعض تلامها من مسلمي الهند

﴿ كتاب من تلميذين من تلاميذ المدرسة بضمه ﴾

وذلك عقب سفرهما من مصر منذ سنين

استاذنا ومرشدنا السيد الامام حجة الدين وغفر الاسلام حفظه الله
بعد أداء واجبات التحية والاحترام وصلنا بحمد الله الى وطننا العزيز
واسكننا لم نفرح كل الفرح لاننا من الاله لم نوفق لتقبيل يديكم عند مفادرتنا
مصر وذلك ليس الاله معائب التي احاطت بنا ذلك الحين وأقلقت بالنا
واضطررنا أن نساغر عي ذلك الحال

وبعد وصولنا الى الهند بقينا في بلدنا وقدرنا أعمالنا على المواعظ في الاجتماعات الدينية لتسريح حيننا من وعناء السفر - وما نحن (أولاء) تلاميذكم الثلاثة قد اجتمعنا لنخرج الى ميدان العمل ونسير على طريقكم المثل التي اقتبسناها من دروسكم ومحاضراتكم القيمة في مدة قيامنا بـ مدرستكم الغراء . وقد شرعنا في ترجمة بعض الكتب والمقالات النافعة ونحن مسمون على أن لا نفتعل الا في الاممال العملية الحرة فأردنا أن نفتتح مدرسة لتعليم اللغة العربية على طريقة العملية (١) ونصدر أيضا مجلة عربية غير الهندية ... الخ

ولم تنس وصيتكم الاخيرة بجميع الكتب الاثرية القديمة وقد عرضنا هذه الفكرة على المولى عبد الحلي مدير مدرسة ندوة العلماء فاستحسنها ووعدا بالمساعدة - دتم

الخاصمان

محمد عثمان - عبد الله بخدايار -

﴿ كتاب من تلميذ آخر من تلاميذ المدرسة بنعه ﴾

هو الآن محرر جريدة (بيخام) أي البلاغ في كلكتة

استاذي ومرشدي حجة الاسلام غفر الله له السيد الامام متنا الله بطول بقائكم ! بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ! فاني قد كنت كتبت الى جبابكم المالي كتابين بعد مفادتي من الحجاز (٢) ولما لها وصلا اليكم . ثم سكت طول هذه المدة لانقلة بل لاسباب لا تخفى على احد ، وكيف أرتكب جرم النقلة والذهول أو نال أعقل ولم أعرف شيئا الا منكم ، قدمت مصر وأنا في غياهب من الجهل فاقبست من نوركم فصرت بصيراً والحمد لله والمنة لكم !

واكبر شكر يستطيع التلميذ والمريد أن يشكر به استاذاه هو أن يحذو حذوه في الخير ويحیی طريقته وينشر آراءه ويهدي امته بالهداية التي اهتمت بها ، واني يا مولاي ما برحت أسير على هذه الطعارة منذ فقتولي الى الهند فاذلت اكتب المقالات العلمية والدينية في اكبر الجرائد الهندية ومجلاتنا ، وألقي الخطب في المجالس العامة ، وبحمد الله يكون لها اكبر وقع عند الخاص والعام لان تلك الافكار ، غريبة عنهم ! مكبا في دماغهم علم الحديث (٣) وقد قرأت

(١) اتوجه أن يقال الطريقة العملية (٢) الصواب حذف من لان غادر كفارق يسمى بنفسه لا بمن (٣) يريد : وما زلت مكبا على مطالعة علم الحديث فتمت الاسم المفرد على الجملة الفعلية

الانتقاد على المنار

أطلب في أول جزء من كل مجلد من فراء المنار إتحافنا بما يروونه منتقدا فيه سواء كان بمخالفة الحق في بعض المسائل أو بخالفة المصلحة العامة التي تنوعها في خدمتنا ، ونذكر في خاتمة آخر جزء من المجلد بذلك مشيرين الى ما لم نشره من النقد الثموي أو غير الموجهة الى المنار

فنقول الآن في خاتمة هذا المجلد اننا قد نشرنا كل ما كتب البنا من النقد كالد على ما نقلناه عن ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في مسألة فناء النار وعدمه والخلود فيها وممناه ولم يهل المنار شيئا في هذا الباب مما كتب اليه . وأما النوع الآخر من النقد فليس لدينا منه الا ما قاله بعض السورين أو نشره في بعض الجرائد ولم يرسلوه الى المنار في موضوع مقال (الحقائق الجلية في المسألة المربية) التي نشرت في الجزء السادس فقد استحسنها الجماهير في الاقطار الاسلامية المختلفة حتى ان محرر جريدة (بيغام) الهندية الاسلامية التي تصدر في (كلكتة) كتب اليها بأنه ترجمها ونشرها في جريدتهم فنقلتها عنها « الجرائد الانكليزية الوطنية والهندية واستحسنها الناس كثيرا »

استند سامط بك المصري في حديث دار بيننا وبينه مسألتين من المقالة وهو مظم على ما جرى لانه كان وزير المعارف في الحكومة السورية ورسول الملك فيصل الى الجنرال غورو في أثناء المناوضة بينهما في أمر الانذار المشهور (الاولى) قولنا في الصفحة ٤٦٩ : قبلت الحكومة برئاسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنها قبول الوصاية بلا شرط ولا قيد فأصبحت بذلك ساقطة غير شرعية بقرار المؤتمر .. (والثانية) قولنا فيها أيضا : عظم الخطب على فيصل ووزرائه لما رأوا أنهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك الشروط الخزية ليدفعوا لاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمتعين في ظل الوصاية وخدمتها بما كانوا عليه بعد ان قالوا في عدم قبولنا ما قالوا من المبالغات فقال في الاولى ان الوصاية كانت مقيدة بقيود معلومة لا تخفى عليكم وفي الثانية : ان الوزراء وان قرروا قبول شروط الجنرال غورو لم يكونوا رجوع ان يبقوا في الوزارة لان الجنرال طلب فيها طلبه من فيصل أييف حكومة موالية لفرنسة . وقد تناقشنا في المسألتين ورغبت اليه أن يكتب انتقاده كتابا لا ين حق من

باطله وأعترف له بما فيه من الحق فإني لا أكتب لفرض ولا هوى بل لبيان الحق وخدمة الامة فإذا ظهر لي ان فيما كتبت ما يخالف ذلك اعترفت به ورجعت الى الصواب الذي أقتنع به . ولكنه لم يكتب جوابي عن المسألة الاولى ان الجنرال غورو هو الذي قيد الوصاية في انذاره بما عناه سامع بك لا الحكومة السورية (الوزارة مع الملك) وهذه ترجمة الشرط أو الطلب الثالث من الانذار

٣ - قبول حق وصاية فرنسة على سورية بحيث تكون حرية البلاد مضمونة وبحيث لا يسحق الوصاية المذكور ما للحكومة التي تنتخبها الامة من السلطة بل يكون محصوراً في المساعدة الودية خالياً من كل غرض استعماري .
وأما المسألة الثانية فالذي أعلمه فيها أن انذار الجنرال غورو لم يكن فيه طلب تغيير الوزارة وأما الشرط أو المطلب الخامس منه عقاب جميع الذين أظهروا العداء لفرنسة . وكان الجنرال يتهم الحكومة بأنها تساعد المصالحات التي تناوئ الاحتلال الفرنسي كما بينه في بعض أجوبته مما كتبه اليه فيحصل بعد قبول الانذار ولعل طلب تأليف حكومة موالية كان من المطالب التي تجددت بعد قبول الانذار وكان سامع بك المصري هو الرسول بين فيصل وغورو فيها والذي علمناه من امر تلك الوزارة أن بعض أعضائها كان ممدوداً من المبادئ لفرنسة كالمرحوم يوسف العظمة ولدكتور شاهيندر وبعضهم كان موالياً لها كالملايكة الدين بك الدروبي الذي عينه فيصل رئيساً للوزارة الموالية بعد الاحتلال وأما الآخرون فلم نعرف عنهم عداء ولا ولاء لفرنسة

ثم كتب رجل من دروز لبنان اسمه الدكتور سعيد طليح كان من أعضاء المؤتمر السوري العام بدمشق مقالة رد بل نهكم يقال المنار ونشرها في جريدة الاهرام على إثر كلام أغضبه مني في الاسكندرية فان خطأً ظنني تحدثت إهائته فيه سبقه غضبات كانت في دمشق بعضها في المؤتمر اذ تكرر أن منمنته من الكلام في بعض المائل منمناً قانونياً فقلنا أنني قدمت التحامل وتقديم غيره عليه وكنت أظن أنه نسبها لاتي وكنت له القول بأن ذلك كان من الانتم على أنه من شيعة الملك فيصل اذ لم يبلغني أن أحداً من أعضاء المؤتمر ذهب الى لقاء فيصل في اليوم الذي كان ينتظر أن يجيئه فيه جميع الاعضاء بمكتوبات خفية سرية يبينون فيها رأيهم في انذار الجنرال غورو لان الدعوة بثت ليلاً وصباحاً بأن لا يكتب اليه

أحد . وقد جاءني الدكتور طليع هذا بعد عصر ذلك اليوم الموعود الى الدار بدمشق - وكان من أكثر الاعضاء مودة لي - وأخبرني أنه كان عند الملك وأنه وجدته محتاجة جدا لانه كان منتظرا من أول النهار لإقبال أعضاء المؤتمر عليه بما وعدوا من الكتابة اليه بأرائهم ولم يجيء أحد ولا الرئيس الذي كان يجيء في مثل هذا اليوم عادة (وهو يوم أحد) وقال الدكتور طليع إنه ينتظر ذهابك اليه فيحسب أن تذهب وتسلمه ، فقلت حقاً انني بعد اشتغالي برئاسة المؤتمر قصرت زيارتي له على يومي الجمعة والاحد لعدم عقد الجلسات العامة فيهما (وكنت أزوره صباح كل يوم) ولكنني بعد أن رأيت منه ما رأيت من احتقار الامة عزمت على أن لا أزوره الا بدعوة رسمية ...

واذ نحن في الحديث جاءني رسوله يقول ان جلالة الملك ينتظرك فذهبت اليه فرأيتني واجما مفردا وسألني ما بال أعضاء المؤتمر قد أنخلقوا موعدي ولم يأتوني بأرائهم في الازمة الحاضرة مكتوبة وقد ظلت منتظرا لهم النهار بطوله ؟ قلت لأنني جلبت منذ خرجنا من هنا أنهم عازمون على عدم إجابة اقتراحكم الذي ساءم جدا لانه عدوه متضمننا للطمع فيهم بالجن والمداينة للعامة فيما يبدوونه في المؤتمر . قال لكنهم أظهروا استحسان الاقتراح وقبوله ، قلت ان الجمهور سكتوا واجبن وانما صفق واحد منهم للاقتراح ، ولما خرجوا صاروا يتناجون بينهم بأن هذه مكيدة يراد ايقاعهم بها ويتواصون بعدم الوقوع في شركها . والظاهر أنه لم يذهب اليه الا الدكتور سميد بك طليع وأنه لم يذهب اليه الا وقد كتب اليه ما يجب وهو إجابة الجنرال غورو بقبول إنذاره !!

لم يكن ما كتبه الدكتور طليع بالذي يستحق أن يعنى به ويرد عليه لانه دعاوى زور وإفك وبهتان اختلق ليبنى عليه ما يشي غيظ الكاتب من التهكم والازراء ، ويتقرب به الى أولئك الملوك والامراء ، وليس نقداً صحيحاً ولا قصد به بيان حقيقة ولذلك نشر في جريدة يومية سياسية ولم يرسل الى المنار

وانني مع ذلك قد وددت عليه ونشرت الرد في جريدة الاهرام لغرضين أهمهما إطلاع من لا يقرأ المنار من قراء الاهرام على حقيقة المسألة العربية التي يحتم جميع المسلمين وكثير من سائر الشعوب بأمرها - ولذلك نشرت مقالتنا جرائد الهند الاسلامية والانكليزية والوثنية - وناهيها إعلام من ذكر من قراء الاهرام بما افتراه الكاتب على المنار وقراء المنار في غنى عن ذلك

على انني أخلص تلك الدعاوي والا كاذب فأقول (أولها) إنكار قد
 إنه لم يوجد في الأمة العربية في فرصة هذه الحرب زعماء بمجموع كد
 ويحدون قواها لحفظ استقلالها كما وجد في الترك مصطفى كمال باشا وأنصاره
 من كبار القواد والسياسيين ودعواؤه «أن الزعامة الطبيعية توفرت في جلاله الم
 تحسين» الخ (ثانيها) افتراؤه علي بآني قلت انني أشرت على الملك حسين بأن يحار
 الاتحاديين وقد سبق للمنار ذكر هذه القرية في الرد على جريدة القبلة من
 التنازع بمد الردها في الاهرام منذ أشهر (ثالثها) عبارة كاذبة بنى عليها إستند
 تصرّح المنار بالرواية التي صرح بها بشأن امتناع الملك حسين من قبول مشر
 اتفاق امراء جزيرة العرب (رابعها) زعمه انني قلت كنت في دمشق ثاني الملك وصا
 النفوذ الأعلى وانني كنت انصب الوزراء وأعزهم — استنبط هذا بما ذ
 في مسألة المرحوم يوسف العظمة وجعله حقيقة واقعة لأجل التهم الذي أر
 وقراء المنار يعلمون ما قلنا في ذلك (خامسها) قوله «ويقول أيضا أنه هو الذ
 أقتنع المؤتمر السوري بأن يقلم عن فكرة وضع الحكومة بيد دكتاتور» و
 المنار يعلمون أنني لم أقل هذا وانما قلت كان بعض الاعضاء يريد عدم امته
 أمر الملك بتأجيل اجتماع المؤتمر فأقنعتهم بأن هذا خير للمؤتمر. وقد أوضح
 هذا في الاهرام ببيان أن بعض أعضاء المؤتمر طلبوا مني الاذن بالكلام والخط
 بعد تلاوة أمر الملك المذكور فلم آذن لاحد منهم ونزلت عن كرسي الريا
 تنفيذاً للأمر وعدم جملة موضوعا للمناقشة. وان بعض هؤلاء كلموني
 غيرهم فيما كانوا يرون من عدم امتثال الأمر فأقنعتهم بما ذكرت. وأزيد الا
 أنني لو سمحت لأعضاء المؤتمر بأن يتكلموا في موضوع الأمر ويلقوا فيه الخد
 لكنت خطبهم أشد مما كانت في الجلسة السرية التي عقدها قبل ذلك اذ
 التوبيخ والخط على الحكومة والملك فيمل بالفن حد الافراط وكان الشبه
 أشد نهجاً وهو مستمد لاتباع كل ما يقرره المؤتمر، واذا لوقعت ثورة داخ
 تكون عاقبتها اتهام المؤتمر بأنه هو المضيع لاستقلال البلاد

(سادسها) الاحتجاج على ما وصفت به امراء مكة بأنني أنذيت مرة
 الملك فيعمل. وقد أنهم هذاثناء بما يوهم أنه ثناء بالكفاءة للزعامة وإقناع الا
 العربية والحقيقة أن ما أشار اليه كان رداً على ثناء الملك عن أعضاء المؤ
 باجابتهم دعوتهم الى أدبه ويريدان بأنه هو الحسن في الدعوة وفي التبرك على قبح

فهو أحق بأن يثنى عليه ورجل عن شكر الأسرة بحسن لاجلنا كما قال ابن الجهم (سأبها) انكاره ما سماه دعوة لفرنسيس بأن لا يعادوا الأمة العربية في بيت ملك الحجاز : وأنا ما دعوتهم الى ذلك دعوة كما زعم وانما بينت لهم خطأهم والخطأ سهل (ثامنها) زعمه أنني قلت ان جلالة الملك حسين وافقني على معاهدة سايكس وبيكو . واستدل على رد هذا بعدم تصديقه على معاهدة فرساي قال «لخصبها المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم» وقد رددت عليه في الاصرام ، وقراء المنار يلمون أنني لم أقل من عندي إنه سددني على معاهدة ١٩١٦ وانما رويت زوايات فيها عمن سمعوا بأذانهم من البر مارك سايكس وروا بأعينهم كتاب جلالة الملك الى نجله الامير فيصل وأملت في ذلك بما لا حاجة الى ذكره هنا لانا نريد لمقتال هذا الباب الآن لا كثرة الدخول فيه والخروج منه

علاقتنا بأسرة ملك الحجاز

وليعلم القراء أنني لم اكتب قط كتابة من شأنها أن يسوء الحق فيها احداً من الناس ويؤلمه وأنا متألم وخجل من مسأته كالذي كتبت في المسألة العربية علماً بأنه يؤلم الملك حسيناً واولاده لاني عرفت منهم الامير عبد الله أولاً والامير زيندا والامير فالحك فيصل اخيراً والدم فيما بين ذلك فلم أشك من معاملتهم لي قولا ولا فعلا بل كنت معجباً أشد الاعجاب بأدبهم العاليه وقد اكرم مشواي الكبير في الحجاز وأنساني مع من كان معي من نساء ورجال احسن الضيافة كما يعلم من تنويعي به وشكري له في رحلة الحجاز من المنار ، واني لا أعلم أن منع المنار بتلك العبارة الخشنة قد كان بدسيه

وكان يسهل علي تلافي ذلك كما اقترح علي بعض رجال الانكليز هنا ، ولكنني قد سبرت بذلك المنه لاني كنت قد علمت أن الامر جار على ما ينافي مصلحة العرب والاسلام ، وقد كنت صرحت له عند توديعي اياه بنجرتة في الحرم الشريف بأنني لا أعمل الا ما اعتقد أنه لمصلحة الملة والأمة فادمت أعتقد أن الحركة العربية كذلك فأنا أخدم فيها كالجندي — قلت هذا بعد أن تلطف كل التلطف في الثناء ووجاء المساعدة كما أشرت الى ذلك في الرسالة حتى كان من تواضعه ولطعه بعد ذكر خدمة المنار للاسلام أن قال في صاحبه أنه أعلم منا بكل شيء فنحن محتاج الى علمه وسمة اختباره باقامته بجميع كل هذه الشئ في كل عمل ربه في حكومتنا ... وفصل ذلك تفصيلا أحدي

ومررت الامير عبيد الله في الاسبانة وكان أول كلامي معه تمريرها شديدا بأمرنا تأمله قبله بناية اللطف والادب ثم ذكر اجتماعي به وأترك وصف تواضعه معي افتداء بادبه في التواضع .

وأما فيصل فكان أول لقائي إياه وحديثي معه في بيروت بعد عودته الثانية من أوربة حيث كان له ما يعلم الناس من علو المكانة . طلبت الخلو به على ضيق الوقت فسمح بها ليلا فكان أول حديثي معه في السياسة بعد محاملات اللقاء أن ذكرت له بالاختصار رأيي في ثورتهم ومضارها من مبدئها إذ بنيت على الانكسار على الاجنبي لا الاستقلال الصحيح ولا جم السكسة الى ما كان لها من سوء العاقبة وأسباب ذلك — فلما وافقني على رأيي في سوء النتيجة والمقدمات؛ قلت له انني أرجو أن تكونوا قد استفدتم بالاختبار ما ينفع بهتمكم الى تلافي هذه الاخطار ، ولذلك طلبت الخلو بكم لاقف على خطكم الجديدة فان وافقت رأيي كنت مساعدا لها على قدر طاقتي ، والا كنت مقاوما لها على ضمني ، ولا أراكم تستكبرون مني كلمة المقاومة لانني لست أميراً فقد قاومت السياسة الحميدة على عظمتها وخضوع الرقاب لها ولم اكن أميراً ، وقاومت السياسة الاتحادية على قوتها وجبروتها واغتيالها لخصومها ولم اكن أميراً . فقابل قولي على خشونته الذي أوجبه المصاحبة والاخلاص في النصيحة باللطف والثناء والرجاء في التعاون والاتفاق ، ثم انه ألح علي بالذهاب معه الى الشام لاجل التعاون على العمل فوعده بأن أتبعه ووفيت ، وكنت قبل الاشتغال بالأمور اول مر يخلو به صبيحة كل يوم للحديث والتشاور في المسألة السورية والمسألة العربية وقد بينت له رأيي فيما يجب من العمل في المسألة العربية قولا ثم كتابة فاستحسن جد الاستحسان ووعده بأن يفرغ ما في وسعه في سبيله . ولو كنت ممن يسفوذ الى أخذ المال والتحف لكنت أقدر على استدراار تلك الكف الواكفة كالسحاب بغير حساب ؛ ولا تفرقة بين المستحق وغيره من العفاة والطلاب ، واذ كان يعا أنني لا أطلب ولا أقبل عطاء زين له جوده ان يحتمل لتقديم هدية بخلق له مناسبة فألح علي بأن أستأجر دارا لان ملول الإقامة في الفندق غير لائق وقار سمرار عليك الدار وعلينا فرشها فاستأجرت دارا واستحضرت لها فرشا من بلد (طرابلس الشام) بعد أن بلغته بنفسي وبعدة وسائط منها رئيس امنائه احسان بك الجابري عدم القبول . وقد اختلنا غير مرة في المسائل السورية حتى تفاضنا وكاذ

كل منا سريع اليأس لا تلبث أن نود الى ما كنا عليه من صفاء المعاشرة التي كان يفضل فيها وبفضل اكثر الناس أدبا ولطفا وتواضعا حتى كان الخلاف الاخير الذي انتهى بمقاطعتي له بعد تعطيل المؤتمر ، على انني لما علمت أن التورليس آذنه بوجود الخروج من دمشق لم أبدأ من توديعه وقد أعرض عنه المشلقون فكنت آخر من ودعه ليلا على قلتهم ، وأفضل ما أذكره من ولاء بعد جفاء أنه كاشفني بكل ما في نفسه وما ينويه من سعي وعمل ، فقلت له يا مولاي ان مثل هذا لا يجوز أن يتحدث به ، فقال اني والله لم أذكره لاحد سوى الاخوي زيد ! أفليست هذه الثقة منه يجب أن أعدها له ان لم يعدها أو يمنحها هو علي ؟ بل ولاجلها لقبته وكررت الزيارة اذ جاء مصر رائداً من أوربة راجيا أن استفيد نيا منه ، وأتوسل الى ما يجب من النصيحة له ، فلم أسمم بنأي يمت الارتياع في مصلحتنا العامة ، وصرح لي بأنه سيطبني الى العراق للعمل معه ، ولو كنت أحمل للمنفعة الشخصية كما يعمل الكثيرون لكانت مجازاة الملك فيصل في ظل بريطانيا العظمى أو سم أبوابها لدي هناك بعد ان قال لي غير مرة بدمشق إنه يعدني حبر الزواية في كل ما يشئ من خدمة العرب والاسلام ، ولكنني أعتقد أنه لن يستطيع أن يعمل هو ولا غيره مع السيطرة البريطانية شيئا إلا لها ، ولدي من العلم الذي استغنته في ٢٤ سنة بمصر ما ليس عنده ولا عند أحد من أهله وصحبه ، والمسألة المصرية حجة بالغة ولم تبق خفية على أحد .

وجله القول ان علاقتي بهذه الاسرة علاقة مودة واحترام حتى ان الملك الكبير على شمه وعلو نفسه كان إذا ذكر لي أحد أنجاله الكرام قولا أو كتابة يقول « أحد أولادكم » وكنت من أقدر الناس على الانتفاع منهم لو كنت طالب بمنفعة شخصية ، وعلى الخدمة للامة معهم لو سلكوا لها سبيلها ، أفلا أكون خليقا بالغجل الطبيعي من الطعن بخطتهم وسيرهم ؟ بل والله وان كان بعض مقاصدي بها ، امكان استفادتهم منها ، والمصلحة العامة هي التي يرتكب في سبيلها كل صعب ، ويسهل كل خطب ، وما أنا بآمن على نفسي من الضرر ، والذي لا أعد منه ما كان من طعن وهذر ، وإنما كتبت بعض ما أعلم بالاختصار ، عند العلم بنجاح المكيدة البريطانية للعرب بحكومة المراق التي يفتري بها الاغرار ، ويستغلها عبدة الدينار ، لاعتقادي أنه واجب علي شرعا ووضعية . وقد ظهر اني لو لم أقم بهذه النصيحة الواجبة لما قام بها أحد ، ولكان ذلك خزيا وعارا على

خاتمة المجلد الثاني والعشرين

باسم الله وبمحمده أختتم المجلد الثاني والعشرين من المنار كما افتتحته باسمه وبمحمده فهو به وله منه واليه ، ولا حول ولا قوة الا به

بفضله تعالى أعدنا اجزاء المنار الى حجمها السابق الذي انتقلت منه رزايا الحرب وطبعناه على ورق اقوى وانظف واغلى من ورقه الاول فثمنه يزيد على الثمن الذي كان قبل الحرب خمسة أضعاف وتوسعنا في مباحثه وسائله ، علمنا كل ما أقدرتنا الله تعالى عليه فمسيح الله أن يوفق سبحانه قراءه الى أن يقربوا بما يجب عليهم من اداء حقه فلا يزال الكثيرون من اهل الوفاء منهم يرجئون دفع القيمة الى انتهاء السنة واستيفاء أجزاء كل مجلد كاملة ولا يزال الكثيرون من غيرهم مدينين باشتراك عدة سنين ، يلون ويمطلون ، وهم أغنياء واجدون ، وبندر أن يوجد فيهم من يستبيع هذا الجرم ، ويستحل أن يصدق عليه قول الرسول (ص) «مطل الغني ظلم» (متفق عليه) ولكنهم غافلون حتى عن أنفسهم ، فلا يفكرون في ثغرات العمل من أين تأتي اذا كان جميع المشتركين أو اكثرهم مشغولين لا يرضون لا تقسم أن يكون غيرهم خيراً منهم ، ولا يحاسبونها ، لا يهابون وهم الحق الصراح ، ولا سيما اذا كان صاحبه مهمل أو مقصراً في عمله بالاحراج ، لأن الامور الدنيوية قد يحاسب نفسه عاجلاً في الامم المريضة والافراد من الفضلاء ، وأما الدعاة فقلما يفكرون في جنائياتهم العملية بل يفتخرون بها ، أو يفتنون الى سوء عواقبها فيها وفيهم ، واذا ذكر احدنا ان رجعت اليه لائمة بادر الى تبرئة نفسه ، وتحويل اللائمة الى غيره ، فلا ينبه اللوم والتذكير منه الا غريزة الدفاع عن النفس ، والحفاظ على كرامتها بما يسبق الى ذهنه بادي الرأي ، وقد يقضي بما يقول عليها ، وهو يحب أنه قد قف على خطا يبرأها ، وما هي الا الغفلة عن النفس تصل الى درجة السهو والنسيان ، كما أرمه الى ذلك القرآن ، فقد قال في قوم (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) ووصف قوماً بأنهم (في غمرة ساهون)

لا يبالي الملم بما يدفع به اللوم اكان حقاً ام باطلا ولا يقول ما يقول دائماً عن اعتقاد وقد يقول كلمة حق يريد بها باطلاً أو لا يريد بها الا مقابلة اللوم بمثلها كن يمتد عن تأخير اداء الحق الذي عليه للصحيفة بتأخر بعض الاجزاء

عنه ، وقبل فيمن يعتذرون مثل هذا الاعتذار من قصد جعل الارزاء أو ترك الوفاء عقاباً على تأخير بعض الاجزاء أو الاعداد والاصل في الاشتراك أن تدفع القيمة كل سنة سلفاً للاستعانة بها على العمل فيكون بأدائها مشاركا لصاحبها فيه فان لم يفعل المشتركون ذلك وعد مدير العمل مسيئاً بتأخير اصدار الصحيفة فإساءته تكون متأخرة عن إساءة مرجيء الدفع سلفاً بل تكون معلولة لها في الأكثر ، وإذا كان كل مشترك لا يدفع إلا بعد استيفاء أجزاء السنة كلها في موافقتها وكان اصدار الأجزاء في موافقتها أو مطلقاً متوقفاً على دفع القيمة قبله لأجل النفقة تكون المسألة من قبيل ما يسمى في اصطلاح المنطق بالدور فيقال لو لا تأخير المشتركين لقيمة الاشتراك لما تأخر صدور شيء من أجزاء المجلة ولولا تأخير أجزاء المجلة لما تأخر المشتركون عن أداء القيمة سلفاً — هذا

والحق إن الارزاء والتسويق لا يكون من جميع المشتركين في المصحف وإن مرجئين من رجى كلاً وتهاوناً في الوفاء ، ومنهم من رجى لأن أداء الحق ثقيل على طبعه وليس له من باعث الدين ولا الترية على الوفاء والنظام في المعيشة ما يرجع على البخل وهضم الحقوق ، ومنهم الممر الذي ينتظر الميسرة ، ومنهم الحرص الذي يخشى أن يعجز صاحب المجلة أو الجريدة الاستمرار على إصدارها ، واكثر الناس في هذه البلاد وأمثالها لا يتقون بأكثر ما يتجدد من الصحف لكثرة ما يصدر منها أياماً وأسابيع أو أشهراً قليلة ثم ينقطع وتضيع قيمة الاشتراك التي دفعت لأصحابها سلفاً ولكن قلما يملك احد في النفقة بنبات الصحف التي طالت أعمارها وصيرت على لا واء الزمان ولا سيما لواء هذه الحرب ألا ان كل من أنصف من نفسه وأعطى التفكير في المسألة حقه يظهر له الحق فيها ويجتهد في المسارعة الى دفع قيمة الاشتراك في الصحيفة التي ارتضاها سلفاً فان لم يكن ففي أثناء السنة ؛ وأنه يظلم صاحبها بالتأخير الى نهاية السنة . فكيف بمن رجى اشتراك سنتين فأكثر وصاحب الصحيفة يظل يرسلها اليه ثقة به وحسن ظن فيه ؟ وجملة القول ان الناس في هذه المسألة كما قال تعالى في الذين أوردوا الكتاب (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفوز الكبير) وكل ظالم لغيره فهو ظالم لنفسه

مواد المجلد ١١ ٢٣

لدينا من المواد الممدة للمجلد الآتي بحث طويل الذيل متدفق السيل في

مسألة (الخلافة الإسلامية) لاحد أركان النهضة الإسلامية في الهند ،
المولى (ابو الكلام محمد بن الدين آزاد) صاحب مجلة (الهلال) المعنية بالاصلا
وجريدة بينام - أي البلاغ - السياسية في (كلكتة) الذي قد كني
الكلام بالالهام فانه من أفصح أهل مصر كلاما وأقدم على الخطابة والكتابة
وهو يحيد فهم اللغة العربية بحيث إنه أعاد الخطاب الذي اختتمت به مؤتمر ندوة
العلماء في (لكهنؤ) بطريق الخطابة باللغة الاوردية في جلسة خاصة عقدت لاجل
ذلك وكانت خطبتي ارنجالية استغرق إلقاؤها زهاء ساعتين ، وقد سمعت ممن
يفهم اللغتين أنه لم يفرط في أداء معانيها من شيء

وهذا البحث في الخلافة يؤلف كتابا جليلا ذا أبواب وفصول تاريخية
وشريعة واجتماعية وسياسية نهم جميع المسلمين وجميع الذين يعنون بمعرفة تاريخهم
الديني والسياسي ، ومن مباحثه الفرق بين خلافة النبوة الراشدة وما بعدها من خلافة
الملك وأحكامهما واحوال المسلمين فيها ومسائل الجماعة وما ورد في فرومها وفي
النهي عن التفرق ... واسباب ضعف المسلمين وطاعة الخليفة والتزام الجماعة وتفسير
أولي الامر وأحكام الجهاد والهجرة وشروط الامامة والخلافة في حال الاختيار
وحال التغلب وكون الخليفة لا يتعدد والتعارض والترجيح بين طاعة الخليفة
وبين وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإزالته ، ومن أهم مباحثه
خلافة آل عثمان وغير ذلك مما لم يصل إلينا بعد . وسنعلق على بعض المسائل حواشي
مختصرة لإيضاحها أو استدراكها أو انتقاداً وترك للقراء الحكم فيه

ولدينا أيضا (كتاب من الخرافات الى الحقيقة) وهو كتاب إصلاحي عظيم
كما علم من مقدمته وأبوابه التي نشرناها في هذا الجزء ، وسنعلق عليه بما ذكرنا آنفا
- ولي ذلك رحلتنا الاوردية - فهذا أوسع مالدينا الآن من الزيادة في
المواد على المهود لإجمالاً من أبواب المجلة كالتفسير والفتاوى وغيرها أو تمصلاً
كفصول بحث القياس في اللغة العربية والرحلة السورية ووراء ذلك ما يتجدد
من المقالات والرسائل في أثناء السنة

ونسأله تعالى أن يقر أعيننا بحياة أمتنا ويوفقها الى تغيير ما بأنفسها من
أفكار فاسدة وخرافات كاسدة وأخلاق سيئة ، ليغير ما بها من ذلة ومهانة . وضعف
واستكانة ، وان يجعلنا فيها وفي سائر العالم من الهدى الناصحين ، والصالحين
المصلحين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين



Bibliotheca Alexandrina



0551745